



المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
الجامعة الإسلامية
كلية الشريعة
قسم أصول الفقه

آراء القاضي عياض الأصولية جمعاً ودراسةً

رسالة مقدمة لنيل درجة العالمية (الماجستير) في أصول الفقه

إعداد الطالب:

صالح بن محمد أحمد بن محمد عثمان

تحت إشراف

فضيلة الأستاذ الدكتور حمد بن حمدي الصاعدي

العام الجامعي

١٤٢٤-١٤٢٥هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله مظهر دينه المبين، وحائطه من شبه المبطلين، وتحريف الجاهلين، بعث محمداً -صلى الله عليه وسلم- إلى كافة خلقه، بكتابه الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وضمن تعالى حفظه، فما قدر العدو على إدخال الخلل في لفظه، مع كثرة الجاحد الجاهد على إطفاء نوره، وظهور المعادي المعاند لظهوره، ويُن على لسان نبيه من مناهجه وشرعته ما تكفل بنفي التحريف عنه لعدول أعلام الهدى من أمته، فلم يزالوا رضوان الله عليهم يذّبون عن حمى السنن، ويقومون لله بمداهم القويم الحسن، وينبهون على من يتهم بمحك حريمها، حتى بان الصدق من المين، وبان الصبح لذي عينين، وتميز الخبيث من الطيب، وتبين الرشد من الغي^(١).

أما بعد:

فإن علم أصول الفقه علم جليل القدر عظيم الفائدة؛ فهو العلم الذي يعني يبحث مصادر الأحكام وحجيتها ومراتبها في الاستدلال بها، وشروط هذا الاستدلال، ويرسم مناهج الاستنباط، ويستخرج القواعد المعينة على ذلك، التي يلتزم بها المجتهد عند تعرفه على الأحكام من أدلتها التفصيلية، ولهذا كان هذا العلم كما قال ابن خلدون "من أعظم العلوم الشرعية وأجلها قدراً وأكثرها فائدة"^(٢).

وعلم الأصول هو مجموعة الوسائل والطرق التي تضبط قواعد الاستدلال، فهو المنهج القويم في الاستنباط والاجتهاد. قال ابن برهان: (فاعلم -وفقك الله وأعانك -أن أجل العلوم قدراً وأعلاها شرفاً وذكرأ علمُ أصول الفقه^(٣)، وذلك لأنَّ الفقه أجل العلوم قدراً

(١) مشارق الأنوار: ١١/١.

(٢) المقدمة لابن خلدون ٤٥٢.

(٣) هذه العبارة فيها تسميحٌ، فأجل العلوم قدراً وأولها بالناية هو علم الاعتقاد، إذ تقرر عند العلماء أن العلم يشرف بشرف معلومه، ولا يخفى أن ما تعلق بصفات الخالق أولى العلوم وأجلها، والصواب أن يقال مثلاً: أصول الفقه من أجل العلوم. ثم إن أصول الفقه قد دخله من أصول المتكلمين مما خالف مذهب الأولين، وقواعد لا فروع لها، وغير ذلك = ما الله به عليم، فالمقصود بالأصول ما انبت عليه الفروع ودلت عليه الشواهد من الكتاب والسنة. انظر المقصد الأسنى ص ١٢٠.

وأسماءها شرفاً وذكرأ لما يتعلق به من مصالح العباد في المعاش والمعاد، وإنما يعرف شرف الشيء وقدره بتقدير فقدته وتصوير ضده... فإذا عرفت هذا وعرفت الفقه ومرتبته فما ظنك بأصوله التي منها استمداده وإليها استناده؟ فمن الواجب على كل من اشتغل بالفقه أن يصرف صدرأ من زمانه إلى معرفة أصول الفقه^(١) ليكون على ثقة مما دخل فيه، قادراً على فهم معانيه^(٢).

هذا، ولما من الله عليّ بدراسة هذا العلم، والاشتغال به، أجلت النظر في أبوابه ومسائله ورجاله، فوقع اختياري على دراسة آراء علَم من أعلام الإسلام، ألا وهو القاضي عياض - رحمه الله - فجعلته موضوع رسالتي التي أتقدم بها لنيل درجة الماجستير في قسم أصول الفقه بكلية الشريعة، وأسميته: " **الآراء الأصولية لعبد القاضي عياض (جمعاً وحواصة)** ".

(١) اختلف العلماء أيهما يقدّم (هل الأصول أم الفقه) انظر: الوصول ٤٨/١ - ٤٩، للسودة ٩٩٨/٢، شرح الكوكب المنير ٤٧/١ - ٤٨.

(٢) الوصول ٤٧/١.

- سبب اختيار هذا الموضوع:

كان من أهم الدوافع للكتابة في هذا الموضوع ما يلي:

١- إمامة القاضي عياض وعلو منزلته في العلم والضبط والتحقيق، وقد شهد له بذلك أهل المشرق والمغرب على السواء.

٢- إبراز جهوده في هذا العلم؛ إذ لم يترك فيه مؤلفاً مستقلاً، وإنما آراؤه مبثوثة في ثنايا كتبه التي ألفها في فنون أخرى غير أصول الفقه، ومنها ما نقله عنه من جاء بعده، ولم توجد في كتبه المطبوعة، فأردت جمعها في مكان واحد ليستفاد منها، وفي ذلك خدمة للعلم وأهله.

٣- امتيازُه رحمه الله بذكر كثير من القواعد الأصولية، وتطبيقها على الأحاديث النبوية كما هو ظاهر صنيعه في كتابه إكمال المعلم بشرح صحيح مسلم^(١).

٤- تحقيقه في بعض المسائل الأصولية بما قد لا يوجد عند غيره.

(١) قال شواط في منهجية فقه الحديث عند القاضي عياض ٤٠١: تناولوه بالبحث كثيراً من أهم مسائل أصول الفقه، عرض فيها المذاهب المختلفة، مع الترجيح غالباً، وسردت رؤوس موضوعاتها في موضعها من البحث، ولو جمعت في كتيب لأضحى مصداً مهماً في هذا الباب، ولأسهم ذلك في توضيح حركة التصنيف في أصول الفقه وتطورها بين المتقدمين والمتأخرين من صنف في هذا الفن.

٥- أن الكتابة في مثل هذا الموضوع تجعل الطالب يطّلع على كثير من مسائل أصول الفقه.

خطة البحث:

قسمت البحث إلى مقدمة ومدخل، وتمهيد وأربعة أبواب وخاتمة
فأما المقدمة، ففي أهمية الموضوع، وأسباب اختياره، وخطة البحث، ومنهجه، وشكر
وتقدير.

أما المدخل: فذكرت فيه نبذة مختصرة عن أصول الفقه عند المالكية.

وأما التمهيد: ففي التعريف بالقاضي عياض على وجه الاختصار، وفيه مبحثان:

المبحث الأول: في اسمه وكنيته ولقبه ونسبه

المبحث الثاني: في ولادته ونشأته

الفصل الثاني: في حياته العلمية والعملية وفيه تسعة مباحث:

المبحث السادس: في الفنون التي برع فيها

المبحث السابع: في آثاره العلمية

المبحث الثامن: في ثناء العلماء عليه

المبحث التاسع: في وفاته

الباب الأول: آراء القاضي عياض في مباحث الحكم: وفيه توطئة وفصل:
* التوطئة في بيان منهج القاضي عياض في بحث مسائل أصول الفقه
الفصل الأول: آراؤه في الحكم التكليفي

الباب الثاني: في الأدلة والدلالات ، وفيه ستة فصول:
الفصل الأول: آراؤه في مباحث الكتاب.
الفصل الثاني: آراؤه في مباحث السنة.
الفصل الثالث: آراؤه في المباحث المشتركة بين الكتاب والسنة.
الفصل الرابع: آراؤه في مباحث الإجماع
الفصل الخامس: آراؤه في مباحث القياس
الفصل السادس: آراؤه في مباحث الأدلة المختلف فيها

الباب الثالث: آراؤه في مباحث الاجتهاد والتقليد والفتوى، وفيه ثلاثة فصول:
الفصل الأول: في الاجتهاد
الفصل الثاني: في التقليد
الفصل الثالث: في الفتوى

الباب الرابع: آراؤه في مباحث التعارض والترجيح، وفيه فصلان:
الفصل الأول: في التعارض
الفصل الثاني: في الترجيح
الخاتمة: وتشتمل على أهم النتائج التي توصلت اليها
الفهارس: قمت بعمل فهرس تخدم الموضوع وهي:
١- فهرس الآيات.
٢- فهرس الأحاديث.

٣- فهرس الآثار .

٤- فهرس الأعلام.

٥- فهرس الشعر.

٦- فهرس الفرق والأديان.

٧- فهرس المصادر والمراجع.

٨- فهرس الموضوعات.

منهج البحث:

- يتلخص المنهج الذي سرت عليه في البحث فيما يلي:

أولاً: جمع المادة العلمية المتعلقة بأبواب الرسالة من مصادرها المعتمدة الأصلية منها والبديلة ثم قمت بتوزيعها على أبواب وفصول ومباحث الرسالة على حسب الخطة.

وفي هذا الصدد قمت بمجرد كتب القاضي عياض وهي:

١- الشفا بتعريف حقوق المصطفى وهو مطبوع ، بإشراف مكتب البحوث والدراسات بدار الفكر الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ

٢- إكمال المعلم شرح صحيح مسلم وهو مطبوع بتحقيق يحيى إسماعيل، طبع دار الوفاء ويتكون من تسعة أجزاء الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ

٣- الإلماع إلى معرفة أصول الرواية وتقييد السماع وهو مطبوع بتحقيق السيد أحمد صقر.

٤- مشارق الأنوار على صحاح الآثار في غريب الحديث الموطأ والبخاري ومسلم، وهو مطبوع بتحقيق إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، وتوزيع مكتبة عباس أحمد الباز الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ (وطبعة المكتبة العتيقة بتونس، وكذلك وزارة الأوقاف المغربية).

٥- ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك وهو من مطبوعات وزارة الأوقاف المغربية في ثمانية أجزاء. بتحقيق محمد بن تاويت وجمع من المحققين.

٦- بغية الرائد لما تضمنه حديث أم زرع من الفوائد، وهو من مطبوعات وزارة الأوقاف المغربية. وتحقيق صلاح الدين بن أحمد الإدلي، ومحمد الحسن أجانف، ومحمد عبد السلام الشراقوي.

٧- التعريف بالقاضي عياض لولده أبي عبد الله محمد، تحقيق محمد بن شريفة طبع وزارة الأوقاف المغربية، الطبعة الثانية، ١٤٠٢هـ.

٨- الغنية (فهرست شيوخ القاضي عياض) تحقيق محمد بن عبد الكريم، الدار العربية للكتاب.

٩- مذاهب الحكام في نوازل الأحكام للقاضي عياض وولده محمد، تحقيق محمد بن شريفة، دار الغرب الإسلامي الطبعة الأولى، ١٩٩٠م.

١٠- الإعلام بحدود قواعد الإسلام. تحقيق محمد بن تاويت الطنجي، طبع وزارة الأوقاف المغربية الطبعة السادسة، ١٤٢٢هـ.

* وأما المصادر البديلة فكانت في مباحث السنة، وخاصة المتعلقة منها بمسألة العصمة، ومباحث طرق التحمل، فقد نقل رأيه في هذه المباحث جمع من علماء الحديث وعلماء الأصول كالزركشي في البحر المحيط، وابن النجار في شرح الكوكب المنير، والشوكاني في إرشاد الفحول^(١).

ثانياً: اعتنيت بوضع حد في أول كل فصل ومبحث يتضمن التعريف بمصطلحاته، وإن لم يكن شاملاً لجميع المصطلحات.

ثالثاً: قمت بتحرير محل النزاع في المسائل الخلافية.

رابعاً: التزمت بذكر رأي القاضي عياض في كل مسألة، وقد اتبعت في ذلك الخطوات التالية:

- ذكرت رأيه بنقل كلامه نصاً أو من نص من نقل رأيه.

- بينت موافقته للجمهور أو مخالفته لهم.

- في حال موافقته للجمهور أستدل لهم، واكتفي بذكر الأقوال في المسألة مع توثيقها.

(١) وقد لا تتم مصدرها بديلاً لوجود ما فيها في كتبه، وإنما هي عاضدة.

- وفي حال مخالفته للجمهور أذكر من وافقه في ذلك مع ذكر أدلته وأدلة الجمهور مع المقارنة والترجيح.
- إذا ظهر لي رجحان رأيه أو رأي غيره ذكرته مع دليله ووجه ترجيحه، وقد لا أذكر الترجيح إذا لم يتبين لي القول الراجح.
- إذا اختلف العلماء في المسألة على قولين، وعسر عليّ تحديد الجمهور، ذكرت موافقته لأحدهما، ثم ذكرت أدلة كل قول للمقارنة والترجيح.
- أثبت بعض المسائل التي ذكرها القاضي عرضاً، ولم أقف على ما يوضح رأي القاضي فيها بجلاء، واكتفيت بذكر أشهر الأقوال فيها.
- خامساً: حرصت على ذكر نوع الخلاف ومثله أو أية فائدة تتعلق بالمسألة إن وجدت، وأحياناً اتبع المسألة بذكر بعض الفروع المخرجة عليها تمييزاً للفائدة.
- سادساً: عزوت الأقوال إلى قائلها من مصنفاتهم، أو مصنفات أصحابهم المعتمدة.
- سابعاً: قمت بخدمة النص الذي يتكون منه البحث بما يأتي:
 - ذكرت أسماء السور وأرقام الآيات القرآنية الواردة فيه، مع رسم الآية بالخط العثماني.
 - خرجت الأحاديث النبوية، ووثقت الآثار الواردة فيه، فما كان في الصحيحين أو أحدهما اكتفيت به، وإن لم يكن فيهما خرجته من مصادر الحديث الأخرى المعتمدة.
 - عزوت الآيات الشعرية إلى قائلها ما أمكنني ذلك.
 - شرحت المصطلحات والكلمات الغريبة.
 - ترجمت للأعلام الواردة أسماؤهم في البحث، ماعدا الملاحكة والأنبياء عليهم السلام، والمعاصرين، وأعلام الدراسة المذكورين في الترجمة، وكذا المذكورين في الدراسة الخاصة بأصول المالكية.
 - عرفت بالفرق والأديان الواردة في البحث.
 - وضعت بعض الفهارس العلمية التي تسهل للقارئ الاستفادة من البحث، وهي:
 - فهرس الآيات القرآنية
 - فهرس الأحاديث النبوية
 - فهرس الآثار

- فهرس الأعلام
- فهرس الشعر
- فهرس الفرق والأديان
- فهرس المصادر والمراجع
- فهرس الموضوعات

وبعد، فهذا هو المنهج الذي سرت عليه فما كان فيه من نقص فمن ضعفي، والضعف والقصور من جِبلة البشر، ولا أدعى الكمال، فإن الكمال لله وحده، ورضي الله عن عمر بن الخطاب حيث قال: ((رحم الله من أهدى إلي عيوبي))^(١).

لذا فلأنني أرجو ممن طالع هذا البحث أن يصبرني بما فيه من الخلل، ويدلني على ما يجد فيه من الزلل.

وأسأل الله سبحانه أن يرزقني التوفيق والسداد، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

(١) رواه الدارمي (٦٥٣) بسند منقطع. ورواه ابن سعد في الطبقات ٢٩٣/٣ من طريق سفیان بن عیینة قال عمر بن الخطاب: أحب الناس إلي من رفع إلي عيوبي.

قال الذهبي في السير ٣٩٣/٧: علامة المخلص... ويقول رحم الله من أهدى إلي عيوبي.

شكر وتقدير

أحمد الله تعالى أولاً على توفيقه، وأشكره على جزيل فضله وعظيم إحسانه، إذ وفقني لإتمام هذه الرسالة فله الحمد وحده.

ثم اعترافاً بالفضل لأهله، وامثالاً لقوله صلى الله عليه وسلم (لا يشكر الله من لا يشكر الناس)^(١)

أتقدم بشكري وتقديري إلى الجامعة الإسلامية ممثلةً في مديرها والقائمين عليها على ما بذلته وتبذله في خدمة الإسلام وأبنائه.

وأتوجه بالشكر الجزيل إلى المعلم والمربي أستاذي فضيلة الشيخ: الدكتور حمد بن حمدي الصاعدي حفظه الله ورعاه - المشرف على هذه الرسالة - على ما بذله من وقته الثمين، مع سعة صدره، وما أولانيه من نصيح وإرشاد، وتوجيه سديد، فجزاه الله عني خير الجزاء، وأطال في عمره، وبارك في علمه وعقبه.

وأصل بالشكر القائمين على كلية الشريعة على ما يسروا لي من فرصة الالتحاق بهذه المرحلة، ومواصلة دراستي.

كما أتقدم بالشكر الجزيل إلى الشيخين الجليلين الفاضلين، فضيلة الشيخ الدكتور/ محمد سعد بن أحمد اليوبي، الأستاذ المشارك بقسم أصول الفقه بالجامعة الإسلامية.

وفضيلة الشيخ الدكتور/ سليمان بن سليم الله الرحيلي، الأستاذ المساعد بقسم أصول الفقه، على تفضلهما بمناقشة رسالتي هذه، وما بذلاه من وقت في سبيل سد الخلل، وإصلاح ما طغى به القلم، وزلت به القدم.

والشكر موصول لكل من ساعدني على إتمام هذه الرسالة سائلاً المولى جل وعلا أن يجزي الجميع بمثوبته، إنه سميع مجيب، وصلى الله على عبده ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم .



(١) رواه أبو داود (٤٨١١)، والترمذي (١٩٥٤)، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي ١٨٥/٢.

مدخل

نبذة مختصرة عن أصول الفقه عند المالكية.

أولاً: أصول مذهب مالك: (١)

الأدلة التي بنى عليها مالك مذهبه كثيرة أوصلها بعضهم إلى خمسة وعشرين دليلاً وهي: نص الكتاب، وظاهره وهو العموم، ودليله وهو مفهوم المخالفة، ومفهومه أعني مفهوم الموافقة، والتنبيه على العلة، ومن السنة مثل هذه الخمسة، والحادي عشر: الإجماع، والثاني عشر: القياس، والثالث عشر: إجماع أهل المدينة (أو عمل أهل المدينة) ، والرابع عشر: قول الصحابي، والخامس عشر: الاستحسان، والسادس عشر: الحكم بسد الذرائع، والسابع والعشرون: البراءة الأصلية، والثالث والعشرون: الاستقراء، والرابع والعشرون: الأخذ بالأخف، والخامس والعشرون: تصديق المعصوم.

ثانياً: المؤلفات الأصولية:

إن أول المؤلفات الأصولية عند المالكية ما كتبه الإمام مالك لليث بن سعد (٢) مبيناً فيها أصلاً من أصول المذهب، وهو عمل أهل المدينة، ووجه الأخذ به. وأسوق الآن ما وقفت عليه مما للمالكية من مؤلفات أصولية، مرتباً لها ترتيباً خاصاً يبين (٣):

- كتب الأصول التي اهتم المالكية بشرحها أو اختصارها.

(١) البهجة في شرح التحفة ١٣٣/٢، الفكر السامي ٣٨٥/١، الجواهر الثمينة في بيان أدلة عالم المدينة ١١٥، اصطلاح

للمذهب عند المالكية ٥٣، تاريخ الفقه الإسلامي ١١٣، التشريع والفقه في الإسلام تأريخاً ومنهجاً ٢٩١.

(٢) انظر: ترتيب المدارك، باب رسالة مالك إلى الليث بن سعد، ٢١/١.

ورسالة الليث إلى مالك رحمهما الله موجودة في أعلام الموقعين ٨٣/٣-٨٨، وهو نقلها من كتاب التاريخ والمعرفة للفسوي، وانظر الفكر الأصولي ٥٤ وما بعدها.

(٣) قام الأستاذ عمر الجليدي - رحمه الله - بترتيبها على أسماء مؤلفيها على حروف المعجم في كتابه محاضرات في تاريخ المذهب المالكي ص ٧٨-٨٨.

كما قام بهذا الدكتور ترحيب البوسري - حفظه الله - ضمن بحث نشره بمجلة الجامعة الإسلامية - حرسها الله - عدد: ١٢٠ ص ٣٨٦-٣٥٠. وإن كان قد اقتصر على ما في كشف الظنون.

- أن جهود المالكية لم تنحصر في الشرح والاختصار، بل هناك مصنفات كثيرة مستقلة، كما يأتي بيانه.

- كما أبرزت بهذا الترتيب خدمة كل مصر من أمصار المالكية لمذهبهم في مجال أصول الفقه، لاسيما المغاربة والأندلسيين، وفي هذا دفع للشبهة التي أثارها ابن رشد^(١) من أن علم الأصول لم يرج في المغرب^(٢).

- التواصل المذهبي الذي وجد مع المذهب الشافعي، بشرح جملة من المؤلفات الأصولية فيه. وهذه المؤلفات هي:

١. الإشارة في أصول الفقه.

للإمام (ت: ٤٧٤هـ)^(٣). وعليها شروح:

٢. شرح الإشارات للإمام^(٤)

لأبي جعفر أحمد بن إبراهيم بن الزبير الغرناطي (ت: ٧٨٠هـ).

٣. شرح الإشارات^(٥).

لأبي العباس أحمد بن عبد الرحمن الزليطي - الشهير بجلولو - (ت: ٨٧٥هـ).

٤-٥ منتهى السؤل والأمل في علمي الأصول والجدل، ومختصره المشهور بمختصر ابن الحاجب^(٦). لجمال الدين أبي عمرو عثمان بن أبي بكر ابن الحاجب (ت: ٦٤٦هـ)^(٧).

وعلى المختصر شروح.

(١) أبو الوليد ابن رشد (ت: ٥٩٥هـ). انظر كتابه: فصل المقال ٢٧. [تحقيق: د. عمارة].

(٢) قال الجيبي: وتبين رأيه هذا المقر في النفع.. فقال: وعلم الأصول عندهم متوسط الحال. اهـ [النفع

٢٢١/١]. محاضرات في تاريخ المذهب المالكي ص ٢٨.

(٣) الديباج للمذهب ص 200. وقد طبع قديما بمطبعة التليبي (١٣٦٨هـ) وبمطبعة النار (١٣٧٠هـ) كلاهما

بتونس، بحاشية شرح الخطاب على الورقات، وحقق تحقيقا علميا على يد محمد بن علي فركوس.

(٤) الديباج ص 106، الدرر الكامنة ٨٤/١، شجرة النور ٢١٢.

(٥) شجرة النور ٢٥٩، طبقات الأصوليين ٤٤/٣.

(٦) لابن الحاجب رحمه الله مختصرين: أ. الأصلي: في أصول الفقه ب. الفرعي: في الفقه، الملقب بـ ((جامع

الأمهات)) وهو مطبوع، وعليه شروح كثيرة كلها مخطوطة أشهرها: التوضيح للشيخ خليل، ويقوم المجمع العلمي بفلس بتحقيقه.

(٧) الديباج للمذهب ص ٢٨٩-٢٩١. والمختصر مطبوع متداول وعليه شروح كثيرة مطبوعة.

٦. شرح مختصر ابن الحاجب الأصلي.
- لمحمد بن محمد بن إبراهيم القيسي الصفاقسي (ت: ٧٤٤هـ) ^(١).
٧. شرح مختصر ابن الحاجب الأصلي ^(٢)
- لأبي عبد الله محمد بن هارون الكناني التونسي (ت: ٧٥٠هـ).
٨. شرح مختصر ابن الحاجب الأصلي ^(٣).
- لأبي العباس أحمد بن إدريس البجائي (ت: ٧٦٠هـ).
٩. شرح مختصر ابن الحاجب الأصلي ^(٤)
- للقاضي شمس الدين محمد بن عبد الرحمن بن عسكر البغدادى (ت: ٧٦٧هـ).
١٠. شرح منتهى السؤل والأمل لابن الجاحب ^(٥)
- لمحمد بن الحسن بن محمد المالقي (ت: ٧٧١هـ).
١١. تحفة السؤل في شرح مختصر منتهى السؤل
- ليحيى بن موسى الرهوني (ت: ٧٧٤هـ) ^(٦).
١٢. شرح مختصر ابن الحاجب الأصلي ^(٧). لمحمد القماري (ت: ٧٧٦هـ).
١٣. شرح مختصر ابن الحاجب الأصلي ^(٨)
- لخليل بن إسحاق الجهندي (ت: ٧٧٦هـ)
١٤. شرحان لمختصر ابن الحاجب الأصلي، وعلى الأشكال الأربع التي في مختصره الأصلي ^(٩). لأحمد بن عمر بن هلال الربيعي (ت: ٧٩٥هـ).

-
- (١) الدرر الكامنة ١٥٨/٤ شجرة النور ٢٠٩، طبقات الأصوليين ١٥١/٢.
 - (٢) شجرة النور ٢١١، المدخل إلى أصول الفقه المالكي ١٦٥ .
 - (٣) شجرة النور ٢٣٣، معجم البلدان ٦٢/٢ طبقات الأصوليين ١٧٤/٢.
 - (٤) الديباج ٤١٦. شجرة النور ٢٢٢، طبقات الأصوليين ١٨٠/٢.
 - (٥) هدية العارفين ١٦٥/٢، معجم المؤلفين ٢١٩/٩، معجم المؤلفات الأصولية للملكية ٣٤٤.
 - (٦) قال في الديباج ص ٤٣٧: انفراد بتحقيق مختصر ابن الحاجب الأصولي وله عليه شرح حسن مفيد اهـ.
 - وحقق في رسائل علمية وطبعته دار البحوث للدراسات الإسلامية بدولة الإمارات.
 - (٧) شجرة النور ٢٢٣، طبقات الأصوليين ١٩٣/٢.
 - (٨) إيضاح المكنون ١٨٥٥/٢، هدية العارفين ٣٥٢/٢، المدخل إلى أصول الفقه المالكي ص ١٦٦.
 - (٩) الديباج ١٣٩، شجرة النور ٢٢٣، شذرات الذهب ٣٣٨/٦ محاضرات في تاريخ المذهب المالكي ٧٩.

١٥. كشف النقاب الحاجب على مختصر ابن الحاجب في الأصول^(١)

لإبراهيم بن علي بن فرحون اليعمري

١٦. شرح مختصر ابن الحاجب الأصلي^(٢).

لأحمد بن محمد بن عطاء الله الزبيري الإسكندري (ت: ٨٠١هـ).

١٧. شرح مختصر ابن الحاجب الأصلي^(٣)

لتاج الدين بهرام بن عبد الله الدميري أبو البقاء (ت: ٨٠٥هـ).

١٨. شرح مختصر ابن الحاجب الأصلي^(٤). لأبي العباس أحمد المنستيري التونسي النحوي.

١٩. شرح مختصر ابن الحاجب الأصلي^(٥).

لأبي العباس أحمد بن حسين القسنطيني، يعرف بابن الخطيب، وابن قنفذ (ت: ٨١٠هـ).

٢٠. شرح مختصر ابن الحاجب الأصلي^(٦).

لأبي عثمان سعيد بن محمد العقباتي التلمساني (ت: ٨١١هـ).

٢١. أداء الواجب في تصحيح ابن الحاجب (حاشية على منتهى السؤل والأمل)^(٧).

لمحمد الرضى الحسيني الفاسي المكي (ت: ٨٢٤)

٢٢. مختصر ابن الحاجب الأصلي^(٨).

لأحمد بن محمد بن عبد الرحمن: ابن زاغو (ت: ٨٤٥هـ).

٢٣. شرح منتهى السؤل والأمل في علمي الأصول والجدل^(٩)

لقاسم بن سعيد بن محمد العقباتي التلمساني (ت: ٨٥٤)

(١) إيضاح المكنون ٣٦٨/٢، هدية العارفين ١٨/١، معجم المؤلفين ٣٨/١.

(٢) شجرة النور ٢٢٤، معجم البلدان ٤١٤/٢، طبقات الأصوليين ٦/٣.

(٣) شجرة النور ٢٣٩، نيل الانتهاج ١٠١، شذرات الذهب ٤٩/٧، طبقات الأصوليين ١٢/٣.

(٤) شجرة النور ٢٤٦، المدخل إلى أصول الفقه المالكي ١٦٧.

(٥) نيل الانتهاج ٧٥، شجرة النور ٢٥٠، طبقات الأصوليين ١٨/٣.

(٦) نيل الانتهاج ١٢٥، شجرة النور ٢٥٠، الضوء اللامع ٢٥٦/٣، طبقات الأصوليين ١٩/٣.

(٧) الضوء اللامع ٤١/٨، هدية العارفين ١٨٤/٢، معجم المؤلفين ٣١٩/٩.

(٨) نيل الانتهاج ٧٥، شجرة النور ٢٥٤، طبقات الأصوليين ٣٣/٣.

(٩) الضوء اللامع ١٨١/٦، إيضاح المكنون ٥٧٢/٢، الأعلام ١٧٦/٥، معجم المؤلفين ١٠١/٨.

٢٤. شرح على مختصر ابن الحاجب الأصلي^(١).
- لأبي القاسم محمد بن محمد النويري (ت: ٨٥٧ و قيل ٨٩٧).
٢٥. شرح مختصر ابن الحاجب الأصلي^(٢).
- لمحمد بن أحمد التريكي التونسي (ت: ٨٩٤ هـ).
٢٦. تعليق على مختصر ابن الحاجب الأصلي^(٣).
- لأحمد بن يحيى الونشريسي (ت: ٩١٤ هـ).
٢٧. كافي المطالب في شرح مختصر ابن الحاجب^(٤).
- لمحمد الناسخ الطرابلسي الشامي كمال الدين (ت: ٩١٤).
٢٨. شرح منتهى السؤل والأمل في علمي الأصول والجلد^(٥).
- لمحمد بن القاسم المصري جلال الدين (ت: ٩٢٦)
٢٩. شرح مختصر ابن الحاجب^(٦).
٣١. تنقيح القرائي من المحصول^(٧).
- لشهاب الدين القرائي (ت: ٦٨٤ هـ). وعليه عدة شروح:
٣٢. شرح تنقيح الفصول للقرائي^(٨).

-
- (١) الضوء اللامع ٢٤٧/٩، البدر الطالع ٢٥٦/٢، شجرة النور ٢٤٣، المدخل إلى أصول الفقه المالكي ١٦٧.
- (٢) نيل الانتهاج ٣٢٣، شجرة النور ٢٦٠، طبقات الأصوليين ٥٧/٣.
- (٣) محاضرات في تاريخ المذهب المالكي ص ٨٠.
- (٤) معجم المؤلفين ٧١/١٢، الكواكب السائرة ٨١/١، كشف الظنون ١٨٥٥/٢، هدية العارفين ٢٣٥/٢.
- (٥) إيضاح المكنون ٥٧٢/٢، معجم المؤلفين ١٤٧/١١، بحث معجم المؤلفات الأصولية للمالكية ٣٦٤.
- (٦) نيل الانتهاج ٢٨٩، شجرة النور ٢٨٨، طبقات الأصوليين ٤١/٣.
- (٧) شجرة النور ٣٠١، طبقات الأصوليين ٩٤/٣، محاضرات في تاريخ المذهب المالكي ٨٠.
- (٨) قال في الديباج ص ١٢٩: كتاب التنقيح في أصول الفقه، وهو مقدمة الذخيرة، وشرحه كتاب مفيد.
- (٩) نيل الانتهاج ٦٥، شجرة النور ٢١٦، طبقات الأصوليين ١٢٤/٢.
- وطبع بتحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، ط: مكتبة الكليات الأزهرية، ثم دار الفكر.

٣٣. شرح تنقيح الفصول.
- لأحمد بن محمد الأزدي: ابن البناء المراكشي (ت: ٧٢١هـ).
٣٤. تقييدات على التنقيح^(١).
- لأحمد بن عبد الرحمن التادلي الفاسي (ت: ٧٤١هـ).
٣٥. إقليد الأصول: وهو مختصر التنقيح، ولم يكمله^(٢).
- لابن فرحون إبراهيم بن علي بن محمد (ت: ٧٩٩هـ).
٣٦. شرح تنقيح الفصول^(٣).
- لعلي بن ثابت بن سعيد التلمساني (ت: ٨٢٩هـ).
٣٧. شرح تنقيح القرافي
- لأبي القاسم محمد بن محمد النويري (ت: ٨٥٧ و قيل ٨٩٧).^(٤)
٣٨. التوضيح في شرح التنقيح
- لأبي العباس أحمد بن عبد الرحمن الزليطي -الشهير بجلولو- (ت: ٨٧٥هـ)^(٥).
٣٩. رفع النقاب عن تنقيح ابن شهاب^(٦).
- لأبي علي حسين بن علي بن طلحة الراجحي الشوشاوي (٨٩٩).
٤٠. شرح تنقيح القرافي^(٧)
- لأبي العباس أحمد المنستيري التونسي النحوي.
٤١. منهج التحقيق والتوضيح لحل غوامض التنقيح
- لمحمد بن حمودة جعيط (ت: ١٣٣٧هـ).^(٨)

(١) الديباج ١٣٨، معجم البلدان ٣٥٢/٢، طبقات الأصوليين ١٤٦/٢.

(٢) طبقات الأصوليين ٢١١/٢.

(٣) تعريف الخلف ٢٦٩/٢، محاضرات في تاريخ المذهب المالكي ٨٥.

(٤) شجرة النور ٢٤٣، المدخل في أصول الفقه المالكي ١٦٧.

(٥) نيل الانتهاج ، شجرة النور ٢٥٩، طبقات الأصوليين ٤٤/٣، وطبع بتونس، سنة: ١٣٢٨هـ.

(٦) حققه أحمد السراح وعبد الرحمن الجبرين _ رسالة علمية ماجستير_ وطبعته دار الرشد بالرياض.

(٧) شجرة النور ٢٤٦، المدخل في أصول الفقه ١٦٧.

(٨) شجرة النور ٤٢٣، ط: النهضة بتونس، انظر فهارس مقدمة بن القصار للسليماني ص ٣٦٧.

٤٢. حاشية التوضيح والتصحيح لمشكلات كتاب التنقيح.

محمد الطاهر بن عاشور (ت: ١٣٩٣هـ) ^(١).

[مؤلفات للشافعية شرحت أو اختصرت من قبل المالكية]

* اللمع للشيرازي.

٤٣. نظم لمع أبي إسحاق الشيرازي.

لأبي عبد الله محمد بن عبد الله بن سعيد لسان الدين بن الخطيب (ت: ٧٧٦) ^(٢).

٤٤. الطرر المرسومة على الحلل المرقومة.

لأبي سعيد فرج بن قاسم بن أحمد بن لب (ت: ٧٨٢هـ) ^(٣)

شرح فيه: منظومة لسان الدين ابن الخطيب في الأصول ^(٤)

٤٥. شرح منظومة لسان الدين ابن الخطيب ^(٥).

لعبد الرحمن بن محمد ابن خلدون (ت: ٨٠٧هـ).

٤٦. شرح لمع الشيرازي ^(٦).

لسليمان بن شعيب بن خضر البحيري (ت: ٩١٢هـ).

* الورقات: لإمام الحرمين الجويني

٤٧. شرح الورقات ^(٧). لأحمد بن زكري (ت: ٨٩٩هـ).

٤٨. قررة العين في شرح ورقات إمام الحرمين.

لأبي عبد الله محمد بن محمد الخطاب (ت: ٩٥٤هـ). ^(٨)

(١) ط: النهضة بتونس، انظر فهارس مقدمة بن القصار للسليمان ص ٣٦٧.

(٢) شجرة النور ٢٣٠، طبقات الأصوليين ١٩٥/٢ (مخطوط بالمكتبة الحزواوية بالرشيدية في المغرب الأقصى).

(٣) الديباج ٣١٦، شجرة النور ٢٣٠، المدخل في أصول الفقه المالكي ١٦٦.

(٤) قيس من عطاء المخطوط المغربي ٤٠٠/١، (مخطوط بالمكتبة الحزواوية بالرشيدية في المغرب الأقصى).

(٥) نيل الانتهاج ١٦٩، شجرة النور ٢٢٧، الإعلام ٥١٠/٢ طبقات الأصوليين ١٣/٣.

(٦) شجرة النور ٢٧١، نيل الانتهاج ١٢٢، الضوء اللامع ٢٦٤/٣، طبقات الأصوليين ٦٧/٣.

(٧) تعريف الخلف ٤٥/١، شجرة النور ٢٦٧.

(٨) ط: دار ابن خزيمة. طبقات الأصوليين ٧٥/٣، معجم سركس ٧٧٩.

٤٩. المعارج المرتقيات في معاني الورقات ^(١).
- محمد المرباط الدالائي (ت: ١٠٨٩هـ).
٥٠. شرح الورقات ^(٢). لمحمد بن قاسم بن زاكور الفاسي (ت: ١١٢٠هـ).
٥١. تقييدات على الورقات ^(٣).
- محمد بن عبادة ابن بري (ت: ١١٩٣هـ).
٥٢. سلم الوصول إلى علم الأصول (نظم الورقات)، وشرحه ^(٤).
- محمد بن عبد الرحمن الديسي (ولد عام ١٢٧٠هـ).
٥٣. شرح نظم الورقات ^(٥).
- لمصطفى بن محمد فاضل ماء العينين (كان حيا سنة ١٣٢٠هـ).
٥٤. نظم الورقات ^(٦)، لمحمد الحامدي.
- * البرهان: لإمام الحرمين الجويني: وللمالكية عليه عدة شروح:
٥٥. إيضاح المحصول من برهان الأصول ^(٧).
- لأبي عبد الله محمد بن علي المازري (ت: ٥٣٦هـ).
٥٦. البيان في تنقيح البرهان ^(٨).
- لعلي بن محمد بن محمد الحصار الفاسي (ولد سنة ٦١٠هـ).
٥٧. التحقيق والبيان في شرح البرهان ^(٩). علي بن إسماعيل الأبياري (ت: ٦١٦هـ).

-
- (١) شجرة النور ٣١٣، طبقات الأصوليين ١٠٦/٣،
- (٢) شجرة النور ٣٣٠، طبقات الأصوليين ١٢١/٣،
- (٣) شجرة النور ٣٤٢، الإعلام ٩١١/٣، طبقات الأصوليين ١٣٣/٣،
- (٤) محاضرات في تاريخ المذهب المالكي ٨٨، أعلام الجزائر ١٥٥.
- (٥) شجرة النور ٤٣٣، طبقات الأصوليين ١٦٣/٣، معجم سركس ١٦٠١.
- (٦) محاضرات في تاريخ المذهب المالكي ٨٣، النبوغ ٣٠٤/١.
- (٧) الديباج ٣٧٤، شجرة النور ١٢٧، الإعلام ٩٤٥/٣. وقد طبع بتحقيق د/ عمار الطالبي، ط/ دار الغرب الإسلامي.
- (٨) محاضرات في تاريخ المذهب المالكي لعمر الجهمدي ٨٦.
- (٩) الجزء الأول: بمكتبة مراد ملا: ٦٧٩، والجزء الثاني: بونستون: ١٦٦٢.
- انظر: الديباج ٣٠٦، وحقق جزء منه في جامعة أم القرى.

٥٨. كفاية طالب البيان، في شرح البرهان.

لأبي يحيى زكريا بن يحيى بن يوسف، الشريف الحسيني (من علماء القرن ٧هـ)^(١).
٥٩. تلقيح الأذهان بتنقيح البرهان^(٢)

لمحمد العربي بن يوسف بن محمد الفهري القصري الفاسي (ت: ١٠٥٢)

* المستصفي: لأبي حامد الغزالي، وقد اهتم به المالكية شرحا واختصارا، فلهم عليه:

٦٠. الضروري في أصول الفقه (مختصر المستصفي)^(٣).

لأبي الوليد ابن رشد الحفيد (ت: ٥٩٥هـ).^(٤)

٦١. تقييد على المستصفي^(٥).

لمحمد بن إبراهيم المهري الإشبيلي، البجائي الأصل، شهر بالأصولي (ت: ٦١١هـ).

٦٢. شرح المستصفي^(٦).

ليحيى بن أحمد السكوني اللبلي (ت: ٦٢٦هـ).

٦٣. لباب المحصول في علم الأصول: مختصر المستصفي.

للمحسن بن عتيق ابن رشيق المالكي (ت: ٦٣٦هـ).^(٧)

٦٤. تعاليق على المستصفي^(٨).

لسهل بن محمد بن سهل الأزدي (ت: ٦٣٩هـ).

٦٥. ٦٦. مختصر المستصفي، وحواشي على مشكلاته^(٩).

لأحمد بن محمد الأزدي الأشبيلي (يعرف بن الحاج) (ت: ٦٤٧ و قيل ٦٥١هـ).

(١) منه الجزء الثالث، وهو الأخير بخزاة القرويين (٦٢٤).

انظر: فهرس مخطوطات القرويين ١٨٦/٢، والفهرس الشامل (قسم الفقه وأصوله ٣٤٧/٨).

(٢) شجرة النور ٣٠٢، معجم المؤلفين ٢٩/١٠، إيضاح المكتون ٣٢٠/١.

(٣) الديباج ٣٧٩، النجوم الزاهرة ١٥٤/٦، شجرة النور ١٤٦.

(٤) تحقيق: جمال الدين العلوي، ط: دار الغرب.

(٥) محاضرات في تاريخ المذهب المالكي ٨٣، التكملة ٣٧٧.

(٦) نيل الابتهاج ٣٥٥، محاضرات في تاريخ الملعب المالكي ٨٨.

(٧) طبع بتحقيق محمد غزالي وطبعته دار البحوث للدراسات الإسلامية بدولة الإمارات.

(٨) الديباج ٢٠٦، طبقات الأصوليين ٦٢/٢.

(٩) شجرة النور ١٨٤، طبقات الأصوليين ٦٧/٢.

٦٧. شرح المستصفى ^(١)

للحسن (وقيل :الحسين) بن عبد العزيز بن محمد القرشي الفهري المعروف بابن الناظر (٦٧٩).

٦٨. شرح كتاب المستصفى ^(٢).

لأبي جعفر أحمد بن محمد العامري الغرناطي (ت:٦٩٩هـ).

٦٩. المقتضب الأشفي في اختصار المستصفى قيل عنه إنه جليل. ^(٣).

لعلي بن أبي القاسم بن قنون التلمساني (ت:٨٢٩هـ).

* المحصول : لفخر الدين الرازي

٧٠. نفائس الأصول في شرح المحصول.

لشهاب الدين القرافي (ت:٦٨٤هـ). ^(٤)

٧١. تلخيص المحصول ^(٥).

لعبد الرحمن بن محمد ابن خلدون (ت: ٨٠٧ هـ).

* الحاصل في أصول الفقه: لتاج الدين الأرموي.

٧٢. تقييدات على الحاصل ^(٦) .

لمحمد بن محمد بن عبد النور التونسي (ت: ٧٢٦هـ).

٧٣. تحفة الواصل في شرح الحاصل ^(٧).

لمحمد بن عبد الله بن راشد البكري القفصي (ت: ٧٣٦هـ).

* جمع الجوامع: لابن السبكي

(١) بغية الرعاة ١/٥٣٥، كشف الظنون ٢/١٦٧٣، هدية العارفين ١/ ٢٨٣، ٣١٣، معجم المؤلفين ٤/١٧.

(٢) قال في الديباج المذهب ص ١٠٤: شرح كتاب المستصفى شرحا حسنا، طبقات الأصوليين ٢/٩٨.

(٣) التكملة ص ٦٨٦، محاضرات في تاريخ المذهب المالكي ٨٥.

(٤) الديباج ١٢٨، طبقات الأصوليين ٢/٨٦، والكتابان مطبوعان متداولان.

(٥) نيل الانتهاج ١٦٩، شجرة النور ٢٢٧، الأعلام ٢/٥١٠، طبقات الأصوليين ٣/١٤.

(٦) الديباج ٤١٩، شجرة النور ٢٠٦، طبقات الأصوليين ٢/١٢٧.

(٧) الديباج ٤١٨، شجرة النور ٢٠٧، طبقات الأصوليين ٢/١٣٩.

٧٤. زوال المانع في شرح جمع الجوامع للسبكي^(١)
- محمد بن عمار بن محمد بن أحمد الفهري (ت: ٨٤٤هـ).
٧٥. ٧٦. الضياء اللامع في شرح جمع الجوامع، وله شرح آخر عليه^(٢).
- لأبي العباس أحمد بن عبد الرحمن الزليطي - الشهير بجلولو- (ت: ٨٧٥هـ).
٧٧. حاشية على شرح المحلى على جمع الجوامع^(٣).
- محمد بن إبراهيم التتائي (ت: ٩٤٢هـ)
٧٨. حاشية على شرح المحلى على جمع الجوامع^(٤).
- لأبي عبد الله محمد بن حسن اللقاني (ت: ٩٥٨هـ)
٧٩. حاشية على شرح المحلى لجمع الجوامع^(٥).
- لعبد الرحمن بن محمد بن يوسف الفاسي القصري (ت: ١٠٣٦هـ).
٨٠. البدور اللوامع من خلدور جمع الجوامع^(٦)
- لإبراهيم بن إبراهيم بن حسن بن علي اللقاني المصري (ت: ١٠٤١هـ)
٨١. الكواكب السواطع في شرح جمع الجوامع لم يتمه^(٧).
- للحسن بن مسعود اليوسي (ت: ١١١١هـ).
٨٢. شرح جمع الجوامع^(٨).
- لأحمد بن مبارك بن محمد البكري الصديقي السحلماسي (ت: ١١٥٥هـ).

-
- (١) شجرة النور ٢٤٢، الضوء اللامع ٨/ ٢٣٣، البدر الطالع ٢/ ٢٣٢، الأعلام ٦/ ٣١١، معجم المؤلفين ١١/ ٧٤، إيضاح المكنون ٢/ ٦١٤، هدية العارفين ٢/ ١٩٤.
- (٢) الخزانة العامة بالرباط: ٩٥١ ك، طبع طبعة حجرية بالمطبعة الحفيفية بفاس سنة: ١٣٢٧.
- (٣) شجرة النور ٢٧٢، الأعلام ٣/ ٨٤٣، معجم البلدان ٢/ ٣٦٦، طبقات الأصوليين ٣/ ٧٣.
- (٤) شجرة النور ٢٧٢، طبقات الأصوليين ٣/ ٧٧.
- (٥) شجرة النور ٢٩٩، الإعلام ٢/ ٥١٠، طبقات الأصوليين ٣/ ٩٢.
- (٦) إيضاح المكنون ١/ ١٧١، هدية العارفين ١/ ٣٠، معجم الأصوليين ١/ ٢٠، له نسخة في مكتبة الحرم للمكي رقم (٦٤) وفي التيمورية (١٨٠)، وفي الأزهرية (٥٨٢/١٢).
- (٧) شجرة النور ٣٢٨، طبقات الأصوليين ٣/ ١١٨.
- (٨) شجرة النور ٣٥٢، معجم سركيس ٥/ ١٠٠٩، طبقات الأصوليين ٣/ ١٢٧.

٨٣. حاشية على شرح المحلى لجمع الجوامع^(١).
- لأحمد بن محمد بن يعقوب الولاى (ت: ١١٨٢هـ).
٨٤. حاشية على جمع الجوامع^(٢).
- لمحمد بن عبادة بن برى (ت: ١١٩٣هـ).
٨٥. حاشية على شرح المحلى لجمع الجوامع^(٣).
- لعبد الرحمن بن جاد الله البنانى. (ت: ١١٩٨هـ).
٨٦. نظم جمع الجوامع فى الأصول^(٤).
- لمختار بن بونة الشنقيطى الحكنى .
٨٧. حاشية على شرح المحلى لجمع الجوامع^(٥).
- لمحمد بن محمد الشفشاونى (ت: ١٢٣٢هـ).
٨٨. حاشية على شرح المحلى لجمع الجوامع^(٦).
- لمحمد بن مهدي بن الطالب سودة (ت: ١٢٩٤هـ).
٨٩. تقرير على شرح المحلى على جمع الجوامع^(٧).
- لأبى عبد الله محمد بن عثمان النجار (ت: ١٣٣١)
٩٠. الجواهر اللوامع فى نظم جمع الجوامع^(٨).
- لسلطان المغرب، المولى عبد الحفيظ بن الحسن العلوى (ت: ١٣٥٦هـ).
٩١. حاشية على جمع الجوامع^(٩). محمد بن حسين العلوى المالكى (ت: ١٣٥٦).

(١) شجرة النور ٣٣١، طبقات الأصوليين ١٢٣/٣،

(٢) شجرة النور ٣٤٢، الإعلام ٩١١/٣، طبقات الأصوليين ١٣٣/٣،

(٣) شجرة النور ٣٤٢، الإعلام ٤٩٠/٢، معجم سركيس ٥٩١، طبقات الأصوليين ١٣٤/٣.

(٤) هدية العارفين ٤٢٣/٢، معجم المؤلفين ٢١٠/١٢.

(٥) شجرة النور ٢٧٩، طبقات الأصوليين ١٤٢/٣.

(٦) شجرة النور ٤٠٣، طبقات الأصوليين ١٥٧/٣.

(٧) طبقات الأصوليين ١٦٤ / ٣

(٨) محاضرات فى تاريخ اللهب المالكى ٨٦، طبع بفس.

(٩) طبقات الأصوليين ١٨٨ / ٣

٩٢. شرح منظومة الجواهر اللوامع في نظم جمع الجوامع^(١).

لعباس بن محمد السملالي التعارجي (ت: ١٣٧٨هـ).

شرح جمع الجوامع. لإبراهيم التادلي^(٢).

٩٣. الأصل الجامع لإيضاح الدرر المنظومة في سلك جمع الجوامع^(٣).

لحسن بن عمر السيناوي.

[شرح مؤلف للحنفية]

* التحرير لابن الممام:

٩٤. مختصر التحرير (لابن الممام)، وشرحه^(٤).

لمحمد بن محمد بن سليمان السوسي الفاسي (ت: ١٠٩٤هـ).

* المقاصد:

٩٥. الموافقات في أصول الشريعة^(٥).

لأبي إسحاق إبراهيم بن موسى الشاطبي (٧٩٠).

٩٦. نيل المني في نظم الموافقات^(٦).

لمحمد بن محمد بن عاصم الأندلسي (ت: ٨٢١هـ).

٩٧. مختصر الموافقات.

لمحمد يحيى بن محمد المختار الولاقي (ت: ١٣٣٠هـ).

٩٨-٩٩. نظم الموافقات، وشرحه: المرافق على الموافق. لماء العينين الحكيني^(٧).

(١) محاضرات في تاريخ المذهب المالكي ٨٨.

(٢) محاضرات في تاريخ المذهب المالكي ٨٠، النبوغ ٣٠٤/١.

(٣) ط: النهضة بتونس، انظر فهارس مقدمة بن القصار للسليمان ٣٥٩، وعبد الوهاب أبو سليمان في مقدمة

تحقيقه للحواهر الثمينة في بيان أدلة عالم المدينة، ص ٨٦.

(٤) شجرة النور ٣١٦، طبقات الأصوليين ٣/١٠٧، محاضرات في تاريخ المالكي ٨٢.

(٥) ت: عبد الله دراز، ط: المكتبة التجارية الكبرى وغيرها وحققه مشهور سلمان في ستة أجزاء .

(٦) طبقات الأصوليين ٣/٢٥، ويقوم بتحقيقه بعض الطلبة في المغرب، وحدث أنه في ٦٠٠٠ بيت.

(٧) طبقات الأصوليين ٣/١٦٢، والكتاب مطبوع، ويماد طبعه في مورتانيا الآن بإشراف حفيد المصنف، وحققه

كذلك مشهور حسن سلمان ط/ دار عفان.

١٠٠. مقاصد الشريعة الإسلامية.

لمحمد الطاهر بن عاشور (١٣٩٣). وهو مطبوع ومتداول

١٠١. مقاصد الشريعة الإسلامية ومكارمها^(١).

لعلال الفاسي.

* الفروق

١٠٢. الفروق^(٢).

للقاضي عبد الوهاب بن علي بن نصر (ت: ٤٢٢)

١٠٣. الفروق: للقراقي^(٣).

١٠٤. اختصار الفروق^(٤).

لمحمد بن إبراهيم بن محمد البقوري (ت: ٧٠٧هـ).

١٠٥. أنوار البروق (إدارة الشروق على أنواء الفروق)^(٥).

لقاسم بن عبد الله بن الشاط (ت: ٧٢٣هـ).

١٠٦. تهذيب الفروق والقواعد السنية في الأسرار الفقهية^(٦).

لمحمد علي حسين.

* القياس

١٠٧. كتاب القياس^(٧).

لأبي الفضل بكر بن العلاء القشيري البغدادي ثم المصري (ت: ٣٤٤هـ).

(١) ط: مكتبة الوحدة العربية، الدار البيضاء بالمغرب.

(٢) طبع بتحقيق جلال القلذاني الجهاني، دار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث.

(٣) وهو وإن كان أصل موضوعه في القواعد الفقهية إلا أنه اشتمل على مجموعة من القواعد الأصولية، والتي لربما يعزّ وجودها في كتب الأصول.

(٤) الديباج ٤١٠، شجرة النور ٢١١. والكتاب طبع على نفقة وزارة الأوقاف بالمغرب، وما يوسف له أن يحقها تصرف أحيانا في النص بإدخال ما ليس فيه.

(٥) الديباج ٣٢٤، والكتاب مطبوع مع الفروق.

(٦) ط: دار إحياء الكتاب العربية، على هامش الفروق.

(٧) ترتيب المدارك ٢٩٠/١، الديباج ١٦٥، الشجرة ٧٩، طبقات الأصوليين ١٩١/١.

١٠٨. مجموعة في الأصول في الرد على ابن حزم^(١)

للقاضي أبي بكر عبد الله بن طلحة اليابري الإشيلي، ثم المصري (ت: ٥١٩ هـ).

١٠٩. التبراس في الرد على منكر القياس^(٢).

للحسن بن علي المسيلي (ت: ٥٨٠ هـ).

١١٠. القياس لمناضلة من سلك غير المهيغ في إثبات القياس^(٣).

لعلي بن محمد بن عبد الملك: ابن القطان الفاسي (ت: ٦٢٨ هـ).

* المنظومات:

١١١. أرجوزة في علم الأصول^(٤).

لمحمد الفندلاوي الفاسي (ت: ٥٩٦ هـ).

١١٢. أرجوزة في علم أصول الفقه^(٥).

لمحمد بن يوسف بن عمران المزدغي (ت: ٦٥٥ هـ).

- ألفية في الأصول^(٦).

لمحمد بن عبد الله بن سعيد الغرناطي: لسان الدين ابن الخطيب (٧٧٦ هـ)^(٧). سبق.

١١٣. أرجوزة في الأصول^(٨).

لمحمد بن سعيد الرعيني الفاسي (ت: ٧٧٩ هـ).

١١٤. نظم في علم الأصول^(٩).

لمحمد بن محمد بن عرفة الورغمي (ت: ٨٠٣ هـ).

(١) شجرة النور ١٣٠، أزهار الرياض ٧٨/٣، طبقات الأصوليين ٢١/٢، معجم البلدان ٤٨٩/٨.

(٢) توشيح الديباج ٨٨، الإعلام للزركلي ٢٢٠/٢، محاضرات في تأريخ المذهب المالكي ٨١.

(٣) مظاهر النهضة الحديثة ٩٧/٢، محاضرات في تأريخ المذهب المالكي ٨٦.

(٤) التكملة ٣٧٤، محاضرات في تأريخ المذهب المالكي ٨٣.

(٥) حلوة الاقتباس ٢٢٢/١، محاضرات في تأريخ المذهب المالكي ٨٤.

(٦) نفع العطب ١٠١/٧، طبقات الأصوليين ١٩٥/٢.

(٧) قيس من عطاء المخطوط المغربي ٤٠٠/١، (مخطوط بالمكتبة الحمازوية بالرشيدية في المغرب الأقصى).

(٨) حلوة المقتبس ٢٣٦/١، محاضرات في تأريخ المذهب المالكي ٨٤.

(٩) شرح حدود ابن عرفة للرصاص ص ٥٤٢، محاضرات في تأريخ المذهب المالكي ٨٤.

١١٥-١١٦. مرتقى الوصول^(١)، مهيع الأصول^(٢).

لمحمد بن محمد بن عاصم الأندلسي (ت: ٨٢١هـ).

١١٧. نظم في الأصول^(٣).

لعلي بن القاسم التحجبي الزقاق (ت: ٩١٥هـ).

١١٨. مسالك الوصول إلى مدارك الأصول^(٤).

لعلي بن عبد الواحد الأنصاري (ت: ١٠٥٧هـ).

١١٩-١٢٠. نظم مراقي السعود، وشرحه نشر البنود^(٥).

لسيدي عبد الله بن الحاج إبراهيم الشنقيطي العلوي (ت: ١٣٣٤).

* كتب في مواضيع جزئية:

١٢١. إجماع أهل المدينة : لمحمد بن عبد الله الأهمري (ت: ٣٧٥هـ).^(٦)

١٢٢. أمالي إجماع أهل المدينة^(٧)

لأبي بكر محمد بن الطيب الباقلائي: (ت: ٤٠٣).

١٢٣. الإجماع:

للقاضي عبد الوهاب بن علي بن نصر (ت: ٤٢٢)^(٨)

١٢٤. العقد المنظوم في ألفاظ الخصوص والعموم، والاستغناء في أحكام الاستثناء.^(٩)

لشهاب الدين القرافي (ت: ٦٨٤هـ).

(١) طبقات الأصوليين ٢٥/٣، منظومة في ٨٥٠ بيتا، ت: محمد بن عمر سماعي، ط: دار البخاري.

(٢) طبقات الأصوليين ٢٥/٣، طبع بليبيا، وطبع أيضا بتحقيق الشيخ مصطفى مخدوم.

(٣) الأعلام للزركلي ١٣٧/٥، محاضرات في تاريخ المذهب المالكي ٨٦.

(٤) شجرة النور ٣٠٨، الأعلام للزركلي ١٢٤/٥، طبقات الأصوليين ٩٥/٣.

(٥) النظم وشرحه كلاهما مطبوعان ومتداولان.

(٦) الديباج ص ٣٥٣، شجرة النور ٩١، طبقات الأصوليين ٢٠٨/١.

(٧) ترتيب للمدارك ٥٨٥/٤، الديباج ٣٦٣، شجرة النور ٩١، مدخل إلى أصول الفقه للملكي ١٦٢.

(٨) الديباج ٢٦١، الخزانة العامة: ٦٢٥ ق [١٧٣-١٨٠]، نشره: محمد السليماني مع مقدمة الأصول لابن القصار، ط: دار الغرب.

(٩) الديباج ١٢٩، شجرة النور ١٨٨، طبقات الأصوليين ٨٦/٢، وكلاهما مطبوعان الأول بالمغرب، والآخر

بالمراق.

١٢٥. رسالة في دلالة العام على بعض أفراده^(١).
- لأحمد بن مبارك بن محمد البكري الصديقي السجلماسي (ت: ١١٥٥هـ).
١٢٦. دلالة العام على بعض أفراده^(٢).
- لمحمد بن محمد الحسيني البليدي (ت: ١١٧٦هـ).
١٢٧. رسالة في الرد على من نفى تقليد الأئمة الأربعة^(٣).
- لأحمد بن أحمد المعروف بمحنة الله الشباسي (ت: ١٢٩٢).
١٢٨. العرف والعمل في المذهب المالكي، ومفهومه لدى علماء المغرب:
لعمر بن عبد الكريم الجليدي^(٤).
- * كتب لم تعرف أسماؤها:
١٢٩. كتاب في أصول الفقه^(٥).
- ليحيى بن عمر الأندلسي (ت: ٢٨٩هـ).
- كتاب في أصول الفقه^(٦).
- لزكريا بن يحيى الكلاعي القرطبي (ت: بعد ٣٣٠هـ).
١٣٠. كتاب في الأصول
- لمحمد بن عبد الله الأهمري (ت: ٣٧٥هـ)^(٧).
١٣١. كتاب في الأصول^(٨). لأحمد بن نصر الداودي (ت: ٤٠٢هـ).
١٣٢. كتاب في أصول الفقه^(٩).
- لأبي بكر محمد بن الوليد الطرطوشي (ت: ٥٢٠هـ).

(١) شجرة النور ٣٥٢، معجم مركس ١٠٠٩/٥، طبقات الأصوليين ١٢٧/٣.

(٢) شجرة النور ٣٣٩، طبقات الأصوليين ١٢٩/٣.

(٣) شجرة النور ٣٨٤، طبقات الأصوليين ١٥٦/٣.

(٤) ط: اللجنة المشتركة لنشر وإحياء التراث الإسلامي بين حكومة المملكة المغربية وحكومة دولة الإمارات.

(٥) التقاط الدرر ٤٦٣، محاضرات في تاريخ المذهب المالكي ٨٧.

(٦) التكملة ص ٧١، محاضرات في تاريخ المذهب المالكي ٨١.

(٧) الديباج ص ٣٥٣، شجرة النور ٩١، طبقات الأصوليين ٢٠٨/١، مدخل إلى أصول الفقه للملكي ١٦٢.

(٨) للندارك ١٠٣/٧، محاضرات في تاريخ المذهب المالكي ٨٠.

(٩) الديباج ٣٧١، وفيات الأعيان ٦٠٦/١، طبقات الأصوليين ١٧/٢.

١٣٣. تعاليق في الأصول^(١).
- لمحمد بن عبد الله بن تومرت (ت: ٥٢٥ و قيل ٥٢٢).
١٣٤. تقييد في الأصول^(٢).
- لعلي بن أحمد الحرالي (ت: ٥٣٧ هـ).
١٣٥. كتاب في أصول الفقه^(٣).
- لعلي بن محمد بن إبراهيم الفزاري (ت: ٥٥٠ هـ).
١٣٦. كتاب في أصول الفقه^(٤). لعبد الله بن عيسى الشلي المالكى (ت: ٥٥١).
١٣٧. مصنف في الأصول^(٥).
- لعلي بن محمد الإشيلي الخزرجي (ابن الحصار). (ت: ٦١١)
١٣٨. كتاب في أصول الفقه^(٦).
- ليحي بن عبد الرحمن بن أحمد الأشعري القرطبي (ت: ٦٤٠ هـ).
١٣٩. رسالة في أصول الفقه^(٧).
- لأحمد بن الحسين بن علي الكلاعي: ابن الزيات (ت: ٧٢٨ هـ).
١٤٠. أصول الفقه^(٨).
- محمد بن عثمان بن موسى بن محمد الإسحاقى القاهري (ت: ٨١٠)
١٤١. كتاب في الأصول^(٩).
- لأحمد بن عمر التنبوكي (التنبكي) (ت: ٩٤٢ هـ).

-
- (١) شجرة النور ١٤٠، النبوغ ١٦٠/١، محاضرات في تاريخ المذهب المالكي ٨٤.
- (٢) نيل الانتهاج ٢٠١، شذرات الذهب ١٨٩/٥، طبقات الأصوليين ٦٠/٢، محاضرات في تاريخ المذهب ٨٥.
- (٣) التكملة ص ٦٧٥، الدياج ٣٠٣، محاضرات في تاريخ المذهب المالكي ٨٦.
- (٤) نفع الطيب ٦٥٠/٢، طبقات الأصوليين ٣٢/٢، محاضرات في تاريخ المذهب المالكي ٨٤.
- (٥) شجرة النور ١٧٣، مدخل إلى أصول الفقه المالكي ١٦٥، محاضرات في تاريخ المذهب المالكي ٨٦.
- (٦) قال ابن الأبار: كان إماما في علم أصول الفقه، ماهرا، نوظر عليه في كتب أبي المعالي الجويني، وله تأليف في ذلك. التكملة ٧٢٩، الدياج ٤٣٤، محاضرات في تاريخ المذهب المالكي ٨٧.
- (٧) الدياج ٤٣، الدرر الكامنة ١٣١/١، طبقات الأصوليين ١٢٩/٢، محاضرات في تاريخ المذهب المالكي ٧٩.
- (٨) الضوء اللامع ١٥٠/٨، معجم المؤلفين ٢٨٧/١٠، هدية العارفين ١٧٩/٢.
- (٩) تعريف الخلف ٧١/٢، محاضرات في تاريخ المذهب المالكي ٨٠.

١٤٢. كتاب في الأصول^(١).

لعبد الرحمن الفاسي (صاحب نظم العمل) (ت: ١٠٩٦هـ).

* البغداديون^(٢):

١٤٣. كتاب الأصول

لأبي إسحاق إسماعيل القاضي (ت: ٢٨٢هـ)^(٣)

١٤٤. اللمع في أصول الفقه

لأبي الفرج عمرو بن محمد الليثي البغدادي (ت: ٣٣٠هـ).^(٤)

١٤٥-١٤٦. إيضاح الأصول، وكتاب الاجتهاد^(٥).

لأبي الحسن الأشعري (ت: ٣٣٤هـ).

١٤٧. أصول الفقه على مذهب مالك^(٦).

لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن مجاهد الطائي البغدادي الأصولي (صاحب أبي الحسن الأشعري).

١٤٨-١٤٩. أصول الفقه، ومآخذ الأصول^(٧)

لأبي الفضل بكر بن العلاء القشيري البغدادي ثم المصري (ت: ٣٤٤هـ).

١٥٠. أصول الفقه^(٨).

لأبي تمام علي بن محمد بن أحمد البصري (من أصحاب الأهمري، من القرن الرابع).

(١) شجرة النور ٣١٥، طبقات الأصوليين ١٠٨/٣، محاضرات في تاريخ المذهب المالكي ٨٦.

(٢) غير ما مر.

(٣) ترتيب للمدرك (٢٨٢/٤)، الديباج ١٥١، شجرة النور ٦٥، مدخل إلى أصول الفقه المالكي ١٦٠..

(٤) نقل عنه ابن القصار في "المقدمة في الأصول" ص (١٥٣، ١٤١)، وانظر: الفهرست: (٢٣٨)، ترتيب للمدرك

(٥/٢٢)، الديباج ص ٣٠٩، شجرة النور ٧٩، مدخل إلى أصول الفقه المالكي ١٦١.

(٥) الديباج ٢٩٣، شجرة النور ٧٩، مدخل إلى أصول الفقه المالكي ١٦١.

(٦) الديباج ٣٥٣، شجرة النور ٩٢، طبقات الأصوليين ٢١٣/١، مدخل إلى أصول الفقه المالكي ١٦٢.

(٧) للمدرك ٢٩٥/٣، الديباج ١٦٥، شجرة النور ٧٩، طبقات الأصوليين ١٩١/١، حسن المحاضرة ١٩١/١.

(٨) للمدرك ٧٦/٧، الديباج ٢٩٦، محاضرات في تاريخ المذهب المالكي ٨٦.

١٥١. مقدمة الأصول.^(١)

لأبي الحسن علي بن أحمد (ابن القصار) (ت: ٣٩٨).

١٥٢. الإرشاد في أصول الفقه، والمقنع في أصول الفقه^(٢).

لأبي بكر محمد بن الطيب الباقلاني (ت: ٤٠٣).

١٥٣. الإفادة في أصول الفقه، التلخيص في أصول الفقه^(٣)

للقاضي عبد الوهاب بن علي بن نصر (ت: ٤٢٢).

١٥٤. مقدمة في الأصول^(٤).

لأبي الفضل محمد بن عبد الله بن عمرو بن محمد البزاز (ت: ٤٥٢هـ).

١٥٥. الإمهاد في أصول الفقه^(٥).

لقاضي القضاة ببغداد، عز الدين، الحسين بن أبي القاسم البغدادي المعروف

بالنبلي (ت: ٧١٢هـ).

* مؤلفات الأندلسيين.

١٥٦. كنز معرفة الأصول^(٦).

لعبد الملك بن أحمد بن الأصيغ القرشي: ابن مش وقيل المشط وقيل: المشتري(ت):

٣٣٦هـ).

١٥٧. الوصول إلى معرفة علم الأصول^(٧).

لأبي عمر أحمد بن محمد المعافري الطلمنكي (ت: ٤٢٩هـ).

(١) الدياج ٢٩٦، شجرة النور ٩٢، مدخل إلى أصول الفقه المالكي ١٦٢.

(٢) للمدارك ٥٨٥/٤، الدياج ٣٦٣، شجرة النور ٩٢، طبقات الأصوليين ٢٢١/١.

(٣) للمدارك ٤/٦٩١، الدياج ٢٦١، شجرة النور ١٠٣، طبقات الأصوليين ٢٣٠/١.

(٤) للمدارك ٥٤/٨، الدياج ٣٦٨، شجرة النور ١٠٥، مدخل إلى أصول الفقه المالكي ١٦٣.

(٥) الدياج ١٧٥، شجرة النور ٢٠٣، طبقات الأصوليين ١٠٥/٢.

(٦) للمدارك ٢٠/٨، الدياج ٢٥٧، محاضرات في تاريخ المذهب المالكي ٨٦.

(٧) للمدارك ٣٣/٨، الدياج ١٠١، شجرة النور ١١٣، طبقات الأصوليين ٢٣٢/١، مدخل إلى أصول الفقه

المالكي ١٦٣، محاضرات ٧٨.

- ١٥٨-١٦٠. الإشارة في أصول الفقه ^(١)، إحكام الفصول في أحكام الأصول ^(٢)، كتاب الحدود في أصول الفقه ^(٣)، وكتاب المنهاج في ترتيب الحجاج ^(٤).
 لأبي الوليد الباجي (ت: ٤٧٤هـ) ^(٥).
 لأحمد بن سليمان بن خلف الباجي (ت: ٤٩٣هـ) ^(٦).
 ١٦٢. المدخل إلى الأصول ^(٧).
 لعبد الله بن طلحة بن محمد اليابري (ت: ٥١٩).
 ١٦٣. التنبيه على الأسباب الموجبة لاختلاف الأمة ^(٨).
 لعبد الله بن محمد بن السيد البطليوسي (من شيوخ القاضي عياض) (ت: ٥٢١هـ).
 ١٦٤. المحصول في علم الأصول: لابن العربي محمد بن عبد الله (ت: ٥٤٣هـ) ^(٩).
 ١٦٥. مدارك الحقائق في أصول الفقه ^(١٠).
 لأبي الحسن علي بن محمد المعروف بـ: ابن المقرئ الغرناطي (ت: ٥٥٣هـ).
 ١٦٦. منهاج الأدلة في الأصول ^(١١).
 لأبي الوليد ابن رشد الحفيد محمد بن أحمد (ت: ٥٩٥هـ) ^(١٢).

-
- (١) تحقيق: محمد علي فركوس، ط: دار الكتب المكية، وغيره.
 (٢) تحقيق عبد المهدي تركي، وطبع دار الغرب.
 (٣) تحقيق: نزه حماد، ط: مؤسسة الزعي - بيروت.
 (٤) تحقيق: عبد المهدي التركي، ط: دار الغرب.
 (٥) للمدارك ٣٧٤/٥، الديباج ٢٠٠، شجرة النور ١٢٠، طبقات الأصوليين ٢٥٢/١.
 (٦) الديباج ١٠٣، شجرة النور ١٢١، طبقات الأصوليين ٢٧١/١، مدخل للمختار ١٦٣، محاضرات جدي ٧٨.
 (٧) أزهار الرياض ٧٨/٣، شجرة النور ١٣٠، طبقات الأصوليين ٢١/٢، مدخل ١٦٤، محاضرات ٨٤.
 (٨) الديباج ٢٢٨، شجرة النور ١٣٠، أزهار الرياض ١٠١/٣، طبقات الأصوليين ١٩/٢، مدخل ١٦٤، محاضرات ٨٤.
 (٩) الديباج ٣٧٦، شجرة النور ١٣٦، طبقات الأصوليين ٢٨/٢، طبع بدار البيارق بالأردن. وقد حقق في رسالة علمية مقدمة للحامدة الإسلامية من الطالب: عبد اللطيف الحمد.
 (١٠) قال في الديباج المذهب ٣٠٣: خمسة عشرة جزءاً، شجرة النور ١٤٥، طبقات الأصوليين ٣٩/٢.
 (١١) الديباج ٣٧٨، شجرة النور ١٤٦، النجوم الزاهرة ١٥٤/٦، طبقات الأصوليين ٣٨/٢، الأعلام ٨٥٠/٣.
 (١٢) تحقيق: جمال الدين العلوي، ط: دار الغرب.

١٦٧. أصول الفقه ^(١).

لأبي الحسن علي بن عتيق الأنصاري (ت: ٥٩٨هـ).

١٦٨. الوصول إلى معرفة الأصول ^(٢).

لأبي العباس أحمد بن عمر القرطبي (ت: ٦٥٦هـ).

١٦٩. الرد على المعالم في أصول الفقه للرازي ^(٣).

لأحمد بن عبد الله بن عميرة أبي المطرف (ت: ٦٥٨هـ).

لعلي بن فضال بن علي بن غالب المجاشعي القيرواني (الفرزدقي) (ت: ٤٧٩)

١٧٢. المستوعب في أصول الفقه ^(٤). لعبد الجليل بن أبي بكر الرفعي: ابن الصابوني (ت:

٥٩٥هـ). * مؤلفات أهل المغرب الأقصى:

١٧٣. منتهى السؤل في علم الأصول، تنبيه الفهوم على مدارك العلوم في الأصول ^(٥).

لأحمد بن محمد الأزدي: ابن البناء المراكشي (ت: ٧٢١هـ).

١٧٤. الدرر في أصول الفقه ^(٦)

لعبد العزيز بن عبد الواحد بن محمد بن موسى المغربي (٩٦٤)

(١) شجرة النور ١٦١، طبقات الأصوليين ٣٩/٢، معجم البلدان ٥٣/٧، الأعلام ١٢٥/٥.

(٢) الديباج ١٣٠، شجرة النور ١٩٤، تحقيق المراد للعلائي ٨١، مدخل ١٦٤، محاضرات ٨٠.

(٣) الديباج ١١٤، شجرة النور ١٩٥، طبقات الأصوليين ٧٢/٢، محاضرات ٧٨.

(٤) مخطوط بالخزانة العامة: ١٨٦٣ د. وطبع بتحقيق الدكتور/ محمد المختار الشنقيطي بكتبة ابن تيمية، كما طبع بتحقيق الدكتور: محمد علي فركوس.

(٥) هدية العارفين ٦٩٣/١، معجم المؤلفين ١٦٦/٧، بحث معجم المؤلفات الأصولية المالكية ٣٥٢.

(٦) محاضرات في تاريخ المذهب المالكي ٨٦، مجلة دعوة الحق عام: ٢ سنة: ١٦، ص ١٧٦.

(٧) نيل الانتهاج ٦٥، شجرة النور ٢١٦، طبقات الأصوليين ١٢٤/٢، مدخل ١٦٦، محاضرات ٧٩.

(٨) شذرات الذهب ٣٤٢/٨، معجم المؤلفين ٢٥٢/٥، كشف الظنون ٧٥١/١، له نسخة في التيمورية تحت رقم

(بجامع: ٣٣٦).

* مؤلفات الجزائريين:

١٧٥. العدل والإنصاف ^(١).

ليوسف بن إبراهيم بن مياد السدراتي الورجلاني ^(٢) (ت: ٥٧٠هـ).

١٧٦. مفتاح الوصول في علم الأصول ^(٣).

لأبي عبد الله محمد بن أحمد الشريف التلمساني (ت: ٧٧١هـ) ^(٤).

١٧٧. الأصول ^(٥).

لأبي إسحاق إبراهيم بن محمد التازي نزيل وهران (ت: ٨٦٦هـ).

١٧٨. نظم أصول الشريف التلمساني، مسالك الوصول إلى مدارك الأصول ^(٦).

لأبي الحسن علي بن عبد الواحد بن السراج السجلماسي الجزائري (ت: ١٠٥٧).

١٧٩. شرح تيسير الوصول إلى جامع الأصول لابن الريع الشيباني ^(٧).

لعبد الهادي بن عبد الله بن التهامي السجلماسي (ت: ١٢٧١).

* الشناقطة:

١٨٠. منظومة ما تجب به الفتوى

لأبي عبد الله محمد الأغلاي ^(٨)

- مراقي السعود، نشر البنود على مراقي السعود: سبق ذكرهما.

لسيدي عبد الله بن إبراهيم العلوي الشنقيطي (ت: ١٢٤٠هـ) ^(٩).

(١) في ثلاث مجلدات. الإعلام للزركلي ٢٨١/٩، محاضرات في تاريخ المذهب المالكي ٨٧.

(٢) لعلها نسبة إلى مدينة وركلة (بالكاف المعقودة) بالجزائر.

(٣) طبع مرات أحسنها بتحقيق محمد علي فركوس طبع: المكتبة المكية، ومؤسسة الريان.

(٤) شجرة النور ٢٣٤، طبقات الأصوليين ١٨٢/٢، مدخل ١٦٦، محاضرات ٨٢.

(٥) شجرة النور ٢٦٣، مدخل إلى أصول الفقه المالكي ١٦٧.

(٦) شجرة النور ٣٠٨، طبقات الأصوليين ٩٥/٣، الإعلام ١٢٤/٥، مدخل ١٦٧، محاضرات ٨٥.

(٧) شجرة النور ٤٠٠، طبقات الأصوليين ١٥٢/٣، محاضرات في تاريخ المذهب المالكي ٨٥.

(٨) الخزنة العامة: ١٢٤٢.

(٩) ط: فضالة بالمغرب، وطبع دار الكتب العلمية.

١٨١-١٨٢. فتح الودود على مراقي السعود^(١)، نيل السؤل شرح مرتقى الأصول^(٢)، إيصال السالك شرح نظم قواعد مالك^(٣).

١٨٣. محمد يحيى بن محمد المختار الولاى (ت: ١٣٣٠هـ)^(٤).

١٨٤. الأنفس فى الأصول^(٥).

لمصطفى بن محمد فاضل ماء العينين (كان حيا سنة ١٣٢٠هـ).

١٨٥. شرح مرتقى بن عاصم ، وجزء من مراقي السعود^(٦).

محمد فال بن بابا العلوي

١٨٦. مراقي السعود إلى مراقي السعود.

محمد الأمين الجكنى الشنقيطى^(٧).

* مؤلفات معاصرة:

١٨٧. المذكرة على روضة الناظر، نشر الورود شرح مراقي السعود^(٨).

محمد الأمين بن محمد المختار الجكنى الشنقيطى.

(١) ط: المولوية بفاس سنة: ١٣٢٧هـ، ثم طبع بدار عالم الكتب.

(٢) ط: المولوية بفاس سنة: ١٣٢٧هـ.

(٣) مطبوع طبعة حجرية.

(٤) شجرة النور ٤٣٥، مدخل إلى أصول الفقه المالكي ١٦٨.

(٥) شجرة النور ٤٣٣، طبقات الأصوليين ١٦٣/٣.

(٦) مدخل إلى أصول الفقه المالكي ١٦٨.

(٧) مطبوع بمكتبة ابن تيمية، ت: محمد المختار الشنقيطى.

(٨) وهما مطبوعان، متداولان.

١٨٩. الجواهر الثمينة في بيان أدلة عالم المدينة: لحسن مشاط (ت: ١٣٩٩هـ).^(١)

١٩٠. مدخل إلى أصول الفقه المالكي

لمحمد المختار ولد باه.^(٢)

(١) تحقيق: عبد الوهاب أبو سليمان، ط: دار الغرب.

(٢) ط: الدار العربية للكتاب، تونس- ليبيا.

تمهيد

في التعريف بالقاضي عياض على وجه الاختصار وفيه فصلان.

الفصل الأول: في حياة القاضي عياض الشخصية.

المبحث الأول: في اسمه وكنيته ولقبه ونسبه.

المبحث الثاني: في ولادته ونشأته.

المبحث الأول: في اسمه وكنيته ولقبه.

هو الإمام، العلامة، شيخ الإسلام، القاضي، المجتهد، المحدث، الحافظ، الفقيه، الأصولي، المفسر، المؤرخ، اللغوي، الأديب، الشاعر، المصنف المجيد، الخطيب الفصيح، العالم، العامل، الزاهد، الفاضل، الورع، المجاهد، علامة المغرب، وأحد آحاد الزمان. (٢)

(١) مصادر ترجمته:

مقدمة ترتب المدارك للمحقق محمد بن تاووت الطنجي، كتاب الغنية للقاضي عياض (فهرس شيوخه)، التعريف بالقاضي عياض لمحمد بن القاضي عياض، أزهار الرياض في أعيان القاضي عياض، قلائد العقيان ٢٥٥، كتاب الصلة لابن بشكوال ٤٢٩/٢، بقية الملتبس ٤٣٧، انباه الرواة ٣٦٣/٢، معجم أصحاب الصدي لابن الأبار ٣٠٦، تلمذ الأسماء واللغات ٤٣/٢، الديباج لابن فرحون ٢٧٠، شجرة النور ص ١٤٠، وفيات الأعيان ٤٨٣/٣، سير أعلام النبلاء ٢١٢/٢٠ - ٢١٨، تذكرة الحفاظ ١٣٠٤/٤، البداية والنهاية ٢٢٥/١٢، الإحاطة في أعيان غرناطة ٢٢٢/٤، تاريخ قضاة الأندلس ١٠١، وفيات بن قنفذ ٢٨٠، النجوم الزاهرة ٢٧٦/٥، طبقات المفسرين للدودي ١٨/٢، شذرات الذهب ١٣٨/٤، طبقات الحفاظ للسيوطي: ص ٤٧٠، الرسالة المستطرفة ١٠٦، فهرس الفهارس ١٨٢/٢، تاريخ الفكر الأندلسي ٢٣٨،

دراسات معاصرة:

- القاضي عياض اليحصي ومنحه في العقيدة. رسالة علمية مقدمة لنيل درجة الدكتوراه بالجامعة الإسلامية، لفسان أحمد عبد الرحمن.
 - القاضي عياض وجهوده في علمي الحديث رواية ودراية. لبشر الترابي. ط: دار ابن حزم.
 - القاضي عياض، الشخصية والدور الثقافي لمحمد الكتاني: — مجلة الدارة — العدد الرابع — السنة السادسة عشر — ١٤١١، دورة القاضي عياض (بحوث في ٣ أجزاء صادرة من وزارة الأوقاف المغربية ١٤٠١هـ).
 - أبو الفضل القاضي عياض (ثبت ببلوجرائي) لحسن الوراكلي. ط: دار الغرب.
 - منهجية فقه الحديث عند القاضي عياض في كتابه إكمال المعلم بفوائد مسلم، لحسين محمد شواط، ١٩٩١م، وله أيضاً القاضي عياض عالم المغرب وإمام أهل الحديث في وقته.
- وما لم أطلع عليه:

- السيرة النبوية في مفهوم القاضي عياض لأحمد جمال العمري، ١٩٨٨م.
- القاضي عياض بين العلم والأدب، لعبد الله كتون، ١٩٨٣م.
- القاضي عياض وأثره في الفقه والقضاء لعلي عبد المال عبد الرحمن، ١٩٧٥، وغيرها كثير.
- (٢) منهجية فقه الحديث ١٢٧، القاضي عياض ومنحه في العقيدة ١٩، وغيرها .

أبو الفضل، عياض^(١) بن موسى بن عياض بن عمرو بن موسى بن عياض بن محمد بن عبد الله بن موسى بن عياض^(٢) اليحصبي^(٣) السبتي^(٤) المالكي.

(١) عياض: بكسر العين المهملة، وفتح الياء المثناة من تحتها، وبعد الألف صاد معجمة. انظر: الوفيات ٣/٤٨٥، مقدمة المشارق ٩/١.

(٢) التعريف بالقاضي عياض ص ٢. وفي سياق نسبه بعض الاختلاف، انظره في: معجم أصحاب الصدي ٣٠٦، وفيات الأعيان ٣/٤٨٣، أزهار الرياض ١/٢٣-٢٤، القاضي عياض وجهوده في علمي الحديث ٦٥-٦٧.

(٣) اليحصبي: بفتح الياء المثناة من تحتها، وسكون الحاء المهملة، وضم الصاد المهملة، وفتحها وكسرهما وبعدها ياء موحدة. نسبة ليحصب بن مالك بن زيد من حمير، فهو قحطاني النسب.

انظر: الوفيات ٣/٤٨٥، الديباج ٣٧٣.

(٤) انتقل جده عمرو بن (ت: ٣٩٧هـ) إلى مدينة سبتة حوالي سنة (٣٧٣ هـ)، واشتهرت أسرته بسبتة. وكان أسلافه قد نزلوا مدينة بسطة الأندلسية من نواحي غرناطة واستقروا بها، ثم انتقلوا إلى مدينة فاس المغربية.

انظر: التعريف بالقاضي عياض ص ٢، أنباه الرواة ٢/٣٦٣-٣٦٤.

المبحث الثاني: في ولادته ونشأته.

* ولد بسبته^(١) في الخامس عشر من شعبان سنة ست وسبعين وأربعمائة (٤٧٦هـ).

* قال ابنه: ((نشأ أبي على عفة وصيانة، مرضي الحال، محمود الأقوال والأفعال، موصوفاً بالنبل والفهم والخلق، طالباً للعلم، حريصاً عليه، مجتهداً في طلبه، معظماً عند الأشراف من أهل العلم، وكثير المجالسة لهم، والاختلاف إلى مجالسهم، إلى أن برع في زمانه، وساد جملة أقرانه، وبلغ من التفنن في فنون العلم ما هو معلوم ...))^(٢).

وقال تلميذه محمد بن حمادة السبتي: ((ونشأ في طلب العلم والاختلاف للأشياخ مع حدة ذهنه، وذكاء فهمه، وأجلسه أصحابنا للمناظرة إذ لم يجلبوا من جلوسه محيصاً وهو ابن ثمانية وعشرين سنة، ثم أجلس للشورى بعد ذلك بيسر، ثم ولي القضاء وهو في نحو الخمس والثلاثين سنة، فصار فيها أحسن سيرة ... وكان حافظاً للمسائل، قائماً بعلم الحديث ومعانيه وعلمه وجمع طرقه، حافظاً للأخبار، حامل آداب ولغة ونحو، ما تكلم في علم إلا وأخذ منه بالنصيب الأوفر، وكان يحمل أصول ديانات وأصول فقه ... عارفاً بالشروط والوثائق والأحكام، وكان ضابطاً لكتبه، جيد الشعر، حسن التأليف، لم يكن بسبته في عصر من الأعصار من له من التوايف مثل ماله))^(٣).



(١) وهي بلدة مشهورة من قواعد بلاد المغرب ومرساها أجود مرسى على البحر وهي على بر البربر تقابل جزيرة

الأندلس على طرف الزقاق الذي هو أقرب ما بين البر والجزيرة وهي مدينة حصينة. معجم البلدان ١٨٢/٣

وهي الآن تحت الاحتلال الإسباني ردها الله على المسلمين وسائر الأراضي المكتسبة منه وجوده.

(٢) التعريف بالقاضي عياض ٤، الإحاطة في أخبار غرناطة ٢٢٢/٤، أزهار الرياض ٧/٣.

(٣) جمهرة تراجم الفقهاء المالكية ٢٩/١.

الفصل الثاني: في حياته العلمية والعملية وفيه تسعة مباحث:

المبحث الأول: في طلبه للعلم ورحلاته

المبحث الثاني: في شيوخه

المبحث الثالث: في تلاميذه

المبحث الرابع: في عقيدته ومذهبه الفقهي

المبحث الخامس: في محنته

المبحث السادس: في الفنون التي برع فيها

المبحث السابع: في آثاره العلمية

المبحث الثامن: في ثناء العلماء عليه

المبحث التاسع: في وفاته

المبحث الأول: في طلبه للعلم ورحلاته^(١)

● نشأ القاضي عياض في سبته بيت علم ودين، وتلقى العلم عن أهل بلده، فحفظ القرآن بالسبع بطرقها المختلفة^(٢)، ثم تتلمذ على علمائها: كالقاضي أبي عبد الله بن عيسى التميمي^(٣)، وأبي إسحاق بن جعفر اللواتي^(٤)... وغيرهم كثير، حتى أخذ من كل علم بطرف.

● ثم رحل القاضي عياض إلى الأندلس سنة ٥٠٧هـ بعد أن بلغ الثلاثين من عمره طلباً لسماع الحديث، وتحقيق الروايات، وطاف بجواضر الأندلس التي كانت تفخر بشيوخها وأعلامها في الفقه والحديث وغيرها:

● فنزل قرطبة^(٥) أول ما نزل- وكان خروجه من سبته يوم الثلاثاء منتصف جمادي الأولى سنة سبع وخمس مئة، فوصل إلى قرطبة يوم الثلاثاء مستهل جمادي الآخرة

(١) التعريف بالقاضي عياض ٦، الإحاطة ٢٢٣/٤، سير أعلام النبلاء ٢٠/٢١٣، أزهار الرياض ٨/٣، الديباج

٢٧١، القاضي عياض وجهوده في علمي الحديث رواية ودراسة ٧٤، منهجية فقه الحديث ١٣٧.

(٢) قرأ على عبد الله بن إدريس بن سهل. انظر: الغنية ١٤.

(٣) ستاتي ترجمته.

(٤) أبو إسحاق إبراهيم بن جعفر اللواتي، المعروف بابن القاسي، فقيه مشاؤون، تتلمذ على يد القاضي أبي الأصمغ،

ت: ٥١٣هـ. انظر: الديباج ٨٩.

(٥) وفيها يقول القاضي عند فراقها:

أقول وقد جد ارتحالي وغردت وزلت على وشك الفراق ركابي
وقد خمضت من كثرة الدمع مقلتي وصارت هواء من فوادي توالي
ولم يبق إلا وقفة يستحقها وداعي للأحباب لا للحياب

انظر فلاح المعيان: ٢٧٥، نفع الطيب ٨٥/٢، أزهار الرياض ٤/١٧٣.

بعده- وأخذ عن شيوخها المعروفين كابن عتاب، وابن حديد^(١)، وابن رشد، وابن
الحاج^(٢)، وأبي الحسين بن سراج^(٣) وغيرهم

- ثم رحل إلى مرسية سنة ٥٠٨هـ- وكان خروجه من قرطبة يوم الاثنين لخمس بقين من محرم سنة ثمان وخمس مئة، ووصل إلى مرسية يوم الثلاثاء الثالث من صفر - والتقى بأبي علي الصديقي، فلازمه وسمع عليه الصحيحين، وغير ذلك، وأجازه بجميع مروياته^(٤).

-
- (١) أبو عبد الله محمد بن علي بن حمد بن التفلحي. (ت: ٥٠٨) قال عياض: أحل رجال الأندلس وزعيمها في وقته، ومقدمها جلاله ووجاهة، فهماً ونهاية، مع النظر الصحيح في الفقه والأدب البارع، في الشر والنظم. سمع عليه الموطأ، وغيره وأجازه سائر رواياته. الغنية: ١١٦، التعريف: ١٢٣، أزهار الرياض ٩٥/٣، الصلة ٥٢٩/٢.
- (٢) أبو عبد الله محمد بن أحمد بن خلف التحمي القرطبي (ت: ٥٢٩). قال عياض: (أحد الفقهاء الفضلاء، تفقه بشيوخ بلده قرطبة... وكان حسن الضبط، جيد الكتب، كثير الرواية، له حظ من الأدب، مطبوعاً في الفتيا، مقدماً في الشورى، صليب الدين، متواضعاً، متسمتاً، حليماً). قرأ عليه في داره غريب الحديث لابن قتيبة، وغيره وأجازه له جميع رواياته. الغنية: ١١٧، التعريف: ١٢٣، أزهار الرياض ٦١/٣، الصلة ٥٥٠/٢.
- (٣) سراج بن عبد الملك بن سراج القرطبي، ت: ٥٠٨هـ. قال عياض: زعيم وقته، وإمام أهل طريقته، والمقدم في مصره بلذاته وسليقته. قرأ عليه وسمع منه كثيراً من الكتب وأجازه جميع رواياته ورواية أبيه. الغنية: ٢٦١، التعريف: ١٣١، أزهار الرياض ١٦٠/٣، الصلة ٢٢٢/١.
- (٤) اكتفى عياض بما حصله في رحلته إلى الأندلس، ولم يلبث أن رحل إلى المشرق مثلما يفعل غيره من طلاب العلم، وفي هذا إشارة إلى ازدهار الحركة العلمية في الأندلس.

المبحث الثاني: في شيوخه: (١)

* ذكر القاضي جملة من أشهر شيوخه في كتابه الغنية، ذكر فيه مائة شيخ^(١)، بين شيخ سماع وشيخ إجازة، وذكر قريباً من المائة - أيضاً - ابنه في التعريف به (٩٧)، منهم:-

١- أبو عبد الله محمد بن عيسى التميمي، السبكي (ت: ٥٥٥هـ)^(٢):

قال عياض: (أجل شيوخ أهل بلدنا ((سبته)) رحمه الله ومقدم فقهاها...لازمته كثيراً للمناظرة في ((المدونة)) و((الموطأ)) وسماع المصنفات. فقرأت وسمعت عليه -بقراءة غيري- كثيراً، وأجازني جميع رواياته). سمع عليه صحيح البخاري، وصحيح مسلم، والموطأ، وغريب الحديث لأبي عبيد، وعلوم الحديث للحاكم، والمدونة -سرات-، وغيرها.

٢- أبو علي الحسين بن محمد ابن مسكرة الصدي (ت: ٥١٤) ^(٣). قال عياض: (كان عارفاً بالحديث، قائماً به، حافظاً لأسماء الرجال، عارفاً بقويهم من ضعيفهم، ذا دين متين، وخلق حسن وصيانة، من أجل من لقيناه). سمع منه الصحيحين، والسنن والشمال للترمذي، تاريخ البخاري، علل الدارقطني، والإشارة للباقي في الأصول وغيرها.

٣- أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن عتاب الجذامي القرطبي (ت: ٥٢٠) ^(٤).

قال عياض: (بقية المشيخة بقرطبة، ومسنينهم، ومقدم مفتيهم، وأكبر مسنديهم،...وكان قائماً على الفتوى، عارفاً بالنوازل، مقدماً في ذلك، تدرب مع أبيه ومارسها بطول عمره، وكان فاضلاً، متواضعاً، صبوراً على الجلوس للسماع، متحملاً للمشقات في ذلك، ثقة، فهماً بما يقرأ عليه). أخذ عنه موطأ يحيى، وصحيح البخاري، والملخص للقابسي، والمدونة، وغير ذلك كثير، وأجازته جميع رواياته.

(١) التعريف بالقاضي عياض ١١٩، أزهار الرياض ٨/٣، ٥٩، وما بعدها، الإحاطة ٤/٢٢٣، الدياج ٢٧١، المعجم في أصحاب الصدي ٣٠٦، سير أعلام النبلاء ٢٠/٢١٣، تذكرة الحفاظ ٤/١٣٠٥، القاضي عياض وجهوده في علمي الحديث ١٢٣، منهجية فقه الحديث ١٣٩.

(٢) قال رحمه الله في آخر الغنية: (هذه مائة ترجمة، وقد تركت جاعة ممن لقيناهم، وذاكرناهم، وحضرنا مجالس نظرهم من الفقهاء والرواة، ولم نعمل عنهم الكتب والحديث، اقتصاراً على من ذكرناه).

(٣) الغنية ٩٩، التعريف ١٢٣، أزهار الرياض ٣/١٥٩، الصلة ٢/٥٧٢.

(٤) الغنية ١٩٣، التعريف ١٢١، أزهار الرياض ٣/١٥١، الصلة ١/١٤٣-١٤٤، الدياج ١٧٣، شجرة ١٢٨.

(٥) الغنية ٢٢٣، التعريف ١٢٨، أزهار الرياض ٣/١٦٠، الصلة ١/٣٣٢، الدياج ٢٤٦.

٤- أبو الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن رشد (ت: ٥٢٠هـ) ^(١). قال عياض: (زعيم فقهاء وقته بأقطار الأندلس والمغرب ومقدمهم، المعترف له بصحة النظر وجودة التأليف ودقة الفقه، وكان إليه المفزع في المشكلات، بصيراً بالأصول والفروع والفرائض والتفنن في العلوم، وكانت الدراية أغلب عليه من الرواية، كثير التصنيف مطبوعه). سمع منه جزءاً من مختصره على المبسوطه، وأجازه جميع مروياته.

٥- أبو محمد عبد الله بن محمد بن منصور اللخمي السبكي (ت: ٥١٣هـ) ^(٢).

قال عياض: (أحد رجال وقته وفقهاء زمنه، كان من أهل الفهم والنباهة والنظر والتفنن والمشاركة في ضروب العلم، ناظرنا عنده في (المدونة) و(الموطأ) وأصول الفقه والدين. وكان يحضر مجلسه الأكابر، من شيوخنا وأصحابه، لكثرة فائدته...).

٦- أبو عبد الله محمد بن داود العتكي القلعي القاضي (ت: ٥٢٥هـ) ^(٣). قال عياض: (صحبته كثيراً ودرست عليه أصول الفقه. وكان جليلاً، فاضلاً، فقيهاً، ذكياً).

٧- أبو القاسم عبد الرحمن بن محمد المعافري السبكي الخطيب (٥٠٢هـ) ^(٤). درس عليه الأصول. قال عياض: (من أهل بلدنا، ولي خطابة منبره غير مرة، قرأت عليه المنهاج من تأليف القاضي أبي الوليد الباجي في الجدل والمناظرة، وحدثني به عنه، وقرأت عليه الرسالة للقاضي أبي بكر بن الطيب قراءة مناظرة وتفقه، وقرأنا عليه غير ذلك).

٨- محمد بن عبد الله المعروف بالموروري المقرئ (ت: ٥٠٠هـ) ^(٥). قال عياض: (الشيخ المقرئ، من المتصدرين ب(سبته)، لإقراء القرآن مدة عمره، قائماً بعلم القراءات واختلاف القراء. قرأت عليه القرآن عدة ختمات).

٩- أبو محمد عبد الله بن إدريس الأموي المقرئ السرقسطي (ت: ٥١٥هـ) ^(٦).

قال عياض: (قرأت عليه القرآن برواية نافع، وابن كثير، وأبي عمرو، وابن عامر، بطرقها).

(١) الغنية ١٢٢، التعريف ١٢٣، الصلة ٥٤٦/٢، الديباج ٣٧٣.

(٢) الغنية ٢١٥، التعريف ١٢٧.

(٣) الغنية ١٣٢، التعريف ١٢٤، الصلة ٥٧٣/٢.

(٤) الغنية ٢٢٦، التعريف ١٢٨.

(٥) الغنية ١٥٩، التعريف ١٢٦.

(٦) الغنية ٢١٨، التعريف ١٢٧.

- ١٠- أبو عبد الله محمد بن سليمان النفري المعروف (بابن أخت غانم) (ت: ٥٢٥هـ) ^(١).
درس عليه كثيراً من كتب الأدب واللغة والنحو وغير ذلك من العلوم قراءة وسماعاً ومناولة.
- ١١- أبو علي الحسن بن علي بن طريف التاهرتي (ت: ٥٠١هـ) ^(٢).
قال عياض: (شيخ بلدنا في النحو، مشهور بالصلاح، درست عليه كثيراً من كتب الأدب والنحو).
* ومن شيوخ الإجازة:
- ١٢- أبو علي الحسين بن محمد الفسائي الجبائي (ت: ٤٩٨هـ) ^(٣). قال عياض: (شيخ الأندلس في وقته، وصاحب رحلتهم، وأضبط الناس لكتاب، وأتقنهم لرواية، مع الحظ الوافر من الأدب والنسب، وللمعرفة بأسماء الرجال، وسعة السماع). أجازته فهرسته الكبرى وجميع مروياته.
- ١٣- الإمام أبوبكر محمد بن الوليد الطرطوشي (ابن أبي زندقة) (ت: ٥٢٠هـ) ^(٤).
قال عياض: (تقدم في الفقه: مذهباً وخلفاً، وفي الأصول وعلم التوحيد. وحصلت له الإمامة، ودرس هناك، ولازم الزهد والانتقاض والقناعة، مع بعد صيته وعظم رياسته).
وكتب إليه يميزه جميع رواياته وتصانيفه.
- ١٤- أبو عبد الله محمد بن علي بن عمر بن محمد التميمي المازري (ت: ٥٣٦هـ) ^(٥).
قال عياض: (إمام إفريقية وما وراءها من المغرب، وآخر المستقلين من شيوخ إفريقية بتحقيق الفقه ورتبة الاجتهاد ودقة النظر). وكتب إليه يميزه كتابه ((المعلم في شرح مسلم))، وغيره من توافيه.
- ١٥- أبو طاهر السلفي: أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد الأصبهاني (ت: ٥٧٦هـ) ^(٦).
قال عياض: (نزى الاسكندرية، أحد المكرمين بها، وبقية المسندين، تفقه للشافعي، ودرس علم الكلام والأصول والأدب... وكان فاضلاً، نبهاً، متفتناً، شاعراً مطبوعاً... وكتب إلي يميزني في جميع رواياته ومجموعاته).

* * *

(١) الغنية ١٢٧، التعريف ١٢٣، الصلة ٥٤٩/٢، بغية الملتبس ٤١.
(٢) الغنية ٢٠٤، التعريف ١٢٢، أزهار الرياض ١٥٨/٣، للمصنف لابن الأبار ٧٢.
(٣) الغنية ٢٠١، التعريف ١٢١، أزهار الرياض ١٤٩/٣، الصلة ١٤١/١، تذكرة الحفاظ ١٣٠٥/٣.
(٤) الغنية ١٣٠، التعريف ١٢٤، أزهار الرياض ١٦٢/٣، الديباج ٣٧١، شجرة النور ١٢٤.
(٥) الغنية ١٣٢، التعريف ١٢٤، أزهار الرياض ١٦٥/٣، الديباج ٣٧٤، شجرة النور ١٢٧.
(٦) الغنية ١٦٨، التعريف ١١٩، أزهار الرياض ١٧٠/٣، سمر أعلام النبلاء ٣٩-٥/٢١.

المبحث الثالث: في تلاميذه^(١).

لقد منّ الله على القاضي عياض، بأن تتلمذ عليه جملة من كبار العلماء من أقرانه، فضلاً عما هو دونه في السن. منهم:

١- أبو القاسم خلف بن عبد الملك ابن بشكوال (ت: ٥٩٨هـ)^(٢). إمام، حافظ محدث، فقيه، أصولي، مؤرخ، جمع بين علوم الرواية والدراية، سمع من القاضي بقرطبة، ثم كتب إليه من سبتة مجيزاً، له تصانيف بديعة.

٢- أبو العباس أحمد بن عبد الرحمن بن مضاء اللخمي (ت: ٥٩٢هـ)^(٣). أحد من ختمت به المائة السادسة، الفقيه، العالم، الراوية، المحدث، الجامع بين المعقول والمنقول، لقي بسبتة أبا الفضل عياض وأجاز له.

٣- أبو جعفر عبد الرحمن بن أحمد الأزدي القصير الغرناطي (ت: ٥٧٦هـ)^(٤). فقيه مشاور، رفيع القدر، جليل، أديب بارع، صاحب رواية ودراية، له مصنفات كثيرة.

٤- ابنه أبو عبد الله محمد بن عياض (ت: ٥٧٥ و قيل ٥٩٥هـ)^(٥). كان فقيهاً جليلاً أديباً كاملاً، أخذ عن والده، وابن العربي، وابن بشكوال وغيرهم.

٥- أبو عبد محمد بن سعيد ابن زرقون الإشبيلي (ت: ٥٨٦هـ)^(٦). أحد ميرزي فقهاء وقته، لغوي، أديب، شاعر، مشارك في سائر العلوم، وقد لازم عياضاً كثيراً واختص به، وكتب له أيام قضائه بغرناطة، له مصنفات بديعة.

٦- أبو بكر عبد الله [بن غالب] بن طلحة بن أحمد الغرناطي (ت: ٥٩٨هـ)^(٧). الإمام العالم المحدث الفاضل كان معدوداً في فقهاء بلده صدرأ في أهل الشورى والفتيا، سمع أبا الفضل عياض وغيره.

(١) أزهار الرياض ٢/٣، سير أعلام النبلاء ٢٠/٢١٦، تذكرة الحفاظ ٤/١٣٠٤، القاضي عياض وجهوده في علمي الحديث رواية ودراية ١٦٨-١٧٥، منهجية فقه الحديث عند القاضي عياض في إكمال للمعلم ١٥٠-١٥٣.

(٢) الصلة ٢/٤٣٠، الديباج ١٨٤، شجرة النور ١٥٤، منهجية فقه الحديث ١٥٢.

(٣) الديباج ١١٦، شجرة النور ١٦٠، القاضي عياض وجهوده ١٦٩.

(٤) أزهار الرياض ٣/١٥٠، الديباج ٢٥٠، شجرة النور ١٥٣، منهجية فقه الحديث ١٥٢.

(٥) مقدمة التعريف بالقاضي عياض ٢-٢٢، الديباج ٣٨٣، شجرة النور ١٥٣، السير ٢٠/٢١٩.

(٦) الديباج ٣٧٩، شجرة النور ١٥٨، منهجية فقه الحديث ١٥٣.

(٧) الديباج ٢٣٠، شجرة النور ١٦١، واسمه في الشجرة عبد الله بن طلحة بن أحمد.

- ٧- أبو العباس أحمد بن عبد الرحمن بن محمد الصقر الأنصاري (ت: ٥٦٩) ^(١). وهو محدث، حافظ، فقيه، أصولي، لغوي، أديب، شاعر، لازم القاضي عياض، له مصنفات مفيدة.
- ٨- أبوبكر محمد بن خير الأموي الإشبيلي (ت: ٥٧٥) ^(٢). إمام فاضل، مقرئ، محدث، واسع الرواية، أديب، لغوي، مشارك في سائر العلوم، أخذ عن القاضي عياض سماعاً وإجازة.
- ٩- محمد بن حسن بن عطية، المعروف بابن غازي (ت: ٥٦٠) ^(٣). فقيه، محقق متقن، شاعر، أديب، من أهل سبتة، روى عن القاضي عياض، واختص به ولازمه وسمع منه جل روايته وتأليفه.
- ١٠- أبو إسحاق إبراهيم بن يوسف يعرف بابن قرقول (ت: ٥٦٩) ^(٤). إمام، فقيه، عالم، فاضل، محدث، روى عن القاضي عياض، وألف مطالع الأنوار على منوال مشارق الأنوار للقاضي عياض.
- ١١- أبو القاسم عبد الرحيم بن عيسى (بن ملجوم) القاسي الأزدي (ت: ٦٠٦) ^(٥). عالم، جليل، فقيه، محدث، حافظ متقن، قوي أثره العلمي في فاس وسائر المغرب، واستحازه طلبة العلم من أقاصي البلاد.
- ١٢- القاسم عبد الرحمن بن محمد الأنصاري المعروف بابن خبيش (ت: ٥٨٤) ^(٦). أحد أئمة وقته بالأندلس، عالم بالقراءات وعلوم القرآن، بصير بالحديث وعلمه ورجاله، أجاز له عياض رواياته ومولفاته.
- ١٣- أبو محمد عبد الله بن أحمد المعروف بابن أبي الرّجال (ت: ٥٦٦) ^(٧). محدث، حافظ، مقرئ، فقيه، له تأليف مفيدة، منها: شرح صحيح مسلم، مات قبل إتمامه، وشرح على رسالة ابن أبي زيد القيرواني.

* * *

(١) الدياج ١١٧، شجرة النور ١٥١، القاضي عياض وجهوده في علمي الحديث ١٧٣، منهجية فقه الحديث ١٥٢.

(٢) شجرة النور ١٥٢، القاضي عياض وجهوده ١٦٧، منهجية فقه الحديث ١٥٣، تذكرة الحفاظ ٤/١٣٦٦.

(٣) شجرة النور ١٦٣، منهجية فقه الحديث ١٥٣.

(٤) شجرة النور ١٤٦، منهجية فقه الحديث ١٥١.

(٥) شجرة النور ١٦٥، منهجية فقه الحديث ١٥٢.

(٦) شجرة النور ١٥٧، منهجية فقه الحديث ١٥٢.

(٧) شجرة النور ١٤٨، تكملة الصلة ٨٤٦/٢، المعجم في أصحاب الصديقي ٢٣٨، منهجية فقه الحديث ١٥٢.

المبحث الرابع: في عقيدته ومذهبه الفقهي.

أ. عقيدته:

قال صاحب رسالة ((القاضي عياض اليحصبي ومنهجه في العقيدة)): ((قد وافق القاضي عياض مذهب السلف في غالب أمره، وخالفهم في بعض مباحث توحيد الألوهية، وخالف في حقيقة الاسم والمسمى، فنحى فيه منحى الأشاعرة كابن فورك، ونحى منحى الأشاعرة في تقسيم الصفات. كما اضطرب موقفه في إثبات الصفات لله تعالى. وافق المتكلمين في استعمال بعض المصطلحات البدعية. أجاد في الرد على الفرق الضالة كالجهمية والخوارج والمعتزلة وغيرهم))^(١). اهـ

وقال الدكتور الحسين شواط : ((وبالتأمل فيما أورده القاضي (رحمه الله) في هذا الكتاب- إكمال المعلم- من مسائل العقيدة وجدت أنه على مذهب أهل السنة والجماعة من حيث الجملة، وأما من حيث التفصيل فهو في أبواب الإيمان وتوحيد الإلهية وتوحيد الربوبية على الغالب الأعم على مذهب السلف من الصحابة والتابعين ومن بعدهم من أهل القرون الثلاثة المفضلة، وأما في أبواب الصفات فهو متردد بين مذهب السلف والأشاعرة، يميل إلى هذا حيناً وإلى ذاك حيناً آخر، وذلك لتردده بين الإثبات والتفويض والتأويل، وإن كان ميله إلى مذهب الأشاعرة قد اتضح بصفة أحص في تأويل الصفات الخيرية كالغضب، والضحك، والنجى، والنزول، ونحو ذلك فراراً من التشبيه، وتقريراً للتنزيه، وقد علقت في مواضع من الرسالة أن التشبيه غير وارد على مذهب السلف، فإنهم يثبتون تلك الصفات على حقيقتها، بكيفية غير معلومة لنا تليق بجلال الله وعظمته.

والقاضي في هذا المنحى قريب من الإمام أبي سليمان حمد بن محمد الخطاطي (ت: ٣٨٨)، والمحافظ أبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي (ت: ٤٥٨)، والإمام محي الدين يحيى بن شرف التَوَوِي (ت: ٦٧٦)، والمحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت: ٨٥٢)، تغمد الله الجميع برحمته))^(٢).

(١) انظر حاشية البحث ص ٧٢٥-٧٢٧.

(٢) منهجية فقه الحديث عند القاضي عياض ٣٧٨، وقد عقد فصلاً قيمياً في عقيدة القاضي عياض فليراجع. وانظر

وإليك بعض الآراء العقدية:

– الإيمان:

قال القاضي عياض -رحمه الله- : ((حقيقته في وضع اللغة: التصديق، وفي عرف الشرع: التصديق بالقلب واللسان، فإذا حصل هذا حصل الإيمان المنجي من الخلود في النار، لكن كماله المنجي من دخولها رأساً بكمال خصال الإسلام، وبهذا المعنى جاءت زيادته ونقصانه على مذهب أهل السنة))^(١).

* هذا الكلام فيه نظر من أوجه:

قوله (وفي عرف الشرع التصديق بالقلب واللسان) بل هو عند أهل السنة قاطبة قول وعمل. قال عبد الرحمن بن أبي حاتم سألت أبي وأبا زرعة عن مذاهب أهل السنة، وما أدركا عليه العلماء في جميع الأمصار فقالوا: أدركننا العلماء في جميع الأمصار حجازاً، وعراقاً، ومصر، وشاماً، وبمنا فكان من مذاهبهم: أن الإيمان قول وعمل، يزيد وينقص...)^(٢)

وقال ابن بطال المالكي: (مذهب جماعة أهل السنة من سلف الأمة وخلفها أن الإيمان قول وعمل يزيد وينقص)^(٣).

قال النووي: (وأما إطلاق اسم الإيمان على الأعمال فمتفق عليه عند أهل الحق ودلائله في الكتاب والسنة أكثر من أن تحصر وأشهر من أن تشهر)^(٤).

– ثم هو ليس بمجرد تصديق القلب بل التصديق مع العلم، قال ابن القيم: وإذا زال عمل القلب مع اعتقاد الصديق فهذا موضع المعركة بين المرجئة وأهل السنة.

فأهل السنة مجمعون على زوال الإيمان، وأنه لا ينفع التصديق مع انتفاء عمل القلب، وهو محبته وانقياده كما لم ينفع إبليس وفرعون وقومه واليهود والمشركون الذين كانوا يعتقدون صدق الرسول، بل ويقولون به سرا وجهراً ويقولون ليس بكاذب ولكن لا تتبعه ولا تؤمن به)^(٥).

(١) إكمال المعلم ، الإيمان، باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان ٢٠٣/١.

(٢) درء التعارض ٢٥٧/٦، اجتماع الجيوش الإسلامية ١٤٥. وانظر: مجموع الفتاوى ٣٠٩/٧.

(٣) شرح النووي على ١٤٦/١-١٤٧.

(٤) شرح النووي على ١٤٧/١.

(٥) الصلاة وحكم تاركها ص ٧٠.

- وقال رحمه الله: ((الإيمان الذي هو التصديق لا يتجزأ، وإنما يكون هذا التجزؤ لشيء زائد عليه من عمل صالح، أو ذكر خفي، أو عمل من أعمال القلب، من شفقة على مسكين، أو خوف من الله تعالى، ونية صادقة في عمل فاته ... وفيه كله دليل على القول بزيادة الإيمان ونقصه، وهو ما اختلف فيه السلف والخلف، ومذهب أهل السنة: القول بأنه يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية^(١)). قال النووي رحمه الله: (فالأظهر والله أعلم أن نفس التصديق يزيد بكثرة النظر وتظاهر الأدلة ولهذا يكون إيمان الصديقين أقوى من إيمان غيرهم بحيث لا تعتر بهم الشبه ولا يتزلزل إيمانهم بعارض بل لا تزال قلوبهم منسجمة نيرة وإن اختلفت عليهم الأحوال. وأما غيرهم من المؤلفين ومن قاربهم ونحوهم فليسوا كذلك فهذا مما لا يمكن إنكاره ولا يتشكك عاقل في أن نفس تصديق أبي بكر الصديق رضي الله عنه لا يساويه تصديق آحاد الناس^(٢)).

- البناء على القبور:

قال رحمه الله: ((وما بنى من السقائف والقبب والروضات في مقابر المسلمين هدمها واجب، ولا يجب أن يترك من حيطانها إلا قدر ما يميز به الرجل قبور قرابته وعشيرته من قبور سواهم، لئلا يأتي من يريد الدفن في ذلك الموضع فينبش قبور أوليائه، والحد في ذلك ما يمكن دخوله من كل ناحية ولا يفتقر فيه إلى باب))^(٣). ما سبق نص جواب ابن رشد لعياض رحمه الله.

- الأسماء والصفات:

- قال القاضي عياض: ((لا خلاف بين المسلمين قاطبة فقيهم ومحدثهم ومتكلمهم ونظارهم ومقلدهم أن الظواهر الواردة بذكر الله تعالى في السماء كقوله تعالى {أأنتم من في السماء أن يخسف بكم الأرض} (الملك: ١٦) ونحوه ليست على ظاهرها بل متأولة عند جميعهم، أما من قال منهم بإثبات جهة فوق لله تعالى من غير تحديد ولا تكييف من دماء المحدثين والفقهاء، وبعض المتكلمين منهم، فتأول في السماء بمعنى على.

(١) إكمال المعلم، الإيمان، باب أدق أهل الجنة منزلة فيها ٥٦٦/١. وانظر: شرح النووي على مسلم ٣١/٣.

(٢) شرح النووي على مسلم ١٤٨/١.

(٣) الإعلام بحدود وقواعد الإسلام ٨٦، مذاهب الحكماء في نوازل الأحكام ٣٠١، مواهب الجليل ٢٤٤/٢.

وأما دهاء النظر والتكلمين وأصحاب الإثبات والتنزيه المحيلين أن يختص بجهة أو يحيط به حد، فلهم فيها تأويلات بحسب مقتضاها، منها ما تقدم ذكره في كلام الإمام أبي عبد الله^(١).
 والمسألة بالجملة - وإن تساهل في الكلام فيها بعض الأشياخ المقتدى بهم من الطائفتين - فهي من معوصات مسائل التوحيد، وبأليت شعري ما الذي جمع آراء كافة أهل السنة والحق على تصويب القول بوجوب الوقوف عن التفكير في الذات كما أمروا، وسكتوا لحيرة العقل هناك وسلموا، وأطبقوا على تحريم التكيف والتخييل والتشكيل، وأن ذلك من وقوفهم وحيثهم غير شك في الوجود أو جهل بالموجود، وغير قاذح في التوحيد، بل هو حقيقة عندهم ثم يُسامح بعضهم في فصل منه بالكلام في إثبات جهة تخصه أو يشار إليه بـ "يحاذيه"، وهل بين التكيف من فرق أو بين التحديد في الذات والجهات بـ "بؤن؟"
 لكن إطلاق ما أطلقه الشرع من أنه {القاهر فوق عباده} (الأنعام: ١٨، ٦١) وأنه استوى على عرشه مع التمثيل [التمسك] بالآية الجامعة للتنزيه الكلي الذي لا يصح معه في معقول سواه من قوله: {ليس كمثله شيء وهو السميع البصير} {الشورى: ١١} عصمة لمن وفقه الله وهده^(٢).

وهذا الكلام فيه نظر من أوجه:

- قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (ظاهر الكلام هو: ما يسبق إلى العقل السليم منه لمن يفهم بتلك اللغة، ثم قد يكون ظهوره بمجرد الوضع، وقد يكون بسياق الكلام، وليست هذه المعاني المحدثة المستحيلة على الله تعالى هي السابقة إلى عقل المؤمنين، بل اليد عندهم كالعلم والقدرة والذات فكما كان علمنا وقدرتنا وحياتنا وكلامنا ونحوها من الصفات أعراضاً تدل على حدوثنا بمتنع أن يوصف الله سبحانه بمثلها فكذلك أيدينا ووجوهنا ونحوها أجساماً كذلك محدثة بمتنع أن يوصف الله تعالى بمثلها.
 ثم لم يقل أحد من أهل السنة إذا قلنا أن الله علماً وقدرة وسمعا وبصرا أن ظاهره غير مراد ثم يفسر بصفاتنا فكذلك يجوز أن يقال إن ظاهر اليد والوجه غير مراد إذ لا فرق بين ما هو من صفاتنا جسم أو عرض للجسم.

(١) للزري.

(٢) إكمال المعلم، المساجد، باب تحريم الكلام في الصلاة ونسخ ما كان من إباحته ٢/ ٤٦٥، شرح النووي على صحيح مسلم ٢٤/ ٥، منهجية فقه الحديث ٣٩٣.

ومن قال إن ظاهر شيء من أسمائه وصفاته غير مراد فقد أخطأ لأنه ما من اسم يسمى الله تعالى به إلا والظاهر الذي يستحقه المخلوق غير مراد به فكان قول هذا القائل يقتضى أن يكون جميع أسمائه وصفاته قد أريد بها ما يخالف ظاهرها ولا يخفى ما في هذا الكلام من الفساد^(١).

- ((قال القاضي عياض: اعلم أن ما وقع من إضافة الدنو والقرب من الله أو إلى الله فليس بدنو مكان ولا قرب مدى وإنما دنو النبي صلى الله عليه وسلم من ربه وقربه منه إبانة عظيم منزلته وتشريف رتبته وإشراق أنوار معرفته ومشاهدة أسرار غيبه وقدرته ومن الله تعالى له مرة وتأنيس وبسط وإكرام^(٢).

بل الدنو صفة فعلية من صفات الله تواردت النصوص على إثباتها. نقل شيخ الإسلام عن الإمام الكرّجي^(٣) قوله: ... وقوله (يدنو أحدكم من ربه حتى يضع كنفه عليه) ... وفي حديث المعراج في الصحيح (ثم دنا الجبار رب العزة فتدلى حتى كان منه قاب قوسين أو أدنى).... وفي الآي الواردة في الصفات أنا نقبلها، ولا نحرفها، ولا نكيفها، ولا نعطلها، ولا نتأولها، وعلى العقول لا نعملها، وبصفات الخلق لا نشبهها، ولا نعمل رأيها وفكرنا فيها، ولا نزيد عليها ولا ننقص منها، بل نؤمن بها، ونكل علمها إلى عالمها، كما فعل ذلك السلف الصالح، وهم القدوة لنا في كل علم.

روينا عن إسحاق: أنه قال لا نزيل صفة مما وصف الله بها نفسه أو وصفه بما الرسول عن جهتها لا بكلام ولا بإرادة. إنما يلزم المسلم الأداء ويوقن بقلبه أن ما وصف الله به نفسه في القرآن إنما هي صفاته، ولا يعقل نبي مرسل، ولا ملك مقرب تلك الصفات إلا بالأسماء

(١) مجموع الفتاوى ٣٥٦/٦ - ٣٥٧. وانظر: مجموع الفتاوى ٣٣/٦ - ٥٠٣.

(٢) تفسير القرطبي ٩٠/١٧. قريب منه في إكمال المعلم، الإيمان، باب في ذكر سيرة المنتهى ٥٢٨/١.

(٣) شيخ الحرمين أبو الحسن محمد بن عبد الملك الكرّجي في كتابه (الفصول في الأصول عن الأئمة الفحول إلزاماً لنوي البدع والفضول)، وكان من أئمة الشافعية. سمع الحديث من مكّي بن علان الكرّجي، وأبي الحسن بن العلاف. وعنه ابن السمعاني وأبو موسى المديني.

قال ابن السمعاني: وهو إمام ورع فقيه مفت محدث عجز أديب شاعر أفنى عمره في جمع العلم ونشره. توفي سنة (٥٣٢).

والكرّجي: بكاف وراء مفتوحين وبالجهم من الكرج إحدى بلاد الجليل.

انظر: طبقات الشافعية الكبرى ١٣٧/٦، طبقات الشافعية لابن شهبة ٣١٠/٢، مجموع الفتاوى ١٧٥/٤.

التي عرفهم الرب عز وجل، فأما أن يدرك أحد من بني آدم تلك الصفات فلا يدركه أحد...^(١)

- الصراط: قال القاضي عياض: وقوله: ((ثم يضرب الصراط على ظهرائي جهنم)) فيه صحة أمر الصراط والإيمان به، والسلف بمجمعون على حمله على ظاهره دون تأويل، والله أعلم بحقيقة صفته، وهو الجسر، يقال بكسر الجيم وفتحها، ويجوز أن يوجد الله حيثنذ، ويجوز أن يكون الله قد خلقه قبل هذا حين خلق جهنم، قال بعضهم: فيكون قوله على هذا ((يضرب)) أي يؤذن بالمرور عليه^(٢)

- تكفير أهل التأويل:

قال القاضي عياض: ((واختلف في إكفار أهل التأويل، والصواب ترك إكفارهم والإعراض عن الحكم عليهم بالخسران، وإجراء حكم الإسلام عليهم في قصاصهم ووراثاتهم ومناكحاتهم ودياتهم والصلوات عليهم ودفنهم في مقابر المسلمين وسائر معاملاتهم لكنهم يغلظ عليهم بوجيع الأدب، وشديد الزجر والمهر حتى يرجعوا عن بدعتهم.

وهذه كانت سيرة الصدر الأول فيهم فقد كان نشأ على زمن الصحابة وبعدهم في التابعين من قال بهذه الأقوال من القدر، ورأي الخوارج والاعتزال، فما أراحوا لهم قبراً ولا قطعوا لأحد منهم ميراثاً، لكنهم هجروهم، وأدبوهم بالضرب، والنفي والقتل على قدر أحوالهم، لأنهم فساق ضلال عصاة، أصحاب كبائر عند المحققين، وأهل السنة ممن لم يقل بكفرهم منهم، خلافاً لمن رأى غير ذلك والله الموفق للصواب^(٣).

(١) مجموع الفتاوى ١٨٤/٤. وقال في الاستقامة ٧٦/١-٧٧: وبكل حال فالمشهور عند أصحاب الإمام أحمد أنهم لا يتأولون الصفات التي من جنس الحركة كالمرجع والإتيان والنزول والمهبوط والدنو والتدلي، كما لا يتأولون غيرها معاملة للسلف الصالح، وكلام السلف في هذا الباب يدل على إثبات للمعنى المتنازع فيه .

قال الأوزاعي: لما سئل عن حديث النزول يفعل الله ما يشاء.

وقال حماد بن زيد: يدنو من خلقه كيف شاء وهو الذي حكاه الأشعري عن أهل السنة والحديث.

(٢) إكمال المعلم كتاب الإيمان، باب معرفة طريق الرؤية ٥٥٠/١. وانظر: كفاية الطالب: ١/١٢٠.

(٣) الشفا، فصل في بيان ما هو من المقالات كفر ... ٥٩١/٢، وانظر: الفواكه الدواني ٨٢/١،

* مسائل أخرى:

- قال القاضي عياض رحمه الله: (و أجمعوا على أن موضع قبره -عليه السلام- أفضل بقاع الأرض، وأن مكة والمدينة أفضل بقاع الأرض ، ثم اختلفوا في أيهما أفضل ما عدا موضع قبره -عليه السلام-)^(١). قال شيخ الإسلام ابن تيمية: ((وأما التربة التي دفن فيها النبي فلا أعلم أحدا من الناس قال: إنها أفضل من المسجد الحرام أو المسجد النبوي أو المسجد الأقصى إلا القاضي عياض فذكر ذلك إجماعا، وهو قول لم يسبقه إليه أحد فيما علمناه ولا حجة عليه بل بدن النبي أفضل من المساجد.

وأما ما منه خلق أو ما فيه دفن فلا يلزم إذا كان هو أفضل أن يكون ما منه خلق أفضل، فإن أحدا لا يقول أن بدن عبد الله أبيه أفضل من أبدان الأنبياء فإن الله يخرج الحي من الميت، والميت من الحي. ونوح نبي كريم وابنه المغرق كافر، وإبراهيم خليل الرحمن وأبوه آزر كافر. والنصوص الدالة على تفضيل المساجد مطلقة لم يستثن منها قبور الأنبياء، ولا قبور الصالحين، ولو كان ما ذكره حقاً لكان مدفن كل نبي بل وكل صالح أفضل من المساجد التي هي بيوت الله، فيكون بيوت المخلوقين أفضل من بيوت الخالق التي أذن الله في أن ترفع ويذكر فيها اسمه، وهذا قول مبتدع في الدين، يخالف لأصول الإسلام))^(٢).

- قال القاضي عياض رحمه الله: (وكره مالك أن يقال زرنا قبر النبي صلى الله عليه وسلم....والأولى عندي: أن منعه وكراهة مالك له لإضافته إلى قبر النبي صلى الله عليه وسلم وأنه لو قال: زرت النبي صلى الله عليه وسلم. لم يكرهه، لقوله: ((اللهم لا تجعل قبري وثناً يعبد، اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد))^(٣) ينهى عن إضافة هذا اللفظ إلى القبر والتشبه بفعل ذلك، قطعاً للذريعة، وحسماً للباب)^(٤).

وقال شيخ الإسلام: (وقال القاضي عياض: لا يباح السفر لغبر المساجد الثلاث لا لناذر ولا لمتطوع)^(٥).

(١) الشفا فصل آداب دخول المسجد النبوي وفضله ٤٥١/٢، إكمال العلم، الحج، باب فضل الصلاة بمسجدي

مكة والمدينة ٥١١/٤، القاضي عياض ومنهجه في العقيدة ص ٧٠٥.

(٢) مجموع الفتاوى ٣٧/٢٧، الإنصاف: ٥٦٢/٣، الفروع ٣٦٤/٣.

(٣) رواه مالك في الموطأ مرسلًا (٤١٤)، ورواه أحمد ٢٤٦/٢، والحميدي (١٠٢٥) عن أبي هريرة بسند حسن.

(٤) الشفا، فصل حكم زيارة قبره صلى الله عليه وسلم ٤٤٤/٢.

(٥) الرد على البكري ٦٧.

ب. مذهبه الفقهي:

مما لا مرية فيه أن القاضي عياض مالكي المذهب، بل من أئمة المالكية الذين عنوا بالمذهب تدليلاً، وتفريعاً.

فقد اهتم بالمدونة دراسة وتدريساً، فقرأها مرات، وأقرأها كذلك، ثم ألف عليها كتابه ((التبهيّات المستنبطة على المدونة والمختلطة)).

ونصر أصول مالك، كما سيأتي بيانه في مسألة عمل أهل المدينة، وغيرها. بل رجّح المذهب المالكي على سائر المذاهب.

وكل هذا لم يمنع أن تكون له بعض الآراء الفقهية، من ذلك:

- قال في مواهب الجليل: ((وكذلك ينبغي أيضاً أن يتحرز من ملامسة الصبي فإنها تنقض الطهارة عند قوم وهو مذهب القاضي عياض رحمه الله تعالى، ومذهب الاصطخري من أئمة الشافعية))^(١).

- وقال أيضاً: ((وقال القاضي عياض: الوضوء الممنوع تجديده قبل أداء فريضة به))^(٢).

(١) مواهب الجليل ٢٩٦/١، الإعلام بملود قواعد الإسلام ٩٢،

(٢) مواهب الجليل ٣٠٣/١، التاج والإكليل ٣٠٢/١، الإعلام بملود قواعد الإسلام ٩٠.

المبحث الخامس: في محتته.

ألزم القاضي عياض بقضاء قرية صغيرة تدعى ((داي))^(١)، بعد قيام دولة الموحدين سنة ٥٤١هـ، وما ذاك إلا تغريبا مقنعا له رحمه الله، لما عرف عنه من مناصرة أعدائهم المرابطين، وفيها يقول رحمه الله^(٢):

أخا شجن بالنوح أو بغناء	أقمريه الأدواح بالله طارحي
تهيج من شوقي ومن برحائي	فقد أرقني من هديلك رنة
غريب (بداي) قد بليت بدائي	لعلك مثلي يا حمام فإني

(١) قرية ببادية نادلا، أزهار الرياض ٣/٣٣٣، فهرس الفهارس والأثبتات ٢/١٨٤.

(٢) التعريف بالقاضي عياض ٩٨، أزهار الرياض ٤/٢٦٨، القاضي عياض عالم المغرب ٢٠٥، القاضي عياض

وجهوده في علمي الحديث رواية ودراسة ٨٥.

المبحث السادس: في الفنون التي برع فيها^(١).

لقد تنوعت مصنفات القاضي عياض لتنوع معارفه، ولكن يمكن حصر أهم العلوم التي برع فيها وهي: ١. الحديث رواية ودراية. ٢. الفقه: المذهبي والعالي. ٣. الأدب.

* علم الحديث:

- ويتجلى ذلك في مصنفاته الجليلة في هذا الفن، كالإلماع والإكمال، وثناء العلماء عليها، وارتوائهم من معيها، ونضرب لذلك أمثلة على اقتضاب:

- فقال ابن الصلاح عن مشارق الأنوار للقاضي عياض:

مشارق أنوار تبدت بسببة ومن عجب مشارق بالغرب^(٢)

وقال ابن فرحون: (وهو كتاب لو كُتب بالذهب أو وُزِنَ بالجوهر لكان قليلا في حقه)^(٣).

- وقال الدكتور أسد رستم عن الإلماع للقاضي عياض: (وقد سمي بها - مسائل المصطلح - القاضي عياض إلى أعلى درجات التدقيق في عصره.

والواقع أنه ليس بإمكان أكابر رجال التاريخ اليوم أن يكتبوا أحسن منها في بعض نواحيها)^(٤).

(١) وما يدل على تنوع معارفه كثرة النقول المتنوعة عنه في مختلف المصادر الحديثة والفقهية، وغيرها، وما وقفت عليه:

ما نقل عنه أهل الضبط كصاحب معجم البلدان ١٦ موزعا. أهل التفسير كالقرطبي: ٣٠ موزعا.

والأحناف كابن عابدين في الحاشية ١١ موزعا. والمالكية كمواهب الجليل ١٣٢ موزعا. والحنابلة كالفرع: ١٢

موزعا. والشافعية كالنوي في المجموع: ٦٢ موزعا. وأصحاب الشروح كالنوي في شرح مسلم:

٥٨٩ موزعا. وابن حجر في الفتح: ١١٦ موزعا. وصاحب عمدة القاري في ٢٤١ موزعا.

والشوكاني في نيل الأوطار حوالي: ١٧٣ موزعا.

وأصحاب كتب المصطلح كالسيوطي في التلخيص: ٢١ موزعا. والسعاوي في فتح المغيب: ١٩ موزعا.

وكتب الجرح والتعديل كلسان الميزان: ٦ مواضع. وكتب التراجم: ٥٤ موزعا.

(٢) الديباج ١٧٠ بدون نسبة.

وانظر: مبحث (أثر المشارق في المؤلفات بعده) عند التراي ٢٣٢-٢٤٣.

(٣) الديباج ١٧٠.

(٤) مصطلح التاريخ ص (ز).

الفقيه هو حصل ملكة الاستنباط، وعرف اختلاف الناس وإجماعهم، وكما قال سعيد بن أبي عروبة: ((من لم يسمع الاختلاف فلا تعلمه علما))^(١). وقد كان القاضي من المبرزين في هذا المجال، لذا كثرت نقول العلماء منه، ومن ذلك:

- قال القرطبي: ((ولا خلاف أنه يبدأ بالحاضرة مع الكثرة قاله القاضي عياض))^(٢).

- قال المرداوي: ((لكن لا يطيل القيام من رفعه الذي يسجد بعده جزم به في الفروع. قال ابن تيمية والزرکشي وهو ظاهر كلام أكثر أصحابنا وصرح به بن عقيل قلت وحكاها القاضي عياض إجماعا))^(٣).

- قال النووي: ((فرع: هذا الذي ذكرناه من تحريم الوصل في الجملة هو مذهبنا ومذهب جماهير العلماء وحكى القاضي عياض عن طائفة جوازه، وهو مروي عن عائشة قال ولا يصح عنها، بل الصحيح عنها كقول الجمهور))^(٤).

- قال الصنعاني: ((قال القاضي عياض قد تكلم الناس على ما فيه من الفقه وأكثروا وصنف فيه أبو بكر بن المنذر جزءا كبيرا أخرج فيه من الفقه مائة ونيفا وخمسين نوعا قال ولو تُقصيَ لزيد على هذا العدد أو قريب منه))^(٥).

- الأدب: (٦)

وكان القاضي أديبا مجيدا، إلى جانب كونه محدثا فقيها، له نثر يشد القلوب إليه، ونظم بلغ الغاية من الجودة والحسن.

وقد درس القاضي جملة من كتب الأدب، كالكمال للميرد، وأدب الكاتب لابن قتيبة، وإصلاح المنطق لابن السكيت، وديوان الحماسة، وأمال القالي.

(١) رواه ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله (١٥٢١) بإسناد صحيح، وروى بمعناه عن قتادة، وقبيصة بن عقبة، ويحيى بن سلام. جامع بيان العلم وفضله ٨١٤/٢-٨١٩.

(٢) تفسير القرطبي ١٨٠/١١

(٣) الإنصاف ٤٤٤/٢، إكمال المعلم، الكسوف، باب صلاة الكسوف ٣/٣٣٢، ٣٣٥.

(٤) المجموع ١٤٦/٣، إكمال المعلم، اللباس والزينة، باب تحريم الوصل ٦/٦٥٤.

(٥) سبل السلام ٢٠١/٢، إكمال المعلم، الحج ٤/٢٦٥. (الكلام على حديث جابر الطويل)

(٦) التعريف بالقاضي عياض ٨٤، الديباج ٢٧٢، الإحاطة ٤/٢٢٦.

- فمن نثره رحمه الله: ((لئن كانت جذوة الأدب خامدة، وجذوته هامدة، ولسانه حصيرا، وإنسانه حسيرا، فلن يخليه الله من هلال يطلع فيشرق بسمائه بـدرا، وزلالا ينبع فيغرق بفضائله بحرا، وشبل يشدو فيزار من غابة ليثا، وطل يبدو فيمطر من سحابه غيثا))^(١).

- ومن شعره ^(٢) الذي يعبر عن شوقه ولوعته الوجدانية ولهفته إلى زيارة المسجد النبوي الشريف ورؤية البقاع المقدسة:^(٣)

بشارك بشارك قد لاحت قباهم	فانزل فقد نلت ما قوى وتختار
هذا المخصب، هذا الخيف خيف منى	هذي منازلهم هذي هي الدار
هذا النبي الحجازي الذي شهدت	له بتقديمه في الرسل أخبار
هذا الشفيع الذي تُرجى شفاعته	للمذنبين إذا ما اسودّت النار

ومدح الموطأ بقوله:^(٤)

إذا ذكرت كتب الحديث فحيهل	بكتاب الموطأ من مصنف مالك
أصح أحاديثا وأثبت حجة	وأوضحها في الفقه فحجا لسالك
عليه مضى الإجماع من كل أمة	على رغم خيشوم الحسود المماحك
فعنه خذ علم الديانة خالصا	ومنه استفد شرع النبي المبارك
وشد به كف العناية قمتدي	فمن حاد عنه هالك في الهوالك

(١) قلائد العقيان ٢٥٨، أزهار الرياض ٤/٤، القاضي عياض وجهوده في علمي الحديث ١٨٢، .

(٢) انظر شعره في الإحاطة ٢٢٥/٤، أزهار الرياض ٢٠/٤، القاضي عياض وجهوده في علمي الحديث ١٨٤.

(٣) قال الدكتور بشير الترابي في كتابه (القاضي عياض وجهوده في علمي الحديث) ١٨٤: فمن قصائده... عثرت عليها بالخزانة العامة بالرباط، مخطوطة ضمن مجموعة رسائل وقصائد.

(٤) ترتيب المدارك ٧٨/٢.

مناصبه: (١)

- عاد من رحلته إلى سبتة في ٧ من جمادى الآخرة ٥٠٨هـ، وجلس للتدريس وهو في الثانية والثلاثين من عمره.
- ثم تقلد منصب القضاء في سبتة سنة ٥١٥ هـ، وظل في منصبه ستة عشر عامًا، كان موضع تقدير الناس وإجلالهم له.
- ثم تولى قضاء غرناطة سنة ٥٣١هـ وأقام بها مدة.
- ثم عاد إلى سبتة مرة أخرى ليتولى قضاءها سنة ٥٣٩هـ .

(١) التعريف ١٠، أزهار الرياض ١٠/٣، الديباج ٢٧١، الإحاطة ٢٢٣/٤، القاضي عياض وجهوده في علمي

المبحث السابع: في آثاره العلمية.

صنف التصانيف التي سارت بها الركبان، وأذاعت شهرته، وعطلت ذكره، فبؤائه مكانة رفيعة بين كبار الأئمة، وهي شاهدة على سعة علمه، وجودة فكره، وتبحره في فنون مختلفة من العلم.

• فآلف القاضي في شرح الحديث ثلاثة كتب هي:

١. مشارق الأنوار على صحاح الآثار^(١): ضبط عياض في هذا الكتاب ما التبس أو أشكل من ألفاظ الحديث الذي ورد في الصحيحين وموطأ مالك، وشرح ما غمض في الكتب الثلاثة من ألفاظ، وحرر ما وقع فيه الاختلاف، أو تصرف فيه الرواة بالخطأ والتوهم في السند والمتن، ثم رتب هذه الكلمات التي عرض لها على ترتيب حروف المعجم^(٢).

٢. إكمال المعلم في شرح صحيح مسلم^(٣).

٣. بغية الرائد لما تضمنه حديث أم زرع من الفوائد^(٤).

قال ابن حجر بعد أن ذكر من شرحوا هذا الحديث ((... ثم القاضي عياض، وهو أجمعها وأوسعها، وأخذ منه غالب الشراح بعده))^(٥).

• وله في علم مصطلح الحديث:

٤. الإلماع في ضبط الرواية وتقييد السماع^(٦).

(١) طبع أولا بفاس على نفقة السلطان عبد الحفيظ، ثم نشر على نفقة وزارة الأوقاف بالمغرب، والكتاب لا يزال يحتاج إلى كثير عناية.

(٢) والكتاب تركه القاضي مسودة، ويضنه وهذه ابن قرقول، ثم أعرجه للناس مهذبا ومرتباً أبو عبد الله محمد بن سعيد الطراز الأندلسي. قال الذهبي: أوضح كثيراً من كتاب مشارق الأنوار لعياض، وجمع عليه أصولاً حافلة، وأمهات هائلة من الأغربة، وكتب اللغات، وعكف على ذلك مدة، وبالغ في البحث والتفتيش حتى تخلص الكتاب على أتم وجه، وبرزت محاسنه. انظر: سير أعلام النبلاء ٢٣/٢٥٨-٢٦٠.

(٣) طبع بتحقيق د/ يحيى إسماعيل، دار الوفاء ١٤١٩هـ.

(٤) طبع بتحقيق جماعة من العلماء، وزارة الأوقاف بالمغرب.

(٥) فتح الباري ٩/٢٥٦، منهجية فقه الحديث ١٥٥.

(٦) طبع بتونس بتحقيق السيد أحمد صقر.

• وفي الفقه:

٥. التبيّهاات المستبَطة على الكتب المدونة والمختلطة.

حرّر فيه رواياتهما، وسمى رُؤاها، وشرح غامضها، وضبط ألفاظها، ولا يزال الكتاب مخطوطاً .

٦. الإعلام بمحدود وقواعد الإسلام^(١).

٧. مذاهب الحكماء في نوازل الأحكام^(٢).

• في التاريخ والسيرة:

٨. الشفا بتعريف حقوق المصطفى.

طار صيته وذاعت شهرته، بحيث شرح أكثر من ثلاثين شرحاً.

قال الذهبي: ((تواليفه نفيسة. وأجلها وأشرفها كتاب الشفا، لولا ما قد حشاه بالأحاديث المفتعلة، عمل إمام لا نقد له في فن الحديث، ولا ذوق، والله يشبهه على حسن قصده، وينفع بشفائه، وقد فعل.

وكذا فيه من التأويلات البعيدة ألوان، ونبينا صلوات الله عليه وسلامه غني بمدح التنزيل عن الأحاديث، وبما تواتر من الأخبار عن الآحاد وبالأحاد النظيفة الأسانيد عن الواهيات))^(٣).

(١) طبع بالمطبعة الملكية بالرباط.

(٢) طبع بتحقيق محمد بن شريفة، وطبعته دار الغرب الإسلامي.

(٣) ثم قال رحمه الله: فلماذا يا قوم ننشيع بالموضوعات فيتطرق إلينا مقال ذوي الغل والحسد؟

ولكن من لا يعلم معلور، فعليك يا أخي بكتاب دلائل النبوة لليبيقي، فإنه شفاء لما في الصدور وهدى ونور.

انظر: سور أعلام النبلاء ٢٠/٢١٦، وكلام الإمام الذهبي رحمه الله فيه مبالغة ورد عليه جمع من العلماء قال الكتاني: ((وفيه أحاديث ضعيفة وأخرى قيل: فيها إلها موضوعة تبع فيها شفاء الصدور للعطيب أبي الربيع سليمان بن سبيع السبي، ولم ينصف الذهبي في قوله إنه محشو بالأحاديث الموضوعة، والتأويلات الواهية، الدالة على قلة نقده ما لا يحتاج قدر النبوة له... فإنه تحامل منه لا ينبغي كما قال غير واحد بل هو كتاب عظيم النفع كثير الفائدة لم يؤلف مثله في الإسلام)). الرسالة المستطرفة ٧٩، وانظر منهجية فقه الحديث ١٥٦، القاضي عياض وجهوده ٣٣١.

٩. ترتيب المدارك: وهو يُعدُّ أكبر موسوعة تتناول ترجمة رجال المذهب المالكي وعلمائه^(١).
١٠. الغنية: ذكر فيها مائة ترجمة من تراجم شيوخه وبعض مروياته عنهم^(٢).
١١. المعجم: خرج له لشيوخه أبي علي الحسين بن محمد الصديقي قال عياض (وقد جمعت شيوخه في كتاب المعجم الذي ضمته ذكره وأخباره وشيوخه وأخبارهم، وهم نحو مائتي شيخ... وقد بسطت أخباره وأخبار شيوخه في كتابنا المعجم المذكور).^(٣)
- سرد بقية مؤلفاته وكلها مفقودة.
- ١٢- كتاب خطبه.^(٤)
- ١٣- نظم البرهان على صحة جزم الأذان.^(٥)
- ١٤- كتاب مسألة الأهل المشترك بينهم التزاور.^(٦)
- ١٥- كتاب المقاصد الحسان فيما يلزم الإنسان.^(٧)
- ١٦- الفنون (وقيل العيون) الستة في أخبار سبعة.^(٨)
- ١٧- كتاب غنية الكاتب وبغية الطالب في الصدور والترسل.^(٩)

-
- (١) استهلَّ الكتاب ببيان فضل علم أهل المدينة، ودافع عن عمل أهل المدينة، وجنح إلى ترجيح مذهب مالك على سائر المذاهب، ثم شرع في الترجمة للإمام مالك وأصحابه وتلاميذه، وهو مرتَّب على الطبقات، وقسمه على الأمصار، فخصص للمدينة ومصر والشام والعراق عناوين خاصة بها، وقد قام بترتيب الكتاب على حروف المعجم السجاعي رحمه الله، لكن كتابه من جملة ما لا يعرف له وجود إلى الآن، وأخيراً قام بترتيبه الدكتور قاسم علي سعد وسمى كتابه جمهرة تراجم الفقهاء المالكية (الحلقة الأولى رجال المالكية من كتاب ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك)، طبع دار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث بالإمارات، وللمدارك عدة مختصرات أنظرها في جمهرة تراجم الفقهاء المالكية ٤٣/١-٦٣.
 - (٢) وطبعت بتحقيق د/ محمد عبد الكريم، الدار العربية للكتاب، وحققه كذلك ماهر حرار.
 - (٣) الغنية ١٩٤، ١٩٥، الرسالة المستطرفة ١٤١، والكتاب مفقود.
 - (٤) التعريف بالقاضي عياض ١١٧، أزهار الرياض ٣٤٩/٤، الديباج ٢٧٢، طبقات المفسرين للدودي ٢١/٢.
 - (٥) المصادر السابقة، والإحاطة ٢٢٨/٤، كشف الظنون ١٩٦١/٢، هدية العارفين ١/٨٠٥.
 - (٦) أشار إليه ابنه محمد في مذاهب الحكام ص ٢٦٧، التعريف ١١٧، أزهار الرياض ٣٤٩/٤، الديباج ٢٧٢، الإحاطة ٢٢٨/٤، طبقات المفسرين ٢١/٢.
 - (٧) ذكره عياض في إكمال المعلم ٢/٢٠٥، وانظر المصادر السابقة.
 - (٨) ذكره عياض في ترتيب المدارك ١٨٩/٨، المصادر السابقة، ومعجم المؤلفين ٢/٢٨٨.
 - (٩) التعريف ١١٧، أزهار الرياض ٥/٥، الديباج ٢٧٢، الإحاطة ٢٢٨/٤، طبقات المفسرين ٢١/٢.

- ١٨- وكتاب الأجوبة المحيرة على الأسئلة المتخيرة^(١).
- ١٩- وكتاب أجوبة القرطبيين^(٢).
- ٢٠- وكتاب سر السراة في آداب القضاة^(٣).
- ٢١- مطامح الأفهام في شرح الأحكام^(٤).
- ٢٢- الجامع في التاريخ^(٥).
- ٢٣- تاريخ المرابطين^(٦).
- ٢٤- السيف المسلول على من سب أصحاب الرسول (صلى الله عليه وسلم)^(٧).
- ٢٥- كتاب العقيدة (منهاج العوارف)^(٨).

(١) للمصادر السابقة، كشف الظنون ١/١١، هدية العارفين ١/٨٠٥، القاضي عياض وجهوده في علمي الحديث ١٦٤.

(٢) للمصادر السابقة.

(٣) للمصادر السابقة.

(٤) هذا الكتاب وما بعده لم يذكره ابنه في التعريف به، وانظر كشف الظنون هدية العارفين ١/٨٠٥.

(٥) ترتيب المدارك ٨/٨١، أزهار الرياض ٥/٦، سير أعلام النبلاء ٢٠/٢١٥، تذكرة الحفاظ ٤/١٣٠٥، طبقات الحفاظ ٤٧٠، النجوم الزاهرة ٥/٢٧٦.

(٦) أزهار الرياض ٥/٥، القاضي عياض وجهوده في علمي الحديث ١٦٥.

(٧) كشف الظنون ٢/١٠١٨، هدية العارفين ١/٨٠٥، القاضي عياض وجهوده ١٦٦.

(٨) سير أعلام النبلاء ٢٠/٢١٤، تذكرة الحفاظ ٤/١٣٠٥، النجوم الزاهرة ٥/٢٧٦، وذكر الدكتور غسان أحمد في كتابه القاضي عياض اليميني ومنهجه في العقيدة أن الكتاب له نسخة في دار الكتب المصرية، وجامعة أم القرى.

المبحث الثامن: في ثناء العلماء عليه.

- ١- وقال أبو محمد بن أبي جعفر ((ما وصل إلينا من المغرب مثل عياض))^(١).
- ٢- قال بن الأبار: ((وبالجمل فكان جمال العصر، ومفخر الأفق وينبوع المعرفة، ومعدن الإفادة، وإذا عدت رجالات المغرب فضلاً عن الأندلس حسب فيهم صدرًا))^(٢).
- ٣- قال عنه الذهبي: ((الإمام العلامة الحافظ الأوحّد شيخ الإسلام القاضي عياض بن موسى... استبحر في العلوم وجمع وألف وسارت بتصانيفه الركبان واشتهر اسمه في الآفاق))^(٣).
- ٤- وقال ابن العماد الحنبلي: ((كان إمام وقته في علوم شتى مفرطاً في الذكاء وله شعر حسن... وبالجمل فأنه علم النظر حسنة من حسنات الأيام، شديد التعصب بالسنة والتمسك بها...))^(٤).
- ٥- وقال الفقيه محمد بن حمادة السبتي: ((حاز من الرئاسة في بلده الرفعة ما لم يصل إليه أحد قط من أهل بلده وما زاده ذلك إلا تواضعاً وخشية لله تعالى))^(٥).
- ٦- قال السخاوي: ((أعرف الناس في وقته بعلوم الحديث والنحو واللغة وكلام العرب وأنسابهم))^(٦).
- ٧- قال السيوطي: ((بعد صيته، كان إمام الحديث في وقته وأعلم الناس بعلومه وبالنحو واللغة وكلام العرب وأيامهم وأنسابهم))^(٧).
- ٨- قال ابن فرحون: ((كان القاضي أبو الفضل إمام وقته في الحديث وعلومه عالماً بالتفسير وجميع علومه فقيهاً أصولياً عالماً بالنحو واللغة وكلام العرب وأيامهم وأنسابهم...))^(٨).
- ٩- وقال الملاح: ((كان القاضي عياض -رحمه الله تعالى- بحر علم، وهضبة دين وحلم، أحكم قراءة كتاب الله تعالى بالسبع، وبلغ من معرفته الطول والعرض، وبرّز في علم

(١) الإحاطة في أخبار غرناطة ٢٢٩/٤، أزهار الرياض ٨٠/٥.

(٢) للمعجم لابن الأبار ٣٠٨، أزهار الرياض ٢١/٣، فهرس الفهارس ١٨٤/٢.

(٣) سير أعلام النبلاء ٢٠/٢١٤.

(٤) شلرات الذهب ٤/١٣٩.

(٥) سير أعلام النبلاء ٢٠/٢١٥.

(٦) فهرس الفهارس ٢/١٨٤.

(٧) طبقات الحفاظ ٤٧٠.

(٨) الديباج ٢٧١.

الحديث ، وحمل راية الرأي، ورأس في الأصول، وحفظ أسماء الرجال، وثقب في علم النحو، وقيد اللغة، وأشرف على مذاهب الفقهاء، وأنحاء العلماء، وأغراض الأدباء))^(١).



المبحث التاسع: في وفاته

ومات^(٢) يوم الجمعة السابع من جمادى الآخرة سنة أربع وأربعين وخمسمائة بمراكش، ودفن بباب أيلان داخل السور^(٣).

(١) أزهار الرياض ٧/٣.

(٢) قال ابنه: خرج في صحبة عبد المؤمن إلى غزوة ذكالة، فمرض بعد مسيرة مرحلة، فأذن له عبد المؤمن في الرجوع إلى الحضرة - أي: مراكش - فأقام بها مريضاً نحو من ثمانية أيام ثم مات عفا الله عنه. التعريف بالقاضي عياض ١٣.

وقيل غير ذلك في سبب وفاته، انظر هذه الأقوال ومناقشتها في: القاضي عياض وجهوده في علمي الحديث ١٠٩ - ١١٣.

(٣) انظر: الصلة ٤٣٠/٢، الديباج ٢٧١، وفيات الأعيان ٤٨٥/٣.

الباب الأول: آراء القاضي عياض في مباحث الحكم.

وفيه توطئة وفصلان:

* توطئة في بيان منهج القاضي عياض في بحث مسائل أصول الفقه.

الفصل الأول: آراؤه في الحكم التكليفي

المبحث الأول: مسائل الحكم وفيه خمسة مطالب.

المطلب الأول: هل الفرض والواجب مترادفان؟

المطلب الخامس: الأمر بالشيء المؤقت هل يتناول قضاءه إذا خرج عن وقته أو يحتاج إلى أمر ثان؟

المبحث الثاني: الحاكم، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: التحسين والتقبيح.

المطلب الثاني: هل أصل الأشياء الإباحة أو التحريم؟

المبحث الثالث: المحكوم عليه وفيه مطلب واحد

هل الكفار مخاطبون بفروع الشريعة ؟

المبحث الرابع: المحكوم به وفيه مطلب واحد

حكم تكليف ما لا يطاق.

الفصل الثاني: آراؤه في الحكم الرضعي.

توطئة في بيان منهج القاضي عياض في بحث مسائل أصول الفقه.

أ. منهجه العام في أصول الفقه.

* بين القاضي عياض رحمه الله أن منهجه العام في مسائل الأصول لا يخرج في الجملة على ما قرره أئمة الدين، وفقهاء الإسلام من الالتزام بالمصادر التي كاد يقع الإجماع على الاعتداد بجميعها، من كتاب وسنة وإجماع وقياس.

مع بيان منزلة كل مرتبة منها، والشروط العامة للنظر فيها، والاقتباس المباشر منها. وذلك بقوله: ((اعلموا وفقنا الله تعالى وإياكم أن حكم المتعبد بأوامر الله تعالى ونواهيه، المتشرع بشريعة نبيه -عليه السلام- طلب معرفة ذلك وما يتعبد به، وما يأتيه ويذره، ويجب عليه ويحرم، ويباح له ويرغب فيه من:

- كتاب الله تعالى وسنة نبيه عليه السلام: فهما الأصلان اللذان لا تعرف الشريعة إلا من قبلهما، ولا يتعبد الله تعالى إلا بعلمهما.

- ثم إجماع المسلمين مرتب عليهما، ومسند إليهما، فلا يصح أن يوجد وينعقد إلا عنهما، إما من نص عرفوه ثم تركوا نقله، أو من اجتهاد مبني عليهما على القول بصحة الإجماع من طريق الاجتهاد.

وهذا كله لا يتم إلا بعد تحقيق العلم بذلك، والطرق والآلات الموصلة إليه من نقل، ونظر، وطلب قبله، وجمع وحفظ، وعلم وما صح من السنن واشتهر، ومعرفة كيف يتفهم، وما به يتفهم من علم ظواهر الألفاظ، وهو علم العربية واللغة، وعلم معانيها، ومعاني مراد الشارع ومقاصده، ونص الكلام وظاهره وفحواه، وسائر مناحيه وهو المعبر عنه بعلم أصول الفقه.

وأكثره يتعلق بعلم العربية ومقاصد الكلام والخطاب.

- ثم يأخذ قياس ما لم ينص عليه على ما نص بالتنبية على علته أو بشيئها له. وهذا كله يحتاج إلى مهلة والتعبد لازم لحينه، ثم إن الواصل إلى هذا الطريق وهو طريق الاجتهاد

والحكم به في الشرع قليل وأقل من القليل بعد الصدر الأول والسلف الصالح والقرون المحمودة الثلاثة.

* وإذا كان هذا، فلا بد لمن لم يبلغ هذه المنزلة من المكلفين، أن يتلقى ما تعبد به وكلفه من وظائف شريعته ممن ينقله له، ويعرفه به ويستند إليه في نقله وعلمه وحكمه، وهو ودرجته عوام الناس بل أكثرهم هذا وإذا كان هذا فالواجب تقليد العالم الموثوق به في ذلك، فإذا كثر العلماء فالأعلم. وهذا حظ المقلد من الاجتهاد لدينه ولا يترك المقلد الأعلم، ويعدل إلى غيره وإن كان مشغلاً بالعلم، فيسأل حيثذ عما لا يعلم حتى يعلمه كما قال الله تعالى: {فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ} (الأنبياء: ٧، النحل: ٤٣). وأمر النبي صلى الله عليه وسلم بالاعتداء بالخلفاء بعده وأصحابه، وقد بعث النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه في الناس ليفقهوهم في الدين، ويعلموهم ما كتب عليهم، وحض الله تعالى كافتهم لتتفرق ((من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين، ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم وإذا كان هذا الأمر لازماً لا بد منه.

- وكان أولى من قلده العامي الجاهل والمبتدئ المتعبد والطالب المسترشد والمتفقه في دين الله تعالى وأحق بذلك فقهاء أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين أخذوا عنه العلم وعلموا أسباب نزول الأوامر والنواهي ووظائف الشرائع. ومخرج كلامه عليه السلام وشاهدوا قرين ذلك وشافهوا في أكثرها النبي عليه السلام واستفسروه عنها...))^(١)

وقال: ((وهو أنا قد ذكرنا خصال الاجتهاد، ثم مأخذه وترتيبه على ما يوجب العقل، ويشهد له الشرع:

- بتقديم كتاب الله على ترتيب وضوح أدلته من نصوصه ثم ظواهره ثم مفهوماته.
- ثم كذلك بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم على ترتيب متواترها، ومشهورها، وآحادها، ثم ترتيب نصوصها وظواهرها ومفهومها على ما تقدم في الكتاب.

(١) ترتيب المدارك، باب ترجيح مذهب مالك والحنيفة في وجوب تقليده وتقدمه على غيره من الأئمة ٥٩/١.

- ثم الإجماع عند عدم الكتاب ومتواتر السنة.
- وبعد ذلك عند عدم هذه الأصول القياس عليها والاستنباط منها.
- إذ كتاب الله مقطوع به، وكذلك ما تواتر من سنة نبيه، وكذلك النص-أي الخاص سواء كان من الكتاب أو السنة- مقطوع به، فوجب تقديم ذلك كله، ثم الظواهر ثم المفهوم منها لدخول الاحتمال في معناها.
- ثم أخبار الآحاد يجب العمل بها، والرجوع إليها عند عدم الكتاب والمتواتر، وهي مقدمة على القياس لإجماع الصحابة على الفعلين وتركهم نظر أنفسهم متى بلغهم خير ثقة عن النبي صلى الله عليه وسلم، وامتنأهم مقتضاه دون خلاف منهم في ذلك.
- ثم القياس آخرأ إذ إنما يلجأ إليه عند عدم هذه الأصول في النازلة فيستنبط من دليلها، ويعتبر الأشياء بما على ما مضى عليه عمل الصحابة ومن بعدهم من السلف المرضيين، وعلم من مذهبهم أجمعين...^(١).

ب. منهجه في عرض المسائل الأصولية

- ١- لقد تناول القاضي عياض قدرا كبيرا من أمهات المسائل الأصولية، التي عليها مدار كثير من المسائل الفقهية المختلف فيها^(٢).
- فقد اكتسبت هذه المسائل جوانب مهمة، منها:
- كونها مسائل انبنت عليها فروع فقهية، فقد خللت عن المسائل العارية عن التطبيق الفقهي.
- كثير منها مقرون بدليله من النص أو التعليل، وذلك لأن كثيرا منها تناوله عند شرحه للأحاديث.
- تناول بعض القضايا بإسهاب وتفصيل، قل أن يوجد عند غيره، مما حدا من بعده إلى اختصار كلامه من جهة، والإشادة به من جهة أخرى.

(١) ترتيب المدارك، فصل في ترجمته- مالك - من طريق الاعتبار والنظر، ٨٧/١.

(٢) انظر: منهجية فقه الحديث عند القاضي عياض ٢٩٧.

وذلك كمسألة: العصمة، وعمل أهل المدينة، وأفعال الرسول، وطرق التحمل....

٢- لقد اعتمد على مجموعة من أمهات كتب الأصول، مصرحا بما تارة أو باسم مؤلفها، ومبهما لها أخرى. من ذلك:

- إحكام الفصول في أحكام الأصول، لأبي الوليد سليمان بن خلف الباجي (ت: ٤٧٤هـ).

- أبو بكر الباقلاني، محمد بن الطيب (ت: ٤٠٣هـ) وقد أكثر من النقل عنه^(١).

- إمام الحرمين أبو المعالي الجويني^٢ (ت: ٤٧٨هـ)، وله البرهان في أصول الفقه.

- القاضي عبد الوهاب: ابن نصر

- والقاضي إسماعيل بن إسحاق الأزدي (ت: ٢٨٢هـ)

٣- جمع في كثير من المسائل المشتركة بين أصول الفقه، ومصطلح الحديث بالتنبيه على مذهب أهل الحديث، ومذهب الأصوليين والفقهاء أيضا.

قال رحمه الله: ((واختلفوا في وقوع غيرها من الصفات منهم:

فمعظم الفقهاء والمحدثين والمتكلمين من السلف والخلف على جواز وقوعها منهم، وحتتهم ظواهر القرآن والأخبار))^(٣).

وقال: ((قال مسلم: " خير الواحد الثقة عن الواحد حجة يلزم به العمل".

هذا الذي قاله هو مذهب جمهور المسلمين من السلف والفقهاء والمحدثين ومذهب الأصوليين...))^(٤).

(١) له الإرشاد والتفريب في أصول الفقه، وكتاب الأصول الكبير، والمقنع في أصول الفقه.

(٢) عبد الملك بن عبد الله بن يوسف بن عبد الله بن حيوية أبو المعالي الجويني، شيخ الشافعية، له تصانيف منها والورقات، والبرهان، والتلخيص في أصول الفقه، ولد عام (٤١٩هـ) وتوفي سنة (٤٧٨هـ) طبقات الشافعية للسبكي ١٦٥/٥، وفیات الأعيان ١٦٧/٣، سير أعلام النبلاء ٤٦٨/١٨.

(٣) إكمال المعلم، الإيمان، باب أدق أهل الجنة منزلة فيها ٥٧٤/١.

وانظر: إكمال المعلم، الصيام، باب بيان أن القبلة في الصوم ليست محرمة ٤٦/٤.

(٤) إكمال المعلم، المقدمة، باب صحة الاحتجاج بالحديث المعنعن ١٦٨/١.

وقال في زيادة الثقة: ((اختلف الناس في الراوي الثقة إذا انفرد بزيادة في الحديث عن سائر رواة شيخه.

فذهب معظم الفقهاء والأصوليين والمحدثين إلى قبول زيادته.

وذهب بعض أصحاب الحديث إلى ردها، وهو مذهب معظم أصحاب أبي حنيفة^(١))).^(٢).

٤- تميز بنقل أقوال المذاهب الأربعة، فلم يهمل مذهب أحمد^(٣) كما أهمله الكثيرون فقال مثلاً: في حجية المرسل: ((وأما الحجة به: فذهب السلف الأول إلى قبوله والحجة به.

وهو مذهب مالك^(٤) وأبي حنيفة وعامة أصحابهما، وفقهاء الحجاز والعراق، وأحمد بن حنبل^(٥))).^(٦)

ونقل عن القاضي أبي يعلى جواز الإجازة للمجهول، والمعدوم.

٥- نقل الخلاف داخل المذهب المالكي، مع نسبة الأقوال إلى أصحابها

فنقل عن القاضي عبد الوهاب، وأبي تمام، والباجي، وغيرهم

قال رحمه الله: ((وهذا أيضاً أصل في الشهادة المتعارضة في مراعاة الأعدل على المشهور، واختلف المذهب في الترجيح فيها بالكثرة))^(٧).

وقال: ((واختلف في وقت وجوب وتعين الخطاب على المصلي في أوقات هذه الصلوات:

(١) النعمان بن ثابت الزوطي التيمي الكوفي مولى بن تميم الله بن ثعلبة، يقال إنه أبناء القرس، الإمام الأعظم، إمام أهل الرأي، وفقه أهل العراق، رأى أنس بن مالك رضي الله عنه، قال الشافعي: (إن الناس عيال على أبي حنيفة في الفقه) وتوفي سنة (١٥٠هـ).

فهرست بالنسبة ٢٨٤، الجواهر المضئية ٤٩/١، شذرات الذهب ٢٢٧/١.

(٢) إكمال المعلم، المقدمة ١٠٤/١. وانظر: منهجية فقه الحديث عند القاضي عياض ٣٣٨.

(٣) أحمد بن محمد بن هلال بن أسد بن إدريس بن حنبل الشيباني، أبو عبد الله، إمام أهل السنة، وإمام الأئمة، الصابر في المحنة، العالم الرباني، من مؤلفاته: المسند، والرد على الجهمية، فضائل الصحابة، وتوفي سنة (٢٤١هـ) —.

طبقات الخنابلة ٤/١، الدر المنضيد ٤٤/١، سير أعلام النبلاء ١١/١٧٧.

(٤) مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر الحميري، الأصمعي هو شيخ الإسلام، حجة الأمة، إمام دار الهجرة، أبو عبد الله، أحد أئمة المذاهب الأربعة، له من الكتب الموطأ، رسالة في القدر، والرد على القدرية، وكتاب في النجوم، مناقبه وفضائله كثيرة، ولد عام ٩٣ وتوفي سنة ١٩٧هـ —.

ترتيب للدارك ٥٨/١، وما بعدها، الديباج ٤٤ وما بعدها، سير أعلام النبلاء ٨/٤٨.

(٥) إكمال المعلم — المقدمة — ١٦٧/١.

(٦) إكمال المعلم المقدمة ١٠٤/١.

- فمذهب المالكية: أن الوجوب يتعلق بأول الوقت، وأن الجميع وقت موسع للوجوب، وحكى ابن القصار هذا عن الشافعي^(١).

واختار بعض أصحابنا: أن وقت الوجوب فيه ليس بمتعين، وإنما يعينه المكلف بفعله .
وذهب بعضهم: إلى أنه لا يجوز التأخير عن أول الوقت إلا ببدل وهو العزم^(٢).

٦- أغلب المسائل الأصولية المذكورة في الإلماع، أو المبحوثة في الشفا - مع قلتها -
مقرونة بأدلتها، ويلحق بذلك ما ذكره في مقدمة إكمال المعلم.

أما سائر المسائل مما ذكره في الإكمال فهي عبارة عن استنباطات يستنبطها من الأحاديث،
فقلما يذكر الأدلة فيها، إلا أن يصلح الحديث المستنبط منه أن يكون دليلاً لذلك القول
كما في مسألة حجية خير الواحد.

(١) محمد بن إدريس بن العباس، القرشي، أبو عبد الله، الملقب، المكي، الإمام العالم، ناصر الحديث، فقيه الملة،
تاج الفقهاء، أحد الأئمة الأربعة، وإليه ينسب المذهب الشافعي، من تصانيفه: الأم، الرسالة، إختلاف الحديث،
ولد سنة (١٥٠هـ) وتوفي سنة (٢٠٤هـ) طبقات الفقهاء للشيروازي ٦٠، وفيات الأعيان ١٦٣/٤.

(٢) إكمال المعلم: كتاب المساجد، باب أوقات الصلوات الخمس، ٥٢٤\٢.

الفصل الأول: آراؤه في الحكم

وفيه مقدمة، وخمسة مباحث

المبحث الأول: تعريف الحكم لغة

المبحث الثاني: تعريف الحكم الشرعي اصطلاحاً.

المبحث الثالث: أقسام الحكم الشرعي.

المبحث الرابع: تعريف الحكم التكليفي.

المبحث الخامس: أقسامه.

المبحث الأول: في تعريف الحكم في اللغة.

الحكم لغة: مصدر حَكَمَ يحْكُم، وهو القضاء وأصله المنع، وجمعه أحكام.

قال ابن فارس: "والحاء والكاف والميم أصل واحد، وهو المنع، وأول ذلك الحكم، وهو المنع من الظلم، وسميت حَكَمَة الدابة بذلك؛ لأنها تمنعها.

يقال حكمت الدابة وأحكمتها. ويقال حكمت السفينة وأحكمتها، إذا أخذت على يديه... والحكمة هذا قياسها لأنها تمنع من الجهل.."^(١).

أنشد الجوهري^٢ وغيره لجرير^(٣):

أبني حنيفة أحكموا سفهاءكم *** إني أخاف عليكم أن أغضبا^(٤)

قال القاضي عياض: وقوله "بك حاكمت" يعني: أعداء الدين، أي: لا أرضى إلا بحكمك، مثل قوله تعالى {أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكَمًا} (الأنعام: من الآية ١١٤) وقد يكون: إن أمري كله في ذاتك ونصرة دينك كما قال: "وبك خاصمت".

قوله "الحكمة يمانية"^(٥) الحكمة عند العرب هي: ما يمنع من الجهل، وبذلك سمي الحاكم لمنعه الظالم، ومنه في الحديث الآخر: "إن من الشعر لحكمة"^(٦) ويروى "حَكَمًا" أي: ما يمنع من الجهل، وينفع وينهى عنه، والحكم والحكمة بمعنى واحد، وقد قيل ذلك في قوله تعالى: {وَأَتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيحًا} (مريم: من الآية ١٢) وقد قيل: حكمة أي عدلا يدعو إلى الخير والرشد ومحامد الأخلاق.^(٧)

(١) معجم مقاييس اللغة: ٩١/٢، تهذيب اللغة: ١١٠/٤، القاموس المحيط: ٩٩/٤، لسان العرب: ٢٧٠/٣.

(٢) إسماعيل بن حماد، أبو نصر، الجوهري، التركي الأتاري، من أئمة اللغة، مؤلف الصحاح في اللغة، وكتاب في العروض، ومقدمة في النحو وأحد من يضرب به المثل في ضبط اللغة، كان أول حاول الطيران ومات في سبيله متردبا من سطح داره في نيسابور سنة ٣٩٣ وقيل في حدود ٤٠٠هـ).

سير أعلام النبلاء: ٨٠/١٧، ومعجم الأدباء: ٢٦٦/٢، النجوم الزاهرة: ٢٠٧/٤.

(٣) هو أبو حرزة، جرير بن عطية من تميم توفي سنة (١١٠هـ) له ديوان شعر. وفيات الأعيان ١٠٢/١، الشعر و الشعراء ١٧٩.

(٤) ديوان جرير ص ٥٠.

(٥) صحيح مسلم مع شرحه إكمال المعلم للقاضي عياض: ٢٩٨/١، كتاب الإيمان رقم الحديث: ٨٢-٨٤.

(٦) صحيح مسلم كتاب الأدب باب: ٩٠.

(٧) مشارق الأنوار للقاضي عياض: ١٩٤/١، إكمال المعلم: ٣٠٢/١.

(في العرف العام)

إثبات أمر لأمر أو نفيه عنه.

وقيل: إمضاء قضية في شيء ما.^(١)

وقيل: وصف ثابت للأمر المحكوم عليه عقلياً كان أو شرعياً.^(٢)

* * *

المبحث الثاني: تعريف الحكم الشرعي اصطلاحاً

هو خطاب الله المتعلق بأفعال المكلفين بالاعتضاء أو التخيير أو الوضع.^(٣)

وقيل: خطاب الله تعالى المتعلق بفعل المكلف من حيث إنه مكلف به.^(٤)

وقال الإمام أحمد هو خطاب الشرع وقوله.^(٥)

وقيل: هو مقتضى خطاب الشرع.^(٦)

(١) الإحكام لابن حزم ٤٩/١.

(٢) ترتيب المنهاج للباجي ص ١٤.

(٣) مختصر ابن الحاجب مع شرحه بيان المختصر للأصفهاني: ٣٢٥/١، المختصر في أصول الفقه لابن اللحام ص ٥٧.

(٤) مذكرة الشنقيطي ص ٨، جمع الجوامع لابن السبكي ص ١٣.

(٥) شرح الكوكب المنير: ٣٣٣/١.

ويراجع في تعريفات الحكم الشرعي كذلك: شرح تنقيح الفصول ص ٩٧، مذكرة الشنقيطي ص ٩، فواتح الرحموت: ٤٩/١، تيسير التحرير: ١٣١-١٣٢، المحصول: ٨٩/١، الأحكام للآمدي: ١٣٥-١٣٦، لمائة السؤل للأسنوي: ٣١/١، الإمهاج لابن السبكي: ٤٣/١، البحر المحيط: ٩٨/١، إرشاد الفحول ص ١٠.

(٦) رجحه الطوفي كما في شرح مختصر الروضة ٢٥٠/١.

والأول أولى لأنه أشمل وأقل اعتراضا.

شرح التعريف المختار:

(خطاب الله) أي في كتابه أو على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم^(١)، والمراد به هنا المخاطب به^(٢)، وعدل عنه الآمدي إلى قوله (خطاب الشارع) ليكون شموله لخطاب الرسول أوضح، وإضافته إلى الله يخرج خطاب غيره.

(المتعلق بأفعال المكلفين) احتراز مما تعلق بذاته تعالى، وفعله، والجمادات، وذوات المكلفين، كقوله {اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ} (البقرة: من الآية ٢٥٥) {وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ} (الكهف: من الآية ٤٧) {وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ} (الصفات: ٩٦) (بالاقتضاء) احتراز من مثل قوله تعالى {وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ} (البقرة: من الآية ٣٤).

فإنه خطاب متعلق بأعمالنا على وجه الإخبار عنها بكونها مخلوقة، لكنه ليس اقتضاء ولا تخيير^(٣).

وهو اقتضاء الفعل، واقتضاء الترك.

(أو التخيير) تكميل للحد ليدخل فيه المباح^(٤).

(أو الوضع) وهو ما استفيد بواسطة نصب الشارع علما معرفا لحكمه لتعذر معرفة خطابه في كل حال^(٥).

(١) قال الشاطبي في الموافقات ٣/٣٦٨: وقوله: {وما آتاكم الرسول فخذوه} متضمن للسنة. وقوله: {ويجتنب غير سبيل المؤمنين} متضمن للإجماع. وهذا أهم ما يكون، وفي الصحيح عن ابن مسعود قال: (لعن الله الواشمات والمستوشمات ..) فبلغ ذلك امرأة من بني أسد يقال لها أم يعقوب، وكانت تقرأ القرآن، فأنتهت فقالت: ما حديث بلغني عنك أنك لعنت كذا وكذا فذكرته. فقال عبد الله ومالي لا ألعن من لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في كتاب الله فقالت المرأة: لقد قرأت ما بين لוחي المصحف، فما وجدته. فقال: لئن كنت قرأته لقد وجدته في كتاب الله وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا.

(٢) لا المعنى المصدري الذي هو توجيه الكلام للمخاطب. انظر: شرح الكوكب المنير ١/٣٣٤.

(٣) الإجماع ١/٤٤.

(٤) الإجماع ١/٤٤، شرح مختصر الروضة ١/٢٥٢-٢٥٣.

(٥) للمختصر في أصول الفقه ص ٦٥، المدخل ص ١٥٨. وانظر: التمهيد ص ٤٨،

فائدة: قال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي^(١) رحمه الله: "واعلم أن عبارات الأصوليين اضطربت في تعريف الحكم الشرعي وسبب اضطرابها أمران: أحدهما: أن بعض المكلفين غير موجود وقت الخطاب، والمعلوم ليس بشيء.

ثانيهما: زعمهم أن الخطاب هو نفس المعنى الأزلي القائم بالذات المجرد عن الصيغة^(٢).

المبحث الثالث: أقسام الحكم الشرعي:

ينقسم الحكم الشرعي إلى قسمين هما:

أ. حكم تكليفي. ب. حكم وضعي.

المبحث الرابع: تعريف الحكم التكليفي:

هو خطاب الله المتعلق بأفعال المكلفين على وجه الاقتضاء أو التخيير.

المبحث الخامس: أقسام الحكم التكليفي:

يُقسَّم معظم الأصوليين الحكم التكليفي إلى خمسة أقسام وهي:

أولاً: الإيجاب: وهو طلب الشارع الفعل على سبيل الحتم والإلزام.

وأثره في فعل المكلف الوجوب، والفعل المطلوب على هذا الوجه الواجب.

ثانياً: الندب: وهو طلب الشارع الفعل على سبيل الترجيح لا الإلزام.

(١) محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر بن محمد بن أحمد نوح الحنكفي، العلامة

للمفسر، الفقيه، الأصولي، اللغوي، النحوي ومات سنة (١٣٩٣هـ). من تصانيفه: أضواء البيان، منع حواجز المجاز في المنزل للتعبد والإعجاز، مذكرة أصول الفقه، منهج آيات الأسماء والصفات وغيرها.

(٢) المذكرة ص ١٠، وانظر المسودة: ١٠٧/٢ تحقيق الندوي، أو آخر فصل من الطبعة القديمة، للمباحث المشتركة ١٠١ وما بعدها.

مذهب السلف ومن تبهم أن كلام الله تعالى حقيقي في اللفظ المسموع، وأنه يتكلم بحرف وصوت لا يشبه كلم خلقه.

قال البخاري في خلق أفعال العباد ص ٩٨: "... صوت الله لا يشبه أصوات الخلق، لأن صوت الله جل ذكره يسمع من بعد كما يسمع من قرب، وأن الملائكة يصعقون من صوته، فإذا نادى الملائكة لم يصعقوا. وقال عز وجل {فلا تجعلوا لله أندادا} فليس لصفة الله ند ولا مثل، ولا يوجد شيء من صفاته في المخلوقين.

انظر: رسالة السحري في الرد على من أنكر الحرف والصوت.

(٣) روضة الناظر ٢٦، شرح الكوكب المنير ١/ ٣٤٠-٣٤٢، الوجيز في أصول الفقه لزبدان ص ٢٩-٣٠.

وأثره في فعل المكلف التندب أيضاً، والفعل المطلوب على هذه الصفة هو المندوب.

ثالثاً: التحريم: وهو طلب الشارع الكف عن الفعل على سبيل الحتم والإلزام.

وأثره في فعل المكلف الحرمة، والفعل المطلوب تركه المحرم أو المحرم.

رابعاً: الكراهة: وهي طلب الشارع الكف عن الفعل على سبيل الترجيح لا الحتم والإلزام.

وأثره في فعل المكلف الكراهة أيضاً، والفعل المطلوب تركه على هذا الوجه هو المكروه.

خامساً: الإباحة: وهي تخيير الشارع للمكلف بين الفعل والترك، دون ترجيح لأحدهما على الآخر. وأثره في فعل المكلف الإباحة، والفعل الذي خير فيه المكلف المباح.

● هذا عند جمهور العلماء، والأحناف يضيفون إلى الخمسة السابقة الفرض والكراهة التحريمية، فيعرفون الفرض بأنه ما ثبت لزومه بدليل قطعي لا شبهة فيه، بخلاف الواجب فهو ما ثبت لزومه بدليل فيه شبهة^(١). وكذا كراهة التحريم بأنه ما ثبت تحريمه بدليل ظني، بخلاف المحرم فإنه كل ما ثبت تحريمه بدليل قطعي.

فيكون الحكم التكليفي عندهم سبعة أقسام.

وزاد السبكي^٢ تبعاً للحنيني مما هو موجود في كلام الفقهاء خلاف الأولى، وهو: ما استفيد النهي عنه من الأمر بضده^(٣).

● ومن هنا يتبين لنا أن المطلوب إيجاد نوعان: الواجب والمندوب.

وأن الفعل المطلوب تركه كذلك نوعان: المحرم والمكروه.

وأن الفعل المخير بين فعله وتركه نوع واحد، وهو المباح.

(١) أصول الشاشي ٣٧٩، المغني للعيازي ٨٣-٨٤.

(٢) علي بن عبد الكافي بن علي بن ممام، أبو الحسن، تقي الدين السبكي، والد التاج السبكي صاحب طبقات الشافعية، ولي قضاء الشام، من كتبه: ((السيف الصقيل)) ردُّ به على القصيد النونية للإمام بن القيم و((السيف المسلول على من شبَّ الرسول)) توفي سنة ٧٥٦هـ طبقات الشافعية الكبرى ١٤٦/٦، طبقات ابن قاضي شبهة ١٩٠/٢، الأعلام ٣٠٢/٤.

(٣) تشنيف المسامع ١٦٠/١، مراقي السعود إلى مراقي السعود ص ٦٥. وزاد في البحر فقال: من الأحكام ما لا يوصف بحل ولا حرمة، كوطء الشبهة على أصبح الوجوه الثلاثة، مع أن لله فيها حكماً.

تعريف الواجب

الواجب لغة: أصله من مادة [وجب] الواو والجيم والباء، أصل واحد يدل على سقوط الشيء ووقوعه ثم يتفرع^(١). تقول وجب البيع والحق يجب وجوبا ووجبة، لزم وثبت. ووجبت الشمس وجوبا غربت. ووجب الحائط ونحوه وجبة سقط^(٢).

وفي الحديث: " فإذا وجب فلا تبيكن باكية"^(٣) جاء في رواية أحمد: فقال جبير فحدثت به عمر بن حميد القرشي فقال لي: ماذا وجبت؟ قال: إذا أدخل قبره.

قال ابن عبد البر^(٤): فأظن ذلك والله أعلم مأخوذ من وجبة الحائط إذا سقط وانهدم^(٥). وقال تعالى في النسك: { فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا } (الحج: من الآية ٣٦) أي سقطت لازمة محلها^(٦).

وقال قيس بن الخطيم^٧ يصف حربا وقعت بين الأوس والخزرج في يوم بُعث:

وَيَوْمَ بُعِثَ أَسْلَمْنَا سِيُوفُنَا إِلَى كَشَبٍ فِي خَزَمِ غَسَّانٍ ثَائِبٍ
أَطَاعَتْ بَنُو عَوْفٍ أَمِيرًا نَاهِمٌ عَنِ السَّلْمِ حَتَّى كَانَ أَوَّلُ وَاجِبٍ^(٨)

(١) معجم مقاييس اللغة: ١٨٩/٦.

(٢) القاموس المحيط: ١٤١/١، المصباح المنير ٢٤٨، مشارق الأنوار للقاضي عياض: ٢٧٩/٢.

(٣) رواه مالك (٥٥٤)، وأبو داود (٣١١١)، والنسائي (١٨٤٦)، وأحمد ٤٤٥/٥، والحاكم في المستدرک ٥٠٣/١، وابن حبان ٤٦١/٧، والبيهقي في الكبرى ٦٩/٤. قال ابن اللقن في خلاصة البدر المنير ٢٧٧: من

رواية جابر بن عتيك بأسانيد صحيحة، لا حرم استدركه الحاكم وقال: صحيح الإسناد.

(٤) يوسف بن عمر بن عبد الله بن عبد الله النمرى، الأندلسي، القرطبي، المالكي الإمام العلامة، حافظ المغرب، شيخ الإسلام، من مؤلفاته: التمهيد والاستذكار كلاهما على الموطأ، جامع بيان العلم وفضله، الاستيعاب

في معرفة الأصحاب، والكافي، وغيرها، (ت: سنة ٤٦٣ هـ) الديباج ٤٤٠، شجرة النور ١١٩.

(٥) التمهيد ٢٠٤/١٩.

(٦) قال مجاهد: يعني سقطت إلى الأرض، وكذا قال مقاتل بن حيان، وهو رواية عن ابن عباس. [تفسير ابن كثير: ٢٢٣/٣].

(٧) قيس بن الخطيم بن عدي الأوسي، شاعر جاهلي، أدرك الإسلام وتربى في قبوله فقتل قبل أن يدخل فيه، وديوان. الأغاني ١٥٤/٢، الأعلام ٥٥/٦.

(٨) الفائق ٤٣/٤. وروى الحربي في غريب الحديث من طريق بن إسحاق عن عاصم بن عمر سمع أنسا قال: كان الخزرج قتلوا قيس بن الخطيم في الجاهلية فلما أسلم ابنه بعثوا إليه بسلاحه فقال: لولا الإسلام لأنكرتم ما صنعتم. انظر: الإصابة: ٣٩٤/١.

أي أول مَيِّت.

وقال هُذَبة بن عَشْرَم^(١) :

فقلتُ له لا تُبْك عَيْنَكَ، إِنَّهُ بِكَفِّيْ ما لَأَقِيْتُ إِذْ حَانَ مَوْجِي
أَي: موتِي^(٢).

عرف القاضي عياض الواجب بقوله: " والواجب: ما توعد على تركه بالعقاب"^(٣).
ووافقه علي ابن قدامة^(٤).

قال الآمدي^(٥) : وهو باطل، لأن التوعد بالعقاب على الترك خير، ولو ورد لتحقيق العقاب بتقدير الترك لاستحالة الخلف في خير الصادق، وإن كان ذلك في حق غيره يعد كرما وفضيلة، لما يلزمه من المصلحة الراجحة، وليس كذلك لجواز العفو عنه"^(٦).

والجواب عن هذا الاعتراض:

— هذا الاعتراض بُنيَ على أصل باطل، وهو وجوب إنفاذ الوعيد على الله تعالى، وهو من

(١) هو هذبة بن عَشْرَم بن كرز القضاعي، شاعر فصيح من أهل بادية الحجاز، وهو شاعر جاهلي.
الأعلام ٦٩/٩، الشعر والشعراء ٢٤٩.

(٢) لسان العرب: مادة (وجب).

(٣) مشارق الأنوار: ٢/٢٨٠، ولينظر: الآمدي: ١/١٣٨، المستصفى: ١/١٢٨، الروضة: ١/١٥١.

(٤) روضة الناظر ٢٦.

وقريب منه عند شيخ الإسلام في مجموع الفتاوى ١٦١/٢٠: (والواجب ما يكون تركه سببا للثم والعقاب).

(٥) علي بن أبي علي بن محمد بن سالم، سيف الدين، التغلبي، الآمدي، الحنبلي ثم الشافعي، أصولي، فقيه، متكلم، من تصانيفه: إحكام الأحكام في أصول الفقه، وأبكار الأفكار في أصول الدين، وغاية الأمل في علم الجدل، وغيرها، توفي سنة (٦٣١هـ).

طبقات الشافعية للسبكي ٣٠٦/٨، وفيات الأعيان ٢٩٣/٣، سير أعلام النبلاء ٣٦٤/٢٢، شذرات الذهب

١٤٢/٥.

(٦) الإحكام للآمدي: ١/١٣٨.

أصول المعتزلة^(١) ^(٢) ، فالوعيد بالعقاب على الترك لا ينافي المغفرة كما بينه تعالى بقوله: {إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ} (النساء: من الآية ٤٨).

- قال الطوفي^(٣): وليس بوارد على أصلنا، لجواز تعليق إيقاع الوعيد بالمشيئة، أو لأن إخلاف الوعيد من الكرم شاهداً^(٤) فلا يقبح غياباً^(٥) ^(٦).

- واعترض عليه أيضاً: بأنه ترد عليه الواجبات الثلاث (الواجب الموسع، والمخير، والكفائي)^(٧).

وهو اعتراض فيه وجاهة.

التعريف المختار: هو الذي يُذمُّ شرعاً تاركه قصداً مطلقاً.

(١) فرقة كلامية عقلانية منتسبة للإسلام، التي ظهرت في عهد مبكر نوعاً ما، وذلك في عصر التابعين، أو أواخر العصر الأموي، واشتهرت وانتشرت في العصر العباسي، اعتمدت النظر العقلي المجرد أساساً لعقائدها وأفكارها، فخلطوا بين الشرعيات والفلسفة والعقليات في كثير من مسائل العقيدة، وهم فرق وطوائف يجمعهم غالباً القول بالأصول الخمسة المعروفة عنهم، وهي: التوحيد، والعدل، والوعد والوعيد، والمنزلة بين المنزلتين، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

الفرق بين الفرق ص ١١٤ ، الملل والنحل ٤٢/١ ، الموسوعة الميسرة ٦٩/١.

(٢) انظر: شرح العقيدة الطحاوية ٧٩٣.

(٣) سليمان بن عبد القوي بن عبد الكرم بن سعيد، أبو الربيع نحم الدين الطوفي الصرصري الحنبلي ، الفقيه الأصولي، من مصنفاته: مختصر روضة الناظر المسمى بالبلبل، وشرحه، بغية السائل في أمهات المسائل، الإكسر في قواعد التفسير، وتوفي سنة (٧١٦هـ). ذيل طبقات الحنابلة ٣٦٦/٢، الدر المنضد ٦٤٤/٢.

(٤) ولهذا مدح به كعب بن زهير رسول الله حيث يقول: نبت أن رسول الله أوعدني *** والعفو عند رسول الله مأمول

وتناظر في هذه المسألة أبو عمرو بن العلاء وعمرو بن عبيد فقال عمرو بن عبيد: يا أبا عمرو لا يخلف الله وعده، وقد قال {ومن يقتل مؤمناً متعمداً} الآية. فقال له أبو عمرو: ويحك يا عمرو! من المحمة أئمت. إن العرب لا تعد إخلاف الوعيد ذماً بل جوداً وكرماً. أما سمعت قول الشاعر:

ولا يرهب ابن العم ما عشت صولتي *** ولا يخشى من سطوة المتهدد.

ولني إن أوعدته أو وعدته *** لمخلف إيمادي ومنحز موعدي.

انظر: مدارج السالكين ١/ ٣٩٦.

(٥) من باب قياس الأولى، أو من باب إلزام المعتزلة الذين يقيسون الغالب على الشاهد.

(٦) شرح مختصر الروضة: ١/ ٢٦٥، ٢٦٩-٢٧٠.

(٧) انظر: شرح مختصر الروضة ١/ ٢٧٣.

وهو اختيار البيضاوي^(١) والإسنوي^(٢) وابن السبكي^(٣) وابن النجار^(٤) وابن بدران^(٥) وغيرهم^(٦).

شرح التعريف المختار:

(الذي يذم): أي فعل يذم، والفعل جنس للأحكام الخمسة.

(١) عبد الله بن عمر بن محمد بن علي، أبو الفتح، وقيل: أبو الخير، ناصر الدين، البيضاوي، البغدادي، الشافعي، قاضي القضاة، كان إماماً نظاراً محبراً متعبداً، أثنى الأئمة على مصنفاته التي منها: الطوالع، المنهاج، المصباح، الغاية القصوى في رواية الفتوى، توفي عام (٦٦١هـ).
انظر: طبقات السبكي ١٥٧/٨، طبقات ابن قاضي شهبة ٢٨/٤، شذرات الذهب ٣٩٢/٥، معجم المؤلفين ٩٧/٦.
(٢) عبد الرحيم بن الحسن بن علي بن عمر القرشي، جمال الدين الأموي الأسنوي الشافعي، منقح الألفاظ، محقق المعاني، ذو تصانيف للمشهورة، من تصانيفه: لمائة السؤل شرح منهاج الوصول للبيضاوي، التمهيد في تنزيل الفروع على الأصول، والكوكب الدرّي في تخرّيج مسائل الفقه على النحو، وغيرها كثير، ولد سنة (٧٠٤هـ) ومات سنة (٧٧٢هـ).

طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة ٢٥٢/٤، الدرر الكامنة ٣٥٤/٢، شذرات الذهب ٢٢٤/٦.

(٣) عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي، أبو نصر السبكي، الشافعي، الأصولي، الفقيه، اللغوي، المورخ، من تصانيفه: جمع الجوامع، ومنع الموانع، ورفع الحاجب عن مختصر ابن الحاجب، والإمّااج في شرح منهاج البيضاوي، وكلها في أصول الفقه، والأشباه والنظائر، وطبقات الشافعية، وهو من المشاركين في العلوم، مولده في عام (٧٢٧هـ) وفاته في سنة (٧٧١هـ).

شذرات الذهب ٢٢١/٦، البدر الطالع ٤١٠/١.

(٤) محمد بن أحمد بن عبد العزيز الفتوحّي، تقي الدين أبو بكر المعروف بابن النجار الفتوحّي من كبار علماء الحنابلة، حتى انتهت إليه الرئاسة في المذهب، فقيه أصولي، له منتهى الإرادات، مختصر التحرير في أصول الفقه، توفي سنة (٩٧٢هـ).

التمت الأكمل ١٤١، مختصر طبقات الحنابلة ٩٦.

(٥) عبد القادر أحمد بن مصطفى بن عبد الرحيم السعدي الدمشقي الحنبلي المشهور بابن بدران، قال عنه الزركلي (فقيه أصولي حنبلي عارف بالأدب والتأريخ ... ولي إفتاء الحنابلة) مؤلفاته كثيرة منها: للدخل إلى مذهب إلى الإمام أحمد، ونزهة المخاطر العاطر شرح روضة الناظر، أدب المطالعة، حرة الغواص، توفي سنة (١٣٤٦هـ).

الأعلام ٣٧/٤، معجم المؤلفين ١٨٤/٢، مقدمة للدخل بتحقيق التركي ص ٢٩.

(٦) لمائة السؤل: ٥٦/١، الإمّااج: ٥١/١، شرح الكوكب المنير: ٣٤٥/١، للدخل إلى مذهب الإمام أحمد لابن بدران ص ١٤٧.

وقوله (يذم): لإخراج المندوب والمباح والمكروه، فإنه ليس فيها ذم.

وقوله (شرعا): احتراز عما يُذم عرفاً، وعن مذهب المعتزلة، فإن مذهبهم أن الذم بترك الواجب إنما هو بحسب العقل، والصحيح أنه من جهة الشرع، وإن كان العقل يدرك حسن الأشياء وقبحها كما سيأتي بيانه.

وقوله (تاركه): احتراز عن الحرام فإنه يذم فاعله لا تاركه.

وقوله (قصدا): احتراز عن الناسي والنائم لعدم القصد فإن الصلاة واجبة عليهما ولم يذم مع تركهما للصلاة لعدم قصد الترك، ليدخل فيه صلاة من أدرك أول وقت الصلاة بمقدار ما يتمكن من الصلاة فيه كصلاة الظهر ولم يصل، ونام بعد هذا المقدار من الوقت نوما استغرق باقي الوقت إلى العصر، فإن هذه الصلاة واجبة عليه، وقد تركها ولم يذم شرعا تاركها، لأنه ما تركها قصداً.

وقوله (مطلقاً): أي مع عدم نية الفعل، فاحتراز به من الواجب الموسع، والمخير، وفرض الكفاية، فإن الترك يلحقها في الجملة. وهو: ترك الموسع في بعض أجزاء وقته، وترك بعض أعيان المخير، وترك بعض المكلفين بفرض الكفاية، لكن ذلك ليس تركاً مطلقاً.^(١)

تعريف الفرض لغة:

قال ابن فارس^(٢): "الفاء والراء والضاد: أصل صحيح يدل على تأثير في شيء من حيز وغيره.

ومن الباب اشتقاق الفرض الذي أوجبه الله تعالى، ويسمى بذلك، لأنه معالم وحدود...

ومن الباب ما يفرضه الحاكم من نفقة الزوجة"^(٣)

قال القاضي عياض: "وفرائض الله ما ألزم عباده وأوجبه عليهم، مأخوذ من فرضة القوس، وهو الحز والقطع الذي في طرفة الوتر، ليثبت فيه ويلزمه ولا يحيد عنه"^(٤)

(١) ينظر شرح التعريف في: شرح المنهاج للأصبهاني: ٥٦/١-٥٧، والمدخل لابن بدران ص ١٤٧.

(٢) أحمد بن فارس بن زكريا بن محمد بن حبيب الإمام اللغوي أبو الحسين القزويني المعروف بالرازي المالكي

غلب عليه علم النحو فشهّر به وكان أديباً شاعراً، صاحب كتاب المهمل مات بالري سنة ٣٩٥ هـ ترتيب

للمدرك الديباج ٩٤.

(٣) معجم مقاييس اللغة: ٤/٤٨٨، وينظر: القاموس المحيط: ٣٥٢/١، المصباح المنير ص ١٧٨، مختار الصحاح

ص ٤٩٨.

وفرض الله الأحكام فرضاً أوجبها فالفرض المفروض.
والفرض يأتي في اللغة لعدة معان، منها: التقدير، والتأثير، والإلزام، والعطية، والإنزال،
والإباحة.^(١)

الفرض اصطلاحاً:

اختلف الأصوليون في تعريف الفرض اصطلاحاً على قولين:
الأول: ذهب الجمهور إلى أن الفرض مرادف للواجب^(٢) قال في المراقي^(٣):
*..... (والفرض والواجب قد توافقا
كالجزم واللازم مكتوب) وما فيه اشتباه للكراهة انتمى
فيكون تعريفه: ما ذم شرعاً تاركه قصداً مطلقاً كما تقدم.

الثاني: ذهب الحنفية وأحمد في رواية عنه إلى أن الفرض غير مرادف للواجب واختلفوا في
تعريفه على أقوال:
أ. الفرض: اسم لما ثبت وجوبه بطريق مقطوع به، والواجب: اسم لما ثبت من طريق غير
مقطوع به.^(٤)

ب. الفرض: ما لا يتسامح في تركه عمداً ولا سهواً. في رواية عن أحمد.^(٥)
ج. الفرض ما ثبت بالقرآن والواجب ما ثبت بالسنة.^(٦)

(١) مشارق الأنوار: ١٥٢/٢ مادة (فرض).

(٢) القاموس المحيط مادة (فرض)، شرح الكوكب المنير: ٣٥٠/١-٣٥١.

(٣) انظر: تقريب الوصول لابن جزى ٢١٤، تشنيف المسامع ١٦٤/١، شرح الكوكب المنير ٣٥١/١.

(٤) مراقي السعود مع نثر الورود ٥٣/١.

(٥) أصول السرخسي: ١١٠/١، البحر المحيط ص ١٤٤/١، العدة: ٣٧٦/٢، المسودة ص ٥٠، القواعد والفوائد
الأصولية ص ٩٤.

(٦). الروضة لابن قدامة: ١٥٣/١، القواعد والفوائد الأصولية ص ٩٤.

(٧). ذكره للمازري من غير نسبة لقاتل بعينه (إكمال الملم: ٩١/٣-٩٢).

رأي القاضي عياض في مسألة ترادف الفرض والواجب:

قال القاضي عياض رحمه الله، في معرض كلامه عن زكاة الفطر: "معنى (فرض) عند أكثر العلماء هنا -أي في حديث صدقة الفطر- أوجب، قال إسحاق بن راهويه^١: هو كالإجماع. وأجمعوا على أن النبي صلى الله عليه وسلم أمر بها، ثم اختلفوا في حكمها، وهل هي منسوخة أو محكمة، فقالت فرقة: هي منسوخة بالزكاة، ورووا في ذلك أثراً عن قيس بن سعد بن عبادة.

وجهور أئمة الفتوى، وعامة العلماء من السلف على أنها واجبة كما تقدم، وهو المنصوص عن مالك، واحتج بعموم قوله تعالى: {تُؤْتُوا زَكَاتَ الْفِطْرِ} (التوبة: من الآية ١٠٣) وبقوله: {وَأَتُوا زَكَاتَ الْفِطْرِ} (البقرة: من الآية ٤٣) وقاله عامة أصحابه.

وذهب بعض أهل العراق وبعض أصحاب مالك وداود^٢ - في آخر قوله - إلى أنها سنة. وقال أبو حنيفة: هي واجبة وليست بفريضة على مذهبه في الفرق بين الحكمين^٣. وقال في موضع آخر، في حديث^(١) النهي عن اختناث الأسقية^(٢): "والنهي عن هذا كله والأمر به عند العلماء من باب الأدب والترغيب، لا من باب الواجب والفرض"^(٣).

وانظر: التلخيص لإمام الحرمين: ١/١٦٨، العدة: ٢/٣٧٧، الواضح لابن عقيل: ٣/١٦٣، القواعد والفوائد الأصولية ص ٩٤، وذكره رواية عن الإمام أحمد.

وقال في للسودة ١/١٦٤: (هي ظاهر كلام أحمد في أكثر نصوصه، وقد حكاهما ابن شاقلا، وهذا القول في الجملة اختيار القاضي وغيره).

(١) إسحاق بن إبراهيم بن مخلد بن إبراهيم، أبو يعقوب، التميمي ثم الحنظلي، المروزي، المعروف بابن راهوية، إمام كبير سيد الحفاظ وشيخ المشرق، محدث، فقيه، سمع من ابن المبارك، وسفيان بن عيينة، وأبو معاوية الضرير، وغيرهم، حدث عنه بقية بن الوليد ويحيى بن آدم وأحمد بن حنبل وغيرهم، من مؤلفاته: المسند، كتاب التفسير، ولد سنة (١٦١هـ)، توفي سنة (٢٣٨هـ). وفيات الأعيان ١/١٩٩، سر أعلام النبلاء ١١/٣٥٠، شذرات الذهب ٢/ ٨٩.

(٢) هو داود بن علي بن خلف، أبو سليمان، البغدادي، الأصبهاني، رئيس أهل الظاهر، الحافظ العلامة البحر، من تصانيفه: إبطال القيلس، والكافي في مقالة المظلي، والمعرفة، ولد سنة (٢٠٠هـ) ومات سنة (٢٧٠هـ). وفيات الأعيان ١/١٧٥، طبقات السبكي ٢/٢٨٤، سر أعلام النبلاء ١٣/٩٧، الفتح المبين ١/١٥٩.

(٣) إكمال للمعلم: ٣/٤٧٦.

وقال في مشارق الأنوار: " وفرائض الله ما ألزمه عباده وأوجبه عليهم.....

وقوله: (فرض رسول الله زكاة الفطر)^(٤).... قيل معنى فرض زكاة الفطر ألزمها وأوجبها، وهو مذهب أكثر المالكية وأهل العراق...^(٥)

ونقل القاضي عن الإمام المازري^(٦) رده على من فرق بينهما وأقره على ذلك.

قال المازري^(٧): " وهذه التفرقة -أي بين الفرض والواجب- عندنا غير صحيحة على مقتضى اللسان، بل الأولى على حكم الاشتقاق أن يكون الواجب أكبر من الفرض...".

فيستفاد من تلك النصوص السابقة أن القاضي عياض رحمه الله يقول بالترادف بين الفرض والواجب شرعاً، كما هو مذهب المالكية والشافعية والحنابلة، خلافاً للأحناف.

سبب الخلاف في المسألة:

١. هل طريق الوصول إلى المكلف له تأثير في الدلالة^(٨).

٢. هل المعنى اللغوي له تأثير في الاصطلاح الشرعي.

قال ابن قدامة: " فاقضى تأكد الفرض على الواجب شرعاً ليوافق مقتضاه لغة"^(٩)

(١) مسلم حديث رقم (٢٠٢٣)، الإكمال ٤٨٨/٦.

(٢) قال القاضي عياض: فسره في الحديث نفسه قال: ((و اختناثها أن يقلب برأسها ثم يشرب منه)) وقال بن دريد: اختناث الأسقية: كسر أفواها إلى عارج ليشرب منها، وأما كسرها إلى داخل فهو القيع. إكمال للمعلم ٤٨٩/٦.

(٣) إكمال للمعلم، الأشربة، باب آداب الطعام ٤٨٩/٦.

(٤) رواه مسلم حديث رقم (٩٨٤) مع الإكمال ٤٧٦/٣.

(٥) مشارق الأنوار: ١٥٢/٢، مادة (فرض).

(٦) أبو عبد الله، محمد بن علي بن عمر التميمي المازري - نسبة إلى: مازر، مدينة في جزيرة صقلية - يعرف بالإمام، نزل المهديّة من بلاد إفريقية. أخذ عن اللحيمي، واستحازه القاضي عياض، شرح كتاب كبار، منها: كتاب التلقين للقاضي عبد الوهاب وليس للمالكية كتاب مثله.

كان إمام المغرب، وكان آخر المشتغلين من شيوخ أفريقية بتحقيق الفقه، ورتبة الاجتهاد، ودقة النظر. توفي سنة (٥٣٦هـ).

انظر: الغنية ١٣٢، التعريف ١٢٤، أزهار الرياض ١٦٥/٣، الديباج ٣٧٤، شجرة النور ١٢٧.

(٧) كما في إكمال للمعلم (٩١/٣-٩٢).

(٨) انظر: سلاسل الذهب مع الحاشية ١١٤.

تحرير محل النزاع في المسألة:

اتفقوا على:

١. تغاير مفهومي الواجب والفرض من حيث المعنى اللغوي.
فالواجب لغة: الساقط والثابت واللازم.
والفرض: في اللغة: القطع والتقدير والتأثير^(٢)
 ٢. وانقسام الأدلة إلى مقطوعة ومظنونة، وتفاوت المقطوع والمظنون^(٣).
 ٣. و أن جاحد المقطوع به والمعلوم ضرورة يكفر، و جاحد المظنون لا يكفر، ويفسق إلا إذا كان متأولاً، ويضلل إن كان مستخفا كمن رد خير الواحد.^(٤)
 ٣. وأن الواجب والفرض هما: الفعل المطلوب طلباً جازماً، ويمدح فاعله ويعاقب تاركه.^(٥)
- واختلفوا في:
- التسمية^(٦)، أي أن ما ثبت بدليل قطعي يسمى فرضاً عند الجميع، لكن هل يسمى واجباً أيضاً، وما ثبت بدليل ظني يسمى واجباً عند الجميع، لكن هل يسمى فرضاً هذا هو موضع النزاع والاختلاف.^(٧)

أقوال الأصوليين في مسألة ترادف الفرض والواجب :

-
- (١) الروضة: ١/ ١٥٤، وانظر البحر المحيط للزركشي: ١/ ١٤٤.
 - (٢) الصحاح (فرض-وجب) ، القاموس المحيط مادة (فرض-وجب)، شرح التلويح على التوضيح: ١/ ٢٥٩، البحر المحيط: ١/ ١٤٤، نهاية الوصول: ٢/ ٥١٦، غاية السؤل لابن الميرد: ١٥٦.
 - (٣) التقرير والتحجير: ٢/ ٧٩.
 - (٤) شرح التلويح على التوضيح: ١/ ٢٥٩، تعليق الدكتور العلواني على المصنوع: ١/ ١٠٠.
 - (٥) نهاية الوصول: ٢/ ٥٢١، فواتح الرحموت شرح مسلم الثبوت: ١/ ٨٣، أصول الفقه لزيدان ص ٣٢ .
 - (٦) وعلى هذا فالخلاف لفظي. انظر: المستصفي ١/ ٦، شرح مختصر الروضة ١/ ٢٧٦، الخلاف اللفظي للنملة ١/ ٩٩-١٠٦.
 - (٧) شرح المحلى على جمع الجوامع ١/ ٨٨، التقرير والتحجير: ٢/ ٧٩-٨٠.
- وعلى هذا فالخلاف لفظي. انظر: المستصفي ١/ ٦، شرح مختصر الروضة ١/ ٢٧٦، الخلاف اللفظي للنملة ١/ ٩٩-١٠٦.

اختلف الأصوليون في هذه المسألة على قولين:

القول الأول: الفرض والواجب مترادفان. وهو قول الجمهور من المالكية^(١) والشافعية^(٢) والحنابلة في الأصح عندهم^(٣)، وابن حزم^(٤) من الظاهرية^(٥).

القول الثاني: الفرض والواجب متغايران

وهو قول الحنفية^(٦) ورواية عن الإمام أحمد^(٧) واختارها ابن شاقلا^(٨) والحلواني^(٩) واختلف اختيار أبي يعلى^(١٠).

(١) التقريب والإرشاد: ٢٩٤/١، إحكام الفصول لأبي الوليد الباجي ١٧٣، تقريب الوصول لابن حزمي ص ٨٦، نثر الورود: ٥٣/١، بيان المختصر للأصفهاني: ٣٣٧/١.

(٢) التلخيص لإمام الحرمين: ١٦٤/١، المستصفى: ١٢٨/١، الوصول إلى علم الأصول لابن برهان: ١/٧٨، الإحكام للآمدي: ١٤٠/١، البحر المحيط: ١٤٤/١، الإمّاج شرح المنهاج: ٥٥/١، نهاية السؤل: ٥٦/١-٦١.

(٣) العدة: ١٦٢/١، ٣٧٦/٢، الواضح في أصول الفقه لابن عقيل: ٣/١٦٣، روضة الناظر: ١/١٩١، المسودة ص ٥٠-٥١، القواعد الأصولية لابن اللحام ص ٩٤، شرح غاية السؤل: ١٥٦، شرح مختصر الروضة: ٢٧٤/١، شرح الكوكب المنور: ٣٥١/١.

(٤) علي بن أحمد بن سعيد بن حزم بن غالب، أبو عماد، الفارسي الأصل، ثم الأندلسي القرطبي، الفقيه، الأصولي، المحافظ، المتكلم، الوزير، الظاهري، صاحب التصانيف، ومنها: الأحكام في أصول الأحكام، والنبد، ومراتب الإجماع، والمخلّى، والفصل في الملل والنحل، توفي سنة (٤٥٦ هـ).

وفيات الأعيان ٣/٣٢٥، سير أعلام النبلاء ١٨/١٨٤، شذرات الذهب ٣/٢٩٩.

(٥) الإحكام في أصول الأحكام: ٤٣/١.

(٦) تقوم الأدلة: ص ٧٧، أصول السرخسي: ١١٠/١، كشف الأسرار للبخاري: ٥٤٩/٢، شرح التلويح على التوضيح: ١٢٣/١، المغني للبخاري: ٨٣-٨٤، ميزان الأصول للسمرقندي ص ٢٨-٢٩.

(٧) انظر الإحالة رقم (٣) من نفس الصفحة.

(٨) أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد بن عمر بن حمدان بن شاقلا، البغدادي، البزاز، شيخ الحنابلة، كان رأساً في الأصول والفروع، جليل القدر، كثير الرواية. توفي في رجب سنة ٣٦٩ هـ.

طبقات الحنابلة ٢/١٢٨، الدر المنضد ١/١٧٦، سير أعلام النبلاء: ١٦/٢٩٢.

(٩) عبد الرحمن بن محمد بن علي بن محمد الحلواني، برع في الفقه وأصوله وناظر، وصنف تصانيف في الفقه والأصول، منها: التبصرة في الفقه، والهداية في أصول الفقه. توفي سنة ٥٤٦ هـ.

الذيل على طبقات الحنابلة ١/٢٢١، الدر المنضد ١/٢٥٨.

قال الخبازي في المغني في أصول الفقه: " فالفرض: القطع والتقدير لغة، وشرعا: ما ثبت بدليل لا شبهة فيه، وحكمه: لزوم الاعتقاد حتى يكفر جاحده، ويفسق تاركه بلا عذر. والواجب: من الوجوب وهو السقوط، سمي به لسقوطه عنا علما، أو لسقوطه علينا عملا، ويحتمل أنه من الوجبة وهي الاضطراب. سمي به لأنه مضطرب بين الفرض والنفل، وبين أنه يلزمنا وأن لا يلزمنا، فلزمنا عملا لا علما.

وفي الشرع: اسم لما لزم بدليل فيه شبهة. مثل الأضحية، وتعيين الفاتحة، وتعديل الأركان في الصلاة، والطهارة في الطواف، وصدقة الفطر والوتر.

وحكمه: وجوب العمل لا الاعتقاد، حتى لا يكفر جاحده، ويفسق تاركه رادا لخبر الواحد، فأما متأولا فلا ^(٢)

أدلة الجمهور:

استدل الجمهور على ترادف الفرض والواجب بما يلي:

١. قوله تعالى: { فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ } (البقرة: من الآية ١٩٧) أي: أوجب، والأصل تناوله حقيقة وعدم غيره، نفيا للمحاز والاشتراك ^(٣). ^(٤)
٢. عن طلحة بن عبيد الله ^(١) قال: جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من أهل نجد، نائر الرأس، يسمع دوي صوته ولا يفقه ما يقول، حتى دنا فإذا هو يسأل عن

(١) نصر في العدة الرواية الثانية، ونسبت المصادر الختلية الرواية الثانية إلى كتابه المهرج [انظر: المسودة ص ٥٠، شرح الكوكب المنير: ٣٥٣/١].

(٢). المغني للخبازي ص ٨٣-٨٤.

(٣) المحاز: في اللغة: اسم مكان (وقيل: مصدر ميمي) مأخوذ من الجواز، وهو: التعدي والعبور. واصطلاحا: والانتقال اسم لما أريد به غير ما وضع له، لمناسبة بينهما.

والاشتراك: لغة: من الشرك، وهو: النصيب، واصطلاحا: هو اللفظ الموضوع لمعنيين أو أكثر.

انظر: المصباح المنير مادة (جاز- شرك)، الحدود لابن فورك ١٤٥-١٤٦، التعاريف: ٢٧٤/١، ٦٣٧، كشاف اصطلاحات الفنون ٢٩٥/١.

(٤) الأمدي في الأحكام: ١٤٠/١، شرح الكوكب المنير: ٣٥٢/١.

الإسلام، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: خمس صلوات في اليوم والليلة فقال: هل علي غيرها؟ قال: لا إلا أن تطوع. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: وصيام رمضان، قال: هل علي غيره؟ قال: لا إلا أن تطوع. قال وذكر له رسول الله صلى الله عليه وسلم الزكاة. قال: هل علي غيرها قال: لا إلا أن تطوع. قال فأدبر الرجل وهو يقول والله لا أزيد على هذا ولا أنقص قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أفلح إن صدق. ^(٣) وجه الدلالة: لم يجعل بين الفرض والتطوع واسطة، بل الخارج عن الفرض داخل في التطوع.

٣. وفي الصحيح أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((يقول الله تعالى: ما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضت عليه، وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه...)) ^(٤).

فلم يذكر واسطة بين الفرض والنفل، فدل على أن الفرض مرادف للواجب.

٤. أن الفرض والواجب استويا في الحد فيجب أن يستويا في الحقيقة، لأن أحدهما جميعا ما لا يسع تركه، أو ما يستحق الثواب بفعله، والعقاب بتركه، فإن اتفقا في المعنى اتفقا في الاسم. ^(٥)

٥. ولأنه لو كان الفرض ما ثبت بدليل مقطوع به، لوجب أن تكون النوافل تسمى فرضا، لأنها أيضا ثبتت بدليل مقطوع به. ^(٦)

٦. ولأن الاختلاف في طريق إثبات الحكم حتى يكون هذا معلوما وهذا مظنونا غير موجب لاختلاف ما ثبت به، فاختلاف طرق الواجبات في الظهور والخفاء، والقوة والضعف، بحيث إن المكلف يقتل بترك البعض منها دون البعض، لا يوجب اختلاف

(١) طلحة بن عبيد الله بن عثمان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم القرشي التيمي، أبو محمد، يعرف بطلحة الخير، أحد العشرة المشهود لهم بالجنة، توفي سنة (٣٦) وله (٦٤) سنة. الاستيعاب ٣١٦/٢، أسد الغابة ٤٦٧/٢، الإصابة ٤٣٠/٣.

(٢) رواه البخاري (٤٦)، مسلم (١١).

(٣) رواه البخاري (٦١٣٧) من حديث أبي هريرة.

(٤) قواطع الأدلة: ٢٣٤/١، الوصول إلى الأصول لابن برهان: ٧٨/١، العدة لأبي يعلى: ٣٨٣/٢، روضة الناظر: ١٥١/١، شرح الكوكب المنير: ٣٥٢/١.

(٥) التبصرة: ٩٤.

الواجب في حقيقته من حيث هو واجب، وكذا اختلاف طرق النوافل غير موجب لاختلاف حقائقها^(١).

٧. ولأن تخصيص الفرض بما ثبت بطريق مقطوع به؛ دعوى لا دليل عليها من جهة الشرع، ولا من جهة اللغة، فكان باطلا، ولأن طريق الأسماء الشرع واللغة والاستعمال، وليس في ذلك فرق^(٢).

٨. ولأن لفظ الوجوب في الإيجاب أكثر من لفظ الفرض، ولأن الفرض يحتمل من المعاني ما لا يحتمله الواجب، ألا ترى أن الفرض مستعمل في التقدير، ولهذا يقال: فرض الحاكم نفقة المرأة إن قدرها. ويستعمل في الإنزال قال تعالى: {إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَأْدُكَ} (القصاص: من الآية ٨٥) أي: أنزل. ويستعمل في البيان كقوله تعالى: {سُورَةٌ أَنْزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا} (النور: من الآية ١) أي: بينهاها. ويستعمل في فرض القوس، وهو إذا حزها فيه. والواجب لا يحتمل إلا معنى واحد، وهو سقوطه عليه، من قولهم وجب الحائط، ووجبت الشمس، فإذا قيل: هذا واجب كان معناه: أنه سقط عليه سقوطا لا بد من فعله، وكان ما نقلوه بالعكس أولى^(٣).

٩. إجماع الأمة على إطلاق اسم الفرض على ما أؤدي من الصلوات المختلف في صحتها بين الأئمة؛ بقولهم أدى فرض الله تعالى، والأصل في الإطلاق الحقيقة^(٤).

نوع الخلاف في المسألة:

صرح جماعة من الأصوليين إلى أن الخلاف في المسألة لفظي^(٥).

قال صاحب التقرير والتحجير: "نص عليه غير واحد من المحققين"^(٦).

(١) الإحكام: ١٤٠/١.

(٢) التبصرة للشيرازي: ٩٤، اللمع ص ٢٣، العدة لأبي يعلى: ٣٨١/٢.

(٣) التبصرة للشيرازي: ٩٥، العدة لأبي يعلى: ٣٨١/٢، نهاية الوصول: ٥١٧/١، وقد أجاب صاحب العدة عن أدلة الجمهور كلها.

(٤) الإحكام: ١٤١/١.

(٥) الضياء اللامع: ١٩١/١، فوائح الرحموت: ٨٣/١، المستصفى: ١٢٨/١، الإحكام: ١٤١/١، شرح العضد على المختصر: ٧٦، نهاية السؤل: ٦٢/١، شرح الكوكب للنير: ٣٥٣/١، غاية السؤل لابن الميرد ص ١٥٦، الحاصل من المحصول: ٢٣٧/١، البحر المحيط: ١٤٥/١، شرح المهلي على جمع الجوامع: ٨٨/١، الروضة لابن قدامة: ١٥٥/١.

(٦) التقرير والتحجير: ١٩٨/٢.

لكن أشار ابن السبكي في الإجماع^(١)، وابن اللحام^(٢) في القواعد، والقاضي عبد الوهاب^(٣) فيما نقله عنه الشاطبي^(٤)، على أن الخلاف معنوي.

قال السبكي:

" ولو قالوا إن هذا مجرد اصطلاح لم نشاححهم، والنزاع في موافقته للأوضاع اللغوية، ثم زادوا وادعوا أن الفرض والواجب مختلفان بالحقيقة، وقصدهم من هذا أن الوتر واجب وليس بفرض، وقراءة الفاتحة في الصلاة واجبة بالحديث، وأصل القراءة فرض بقوله تعالى: {فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ} (المزمل: من الآية ٢٠). ولو سلم لهم الاختلاف في الطريق لم يلزم منه الاختلاف في الحقيقة، ثم لم يستمروا على ذلك، وجعلوا القعدة في الصلاة فرضا ومسح ربيع الرأس فرضا ولم يثبتا بقاطع.

وقد جاء في الحديث فريضة الصدقة يعني النصب والمقادير. ويلزم الحنفية ألا يكون شيء من ذلك فرضا.

وألزمهم القاضي ألا يكون شيء مما ثبت وجوبه بالسنة كنية الصلاة، ودية الأصابع والعاقلة فرضا، لما ادعوا أن الفرض ما ثبت بالقرآن^(٥) والواجب ما ثبت بالسنة^(٦).

(١) مع أنه قرر في جمع الجوامع (٥٥/١) أن الخلاف لفظي، وكما لا يخفى فإن جمع الجوامع ألفه بعد الإجماع.

(٢) علي بن محمد بن علي بن عباس البجلي المعروف بابن اللحام الحنبلي، علاء الدين، الفقيه الأصولي، شيخ الحنابلة في وقته، من تأليفه: القواعد والفوائد الأصولية، المختصر في أصول الفقه، والأعبار العلية في اختيارات الشيخ تقي الدين بن تيمية. توفي سنة (٨٠٣هـ). انظر: الدر المنضد ٥٩٦/٢.

(٣) عبد الوهاب بن علي بن نصر بن أحمد بن حسين أبو محمد التغلبي العراقي الفقيه المالكي، شيخ المالكية، صنف في الملعب، التلخيص والإفادة في أصول الفقه، وكتاب التلقين وهو من أجود المختصرات، وعيون المسائل في الفقه، والإشراف على مسائل الخلاف، وغير ذلك. توفي سنة ٤٢٢ هـ. انظر: الدياج ٢٦٢، شجرة النور ١٠٣.

(٤) إبراهيم بن موسى الفرناطي، الشهير بالشاطبي، المالكي. كان له القدم الراسخ في سائر الفنون والمعارف، وله استنباطات حليلة وفوائد لطيفة وأبحاث شريفة مع الصلاح والعفة والورع، واتباع السنة، واجتناب البدع، رائد علم المقاصد. له كتاب الموافقات، والاعتصام، والإفادات والإنشادات، توفي سنة (٧٩٠هـ). انظر: شجرة النور.

(٥) صرح أصحاب أبي حنيفة بأن الفرض ما ثبت وجوبه بطريق مقطوع به بكتاب أو سنة متواترة أو إجماع، لكنهم لم يلتزموا بهذا في فروعهم كما أشار إليه السبكي.

قال ابن اللحام:

" قال غير واحد والنزاع في المسألة لفظي، فإن أريد أن المأمور به ينقسم إلى مقطوع به ومظنون فلا نزاع في ذلك، وإن أريد أنه لا تختلف أحكامها، فهذا محل نظر فإن الحنفية ذكروا مسائل فرقوا فيها بين الفرض والواجب، منها:

- الصلاة فإنها مشتملة على فروض وواجبات والمراد بالفرض الأركان وأن الفرض لا يتسامح في تركه سهواً، والواجب لا يتسامح في تركه عمداً.^(١)

قال الشاطبي: وكذلك الفرض والواجب يتعلق النظر فيهما مع الحنفية بناء على مرادهم فيهما. قال القاضي عبد الوهاب -في مسألة الوتر أوجب هو-: إن أرادوا به أن تركه حرام يجرح فاعله به، فالخلاف بيننا وبينهم في معنى يصح أن تتناوله الأدلة، وإن لم يريدوا ذلك، وقالوا لا يحرم تركه ولا يجرح فاعله فوصفه بأنه واجب خلاف في عبارة لا يصح الاحتجاج عليه. وما قاله حق فإن العبارات لا مشاحة فيها، ولا يبنني على الخلاف فيها حكم، فلا اعتبار بالخلاف فيها.^(٢)

ومن الأمثلة التطبيقية لهذا الخلاف:

١. قال ابن القيم^(٣): "الحجة الثالثة ما في الصحيحين أيضاً عن عائشة^(٤) قالت كان يوم عاشوراء تصومه قريش في الجاهلية فذكرت الحديث إلى أن قالت فلما فرض رمضان كان هو الفريضة الحديث^(٥) .

(١) الإجماع: ٥٥/١.

(٢) القواعد والفوائد الأصولية: ٩٥.

(٣) الموافقات: ٢٢٠/٤.

(٤) محمد ابن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي، شمس الدين أبو عبد الله المعروف بابن القيم الجوزية، الدمشقي، الفقيه الأصولي، المفسر، الحافظ، المحدث، النحوي، الشاعر، الأديب، اللغوي، من أشهر تلاميذ شيخ الإسلام بن تيمية، من تصانيفه إعلام الموقعين عن رب العالمين، مدارج السالكين، الصواعق المرسلات، زاد المعاد، وغيرها كثير. توفي سنة ٧٥١ هـ. انظر: ذيل طبقات الحنابلة ٤٤٧/٢ للمقصد الأرشد ٥٧/٢، الدر المنضد ٥٢٣/٢.

(٥) عائشة بنت أبي بكر الصديق عبد الله بن أبي قحافة عثمان بن عامر. التيمية، القرشية، أم عبد الله، أم المؤمنين، زوجة النبي صلى الله عليه وسلم. توفيت سنة (٥٨) للهجرة، أحاديثها (٢٢١٠).

فقولها "كان هو الفريضة" دل على أن عاشوراء كان واجبا وأن رمضان صار هو الفرض لا عاشوراء، وإلا لم يكن لقولها كان هو الفريضة معنى.

قال الموجبون: وأما حديث معاوية^(٢) فمعناه ليس مكتوبا عليكم الآن أو لم يكتبه بعد نزول رمضان، أو إنما نفى الكتب وهو الفرض المؤكد الثابت بالقرآن ووجوب عاشوراء إنما كان بالسنة ولا يلزم من نفى كتبه وفرضه نفى كونه واجبا، فإن المكتوب أخص من مطلق الواجب.

وهذا جار على أصل من يفرق بين الفرض والواجب^(٣).

٢. قال ابن حجر^(٤): ((...عن ابن عمر^(٥) أنه قال لم يفرض علينا السجود إلا أن نشاء^(٦) ...

انظر: الاستيعاب ٤/٤٣٥، أسد الغابة ٦/١٨٨، الإصابة ٨/٢٣١.

(١) رواه بهذا اللفظ أبو داود (٢٤٤٢)، والبيهقي في الكبرى ٤/٢٨٨، وابن حبان ٨/٣٥٢. وأصله عند البخاري (١٥١٥)، ومسلم (١١٢٥).

(٢) في الصحيحين عن معاوية بن أبي سفيان قال: أئبن علماءكم يا أهل المدينة. سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: لهذا اليوم: "هذا يوم عاشوراء ولم يكتب الله عليكم صيامه". وهو: معاوية بن صخر (أبي سفيان) بن حرب بن أمية بن عبد شمس، أمير المؤمنين، أبو عبد الرحمن، الأموي، القرشي. مات سنة (٦٠) رضي الله عنه. انظر: الاستيعاب ٣/٤٧٠، أسد الغابة ٤/٤٣٣، الإصابة ٦/١٢٠، سير أعلام النبلاء ٣/١١٩.

(٣) حاشية ابن القيم على أبي داود: ٧/٨٢. قال ابن حجر في موضع غير الذي نحن فيه: وتفرق الحنفية بين الفرض والواجب باعتبار ما يثبتان به لا مشاحة فيه، وإنما النزاع في حمل ما ورد من الأحاديث الصحيحة على ذلك لأن اللفظ السابق لا يحمل على الاصطلاح الحادث والله أعلم. فتح الباري: ٣/٣١٨، نيل الأوطار ٤/١٨٤.

(٤) هو أحمد بن علي بن محمد، شهاب الدين، أبو الفضل، الكتاني العسقلاني المصري الشافعي حافظ الدين في زمانه أمير المؤمنين في الحديث الإمام القاضي صاحب التصانيف النافعة، من تصانيفه: فتح الباري شرح صحيح البخاري، الإصابة في تمييز الصحابة، نخبه الفكر في مصطلح الحديث، الدر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، وغيرها كثير، ولد سنة (٧٧٣هـ) يومات سنة (٨٥٢هـ). الضوء اللامع ٢/٣٦، طبقات الحفاظ ٥٤٨، شذرات الذهب ٧/٢٧٠.

(٥) عبد الله بن عمر بن الخطاب بن نفيل، أبو عبد الرحمن، القرشي، العلوي، توفي سنة (٨٤) وله (٨٧) سنة، أحاديثه (٢٦٣٠). الاستيعاب ٣/٨٠، أسد الغابة ٣/٢٣٦، الإصابة ٤/١٥٥، سير أعلام النبلاء ٣/٢٠٣.

(٦) رواه البخاري (١٠٧٧).

واستدل بقوله: (لم يفرض) على عدم وجوب سجود التلاوة. وأجاب بعض الحنفية على قاعدتهم في التفرقة بين الفرض والواجب بأن نفى الفرض لا يستلزم نفى الوجوب. وتعقب بأنه اصطلاح لهم حادث وما كان الصحابة يفرقون بينهما^(١)

هل تعلق الوجوب بأول الوقت أم بآخره في الواجب الموسع.

تعريف الواجب الموسع:

أ. في اللغة.

ب. في الاصطلاح.

ج. رأي القاضي عياض.

د. تحرير محل الخلاف.

هـ. آراء الأصوليين.

و. الأدلة والترجيح.

(١) فتح الباري، باب من رأى أن الله عزو جل لم يوجب السجود: ٦٥١/٢، وتحفة الأحوذى، باب ما جاء من لم

أ. تعريف الواجب الموسع لغة:

سبق تعريف الواجب لغة.

أما الموسع فهو من التوسيع خلاف التضييق، تقول وَسَّعَ الشيءَ فَاتَّسَعَ وِاسْتَوْسَعَ أَي صارَ وَاسِعًا وَتَوَسَّعُوا فِي الْمَجْلِسِ تَفْسَحُوا، وَالْوَاسِعُ فِي أَسْمَاءِ اللَّهِ تَعَالَى هُوَ الَّذِي وَسَّعَ غِنَاهُ كُلَّ فَقِيرٍ، وَرَحِمَتَهُ كُلَّ شَيْءٍ.^(١)

ب. اصطلاحاً:

الفعل بالنسبة إلى الوقت يكون على أحد وجوه ثلاثة ^(٢) :

الأول: أن ينقص الوقت عن الفعل، فالتكليف به لا يجوز إلا على القول بتحيز المحال، نحو إيجاب صلاة أربع ركعات في طرفة عين، لكن يجوز لغرض القضاء كوجوب الظهر على الزائل عذره، وقد بقي قدر تكبيرة.

الثاني: أن يكون الوقت بقدر الفعل، أي يساوي الفعل المطلوب، كصوم رمضان، فيسمى بالواجب المضيق.

الثالث: أن يزيد الوقت على الفعل، أي وقت العبادة أكثر من الزمن الذي يحتاج إلى فعلها، كأوقات الصلوات الخمس، والحج، فيسمى هذا بالواجب الموسع، وهو محل خلاف بين العلماء.

وحينئذ يكون تعريفه: ما يسع وقته فعل غيره من جنسه معه.

ج. رأي القاضي عياض.

قال القاضي عياض: (واختلف في وقت وجوب وتعين الخطاب على المصلي في أوقات هذه الصلوات:

- فمذهب المالكية: أن الوجوب يتعلق بأول الوقت، وأن الجميع وقت موسع للوجوب، وحكى ابن القصار هذا عن الشافعي.

(١) انظر: مادة (وسع) من مختار الصحاح، ولسان العرب، والنهاية في غريب الحديث.

(٢) انظر: ميزان الأصول ص ٢١٤، المحصول للرازي ١٧٣/٢، الإجماع: ٩٣/١، البحر المحيط ١٦٧/١، لمائة

السؤل ١٢٠/١، شرح مختصر الروضة ٣١٢/١، شرح الكوكب للنير ٣٦٩/١، للدعل: ١٥٩، المعتمد

- واختار بعض أصحابنا: أن وقت الوجوب فيه ليس بمتعين، وإنما يعينه المكلف بفعله .
- وذهب بعضهم: إلى أنه لا يجوز التأخير عن أول الوقت إلا ببدل وهو العزم.
- وأجاز غيره: تركها لغير بدل، لتوسعة وقتها، إلى أن يبقى من الوقت مقدار ما يفعل فيه فيتعين .
- وذهب الشافعي: إلى أن وقت الوجوب أوله، وإنما ضرب آخره فصلا بين الأداء والقضاء^(١) .
- وعارض هؤلاء بأن التائيم متعلق بترك الواجب، ولا يؤثم أحدٌ ترك الصلاة لأول الوقت .
- وذهب الحنفية: إلى أن الوجوب متعلق بآخره.
- وعارض هؤلاء بالإجماع على جواز الصلاة لأول الوقت، وسقوطها عن صلاحها حيثئذ، ولو كانت لم تجب بعد لم تجزئ، كما لا تجزئ قبل الوقت.
- واضطربت أقوالهم في صلاته قبل آخر الوقت، هل هي نفل أو فرض، يترتب ببقاء المكلف إلى آخر الوقت. وفعل المسلمین بالمبادرة إلى أوائل الأوقات يبطل قولهم. انتهى^(٢)
- تبين لنا مما سبق نقله عن القاضي أنه يرجح قول مالك والشافعي في أن الوجوب متعلق بجميع الوقت، لكنه لم يبين رأيه في مسألة التأخير عن أول الوقت، هل يشترط فيه البدل أم لا، وإن كان الذي يظهر لي أنه يميل إلى عدم وجوب البدل، وذلك لأنه علل لهذا القول دون الآخر.

وقال حلولو^(٣): ((والذي عليه الجمهور، وأكثر المالكية، وقال القاضي عياض هو مذهب مالك: أن جميع وقت الظهر ونحوه كوقت العصر، وقت الأداء، لقوله عليه السلام — لما

(١) الأداء: لغة: إعطاء الحق لصاحبه، واصطلاحاً: فعل العبادة في وقتها المَعْنى لها شرعاً.

والقضاء: لغة: الحكم، واصطلاحاً: إيقاع العبادة بعد الوقت المَعْنى لها شرعاً.

انظر: القاموس المحيط مادة (أدى- قضى)، تقريب الوصول لابن جزى ٢٣١، شرح الكوكب المنير ١/٣٦٣.

(٢) إكمال المعلم: كتاب المساجد، باب أوقات الصلوات الخمس، ٥٧٤\٢.

(٣) أبو العباس أحمد بن عبد الرحمن الزليطي - الشهير بحلولو- (ت: ٨٧٥هـ). انظر: شجرة النور ٢٥٩.

بين الوقت - (مايين هذين وقت) ^(١) وقالوا: لا يجب على المؤخر العزم على الامتثال...))، ونحوه للرهوني ^(٢).

د. تحويل محل النزاع:

- أجمعت الأمة على أن الواجب الموسع إذا فعل في أول الوقت سقط به الفرض ^(٣).
- واتفقوا على أنه إذا ضاق وقت الواجب الموسع حتى أصبح لا يسع إلا إيقاع الفعل، أن ذلك الوقت يتعين للوجوب، ولو أضر المكلف من غير عذر يأثم.
- واتفقوا على أن المكلف لو غلب على ظنه أنه يموت بتقدير التأخير عن أول الوقت فأخره أنه يعصي وإن لم يموت ^(٤).
- واختلفوا في وقت وجوبه على أقوال عدة، ويمكن حصرها في اتجاهين:
الأول: المثبتون للواجب الموسع، وهؤلاء هم جمهور الأمة، وأهل العلم من الحنفية، والمالكية، والشافعية، والحنابلة.
- الثاني: المنكرون للواجب الموسع، وهؤلاء هم بعض الحنفية، وبعض المتكلمين، ونسب لبعض الشافعية ^(٥).

هـ. آراء الأصوليين في المسألة:

-
- (١) مسلم (٦١٤).
 - (٢) الضياء اللامع شرح جمع الجوامع ٣٣١\١، تحفة المسؤول شرح مختصر ابن الحاجب ٤٧\٢.
 - (٣) إحكام الفصول ١٠٦\١.
 - (٤) الأحكام للآمدي: ١٥٠/١، والقواعد والفوائد الأصولية ص ٨٣.
 - (٥) قالوا: هو بالإضافة إلى أول الوقت ندب، وبالإضافة إلى آخره واجب، بدليل أنه في أول الوقت يجوز تركه دون آخره. قلنا: بل حد الندب ما يجوز تركه مطلقاً، وهذا لا يجوز إلا بشرط، وهو الفعل بعده، أو العزم على الفعل، وما جاز تركه بشرط فليس بندب، كما أن كل واحد من محصال الكفارة يجوز تركه إلى بدل. انظر: روضة الناظر: ٣١/١.

وإليك الأقوال في هذه المسألة:

القول الأول: إن جميع الوقت وقت للوجوب -أوله ووسطه وآخره - ويتعين آخره للأداء.

وهذا قول جمهور الحنفية^(١)، والمالكية^(٢)، والشافعية^(٣)، والحنابلة^(٤)، والمعتزلة^(٥)، وأكثر المتكلمين^(٦)، وإليه مال القاضي عياض.

القول الثاني: وقت الوجوب هو أول الوقت، وفعل الواجب بعد ذلك يكون قضاءً. نسب هذا القول للشافعية، وكثير منهم على إنكاره^(٧).

القول الثالث: وقت الوجوب هو آخره، فإن قدمه فهو نفل يسقط به الفرض. وبه قال أكثر الحنفية العراقيين^(٨).

(١) تقويم الأدلة ص ٦٨، وكشف الأسرار ٤٥٨/١، وأصول السرغسي ٣١١/١، وميزان الوصول ص ٢١٨، وفواتح الرحموت ٦٤١/١، نشر البنود ١٨٢/١.

(٢) إحكام الفصول ١٠٦/١، وشرح التنقيح ص ١٢٠، والضياء اللامع ٣١٣/١، ومفتاح الوصول ص ٣٣٨، وتقريب الوصول ص ٨٨، ونثر الورود ٢٢١/١.

(٣) اللع ص ٧٢، والمستصنى ١٣٤/١، والمحصل ١٧٥/٢، والإحكام للآمدي ١٤٦/١، والبحر المحييط ١٦٧/١، ونهاية السؤل ١٢٠/١.

(٤) العدة ٣١٠/١، والتمهيد ٢٤٠/١، والمسودة ١٢٩/١، وروضة الناظر ١٦٥/١، وأصول الفقه لابن مفلح ٢٠٤/١، وشرح الكوكب المنير ٣٦٩/١، والمدخل ص ١٥٩، وشرح مختصر الروضة ٣١٢/١، والمختصر في أصول الفقه ص ٦١، وشرح غاية السؤل ص ١٦٢.

(٥) كالمجالي وابنه وأصحابهما، للمعتمد ١٣٥/١، الإحكام للآمدي ١٤٦/١، المحصول ١٧٥/١، البحر المحييط ١٦٧/١، للمسودة ١٢٩/١.

(٦) نشر البنود ١٨١/١، كشف الأسرار ٤٥٨/١، ميزان الأصول ص ٢١٨، الإحكام: ١٤٦/١، شرح الكوكب المنير ١٦٩/١، شرح غاية السؤل ص ١٦٣.

(٧) إحكام الفصول ١٠٦/١، شرح التنقيح الفصول ١٢٠/١، كشف الأسرار ٤٥٨/١، فواتح الرحموت ٦٥/١، المحصول ١٧٥/١، الإمهاج ٩٣/١، البحر المحييط ١٧٠/١، نهاية السؤل ١٢١/١، أصول الفقه لابن مفلح ٢٠٦/١، شرح الكوكب المنير ٢٦٩/١.

(٨) أصول السرغسي ٣١/١، كشف الأسرار ٤٥٨/١، تيسر التحرير ١٩١/٢، فواتح الرحموت ٦٥/١، ونسبة هذا القول على إطلاقه للحنفية يناقض ما في كتبهم الأصولية، والصحيح نسبة هذا القول للعراقيين منهم.

القول الرابع: رأي الكرخي^(١) من الحنفية، وتردد قوله فتارة يقول: يتعين الواجب في أي

(١) عبيد الله بن الحسن بن دلال بن دهم، أبو الحسن البغدادي، الشيخ الزاهد مفتي العراق ، شيخ الحنفية، انتهت إليه رئاسة الحنفية في عصره، وله في الأصول رسالة ذكر فيها الأصول التي عليها مدار كتب أصحاب أبي حنيفة، توفي سنة ٣٤٠. الفهرست ٢٩٣، الفوائد البهية ١٠٨، الجواهر المضية ٢/٤٩٣ سير أعلام النبلاء ١٥/٤٢٦.

أجزاء الوقت كان. وتارة يقول: إن بقي الفاعل مكلفا إلى آخر الوقت، كان ما فعله قبل ذلك واجبا^(١).

القول الخامس: أنه غير متعين، وإنما يتعين بالفعل كالكفارات^(٢).

● مسألة العزم على الفعل عند التأخير:

اختلف الجمهور القائلون بالواجب الموسع فيما بينهم هل يشترط في تأخير الواجب الموسع إلى آخر وقته العزم على فعله، بدل الترك في أول الوقت ووسطه على قولين:

القول الأول: لا يشترط في جواز التأخير العزم على الفعل، وبه جزم الباجي^(٣)، ورجحه ابن العربي^(٤)، وهو اختيار الرازي^(٥) واتباعه، وابن الحاجب^(٦)، وابن السبكي، وأبي

(١) فواتح الرحموت ٦٥١/١، تيسر التحرير ١٩١/١، ميزان الوصول ص ٢١٧-٢١٨، وذكر عن الكرخي ثلاث روايات في المسألة وبين حكم العمل بها. إحكام الفصول ١٧٠/١، شرح مختصر للمضد ص ٨٠، الإحكام للآمدي ١٤٧/١، المحصول ١٧٥/٢، البحر المحيط ١٧٠/١، العدة ١٣٠/١، للسودة ١١/١٣١، شرح الكوكب المنير ٣٧١/١، للدخل ص ١٥٩.

(٢) تقريب الوصول ص ٨٨، العدة ٣١١/١، للسودة ٣١١/١، أصول الفقه لابن مفلح ٢٠٦/١، المختصر لابن اللحام ص ٦١، شرح غاية السؤل ص ١٦٤.

(٣) سليمان بن خلف بن سعد بن أيوب، أبو الوليد، التحفي، الأندلسي، القرطبي، الإمام، العلامة، الحافظ، ذو الفنون، القاضي. قال بن حزم: لم يكن لأصحاب المذهب المالكي بعد القاضي عبد الوهاب مثل أبي الوليد الباجي. صاحب التصانيف ومنها: إحكام الفصول، والإشارات والنهاج، والحدود وكلها في الأصول، والتنقي، وغير ذلك كثير، توفي سنة (٤٧٤هـ). انظر: الديباج ١٩٧، شجرة النور ١٢٠، وسير أعلام النبلاء ٥٣٥/١٨.

(٤) محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله المعروف بابن العربي، الأندلسي، الأشبيلي، المالكي، الحافظ، للمتبحر، حائمة علماء الأندلس وحفاظها، شهرته تغني عن التعريف به، من كتبه: المحصول في أصول الفقه، أحكام القرآن، وعارضة الأحوزي، والقبس، والعواصم من القواصم، وغيرها كثير. توفي سنة: (٥٤٣هـ). انظر: الديباج ٣٧٦، شجرة النور ١٣٦.

(٥) محمد بن عمر بن الحسين، أبو عبد الله فخر الدين الرازي، القرشي البكري الطبرستاني، الفقيه، الأصولي، المفسر، فاق أهل زمانه في علم الكلام والمقولات وعلم الأوائل، من مؤلفاته: المحصول، والمتعجب، والمعالم، في أصول الفقه، ومفاتيح الغيب (التفسير الكبير) ولد سنة (٥٤٤هـ) ومات بمرة يوم عيد الفطر سنة (٦٠٦هـ)، وفيات الأعيان ٢٤٨/٤، طبقات الشافعية للسبكي ٨١/٨، طبقات المفسرين، للودوي ٢١٥/٢.

(٦) عثمان بن عمر بن أبي بكر الكردي الإسناي المالكي أبا عمرو المعروف بابن الحاجب، كان علامة زمانه، رئيس أقرانه، صاحب التصانيف، ومنها مختصره الأصولي الذي هو كتاب الناس شرقا وغربا وصنف في القراءات والعروض، وله الجامع بين الأمهات، والكافية والشافعية. (ت: ٦٤٦هـ). الديباج ٢٨٩، شجرة النور ١٦٧.

الخطاب^(١)، ومجد الدين ابن تيمية^(٢)، وأبي الحسين البصري^(٣) من المعتزلة، وجمهور الفقهاء^(٤).

القول الثاني: يشترط في جواز التأخير العزم على الفعل، وبه قال أكثر المالكية، والشافعية، والحنابلة، والجبائي^(٥) وابنه^(٦) من المعتزلة، وجمهور المتكلمين، وحزم به القاضي عبد الوهاب، ورجحه القرابي^(٧) في الذخيرة، ورجحه النووي^(٨) ونسبه إلى المحققين من

(١) محفوظ بن أحمد بن الحسن بن أحمد، الكلؤاني الحنبلي، أحد أئمة المذهب وأعيانه، إمام وقته وفريد عصره في الفقه والأصول، صنف كتابا حسنا منها: التمهيد في الأصول، والهداية في الفقه، والتهذيب في الفرائض، توفي سنة (٥١٠هـ). ذيل طبقات الحنابلة ١/١١٦، الدر المنضد ١/٢٣٣.

(٢) عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم الخضر بن محمد بن تيمية، أبوبكر الفقيه الأصولي، المقرئ المفسر، النحوي، فقيه وقته، من كبار أئمة المذهب الحنبلي، من تصانيفه: المنتقى من أحاديث الأحكام، والمحرر في الفقه، والمسودة مع مشاركة ابنه وحفيده له، توفي في سنة (٦٥٢هـ). الذيل على طبقات الحنابلة ٢/٢٤٩، الدر المنضد ١/٣٩٤.

(٣) محمد بن علي بن الطيب البصري أحد أئمة المعتزلة كان يشار إليه بالبنان في علم الأصول والكلام قوي في الجادلة والدفاع عن أراء المعتزلة. من تصانيفه: المعتمد في أصول الفقه وهو كتاب قيم من مصادر كتاب الرازي (المحصل). توفي عام ٤٣٦ هـ. وفیات الأعيان ٣/٤٠١، الفتح المبين ١/٢٣٧.

(٤) شرح الزرقاني: ٢/٢٥٩، الضياء اللامع ١١/٢٣١، نشر البنود ١١/٢٢٢، الإحكام للأمني ١١/١٤٧، المحصول ١١/١٧٥، البحر المحیط ١١/١٦٧، التمهيد ١١/٢٤٤، للسودة ١١/١٣٠، أصول الفقه لابن مفلح ١١/٢٠٥، شرح الكوكب النور ١١/٣٧١، المدخل ص ١٥٩، المعتمد ١١/١٣٥.

(٥) محمد بن عبد الوهاب البصري، أبو علي، شيخ المعتزلة، وتنسب الطائفة الجبائية، أخذ عن أبي يعقوب الشحام، له كتاب الأصول، وتفسير القرآن، ومات خلفا ابنه أبو هاشم الجبائي، مات بالبصرة سنة (٣٠٣هـ). شذرات الذهب ٢/٢٤١، وفیات الأعيان ٤/٢٦٧، سير أعلام النبلاء ١٤/١٨٣.

(٦) عبد السلام بن محمد بن عبد الوهاب الجبائي، تنسب إليه إحدى طوائف المعتزلة المسماة البهشمية، من مصنفاته الجامع، وكتاب العرض، وكتاب المسائل العسكرية، توفي سنة (٣٢١هـ)، وفیات الأعيان ٣/١٨٣، الفتح المبين ١/١٧٢.

(٧) شهاب الدين أبو العباس أحمد بن إدريس القرابي الصنهاجي المصري، الشيخ العلامة رئيس المالكية في عصره، عمدة أهل التحقيق والرسوخ، له نفائس الأصول، وتنقيح الفصول وشرحه، والفروق، والعقد المنظوم في العموم الخصوص، (ت: ٦٨٤هـ). انظر: الديباج ١٢٨، شجرة النور ١٨٨.

(٨) يحيى بن شرف بن حسن بن حسين بن محمد، أبو زكريا، النووي الدمشقي الشافعي، فقيه، محدث، لغوي، مشارك في بعض العلوم، له مؤلفات منها: الأربعون في الحديث، روضة الطالبين وعمدة المفتين في الفقه،

الفقهاء والأصوليين، واختاره أبو بكر الباقلاني^(١)، وإمام الحرمين، والغزالي^(٢)، وأبو يعلى^(٣)، وابن قدامة^(٤).^(٥)

أدلة الجمهور في أن جميع الوقت وقت للوجوب، وأنه لا يجب العزم على الفعل عند التأخير^(٦):

استدل الجمهور بأدلة منها :

-
- وتحذيق الأسماء واللغات، ورياض الصالحين، وشرح صحيح مسلم ، والمجموع شرح المذهب. ولد بنوي عام (١) محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر بن قاسم البصري ثم البغدادي ابن الباقلاني، القاضي أبو بكر، أصولي متكلم على مذهب الأشعري، انتهت إليه رئاسة المالكون بالعراق، له من التصانيف: التقريب والإرشاد، والتمهيد والمقنع في أصول الفقه، توفي سنة (٤٠٣هـ). انظر: الديباج ٣٦٣، شجرة النور ٩٢.
- (٢) محمد بن محمد بن أحمد زين الدين أبو حامد الطوسي الشافعي، الغزالي، فقيه، أصولي، متكلم، له مشاركات في علوم أخرى، له مؤلفات منها : المستصفي، والمنحول في أصول الفقه، والوجيز في فروع الفقه الشافعي، تهافت الفلاسفة، إحياء علوم الدين، وغير ذلك. ولد سنة (٤٥٠هـ)، وتوفي سنة (٥٠٥هـ).
- انظر: طبقات الشافعية ١٩١/٦، وفيات الأعيان ٢١٦/٤، وسير أعلام النبلاء ٣٢٢/١٩، وشرحات الذهب ١٠/٤.
- (٣) محمد بن الحسين بن محمد بن خلف بن أحمد بن الفراء، أبو يعلى البغدادي الحنبلي، أحد أئمة الحنابلة الكبار، شيخ للمذهب، كان له في الأصول والفروع القدم العالي، وفي شرف الدنيا والدين اهل السامي، صاحب التصانيف المفيدة في المذهب منها: أحكام القرعان، ومسائل الإيمان، والعدة، والكفاية في أصول الفقه، وغيرها كثير. توفي سنة ٤٥٨ هـ.
- انظر: طبقات الحنابلة ١٩٣/٢، الدر المنضد ١٩٨/١.
- (٤) عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة، موفق الدين أبو محمد المقدسي الجماعيلي الحنبلي، الفقيه الزاهد، من أعيان أئمة للمذهب في الفقه وأصوله، صنف مصنفات جليلة في فنون كثيرة منها: المغني، والمقنع، والكافي، والعدة في الفقه، والروضة في الأصول، توفي سنة ٦٢٠هـ. انظر: الذيل على طبقات الحنابلة ١٣٣/٢، والدر المنضد ٣٤٦/١.
- (٥) شرح تنقيح الفصول ١٢١/١، شرح الزرقاني: ٢/٢٥٩، المحصول ١٧٥/١، شرح النووي: ٢٣/٨، نهاية السؤل ١٢١/١، البحر المحيط ١٦٨/١، العدة ٢١١/١، روضة الناظر ١٧٢/١، المسودة ١٣٠/١، شرح مختصر الروضة ٣١٢/١، للدخل ص ١٥٩.
- (٦) تنظر الأدلة في: أحكام الفصول ١٠٦/١، كشف الأسرار ٤٦/١، ميزان الوصول ص ٢١٩، الإحكام للأمدى ١٤٦/١، المستصفي ١٣٤/١، فواتح الرحموت ٦٥/١، التحصيل ٣٠٥/١، شرح الكوكب المنير ٣٧١/١، أصول الفقه لابن مفلح ٢٠٦/١، التحبير شرح التحرير ٩١١/٢ - ٩١٠.

١. قوله تعالى: {أَقِمِ الصَّلَاةَ لِذُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ} (الإسراء: من الآية ٧٨). وجه الدلالة أن الأمر يتناول جميع الوقت، ولم يتقيد بجزء معين من أوله أو وسطه أو آخره، فدل ذلك على أن جميع الوقت وقت للفعل.

٢. صلاة النبي صلى الله عليه وسلم أول الوقت وآخره وقوله للسائل: ((الوقت ما بينهما))^(١)، وكذلك قول جبريل للنبي صلى الله عليه وسلم - عندما أمه في اليومين - ((ما بين هذين وقت كله))^(٢).

٣. ولأنه لو تعين جزء لم يصح قبله، ويكون الفعل بعده قضاءً فيعصى بتأخيره عنه، وهو خلاف الإجماع^(٣).

٤. ليس بعض الوقت أولى من الآخر، ففي تعيين أوله أو آخره تحكم لا دليل عليه.^(٤)

٥. قال الغزالي في المستصفى: أما العقل، فإن السيد لو قال لعبده خط هذا الثوب في بياض هذا النهار، إما في أوله أو في وسطه، أو في آخره، كيفما أردت فهمهما فعلت امتثلت إيجابي، فهذا معقول. ولا يخلوا إما أن يقال: لم يوجب شيئاً أصلاً، أو أوجب شيئاً مضيقاً، وهما محالان. فلم يبق إلا أنه أوجب موسعاً^(٥).

٦. كذلك الإجماع منعقد قبل صدور هذه الآراء على الواجب موسع، كما صرح بذلك صاحب فواتح الرحموت، فقال: لنا أن الأمر وسع وقت الفعل وخير المكلف بالأداء في أي وقت شاء، لأنه لو أتى في أي جزء لا يعد عاصياً، بالإجماع قبل حدوث هذه الآراء^(٦).

الرد على القائلين بالعزم:

١. وجوب العزم والتخيير بينه وبين الفعل، وتعيين وقته تحكم لا دليل عليه^(٧).

(١) رواه أبو يعلى في مسنده ٢٤١/٣، من حديث البراء بن عازب، وانظر: المطالب العالمة ١٩٢/٣، مجمع الزوائد ٣٠٤/١.

وعند مسلم (١٣٩٢)، بلفظ: الوقت بين هذين، من حديث أبي موسى الأشعري في قصة.

(٢) رواه النسائي (٥٢٦)، وأحمد ٢٣٠/٣، والحاكم ٣١٠/١، وقال: صحيح مشهور، وابن حبان ٣٣٥/٤، من حديث جابر، وجاء من حديث ابن عباس وغيره.

(٣) أصول الفقه لابن مفلح ٢٠٧/١، التحبير شرح التحرير ٩١١/٢، شرح الكوكب للنير ٢٧١/١.

(٤) الإجماع: ٩٣/١.

(٥) للمستصفى ١٣٤/١.

(٦) فواتح الرحموت ٦٥/١.

٢. ولأن الأمر دل على وجوب الفعل، والأصل عدم وجوب غيره^(١).

٣. لو صح العزم بدلا لتأدى الواجب به.

٤. لو وجب العزم في الجزء الثاني لتعدد البذل والمبدل واحد^(٢).

٥. حقيقة الواجب الموسع ترجع عند البحث إلى الواجب المخير فإن الأمر كأنه قال افعل هذه العبادة إما في أول الوقت أو في وسطه أو في آخره وإذا لم يبق من الوقت إلا قدر ما لا يفضل عنه فافعله لا محالة ولا تتركه البتة ...

وعلى هذا التقدير لا حاجة إلى إثبات بدل هو العزم^(٣).

(١) نشر البنود ١٨٢\١ ثر الورود ٢٢٢\١ ، أصول الفقه لابن مفلح ٢٠٩\١ ، التحبير شرح التحرير ٩١١\٢ .

(٢) المحصول: ٢٩٢/٢ .

(٣) الإمّا ج: ٩٣/١ .

(٤) المحصول: ٢٩٨/٢ - ٣٠٠ .

مسألة: إذا نسخ الوجوب هل يبقى الجواز

قال القرافي وصورة المسألة أن يرد الأمر ثم يقول الأمر: رفعت الوجوب عنكم فقط لا يزيد على ذلك، أما إن نسخ الأمر بالتحريم ثبت التحريم قطعاً. أو قال: رفعت جملة ما دل عليه الأمر السابق من جواز وغيره، فإنه لا يستدل به على الجواز^(١).

رأي القاضي عياض في المسألة:

قال القاضي عياض: ((وقولها-عائشة رضي الله عنها- (فأقرت صلاة السفر)^(٢) أي بقيت على ما كانت قبل النسخ من وجوبها ركعتين، وهذا على قول من يقول: إن القصر فرض. وأما من جعله سنة فمعناه: أنها أقل ما يجزئ، لا بمعنى الوجوب، فيكون الوجوب فقط في السفر منسوخاً، والقصر في الحضر منسوخاً وجوبه وجوازه، وهذا على قول من يرى أن الوجوب إذا نسخ بقي الأمر على الجواز. قال: القاضي وهذه مسألة تختلف فيها أهل الأصول، وكذا اختلفوا في الزيادة على النص هل هي نسخ أم لا؟^(٣).

وهذا القدر المنقول عن القاضي لا يدل على رأيه في المسألة. ويمكن أن يستدل بسكوته على أنه يرى أن الخلاف لفظي، كما ذكر ذلك ابن التلمساني ناسباً له للجمهور^(٤). واختلف العلماء في المسألة على عدة أقوال منها^(٥):

١- يبقى الجواز واختاره الباجي والرازي .

٢- لم يبق منه شيء ولا يثبت ندب ولا إباحة إلا بدليل.

٣- يرجع الأمر إلى ما كان عليه قبل من تحريم أو إباحة، وصار الوجوب بالنسخ كأن لم يكن.

٤- يبقى الندب. والخلاف يلتفت إلى أمرين:

أحدهما: أن الجنس هل يتقوم بالفصل؟ والثاني: أن المباح هل هو جنس للواجب أم لا؟^(٦)

(١) شرح تنقيح الفصول ١١٤، نهاية السؤل ١٤٧/١ البحر المحيط ١٨٨/١.

(٢) مسلم (٦٨٥).

(٣) إكمال المعلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها ٨/٣-٩.

(٤) انظر: شرح للمعالم، والخلاف اللفظي للنملة ١٥٥/١.

(٥) الإشارة ٥٣، شرح تنقيح الفصول ١١٤، نهاية الوصول ١٨٧/١، فواتح الرحموت ٨٧/١، التبصرة ٥٤،

للمستصفى ١٤٢/١، الإمهاج ١٢٦/١، نهاية السؤل البحر المحيط ١٨٧/١،

(١) ذكره الزركشي في السلاسل ١٣١، البحر المحيط ١/١٨٩.

هل المندوب مأمور به

تعريف المندوب لغة:

المندوب من النذب وهو الدعاء للفعل، قال الشاعر:

لا يسألون أخاهم حين يندبهم في النائبات على قال برهانا^(١).

قال الجوهري: ندبه للأمر، فانتدب له، أي: دعاه له فأجاب^(٢).

قال القاضي عياض: ((يقال ندبته للجهاد فانتدب، أي دعوته فأجاب، والنذب:

التحضيض والرغبة في الشيء بسكون الدال، قال الإمام^(٣): قال صاحب الأفعال^(٤): ندبتهم

للحرب وللأمر: وجهتهم له، وإلى شيء: دعوهم^(٥).

وقال: ((والندب: الحث على الشيء والترغيب فيه ... وأما ساكنة^(٦): فمعناه الحض

والدعاء إلى الشيء))^(٧)

تعريف المندوب اصطلاحاً:

هو ما يثاب على فعله ولا يعاقب على تركه^(٨).

(١) البيت لقرط بن أنيف وهو في الحماسة لأبي تمام: ٥٧/١.

(٢) الصحاح ٢٢٣/١

(٣) إذا أطلق القاضي عياض لفظ الإمام فالمقصود به المازري أبو عبد الله محمد بن علي (ت: ٥٣٦هـ).

(٤) وهو ابن القوطية.

(٥) إكمال المعلم بفوائد مسلم ٤٤٧/٧

(٦) أي بسكون الدال.

(٧) مشارق الأنوار على صحاح الآثار ٧٢٢-٨، ٢٤/١.

قال ابن عقيل الحنبلي في الواضح في أصول الفقه ٣٠/١: ((وهو بالحث أنصح تحديداً من الدعاء والاقتضاء، لكن

لا بد من تقييده بالتخيير بين الفعل والترك وقال ١٢٦/١: ((والندب حث بترغيب لا بترهيب)).

وأصل المندوب المندوب إليه لكن حذفت الصلة منه لفهم المعنى. انظر: المصباح المنير ص: ٣٠٨.

(٨) هذا تعريف إمام الحرمين في الورقات، ينظر الورقات مع شرحها الأنجم الزاهرات ص: ٩٨. وقريب منه تعريف

ابن تيمية له كما في: مجموع الفتاوى ١٣٥/٢٠، بيان الدليل ص ٦٨.

راجع في تعريف المندوب: إحكام الفصول للباحي ص ٣٧٢، تنقيح الفصول ص ٦٢، تقريب الوصول لابن حزمي

ص ١٠٠، كشف الأسرار للبحاري ٢٧٣/١، نهاية الوصول للساعاتي ١٨٠/١، المستصفى ١٣٠/١،

المحصل ١٠٢/١، نهاية السؤل للأسنوي ٥٠/١، العدة ١٦٢/١ التمهيد ٦٤/١، الروضة ١٩٠/١، المسودة

١٠٠٥/٢، شرح الكوكب المنير ٤٠٢/١.

شرح التعريف^(١):

فقوله: ((ما يثاب على فعله)) خرج بهذا القيد ((المحظور)) و ((المكروه)) و ((المباح)) فإنه لا يثاب على فعلها . (ولا يعاقب على تركه) خرج به ((الواجب)) بجميع أنواعه^(٢)؛ لأنه يعاقب على تركه. وانطبق الرسم على المندوب لتحقيق الوصفين وهما (الثواب على الفعل) و(عدم العقاب على الترك).

مسألة: هل المندوب مأمور به حقيقة ؟

تحرير محل النزاع:

● أجمع المسلمون على أن الأمر قد يكون أمر إيجاب، وقد يكون أمر استحباب، وتارك المندوب غير عاص^(٣).

● اعلم أنه لا خلاف في أن المندوب تتعلق به صيغة الأمر حقيقة كانت أو مجازا^(٤).

● واختلفوا في إطلاق اسم المأمور به على المندوب حقيقة، ومبنى الخلاف في لفظ (أمر)، هل يستعمل حقيقة في مطلق الطلب، أم في الطلب الجازم فقط^(٥).

فمن رأى أنه يستعمل في مطلق الطلب قال: المندوب مأمور به حقيقة^(٦).

رأي القاضي عياض في المسألة:

قال القاضي عياض: وقوله صلى الله عليه وسلم ((لولا أن أشق على أمتي لأمرهم بالسواك))^(١) ... وفيه حجة لمن يرى المندوب غير مأمور به، وهي مسألة اختلف فيها أصحاب الأصول من شيوخنا وغيرهم^(٢).

(١) الأنجم الزاهرات ص: ٩٨ .

(٢) انظر: الإحكام في أصول الأحكام للآمدي ١٦٣\١ .

(٣) المحصول: ٩٣/٢ .

(٤) قال المحلي: أما كونه مأمورا بمعنى: أنه متعلق الأمر أي: بصيغة "افعل" فلا نزاع فيه، سواء قلنا أنه مجاز في النذب أم حقيقة فيه كالإيجاب. شرح جمع الجوامع ٢٢/١ .

(٥) قال الزركشي في تشنيف المسامع عند قول السبكي: وفي كون المندوب مأمورا به خلاف. قال: وظاهر كلام المصنف أن الخلاف في كونه مأمورا به أم لا، وإنما الخلاف في أنه حقيقة أو مجازا. التشنيف ٢٣٦/١ .

(٦) انظر: أصول السرخسي ١٤\١، المحصول ٢١٢\٢، الحاصل ٤٦٥\١، نزهة الخاطر العاطر ١١٦\١ .

وهذا النص ليس بصريح في رأيه في المسألة هل المندوب مأمور به؟ ولكنه أقر المازري قبل هذا على أن المندوب مأمور به، ولكن نازعه في وجه الاستدلال بالحديث.

قال القاضي: ((وقوله: إذا قرأ ابن آدم السجدة اعتزل الشيطان يبكي^(٣) ، قال الإمام: احتج به أصحاب أبي حنيفة في أن سجود التلاوة واجب، لتشبيه إبليس إياه بسجوده لآدم.

قلنا: يحتمل أن يكون لم يرد المشاهدة في الأحكام، بل في كونه سجوداً، فذكر به ما سلف له.

ولكن إنما يصح لهم الحجة إذا وجب التعلق بما قال لقوله: أمر ابن آدم، على قول الأشعري وغيره: إن المندوب إليه غير مأمور به.

قال القاضي: وقول الإمام رحمه الله: في تصحيح الحجة للحنفي على قول الأشعري: أن المندوب غير مأمور به، فلا ينتزع من هذا الحديث جملة، لأن ذلك إنما هو فيما ورد من أمر الله ورسوله، أو حكاية الرسول عن ربه، وأما هذا فإنما هو حكاية عن قول إبليس، وقد يكون مخطئاً في تعبيره عن ذلك الأمر، فلا يحتج بقوله، كما أخطأ في قوله محتجاً لفضيلته بزعمه {أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ}(الأعراف: من الآية ١٢)....^(٤).

أقوال العلماء في المسألة:

اختلف العلماء في هذه المسألة على أقوال:

القول الأول: إن المندوب مأمور به حقيقة.

(١) مسلم (٢٥٢).

(٢) إكمال للمعلم ٥٧٢.

(٣) مسلم (٨١).

(٤) إكمال للمعلم ٣٤١١-٣٤٢.

وبه قال المالكية، كما نسب الباجي إلى المحققين منهم كالقاضي أبي بكر وأبي محمد بن
نصر وغيرهما^(١).

(١) انظر: إحكام الفصول للبايجي ص: ٨٧ ، مختصر ابن الحاجب مع شرح العضد ص: ٨٤.

وهو قول فخر الإسلام البزدوي^(١) من الحنفية^(٢).

وبه قال جمع من الشافعية كالغزالي، وإمام الحرمين، والآمدني، وابن الصباغ^(٣)، وأبي بكر الدقاق^(٤)، ونسبه سليم^(٥)، وابن الصباغ لأكثر أصحاب الشافعي، وقال القاضي أبو الطيب: إنه الصحيح من مذهب الشافعي^(٦).

وهو قول الحنابلة، ونص عليه أحمد^(٧) وحكاه ابن عقيل^(٨) عن علماء الأصول والفقهاء^(٩). والفقهاء^(١٠). وبه قال المعتزلة كأبي هاشم^(١١).

(١) علي بن محمد بن الحسين بن عبد الكريم هو أبو الحسن المعروف بفخر الإسلام البزدوي، نسبة إلى بزرده، وهو فقيه أصولي من أكابر الحنفية، وله مصنفات عديدة، كنز الوصول في أصول الفقه وهو المعروف بأصول البزدوي، شرح تقوم الأدلة في الأصول للذبوسي، شرح الجامع الكبير، شرح الجامع الصغير، وتوفي سنة (٤٨٢هـ). الجواهر للمضيئة ٥٩٤/٢، الفوائد البهية ١٢٤، تاج التراجم ٢٠٥.

(٢) كشف الأسرار لمبد العزيز البعاري ٢٧٣/١، شرح التلويح ٤٩٥/١

(٣) عبد السيد بن محمد بن عبد الواحد، أبو نصر، المعروف بابن الصباغ البغدادي، الفقيه، الأصولي، إمام مقدم وفارس لا يترك، من تآليفه: العدة، وتذكرة العالم في أصول الفقه، والشامل في الفقه، ولد سنة (٤٠٠هـ)، وتوفي عام (٤٧٧هـ). طبقات الشافعية للسبكي ١٢٢/٥، وفيات الأعيان ٣٨٥/٢.

(٤) محمد بن محمد بن محمد بن جعفر بن الدقاق، أبو بكر، أصولي، فقيه، عالم بعلوم كثيرة، من مصنفاته: كتاب في الأصول، شرح مختصر للزبي، ولد عام (٣٠٦هـ)، وتوفي عام (٣٩٢هـ). طبقات الشوازي ٩٧، وتاريخ بغداد ٢٢٩/٣، طبقات الإسني ٥٢٢/١.

(٥) سليم بن أيوب بن سليم بالتصغير فيهما، أبو الفتح، الرازي، كان فقيهاً أصولياً، رحل إلى بغداد وتفقّه على الشيخ أبي حامد، ودرس في حياته، من تآليفه: ضياء القلوب (كتاب في التفسير)، والمجرد، وكتاب الفروع، والكافي، والإشارة، مات غريباً سنة (٤٤٧هـ) وعمره (٨٠) سنة. طبقات الشافعية لابن هداية ٢٢٩، وطبقات الشافعية لابن قاضي شعبة ٢٣٠/١.

(٦) المستصفي ١٤٥١، الإحكام للآمدني ١٦٣/١، المحصول ٢٠٩/١، البحر المحيط ٢٣٠/١، تشنيف المسامع ٢٣٥/١، شرح المضد على المختصر من: ٨٤.

(٧) العدة ٢٤٨/١، التمهيد لأبي الخطاب ١٧٤/١، الواضح ٥١٧/٢، التمهيد ١٧٤/١، الروضة ١٩٠/١، المسودة ص ١٣، أصول الفقه لابن مفلح ٢٢٩/١، شرح الكوكب للنير ٤٠٥/١.

(٨) علي بن عقيل بن محمد بن عقيل بن أحمد أبو الوفاء، البغدادي الحنبلي، المقرئ الفقيه الأصولي، الواعظ، المتكلم، أحد الأئمة الأعلام، من مصنفاته: الواضح في أصول الفقه، والفنون، وتوفي سنة (٥١٣هـ). الذيل علي طبقات الحنابلة ١/١٤٢، الدر المنضد ٢٣٧/١.

(٩) التحرير شرح التحبير ٩٨٩/٢، شرح الكوكب للنير ٤٠٥/١. وانظر: المسودة ص ١١.

القول الثاني: أن المندوب مأمور به مجازا لا حقيقة. نقله المازري^(١) عن الشيخ أبي الحسن الأشعري^(٢)، وقال ابن العربي: إنه الصحيح^(٣).

وبه قال الكرخي، وأبو بكر الجصاص الرازي^(٤)، ونسبه عبد العزيز البخاري^(٥) إلى جمهور الحنفية، وذكر أنه اختيار أبي الحسن الكرخي، وأبي بكر الجصاص، وشمس الأئمة السرخسي^(٦)، وصدر الإسلام أبي اليسر^(٧).

وقال به بعض الشافعية كالشيخ أبي حامد^(٨)، وأبي إسحاق الشيرازي^(٩)، وأبي بكر

(١) البحر المحيط ٢٣٠/١.

(٢) إكمال المعلم لمباحث ٣٤١/١.

(٣) علي بن إسماعيل بن أبي بشر بن إسحاق بن أبي سالم، أبو الحسن، كان مالكيا، وإليه تنسب طائفة الأشعرية، من تصانيفه: إيضاح الأصول الموجز، التوحيد والقدر، ومقالات الإسلاميين، الإبانة عن أصول الديانة، (ت: ٣٣٤هـ). الديباج ٢٩٣، شجرة ٧٩.

(٤) المحصول لابن العربي ص ٦٧.

(٥) أحمد بن علي أبو بكر الرازي الجصاص الحنفي، كان إمام الحنفية في عصره ببغداد، وله من التصانيف: الفصول في أحكام الأصول، أحكام القرآن، توفي في سنة ٣٧٠، الفهرست لابن الندم ٢٩٣، الفوائد البهية ٢٧، الجواهر المضئية ٨٤/١.

(٦) عبد العزيز بن أحمد بن محمد علاء الدين البخاري الحنفي، الفقيه الأصولي، من مؤلفاته: كشف الأسرار شرح أصول البزدوي، وشرح المنتخب الحسامي، شرح الهداية، توفي سنة (٧٣٠هـ). تاج التراجم ١٨٨، الفوائد البهية ٩٤، الجواهر المضئية ٤٢٨/١، مقدمة تحقيق كشف الأسرار لمحمد المختصم ١٢/١.

(٧) محمد بن أحمد بن أبي سهل أبو بكر المعروف بشمس الأئمة، كان إماما علامة حجة متكلمنا مناظرا أصوليا مجتهدا، من تصانيفه: المبسوط في الفقه، أصول السرخسي، شرح السير الكبير، توفي سنة ٤٨٣هـ. الفوائد البهية ١٥٨، الجواهر المضئية ٢٨/٢، الفتح للبين ٢٦٤/١.

(٨) الفصول في الأصول للجصاص ١٧٩/٢، كشف الأسرار للبخاري ٢٧٣/١، شرح التلويح ٢٩٦/١، تيسر التحرير ٣٤٧/١، ٢٢٢/٢، نهاية الوصول للساعاتي ١٨٠/١، فوائح الرحموت ٩٤/١.

(٩) أحمد بن محمد بن أحمد، الشيخ الإمام، أبو حامد بن أبي طاهر، الإسفرائيني، شيخ الشافعية ببغداد له تعليقة على شرح المزني، وله كتاب في أصول الفقه، ولد سنة (٣٤٤هـ)، توفي سنة (٤٠٦هـ).

طبقات الشيرازي ١٣١، طبقات الشافعية للسبكي ٦١/٤، سير أعلام النبلاء ١٧/١٩٣.

(١٠) إبراهيم بن علي بن يوسف، أبو إسحاق، جمال الدين، القيروز أباذي الشيرازي إمام الشافعية في زمانه، سكن بغداد ودرس بالنظامية، كان من بحور العلم زاهدا ورعا، متواضعا جوادا قال فيه أبو بكر الشاشي: أبو إسحاق حجة الله على أئمة العصر، من تصانيفه: اللمع وشرحه، والبصرة في أصول الفقه، والمعونة في الجدل،

والمهذب، التتبع في الفقه ، والنكت في الخلاف، ولد سنة (٣٩٣هـ) مات بفلاد سنة (٤٧٦هـ). ونهايات
الأعيان ٩/١، طبقات الشافعية لابن شعبة ١/٢٤٥، شلرات الذهب ٣/٣٤٩.

الشاشي^(١)، وإلكيا الهراسي^(٢)، واستحسنه ابن السمعاني^(٣)، ونقله ابن برهان^(٤) في الأوسط عن معظم الأصحاب، ورجحه الفخر الرازي^(٥).
ونسبه المرداوي إلى أبي الخطاب والحلواني^(٦).
الأدلة:

أدلة القول الأول:

استدل أصحاب هذا القول بما يأتي:

١. قوله تعالى: { وَأَفْعَلُوا الْخَيْرَ } (الحج: من الآية ٧٧) أي: ومنه المنسوب، وقوله تعالى { وَأُمِرَ بِالْمَعْرُوفِ } (لقمان: من الآية ١٧) ومن المعروف ما هو منسوب. وقوله تعالى { إِنَّ }

(١) محمد بن إسماعيل، أبو بكر القفال الكبير الشاشي الشافعي، أصولي، فقيه، محدث، مفسر، لغوي، له مؤلفات منها: كتاب في أصول الفقه، وتفسير كفي، وشرح الرسالة، ولد عام (٣٩١هـ)، وتوفي عام (٣٦٥هـ).
وفيات الأعيان ٢٠٠/٤، طبقات السبكي ٢٠٠/٣، شذرات الذهب ٥١/٣، سير أعلام النبلاء ٢٨٣/١٦.
(٢) علي بن محمد بن علي، عماد الدين أبو الحسن الطبري، المعروف بإلكيا الهراسي الطبرستاني الشافعي، فقيه متكلم أصولي، من مدرسة النظامية، وله مؤلفات منها: التعليق في أصول الفقه، أحكام القرآن، نقد مفردات الإمام أحمد.

وفيات الأعيان ٢٨٦/٣، طبقات السبكي ١٣١/٧، شذرات الذهب ٨/٤، سير أعلام النبلاء ١٥٠/١٩.

(٣) منصور بن محمد بن عبد الجبار بن أحمد أبو المظفر السمعاني، التميمي المروزي، الحنفي ثم الشافعي، أصولي، فقيه، ثبت، إمام، عالم، ورع، زاهد، من تآليفه: تفسير القرآن، وقواطع الأدلة، والبرهان، والاصطلاح، ولد سنة (٤٢٦هـ)، وتوفي عام (٤٨٩هـ). طبقات السبكي ٣٣٥/٥، طبقات بن قاضي شهبة ٢٨١/١، الفتح للمين ٢٦٦/١.

(٤) أحمد بن علي بن محمد الوكيل المعروف بابن برهان -يفتح الباء- الفقيه الشافعي الأصولي، المحدث، كان حنبلي المذهب ثم انتقل إلى مذهب الشافعي، عرف بالذكاء والحفظ حتى ضرب به المثل، له الوصول إلى الأصول، ولد عام (٤٧٩هـ)، وتوفي عام (٥١٨هـ).
انظر: طبقات الشافعية لابن هداية ٢٥٢، طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة ٢٨٦/١، شذرات الذهب ٦١/٤، الفتح للمين ١٦/٢.

(٥) قواطع الأدلة ١١١/١، اللمع للشيرازي ص: ١٣، التبصرة ص: ٣٦، المحصول للرازي ٢١٠/٢، سلاسل الذهب ص: ٢٠٥، البحر المحيط ٢٣١/١.

(٦) التحبير شرح التحرير ٩٨٥/٢، شرح الكوكب المنير ٤٠٦/١.

اللَّهُ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ { (النحل: من الآية ٩٠) ومن الإحسان وإيتاء ذِي الْقُرْبَىٰ ما هو مندوب^(١).

فهذه أوامر وليست كلها واجبة فدل على شمول الأمر للندب.

٢. إطلاق الأمر عليه في الكتاب والسنة، والأصل في الإطلاق الحقيقة^(٢).

٣. ولأنه شاع في ألسنة الفقهاء، أن الأمر ينقسم إلى أمر إيجاب، وأمر استحباب^(٣).

٤. ولأنه طاعة لامثال الأمر، وليس ذلك لكونه مرادا، إذ الأمر يفارق الإرادة، ولا لكونه موجودا، فإنه موجود في غير الطاعات، ولا لكونه مثابا، فإن الممثل يكون مطيعا وإن لم يشب، وإنما الثواب للترغيب في الطاعات^(٤).

أدلة القول الثاني:

١. قال الله تعالى { فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ } (النور: من الآية ٦٣) والمندوب لا يحذر فيه ذلك.

والجواب: الآية تدل على أن الأمر يقتضي الوجوب، ونحن نقول به، ولكن يجوز صرفه إلى الندب بدليل، ولا يخرج بذلك عن كونه أمرا لما سبق، لما ذكرناه من انقسام الأمر إلى إيجاب وندب^(٥).

٢. قوله صلى الله عليه وسلم ((لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك))^(٦) وقد ندهم إلى السواك، فعلم أن الأمر لا يتناول المندوب.

والجواب: أن المراد من الأمر أمر الإيجاب، فلهذا قيده بالمشقة^(٧).

(١) للذكر في أصول الفقه للشنقيطي ص: ١٦، روضة الناظر ١٩١١، شرح الكوكب المنير ٤٠٦١.

(٢) التحبير شرح التحرير ٩٨٦٢، شرح الكوكب المنير ٤٠٦١.

(٣) الروضة ١٩١١، شرح الكوكب المنير ٤٠٦١.

(٤) إحكام الفصول ص: ٢٧٨، الروضة ١٩١١، أصول الفقه لابن مفلح ٢٣٠١.

(٥) الروضة لابن قدامة ١٩١١-١٩٣.

(٦) رواه البخاري (٨٤٧)، ومسلم (٢٥٢) من حديث أبي هريرة.

(٧) الروضة لابن قدامة ١٩١١، أصول الفقه لابن مفلح ٢٣٢١، التحبير شرح التحرير ٩٨٧٢، التمهيد

وزيد هذا وضوحا حديث أبي هريرة يرفعه: (لولا أن أشق على أمتي لفرضت عليهم السواك مع كل وضوء)^(١).

٣. وكذلك قوله صلى الله عليه وسلم لبريرة^(٢): (لو راجعته) قالت يا رسول الله: تأمرني؟ قال: ((إنما أنا أشفع)) قالت: لا حاجة لي فيه^(٣).

ومعلوم أن إجابة النبي صلى الله عليه وسلم فيما شفع فيه مستحبة، وقد بين أنه لم يأمر. والجواب: الأمر المنفي هنا هو أمر الإيجاب والإلزام، كما هو ظاهر من السياق، لا مطلق الأمر.

٤. احتجوا بأن أسماء الحقائق لا يجوز نفيها عن مسمياتها، وقد علمنا أنه يحسن أن يُنفي عن النذب اسم الأمر، وهذا كما لو قال قائل: أنا غير مأمور بصلاة النافلة^(٤). والجواب: أنا لا نسلم أنه يحسن نفيه على الإطلاق، وإنما يحسن نفيه مقيدا، وهو أن يقول: أنا غير مأمور بذلك على وجه الإيجاب والإلزام^(٥).

٥. ولأن الأمر حقيقة في الإيجاب دفعا للمجاز والاشتراك^(٦). والجواب: يرد بدخوله في مطلق الأمر، وأما الأمر المطلق - وهو ما لا قيد معه - فلا إيجاب^(٧).

٦. ولأن الأمر اقتضاء جازم لا تخيير معه، وفي النذب تخيير، ولم يسم تاركه عاصيا^(٨). والجواب: قولهم إن الأمر ليس فيه تخيير ممنوع، وإن سلمنا فالنذب كذلك، لأن التخيير عبارة عن التسوية، فإن ترجح جهة الفعل ارتفعت التسوية والتخيير.

(١) رواه النسائي في الكبرى ١٩٦/٢، والحاكم ٢٤٥/١، وقال: وهو صحيح على شرطهما جميعا، وليس له علة، والبيهقي في الكبرى ٣٦/١.

(٢) بريرة مولاة عائشة رضي الله عنها كانت مولاة لبعض بني هلال فكاتبوها ثم باعوها من عائشة رضي الله عنها فاعتقتها، وقيل: غير ذلك. لها حديث واحد.

الاستيعاب ٣٥٧/٤، أسد الغابة ٣٩/٦، الإصابة ٥٠/٨.

(٣) رواه البخاري (٤٩٧٩) من حديث ابن عباس.

(٤) التمهيد ١٧٧\١.

(٥) التمهيد ١٧٧\١.

(٦) أصول الفقه لابن مفلح ٢٣٣\١، التحبير شرح التحرير ٩٨٧\٢.

(٧) أصول الفقه لابن المفلح ٢٣٣/١، التحبير شرح التحرير ٩٨٧\٢.

ولم يسم تاركه عاصيا لأنه اسم ذم، وقد اسقط الله تعالى الذم عنه، لكن يسمى مخالفا وغير ممثل، ويسمى فاعله موافقا ومطيعا^(١).

هل الخلاف في المسألة لفظي:

قال الجويني في البرهان: ((وهذه المسألة ليس فيها فائدة وجدوى من طريق المعنى، فإن الاعتضاء مسلم... فالقول في ذلك قريب، ومتناه آيل إلى اللفظ))^(٢).
ووافقه القشيري والحلي^(٣).

ذهب جماعة من الأصوليين منهم أبو الخطاب الحنبلي وابن برهان، والزرکشي^٥ إلى أن الخلاف معنوي^(٤)، ورتبوا على ذلك:

- أن الأمر يحمل على المذهب الأول - القائل بأن المنسوب مأمور به - على النذب من غير قرينة.

- إذا قال الراوي ((أمرنا)) فعلى المذهب الأول يكون الأمر مترددا بين الوجوب والنذب، بخلاف المذهب الثاني فإنه يكون للوجوب^(٥).

وهذا التخييع فيه نظر لأن أصحاب القول الأول - وهم جمهور أهل العلم - وإن قالوا إن المنسوب مأمور به، إلا أن الأمر به مقيد، لا يحمل عليه إلا بقرينة.
يدل على هذا ما قاله ابن عاصم في المرتقى:

(١) الروضة لابن قدامة ١٩٣١-١٩٢. ١٩٢.

(٢) الروضة لابن قدامة ١٩٣١-١٩٢. ١٩٢.

(٣) البرهان ٨٢/١.

(٤) البحر المحيط ٢٨٧/١، شرح المحلى ٢٢/١.

(٥) محمد بن عبد الله بن مبادر، أبو عبد الله، الشهير بالزرکشي، الشافعي، الفقيه، الأصولي، إمام من الأئمة الأفاضل، في مختلف الفنون، من تصانيفه: البحر المحيط، سلاسل الذهب، وتشنيف المسمع شرح جمع الجوامع، ولقطة المحلان وبله الظمان في خلاصة الفنون الأربعة، والبرهان في علوم القرآن، الإجابة لإيراد ما استدركه عائشة علي الصحابة، وغيرها كثير. ولد سنة (٧٤٥هـ) ومات سنة (٧٩٤هـ) وقيل: (٧٩٢هـ). الدرر الكامنة ٣/٣٩٧، شذرات الذهب ٦/٣٣٥، حسن المحاضرة ١/٢٤٨، طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة ٢/٣١٩.

(٦) انظر: التمهيد ١/١٧٥، البحر ١/٢٨٧، الوصول لابن برهان ١/١٩٨، الخلاف اللفظي للنملة ١/١٩٠.

(٧) الوصول لابن برهان ١/١٩٨، البحر المحيط ١/٢٨٨، شرح مختصر الروضة ١/٣٥٨، الخلاف اللفظي للنملة

والندب مأمور به للأكثر وعنهم المكروه بالنهي حري^(١)

ثم قال: والأمر للوجوب لا للندب إن جرد مما شأنه أن يقترن^(٢)

* ولعل التحقيق في المسألة ما ذهب إليه شيخ الإسلام حيث قال:

((التحقيق في مسألة أمر الندب، مع قولنا أن الأمر المطلق يفيد الإيجاب أن يقال: الأمر المطلق لا يكون إلا إيجاباً، وأما المندوب إليه فهو مأمور به أمراً مقيداً لا مطلقاً، فيدخل في مطلق الأمر لا في الأمر المطلق.

يبقى أن يقال: فهل يكون حقيقة أو مجازاً؟ فهذا بحث اصطلاحي^(٣))).^(٤)



(١) المرتقى ص ٤٧.

(٢) المرتقى ص ٩٠.

(٣) أي: مبني على حقيقة المجاز هل هو استعمال اللفظ كاملاً في غير ما وضع له، أو هو أعم من ذلك.

(٤) للمسودة ص ١١، وانظر: حصول المأمول من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية في الأصول ص ٣٧٢-٣٧٣.

الأمر بالشيء المؤقت هل يتناول قضاءه إذا خرج عن وقته أو يحتاج إلى أمر ثان؟

(مسألة الأمر المؤقت)

صورة المسألة:

ما إذا أمر بصلاة الفجر في وقتها المعين لها فلم يصلها حتى طلعت الشمس فهل تسقط بذلك صلاة الفجر ويتوقف وجوب قضائها على أمر جديد أو لا تسقط ويجب قضاؤها بالأمر الأول الذي وجبت به صلاة الفجر في وقتها وهذا هو محل النزاع^(١).

رأي القاضي عياض في المسألة:

قال في قضاء المفرط عمداً ((وقد اختلف الأصوليون في الأمر بالشيء المؤقت ، هل يتناول قضاءه إذا خرج وقته أو يحتاج إلى أمر ثان؟))^(٢).

وقال مجيباً عن الحديث الذي ظاهره عدم اشتراط تبين نية الصوم : ((ولا حجة للمخالف في أمر النبي صلى الله عليه وسلم بصيام من لم يبيت يوم عاشوراء لوجوه: أحدها: أنه إن كان عاشوراء الفرض حيثئذ فما أمر النبي - عليه السلام - فيه هو مما لا يختلف فيه أنه من تذكر صومه أو أعلم به ممن نسيه ، أو ثبت أنه يوم رمضان داخل النهار - أنه يلزمه تمام صومه، وهذا ما لا يختلف فيه، وإنما خلافاً: هل يجزئ أم لا؟ وليس في الحديث غير تمام الصوم، وقد اختلف الأصوليون في الأمر المؤقت إذا فات أداؤه هل يقتضي بنفسه إيجاب القضاء، أم يحتاج إلى أمر آخر؟ فكيف! وقد روى أبو داود الحديث، وزاد فيه: ((واقضوه))، وهذا قطع لحجة المخالف، ونص ما يقوله الجمهور في المسألة))^(٣).

وهذان النصان لا يدلان على رأي القاضي عياض في المسألة.

(١) شرح مختصر الروضة ٣٩٥/٢، نزعة الخاطر العاطر ٥٨/٢.

(٢) إكمال المعلم، المساجد ، باب قضاء الصلاة الفائتة ... ٦٧١/٢.

(٣) إكمال المعلم، الصيام، باب من أكل في عاشوراء فليكن بقية يومه ٨٨-٨٩.

أقوال أهل العلم في المسألة:

اختلف العلماء في المسألة على قولين:-

القول الأول: تسقط العبادة، ولا يجب قضاؤها إلا بأمر ثان. وبه قال الأكثر من المالكية والشافعية وبعض الحنفية والمعتزلة^(١).

القول الثاني: لا تسقط العبادة، ويجب قضاؤها بالأمر الأول. وهو المختار عند أكثر الحنفية^(٢) وجماعة من الحنابلة^(٣) وعامة أهل الحديث.

الأدلة^(٤)

حجة الأول: ألما لما قرنت بالوقت المعين علم أن مصلحتها مختصة به إذ لو كانت في غيره لما خصصت به فيحتاج القضاء إلى أمر جديد.

وحجة الثاني: أن الأمر قد شمل أمرين أحدهما فعل العبادة. والثاني: اقتراطها بالوقت المعين لها ، فإذا فات الوقت تعذر أحدهما وبقي الآخر في الإمكان فيجب الإتيان بالممكن لأن المركب من أجزاء ينسحب حكمه عليهما.

(١) انظر القولين في إحكام الفصول ٢٢٣/١، شرح تنقيح الفصول ١١٦، مفتاح الوصول ٣٢، نثر الورود ١/١٨٣، أصول السر خفي ٤٥/١، نهاية الوصول ٤٢٣/١، كشف الأسرار ٣١٣/١، تيسير التحرير ٢/٢٠٠، فواتح الرحموت ٧٦/١، التبصرة ٣٧، اللمع ٧٢، المستصفي ٨٩/٢، الإحكام ١٩٩/٢، الوصول ١/١٥٥، الروضة ٥٨/٢، شرح مختصر الروضة ٣٩٥/٢، المختصر في أصول الفقه ١٠٢، شرح الكوكب المنير ٥٠/٣، إرشاد الفحول ١٥٩،

(٢) وكبارهم كالقاضي الإمام أبي زيد، وقهر الإسلام، وشمس الأئمة. انظر مصادرهم السابقة.

(٣) اختاره القاضي والحلواني والموفق وابن حمدان والطوفي وغيرهم. انظر مصادرهم السابقة.

(٤) انظر الأدلة في إحكام الفصول ٢٢٣/١، مفتاح الوصول ٣٢، المذكرة ١٩٧، نهاية الوصول ٤٢٣/١، تيسير التحرير ٢/٢٠٠، فواتح الرحموت ٧٦/١، التبصرة ٣٧، الإحكام ١٩٩/٢، الوصول ١/١٥٦، الروضة ١٥٨/٢، شرح مختصر الروضة ٣٩٦/٢، إرشاد الفحول ١٦٠.

مسألة التحسين والتقبيح:

أقسام الحسن والقبح

فنقول للحسن والقبح إطلاقاً ثلاثة:

أحدها: بمعنى ملائمة الطبع ومنافرتة، كحسن إنقاذ الغرقى، وقبح اتمام البريء، وحسن العدل وقبح الجور والظلم.

الثاني: بمعنى الكمال والنقص، كحسن العلم وقبح الجهل.

الثالث: بمعنى ما يترتب المدح والثواب على فعله أو الذم والعقاب.

تحرير محل النزاع:

- وقد أجمع العلماء على أن الأول والثاني عقليان، أي: أن العقل يدركهما بدون ورود الشرع، وقد حكى كثير من علماء الأصول الاتفاق عليهما^(١).

- لكن نازع شيخ الإسلام في التفريق بين القسم الأول والثاني^(٢).

قال شيخ الإسلام: (الكلام في بعض أنواع الحسن والقبح لا في جميعه، ولا ريب أن من أنواعه ما لا يُعلم إلا بالشرع، ولكن النزاع فيما قبحه معلوم لعموم الخلق كالظلم والكذب ونحو ذلك)^(٣).

- ووقع النزاع في الإطلاق الثالث، على أقوال ثلاثة.

(١) تقريب الوصول ص ١٠٧، شرح تنقيح الفصول ص ٧٥، تيسر التحرير ١٥٠/٢، فواتح الرحموت ٢٦١/١، المستصفى ١١٢/١، المحصول ١٢٣/١ الإحكام للأمدى ١١٩/١، الإجماع ١٣٥/١، نهاية الوصول للهندي ٧٠٢/٢، البحر المحيط ١١١/١، شرح مختصر الروضة ٤٠٢/١، شرح الكوكب المنير ٣٠١/١.

(٢) قال شيخ الإسلام: ((ومن الناس من أثبت قسماً ثالثاً للحسن والقبح، وادعى الاتفاق عليه وهو كون الفعل صفة كمال أو صفة نقص، وهذا القسم لم يذكره عامة المتقدمين المتكلمين في هذه المسألة، ولكن ذكره بعض المتأخرين كالرازي وأعله عن الفلاسفة.

والتحقيق أن هذا القسم لا يخالف الأول فإن الكمال الذي يحصل للإنسان ببعض الأفعال هو يعود إلى الموافقة والمخالفة، وهو اللذة أو الألم. فالنفس تلتذ بما هو كمال لها، وتؤلم بالنقص فيعود الكمال والنقص إلى الملائم والمُنافي))

الفتاوى ٣١٠/٨، حصول المأمول ١٨٩.

(٣) الفتاوى ٣٠٩/٨، حصول المأمول ١٩٠.

١. مسألة التحسين والتقييح يتناولها علماء الأصول المتكلمون منهم تحت مباحث الحكم، وفصل الحاكم، والفقهاء تحت مباحث الأمر، وحسن المأمور به.

٢. لا خلاف بين المسلمين في أن الحاكم هو الله تعالى، قال الله تعالى {إِنَّ الْحُكْمَ لِلَّهِ} {الأنعام: من الآية ٥٧} وقال تعالى {أَلَا لَهُ الْحُكْمُ} {الأنعام: من الآية ٦٢} وعلى هذا إجماع الأمة قاطبة^(١).

٣. قال شيخ الإسلام: (لم يختلف الناس أن الحسن والقبح إذا فسر بالنافع والضار والملاحم للإنسان والمنافي هو اللذيذ والألم فإنه يعلم بالعقل وإنما اختلفوا في أن العقل هل يعتبر المنفعة والمضرة)^(٢).

٤. المعروف من مذهب الأشاعرة المتقدمين المنع من تحسين العقل وتقييحه مطلقاً، وأما المتأخرون منهم فإنهم يقولون بالتحسين والتقييح بإطلاقاته الثلاثة المتقدمة.

رأي القاضي عياض:

* قال القاضي عياض رحمه الله: (ومذهب أهل السنة والحق أن التحسين والتقييح إنما يرجع إلى الشرع لا إلى العقل بدليل اختلاف العقلاء)^(٣).

* وقال: (وقول عمر حين قبل الحجر "لقد علمت أنك حجر لا تضر ولا

تنفع، ولولا أني رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبلك ما قبلتك" فيه.... أن التحسين والتقييح إنما هو من قبل الشرع لا من قبل العقل)^(٤).

أقسام الحسن والقبح:

١. أن يكون مشتقاً على مصلحة ومفسدة ولو لم يرد الشرع بذلك وهذا النوع هو حسن أو قبيح قد يعلم بالعقل والشرع لكن لا يلزم من حصول هذا القبح أن يكون فاعله معاقباً في الآخرة إذا لم يرد الشرع بذلك.

(١) تيسر التحرير ١٥٠/٢ ، فواتح الرحموت ٢٦١/١ ، الأمدي في الأحكام ١١٩/١ ، شرح الكوكب المنير ٣٠١/١ ، إرشاد الفحول ص ١١ الوجيز في أصول الفقه زيدان ص ٦٩ ، علم أصول الفقه خلاف ص ٩٦ .

٢ - مجموع الفتاوى ٣٤٤/١١ - ٣٤٧.

(٣) إكمال المعلم ، كتاب الصيد والذبائح ٣٧٠/٦ .

(٤) إكمال المعلم، كتاب الحج، باب استحباب تقبيل الحجر الأسود في الطواف ٣٤٥/٤ .

٢. أن الشارع إذا أمر بشيء صار حسناً وإذا نهي عن شيء صار قبيحاً، اكتسب صفة القبح أو الحسن بخطاب الشرع.

٣. أن يأمر الشارع بشيء ليمتحن العبد.

أقوال العلماء في المسألة.

القول الأول: إن الأفعال ليست مشتملة على صفات حسن وقبح، وإنما وصفها بذلك متوقف على أمر الشارع ونهيه.

وهو مذهب الأشعرية^(١)، والشافعية^(٢)، والمالكية^(٣)، وأكثر الحنابلة^(٤)، وجمهور الأصوليين^(٥).

(١) الأشعرية فرقة كلامية واسعة الانتشار، تنتسب إلى أبي الحسن الأشعري، ظهرت في القرن الرابع الهجري وما بعده.

بدأت أصولها بنزعات كلامية خفيفة، الأشعري عن ابن كلاب تلور حول نفي الصفات الاختيارية، مع القول بالجبر والإرجاء، ثم تطورت وتوسعت في المناهج الكلامية حتى أصبحت في القرون المتأخرة (الثامن وما بعده) فرقة كلامية محضة، ذات منهج عقلائي فلسفي، مع خلط ذلك بالصوفية والقبورية، فالتفتت البراهين العقلية الكلامية وسيلة في حجة محصومها من المعتزلة والفلاسفة وغيرهم.

والأشاعرة هم: أتباع المذهب الأشعري الذين حادوا عن منهج السلف أهل السنة والجماعة في العقيدة.

الموسوعة الميسرة ٨٧/١، الفرق الكلامية ص ٤٩.

(٢) المحصول ١٢٣/١، الإحكام للآمدي ١١٩/١، وقال عنه: مذهب أصحابنا وأكثر العقلاء، وقال صفي الدين المندي: ذهب أصحابنا وأهل الحق في كل ملة إلى أن العقل لا يحكم بحسن فعل ولا بقبحه.

شرح تنقيح الفصول ص ٧٥، تقريب الفصول ص ١٠٧، تيسر التحرير ٢٥٠/٢، فواتح الرحموت ٢٩١-٢٩٦، نهاية الوصول ٧٠٢/٢، البحر المحيط ١١٣/١، نهاية السؤل ١٠٤/١، التمهيد ٢٩٥/٤،

شرح الكوكب المنير ٣٠١/١، شرح مختصر الروضة ٤٠٢/١، إرشاد الفحول ص ١٢.

(٣) قواطع الأدلة ٣٩٧/٣، الإمماج ١٣٧/١، البحر المحيط ١٠٥/١.

(١) شرح تنقيح الفصول ص ٧٥، تقريب الفصول ص ١٠٧، البحر المحيط ١٠٥/١.

(٢) التمهيد ٢٩٤/٤ المسودة ٨٦٨/٢، شرح الكوكب المنير ٣٠١/١، المختصر في أصول الفقه ص ٥٥: غاية

السؤل ص ١٤٧

(٣) الوجيز في أصول الفقه زيدان ص ٧١.

القول الثاني:

إن الأفعال مشتملة على صفات حسن وقبح لذاتها، فيدرك ذلك والثواب والعقاب بالعقل^(١). وهو قول المعتزلة^(٢)، والكرامية^(٣)، والخوارج^(٤)، والروافض^(٥)، والثنوية، والتناسخية^(٦)، والبراهمة^(٧)، وأبي الحسن التميمي من الحنابلة^(٨).

(١) هؤلاء جعلوا الحسن والقبح صفات ذاتية للفعل لازمة له، ولم يجعلوا الشرع إلا كاشفا عن تلك الصفات، لا سببا لشيء من تلك الصفات، وهؤلاء هم غلاة القائلين بالتحسين والتقييح، والوسط هو أهل السنة الآتي بيانه. انظر: الفتاوى ٤٣١/٨-٤٣٥.

(٢) شرح تنقيح الفصول ص ٧٥، تقريب الوصول: ١٠٧، مختصر ابن الحاجب مع شرح العضد ص ٦٥، تيسير التحرير ١٥٠/٢، فواتح الرحموت ٢٩١/١، مرآة الأصول شرح مرقة الوصول ٢٨٢/١ البحر المحيط ١١٣/١، الأشباه والنظائر لابن السبكي ٢٠١/٢، التمهيد ٢٩٥/٤، شرح الكوكب المنير ٣٠٢/١. عرجوا على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه، ثم صار لهم فرق وطوائف، منها الإباضية، والأزارقة، والنجدات، وبجمعهم تكفير بعض الصحابة، وأصحاب الجمل وصفين، والخروج على السلطان الجائر، وتكفير صاحب الكبيرة وتغليده في النار.

مقالات الإسلاميين ١٦٧/١، الفرق بين الفرق ٧٢، عقائد الثلاث والسبعين فرقة ١٧/١، الملل والنحل ١٠٦/١. (٥) الرافضة، إحدى فرق الشيعة، سموا بذلك؛ لأنهم امتحنوا زيد بن علي بن الحسين بالطنع في أبي بكر فامتنع، فقال لهم رفضتموني، فسموا رافضة، وقيل غير ذلك، وهم الإمامية الإثنا عشرية، سموا بذلك؛ لقولهم بإمامة اثنا عشر إماما من علي وولده.

وهم فرق عدة يجمعهم: القول بعصمة الأئمة، وإنكاره خلافة الخلفاء الثلاثة، وإمامة علي بالنص، والطنع في الصحابة، وغير ذلك.

مقالات الإسلاميين ١٦٧/١، الفرق بين الفرق ٥٣، الملل والنحل ١٦٣/١

(٦) هم القائلون بتناسخ الأرواح في الأجساد والانتقال من شخص إلى شخص، وما يلقي من الراحة والتعب، والنصب والدعة فمرتب على ما أسلفه قبل، وهو في بدن آخر جزاء على ذلك.

الملل والنحل ٨٩/١، و٣٦٩.

(٧) ذكر هذه المذاهب صفي الدين الهندي في نهاية الوصول ٧٠٢/٢، المنحول ص ٨.

والمعتزلة ذهبوا إلى أن للأفعال حسناً وقبحاً دائماً^(١). قال عضد الدين الإيجي^(٢) ((وقالت المعتزلة والكرامية والبراهمة: الأفعال حسنة وقبيحة لذواتها، فمنها ما هو ضروري كحسن الصدق النافع، وقبح الضار. ومنها ما هو نظري كحسن الصدق المضر، وقبح الكذب النافع، ومنها ما لا يدرك إلا بالشرع كالعبادات، فإن حسن صوم آخر رمضان، وقبح صوم أول شوال مما لا سبيل للعقل إليه، لكن الشرع إذا ورد به كشف عن حسن وقبح ذاتيين.

ثم اختلفوا، فقال القدماء يحصل الحسن والقبح للفعل من غير صفة توجه به بل بذاته. وقال قوم: يحصل بصفة توجه بهما.

وقال قوم: يحصل بصفة توجه به في القبح فقط والحسن يكفي فيه عدم موجب القبح.

وقال الجبائية^(٤): يحصل بصفة توجه بهما، لكنها ليست صفة حقيقية، بل وجوه واعتبارات تختلف، كلطم اليتيم للتأديب أو التعذيب^(٥).

(١) التمهيد ٢٩٤/٤، شرح الكوكب المنير ٣٠٢/١.

(٢) شرح تنقيح الفصول ص ٧٥، فواتح الرحموت ٢٨١/١، تيسير التحرير ١٥٠/٢، المستصفي ١١٢/١، الإحكام للآمدي ١٢٠/١، شرح مختصر الروضة ٤٠٢/١.

(٣) عبد الرحمن بن أحمد بن عبد الغفار، عضد الدين الإيجي، الشوازي، الشافعي، القاضي العلامة، الأصولي، من تصانيفه: شرح مختصر ابن الحاجب، المواقف، الجواهر، والفوائد الغيائية في المعاني والبيان، ولد سنة (٧٠٨هـ) ومات سنة (٧٥٦هـ).

طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة ١٧٩/٢، شذرات الذهب ١٧٤/٦، الأعلام ٦٦/٤.

(٤) هم أصحاب أبي علي محمد بن عبد الوهاب الجبائي، وهم من معتزلة البصرة، انفردوا عن أصحابهم معتزلة بغداد، بمسائل منها: ذهب الجبائية إلى أن الله عالم لذاته قادر حي لذاته، أي: لا يقتضي كونه عالماً صفة هي حال علم أو حال يوجب كونه عالماً، وذهبوا إلى نفي رؤية الله تعالى بالأبصار في دار القرار. واتفقوا على أن المعرفة وشكر النعم ومعرفة الحسن والقبح واجبات عقلية، وأثبتوا شريعة عقلية، وردوا الشريعة النبوية إلى مقدرات الأحكام وموقنات الطاعات التي لا يتطرق إليها عقل، ويعتقضي العقل والحكمة يجب على الحكيم ثواب المطيع وعقاب العاصي.

الفرق بين الفرق ١٣٥، الملل والنحل ٦٧/١.

(٥) شرح العضد على مختصر ابن الحاجب ص ٦٦.

القول الثالث: إن حسن الأفعال وقبحها ثابت بالعقل، والثواب والعقاب يتوقف على الشرع.

وهو قول الحنفية^(١)، والماتريدية^(٢)، واختيار شيخ الإسلام، ونسبه إلى عامة السلف، وجمهور المسلمين، والأئمة الأربعة^(٣)، واختاره الزركشي، والشوكاني^(٤).

أدلة القول الأول: أن حسن الأفعال وقبحها، والثواب والعقاب عليها شرعيان، أي لا يدركان بالعقل.

١- قوله تعالى: { وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا } (الإسراء: من الآية ١٥)، { رَسُولًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ } (النساء: من الآية ١٦٥)، { وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى حَتَّى يَبْعَثَ فِي أُمَمٍ رَسُولًا يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا } (القصص: ٥٩).^(٥)

وجه الاستدلال: أن الله رتب الجزاء على بعثة الرسل لا على إدراك العقل، فدل ذلك على أن العقل لا مجال له في إدراك الأحكام.

(١) ينظر تيسر التحرير ١٥٢\٢ ، فواتح الرحموت ٢٩\١ ، عمدة المحاشي ص ١٤٣ ، مرآة الأصول شرح مرآة الوصول ٢٨٢\٢ ، البحر المحيط ١١٣\١ ، علم أصول الفقه لخلاف ص ٩٦ ، أصول الفقه الإسلامي لرحيلي ١١٩\١ ، الرحيق في أصول الفقه لزيدان ص ٧١ .

(٢) من طوائف أهل الكلام، أتباع أبي منصور الماتريدي، ويتفقون مع الأشاعرة في معظم الأصول الاعتقادية، والخلاف بينهم قليل ومغصور.

نظم الفوائد وجمع الفوائد في بيان مسائل الخلاف بين الماتريدية والأشاعرة في العقائد لعبد الرحيم بن علي الشهير بالشيخ زاده. والماتريدية وموقفهم من توحيد الأسماء والصفات لشمس الدين الأفغاني ٣٧٧/١ وما بعدها.

(٣) الفتاوى ٤٣٤/٨ ، الرد على المنطقيين ص ٤٢٠ ، وانظر: حصول المأمول ص ٢٠٤ .

(٤) محمد بن علي بن محمد بن عبد الله، أبو عبد الله، الشوكاني ثم الصنعاني من أهل اليمن، الفقيه الأصولي المحدث، المفسر، المتهجد، مشارك في العلوم،

من مصنفاته: إرشاد الفحول، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية في علم التفسير، ونيل الأوطار شرح متقى الأخبار، والسيول الجرار، وغيرها، توفي سنة (١٢٥٠هـ). معجم المؤلفين ٥٣/١١ ، والأعلام ١٩٠/٧ .

(٥) هذه الآيات كلها من أدلة القول الثالث أيضا.

والجواب: هذه الأدلة فيها رد على المعتزلة، لكن ليس فيها ما يرد القول الثالث، لأن هذه الآيات تنفي العذاب والعقوبة قبل بلوغ الشرع وبعثة الرسل، لكنها لا تنفي اشتغال الأفعال على صفات تكون بها حسنة وسيئة^(١).

٢- قالوا: الحسن لو كان صفة ذاتية للفعل لم يختلف حاله. قال الغزالي: ((القتل الواقع اعتداء يجانس القتل المستوفى قصاصا في الصورة والصفات، ... والمختلفان في صفة الذات يستحيل اشتباههما وتجانسهما، وكذا الوطء في النكاح والزنا فال مأخذهما إلى الأغراض جلبا ودفعاً))^(٢).

والجواب عن هذا: قال شيخ الإسلام: ((وغلطوا فإن الصفة الذاتية للموصوف قد يراد بها اللازمة له...وقد يراد بالصفة الذاتية ما تكون ثبوتية قائمة بالموصوف احترازا عن الأمور النسبية الإضافية... وتحقيق الأمر أن الأحكام للأفعال ليست من الصفات اللازمة بل هي من العارضة للأفعال بحسب ملاءمتها ومنافرتها فالحسن والقبح بمعنى كون الشيء محبوبا ومكروها ونافعا وضارا وملائما ومنافرا وهذه صفة ثبوتية للموصوف لكنها تتنوع بتنوع أحواله فليست لازمة له))^(٣).

٣- الخلاف في الأفعال بالنسبة إلى الله تعالى وهو منزّه عن الأغراض لا يتضرر بالكفر، ولا ينتفع بالإيمان، فلا معنى للتمييز في حقه. وكذا فعله تعالى لا يطلب له غرض فيه حتى إذا خالف غرضه قبح، ولا تحكم للعباد عليه وهو يفعل ما يشاء فلا يجب عليه تطبيق أفعاله على غرض العباد وهو متصرف في ملكه لا اعتراض عليه أصلا^(٤).

والجواب: أن هذا مبني على أصل فاسد وهو نفي الحكم والأسباب عن أفعال الله تعالى.

(١) الفتاوى ٦٧٦/١١، درء تعارض العقل والنقل ٤٩٣/٨، منهاج السنة ٩٩/٥، وانظر حصول المأمول ص ١٩٤-١٩٥.

(٢) للنحول ص ١١، المستصفى ٤٦/١، منهاج السنة ١٧٧/٣.

(٣) منهاج ١٧٧/٣-١٧٨، حصول المأمول ١٩٧.

(٤) للنحول ص ١١-١٢، المستصفى ٤٧/١.

قال ابن القيم : (...أنه سبحانه ربط الأسباب بمسبباتها شرعا وقدرًا، وجعل الأسباب محل حكمته في أمره الديني والشرعي، وأمره الكوني القدري، ومحل ملكه وتصرفه. فإنكار الأسباب والقوى والطبائع جحد للضروريات وقدح في العقول والفطر ومكابرة للحس وجحد للشرع والجزاء.

...والشرع كله أسباب ومسببات، والمقادير أسباب ومسببات، والقدر جار عليها متصرف فيها.

فالأسباب محل الشرع والقدر. والقرآن مملوء من إثبات الأسباب كقوله: {بما كنتم تعلمون} {بما كنتم تكسبون}...^(١).

ثم قال: (ولو تتبعنا ما يفيد إثبات الأسباب من القرآن والسنة لزاد على عشرة آلاف موضع، ولم نقل ذلك مبالغة بل حقيقة. ويكفي شهادة الحس والعقل والفطر. ولهذا قال من قال من أهل العلم: تكلم قوم في إنكار الأسباب فأضحكوا ذوي العقول على عقولهم، وظنوا أنهم بذلك ينصرون التوحيد فشاهوا المعطلة الذين أنكروا صفات الرب)^(٢).

- ثم إن في هذا إنكاراً أن يكون للفعل صفات ذاتية تقتضي الحسن والقبح، وإنكاراً لما جاءت به الشرائع من المصالح والمفاسد، والمعروف والمنكر، وما في الشريعة من المناسبات بين الأحكام وعللها^(٣).

أدلة القول الثالث: حسن الأفعال وقبحها ثابت بالعقل، والثواب والعقاب يتوقف على الشرع.

١. أخبر الشارع عن قبح أعمال الكفار قبل مجيء الرسل: {إِذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى} (طه: ٢٤)، {يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِي وَعَدُوٌّ لَهُ} (طه: من الآية ٣٩)، فهو إذ ذاك عدو لله، ولم تكن جاءت الرسل، {أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ

(١) شفاء العليل ٥٣٢/٢.

(٢) شفاء العليل ٥٣٤/٢. وانظر ما بهمه.

(٣) الفتاوى ٣٥٤/١١، حصول المأمول ص ٢٠٨.

الْعَالَمِينَ) (لأعراف: من الآية ٨٠). وفي الصحيح أن حذيفة^(١) قال: يا رسول الله إنا كنا في جاهلية وشر، فجاءنا الله بهذا الخير، فهل بعد هذا الخير من شر؟ قال: ((نعم، دعاة على أبواب جهنم من أجامهم إليها قذفوه فيها))^(٢) (٣).

٢. أن الله أمر الناس أن يتوبوا ويستغفروا مما فعلوه، فدل على أنه من السيئات القبيحة، لكن الله لم يعاقب عليها. قال الله على لسان هود: {وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ} (هود: من الآية ٥٢)، وعلى لسان صالح: {فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ} (هود: من الآية ٦١)^(٤).

٣. حكى ابن تيمية^(٥) في هذا الموضع اتفاق السلف عليه، أخذوا من كلامهم في تعليل الأحكام، وبيان حكمة الله في خلقه وأمره، فنفى من البدع التي حدثت في الإسلام^(٦).

٤. أن القول أن الأفعال ليس فيها صفات تقتضي الحسن والقبح، كالقول بأنه ليس في الأجسام صفات تقتضي التسخين والتبريد، والإشباع والإرواء، فسلب صفات الأفعال المقتضية للآثار، كسلب صفات الأعيان المقتضية للآثار^(٧).

(١) حذيفة بن اليمان (جسّل وقيل حُسِّل) بن جابر بن عمرو، أبو عبد الله العسبي، حليف الأنصار من أعيان المهاجرين، صاحب سر رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنافقين، كان يسأل النبي صلى الله عليه وسلم عن الشر ليحذره، مات سنة (٣٦)، أحاديثه (٢٢٠). الاستيعاب ٣٩٣/١، أسد الغابة ٤٦٨/١، الإصابة ٣٩/٢، سير أعلام النبلاء ٤٦٠/١.

(٢) رواه البيهقي (٦٦٧٣)، ومسلم (١٨٤٧).

(٣) الفتاوى ٦٧٧/١١-٦٧٨.

(٤) الفتاوى ٦٧٩/١١-٦٨٠.

(٥) هو شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن الحضر بن محمد بن تيمية النمرى الحارثي، الإمام الفقيه، المتهجد المحدث الحافظ المفسر، حتى قال بن رجب عنه: ((وشهرته تفني عن الإطناب في ذكره)).

من تصانيفه: اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم، كتاب الإيمان، درء تعارض العقل والنقل، منهاج السنة. وتوفي سنة ٧٢٨هـ. انظر: الدليل على طبقات الحنابلة، ٣٨٧/٢، المقصد الأرشد ١٣٢/١.

(٦) الرد على المتطهين ص ٤٢١، وانظر حصول المأمول ص ٢٠٧.

(٧) منهاج السنة ١٧٨/٣، حصول المأمول ٢٠٨.

الترجيح:

يترجح لديّ القول بأن حسن الأفعال وقبحها ثابت بالعقل، والثواب والعقاب يتوقف على الشرع، قال الزركشي عن القول الثالث بعد أن لخص الأقوال في المسألة: (وهو المنصور لقوّته من حيث النظر، وآيات القرآن المجيد، وسلامته من التناقض، وإليه إشارات محققي متأخري الأصوليين والكلاميين، فليتنظروا له).

فها هنا أمران:

أحدهما: إدراك العقل حسن الأشياء وقبحها.

والثاني: أن ذلك كافٍ في الثواب والعقاب وإن لم يرد شرع، ولا تلازم بين الأمرين^(١).

- قال الشوكاني: (وبالجملة فالكلام في هذا البحث يطول، وإنكار مجرد العقل لكون الفعل حسنا أو قبيحا مكابرة ومباهة، وأما إدراكه لكون ذلك الفعل الحسن متعلقا للثواب، وكون ذلك الفعل القبيح متعلقا للعقاب، فغير مسلم، وغاية ما تدركه العقول أن هذا الفعل الحسن يمدح فاعله، وهذا الفعل القبيح يذم فاعله، ولا تلازم بين هذا وبين كونه متعلقا للثواب والعقاب^(٢)).



(١) البحر المحيط ١١٣\١-١١٤ .

(٢) إرشاد الفحول ص ١٤ .

هل أصل الأشياء الإباحة أو التحريم

تحرير المسألة:

ههنا مسألتان ربما وقع الخلط بينهما:

الأولى: حكم الأشياء قبل البعثة:

قال شيخ الإسلام: ((ولقد اختلف الناس في تلك المسألة هل هي جائزة أم ممتنعة؟ لأن الأرض لم تخل من نبي مرسل، إذ كان آدم نبيا مكلفا حسب اختلافهم في جواز خلط الأقطار عن حكم مشروع، وإن كان الصواب عندنا جوازه.

ومنهم من فرضها فيمن ولد بجزيرة، إلى غير ذلك من الكلام الذي يبين لك أن لا عمل بها وأنها نظر محض ليس فيه عمل، كالكلام في مبدأ اللغات وشبه ذلك.

على أن الحق الذي لا راد له أن قبل الشرع لا تحليل ولا تحريم، فإذا لا تحريم يستصحب ويستدام فيبقى الآن كذلك، والمقصود خلوها عن المآثم والعقوبات))^(١)

وإليه أشار القاضي عياض فقال: ((وقد اختلف في عصمتهم أي: الأنبياء - من المعاصي قبل النبوة، فمنعها قوم، وجوزها آخرون.

والصحيح إن شاء الله تنزيههم من كل عيب، وعصمتهم من كل ما يوجب الريب. فكيف والمسألة تصورها كالممتنع، فإن المعاصي والنواهي إنما تكون بعد تقرير الشرع))^(٢).

الثانية: الأصل في الأشياء الإباحة أم المنع؟

سواء كانت من الأعيان المنتفع بها، أو من الأفعال الاختيارية.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: ((ولست أنكر أن بعض من لم يحط علما بمدارك الأحكام، ولم يؤت تمييزا في مظان الاشتباه، ربما سحب ذيل ما قبل الشرع على ما بعده، إلا أن هذا

(١) فتاوى ابن تيمية ٢١/٥٣٩-٥٤٠.

(٢) الشفا فصل عصمة الأنبياء من المعاصي ٢/٤٩٠.

غلط قبيح لو نبه له لتنبه مثل الغلط في الحساب لا يهتك حريم الإجماع ولا يثلم سنن الاتباع^(١).

* وعلى هذا التفريق يحمل قول صاحب مراقي السعود^(٢) :

والحكم ما به يجيء الشرع ** وأصل كل ما يضر المنع

(والحكم ما به يجيء الشرع)، مفهومه: لا حكم قبل ورود الشرع.

(وأصل كل ما يضر المنع)، مفهومه: أصل كل نافع الإباحة.

وأشار إلى هذا الفرق أحمد بن زيدان الحكني في شرحه على مراقي السعود مشيراً إلى الفرق: (...اعلم أن المعتزلة جعلت العقل طريقاً إلى العلم بالحكم الشرعي...وكان المصنف يقول: كذبتهم مرتين فالحكم التنجيزي (ما به يجيء الشرع)... والمراد شريعته عليه الصلاة والسلام، فلا حكم تنجيزياً يتعلق بنا قبل البعثة لأحد من الرسل.

(و) أما بعد مجيء الشرع إذا تعارضت الأدلة أو عدمت فـ (أصل كل ما يضر المنع)... الخ^(٣).

فخلاصة القول في تحرير صورة المسألتين:

أن مسألة حكم الأشياء قبل البعثة مسألة عقدية مبحوثة في أصول

الفقه، لا يبنى عليها عمل، وهي فرع عن مسألة التحسين والتقبيح^(٤).

وأما مسألة الأصل في الأشياء بعد الشرع فهي مسألة عملية، يستصحب الحال عند عدم الدليل الشرعي، يحظر أو إباحة، وهي المسألة التي ينتزل كلام القاضي عياض عليها.

(١) الفتاوى ٥٣٨/٢١ - ٥٤٠.

(٢) نثر الورود ٤٣/١.

(٣) مراقي السعود إلى مراقي السعود ص ٦٣-٦٤.

(٤) انظر: سلاسل اللعب ص ١٠٣.

حكم الأعيان المنتفع بها بعد ورود الشرع

أو

هل الأشياء أصلها الإباحة أو الحظر [بعد ورود الشرع]

تحرير محل النزاع:

تنقسم الأفعال، أو الأعيان، أو الأشياء إلى قسمين:

١. أفعال اضطرارية مثل التنفس في الهواء وغيره، فهذه تكاد تكون محل إجماع بين العلماء لأنها غير ممنوع منها، إلا لمن يُحوّز تكليف ما لا يطاق، وقد حكى بعض العلماء الإجماع عليها.

٢. أفعال اختيارية، مثل أكل الفاكهة، وهذه هي محل الخلاف بين العلماء^(١).

رأي القاضي عياض:

قال: ((وقوله عليه السلام: إن الله يعرض بذكر الخمر، ولعله سينزل فيها أمراً، فمن كان عنده منها شيء فليبعها ويتنفع به))^(٢) دليل على أن الأشياء على الإباحة في جميع المنافع إلا ما حرمه الشرع، وأما على ما كانت عليه قبل زمن الشرع^(٣).

وقال: ((وقد اختلف الناس هل الأشياء أصلها على الإباحة، وعلى ما كانت عليه قبل ورود الشرع؟ وهو قول طائفة من الفقهاء والأصوليين. وقاله أبو الفرج من المالكيين إلا ما ورد الشرع بتحريمه.

وقالت طائفة أخرى: ذلك على الحظر والتحريم إلا ما ورد الشرع بإباحته، وقاله أبو بكر الأهمري^(٤) من شيوخنا.

(١) تيسر التحرير ١٦٧/٢-١٦٨، فواتح الرحموت ٤٥/١ وما بعدها، المحصول ١٥٨/١، التمهيد للأسنوي ص ١٠٩، العدة ١٢٤٣/٤، القواعد والفوائد الأصولية ص ١٤٨، المختصر لابن اللحام ص ٥٦-٥٧.

(٢) رواه مسلم (١٥٧٨) من حديث أبي سعيد الخدري.

(٣) انظر: إكمال المعلم، كتاب المساقاة، باب تحريم الخمر ٢٤٩/٥.

(٤) محمد بن عبد الله بن محمد بن صالح التميمي أبو بكر الإمام العلامة، القاضي، المحدث، شيخ المالكية، انتهت إليه الرئاسة في مذهب مالك، وله كتاب الأصول، وكتاب إجماع أهل المدينة، والرد على المزني، (ت: سنة ٣٧٥).

انظر: الديباج ٣٥١، وشجرة النور ٩١.

ومعظم المتكلمين والفقهاء، وغيرهم على الوقوف في ذلك، حتى يستدل على حكمه من جهة الشرع بدليل.

وذهبت المعتزلة، ومن قال بالتحسين والتقبيح إلى أن ما تستقبحه العقول من ذلك ممنوع، كالظلم والفساد في الأرض، وما تستحسنه واجب كشكر المنعم، وما عدا هذين البابين على الوقف^(١).

وهذا يدل على أنه يقول بإباحتها.

أقوال العلماء في المسألة: وقد اختلفوا فيها على ثلاثة أقوال:

القول الأول: أصلها الإباحة، وبه قال أبو الفرج المالكي^(٢)، وأكثر الحنفية^(٣)، وبعض الشافعية^(٤)، وبعض الحنابلة^(٥)، وشيخ الإسلام ابن تيمية^(٦)، وبه قال المباركفوري^(٧)، ونسب للظاهرية^(٨) ومعتزلة البصرة^(٩)، وإليه ميل القاضي عياض.

(١) انظر: إكمال المعلم، كتاب الصيد، باب تحريم أكل كل ذي ناب ٣٦٩/٦ - ٣٧٠.

(٢) الإشارة ص ٣٢٥، إحكام الفصول ص ٦٨١، شرح تنقيح الفصول ص ٧٥.

(٣) تقويم الأدلة للدهوسي ص ٤٥٨، كشف الأسرار ١٩٣/٣، تيسير التحرير ١٦٨/٢، التقرير والتحبير ٩٩/٢، فوائح الرحموت ٤٥/١.

(٤) منهم أبو العباس بن سريج، وأبو إسحاق المروزي، والقاضي أبو حامد المروزي.

قواطع الأدلة ٤١٠/٣، المستصفى ١٢٣/١، الإحكام ١٣٢/١، المحصول ١٥٨/١، الحاصل ١٦٦/١، التحصيل ١٨٧/١، اللمع للشرازي ص ٣٣٧، سلاسل الذهب ص ١٠١، البحر المحيط ١٢٠/١.

(٥) منهم: أبو الحسن التميمي، وأبو الفرج المقدسي، وأبو الخطاب، واختاره أبو يعلى في مقدمة المهرود.

العدة ١٢٣٨/٤، التمهيد ٢٧٠/١، الروضة ١٩٨/١، شرح الكوكب للنير ٣٢٥/١، أصول الفقه لابن مفلح ١٧٣/١، التحبير على التحرير ٧٦٥/٢، القواعد والفوائد الأصولية ص ١٤٨، المختصر لابن اللحام ص ٥٦، شرح غاية السؤل ص ١٥٠.

(٦) جامع الرسائل ١٧١/٢، الفتاوى ٥٣٤/١٠. وانظر: حصول المأمول من كلام شيخ الإسلام في الأصول ص ٤٣٦-٤٤٣.

(٧) تحفة الأحوذى ٣٣١/٤، عند شرحه لحديث النعمان بن بشير: ((الحلال بين والحرام بين)). و (٣٢٤/٥) عند حديث: ((وما سكنت عنه فهو مما عفا عنه)).

(٨) كشف الأسرار ١٩٣/٣، سلاسل الذهب ص ١٠١، العدة ١٢٤٠/٤، أصول الفقه لابن مفلح ١٧٣/١.

(٩) منهم: أبو علي الجبائي، وابنه أبو هاشم. المعتمد ٣١٥/٢، شرح تنقيح الفصول ص ٧٥، كشف الأسرار ١٩٣/٣، ميزان الوصول ص ٢٠١، تيسير التحرير ١٦٨/٢، اللمع ص ٣٣٧، قواطع الأدلة ٤١٠/٣، المحصول ١٥٨/١، الحاصل ٢٦٦/١، سلاسل الذهب ص ١٠١، لباب المحصول ٢٠٩/١، العدة ١٢٤٠/٤.

القول الثاني: إنما على الحظر حتى يرد الشرع بإباحتها.

وإليه ذهب أبو بكر الأبهري من المالكية^(١)، وبعض الحنفية^(٢)، وبعض الشافعية^(٣)،
وبعض الحنابلة^(٤)، ومعتزلة بغداد^(٥)، وطائفة من الإمامية^(٦).

القول الثالث:

لا حكم لها، أي على الإباحة الأصلية، ويعبر عنه بعضهم بالوقف، ولم يرتضه جمع من
الأصوليين^(٧)، قال في المحصول في تفسير الوقف: ((وهذا الوقف تارة يفسر بأنه: لا
حكم، وهذا لا يكون وقفا، بل قطعاً بعدم الحكم. وتارة: بأننا لا ندري هل هناك حكم،
أم لا؟ وإن كان هناك حكم فلا ندري أنه إباحة أو حظر؟))^(٨)

(١) الإشارة ص ٣٢٥، إحكام الفصول ص ٦٨١، شرح تنقيح الفصول ص ٧٥، شرح الكوكب المنير ٣٢٧/١.

(٢) كشف الأسرار ١٩٣/٣، تيسر التحرير ١٦٨/٢، التقرير والتحجير ٩٩/٢.

(٣) منهم: أبو علي بن أبي هريرة.

قواطع الأدلة ٤٠٩/٣، اللعص ص ٣٣٧، المحصول ١٥٨/١، الحاصل ٢٦٦/١، التحصيل ١٨٦/١، الإجماع
١٤٢/١، سلاسل الذهب ص ١٠١، البحر المحيط ١٢١/١، التمهيد للإسنوي ١٠٩، شرح الأصفهاني على
المنهاج ١٢٤/١.

(٤) منهم: ابن حامد، والحلواني، واختاره القاضي أبو يعلى.

العلة ١٢٣٨/٤، التمهيد ٢٧٠/١، الروضة ١٩٩/١، شرح الكوكب المنير ٣٢٧/١، أصول الفقه لابن مفلح
١٧٢/١، التحجير على التحرير ٧٦٨/٢، القواعد والفوائد الأصولية ص ١٤٩، المختصر لابن اللحام ص ٥٦،
شرح غاية السؤل ص ١٥٠.

(٥) للمعتد ٣١٥/٢، كشف الأسرار للبخاري ١٩٣/٣، تيسر التحرير ١٦٨/٢، التقرير والتحجير ٩٩/٢، لباب
المحصول ٢٠٩/١، اللعص ص ٣٣٧، قواطع الأدلة ٤٠٢/٣، المحصول ١٥٨/١، البحر المحيط ١٢١/١، سلاسل
الذهب ص ١٠٢، لباب المحصول ٢٠٩/١، العلة ١٢٣٨/٤.

(٦) المحصول ١٥٨/١، الحاصل ٢٦٦/١، العلة ١٢٣٨/٤.

(٧) انظر: شرح تنقيح الفصول ص ٧٥، المستصفي ٢٢٣/١، الإحكام للأمدى ١٣٠/١، نهاية الوصول إلى علم
الأصول ١٣٨/١، لباب المحصول ٢٠٩/١.

ويرى السبكي والزرکشي والباقلاني عدم التفريق بينهما، انظر: منع الموانع ص ٩٥-٩٨، وتشنيف المسامع
١٤٦-١٤٧، الوصول إلى الأصول ٧٣/١.

(٨) المحصول ١٥٩/١.

قال البيضاوي: ((وفسره الإمام بعدم الحكم، والأولى أن يفسر بعدم العلم، لأن الحكم قلم عنده، ولا يتوقف تعلقه على البعثة لتحويزه التكليف بالمحال))^(١).
وقال به أكثر المالكية^(٢)، وبعض الحنفية^(٣)، وبعض الشافعية^(٤)، وبعض الحنابلة^(٥)، وهو مذهب الظاهرية^(٦)، والأشعرية^(٧)، وبعض المعتزلة^(٨).

دليل القول الأول: الإباحة.

- (١) المنهاج للبيضاوي مع غريبه الانتهاج ص ٢٦.
- (٢) المقدمة لابن القصار ص ١٥٣، الإشارة ص ٣٢٥، إحكام الفصول ص ٦٨٢، مختصر ابن الحاجب مع شرح المضد ص ٧١.
- (٣) منهم: أبو منصور الماتريدي، وصاحب الهداية.
- ينظر: كشف الأسرار ١٩٣/٣، تيسير التحرير ١٦٨/٢، التقرير والتحجير ٩٩/٢.
- (٤) منهم: أبو بكر الصمري، وأبو علي الطبري، والقاضي أبو الطيب الطبري، وأبو بكر الفارسي.
- ينظر: قواطع الأدلة ٤٠٨/٣، اللع ص ٣٣٧ واختاره، المحصول ١٥٩/١، الحاصل ٢٦٦/١ وقال: إنه الحق، التحصيل ١٨٧/١، سلاسل الذهب ص ١٠٢، البحر المحيط ١٢٢١/١، التمهيد للإسنوي ١١٠، شرح الأصفهاني على المنتهاج ١٢٤/١.
- (٥) منهم: أبو الحسن الخزازي، وابن عقيل، والموفق، والمجد، وقال ابن عقيل والموفق: وهو اللائق بالمنه. وقال المجد: هو الصحيح الذي لا يجوز على المنه غيره.
- العدة ١٢٤٢/٤، التمهيد ٢٧١/٤، الروضة ٢٠٠/١، شرح الكوكب المنير ٣٢٥/١، أصول الفقه لابن مفلح ١٧٥/١، التحجير على التحرير ٧٦٨/٢، القواعد والفوائد الأصولية ص ١٥٠، المختصر لابن اللحام ص ٥٦، شرح غاية السؤل ص ١٥٠.
- (٦) الإحكام في أصول الأحكام لابن حزم ٥٢/١، حيث قال عنه: وقال آخرون وهم جميع أهل الظاهر وطوائف من أهل أصحاب القياس: ليس لها حكم في العقل أصلاً، لا يحظر ولا إباحة، وإن كل ذلك موقف على ما ترد به الشريعة.
- قال أبو محمد: وهذا هو الحق الذي لا يجوز غيره. اهـ.
- (٧) ومنهم إمامهم أبو الحسن الأشعري.
- ينظر: قواطع الأدلة ٤٠٨/٣، اللع ص ٣٣٧، المحصول ١٥٩/١، سلاسل الذهب ص ١٠٢، البحر المحيط ١٢٢/١، التمهيد ص ١١٠، كشف الأسرار ١٩٣/٣، تيسير التحرير ١٦٨/٢، التقرير والتحجير ٩٩/٢، العدة ١٢٤٢/٤، الروضة ٢٠٠/١، شرح الكوكب المنير ٣٢٥/١.
- (٨) منهم القاشاني، وبشر المريسي، وضرار بن عمر.
- ينظر: ميزان الأصول ص ١٩٩، فواتح الرحموت ٤٥/١، لباب المحصول ٢٠٩/١.

أ. أدلة المنقول^(١):

١. قوله تعالى: {هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً} (البقرة: من الآية ٢٩)

ووجه الدلالة أنه أخبر أنه خلق جميع ما في الأرض للناس مضافاً إليهم باللام، واللام حرف الإضافة وهي توجب اختصاص المضاف بالمضاف إليه، واستحقاقه إياه من الوجه الذي يصلح له^(٢).

٢. قوله تعالى: {قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ} (الأعراف: من الآية ٣٢)

٣. وقال تعالى: {وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً مِنْهُ} (الجنات: من الآية ١٣)^(٣)

وإذا كان ما في الأرض مسخراً لنا جاز استمتاعنا به^(٤).

٤. وقال تعالى: {قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبِّي عَلَيْكُمْ} (الأنعام: من الآية ١٥١)

٥. وقال تعالى: {قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا} (الأنعام: من الآية ١٤٥)

فما لم يجد تحريره ليس بمحرم وما لم يحرم فهو حل^(٥).

٦. وقال تعالى: {اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمْ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمْ النَّهَارَ وَاللَّيْلَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبِينَ وَسَخَّرَ لَكُمْ الْبَحْرَ وَالنَّهَارَ وَاللَّيْلَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبِينَ وَسَخَّرَ لَكُمْ الْبَحْرَ وَالنَّهَارَ وَاللَّيْلَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبِينَ وَسَخَّرَ لَكُمْ الْبَحْرَ وَالنَّهَارَ وَاللَّيْلَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبِينَ} (إبراهيم: ٣١-٣٤)

(١) وهي كثيرة اقتصرنا على أهمها.

(٢) انظر الفتاوى لابن تيمية (٥٣٥/٢١).

(٣) قال ابن تيمية (الفتاوى ٥٣٦/٢١): وإذا كان ما في الأرض مسخراً لنا جاز استمتاعنا به.

(٤) انظر الفتاوى لابن تيمية (٥٣٦/٢١).

(٥) الفتاوى ٥٣٧/٢١.

فدلت هذه الآيات على أن أصل الأشياء الإباحة، وأن المحرم منها محصور.

١. وقال صلى الله عليه وسلم: ((إن أعظم المسلمين جرماً من سأل عن شيء لم يحرم، فحرم من أجل مسألته))^(١).

٢. وقال صلى الله عليه وسلم: ((وما سكت عنه فهو مما عفا عنه))^(٢).

قال ابن تيمية: (الحديث) نص في أن ما سكت عنه فلا إثم عليه فيه^(٣).

٣. عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جاءه جاء فقال: أكلت الحمر. ثم جاءه جاء فقال: أكلت الحمر. ثم جاءه جاء فقال: أفنيت الحمر. فأمر منادياً فنادى في الناس إن الله ورسوله ينهيانكم عن لحوم الحمر الأهلية، فإنها رجس فأكففت القدور، وإنها لتفور باللحم^(٤).

قال الحافظ ابن حجر: ((وأن الأصل في الأشياء الإباحة لكون الصحابة أقدموا على ذبحها وطبخها كسائر الحيوان من قبل أن يستأمروا مع توفر دواعيهم على السؤال عما يشكّل))^(٥).

ب. الإجماع:

(١) رواه البغاري (٦٨٥٩)، ومسلم (٢٣٥٨) من حديث سعد بن أبي وقاص.

(٢) رواه الترمذي (١٧٢٦) وابن ماجه (٣٣٦٧)، والبيهقي في الكبرى ٣٢٠/٩، من حديث سلمان أنه صلى الله عليه وسلم سئل عن الجبن والسمن والفراء فقال: ((الحلال ما أحل الله في كتابه، والحرام ما حرم الله في كتابه، وما سكت عنه فهو مما عفا عنه)).

قال الترمذي: وهذا حديث غريب... وكان الحديث الموقوف أصح. وسألت البغاري عن هذا الحديث فقال: ما أراه محفوظاً روى سفيان عن سليمان التيمي عن أبي عثمان عن سلمان موقوفاً.

ورواه الدارقطني ١٣٧/٢، والحاكم في المستدرک ٤٠٦/٢، والبيهقي في الكبرى ١٢/١٠، من حديث أبي الدرداء بلفظ: ((وما سكت عنه فهو عافية فاقبلوا من الله العافية فإن الله لم يكن نسياً)) وقال: هذا حديث صحيح

الإسناد ولم يخرجاه. وحسن إسناده الهيثمي في المجمع ١٧١/١، وحسنه الألباني في الصحيحة (٢٢٥٦).

(٣) الفتاوى ٥٣٧/٢١.

(٤) رواه البغاري (٥٢٠٨).

(٥) فتح الباري ٦٥٦/٩.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: ((لست أعلم خلاف أحد من العلماء السالفين، في أن ما لم يجيء دليل بتحريمه فهو مطلق غير محجور، وقد نص على ذلك كثير ممن تكلم في أصول الفقه وفروعه، وأحسب بعضهم ذكر في ذلك الإجماع يقينا أو ظنا كاليقين.

فإن قيل: كيف يكون في ذلك إجماع وقد علمت اختلاف الناس في الأعيان قبل مجيء الرسل وإنزال الكتب هل الأصل فيها الحظر أو الإباحة؟ أولا يدرى ما الحكم فيها؟ أو أنه لا حكم لها أصلا؟ واستصحاب الحال دليل متبع، وأنه قد ذهب بعض من صنف في أصول الفقه من أصحابنا وغيرهم على أن حكم الأعيان الثابت لها قبل الشرع مستصحب بعد الشرع، وأن من قال بأن الأصل في الأعيان الحظر استصحب هذا الحكم حتى يقوم دليل الحل؟.

فأقول: هذا قول متأخر لم يؤثر أصله عن أحد من السابقين. ممن له قدم، وذلك أنه قد ثبت أنها بعد مجيء الرسل على الإطلاق، وقد زال حكم ذلك الأصل بالأدلة السمعية التي ذكرتها، ولست أنكر أن بعض من لم يحيط علما بمدارك الأحكام، ولم يوت تميزا في مظان الاشتباه، ربما سحب ذيل ما قبل الشرع على ما بعده ((^(١)).

ج. أما الأدلة من المعقول:

١. أنه تعالى غني على الحقيقة، جواد على الإطلاق، والغني والجواد لا يمنع عن عباده إلا ما كان فيه ضرر، فتكون الإباحة هي الأصل باعتبار غناه وجوده^(٢).
 ٢. أنه قد علم انتفاعنا بها من غير ضرر علينا، ولا على غيرنا فليكن مباحا.
- ولأنه سبحانه خلق هذه الأعيان لحكمة لا محالة، ولا يجوز ذلك لنفع يرجع إليه، فثبت أنه لنفعنا^(٣).

أدلة القول الثاني: القائلين بالحظر.

(١) الفتاوى ٥٣٨/٢١ - ٥٣٩.

(٢) كشف الأسرار للبخاري ١٩٤/٣، مجموع الفتاوى ٥٤٠/٢١.

(٣) المقدمة لابن قسار ص ١٥٤-١٥٥، إحكام الفصول ص ٦٨٢، التحصيل ١٨٨/١، الروضة ٢٠١/١، أصول الفقه لابن مفلح ١٧٨/١، التحجير شرح التحرير ٧٦٧/٢، شرح الكوكب المنير ٣٢٦/١.

أ. من المنقول:

١. قوله تعالى: {تَسْأَلُونَكَ مَاذَا أَحَلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ} (المائدة: من الآية ٤) ومفهومه أن المتقدم قبل الحل هو التحريم^(١).

٢. وقوله تعالى: {أَحَلَّتْ لَكُمْ بِهِمَةَ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ} (المائدة: من الآية ١) ومفهومه أنها كانت قبل ذلك محرمة، فدل على أن الأشياء كلها كانت على الحظر^(٢).

ب. ومن المعقول:

١. الأشياء كلها مملوكة لله تعالى على الحقيقة، والتصرف في ملك الغير لا يثبت إلا بإباحة المالك، فلما لم تثبت الإباحة بقيت على الحظر، لقيام سببه وهو ملك الغير^(٣).

٢. وقالوا أيضاً: لو أقدمنا على الانتفاع بهذه الأعيان لم نأمن أن يعاقبنا الله على ذلك، فيجب أن يمتنع ذلك خوفاً من عقوبته^(٤).

دليل القول الثالث: القائلين بأنه لا حكم لها (الوقف).

أ. من المنقول:

١. قوله تعالى: {وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً} (الاسراء: من الآية ١٥)

نفي التعذيب قبل البعثة، فينتفي ملزومه وهو الحكم^(٥).

٢. وقوله تعالى: {لَعَلَّا يَكُونُ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ} (النساء: من الآية ١٦٥). ومفهومه يدل على الاحتجاج قبل البعثة، ويلزم من ذلك نفي الموجب والمحرّم^(٦).

ب. من المعقول:

(١) شرح تنقيح الفصول ص ٧٨.

(٢) شرح تنقيح الفصول ص ٧٨، نثر الورود ٥٦٨/٢.

(٣) كشف الأسرار ١٩٤/٣.

(٤) ينظر: إحكام الفصول للباهي ص ٦٨٦.

وانظر لمناقشة هذه الأدلة: المقدمة لابن القصار ص ١٥٥، ميزان الوصول ص ٢٠٣، قواطع الأدلة ٤١٩/٣، الوصول لابن برهان ٧٣-٧٥، أصول الفقه لابن مفلح ١٧٧/١، التحبير شرح التحرير ٧٦٩/٢، شرح الكوكب المنير ٣٢٧/١.

(٥) الإحكام للأمندي ١٣١/١، شرح تنقيح الفصول ص ٧٨، نهاية الوصول لابن الساعاتي ١٣٩/١-١٤٠.

(٦) نفس المصادر السابقة.

١. أنه لو كان العقل يوجب إباحة شيء من هذه الأعيان أو حظره لاستحال أن ينقله الشرع عما يقتضيه في العقل لاستحالة ورود الشرع بما ينافي العقل، كما يستحيل أن يرد بنفي أن الاثنين أكثر من الواحد^(١).

٢. الحرمة والإباحة لا تثبت إلا بالشرع، فقبل وروده لا يتصور ثبوت واحدة منهما، فلا يحكم فيها بحظر ولا إباحة^(٢).

الترجيح:

والذي يظهر لي مما سبق عرضه وبيانه رجحان ما ذهب إليه القاضي عياض من أن الأصل في الأشياء بعد ورود الشرع الإباحة، للأدلة السابقة الذكر من كتاب الله وسنة رسوله، وما جرى عليه العمل من الصحابة.

(١) الإشارة للباحي ص ٣٢٥.

(٢) المقدمة لابن قنار ص ١٥٥، تحفة المسؤول شرح مختصر ابن الحاجب ١/٤٥١-٤٥٢، اللمع ص ٣٣٧،

الوصول لابن برهان ١/٧٣، باب الحصول ١/٢٠٩، الحاصل ١/٢٦٧،

هل الكفار مخاطبون بفروع الشريعة

صورة المسألة:

هذه المسألة مثال لقاعدة وهي: ((التكليف بالمشروط حالة عدم الشرط هل يصح أم لا)). أو تقول: ((هل حصول الشرط الشرعي شرط في التكليف أم لا))^(١).
وقد عر بعض الأصوليين القاعدة الأصلية بدلا من التعبير بالمثال^(٢).

نص القاضي عياض في المسألة:

قال: ((وفي قوله عليه السلام لمعاذ^(٣) دليل بين ألا يطالب أحد بفروع الشريعة إلا بعد ثبات الإيمان، وحجة لمن يقول: إن الكفار غير مخاطبين بفروع الشريعة^(٤) لقوله: " فليكن

(١) وانتقد هذا الاطلاق ابن الممام، فقال (التحرير مع تيسير التحرير ١٤٨/٢): وفرض الكلام في بعض جزئيات محل النزاع، وهو تكليف الكفار بالفروع... بل هي تمام عمله والخلاف فيها غير مبني على ذلك المستلزم عدم جواز التكليف بالصلاة حال الحدث، بل - الخلاف واقع - ابتداء في جواز التكليف بما شرط في صحته الإيمان حال علمه.

(٢) تحفة المسؤول شرح مختصر ابن الحاجب ١١٢/١، تيسير التحرير ١٤٨/٢، التقرير والتحجير ٨٨/٢، نهاية الوصول للساعاتي، المستصفي ١٧١/١، الإحكام للأمدى ١٩١/١، شرح جمع الجوامع ٣٦٨/١، سلاسل الذهب ص ١٥١، شرح مختصر الروضة ٢٠٥/١، المختصر لابن اللحام ص ٦٨، نزعة الخاطر العاطر ١٢٠/١. ومنهم من جمع بينهما، كالسيكي في جمع الجوامع حيث قال: الأكثر أن حصول الشرط الشرعي ليس شرطا في صحة التكليف، وهي مفروضة في تكليف الكفار بالفروع. انظر: تشنيف المسمع شرح جمع الجوامع ٢٨٥/١-٢٨٦.

(٣) معاذ بن جبل بن عمرو بن أوس بن عائذ بن عدي بن كعب، أبو عبد الرحمن الأنصاري الخزرجي المدني البصري، شهد العقبة شابا أمرد، توفي سنة (١٨) للهجرة.

الاستيعاب ٤٥٩/٣، أسد الغابة ٤١٨/٤، الإصابة ١٠٧/٦، سير أعلام النبلاء ٤٤٣/١.

(٤) قال النووي في شرح مسلم ١٤٧/١: واستدل به بعضهم على أن الكفار ليسوا بمخاطبين بفروع الشريعة من الصلاة والصوم والزكاة وتحريم الزنا ونحوها، لكونه صلى الله عليه وسلم قال: "فإن هم أطاعوا لذلك فأعلمهم أن عليهم" فدل على أنهم إذا لم يطيعوا لا يجب عليهم.

وهذا الاستدلال ضعيف، فإن المراد أعلمهم أنهم مطالبون بالصلوات وغيرها في الدنيا، والمطالبة في الدنيا لا تكون إلا بعد الإسلام، وليس يلزم من ذلك أن لا يكونوا مخاطبين بما يزداد في عذابهم بسببها في الآخرة ولأنه صلى الله عليه وسلم رتب ذلك في الدعاء إلى الإسلام وبدأ بالأهم فالأهم.

أول ما تدعوهم إليه عبادة الله، فإذا عرفوا الله فأخبرهم أن الله فرض عليهم خمس صلوات^(١). وفي الرواية الأخرى: "فادعهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأني رسول الله، فإن هم أطاعوك لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات...".

وقد يحتاج من يقول بالقول الآخر: بأن هذا على تقلد الآكف في التعليم، ألا تراه كيف رتب ذلك في الفروع وبني بعضها على بعض^(٢).

فهذا النص لا يتبين منه رأي صريح للقاضي عياض، وإنما فيه حكاية للأقوال المشهورة في المسألة فقط.

إلا أن استنباطه ذلك من الحديث، وقوله: "دليل بين" يدل على أنه يقول بعدم خطائهم. تحرير محل النزاع:

١. أجمعت الأمة على أن الكفار مخاطبون بأصول الدين من الإسلام والإيمان^(٣).
 ٢. وأجمعوا على خطائهم بالمعاملات من البيع والشراء والطلاق والعق و غيره^(٤).
 ٣. واتفقوا على خطائهم كذلك بالعقوبات من الحدود والقصاص، مثل السرقة والزنا^(٥).
 ٤. لا خلاف في عدم جواز الأداء حال الكفر ولا في عدم وجوب القضاء بعد الإسلام^(٦).
- * واختلفوا في تكليف الكفار بفروع الشريعة في الدنيا، كالصلاة والزكاة والصوم والحج، وكل ما يكون الإيمان شرطاً في التكليف به.

(١) مسلم (١٢٣).

(٢) إكمال المعلم، كتاب الإيمان، باب الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الإسلام ٢٣٩/١-٢٤٠، ومسلم (١٩).

(٣) ومن يخالف من المبتدعة في ذلك فعلافة غير معتبر. انظر: إحكام الفصول ص ١١٨، شرح تنقيح الفصول ص ١٢٩، ميزان الوصول ص ١٩٠، التلخيص ٣٨٧/١، البحر المحيط ٣٩٧/١، أصول الفقه لابن مفلح ١٦٤/١.

(٤) تيسير التحرير ١٥٠/٢، كشف الأسرار ٤٠٢/٤، فواتح الرحموت ١٠٨/١، الإجماع ١٧٩/١.

(٥) راجع المراجع السابقة.

(٦) انظر: أصول السرعسي ٧٣-٧٤، التلويح شرح التوضيح ٤٠/١-٤١، التوضيح شرح التنقيح ٤٠٠/١، التمهيد لأبي الخطاب ٣٠١/١، شرح العملة لابن تيمية كتاب الصلاة ص ٣٥، كتابي الصوم ٤١/١، الفتاوى

أي: هل يعاقبون عليها حالة عدم وجود شرط صحتها وهو الإيمان، فيكون العقاب عليها في الآخرة وعلى شرطها وهو الإيمان، أم على الإيمان فقط، لأنها لا تقبل منهم قبل وجود الإيمان.

قال تقي الدين السبكي: المراد العمومات التي شملتهم لفظاً، هل يكون الكفر مانعاً من تعلقها بهم أو لا؟^(١). بل زاد شيخ الإسلام ابن تيمية عقابهم على فعل المباحات، لأن الله إنما أباحها للمؤمنين، وأمرهم بالشكر عليها، والكافر لم يؤمن بالله، ولم يشكر الله على هذه النعم، فيعاقبه على ذلك^(٢).

أقوال العلماء في المسألة:

القول الأول: إنهم مخاطبون بفروع الشريعة مطلقاً. قال به بعض الحنفية^(٣). وهو ظاهر مذهب مالك^(٤)، قال ابن العربي^(٥): ((الكفار عندنا مخاطبون بفروع الشريعة، ولا خلاف فيه في قول مالك. اهـ. وبه قال جمهور أصحابه. وهو أصح القولين عن الشافعي، وعليه جمهور أصحابه^(٦)). وهو أصح الروایتين عن الإمام أحمد وعليها أكثر أصحابه^(٧)، وبه قال ابن تيمية^(٨). وقال به ابن حزم الظاهري^(٩)، وأكثر المعتزلة^(١٠)، والأشعرية^(١١))).

(١) تشنيف المسامح ١٩٠/١.

(٢) الفتاوى ٤٧/٧، ٤٤، ٤٥، حصول المأمول من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية في الأصول ص ٢٨٤-٢٨٥.

(٣) منهم مشايخ العراق، والرازي، والكرخي.

انظر: أصول السرغسي ٧٣/١، ميزان الأصول ١٩٤، كشف الأسرار ٤/٤٠٢، تيسر التحرير ١٤٨/٢، التقرير والتحبير ٨٧/٢، الفصول في الأصول ١٠٨/١.

(٤) كما نقله القاضي عبد الوهاب، والباقي، وابن العربي، وابن رشد.

انظر: إحكام الفصول ١١٨، نشر البنود ١٦٨/١، شرح تنقيح الفصول ١٢٩، تحفة المسؤول ١٢٢/١، الضياء اللامع ٣٦٨/١، المحصول ٢٧، لباب المحصول ٢٥٦/١.

(٥) أحكام القرآن ٣٧٧/١، تفسير القرطبي ٤/١٤٦، مواهب الجليل ٢/٤٧٤.

(٦) اللع ٨٠، البرهان ١/١٧، التلخيص ٣٨٨/١، المستصفى ١/١٧١، المنحول ٣١، الوصول لابن برهان ٩٢/١، المحصول ٢/٢٣٧، التحصيل ١/٣٢١، الحاصل ١/٤٧٣، البحر المحيط ١/٣٩٨، سلاسل الذهب

١/١٥١، تشنيف المسامح ١/٢٨٨، تخريج الفروع على الأصول ٩٨، التمهيد ١٢٦.

القول الثاني: أنهم غير مخاطبين مطلقاً.

ذهب إليه أكثر الحنفية^(١)، وبعض المالكية^(٢). وبه قال أبو حامد الإسفرائيني من الشافعية، وهو قول للشافعي^(٣)، ورواية عن أحمد^(٤)، وبعض المعتزلة^(٥).

القول الثالث: إنهم مخاطبون بالنواهي دون الأوامر^(٦).

اختاره بعض الحنفية^(٧)، وهو رواية عن الإمام أحمد^(٨).

القول الرابع: إن المرتد مخاطب بخلاف الكافر الأصلي^(٩).

(١) التمهيد ٢٩٨/١، الروضة ٢٣٠/١، الواضح ١٣٢/٣، المسودة ١٦١/١، أصول الفقه لابن مفلح ١٦٤/١، شرح مختصر الروضة ٢٠٥/١، التحبير شرح التحرير ١١٤٤/٣، القواعد الأصولية ٧٦، المختصر في أصول الفقه ٦٨/١، نزهة الخاطر العاطر ١٢٠/١، المدخل ١٤٥.

(٢) الفتاوى ٧، ١١/٢٢، شرح العمدة (المناسك) ١١٣/١-١١٤.

(٣) الإحكام في أصول الأحكام ١٠٣/٥/٢.

(٤) المعتمد ٢٩٤/١، المسودة ١٦١/١، أصول الفقه لابن مفلح ١٦٤/١.

(٥) شرح الكوكب المنير ٥٠١/١.

(٦) منهم مشايخ سمرقند وما وراء النهر، كأي زيد، وشمس الأكمة، وفهر الإسلام، وهو المختار عند المتأخرين. ينظر المراجع السابقة للحنفية في القول الأول.

(٧) منهم ابن عويز منداد، وقال الأبياري: إنه ظاهر مذهب مالك. الإشارة للباقي ص ١٧٥.

(٨) قواطع الأدلة ١٨٦/١، شرح اللمع ٢٧٧/١، وتنظر المراجع السابقة للشافعية.

(٩) تنظر مراجع الحنابلة في القول الأول.

(١٠) وبه قال عبد الجبار. المعتمد ٢٩٤/٢، تيسير التحرير ١٤٨/٢، التحرير والتحبير ٨٩/٢، البحر المحيط ٤٠٢/١١.

(١١) واحتجوا على ذلك: بأن الانتهاء في حال الكفر ممكن، إذ لا يشترط في لنتهيات التقرب، بخلاف المأمورات، فيشترط فيها التقرب.

(١٢) أصول السرخسي ٣٣٨/٢، تيسير التحرير ١٤٨/٢.

(١٣) اختارها ابن حامد والقاضي أبو يعلى في المهرود. ينظر شرح الكوكب المنير ٥٠٢/١، التحرير

١١٥٢/٣، أصول الفقه لابن مفلح ٢٦٤/١، المسودة ١٦١/١، التمهيد ٢٩٩/١، الواضح ١٣٢/٣، الروضة

٢٢٩/١، شرح مختصر الروضة ٢٠٥/١، ونسب في كتب الحنابلة الأصولية هذا القول إلى المرحاني الحنفي،

ولم أره في كتب الأحناف، ولا غيرها من الكتب الأصولية منسوباً إليه.

(١٤) لأن المرتد ملتزم بأحكام الإسلام.

القول الخامس: إنهم مخاطبون بما سوى الجهاد^(١).

شرح تنقيح الفصول ص ١٣٠، حكاة عن القاضي عبد الوهاب في الملخص، الضياء اللامع ٣٧٢/١، نشر البنود ١٦٩/١، التحبير شرح التحرير ١١٥٢/٣، البحر المحيط ٤٠٢/١، تشنيف المسامع ٢٨٨/١، التمهيد للإسنوي ص ١٢٧، شرح مختصر الروضة ٢٠٥/١، القواعد والفوائد الأصولية ص ٧٦، المختصر في أصول الفقه ص ٦٨.

(١) لأنهم يمتنع أن يقاتلوا أنفسهم.

صرح به أبو المعالي في النهاية. البحر المحيط ٤٠٢/١، التحبير شرح التحرير ١١٥١/٣، شرح الكوكب المنير ٤٠٥/١، المختصر في أصول الفقه ص ٦٨.

القول السادس: إنهم مكلفون بالأوامر فقط^(١).

القول السابع: الوقف^(٢).

القول الثامن: التفريق بين الحربي فليس بمكلف دون غيره^(٣).

أدلة الجمهور: استدلل القائلون بتكليف الكفار بالفروع مطلقا بعدة أدلة منها:

١. شمول الأدلة العامة لهم، كقوله تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ} (البقرة: من الآية ٢١)^(٤)، وقوله {يَا عِبَادِ فَاتَّقُونِ} (الزمر: من الآية ١٦)، وقوله: {وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ} (البقرة: من الآية ٤٣)، وقوله: {يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ} (الأعراف: من الآية ٣١)^(٥)، وقوله: {وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا} (آل عمران: من الآية ٩٧)، وقوله: {فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ} (الحشر: من الآية ٢)، وقوله: {الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ} (الأعراف: من الآية ١٥٧). وقوله: {وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا} (سبأ: من الآية ٢٨)، وأمره تعالى أن يقول: {قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا} (الأعراف: من الآية ١٥٨): هو نص جلي على لزوم شرايع الإسلام كلها للكفار كنزومها للمؤمنين، إلا أنها لا تقبل منهم إلا بعد الإسلام، وهم في ذلك كالجنب وتارك النية والمحدث لا تقبل منه صلاة حتى يطهر، ولا صيام ولا حج إلا بإحداث النية في ذلك^(٦).

(١) قال الزركشي في البحر المحيط: حكاه ابن الوكيل في الأشباه والنظائر، ولعله انقلب مما قبله - أي: الخطاب للنواهي فقط - ويرده الإجماع السابق على تكليفهم بالنواهي. البحر المحيط ٤٠٢/١، تصنيف المسامع ٢٨٨/١، المختصر في أصول الفقه ص ٦٨.

(٢) قال في البحر المحيط: حكاه سليم الرازي في "تقريره" عن بعض الأشعرية، وحكاه الشيخ أبو حامد الإسفراييني عن الأشعري نفسه. البحر المحيط ٤٠٢/١، التحبير شرح التحرير ١١٥٥/٣.

(٣) البحر المحيط ٤٠٣/١.

(٤) وجه الدلالة: لفظ الناس في الآية جنس عام يشمل المؤمن والكافر.

(٥) وجه الدلالة: حيث أمر الله تعالى بني آدم جملة.

(٦) الأحكام لابن حزم ١٠٣/٥ - ١٠٤.

وقوله تعالى { وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ } (المائدة: ٥) فصيح أن طعامنا حل لهم شاعوا أم أبوا^(١). قال ابن العربي: وهذا نص في مخاطبتهم بفروع الشريعة^(٢).

وقوله تعالى { وَأَنْ أَحْكَمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ } (المائدة: ٤٩)، وروي عن ابن عباس^(٣) بسند جيد أن هذه الآية ناسخة لقوله تعالى: { فاحكم بينهم أو أعرض عنهم }^(٤).

وقوله تعالى { قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ } (التوبة: من الآية ٢٩) فنص على أنهم عصاة، إذ لا يحرمون ما حرم الله ورسوله صلى الله عليه وسلم^(٥).

فهذه الأدلة مجتمعة نص في الدلالة على خطاياهم بالفروع، وغير ذلك مما لا يحصر، والكفر غير مانع لإمكان إزالته.

٢. ما ورد من الوعيد لهم على ترك بعض الفروع، كقوله تعالى: { مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمِ الْمَسْكِينِ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْفَاحِشِينَ وَكُنَّا نَكْذِبُ يَوْمَ الدِّينِ حَتَّى آتَانَا الْيَقِينَ } (المدثر: ٤٢-٤٧)^(٦) وجه الدلالة في الآية: التصريح بأن من الأسباب التي سلكتهم في سقر عدم إطعام المسكين وهو فرع من الفروع.

(١) الإحكام لابن حزم ١٠٣/٥-١٠٤.

(٢) أحكام القرآن ٦٤٧/١.

(٣) ابن عباس: عبد الله بن عباس بن عبد المطلب بن هاشم القرشي الهاشمي، أبو العباس ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم، حبر الأمة وترجمان القرآن، ولد قبل الهجرة بثلاث سنين، وتوفي سنة (٦٨) من الهجرة وله (٧١) سنة أحاديثه (١٦٦٠).

الاستيعاب ٦٦/٣، أسد الغابة ١٨٦/٣، الإصابة ١٢١/٤.

(٤) حديث ابن عباس في الإحكام لابن حزم ١٠٤/٥.

(٥) الإحكام لابن حزم ١٠٣/٥-١٠٤.

(٦). والاعتراض بأن المراد بالمصلين للمؤمنين أو للمعتدين لصحة الصلاة - خروج عن الظاهر إلى المحتمل، فلا يلتفت إليه.

- وقوله تعالى: {خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ثُمَّ الْحَجِيمَ صَلُّوهُ ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعاً فَاسْلُكُوهُ إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ وَلَا يَحِضُ عَلَى طَعَامِ الْمَسْكِينِ} (الحاقة: ٣٠-٣٣). حيث بين السبب في عذابه بأنه كان لا يطعم المسكين، وهو فرع من الفروع.
- وقوله تعالى: {وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَاماً} (الفرقان: ٦٨). الآية نص في مضاعفة العذاب في حق من جمع بين هذه المحظورات.
- وقوله تعالى: {وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ} (فصلت: ٦-٧). فذمهم على شركهم وإحلالهم بالزكاة، وتفسير الزكاة بلا إله إلا الله خروج عن الظاهر إلى المحتمل فلا حاجة إليه.
- وقوله تعالى: {فَلَا صَدَقَ وَلَا صَلَّى وَلَكِنْ كَذَبَ وَتَوَلَّى} (القيامة: ٣١-٣٢). فذمه على جميع ذلك، فإن قيل المراد الاعتقاد، قيل: إنه لا يصح، لأنه قدم الصدقة والصلاة، فدل على أن المراد الفعل دون الاعتقاد.
- وقوله تعالى: {لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنْفَكِينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ} إلى قوله {وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ} (البينة: ١-٥). وهذا صريح بأنهم أمروا بإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة كما أمروا بالإيمان.
- وقوله تعالى: {الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَلُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ زِدْنَاهُمْ عَذَاباً فَوْقَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يُفْسِدُونَ} (النحل: ٨٨). أي: فوق عذاب الكفر، وذلك إنما هو على بقية عبادات الشرع. قال ابن السبكي والزرخشى عن الآية: إنها أصرح الأدلة على محل النزاع.^(١)
- ذم الله قوم شعيب بنقص المكيال، وقوم لوط بإتيان الذكور، وقوم هود لشدة البطش، مع ذم الكل بالكفر^(٢).

(١) الإجماع شرح المنهاج ١/١٨٥.

(٢) التبصير شرح التحرير ٣/١١٤٦.

- قال تعالى : { وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ } (التوبة: من الآية ٣٤). قال القرطبي^(١) :
واختلف الصحابة في المراد بهذه الآية... فذهب معاوية إلى أن المراد بها أهل الكتاب .
وقال أبو ذر^(٢) وغيره: المراد بها أهل الكتاب وغيرهم من المسلمين. وهو الصحيح ...
وعلى قول الصحابة فيه دليل على أن الكفار عندهم مخاطبون بفروع الشريعة^(٣).
- عن ابن عمر أن عمر بن الخطاب^(٤) قال: يا رسول الله: إني نذرت في الجاهلية أن
أعتكف ليلة في المسجد الحرام. قال: ((أوف بنذكرك))^(٥).
قال الحافظ ابن حجر: ونقل شيخنا - أي العراقي - في شرح الترمذي^٦ أنه استدل به على
أن الكفار مخاطبون بفروع الشريعة وإن كان لا يصح منهم إلا بعد أن يسلموا، لأمر
عمر بوفاء ما التزمه في الشرك^(٧).

(١) محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح أبو عبد الله الأنصاري الخزرجي ، الأندلسي، القرطبي، العلامة، المفسر،
الفقيه، كان من عباد الصالحين، والعلماء العارفين الورعين، أوقاته معمورة ما بين توجه وعبادة وتصنيف، من
مولفاته: الجامع لأحكام القرآن، شرح الأسماء الحسنى، والتذكرة، (ت: ٦٧١هـ). الديباج ٤٠٦، شجرة
النور ١٩٧.

(٢) كما في صحيح البخاري، قال الحافظ ابن حجر في هذا الحديث: وفي الحديث من الفوائد غير ما تقدم أن
الكفار مخاطبون بفروع الشريعة لاتفاق أبي ذر ومعاوية على أن الآية نزلت في أهل الكتاب. فتح الباري
٢٧٥/٣

(٣) أبو ذر : اختلف في اسمه واسم أبيه وللشهور أنه جندب بن جندب بن سكين، وشهرته أبو ذر
الغفاري، الصحابي الجليل، الزاهد، أحد السابقين الأولين، وكان قوالا بالحق لا تأخذه في الله لومة لائم، توفي سنة
(٣٢). أحاديثه (٢٨١).

الاستيعاب ٢١٦/٤، أسد الغابة ٩٩/٥، الإصابة ١٠٥/٧.

(٤) تفسير القرطبي ١٢٣/٨ - ١٢٤.

(٥) عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى ، أبو حفص العدوي القرشي، ثاني الخلفاء الراشدين، فاروق
الإسلام، وزير رسول الله صلى الله عليه وسلم، قتل شهيدا سنة (٢٣) رضي الله وأرضاه، أحاديثه (٥٣٧).
الاستيعاب ٢٣٥/٣، أسد الغابة ٦٤٢/٣، الإصابة ٤٨٤/٤.

(٦) فتح الباري ٥٨٢/١١.

(٧) محمد بن عيسى بن سورة بن موسى، أبو عيسى، السلمي الترمذي، من أئمة الحديث، وحفاظه، كان يضرب به
المثل في الحفظ، من مصنفاته: كتاب الجامع (سنن الترمذي) والشمال النبوية، والعلل، وتوفي سنة (٢٧٩هـ). سير
أعلام النبلاء ٢٧٠/١٣، الأعلام ٣٢٢/٦.

- الإجماع: أجمعت الأمة على أن الكافر معاقب على قتل الأنبياء وتكذيب الرسل^(٣).
- المعقول: الكافر مخاطب بالإيمان، وهو شرط العبادة، ومن خوطب بالشرط كالطهارة كان مخاطباً بالصلاة^(٤).
- الكافر داخل في الخطاب بالنهي، لأن الذمي يحذر الزنا والسرقه، فوجب أن يدخل في الأمر، لأن من دخل في أحد الخطابين دخل في الآخر^(٥).

بيان نوع الخلاف في المسألة:

١. ذهب جمهور الأصوليين إلى أن الخلاف في المسألة حقيقي، ثم اختلفوا:
 - فمنهم من قال: يرجع إلى كثرة العقاب في الآخرة فقط^(٦).
 - ومنهم من قال له فائدة في الدنيا أيضاً، منها: تنفيذ طلاقه وعتقه وظهاره، وإلزامه الكفارات، وهل يمكن من دخول المسجد وهو جنب، وإذا دخل الحرم وصاد صيدا هل يلزمه الضمان، ووجوب زكاة الفطر على الكافر في عبده المسلم، ووجوب الاغتسال من الحيض إذا كانت الكتائية تحت مسلم، وغيرها كثير^(٧).

(١) ثم قال: ونقل أنه لا يصح الاستدلال به لأن الواجب بأصل الشرع كالصلاة لا يجب عليهم قضاؤها فكيف يكفون بقضاء ما ليس واجباً بأصل الشرع.

قال: ويمكن أن يجاب بأن الواجب بأصل الشرع مؤقت بوقت وقد خرج قبل أن يسلم الكافر ففات وقت أدائه فلم يؤمر بقضائه، لأن الإسلام يجب ما قبله، فما إذا لم يؤت نلوه فلم يتعين له وقت حتى أسلم، فإيقاعه له بعد الإسلام يكون أداء، لاتساع ذلك باتساع العمر.

الفتح ٥٨٣/١١.

(٢) إحكام الفصول ص ١١٩، للمستصفي ١٧٣/١.

(٣) العدة ٣٦٤/١، التمهيد ٣٠٩/١، أصول الفقه لابن المفلح ٢٦٧/١، التحبير شرح التحرير ١١٤٧/٣، شرح الكوكب المنير ٥٠٢/١.

(٤) المحصول للرازي ٢٣٧/١، العدة ٣٦٣/٢.

(٥) شرح تنقيح الفصول ص ١٦٥، كشف الأسرار ٢٤٣/٤، الروضة ٢٣١/١، شرح الكوكب المنير ٥٠٣/١، إرشاد الفحول ص ١٠.

(٦) قال في كشف القناع ٢٨١/١: (ويحرم على رجل ولو كافراً) لما تقدم أنه مخاطب بفروع الشريعة.

٢. ذهب محمد بختيت - من المعاصرين-، وتبعه على ذلك صاحب الخلاف اللفظي، إلى أن الخلاف في المسألة لفظي.

قال بختيت: ((فلم يكن الإثبات والنفي في الخلاف واردا على موضوع واحد، لأن ما ينفيه الأول هو التكليف بالأداء حال الكفر، وهذا لا يخالف فيه الثاني. والذي يثبت الثاني هو التكليف بعد زوال المانع، وهو الكفر، وهذا لا يخالف فيه الأول))^(١).

- والذي يظهر هو قول الجمهور، فإن للمسألة أثراً أخروياً لم ينازع فيه القائلون بأن الخلاف لفظي^(٢)، وآثاراً دنيوية سبق ذكر بعض أمثلتها^(٣).
- أما قول بختيت فليس وارداً في محل النزاع، إذ محل النزاع كما سبق بيانه في مضاعفة العذاب الأخروي، وهذا ينكره الحنفية، إضافة إلى بعض الآثار الفقهية التي سبق بيانها.

مسألة: تكليف ما لا يطاق (التكليف بالمحال).

وقال ١٨١/٣، مطالب أولي النهى ٥٢/٣: (ولا يصح بيع ما قصد به الحرام كعنب و) ك (عصير لمتعهدهما محرراً) وكذا زيب ونحوه. (ولو) كان بيع ذلك (لنمي) يتخلله محرراً لأنهم مخاطبون بفروع الشريعة.

- إذا نذر الكافر عبادة فهل يلزمه القيام بها إذا أسلم أم لا؟ قولان، يخرجان على المسألة، وقد سبق دليل الوجوب في حديث عمر بن الخطاب من صحيح البخاري. انظر: التمهيد للإسنوي ص ١٢٨، القواعد والفوائد الأصولية ص ٥٧.

(١) سلم الوصول ٣٨١/١، الخلاف اللفظي ٢٥٥/١-٢٥٨.

(٢) الخلاف اللفظي ١٥٧/١. وقال: أما ما ذكره أصحاب القول الأول من زيادة العقاب على القول بتكليفهم، فهذا أمره إلى الله تعالى فهو أعلم بذلك. اهـ أقول: لكن قد جاءت النصوص بإثبات مضاعفة العذاب فيجب الإيمان بذلك. وإنما يتوقف فيما لم ترد النصوص بنفيه وإثباته، كما هو مقرر في كتب الاعتقاد.

(٣) اقتصرنا في الأمثلة على ما أراه يتخرج على المسألة، بخلاف بعض الأمثلة التي قد ينازع في تحريجها على هذا الأصل.

تعريف المستحيل:

- يطلق المستحيل على الممتنع، وهو ما لا يتصور في العقل وجوده، أي ما لا يقبل الوجود، ولا يمكن ولا يتأتى تصوره في العقل^(١).
- وقيل: هو ما لو قدر وجوده لزم منه محال^(٢).
- أقسامه^(٣):

لقد اختلفت تقسيمات الأصوليين للمستحيل وفيما يلي بعض منها.

• منهم من يقسم المستحيل إلى خمسة أقسام:

- ١- المستحيل عقلا: وهو المستحيل لذاته، وذلك كالجمع بين الضدين^(٤) والنقيضين^(٥)، والحصول في حيزين في وقت واحد.
- ٢- المستحيل عادة كالطيران للإنسان، وخلق الأجسام، وحمل الجبل العظيم.
- ٣- المستحيل لطريان مانع، كتكليف المقيد العلو، والزمن المشي.
- ٤- المستحيل لانتفاء القدرة عليه حال التكليف، مع أنه مقلود عليه حالة الامثال، كالتكاليف كلها.
- ٥- المستحيل لتعلق العلم بعدم وقوعه، كالإيمان من الكافر الذي علم الله تعالى أنه لا يؤمن، فالإيمان منه مستحيل، إذ لو آمن لانقلب علم الله جهلا وهذا القسم جائز عقلا، وواقع شرعا، وهو محل إجماع عند العلماء، لكن الخلاف في تسميته مستحيلا^(٦).

(١) رفع الحرج في الشريعة الإسلامية للباحثين ١٩٠.

(٢) الضياء اللامع ٣٦٧\١.

(٣) انظر: نهاية السؤل ١٩٦\١-١٩٨، الوصول لابن برهان ٨٢\١، شرح المعالم ٣٥٥\١، السودة ٢١٧\١،

التحير شرح التحرير ١١٣\٣، شرح الكوكب المنير ٨٤\١.

(٤) الفضلان: صفتان وجوديتان يتعاقبان في موضع واحد يستحيل اجتماعهما، لكن قد يرتفعان معا عن المحل.

كالسود والبياض.

انظر: التعريفات للحرجاني ص ١٧٩، الحنود الأنيقة ص ٧٣.

(٥) النقيضان: أمران لا يجتمعان ولا يرتفعان. انظر: التعريفات للحرجاني ص ١٧٩، الحنود الأنيقة ص ٧٣.

(٦) انظر الإجماع في المسألة: الضياء اللامع ٣٦٤\١، نثر الورود ٢٠١\١، كشف الأسرار ٤٠٧\١، التوضيح

شرح التنقيح ٣٦٧\١، فواتح الرحموت ١٠٤\١، الإحكام للأمندي ١٧٩\١، الإجماع ١٧١\١، المحلى على

والقسم الرابع واقع عند الأشعري، بمقتضى الأصل الذي أصله^(١).

والثلاثة الأولى هي محل النزاع.

● وهناك من يقسم المستحيل إلى قسمين فقط وهما^(٢):

١. المستحيل لذاته: وهو ما امتنع عقلا وعادة، كالجمع بين السواد والبياض.

٢. المستحيل لغيره: وهو ما كان ممكنا في نفسه، ولكن لا يجوز وقوعه من المكلف، لانتفاء شرط أو وجود مانع، وهو أنواع:

أ. المستحيل عادة لا عقلا، كالمشي من الزمن والطيران من الإنسان، إذ هو ليس مستحيلا في نفسه بل هو ممكن، ولكنه امتنع في العادة لوجود المانع.

ب. المستحيل عقلا لا عادة، كالإيمان ممن علم الله أنه لا يؤمن.

تنبيهات:

١. ذكر صاحب المغني^(٣) في أبواب التوحيد والعدل أن يوسف السمني هو الذي وضع القول بتكليف ما لا يطاق، قال: وأخذ هذا القول عن ضرير كان بواسط زنديقا نينويا^(٤).

جمع الجوامع ٢٠٦١، غاية السؤل ص: ١٨٠، المختصر في أصول الفقه لابن اللحام ٦٨، شرح مختصر الروضة ١٢٦١. وانظر: بدائع الفوائد: ٩٨١/٤.

(١) قال الأمدى في الأحكام ١٢٩/١: (وهو لازم على أصله في اعتقاد وجوب مقارنة القدرة الحادثة للمقدور بها مع تقدم التكليف بالفعل الفعل، وأن القدرة الحادثة غير مؤثرة في مقدورها، بل مقدورها مخلوق لله تعالى، ولا يخفى أن التكليف بفعل الغير حالة عدم القدرة عليه تكليف بما لا يطاق).

انظر: المسائل المشتركة ١٣٢-١٣٨.

(٢) كما في أغلب المصادر الأصولية، انظر شرح التلويح للفتاوي ٣٦٨١، المحلى على جمع الجوامع ٢٠٦١، رفع الحرج في الشريعة الإسلامية للباحسين ١٩١.

(٣) القاضي عبد الجبار بن أحمد بن عبد الجبار بن أحمد بن خليل، أبو الحسن، من كبار المعتزلة، وأشهرهم تصنيفا، في مذهب المعتزلة في الاعتقاد، من تأليفه: المغني في أبواب التوحيد والعدل، شرح الأصول الخمسة، فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة، ولد سنة (٣٢٥هـ) توفي سنة (٤١٥هـ). تأريخ بغداد ١١٣/١١، طبقات الشافعية للسبكي ٩٧/٥، ميزان الاعتدال ٥٣٣/٢، الأعلام ٢٧٣/٣.

(٤) المغني ٤/٨، المسائل المشتركة ١٣٨.

وذكر الشهرستاني^(١) أن أول من حكاها الجهم بن صفوان^(٢).^(٣)

٢. قال الزركشي: ((واعلم أن هذه المسألة تكلم عليها أهل العلمين، علم الكلام، وعلم أصول الفقه، أما المتكلمون فلتعلقها بأحكام القدر، وخلق الأفعال، وأما الأصوليون فلتعلقها بأحكام التكليف وما يصح الأمر إلا به وما لا يصح))^(٤).

لكن قال شيخ الإسلام: ((والنزاع فيها لا يتعلق بمسائل الأمر والنهي، وإنما يتعلق بمسائل القضاء والقدر))^(٥).

قال الشيخ محمد العروسي: ((فإقحام هذه المسألة في الأصول من فضول القول))^(٦).

رأي القاضي عياض:

● قال القاضي: ((وقوله في الحديث: لما نزل على النبي صلى الله عليه وسلم { وَإِنْ تُبْذُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ } {البقرة: من الآية ٢٨٤})، اشتد ذلك على الصحابة... الحديث^(٧).. إلى قوله: نسخها الله، فأنزل الله { لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا } {البقرة: ٢٨٦}. قال الإمام^(٨): إشفاقهم وقولهم لا نطيقها، يحتمل أن يكون اعتقدوا أنهم يواخذون بما لا قدرة لهم على دفعه من الخواطر التي لا تكسب. فلهذا رأوه من قبيل ما لا يطاق، لا أنهم أرادوا

(١) محمد بن عبد الكريم بن أحمد، أبو الفتح الشهرستاني، الشافعي، الإمام المتكلم الفقيه الواعظ المحاضر، كان على طريقة الأشاعرة، لكنه تبين له فسادها، فندم وله في ذلك شعر، من تصانيفه: الإرشاد إلى عقائد العباد، تاريخ الحكماء، نهاية الإقدام في علم الكلام، الملل والنحل، ولد في عام (٤٧٩هـ) ومات في عام (٥٤٨هـ). طبقات الشافعية ٧٨/٤، شذرات الذهب ٥٤٩/٤.

(٢) جهم بن صفوان، أبو محرز، السمرقندي، قال عنه الإمام الذهبي: "الضال المبتدع، رأس الجهمية، هلك في زمان صفار التاهمين، وما علمته روى شيئا ولكنه زرع شرا عظيما" قتله سلم بن الأحوز سنة (١٢٨هـ). ميزان الاعتدال ٤٢٦/١، الأعلام ١٤٢/٢.

(٣) الملل والنحل ٨٧/١، المسائل المشتركة ١٣٨.

(٤) سلاسل الذهب ١٣٨-١٣٩.

(٥) درء التعارض: ٦٤/١. وانظر: الفتاوى ٢٩٢/٨-٢٩٤.

(٦) للمسائل المشتركة ص ١٤٦.

(٧) مسلم (١٢٥).

(٨) المازري.

ألا يؤاخذوا بالكتسب. وهذا على طريقة من يرى أن السيئة تكتب إن اعتقدها وإن لم يفعلها، وسنذكر وجه تأويل الأحاديث عند صاحب القول.

فإن كان المراد هذا، كان الحديث دليلاً على أنهم كلّفوا ما لا يطاق.

وعندنا أن تكليفه جائز عقلاً، واختلف هل وقع التعبد في الشريعة أو لا ((^(١)).

● وقال: ((وكان هذا يرى أنهم يلزمون ما لا يطيقون، فأزيل عنهم الإشفاق، وبين أنهم لم يكلفوا إلا وسعهم. وهذا غير ما أشار إليه الإمام أولاً، وعلى هذا لا حجة فيه لجواز تكليف ما لا يطاق، إذ ليس فيه نص على تكليفه.

واحتج بعضهم باستعاذتهم منه بقوله سبحانه {وَلَا تُحْمَلُونَ مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ} (البقرة: ٢٨٦) يستعينون إلا مما يجوز تكليفه.

وأجاب عن هذا بعضهم بأن معنى ذلك: أي ما لا نطقه إلا بمشقة وكلفة ((^(٢).

● وقال: ((وقوله: " فلا يبقى من كان يسجد لله من تلقاء نفسه إلا أذن له بالسجود، ولا يبقى من كان يسجد اتقاء ورياء إلا جعل الله ظهوره طبقاً، فكلما أراد أن يسجد خر على قفاه " ^(٣).

ويستدل بعضهم من هذا مع قوله تعالى {يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ} (القلم: ٤٢) على جواز تكليف ما لا يطاق، لأنهم دعوا إلى السجود، ومنعوا من التمكن منه، فجعل ظهورهم طبقاً واحداً.

وأجاب عن هذا من منع تكليف ما لا يطاق، بأن هذا الدعاء دعاء تبيكيت وتعجيز، لا دعاء تكليف، كما قال لهم: {ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا} (الحديد: من الآية ١٣) و{قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حديدًا} (الإسراء: ٥٠) ((^(٤).

● وقال: ((وهذا نهي عن التكليف لما يشق لئلا يعجز عنه، فينقطع ثوابه وثواب النية فيه ((^(٥).

(١) إكمال المعلم، كتاب الإيمان، باب بيان أنه سبحانه تعالى لم يكلف ما لا يطاق ٤١٩\١.

(٢) إكمال المعلم، كتاب الإيمان، باب بيان أنه سبحانه تعالى لم يكلف ما لا يطاق ٤٢٢\١.

(٣) مسلم (١٨٣).

(٤) إكمال المعلم، كتاب الإيمان، باب معرفة طريق الرؤية ٥٤٩\١ - ٥٥٠.

وانظر: إكمال المعلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها - باب فضيلة العمل الدائم ١٤٧\٣.

* فتحرر من هذه النقول أن القاضي عياض يميل إلى عدم جواز التكليف بما لا يطاق، وذلك لأنه أبطل بنفسه أو بالنقل عن غيره ما احتج به المجوزون، ولم يتعقب هذه الأجوبة ولا في موضع واحد.^(٣)

أقوال العلماء في مسألة تكليف ما لا يطاق.

علماء الأصول يبحثون هذه المسألة من جهتين:

أحدهما: من جهة الجواز العقلي، والثاني: من جهة الوقوع الشرعي.

أما من الجهة الأولى:

هل يجوز عقلا أن يكلفنا الله ما لا نطيع.

فقد اختلف العلماء فيها على ثلاثة أقوال:

القول الأول: منع التكليف بما لا يطاق مطلقا. وبه قال الحنفية^(٤) وجمع من الشافعية^(٥)، والحنابلة، وأكثر المعتزلة^(٦). وهو اختيار شيخ الإسلام ابن تيمية، ونسبه للجمهور^(٧). كما نسبه ابن النجار للأكثر، واختاره ابن الحاجب^(٨)، وابن قدامة^(٩)، والشوكاني^(١٠)، وابن بدران^(١١).

(١) إكمال المعلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها - باب فضيلة العمل الدائم ١٤٨٣.

وانظر: باب أمر من نص في صلاته ١٤٩٣-١٥٠.

وكتاب الفضائل، باب مباحثته صلى الله عليه وسلم للأمام ١٩١٧، وكتاب الجهاد ٢٩٦٦.

(٢) وانظر ترتيب المدارك عند ترجمة الباقلاني حيث نقل عنه مناظرة جرت بينه وبين المعتزلة في مسألة تكليف ما لا

يطاق وأنه لا يجوز التكليف بما لا يطاق وأقسامه ٥٤/٧-٥٦.

(٣) كشف الأسرار ٤٠٧١، تيسير التحرير ١٣٧٢، شرح التلويح على التوضيح ٣٦٧١.

(٤) منهم: إمام الحرمين، والغزالي، وأبو حامد الاسفرائيني، وابن دقيق العيد، وابن القشيري، وأبو بكر الصوري،

ينظر: الإرشاد لإمام الحرمين ص: ٩٤، المستصفى ١٦٥١، المنحول ص: ٢٥، الغيث الجامع ٨٦١،

الإمام ١٧١١، البحر المحيط ٣١١١.

(٥) الوصول لابن برهان ٨٢١، الإمام ١٧١١، الحاصل ٤٦٧١، سلاسل الذهب ص: ١٣٩، شرح

الكوكب النور ٤٨٦١.

(٦) مجموع الفتاوى ٤٧٠٨، وقال ((وأما جواز هذا التكليف عقلا فأكثر الأمة نفت جوازه مطلقا، وجوزه

عقلا من المثبتة للقدر من أصحاب أبي الحسن الأشعري، ومن وافقهم من أصحاب مالك والشافعي وأحمد

كأبن عقيل وابن الجوزي وغيرهم)).

وقال في الفتاوى ٢٩٨/٨: ((وأما وقوعه في الشريعة وجوازه شرعا فقد اتفقت حملة الشريعة على أن مثل هذا

ليس بواقع في الشريعة، وقد حكى انعقاد الإجماع على ذلك غير واحد))

القول الثاني: جواز التكليف بما لا يطاق مطلقا. نسب للأشعري، والباقلاني^(٩)، وهو اختيار الرازي^(١٠) وأتباعه، وعليه أكثر أصحاب الشافعي^(١١)، وبعض المالكية^(١٢)، واختاره الطوفي من الحنابلة^(١٣)، ونسبه الزركشي في البحر للجمهور.

القول الثالث: التفصيل، إن كان ممتنعا لذاته فلا يجوز، وإلا فيجوز. وبه قال معتزلة بغداد^(١٤)، وهو اختيار الآمدي^(١٥)، وإليه ميل الغزالي^(١٦)، وقال به بعض الحنفية^(١٧).

مآخذ وأدلة هذه الأقوال:

أدلة القول الأول: منع تكليف ما لا يطاق مطلقا.

أ. أهل السنة منهم:

(١) مختصر المنتهى مع شرحه للعضد ص: ٨٨ ، واعتبره العضد مذهب المحققين من العلماء.

(٢) الروضة ٢٣٤\١.

(٣) إرشاد الفحول ص: ١٥ وقال: وهو الحق. قال ابن بدران: والصحيح منه. المدخل ص: ١٥٨.

(٤) كما في كثير من كتب الأصول ومنها: شرح التنقيح للقرافي ص: ١١٥ ، نهاية الوصول لابن الساعاتي

٢٠٢\١ ، كشف الأسرار ٧\١ ، لباب المصنوع ٢٥٠\١ ، الإحكام للآمدي ١٧٩\١ .

(٥) شرح المعالم ٣٥٧\١ ، المصنوع ٢١٥\٢ ، سلاسل الذهب ص ١٣٦ .

(٦) المحاصل ٣٦٧\١ ، التحصيل ٣١٦\١ ، واليضوي في نهاية السؤل ١٩٦\١ ، وهو اختيار ابن السبكي كما في

الإمماج ١٧١\١ ، جمع الجوامع مع شرحه المجلد ٢٠٦\١ ، وهو اختيار ابن التلمساني شرح للعالم ٣٥٧\١ .

(٧) انظر سلاسل الذهب ص: ١٣٩ ، الفيت الهامع شرح جمع الجوامع ٨٦\١ ، الإمماج ١٧١\١ ، البحر المحيط

٣١١\١ ، ونسبه للجمهور.

(٨) كابين العربي، والقرافي، والأيلاري. المصنوع لابن العربي ص: ١٥ ، شرح التنقيح ص: ١٥ ، الضياء اللامع ١٦٧\١ .

(٩) شرح مختصر الروضة ٢٢٦\١ ، التحرير شرح التحرير ١١٣٤\٣ .

(١٠) نسبة إليهم للآمدي في الإحكام ١٧٩\١ ، جمع الجوامع مع شرحه للمجلد ٢٠٧\١ ، الفيت الهامع ٨٧\١ ،

الضياء اللامع ٣٦٥\١ ، البحر المحيط ٣١٣\١ ، التحرير شرح التحرير ١١٣٤\٣ ، شرح الكوكب المنير

٤٨٦\١ .

(١١) الإحكام للآمدي ١٨٩\١ .

(١٢) ظاهر ما في المستصفي والمنحول يصحح نسبة القول الأول للغزالي.

(١٣) فواتح الرحموت.

- إجماع السلف، قال ابن تيمية: ((والقول بتكليف ما لا يطاق وقوعا وجوازا، لا يعرف عن أحد من السلف والأئمة، بل أقوالهم تناقض ذلك، حتى إن سفيان بن عيينة سئل عن قوله: { لا يكلف الله نفسا إلا وسعها } قال: إلا يسره، ولم يكلفها طاقتها. قال البغوي^(١): وهذا القول حسن، لأن الوسع ما دون الطاقة^(٢))).^(٣)

وسبق النقل أن أول من أحدثها يوسف السمني، أو الجهم.

ب. المعتزلة منهم:

- هذه المسألة عندهم مبنية على التحسين والتقييح العقليين، لأنهم يقبح عندهم في العقل التكليف بمثل هذا^(٤).

- اشترط المعتزلة كون الأمر مريدا لوقوع ما أمر به، لذا استحال عندهم تكليف المستحيل، لأن الله عالم بأنه لا يقع^(٥).

ج. الأشاعرة منهم:

مأخذ المنع عندهم أن الفعل والترك لا يصحان من العاجز، فبطل تقدير الوجوب^(٦).

- الطلب في نفسه لا يتحقق مع علم الطالب أن المطلوب بأمره مستحيل^(٧).

أدلة القول الثاني: جواز التكليف بما لا يطاق مطلقا.

١. استدلل الأشعري بقوله تعالى: {وَلَا تُحْمَلُونَ مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ} (البقرة: من الآية ٢٨٦) فقال: لو كان ذلك محالا لما استقام الابتهاال إلى الله بدفعه.

(١) محمد الحسين بن مسعود بن محمد الفراء الشافعي، العلامة الحافظ الملقب بحمي السنة، مصنفاته: تفسيره (معالم التنزيل) وشرح السنة، والمصابيح، توفي سنة (٥١٦هـ). سير أعلام النبلاء ١٩/٤٣٩، طبقات الشافعية ٧/٧٥، شلرات الذهب ٤/٤٨.

(٢) الفتاوى ١٤/١٠٢.

(٣) تشنيف المسامع ١/٢٨١.

(٤) المصدر السابق ١/٢٨١.

(٥) أما الأصبهاني شارح الحصول فعلم المنع بأن قيام الأمر النفسي من العالم بالاستحالة محال، والقضية بديهية.

انظر: تشنيف المسامع ١/٢٨١، البحر المحيط ١/٢٢٠.

(٦) سلاسل الذهب ص ١٣٨.

والجواب: سبق رد القاضي عياض على هذا الاستدلال.

قال الراغب في مفرداته:

" قوله: { وَلَا تُحْمَلْنَ مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ } (البقرة: من الآية ٢٨٦)، أي: ما يصعب علينا مزاولته، وليس معناه: لا تحملنا ما لا قدرة لنا، وهذا مروي عن الضحاك كما أخرجه عنه ابن جرير^١ في الآية. قال: لا تحملنا من الأعمال ما لا نطيق^(٢)، وذلك لأنه تعالى قد يحمل الإنسان ما يصعب عليه كما قال: { وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ } (الأعراف: من الآية ١٥٧)، { وَوَضَعْنَا عَنْكَ وِزْرَكَ } (الشرح: ٢) ، أي: خففنا عنك العبادات الصعبة التي في تركها الوزر، وعلى هذا الوجه: { قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِحَالُوتَ وَجُنُودِهِ } (البقرة: من الآية ٢٤٩))^(٣).

وستأتي أدلة الوقوع عندهم، وكل ما كان دليلاً في الوقوع فهو دليل في الجواز، لأن الوقوع أحص من الجواز.

أما من الجهة الثانية:

تقدم أن المحال لتعلق علم الله تعالى بأنه لا يقع متفق على وقوعه شرعاً أما غيره.

فهل وقع في الشريعة غيره من التكليف بما لا يطاق.

اختلف العلماء فيها على ثلاثة أقوال:

القول الأول: عدم الوقوع مطلقاً. وعليه الجمهور^(١).

(١) محمد بن جرير بن يزيد بن كثير أبو جعفر الطبري من أهل طبرستان، الإمام الحافظ المقرئ المفسر، الفقيه، الأصولي، المورخ، المتهجد، وصنف تصانيف حسنة منها كتاب الرسل والملوك، وجامع البيان عن تأويل القرآن، وكتاب اختلاف الفقهاء، ولد عام (٢٢٤هـ) وتوفي سنة (٣١٠هـ). سير أعلام ٢٦٧/١٤، طبقات الشافعية للسبكي ١٢٠/٣، الأعلام ٢٩٤/٦.

(٢) انظر: تفسير ابن جرير ١٥٨/٣، الدر المنثور ١٣٦/٢.

(٣) وضعفه أيضا الغزالي كما في المستصفى ١٦٥/١.

(١) شرح تنقيح الفصول ص: ١١٥ ، الضياء اللامع ٣٦٦/١ ، كشف الأسرار ٤٠٧/١ حيث قال: والأصح عدم الوقوع، شرح التلويح على التوضيح ٣٦٨/١، فواتح الرحموت ١٠٤/١ ، البحر المحيط ٣١٣/١ ،

قال ابن الزاغوني والمجد: المحال لذاته ممتنع سمعا إجماعا، وإنما الخلاف في الجواز العقلي والاسم اللغوي، وأما الشرع فلا خلاف فيه ألبتة، ومن هنا ظهر الخلط^(١).
 القول الثاني: الوقوع مطلقا. وهو قول الرازي^(٢)، وشرذمة من المتأخرين.
 القول الثالث: التفصيل بين الممتنع لذاته وهذا لم يقع، والممتنع لغيره وهذا وقع.
 وهو اختيار البيضاوي، وابن السبكي^(٣)، وابن العربي^(٤).

أدلة القائلين بعدم وقوعه مطلقا:

- قوله تعالى: { لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا } (البقرة: من الآية ٢٨٦). قال ابن عيينة: قال إلا يسرها، ولم يكلفها طاقتها، قال البغوي: وهذا قول حسن، لأن الوسع ما دون الطاقة^(٥).
 أدلة القائلين بوقوعه:

١- أن القدرة مع الفعل، لا قبله، والتكليف يتوجه قطعاً قبل الفعل، والتكليف بغير المقدور تكليف بما لا يطاق^(٦).

تشنيف المسامع ٢٨٤/١، الفيت الجامع ٨٧/١، شرح المعالم ٣٥٧/١، قال: والأقرب عدم وقوعه، شرح الكوكب المنير ٤٨٩/١، التحبير شرح التحرير ١١٤١/٣.

(١) المسودة ٢١٧/١، التحبير شرح التحرير ١١٤١/٣، شرح الكوكب المنير ٤٨٩/١.

وانظر نقل الإجماع في المسألة في التلويح للتفتازاني ٣٦٨/١ حيث جعل الخلاف في الممتنع لغيره.

(٢) المحصول ٢١٥/٢، شرح المعالم ٣٥٧/١، نهاية السؤل ١٩٨/١، الفيت الجامع ٨٧/١، تشنيف المسامع ٢٨٤/١، التحبير شرح التحرير ١١٤١/٣، شرح الكوكب المنير ٤٨٩/١، ونقل نص إجازته عن أبي بكر عبد العزيز وأبي إسحاق بن شاقلا من الحنابلة.

(٣) الإجماع شرح المنهاج ١٧٣/١، جمع الجوامع مع شرح المحلى ٢١٠/١، حيث قال: والحق وقوع الممتنع للغير لا بالذات، تشنيف المسامع ٢٨٤/١ - هذا ويرى الزركشي في التشنيف تفصيلا أيضا في المسألة حيث قال: ((والحق فيه التفصيل أيضا، فإن كانت مما قضت العادة امتناعه كحمل الصخرة العظيمة للرجل النحيل، فحكمه حكم الممتنع لذاته في الجواز وعدم الوقوع، وأما ما امتنع لتعلق العلم به، فذاك ليس محل النزاع بل هو واقع إجماعا، وهذا وارد على إطلاقه)).

(٤) المحصول لابن العربي ص ٢٥. حيث قال: والصحيح أن تكليف ما لا يطاق جائز عقلا واقع شرعا.

فإن الله تعالى كلف العباد العبادات والوظائف كلها قبل أن يقدروا عليها لأن القدرة مع الفعل.

فأما تكليف المحال فلا يجوز عقلا لكن إذا وردت به الصيغة شرعا حمل على التكوين والتعجيز كقوله تعالى {كونوا} حجارة أو حديداً { وكقوله تعالى {كونوا قردة خاسئين}.

(٥) معالم التنزيل ٣١٣/١، الفتاوى ١٠٢/١٤.

والجواب: قال ابن القيم: ((والصواب ألها-أي القدرة- نوعان: نوع قبله وهي المصححة للتكليف التي هي شرط فيه، ونوع مقارن له فليست شرطا في التكليف))^(١).

٢- أفعال العباد بقدرة الله تعالى، فالعبد مطلوب بإيقاع فعل غيره، وفعل الغير لا نطبق اختراعه^(٢).

الجواب:

- هذا مبني على قول الأشعري بالكسب، وهو قول محدث، غير متحصل عند التحقيق، وبسط بطلانه في كتب الاعتقاد^(٣).

- هذا فيه جعل الصحيح المتمكن من الفعل القادر عليه الذي لو أراد له فعله، كالعاجز عن الفعل إما لاستحالته في نفسه أو لعجزه عنه. وهو باطل عندهم.

- هم لا يفرقون بين الفعل والمفعول، فامتنع أن يكون للعبد عندهم فعل، وهذا باطل عقلا لما فيه من نسبة الظلم إلى الله، وحسا لما يجده الإنسان من الفرق بين العاجز عن الفعل، وبين القادر عليه التارك له^(٤).

٣- تعلق علم الله سبحانه بعدم وقوع الفعل، فخرج عن كونه مقدورا للعبد.

(١) سلاسل الذهب ص ١٣٨.

(٢) بدائع الفوائد ٩٨١/٤.

(٣) سلاسل الذهب ١٣٨.

(٤) انظر: شفاء العليل ٣٦٧/١، وما بعدها.

(٥) انظر: للمسائل المشتركة ص ١٤٠-١٤٢.

والجواب: قال ابن القيم: ((والصواب: أنه لا يخرجُه عن كونه مقدورا القدرة المصححة التي هي مناط التكليف وشرط فيه، وإن أخرجه عن كونه مقدورا القدرة الموجبة للفعل المقارنة له))^(١).

قال الغزالي: ((والتحقيق إن ما كان مقدورا في ذاته جائز الوقوع لا تتغير حقيقته بالعلم. فقد أقدر الله سبحانه الكفار على الإيمان ثم علم أنهم يمتنعون مع القدرة، فكان كما علم فلم ينقلب المقدور معجوزا عنه بسبب علمه))^(٢).

الترجيح:

ما ذهب إليه القاضي عياض، وحكاه شيخ الإسلام عن حملة الشريعة، هو الذي لا يقتضي النظر سواء. بل قال شيخ الإسلام:

قال ابن القيم: ((الفعل بالنسبة إلى التكليف نوعان:

أحدهما: اتفق الناس على جوازه ووقوعه واختلفوا في نسبة إطلاق القول عليه بأنه لا يطاق. والثاني: اتفق الناس على أنه لا يطاق، وتنازعوا في جواز الأمر به، ولم يتنازعوا في عدم وقوعه. ولم يثبت بحمد الله تعالى أمر اتفق للمسلمون على أنه لا يطاق وقالوا إنه يكلف به العبد، ولا اتفق المسلمون على فعل كلف به العبد وأطلقوا القول عليه بأنه لا يطاق))^(٣).



(١) بدائع الفوائد ٩٨١/٤.

(٢) للمنعمول ٢٧-٢٨.

(٣) بدائع الفوائد ٩٨١/٤.

الباب الثاني: في الأدلة.

الفصل الأول: آراؤه في مباحث الكتاب.

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: حجية القرآن وإعجازه.

المبحث الثاني: البسمة.

المبحث الثالث: القراءة الشاذة.

المبحث الأول: حجية القرآن الكريم وإعجازه.

وفيه ثلاث مسائل

المسألة الأولى: في حجية القرآن

تمهيد:

١. تعريف القرآن:

قال القاضي عياض: ((وقد أجمع المسلمون على أن القرآن: المتلو في جميع أقطار الأرض، المكتوب في المصحف بأيدي المسلمين، مما جمعه الدفتان، من أول {الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ} (الفاتحة: ٢)، إلى آخر {قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ} (الناس: ١) ، أنه كلام الله تعالى ووحيه المنزل على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم))^(١).

وعرفه الأصوليون بتعريف قريب من هذا، فقالوا: كلام الله المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم، معجز بنفسه، متعبد بتلاوته^(٢).

٢. حكم الزيادة والنقص فيه:

قال القاضي عياض: ((وأن جميع ما فيه حق، وأن من نقص منه حرفا قاصدا لذلك، أو بدله بحرف آخر مكانه، أو زاد فيه حرفا آخر مما لم يشتمل عليه المصحف، الذي وقع الإجماع عليه وأجمع عليه أنه ليس بقرآن، عامدا لكل هذا فهو كافر))^(٣).

وقال: ((قد حفظ الله كتابه، وضمن ذلك فقال: {إِنَّا نَحْنُ نُزِّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ} (الحجر: ٩). وقد ثبت القرآن ووقع عليه الإجماع، فلا يزداد فيه حرف ولا ينقص حرف، وقد رام الروافض والملحدة ذلك فما أمكن لهم))^(٤).

٣. القرآن أصل التشريع:

(١) الشفا، الفصل التاسع: حكم من استعصف بالقرآن الكريم، ٥٩٧/٢.

(٢) شرح الكوكب المنير ٩-٨/٢، ونحوه في جمع الجوامع (مع التشنيف ٣٠٥/١)، والمراقي ٢١، حيث قال: لفظ منزل على محمد *** لأجل الإعجاز وللتعبد.

وانظر: أصول السرخسي ٢٧٩/١، تيسر التحرير ٤-٣/٤، الإمماج ١٩٠/١، الروضة ٦٦.

(٣) الشفا، الفصل التاسع: حكم من استعصف بالقرآن الكريم، ٣٠٤-٣٠٥.

(٤) [كمال المعلم، مقدمة مسلم، باب النهي عن الرواية عن الضعفاء، ١١٩-١٢٠].

وقال في ترتيب المدارك: ((اعلموا - وفقنا الله تعالى وإياكم- أن حكم المتعبد بأوامر الله تعالى ونواهيه، المتشرع بشريعة نبيه عليه السلام طلبُ معرفة ذلك وما يتعبد به، وما يأتيه ويذره، ويجب عليه ويحرم، ويباح له ويرغَب فيه، من كتاب الله تعالى وسنة نبيه عليه السلام، فهما الأصلان اللذان لا تعرف الشريعة إلا من قبلهما، ولا يعبد الله تعالى إلا بعلمهما، ثم إجماع المسلمين مرتب عليهما، ومسند إليهما فلا يصح أن يوجد وينعقد إلا عنهما، إما من نص عرفوه ثم تركوا نقله، ومن اجتهد مبني عليهما على القول بصحة الإجماع من طريق الاجتهاد...))^(١).

٤. أهمية القرآن.

قال في الإلماع: ((...أصل الشريعة التي تُعبدنا بها، إنما هي متلقاة من جهة نبينا صلوات الله عليه وسلامه، إما فيما بلغه من كلام ربه، وهو القرآن الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، والذي تكفل الله بحفظه فقال جل وعز {إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ} (الحجر: ٩). وبهذا الوجه ارتفع بحمد الله فيه اللبس، واطمأنت النفس لصحة جميعه كل نفس، ونقل بالتواتر كافة عن كافة، ولم يقع بين فرق المسلمين خلاف في حرف منه))^(٢).

٤. تعريف المعجزة

لغة^(٣):

قال ابن فارس: العين والجيم والزاي، أصلان صحيحان، يدل أحدهما على الضعف...^(٤).

قال القاضي عياض: (اعلم أن معنى تسميتنا ما جاءت به الأنبياء معجزة هو أن الخلق عجزوا عن الإتيان بمثلها)^(٥).

(١) ترتيب المدارك ٥٧/١، ٥٩.

(٢) وينظر مقدمة الإلماع ٦ وما بعدها.

(٣) ورد في القرآن استعمال مشتقات (عجز) نحو ست وعشرين مرة، لكنه لم يرد استعمال مصطلح معجزة ولا إعجاز في القرآن والسنة.

وهذا المصطلح ظهر في أواخر القرن الثاني، أما التعبير القرآني فهو الآيات، والبيئة، والرهان، والسلطان.

انظر: دراسات في علوم القرآن لفهد الرومي ص ٢٥٨، مباحث في إعجاز القرآن لمصطفى مسلم ص

(٤) معجم مقاييس اللغة، مادة (عجز).

(٥) الشفا، معنى المعجزات، ٢٦٧/١.

قال ابن حجر: وسميت المعجزة لعجز من يقع عند ذلك عن معارضتها، والهاء فيها للمبالغة، أو هي صفة مخنوف^(١).

قال القرطبي: (المعجزة واحدة معجزات الأنبياء الدالة على صدقهم صلوات الله عليهم، وسميت معجزة لأن البشر يعجزون عن الإثبات بمثلها)^(٢).

اصطلاحاً:

أمر خارق للعادة مقرون بالتحدي، سالم عن المعارضة. وهي إما حسية وإما عقلية^(٣).
* إعجاز القرآن وأحكامه عند القاضي عياض .

المسألة الثانية: في الصِّرفة:

قال القاضي عياض: ((وقد اختلف أئمة أهل السنة في وجه عجزهم عنه، فأكثرهم يقول:

- إنه مما جمع في قوة جزائته، ونصاعة ألفاظه، وحسن نظمه، وإيجازه، وديع تأليفه وأسلوبه لا يصح أن يكون في مقدور البشر، وأنه من باب الخوارق الممتنعة عن إقدار الخلق عليها، كإحياء الموتى، وقلب العصا، وتسبيح الحصا.

- وذهب الشيخ أبو الحسن^(٤) إلى أنه مما يمكن أن يدخل مثله تحت مقدور البشر، ولكنه لم يكن هذا ولا يكون، فمنعهم الله هذا، وعجزهم عنه. وقال به جماعة من أصحابه^(٥)....^(٦).

تحرير محل النزاع:

(١) فتح الباري ٥٨١/٦-٥٨٢، وانظر: تفسير القرطبي ٦٩/١.

(٢) تفسير القرطبي ٥٠/١.

(٣) الإقتان ١/٤.

وانظر لشرائطها: تفسير القرطبي ٦٩/١-٧١، النبوات لابن تيمية ٢٧٠، الإقتان ٣١١/٢.

(٤) إن كان الأشعري، فلم أر من نسب له، ولعله أبو الحسين البصري.

(٥) وبه قال النظام، وبعض القدريّة، وأبو إسحاق الإسفراييني. واختلف من قال بهذه الصرفة على قولين:

أحدهما: أنهم صرفوا عن القدرة عليه، ولو تعرضوا له لعجزوا عنه. وهو قول المرتضى من الشيعة.

الثاني: أنهم صرفوا عن التعرض له، مع كونه في مقدورهم ولو تعرضوا له لجاز أن يقدروا عليه. وهو قول النظام.

انظر: تفسير القرطبي ٧٥/١-٧٦، روح المعاني للألوسي ٢٨/١.

(٦) انظر: الشفاء، الفصل الخامس، إعجاز النظم والأسلوب، ص ٢٦٦-٢٦٧.

- لا خلاف بين العقلاء أن كتاب الله تعالى معجز لم يقدر واحد على معارضته بعد تحديهم بذلك. قال ابن كثير: (فالإعجاز حاصل في طوال السور وقصارها وهذا ما لا أعلم فيه نزاعاً بين الناس سلفاً وخلفاً)^(١).
- يكفر من أنكر إعجاز القرآن^(٢).
- لكنهم اختلفوا هل إعجازه في نفسه، أو بأمر خارج عنه^(٣).

الرد على النظام^(٤)، ومن تبعه^(٥):

- قال تعالى: {قُلْ لِّئِنْ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً} (الإسراء: ٨٨). فإنه يدل على عجزهم مع بقاء قدرتهم، ولو سلبوا القدرة لم تبق فائدة لاجتماعهم، لأنه بمنزلة اجتماع الموتى، وليس عجز الموتى مما يحتفل بذكره.
- أجمعت الأمة قبل حدوث المخالف أن القرآن هو المعجز، فلو قلنا إن المنع والصرقة هو المعجز لخرج القرآن عن أن يكون معجزاً، وذلك خلاف الإجماع.
- فصاحة القرآن وبلاغته أمر خارق للعادة، إذ لم يوجد قط كلام على هذا الوجه. فلما لم يكن ذلك الكلام مألوفاً معتاداً منهم، دل على أن المنع والصرقة لم يكن معجزاً.
- أنه يستلزم أن يكون مثل القرآن معتاداً من قبل لتحقيق الصرقة من بعد، فتحوز المعارضة بما وجد من كلامهم مثل القرآن قبلها.

(١) تفسير ابن كثير ٦٣/١.

(٢) انظر: مغني المحتاج ١٣٦/٤، فتح المعين ١٣٧/٤، حواشي الشرواني ٩١/٩، إبانة الطالبين ١٣٧/٤.

(٣) انظر الأقوال في المسألة في الإتيان ٦/٤-١٦.

(٤) أبو إسحاق إبراهيم بن سيار بن هاني البصري ن كان ذكياً قوى المعارضة، وكانت دراسته مزيجاً مكوناً من آراء المعتزلة والفلاسفة الطبيعيين، ومنهج الماتونية من الجورس، فتكون له من ذلك منهج خاص متميز في بعض المسائل عن منهج المعتزلة، وقد رمى بالشعوبية وعداوة العرب، وكان شيعياً لطائفة تنسب إليه، من تأليفه: كتاب النكت الذي تكلم فيه على أن الإجماع ليس بحجة، وطلع في الصحابة، وتوفي سنة (٢٢١هـ) وقيل: أنه تاب عند موته. لسان الميزان ٦٧/١، الحيوان للحافظ ٣٤٣/١، والفتح للمين ١٤١/١.

(٥) انظر: إعجاز القرآن للباقلاني ص ٥٤، تفسير القرطبي ٧٥/١-٧٦، روح المعاني للألوسي ٢٨/١، الإتيان ٢/٣١٤-٣١٥.

- يلزم من القول بالصرقة زوال الإعجاز بزوال زمان التحدي وخلق القرآن من الإعجاز وفي ذلك خرق لإجماع الأمة أن معجزة الرسول العظمى باقية ولا معجزة له باقية سوى القرآن.

المسألة الثالثة: وجوه إعجاز القرآن الكريم

قال القاضي عياض رحمه الله: ((اعلم - وفقنا الله وإياك - أن كتاب الله العزيز منطوق على وجوه من الإعجاز كثيرة، وتحصيلها من جهة ضبط أنواعها في أربعة وجوه:

أولها: حسن تأليفه، والتمام كلمه، وفصاحته، ووجوه إيجازه، وبلاغته الخارقة عادة العرب، وذلك أنهم كانوا أرباب هذا الشأن وفرسان الكلام.

الوجه الثاني من إعجازه: صورة نظم العجيب، والأسلوب الغريب المخالف لأساليب كلام العرب، ومناهج نظمها ونثرها الذي جاء عليه.

والإعجاز بكل واحد من النوعين: الإيجاز والبلاغة بذاتها، أو الأسلوب الغريب بذاته... وإلى هذا ذهب غير واحد من أئمة المحققين.

وذهب بعض المقتدى بهم إلى أن الإعجاز في مجموع البلاغة والأسلوب، وأتى على ذلك بقول محمد السماح، وتنفر منه القلوب. والصحيح ما قدمناه، والعلم بهذا كله ضرورة قطعاً.

الوجه الثالث من الإعجاز: ما انطوى عليه من الإخبار بالمغيبات، وما لم يكن ولم يقع... كقوله تعالى: {لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ} (الفتح: من الآية ٢٧)

الوجه الرابع: ما أنبأ من أخبار القرون السالفة والأمم البائدة والشرائع الدائرة، مما كان لا يعلم منه القصة الواحدة إلا الفذ من أخبار أهل الكتاب....

هذه الوجوه الأربعة من إعجازه بينة لا نزاع فيها ولا مرية.

ثم ذكر أنواعاً أخرى من الإعجاز، منها:

- تعجيز أقوام في قضايا.

- الهيبة التي تعتري من تلاه.

- كونه آية باقية، لا تعدم ما بقيت الدنيا، بخلاف سائر معجزات الأنبياء.

- أن قارنه لا يمله.

- جمعه لعلوم ومعارف لم تعهد العرب مثلها.

- جمعه بين الدليل والمدلول.

- مشكلة بعض أجزاء بعضها.

- تيسيره تعالى حفظه لمعلميه...

ثم قال: وحقيقة الإعجاز الوجوه الأربعة التي ذكرنا، فليعتمد عليها، وما بعدها من خواص القرآن وعجائبه التي لا تنقضي^(١).

أقوال العلماء في المسألة^(٢):

١- ذهب بعض المعتزلة، والباقلاني إلى أن وجه إعجازه اشتماله على النظم الغريب، والوزن العجيب، والأسلوب المخالف لما أستنبطه البلغاء من العرب في مطالعه وفواصله.

٢- ذهب الجاحظ^٣ إلى أنه اشتماله على البلاغة التي تتقاصر عنها سائر ضروب البلاغات.

٣- قال الإمام فخر الدين وجه الإعجاز الفصاحة وغرابة الأسلوب والسلامة من جميع العيوب

٤- قال الزملكاني وجه الإعجاز راجع إلى التأليف الخاص به لا مطلق التأليف بأن اعتدلت مفرداته

تركيباً وزناً وعلت مركباته معنى بأن يوضع كل فن في مرتبته العليا في اللفظ والمعنى

٥- وقيل: هو اشتماله على الأخبار بالغيب.

٦- وقيل: هو كونه مع طوله وامتداده غير متناقض، ولا مختلف، وأبطل بوجهين:

٧- وقيل: هو موافقته لقضية العقل ودقيق المعنى.

٨- وقيل: إعجازه قدمه.

واعترض بأنه يستدعي أن يكون كل من صفاته تعالى كذلك وأيضا الكلام القديم مما لا يمكن الوقوف عليه فلا يتصور التحدي به.

(١) انظر: الشفا ص ٢٧٠-٢٨٩. وانظر: التاج والإكليل ٦٢/٢، فتح الباري ج ٦/ص ٥٨٢، فتح الباري ٧/٩.

(٢) روح المعاني: ٢٧/١-٣٤، الإتيان ٣١٤-٣٢٤.

(٣) عمرو بن بحر بن محبوب، أبو عثمان، الجاحظ، الكندي البصري المعتزلي، طالع كثيراً من كتب الفلاسفة، وروج كثيراً من مقالاتهم، بعبارة البليغة، وإليه تنسب طائفة الجاحظية من المعتزلة، قال عنه الحافظ بن حجر: "وكان من أئمة البدع" له مؤلفات منها: الحيوان، البيان والتبيين، النبي والمنتبه، البعلاء، البرصان، المرجان، القرعان، مات سنة (٢٥٥هـ) سير أعلام

النبله ١١/٥٢٦، ولسان الميزان ٢٨٦/٥، وفيات الأعيان ٣/٤٧٠

٩- وقال الآمدي وغيره: الإعجاز بمحملته، وبالنظر إلى نظمه وبلاغته، وإخباره عن الغيب. وارتضاه الكثير.

الترجيح:

- قال شيخ الإسلام: (وكون القرآن معجزة ليس هو من جهة فصاحته وبلاغته فقط، أو نظمه وأسلوبه فقط، ولا من جهة إخباره بالغيب فقط، ولا من جهة صرف الدواعي عن معارضته فقط، ولا من جهة سلب قدرتهم على معارضته فقط.

بل هو آية بينة معجزة من وجوه متعددة: من جهة اللفظ، ومن جهة النظم، ومن جهة البلاغة في دلالة اللفظ على المعنى، ومن جهة معانيه التي أخبر بها عن الله تعالى وأسمائه وصفاته وملائكته وغير ذلك، ومن جهة معانيه التي أخبر بها عن الغيب الماضي، وعن الغيب المستقبل، ومن جهة ما أخبر به عن المعاد، ومن جهة ما بين فيه من الدلائل اليقينية، والأقيسة العقلية...

وكل ما ذكره الناس من الوجوه في إعجاز القرآن هو حجة على إعجازه، ولا تناقض في ذلك بل كل قوم تنبهوا لما تنبهوا له.

ومن أضعف الأقوال قول من يقول من أهل الكلام إنه معجز بصرف الدواعي مع تمام الموجب لها أو بسلب القدرة التامة أو بسلبهم القدرة المعتادة في مثله سلبا عاما....^(١).

- قال الألوسي: ((قد أطال العلماء الكلام على وجوه إعجاز القرآن وأتوا بوجوه شتى، الكثير منها خواصه وفوائده.

مثل: الروعة التي تلحق قلوب سامعيه وأنه لا يمله تاليه بل يزداد حبا له بالترديد مع أن الكلام يعادي إذا أعيد وكونه آية باقية لا تعدم ما بقيت الدنيا مع تكفل الله تعالى بحفظه))^(٢).

- قال الزركشي: ((وهو قول أهل التحقيق أن الإعجاز وقع بجميع ما سبق من الأقوال ...))، ونحوه للألوسي^(٣).

(١) الجواب الصحيح ٤٢٨/٥-٤٢٩.

(٢) روح المعاني ٢٩/١.

(٣) الرهان ١٠٦/٢، روح المعاني ٢٩/١.

وانظر: تفسير القرطبي ٧٣/١-٧٥.

المبحث الثاني: هل البسملة آية من القرآن ؟

تحرير محل النزاع

١- اتفق العلماء على أنها بعض آية من سورة النمل^(١) في قوله تعالى {إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ} (النمل: ٣٠) .

٢- واتفقوا على أنها ليست بآية من سورة براءة^(٢)، كما حكى النووي وغيره إجماع المسلمين على ذلك.

٣- واختلفوا في البسملة: هل هي آية من الفاتحة، أو من أول كل سورة، أو ليست بآية، وإنما هي جزء من الفصل، على عدة أقوال.

رأي القاضي عياض في المسألة:

• قال: ((قوله: " صليت مع النبي صلى الله عليه وسلم، وأبي بكر، وعمر، وعثمان، فلم أر أحدا منهم قرأ: بسم الله الرحمن الرحيم ")^(٣) .

قال الإمام: تعلق أصحابنا بهذا في أن بسم الله الرحمن الرحيم ليست من أم القرآن، خلافا للشافعي في قوله: إنها من أم القرآن.

والإجماع على أنها بعض آية في سورة النمل في قوله تعالى {إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ} (النمل: ٣٠). وقد أشبع القاضي أبو بكر الرد في كتاب الانتصار على من قال إنها من القرآن في غير موضع، وبسط من ذلك ما فيه كفاية، وإنما غرضنا هنا الكلام على ما تعلق بالحديث.

(١) أحكام القرآن لابن العربي ٢/١، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٩٣/١، مختصر ابن الحاجب مع شرحه للعنبر ص: ٩٧، نثر الورود ٩٠/١، المذكرة ص: ٥٥، أصول السرخسي ٢٨/١، كشف الأسرار ٧٢/١، فواتح الرحموت ١٨/٢، الإحكام للأمدى ٢١٥، شرح الهلي على جمع الجوامع ٢٢٧/١، أصول الفقه لابن مفلح ٣٠٩/١، شرح الكوكب المنير ١٢٧/١، المختصر في أصول الفقه لابن اللحام ص: ٧١، شرح غاية السؤل ص: ١٩٦ .

(٢) نثر البنود ٧٦/١، المذكرة ص: ٥٥، البحر المحيط ٣٨١/١، شرح الهلي على جمع الجوامع ٢٢٨/١، المجموع للنووي ٢٩١/٣، شرح الكوكب المنير ١٢٦/٢ .

(٣) مسلم (٣٩٩).

قال القاضي عياض: أدخل مسلم هذا الحديث والحديث الآخر " كانوا يستفتحون بالحمد لله رب العالمين لا يذكرون بسم الله الرحمن الرحيم " ثم أدخل بعد ذلك في حديث أنس في الحوض وقوله صلى الله عليه وسلم: " أنزلت علي سورة فقرأ بسم الله الرحمن الرحيم { إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ } (الكوثر: ١) ^(١). تنبيه على حجة المخالف.

... وقد اضطربت الروايات في ذلك، والألفاظ في الحديث بما لا تقوم به الحجة لمن أثبت قراءته مع أم القرآن، وكذلك ذهب الشافعي في أحد قوليهِ ومن قال بقوله إلا أنها من أول كل سورة من القرآن.

وداود يقول: هي آية في كل موضع وقعت فيه، ولا أجعلها من السور، ونحوه لأبي حنيفة، وخالفه غيره. وحجته إثباتها في المصحف بخط المصحف.

وحجة المالكية في الباب كله، النقل المتواتر بالمدينة عن النبي صلى الله عليه وسلم، والخلفاء، والأئمة بترك قراءتها في الصلاة أول أم القرآن والسور وإن القرآن ما لم يختلف فيه، ولا يثبت قرآن مختلف فيه ^(٢).

وقال القاضي عياض: ((وقوله (بنصفين) ^(٣) حجة على أن بسم الله الرحمن الرحيم ليست من أم القرآن، إذ جملتها سبع آيات، ثلاث منها منفردة بحمد الله والثناء عليه، والثلاث الأخرى دعاء العبد الهداية، والآية السابقة وسطاً منقسمة، نصفها إخلاص لله، وتوحيد واعتراف له وحده بالعبودية، وإقرار بما يجب له تعالى من ذلك، وهو قوله { إِنَّاكَ نَعْبُدُ } (الفاتحة: من الآية ٥)، والنصف الآخر دعاء بالمعونة على ذلك، وتفويض لله عز وجل، واستسلام له، وهي مختصة بالعبد، بما بعدها من الدعاء، وهي آية واحدة باتفاق، فلو كانت بسم الله آية من أم القرآن لم تكن القسمة بنصفين كما نص على ذلك صلى الله عليه وسلم.

وفي الحديث نفسه أقوى حجة على هذه المسألة، لأنه ابتداء فقال (يقول العبد: الحمد لله رب العالمين، يقول الله: حمدني عبدي، وإذا قال: الرحمن الرحيم، قال الله: أثنى علي عبدي...) ثم ذكر جميع أي السورة على ما جاء في الحديث، ولا خلاف أنها سبع آيات، ولم يذكر فيها بسم الله الرحمن الرحيم وهذا الحديث أين شيء في الباب.

(١) مسلم (٤٠٠).

(٢) إكمال المعلم، كتاب الصلاة، باب حجة من قال: لا يجهز بالبسملة ٢٨٧/٢-٢٨٨.

(٣) مسلم (٣٩٥).

وإن كان قد جاء في بعض الروايات الشاذة يقول العبد: بسم الله الرحمن الرحيم، يذكرني عبدي، ثم يقول: الحمد لله... وذكر الحديث.

لكن راوي هذه الزيادة محمد بن سفيان وهو ضعيف، وقد انفرد عن العلماء بهذه الزيادة، وخالف الثقات الحفاظ، مالك، وابن جريج، وابن عيينة، فلم يذكروها، ولا غيرهم^(١).

أقوال العلماء في المسألة.

القول الأول: ليست بآية من الفاتحة ولا غيرها.

وهو رأي القاضي عياض، والمالكية^(٢)، والأوزاعي^٣، وابن جرير الطبري، وبعض الحنفية^(٤)، وقال به بعض القراء السبعة^(٥).

القول الثاني: ألما آية من القرآن مستقلة، أنزلت للفصل بين السور، لا من أول السور ولا آخرها.

وهو قول الحنفية^(٦)، والحنابلة^(٧)، وأكثر القراء السبعة^(٨)، وأكثر العلماء^(٩)، واختاره ابن تيمية^(١٠).

(١) إكمال المعلم، كتاب الصلاة، باب وجوب قراءة الفاتحة في كل ركعة ٢٧٥/٢.

(٢) أحكام القرآن لابن العربي ٢/١، الجامع لأحكام القرآن ٩٣/١، مختصر ابن الحاجب ص: ٩٧، نثر الورود ٩٠/١، للذكرة ص: ٥٥، الإنصاف لابن عبد البر ص: ١٥٣، لباب المصنوع ٢٧٨/١.

(٣) عبد الرحمن بن عمر بن محمد الأوزاعي، أبو عمر، إمام أهل الشام في عصره من التابعين حافظ فقه توفى سنة (١٧٥هـ)، من مصنفاته: السنن في الفقه، كتاب المسائل. وفیات الأعيان ٣/ ١٢٧ ومعجم المؤلفين ١٦٣/٥، الأعلام ٩٤/٤.

(٤) أصول الفقه لابن مفلح ٣١٠/١، شرح الكوكب المنير ١٢٤/١.

(٥) هم ابن عامر ونافع وحزمة وأبو عمرو بن العلاء

انظر: أصول الفقه لابن مفلح ٣١٠/١، شرح الكوكب المنير ١٢٤/١.

(٦) أصول السرخسي ٢٨٠/١، كشف الأسرار ٧٢/١، ميزان الأصول ص: ٧٨، فواتح الرحموت ١٨/٢، تيسير التحرير ٦/٣، نهاية الوصول ٢٤٩/١.

(٧) مجموع الفتاوى ٣٩٩/١٣ واختاره شيخ الإسلام، قال: وهذا أعدل الأقوال. أصول الفقه لابن مفلح ٣٠٩/١، شرح الكوكب المنير ١٢٢/٢، المختصر في أصول الفقه ص: ٧١، شرح غاية السؤل ص: ١٩٦.

(٨) للمراجع السابقة

(٩) منهم عطاء والشعبي والزهري والثوري وابن المبارك وإسحاق وأبو عبيدة ودلود ومحمد بن الحسن.

أصول الفقه لابن مفلح ٣٠٩/١، شرح الكوكب المنير ١٢٢/٢، شرح غاية السؤل ص: ١٩٦، المختصر في أصول الفقه ص:

القول الثالث: للشافعية، أما آية من الفاتحة بلا خلاف^(١) وفيما عداها من السور سوى سورة براءة خلاف عندهم.

وللشافعي أقوال أصحها: أما آية من كل سورة، ورجحه الشوكاني^(٢).

وقيل: بعض آية.

وقيل ليست من القرآن بالكلية، وقيل: آية منفردة أنزلت للفصل بين السور.

القول الرابع: الجمع بين الأقوال، فتكون آية على من قرأ بالقراءة التي تكون هي آية فيها، وليست بآية على من قرأ بالحرف الذي لا يعدها آية.

قاله ابن عاصم في المرتقى:

ومذهب القراء بمذبي المسألة^(٣) أقعد في الأمر، كذا في البسمة^(٤)

حكاه صاحب نشر البنود عن الحافظ ابن حجر^(٥)، ونقل صاحب نيل السؤل عن البقاعي أنه قال: وهذا من نفائس الأنظار^(٦). وهو اختيار الشيخ الشنقيطي^(٧)، ولم يستبعده شيخ الإسلام^(٨).

(١) قال في مجموع الفتاوى الجواب الصحيح ٣٩٩/١٣: والصواب القطع بخط هؤلاء وأن البسمة آية من كتاب الله حيث كتبها الصحابة، في المصحف إذ لم يكتبوا فيه إلا القرآن وحده عما ليس منه كالتخمين والتعشير وأسماء السور، ولكن مع ذلك لا يقال هي من السورة التي بعدها كما أنها ليست من السورة التي قبلها بل هي كما كتبت آية أنزلها الله في أول كل سورة، وإن لم تكن من السورة وهذا أعدل الأقوال الثلاثة في هذه المسألة.

(٢) المستصفي ١٩٤/١، الإحكام للأمدى ٢١٥/١، البحر المحيط ٣٨١/١، شرح المهلي على جمع الجوامع ٢٢٧/١.

(٣) قال الشوكاني: والحق أنها آية من كل سورة لوجودها في رسم المصاحف، وذلك هو الركن الأعظم في القراءة للقرآن، ثم الإجماع على ثبوتها خطأ في المصاحف في أوائل السور، ولم يخالف في ذلك من لم يثبت كونها قرآنا من القراء وغيرهم، وبهذا الإجماع حصل الركن الثاني وهو نقل مع كونه نقلا إجماعيا بين جميع الطوائف. وأما الركن الثالث وهو موافقتها للوجه الإعرابي والمعنى العربي لذلك فظاهر.

إذا تقرر لك هذا علمت أن نفي كونها من القرآن مع تسليم وجودها في الرسم مجرد دعوى غير مقبولة، وكذلك دعوى كونها آية واحدة، أو آية من الفاتحة مع تسليم وجودها في الرسم في أول كل سورة، فلها دعوى مجردة عن دليل مقبول تقوم به الحجة. إرشاد الفحول ص: ٤٩.

(٤) تميز المتواتر من الشاذ.

(٥) المرتقى ص ٧١، نيل السؤل ص ٨٨.

الأدلة على المسألة:

• دليل القول الأول :

١- أن القرآن لا يثبت بأخبار الآحاد، وإنما طريقه التواتر الذي لا يختلف فيه، وبسم الله الرحمن الرحيم قد اختلف فيها ولم تتواتر، فدل على أنها ليست من الفاتحة، ولا من القرآن الكريم. قال ابن العربي: (ويكفيك أنها ليست من القرآن، اختلاف الناس فيها والقرآن لا يختلف فيه).

٢- إجماع أهل المدينة على ترك قراءتها، قال القاضي عياض: (وحجة المالكية في الباب كله النقل المتواتر بالمدينة عن النبي صلى الله عليه وسلم، والخلفاء، والأئمة، بترك قراءتها في الصلاة أول أم القرآن والسور)^(١).

٣- ذكر القاضي عياض عن أبي الحسن بن القصار من المالكية في حديث نزول سورة إقرأ، أنه قال: في هذه القصة رد على الشافعي في قوله إن البسمة آية من كل سورة قال لأن هذا أول سورة أنزلت، وليس في أولها البسمة^(٢).

دليل القول الثاني والثالث: المشعون لقرآنية البسمة:

١- كتابتها في المصحف بخطه، بأمر الرسول صلى الله عليه وسلم. فقد قال ابن عباس رضي الله عنه: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يعرف ختم سورة وابتداء أخرى حتى ينزل عليه جبريل ببسم الله الرحمن الرحيم في أول كل سورة^(٣).

٢- ما ورد في الأحاديث أنها منزلة من ذلك قوله صلى الله عليه وسلم: أنزلت علي أنفا سورة فقرأ بسم الله الرحمن الرحيم {إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ} (الكوثر: ١)^(٤).

(١) نشر البند ٧٦\١

(٢) نيل السؤل ص ٨٨.

(٣) نثر الورود ٩١\١ ، للذكرة ص: ٥٦ .

(٤) مجموع الفتاوى ٣٩٩/١٣.

(٥) إكمال المعلم ٢٨٧/٢-٢٨٨.

(٦) فتح الباري ٧١٩/٨. قال الحافظ عقيبه: فقد تعقب بأن فيها الأمر بما وإن تأخر نزولها وقال النووي ترتيب أي السور في النزول لم يكن شرطاً وقد كانت الآية تنزل فتوضع في مكان قبل التي نزلت قبلها ثم تنزل الأخرى فتوضع قبلها إلى أن استقر الأمر في آخر عهده صلى الله عليه وسلم على هذا الترتيب.

(٧) الأحكام ٢١٦/١، المستصفى ٨٢/١.

(٨) رواه مسلم من حديث أنس (مسلم مع شرح النووي ١١٣/٤).

٣- إجماع الصحابة رضي الله عنهم ومن بعدهم على كتابتها في المصحف بخطه مع شدة اعتنائهم بتجريدته حتى كانوا يمنعون من كتابة أسامي السور مع القرآن، ومن التفسير والنقط، كيلا يختلط بالقرآن غيره.

الترجيح:

الذي يظهر - والله أعلم - قول من قال أنها آية من بعض القراءات، دون البعض الآخر، لأن به تلثم الأدلة والأقوال، قال شيخ الإسلام: (بل قد يقال ما قاله طائفة من العلماء: إن كل واحد من القولين حق، وأنها آية من القرآن في بعض القراءات، وهي قراءة الذين يفصلون بها بين السورتين، وليست آية في بعض القراءات، وهي قراءة الذين يصلون ولا يفصلون بها بين السورتين)^١.

المبحث الثالث: القراءة الشاذة

تحرير معنى الشذوذ في القراءة:

حقيقة الشاذ في اللغة: المنفرد. واختلف العلماء في المراد بالشاذة.

١. فقليل: ما وراء السبعة: وهذا القول عند التحقيق لم يقل به أحد. قال ابن حبان: ((لا نعلم أحدا من المسلمين حظر القراءة بالثلاث الزائدة على السبع، وحكى غيره الإجماع على ذلك))^(١).

٢. ما وراء العشر.

٣. ما اختل فيه شرط من الشروط الثلاث: موافقة المصحف ولو احتمالا، وموافقة وجه عربي، وصحة النقل. وهو المنقول عن أئمة القراء والمحققين من أهل العلم^(٢).

قال ابن الجزري^(٣): وكل ما وافق وجهها نحوي وكان للرسم احتمالا يحوي

وهذه الثلاثة الأركان

وحاشا يخلل شرط أثبت شذوذه لو أنه في السبعة^(٤)

(١) محمد بن حبان بن أحمد، أبو حاتم، البستي، الإمام المحدث، الحافظ الفقيه، اللغوي، من تصانيفه: المسند الصحيح،

والثقات والضعفاء، ولد سنة (٢٧٠هـ) ومات سنة (٣٥٤هـ). سير أعلام النبلاء ٩٢/١٦، طبقات الشافعية الكبرى ١٤١/٢، ميزان الاعتدال ٥٠٦/٣.

(٢) قال السبكي: والقول بأنها غير متواترة في غاية السقوط، ولا يصح القول به عن معتبر قوله في الدين. وقال الشوكاني أن هذه المقالة لا تعرف عند السلف، وقال بما بعض المتأخرين من أهل الأصول.

تيسر التحرير ٦٣/٣، البحر المحيط لأبي حبان ٧/١، تشنيف المسامع ٣٢٠/١-٣٢١، السيل الجرار ٢٣٩/١.

(٣) عزاه الزركشي إلى جمع من المحققين كمكي بن أبي طالب، وأبي شامة، وعلم الدين السخاوي، وبه قال السبكي، انظر: البحر المحيط ٤٧٤/١.

(٤) محمد بن محمد بن محمد بن علي بن يوسف، أبو الخير، الدمشقي الشهير بابن الجزري، الشافعي، الإمام الحافظ شيخ

الإقراء في زمانه، من تصانيفه: النشر في القراءات، طبقات القراء، عدة الحصن الحصين، ولد سنة (٧٥١هـ) ومات

سنة (٨٣٣هـ). الضوء اللامع ٢٥٥/٩، الأعلام ٢٧٤/٧.

تصوير المسألة:

هل تنزل القراءة الشاذة منزلة أخبار الآحاد، فتكون حجة، أو لا تكون حجة، لأن ناقلها لم ينقلها إلا على أنها قرآن والقرآن لا يثبت إلا بالتواتر^(١).

رأي القاضي عياض في المسألة:

قال في معرض كلامه على إصلاح الأخطاء في الآيات القرآنية في كتب العلماء: ((...ولعل تلك الألفاظ المخالفة للتلاوة قراءات شاذة، كانت قراءته، وإلى هذا كان يذهب بعض مشايخ شيوخوا. وهو تعسف بعيد فإن القراءة الشاذة قد جمعها أصحاب علوم القرآن، وحصلوها، وضبطوا طرقها، ومواضعها، ولم يذكروا فيها شيئا من هذه الحروف. وأيضا فإن القراءة الشاذة غاية أمرها أن تعلم، ولا تجوز التلاوة بها، ولا الصلاة^(٢)، ولا الحججة بها^(٣))).^(٤)

الأقوال في المسألة:

القول الأول: عدم الاحتجاج بها:

(١) قال الشوكاني في السيل الجرار ٢٣٩/١: ((والحق أن القراءات السبع فيها ما هو متواتر، وفيها ما هو آحاد، وكذلك القراءات الخارجة عنها، وقد جمعنا في هذا رسالة حافلة، ونقلنا فيها مذاهب القراء. وحكي لنا إجماعهم المروي من طريق أهل هذا الفن: أن المعتبر في ثبوت كونه قرآنا هو صحة السند، مع احتمال رسم المصحف له، وموافقته للوجه العربي)).

(٢) نيل الأوطار ٣٩٩/١.

(٣) مسألة الصلاة بها:

١- لا تصح الصلاة بها على ما ذهب إليه أكثر العلماء، وهو مذهب الأئمة الأربعة، ونسبه ابن الجزري إلى المحققين من السلف والخلف، وحكاه ابن عبد البر إجماعا. قال النووي في المجموع ٣٤٧/٣: ونقل الإمام الحافظ أبو عمر بن عبد البر إجماع المسلمين على أنه لا تجوز القراءة بالشاذ وأنه لا يصلي خلف من يقرأ بها.

٢- وفي رواية عن أحمد، ومالك، تصح الصلاة بها، واختاره ابن الجوزي، وابن تيمية، وبعض الشافعية، لصلاة الصحابة بها بعضهم خلف بعض، وصلاة للمسلمين خلف أصحاب هذه القراءات.

قال في التقرير والتحيز: في الدراية: ولو قرأ بقراءة ليست في مصحف العامة كقراءة ابن مسعود وأبي تفسد صلاته عند أبي يوسف، والأصح أنها لا تفسد، ولكن لا يعتد به من القراءة. وفي الهبط: وتأويل ما روي عن علمائنا أنه تفسد صلاته، إذا قرأ هذا ولم يقرأ شيئا آخر، لأن القراءة الشاذة لا تفسد الصلاة اهـ.

٣- وتوسط المجد فقال: لا تجزئ عن ركن الصلاة. انظر: الذخيرة ١٨٧/٢ التقرير والتحيز ٢٨٥/٢، تسير التحرير ٦/٣، تشنيف المسامع ٣١٨/١، الفتاوى ٣٩٤/١٣-٣٩٨، شرح الكوكب للنير ١٣٤-١٣٨.

(٤) مشارق الأنوار ٥٥٢/٢.

وهو مذهب المالكية^(١)، وبه قال ابن العربي منهم^(٢)، وظاهر مذهب الشافعي وبه قال جمهورهم^(٣)

(١) تقريب الوصول ٢٧٠، مراقي السعود إلى مراقي السعود ٩٩.

(٢) المحصول لابن العربي ١٢٠.

(٣) البرهان ١/٤٢٧، فواطع الأدلة ٣/٥٩، المنحول ص ٢٨٢، المستصفى ١/١٠٢، الإحكام ١/١٦٠، التمهيد ص ١٤١.

ونقله الآمدي وغيره عن الشافعي^(١)، ورجحه الآمدي، وابن الحاجب^(٢)، وهو رواية عن أحمد^(٣)

القول الثاني: الاحتجاج بها:

ذهب إليه الخفنية^(٤)، وأحمد^(٥)، والشافعي فيما حكاه عنه البويطي^٦ في باب الرضاع، ورجح الإسنوي أنه مذهبه ونسبه لجمهور أصحاب الشافعي^(٧)، ورجحه السبكي^(٨)، والشوكاني^(٩).

أدلة من نفى حجيتها^(١٠):

- القراءة الشاذة لا يكون لها حكم الخير عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، لأن ناقلها لم ينقلها إلا على أنها قرآن، والقرآن لا يثبت إلا بالتواتر بالإجماع، وإذا لم يثبت قرآنًا، لا يثبت خيره^(١١).

(١) قال الإسنوي: وما قالوه جميعه بخلاف مذهب الشافعي، وخلاف قول جمهور أصحابه، فقد نص الشافعي في موضعين من مختصر البويطي على أنها حجة. ذكر ذلك في باب الرضاع، وفي باب تحريم الجمع بين الأيمن لقراءة وأمهاتكم من الرضاة ونسبه لجمهور أصحابه.

ثم قال: والذي وقع للإمام فقلده فيه النووي مستنده عدم إيجابه للتابع في كفارة اليمين بالصوم مع قراءة ابن مسعود السابقة وهو وضع عجيب فإن عدم الإيجاب يجوز أن يكون لعدم ثبوت ذلك عن الشافعي أو لقيام معارض.

قال الزركشي: وأغرب إمام الحرمين في الرهان فعزاه للشافعي، مستنبطًا له من عدم إيجابه التابع في كفارة اليمين... وهذا لا يدل، فإن الشافعي في الجديد أجزاها بجرى التأويل.

التمهيد ص ١٤٢-١٤٣، تشنيف المسامع ٣٢١/١، تيسير التحرير ٩/٣-١٠.

(٢) الإحكام للآمدي ١٦٠/١، مختصر ابن الحاجب مع المضد ٢١/٢، المستصفى ١٠٢/١، التمهيد للإسنوي ص ١٤١.

(٣) القواعد والفوائد الأصولية ص ١٥٥، شرح الكوكب المنير ١٤٠/٢.

(٤) وهو حجة ظنية كما قال ابن الهمام في التحرير.

انظر: أصول السرخسي ٢٨١/١، تيسير التحرير ٩/٣، قواطع الأدلة ٦٠/٣.

(٥) القواعد والفوائد الأصولية ص ١٥٥، شرح الكوكب المنير ١٣٨/٢.

(٦) يوسف بن يحيى القرشي أبو يعقوب البويطي صاحب الإمام الشافعي قام مقامه في الدرس والإفتاء بعد وفاته، مات في السجن في بغداد في غنة القول بخلق القرآن سنة ٢٣١هـ طبقات الشيرازي ١٠٩، وفیات الأعيان ٣٤٦/٣، طبقات بن قاضي شهبة ٧١/٢.

(٧) التمهيد ص ١٤١، تشنيف المسامع ٣٢١/١، شرح الكوكب المنير ١٣٨/٢.

(٨) جمع الجوامع، مع تشنيف المسامع ٣٢١/١.

(٩) نيل الأوطار ٣٩٩/١.

(١٠) وما نسب لأصحاب هذا للمذهب، من احتمال أن تكون مذهبها للصحابي لم يسلم به جميع من قال بهذا القول، لما فيه من نسبة ما لا يلق بالصحابي إليه. انظر: شرح الكوكب المنير ١٣٩/٢.

- العمل بالقرآن إنما هو فرع على حصول العلم بطريقه، لأن مبناه الإعجاز، وطريقه التواتر، فإذا حصل هذا الأصل مستقرا، نظر بعده في الفرع، وهو وجوب العمل^(١).
- أن قراءة أبي كعب، وعبد الله بن مسعود {فَصَيِّمًا ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ} (المائدة: من الآية ٨٩) (متابعات) زيادة في الأصل، والزيادة في الأصل إذا لم ينقل نقل الأصل عند أبي حنيفة ساقطة. فكيف يقول بما في مثل هذا.
- وأيضا فإن الزيادة عنده على النص نسخ ونسخ القرآن لا يجوز إلا بمثله^(٢).
- ما يمتني على الاستفاضة لتوفر الدواعي على نقله، كيف يقبل فيه رواية شاذة^(٣) ١٩.
- مبنانا فيما نأتي ونذر الاقتداء بالصحابه رضي الله عنهم وقد كانوا لا يقبلون القراءة الشاذة، وعلى هذا كسر عثمان رضي الله عنه أضلاع ابن مسعود^(٤) (١).^(٥)
- أجمع أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم في زمن أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه على هذا المصحف (الإمام)، وطرحوا ما عداه، وحرقوه أو دفنوه^(٦).

أدلة من قال بحجيتها:

- قالوا: لا شك أن القراءة الشاذة إنما يقرؤها الراوي خبرا عن صاحب الوحي قرآنا، فانتفاء القرآنية لعدم الشرط وهو التواتر، انتفاء الأخص، فإن القرآنية أخص من الخبرية، وانتفاء الأخص لا يستلزم انتفاء الأعم^(١).

(١) قواطع الأدلة ٦٣/٣، شرح النووي ١٣١/٥، تحفة الأحوذى ٥٨/٢.

(٢) المحصول لابن العربي ١٢٠، وقال: قلنا لا يليق هذا التحقيق بأبي حنيفة رحمه الله من وجهين، ثم ذكر الدليلين السابقين. وانظر: المنحول ٢٨٢،

(٣) المحصول لابن العربي ص ١٢٠، قال في المنحول: وهو يناقض أصله من حيث انه زيادة على النص وهو نسخ بزعمه كما قاله في كفارة الظهار. المنحول ص ٢٨٢.

(٤) للمنحول ص ٢٨٢.

(٥) ابن مسعود: هو عبد الله بن مسعود بن غافل بن حبيب، أبو عبد الرحمن الهذلي، حليف بني زهرة، كان من السابقين الأولين، ومن النجباء العالمين، شهد بلرا وهاجر المحررتين مات سنة (٣٢، وقيل: ٣٣)، أحاديثه (٨٤٨). الاستيعاب ١١٠/٣، أسد الغابة ٢٨٠/٣، الإصابة ١٩٩/٤، سير أعلام النبلاء ٤٦١/١.

(٦) للمنحول ص ٢٨٣.

(٧) قواطع الأدلة ٦٤/٣.

ويجاب عن هذا: أن تنزيلها منزلة الخبر الواحد دعوى تحتاج إلى بينة، إذ لم تنقل كذلك لا تواترا ولا آحاداً^(١).

ويقال أيضاً: يحتمل أيضاً أن تكون مذهبا للصحابي، أو مما نسخت قرآنيته، وما كان مترددا فلا يجوز العمل به^(٢).

- قالوا: كانت قراءة ابن مسعود مستفيضة في الأتباع، وأتباع الأتباع، ثم انقطع النقل، فبقيت منقولة بطريق الآحاد، فجعلنا موجبها بمنزلة موجب أخبار الآحاد^(٣).
يقال: هذه دعوى تحتاج إلى دليل.

وعلى فرض التسليم باستفاضتها، فإن هذا يلزمك القول بقرآنيته، وأنتم لا تقولون به.

(١) التقرير والتحجير ٢/٢٨٨، تيسر التحرير ٣/٩، شرح فتح القدير ٤/١٩١، فواتح الرحموت ٢/١٦، شرح مختصر الروضة ٢/٢٥، شرح الكوكب المنير ٢/١٣٩.

(٢) قواطع الأدلة ٣/٦٣.

(٣) انظر: المستصفي ١/١٠٢، شرح مختصر الروضة ٢/٢٦.

(٤) قواطع الأدلة ٣/٦١.

الفصل الثاني: آراؤه في مباحث السنة

المبحث الأول: العصمة، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: عصمة الأنبياء.

المطلب الثاني: جواز النسيان على النبي صلى الله عليه وسلم فيما طريقه البلاغ من الأفعال وأحكام الشرع.

المبحث الثاني: حكم الاقتداء بأفعال النبي صلى الله عليه وسلم.

المبحث الثالث: حكم إقرار النبي صلى الله عليه وسلم.

المبحث الرابع: في الأخبار، وفيه مطالب:

المطلب الأول: حجية خير الواحد: وفيه المسائل التالية:

- قبول خير الواحد والاحتجاج به

- حجية خير الواحد في العبادات - حكم العمل بخير الواحد

- هل يوجب خير الواحد العلم أو الظن.

المطلب الثاني: الفرق بين الخير والشهادة.

المطلب الثالث: اشتراط البصر في الشهادة دون الخير.

المطلب الرابع: اشتراط العدد في الخير.

المطلب الخامس: اشتراط العدالة في الخير والشهادة.

المبحث الخامس: شروط السماع: وفيه مطلبان:

المطلب الأول: اشتراط البلوغ حين السماع.

المطلب الثاني: حكم سماع الصغير وروايته إذا عقل.

المبحث السادس: في الجرح والتعديل: وفيه مطالب:

المطلب الأول: هل يشترط تعيين سبب الجرح في الخير والشهادة.

المطلب الثاني: ما الحكم إذا تعارض الجرح والتعديل.

المطلب الثالث: هل رواية الثقة عن المجهول تعديل له أم لا.

المطلب الرابع: حكم رواية المجهول.

المطلب الخامس: متى يخرج الراوي عن حد الجهالة.

المطلب السادس: حكم رواية المبتدع.

المطلب السابع: حكم رواية الكذاب.

المبحث السابع: هل قول الصحابي أمرنا بكذا ونهينا عن كذا له حكم المسند؟

المبحث الثامن: طرق الرواية والتحمل، وفيه مطالب:

المطلب الأول: الاختلاف في جواز الرواية بالإجازة

المطلب الثاني: الاختلاف في حكم الإجازة للمجهول بشرط وحكم الإجازة للمعدوم

المطلب الثالث: حكم الإجازة للمجهول المبهم وما لم تصح روايته بالإجازة

المطلب الرابع: حكم المناولة وبيان حكم الرواية بها

المطلب الخامس: حكم المناولة المجردة عن الإذن بالرواية

المبحث التاسع: الرواية بالمعنى واختصار الحديث: وفيه مطلبان:

المطلب الأول: حكم رواية الحديث بالمعنى.

المطلب الثاني: حكم اختصار الحديث.

المبحث العاشر: حكم إنكار الأصل رواية الفرع

المبحث الحادي عشر: في المراسيل، وفيه مطالب:

المطلب الأول: تعريف المرسل وحكمه.

المطلب الثاني: حكم مرسل الصحابي.

المطلب الثالث: حكم مرسل التابعي.

المطلب الرابع: مراسيل سعيد بن المسيب .

المبحث الثاني عشر: حكم زيادة الثقة.

المبحث الأول: العصمة، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: عصمة الأنبياء.

المطلب الثاني: جواز النسيان على النبي صلى الله عليه وسلم فيما طريقه البلاغ من الأفعال وأحكام

المطلب الأول: مسألة عصمة الأنبياء

أولاً: تعريف العصمة:

أ. اللغة:

- تأتي بمعنى الحفظ والوقاية والمنع^(١).

قال عياض: ((وقوله: (فقد عصم مني نفسه وماله): أي منع. قَالَ: { لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ } (هود: من الآية ٤٣) أي لا مانع))^(٢).

والعصمة اصطلاحاً: لها عدة تعريفات

١- عرفها الشيخ الأمين الشنقيطي بقوله: ((تخصيص القدرة بالطاعة فلا تقع منه معصية))^(٣).

٢- وقيل: هي لطف من الله تعالى يحمل النبي على فعل الخير، ويزجره عن الشر، مع بقاء الاختيار تحقيقاً للابتلاء^(٤).

٣- قيل: هي ملكة اجتناب المعاصي، مع التمكن منها^(٥).

٤- وقال الراغب: ((وعصمة الأنبياء حفظه إياهم أولاً بما خصهم به من صفاء الجوهر، ثم بما أولاهم من الفضائل الجسمية، والنفسية، ثم بالنصرة وتثبيت أقدامهم، ثم بإنزال السكينة عليهم، وبحفظ قلوبهم وبالتوفيق، قال تعالى: { وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ } (المائدة: ٦٧)^(٦).

* اعلم أن هذه المسألة موضعها أصول الدين، ولكن الأصوليين جعلوها مقدمة لمبحث السنة.

ثانياً: الكلام في العصمة يرجع إلى أمور^(٧).

أحدها: في الاعتقاد: اتفقت الأمة على وجوب عصمتهم من الجهل، والكفر وكل ما يناهي مدلول المعجزة.

(١) للصباح المنير ٢١٤، القاموس المحيط ١٥٢/٤.

(٢) مشارق الأنوار ١٦٤/٢.

(٣) نثر الورود ٣٦١/١.

(٤) نسيم الرياض شرح الشفا للقاضي عياض ٣٩/٤.

(٥) التعريفات ١٩٥.

(٦) مفردات القرعان ٣٤٠.

(٧) المحصول ٢٢٥/٣، الإحكام للآمدي ٢٢٤/١، البحر المحيط ٢٤١/٣، إرشاد الفحول ٥٤.

قال القاضي عياض: ((اعلم منحنا الله وإياك توفيقه أن ما تعلق منه بطريق التوحيد، والعلم بالله وصفاته، والإيمان به، وبما أوحى إليه فعلى غاية المعرفة، ووضوح العلم واليقين، والانتفاء عن الجهل بشيء من ذلك، والشك أو الريب فيه، والعصمة من كل ما يضاد المعرفة بذلك واليقين، هذا ومع إجماع المسلمين عليه، ولا يصح بالبراهين الواضحة أن يكون في عقود الأنبياء سواء^(١)))

ثانيها: في التبليغ.

قال القاضي عياض: ((وكذلك لا خلاف^(٢)) أنهم معصومون من كتمان الرسالة والتقصير في التبليغ، لأن كل ذلك يقتضي العصمة منه المعجزة مع الإجماع على ذلك من الكافة، والجمهور قائل بأنهم معصومون من ذلك من قبل الله، معتصمون باختيارهم وكسبهم إلا حسينا النجار، فإنه قال لا قدرة لهم على المعاصي أصلاً^(٣)).

وقال: ((وكذلك اتفقوا على أن كل ما كان طريقه البلاغ في القول فإنهم معصومون فيه على كل حال))^(٤).

وقال في موضع آخر: ((أما أقواله صلى الله عليه وسلم فقد قامت الدلائل الواضحة بصحة المعجزة على صدقه، واجمعت الأمة فيما كان طريقه البلاغ أنه معصوم فيه من الإخبار عن شيء منها بخلاف ما هو به لا قصد ولا عمداً ولا سهواً ولا غلطاً...

لا على وجه العمد ولا على غير عمد، ولا في حالي الرضى والسخط والصحة والمرض.

وفي حديث عبد الله بن عمرو^(٥) قلت: يا رسول الله أكتب كل ما أسمع منك؟ قال: ((نعم)) قلت: في الرضى والغضب؟ قال: ((نعم. فلاي لا أقول في ذلك كله إلا حقاً))^(٦)...

(١) الشفا، فصل في حكم عقد قلب النبي صلى الله عليه وسلم من وقت نبوته، ٤٥٩/٢.

(٢) نقل الإجماع أيضاً في: المحصول ٢٢٦/٣، البحر المحيط ٢٤١/٣.

(٣) الشفا، فصل عصمة الأنبياء في الأعمال، ٤٨٨/٢، وانظر: مجموع الفتاوى ٢٨٩/١٠، شرح الكوكب المنور ١٦٩/١. وقال رحمه الله عند قصة الفرائق: ((ولإجماع المسلمين أنه لا يجوز أن تُسلط عليه في شيء من أمور شريعته، ولا شيء أعظم من مدح آله غير الله وتشريكها معه، لا سهواً ولا عمداً)).

إكمال المعلم، الإيمان، باب الإسرائ برسول الله ٥٠٦/١.

(٤) إكمال المعلم، الإيمان، باب أدق أهل الجنة ٥٧٤/١.

(٥) عبد الله بن عمرو بن العاص: هو عبد الله بن عمرو بن العاص بن وائل أبو محمد، وقيل أبو عبد الرحمن، السهمي القرشي، أسلم قبل أبيه، وكان من زهاد الصحابة وحفاظهم وفقهائهم، عالماً بالكتب المتقدمة، مات سنة (٦٣) وقيل غير ذلك وله (٧٢)، وقيل: (٩٢)، أحاديثه (٧٠٠). الاستيعاب ٨٦/٣، أسد الغابة ٢٤٥/٣، الإصابة ١٦٥/٤.

فتنزيه النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك كله واجب برهانا، وإجماعا كما قاله أبو إسحاق^(١) ووافقه على هذا الزركشي: ((والصواب ما قاله القاضي عياض، وكلامه موافق لجمهور الأمة في ذلك))^(٢).

ثالثها: العصمة من الشيطان.

ذكر الإجماع عليها القاضي عياض، فقال: ((واعلم أن الأمة مجمعة على عصمة النبي صل عليه وسلم من الشيطان، وكفايته منه لا في جسمه بأنواع الأذى، ولا على خاطره بالوساوس... عن عبد الله بن مسعود، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((ما منكم من أحد إلا وكل به قرينه من الجن وقرينه من الملائكة)) قالوا: وإياك يا رسول الله قال: وإياي، ولكن الله تعالى أعاني عليه فأسلم، زاد غيره عن منصور: ((فلا يأمرني إلا بخير))^(٣)...

قال القاضي عياض: فإذا كان هذا حكم شيطانه وقرينه المسلط على بني آدم فكيف بمن بعد منه، ولم يلزم صحبته، ولا أقدر على الدنو منه؟.

وقد جاءت الآثار بتصدي الشياطين له في غير موطن، رغبة في إطفاء نوره وإماتة نفسه، وإدخال شغل عليه، إذ يمسوا من إغوائه، فانقلبوا خاسرين ..))^(٤).

رابعاً: الإجماع على عصمتهم من الكبائر والفواحش.

قال عياض رحمه الله: ((لا خلاف أن كل كبيرة من الذنوب لا تجوز عليهم، وأنهم معصومون منها.

واختلف مشايخنا وغيرهم هل ذلك من طريق العقل أو الشرع؟

(١) رواه أبو داود (٣٦٤٦)، وأحمد ١٦٢/٢، بإسناد حسن.

(٢) الشفاء، فصل صدق قوله صلى الله عليه وسلم، ٤٧٦/٢. وانظر شرح الكوكب للنير ١٧١/١.

(٣) البحر المحيط ٢٤٥/٣.

(٤) رواه مسلم (٢٨١٤)، من حديث عبد الله بن مسعود، إكمال المعلم ٣٥٠/٨.

(٥) الشفاء، فصل العصمة من الشيطان، ٤٧٢/٢.

وقال في شرح صحيح مسلم: ((وقوله في شرح صدره: فاستعرج منه علقه، وقال هذا حظ الشيطان منك) دليل بين على عصمة نبينا من الشيطان، وكفايته إياه أن يسلط عليه، لا في علمه ولا يقينه ولا جسمه ولا شيء من أمره، لا بالأذى والوساوس ولا غيره، وقد ادعى بعض العلماء الإجماع على ذلك ويصحح ما قلناه ما جاء من الآثار الصحيحة أنه قد أعانه الله عليه فلا يأمره إلا بخير، أو أنه أسلم)) . إكمال المعلم، الإيمان، باب الإساءة برسول الله ٥٠٥/١.

- فذهب الأستاذ أبو إسحاق ومن تبعه: أن ذلك ممتنع، من مقتضى دليل المعجزة.

- وذهب القاضي أبو بكر فيمن وافقه: أن ذلك من طريق الإجماع.

- وذهبت المعتزلة إلى أن ذلك من طريق العقل ونفور الناس عنهم لذلك^(١).

وقال أيضاً: ((أجمع المسلمون على عصمة الأنبياء من الفواحش، والكبائر الموبقات.

ومستند الجمهور في ذلك الإجماع الذي ذكرناه، وهو مذهب القاضي أبو بكر. ومنعها غيره بدليل

العقل مع الإجماع، وهو قول الكافة، واختاره الأستاذ أبو إسحاق^(٢).

خامساً: الإجماع على عصمتهم من الصغائر الخسيسة.

قال القاضي عياض: ((ولا في صغيرة أدت إلى إزالة الحشمة، وأسقطت المروءة، وأوجبت الإزراء

والخساسة، فهذا أيضاً مما يعصم عنه الأنبياء إجماعاً، لأن مثل هذا يحط منصبه المتسم به، ويؤذي

بصاحبه، وينفر القلوب عنه والأنبياء منزهون عن ذلك. بل يلحق بهذا ما كان من قبل المباح،

فأدى إلى مثله، لخروجه بما أدى إليه عن اسم المباح إلى الحظر^(٣).

وقال: ((وكذلك لا خلاف أنهم معصومون من الصغائر التي تزري بفاعلها وتحط منزلته

وتسقط مروءته^(٤).

سادساً: عصمة الأنبياء قبل البعثة من المعاصي وغيرها:

يرى القاضي عياض أنهم معصومون قبل النبوة.

حيث يقول: ((وأما عصمتهم من هذا الفن قبل النبوة فللناس فيه خلاف. والصواب أنهم

معصومون قبل النبوة من الجهل بالله، وصفاته والتشكك في شيء من ذلك.

- وقد تعاضدت الأخبار والآثار عن الأنبياء بتزويهم عن هذه النقيصة منذ ولدوا ونشأتم على

التوحيد والإيمان... ولم ينقل أحد من أهل الأخبار أن أحداً نبئ واصطفي ممن عُرِف بكفر وإشراك

قبل ذلك.

(١) إكمال المعلم، الإيمان، باب أدق أهل الجنة منزلتها ١/٥٧٣. وانظر إرشاد الفحول ٥٤.

(٢) الشفا، فصل عصمة الأنبياء في الأعمال، ٢/٤٨٨.

(٣) الشفا، فصل عصمة الأنبياء في الأعمال، ٢/٤٨٨.

(٤) إكمال المعلم، الإيمان، باب أدق أهل الجنة ١/٥٧٤.

وانظر: البحر المحيط ٣/٢٤٣، شرح الكوكب المنير ١/١٧٢، إرشاد الفحول ٥٤.

- ومستند هذا الباب النقل، وقد استدل بعضهم بأن القلوب تنفر عن هذا سبيله، وأنا أقول إن قریشا قد رمت نبینا بكل ما افترته.

...ففي إطباقهم على الإعراض عنه دليل على أنهم لم يجدوا سبيلا إليه، إذ لو كان ثقل وما سكتوا عنه كما لم يسكتوا عند تحويل القبلة، وقالوا { ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها } [البقرة: ١٤٢]...

- وكذلك المعروف صلى الله عليه وسلم من سيرته وتوفيق الله له أنه كان قبل نبوته يخالف المشركين في وقوفهم بمزدلفة في الحج فكان يقف هو بعرفة لأنه كان موقف إبراهيم عليه السلام^(١).

((ولا خلاف بين أهل التحقيق أنه قبل نبوته صلى الله عليه وسلم وسائر الأنبياء منشرح الصدر بالتوحيد، والإيمان بالله، لا يليق به الكفر ولا الشك في شيء من ذلك ولا الجهل به، ولا خلاف في عصمتهم من ذلك خلافاً لمن جوزه))^(٢).

وقال في موضع آخر: ((وقد اختلف في عصمتهم من المعاصي قبل النبوة، فمنعها قوم، وجوزها آخرون.

والصحيح إن شاء الله تنزيههم من كل عيب، وعصمتهم من كل ما يوجب الريب. فكيف والمسألة تصورها كالممتنع، فإن المعاصي والنواهي إنما تكون بعد تقرر الشرع))^(٣).

وفي المسألة أقوال أخرى:

القول الأول: لا يمتنع من الأنبياء ذنب كبير ولا صغير قبل البعثة. وعليه أكثر الأصوليين^(٤).

القول الثاني: يمتنع قبل الرسالة منهم كل ذنب. وعليه الروافض^(٥).

(١) الشفا فصل عصمتهم من هذا قبل النبوة ٤٦٧/٢. [كمال المعلم، الإيمان، باب بدء الوحي إلى رسول الله ٤٨١/١].

(٢) [كمال المعلم، الإيمان، باب بدء الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ٤٨١/١].

(٣) الشفا فصل عصمة الأنبياء من المعاصي ٤٩٠/٢.

(٤) تيسر التحرير ٢٠/٣، فواتح الرحموت ١٢١/٢، الإحكام للآمدي ٢٢٤/١، البحر المحيط ٢٤١/٣، شرح الكوكب للنير ١٦٩/٢، إرشاد الفحول ٥٦.

(٥) المصادر السابقة.

القول الثالث: يمتنع منهم الكبائر دون الصغائر.

وعليه أكثر المعتزلة^(١).

أدلة القاضي عياض^(٢):

قال القاضي عياض: ((وحجة المانعين منه الطريقتان المتقدمتان.

- والصحيح منهما النقل، فلو كان شيء من ذلك لنقل، بل تظاهرت الأخبار الصحيحة عنه صلى الله عليه وسلم وعن غيره من الأنبياء بصحة معرفتهم بالله وهدايتهم من صغرهم، وتجنبهم عبادة غير الله، فقد عرت قريش نبينا والأمم أنبياءهم، ورمتهم بكل آفة ورامت نقصهم بكل جهة، وبرأهم الله مما قالوا، وقص الله علينا من ذلك في كتابه: { أَتُنْهَانَا أَنْ نَعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا } (هود: ٦٢) و{ إِنْ نَقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ } (هود: من الآية ٥٤).

- ولو كان أحدهم عبد معهم معبود هم وأشرك بشركهم قبل نبوته لعيروه بتلونه في معبوده، وقرعوه بفراق ما كان معهم عليه من ديانتهم، وكان ذلك أبلغ في تأنيبهم لهم من أمرهم بمفارقة معبود آبائهم.

وقد بسطنا الكلام في هذا الفصل بما فيه مفتح في غير هذا الكتاب، وجئنا بالأجوبة عما يعترض به على هذا من ظواهر القرآن، كقوله تعالى: { وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى } (الضحى: ٧)، وقوله: { وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ } (يوسف: من الآية ٣).

وقول إبراهيم: { هَذَا رَبِّي } (الأنعام: من الآية ٧٦، ٧٧، ٧٨).

وأشبه هذا ومعاني هذه الآي وتأويلاتها في كتابنا الشفا^(٣).

وقال أيضاً: ((وأما قولهم في الرواية الأخرى (ثم حشي إيماناً وحكمة)^(٤) .

وفي هذا دليل على صحة قول المحققين، إن الكفر لا يصح قبل النبوة، وإن نبينا وسائرهم معصومون منه، ومن سائر المعاصي، ثابتو الإيمان من صغرهم.

(١) للمصادر السابقة.

(٢) سبق شيء من أدلته في النقول السابقة عنه.

(٣) إكمال المعلم، الإيمان، باب بدء الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ٤٨١/١.

وانظر: الشفا بالإحالات السابقة.

(٤) مسلم (١٦٤) من حديث أنس.

ألا ترى كيف حشي صدره وقلبه حكمة وإيماناً في صغره وهو عند ظئره...))^(١).

سابعاً: الخلاف في الصفات دون صفات الخمسة.

يرى القاضي عياض أنهم معصومون من الصفات كعصمتهم من الكبائر وإليك كلامه في المسألة: ((وكذلك لا خلاف أنهم معصومون من الصفات التي تزرى بفاعلها، وتحط منزلته وتسقط مروءته.

واختلفوا في وقوع غيرها من الصفات منهم:ـ

- فمعظم الفقهاء والمحدثين والمتكلمين من السلف والخلف على جواز وقوعها منهم، وحتهم ظواهر القرآن والأخبار.

- وذهب جماعة من أهل التحقيق والنظر من الفقهاء والمتكلمين من أئمتنا إلى عصمتهم من الصفات كعصمتهم من الكبائر، وأن منصب النبوة يجلب عن موافقتها جملة ومخالفة الله عمداً.

وتكلموا على الأحاديث الواردة في ذلك وتأولوها، وأن ما ذكر عنهم من ذلك إنما هو ما كان منهم على تأويل أو سهو أو غير إذن من الله في أشياء أشفقوا من المواخذة بها، وأشياء كانت منهم قبل النبوة.

وهذا هو الحق، لما قدمناه.

ولأنه لو صح ذلك منهم لم يلزمنا الاقتداء بأفعالهم وإقرارهم وكثير من أقوالهم، ولا خلاف في الاقتداء بذلك، وإنما اختلاف العلماء: هل ذلك على الوجوب، أو على الندب، أو الإباحة، أو التفريق فيما كان من باب القرب، أو غيرها؟.

وقد بسطنا الكلام على هذا الباب في كتاب الشفاء، وبلغنا فيه المبلغ الذي لا يوجد في غيره، وتكلمنا على الظواهر في ذلك بما فيه كفاية.

ولا يهولنك أن ينسب قوم هذا المذهب إلى الخوارج والمعتزلة وطوائف من المبتدعة، إذ منزعهم فيه هو منزع آخر من التكفير بالصغير، ونحن نتيراً إلى الله من هذا المذهب.

وانظر هذه الخطايا التي ذكرت للأنبياء من أكل آدم من شجرة نهي عنها ناسياً، ومن دعوة نوح على قوم كفار، وقتل موسى لكافر لم يؤمر بقتله، ومدافعة إبراهيم الكفار بقول عرض به هو فيه من وجه صادق، وهذه كلها في حق غيرهم ليست بذنوب، لكنهم أشفقوا منها إذ لم يكن عن أمر

الله وعتب على بعضهم فيها بقدر منزلتهم من معرفة الله وانظر هناك تجد منه مزيداً وشرحاً أن شاء الله^(١).

وقال في الشفا: ((وأما الصغائر:

- فحوزها جماعة من السلف، وغيرهم على الأنبياء.

وهو مذهب أبي جعفر الطبري وغيره من الفقهاء والمحدثين والمتكلمين..

- وذهبت طائفة أخرى إلى الوقف. وقالوا: العقل لا يحيل وقوعها منهم، ولم يأت في الشرع قاطع بأحد الوجهين.

- وذهبت طائفة أخرى من المحققين من الفقهاء والمتكلمين إلى عصمتهم من الصغائر كعصمتهم من الكبائر^(٢).

* والراجع في المسألة وقوع الصغائر منهم دون الكبائر مع عدم الإقرار عليها. قال شيخ الإسلام: ((... فإن القول بأن الأنبياء معصومون عن الكبائر دون الصغائر هو قول أكثر علماء الإسلام وجميع الطوائف، حتى إنه قول أكثر أهل الكلام، كما ذكر أبو الحسن الآمدي أن هذا قول أكثر الأشعرية.

وهو أيضاً قول أكثر أهل التفسير والحديث والفقهاء، بل هو لم ينقل عن السلف والأئمة والصحابة والتابعين وتابعيهم إلا ما يوافق هذا القول، ولم ينقل عنهم ما يوافق القول -ببعض- وإنما نقل ذلك القول في العصر المتقدم عن الرافضة، ثم عن بعض المعتزلة، ثم وافقهم عليه طائفة من المتأخرين. وعامة ما ينقل عن جمهور العلماء أنهم غير معصومين عن الإقرار على الصغائر ولا يقرون عليها، ولا يقولون إنها لا تقع بحال.

وأول من نقل عنهم من طوائف الأمة القول بالعصمة مطلقاً، وأعظمهم قولاً لذلك: الرافضة، فإنهم يقولون بالعصمة حتى ما يقع على سبيل النسيان والسهو والتأويل^(٣).

(١) إكمال المعلم، الإيمان، باب أدق أهل الجنة منزلة فيها ٥٧٤/١.

وانظر: إكمال المعلم، الصيام، باب بيان أن القبلة في الصوم ليست محرمة ٤٦/٤.

(٢) الشفا، فصل عصمة الأنبياء في الأعمال ٤٨٨/٢.

(٣) مجموع الفتاوى ٣١٩/٤. وما بين المعكوفتين إضافة جديدة.

وقال أيضاً: ((واعلم أن المنحرفين في مسألة العصمة على طرفي نقيض، كلاهما مخالف لكتاب الله من بعض الوجوه:

- قوم أفرطوا في دعوى امتناع الذنوب، حتى حرفوا نصوص القرآن المخيرة بما وقع منهم من التوبة من الذنوب، ومغفرة الله لهم، ورفع درجاتهم بذلك. - وقوم أفرطوا في أن ذكروا عنهم ما دل القرآن على براءتهم منه، وأضافوا إليهم ذنوباً وعيوباً نزههم الله عنها.

وهؤلاء مخالفون للقرآن، وهؤلاء مخالفون للقرآن.

- ومن اتبع القرآن على ما هو عليه من غير تحريف كان من الأمة الوسط مهتدياً إلى الصراط المستقيم صراط الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين، والشهداء والصالحين))^(١).

ثامناً: عدم عصمة الأنبياء من العوارض البشرية والأمور الدنيوية^(٢):

الأنبياء بشر كسائر بني آدم، يأكلون ويشربون وينكحون ويموتون إلى غير ذلك، فلذا يجوز أن تجري عليهم ما يجري على البشر من الأمراض والأسقام والجوع والعطش والتعب والهم والضعف، لأنهم ليسوا معصومين من ذلك وهذا ليس بنقيصة فيهم، لأن الشيء إنما يسمى ناقصاً بالإضافة إلى ما هو أتم منه وأكمل من نوعه.

ولا أتم من الأنبياء فإنهم صفوة الله وخيرته من خلقه وجرى أن تلك العوارض البشرية على الأنبياء. وهذا كما يقول القاضي عياض: ((هو من باب الابتلاء لهم ورفعة درجاتهم، ومن تمام حكمته تعالى ليظهر شرفهم في هذه المقامات ويبين أمرهم، ويتم كلمته فيهم، وليحقق بامتحانهم بشريتهم، ويرتفع الالتباس عن أهل الضعف فيهم، لئلا يضلوا بما يظهر من العجائب على أيديهم ضلال النصراني يعيسى ابن مريم، وليكون في محنتهم تسلية لأنهم، ووفورا لأجورهم عند ربهم تماماً على الذي أحسن.

وهذه الطوارئ والتغيرات المذكورة إنما تختص بأجسامهم البشرية، المقصود بها مقاومة البشر ومعاونة بني آدم لمشاكله الجنسي.

(١) مجموع الفتاوى ١٥/١٥٠.

(٢) نقلاً من كتاب جهود القاضي عياض رسالة دكتوراه من الجامعة الإسلامية ٥٣٣.

وأما بواطنهم فمنزهة في الغالب^(١) عن ذلك فهي معلقة بالملأ الأعلى وبالملاكمة لأخذها عنهم وتلقيها الوحي عنهم كما قال صلى الله عليه وسلم ((إني لست كهيتكم إني أظل يطعمني ربي ويسقيني))^(٢).

((إن عيني تامان ولا ينم قلبي))^(٣) فأخبر أن سره وباطنه وروحه بخلاف جسمه وظاهره، وأن الآفات التي تحمل ظاهر من ضعف وجوع وسهر لا يحل منها باطنه بخلاف غيره من البشر^(٤).

مسألة: الخلاف في مدرك العصمة أهو الشرع أم العقل:

نقل المذاهب في المسألة والخلاف فيها فقال: ((واختلف مشايخنا وغيرهم هل ذلك من طريق العقل أو الشرع؟

— فذهب الأستاذ أبو إسحاق ومن تبعه: أن ذلك ممتنع، من مقتضى دليل المعجزة.

— وذهب القاضي أبو بكر فيمن وافقه: أن ذلك من طريق الإجماع.

— وذهبت المعتزلة إلى أن ذلك من طريق العقل ونفور الناس عنهم لذلك))^(٥) ثم رجع رحمه الله أن مدرك العصمة للأنبياء عليهم السلام إنما هو السمع والإجماع.

فقال رحمه الله: ((...وحجة المانع من الطريقتان المتقدمتان والصحيح منهما النقل، فلو كان شيء من ذلك لنقل إلينا...))^(٦).

قال الزركشي في البحر: ((وقال القاضي عياض: إنما ممتنع - الكبائر وصغائر الخسة - سمعاً، والإجماع دل عليه، ولو ردنا إلى العقل فليس فيه ما يحليها، واختاره إمام الحرمين والغزالي وإلكيا، وابن برهان.

وقال القشيري إنه المستقيم على أصولنا. وقال المقترح: إنه الصواب؛ لأنه ليس في العقل ما يحيله))^(٧).

(١) لقد أحسن القاضي عياض حين قال في الغالب لأن من غير الغالب ما وقع للنبي صلى الله عليه وسلم حينما سحر.

(٢) البخاري (١٨٦٣)، مسلم (١١٠٥)، من حديث عائشة وغيرها.

(٣) البخاري (١٠٩٦)، مسلم (٧٣٨)، من حديث عائشة

(٤) الشفا، فصل حالة الأنبياء بالنسبة للعوارض البشرية ٥١٥/٢.

(٥) إكمال المعلم، الإيمان، باب أدن أهل الجنة منزلة فيها ٥٧٣/١.

(٦) للصدر السابق. ٤٨١/١. وانظر: الشفا ٤٦٧/٢.

(٧) البحر المحيط ٢٤٢/٣.



قال ابن الحاجب: فإن كانت كبيرة أو صغيرة حسنة، العصمة ثابتة عندنا بالسمع والعقل عند المعتزلة.

وقال أمير باد شاه: الأكثر على أن امتناعه مستفاد من السمع وإجماع الأمة قبل ظهور المخالفين فيه، والمعتزلة على أنه مستفاد

من العقل.

انظر: مختصر ابن الحاجب مع شرحه للفيض ١٠٠، تفسير التحرير ٢٠/٣.

مسألة: في حكم السهو والنسيان على الأنبياء عليهم السلام^(١)

أولاً: السهو في الأقوال البلاغية :

يرى القاضي عياض رحمه الله تعالى: أنهم معصومون من السهو والنسيان في الأقوال البلاغية وقد حكى إجماع العلماء على ذلك.

قال رحمه الله -وقد نقله عنه الأصوليون^(٢)- ((...وكذلك اتفقوا على أن كل ما كان طريقه البلاغ في القول فإنهم معصومون فيه على كل حال))^(٣).
وقال: ((وأما طروء ذلك عليه في الأقوال، فممتنع بإجماع فيما طريقه البلاغ كما امتنع في ذلك التعمد إجماعاً))^(٤).

ثانياً: السهو والنسيان في الأفعال البلاغية:

يرى القاضي عياض جواز السهو والنسيان في الأفعال البلاغية، ونقل هذا المذهب عن عامة العلماء، والأئمة النظار، وجمهور المحققين.

حيث قال رحمه الله: ((وما كان طريقه البلاغ في الفعل:

- فذهب بعضهم إلى العصمة فيه رأساً، وأن السهو والنسيان لا يجوز عليهم فيه، وتأولوا أحاديث السهو وغيرها بما سنذكره في موضعه.

وهو مذهب الأستاذ المظفر الإسفراييني من شيوخنا الخراسانيين من أئمة المتكلمين وغيره من مشايخ المتصوفة.

(١) راجع المسألة في كتاب الشفاء، القسم الثالث، الباب الأول ، الفصل الحادي عشر مفصلة ٤٩٢/٢، وكتاب إكمال المعلم ، الإيمان ، باب أدن أهل الجنة منزلة فيها، ٥٧٣/١-٥٧٥، وكتاب المساجد، السهو في الصلاة والسجود ٥١٣/٢-٥١٥، وكتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضائل القراءة وما يتعلق به ، وباب الأمر بتمهيد القراءة وكراهة قول نسيت آية كذا وجواز قول أنسيتها ١٥٣/٣-١٥٤.

(٢) البحر المحیط ٢٤٥/٣، شرح الكوكب المنير ١٧١/٢، إرشاد الفحول ٥٦.

(٣) إكمال المعلم ، الإيمان ، باب أدن أهل الجنة منزلة فيها ٥٧٣/١.

(٤) إكمال المعلم ، المساجد، باب السهو في الصلاة والسجود له ٥١٣/٢.

- وذهب معظم المحققين وجماهير العلماء إلى جواز ذلك ووقوعه منهم.

وهذا هو الحق، ثم لابد من تنبيههم عليه وذكرهم إياه، إما في الحين على رأى جمهور المتكلمين، أو قبل وفاتهم على رأى بعضهم، ليسنوا حكم ذلك ويبينوه قبل انخراط مدغم، وليصح تبليغهم ما أنزل إليهم، كما قال صلى الله عليه وسلم. [((إني لأنسى أو أنسى لأسن))^(١)]]^(٢).

وقال: ((وقوله عليه السلام في حديث ابن مسعود: ((وإنما أنا بشر أنسى كما تنسون))^(٣) وقوله بعد حديث ذي الدين ((أما نسيت))^(٤).

حجة لجواز النسيان على النبي صلى الله عليه وسلم فيما طريقه البلاغ من الأفعال وأحكام الشرع، وهو مذهب عامة العلماء والأئمة والنظار.

وظاهر القرآن والأحاديث^(٥)، لكن شرط الأئمة - رضوان الله عليهم - أنه ينبهه الله تعالى ولا يقره عليه.

[ثم اختلفوا هل من شرط التنبيه الاتصال بالحادثة وبالفور، ولا يجوز فيها التأخير؟ - وهذا مذهب الأكثرين، وإليه نعى القاضي أبو بكر.

- أو يجوز فيها التراخي ما لم يتخرم عمره وينقطع تبليغه؟ وإليه نعى أبو المعالي.

ومنعت طائفة من العلماء والنظار السهو عليه في الأفعال البلاغية والعادات الشرعية، كما منعه اتفاقاً في الأقوال البلاغية، واعتذروا عن المظاهر الواردة في ذلك باعتذارات، وإليه مال الأستاذ أبو إسحاق. وشذت الباطنية^(٦) وطائفة من أرباب علم القلوب، فقالوا: النسيان لا يجوز عليه جملة،

(١) رواه مالك في الموطأ (٢٢٥) بلاغا.

قال الحافظ: هذا الحديث لا أصل له، فإنه من بلاغات مالك التي لم توجد موصولة بعد البحث الشديد. فتح الباري ١٠١/٣.

(٢) إكمال المعلم، الإيمان، باب أدق أهل الجنة منزلة فيها ٥٧٣/١.

(٣) البعاري (٣٩٢)، مسلم (٥٧٢).

(٤) البعاري (٦٨٢)، مسلم (٥٧٣)، من حديث أبي هريرة.

(٥) كقوله تعالى: {سَتَقْرَأُكَ فَلَا تَنْسَى إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ} (الأعلى: ٦-٧).

(٦) الباطنية سموا بذلك؛ لأنهم يقولون إن للنصوص الشرعية ظاهراً وباطناً، وإن الباطن يجري من الظاهر يجري اللب من

القشر، وإن لكل تنزيل تأويل، ففسروا الشريعة حسب أهوائهم وعقولهم الفاسدة، واستباحوا الحرمات والفواحش،

واعتقدوا بوجود إثنين لا أول لوجودهما وسموهما، العقل والروح واتفقوا على إنكار القيامة وأمور الآخرة، وهم فرق

متعددة ومنهم: القرامطة، والإسماعيلية، والمزدكية، والسبعية وغيرهم. .

مذاهب الباطنية وبطلانه ص ٣.

وإنما ينسى قصداً ويعتمد صورة النسيان ليسن ونحى إلى قولهم عظيم من أكمة التحقيق وهو أبو المظفر الإسفرايينى في كتاب الأوسط. وهذا منحى غير سديد، وجمع الضد مع ضده مستحيل بعيد [والقول الأول هو الصحيح، فإن السهو في الأفعال غير مناقض للنبوة، ولا موجب للتشكيك في الرسالة، ولا قادح في الشريعة، بل هو سبب لتقرير شرع وإفادة حكم كما قال- عليه السلام:-
إني لأنسى أو أنسى لأسن^(١)]].^(٢)

* قال الزركشي في البحر المحيط: ((والصواب ما قاله القاضي عياض، وكلامه موافق لجمهور الأمة في ذلك))^(٣).

ثالثاً: السهو في أفعاله الدنيوية مما ليس طريقه البلاغ.

يرى القاضي عياض رحمه الله جواز السهو والنسيان في هذا القسم على النبي صلى الله عليه وسلم. حيث قال رحمه الله: ((وأما ما ليس طريقه البلاغ، ولا بيان الأحكام من أفعاله صلى الله عليه وسلم، وما يختص به من أمور دينه، وأذكار قلبه مما لم يفعله ليتبع فيه

- فالأكثر من طبقات علماء الأمة على جواز السهو والغلط عليه فيها، ولحوق الفترات والغفلات بقلبه، وذلك بما كتفه من مقاساة الخلق وسياسات الأمة، ومعاناة الأهل، وملاحظة الأعداء، ولكن ليس على سبيل التكرار، ولا الاتصال، بل على سبيل الندور كما قال صلى الله عليه وسلم: ((إنه ليغان على قلبي فأستغفر الله))^(٤) وليس في هذا شيء يحط من رتبته ويناقض معجزته.

- وذهبت طائفة إلى منع السهو والنسيان و الغفلات والفترات في حقه صلى الله عليه وسلم جملة. وهو مذهب جماعة المتصوفة، وأصحاب علم أرباب القلوب والمقامات، ولهم في هذه الأحاديث مذاهب نذكرها بعد هذا إن شاء الله^(٥).

رابعاً: السهو والنسيان في أقواله الدنيوية.

(١) سبق تخريجه.

(٢) أكمال المعلم، للمساجد، باب السهو في الصلاة والسجود له ٥١٣/٢.

(٣) البحر المحيط ٢٤٥/٣.

(٤) مسلم (٢٧٠٢) من حديث الأغر المزني.

(٥) الشفا، فصل في حكم السهو والنسيان في الأفعال ٤٩٢/٢.

وانظر: إكمال المعلم، للمساجد، باب السهو في الصلاة والسجود له ٥١٣/٢.

يرى القاضي عياض رحمه الله: عدم جواز السهو عليه فيها، وهذا ما رجحه من الأقوال التي ذكرها في المسألة.

فقال: ((وأما طروؤه عليه في الأقوال الدنيوية، وفيما ليس سبيله البلاغ من الأخبار التي لا مستند للأحكام إليها، ولا أخبار المعاد، ولا تضاف إلى وحي، - فقد جوز قوم السهو والغفلة في هذا الباب، إذ ليس من باب التبليغ الذي يتطرق به إلى القدر في الشريعة.

- والحق الذي لا مرية فيه ترجيح قول من لم يجوز ذلك على الأنبياء في خير من الأخبار، كما لم يجوزوا عليهم فيها العمد، وأنه لا يجوز عليهم خلف في خير من الأخبار، لا عن قصد ولا سهو، ولا في صحة ولا مرض، ولا رضى ولا غضب.

وحسبك أن سيره وآثاره وكلامه وأفعاله مجموعة معتنى بها على مر الزمان يتداول نقلها الموافق والمخالف، ويرويهما الموقن والمرتاب، فلم يأت في شيء منها استدراك غلط في قول، ولا اعتراف بوهم في كلمة، ولو كان لنقل كما نقل سهوه في الصلاة ونومه عنها، واستدراكه رأيه في تلقيح النخل، وفي نزوله بأذن مياه بدر، وفي مصالحة عينة بن بدر، ولقوله: ((والله لا أحلف على يمين، فأرى غيرها خيراً منها، إلا فعلت الذي حلفت عليه وكفرت))^(١) وغير ذلك))^(٢).

فائدة: فيها ملخص الكلام عن العصمة وفائدة البحث فيها^(٣):

قال القاضي عياض رحمه الله: ((قد استبان لك أيها الناظر مما قررناه ما هو الحق من عصمته صلى الله عليه وسلم عن الجهل بالله وصفاته، أو كونه على حالة تنافي العلم بشيء من ذلك كله جملة بعد النبوة عقلاً وإجماعاً، وقبلها سماعاً ونقلًا.

ولا بشيء مما قررناه من أمر شرع، وأداه عن ربه من الوحي قطعاً وعقلاً وشرعاً. وعصمته عن الكذب وخلف القول منذ نبأه الله وأرسله قصداً أو غير قصد واستحالة ذلك عليه شرعاً وإجماعاً ونظراً وبرهاناً.

وتنزيهه عنه قبل النبوة قطعاً وتنزيهه عن الكبائر إجماعاً. وعن الصغائر تحقيقاً.

(١) البخاري (٢٩٦٤)، مسلم (١٦٤٩)، من حديث أبي موسى الأشعري.

(٢) الشفا ٤٨٣/٢، إكمال المعلم، للمساجد، باب السهو في الصلاة والسجود له ٥١٣/٢-٥١٥.

(٣) الشفا فصل فائدة ما مر من الفصول في العصمة ٥٠٨/٢-٥٠٩.

وعن استدامة السهو والغفلة، واستمرار الغلط والنسيان عليه فيما شرعه للأمة.

وعصمته في كل حالاته من رضى، وغضب، وجد، ومزح. فيجب عليك أن تتلقاه باليمين، وتشد عليه يد الضنين، وتقدر هذه الفصول حق قدرها، وتعلم عظيم فائدتها وخطورها، فإن من يجهل ما يجب للنبي صلى الله عليه وسلم، أو يجوز أو يستحيل عليه، ولا يعرف صور أحكامه لا يأمن أن يعتقد في بعضها خلاف ما هي عليه، ولا ينزهه عما لا يجب أن يضاف إليه، فيهلك من حيث لا يدري، ويسقط في هوة الدرك الأسفل من النار إذ ظن الباطل به اعتقاد ما لا يجوز عليه، يحل بصاحبه دار البوار.

ولهذا ما احتاط عليه السلام على الرجلين اللذين رأياه ليلاً وهو معتكف في المسجد مع صفة^(١) فقال لهما إنما صفة ثم قال لهما: ((إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم وإني خشيت أن يقذف في قلوبكما شيئاً فتلهكا))^(٢).

هذه أكرمك الله إحدى فوائد ما تكلمنا عليه في هذه الفصول، ولعل جاهلاً لا يعلم بجهله إذا سمع شيئاً منها، يرى أن الكلام فيها جملة من فضول العلم، وأن السكوت أولى، وقد استبان لك أنه متعين للفائدة التي ذكرناها.

[الفائدة الثانية] وفائدة ثانية يضطر إليها في أصول الفقه، ويتنى عليها مسائل لا تعد من الفقه، ويتخلص بها من تشعب مختلفي الفقهاء في عدة منها، وهي الحكم في أقوال النبي صلى الله عليه وسلم وأفعاله وهو باب عظيم وأصل كبير من أصول الفقه، ولا بد من بنائه على صدق النبي صلى الله عليه وسلم في أخباره وبلاغه، وأنه لا يجوز عليه السهو فيه، وعصمته من المخالفة في أفعاله عمداً. وبحسب اختلافهم في وقوع الصغائر، وقع خلاف في امتثال الفعل، بسط بيانه في كتب ذلك العلم فلا نطول به.

[الفائدة الثالثة:] يحتاج إليها الحاكم والمفتي^(٣) فيمن أضاف إلى النبي صلى الله عليه وسلم شيئاً من هذه الأمور ووصفه بما فمن لم يعرف ما يجوز وما يمتنع عليه وما وقع الإجماع فيه والخلاف كيف

(١) صفة بنت عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف القرشية الهاشمية، عمه النبي صلى الله عليه وسلم، والدته الزبير بن العوام، وشقيقة حمزة بن عبد المطلب توفيت في خلافة عمر رضي الله عنه سنة (٢٠) ولها (٧٣) سنة رضي الله عنها.

الاستيعاب ٤/٤٢٧، أسد الغابة ٦/١٢٢، الإصابة ٨/٢١٣

(٢) الشفا فصل فائدة ما مر من الفصول في العصمة ٢/٥٠٨-٥٠٩.

(٣) انظر مثلاً لذلك مجموع الفتاوى ٣٥/٩٩-١٠٣.

بصمم في الفتيا في ذلك، ومن أين يدري هل ما قاله فيه نقص أو مدح، فإما أن يجترأ على سفك دم مسلم حرام، أو يسقط حقا، ويضيع حرمة للنبي صلى الله عليه وسلم)).

حجية خبر الواحد

تعريف خبر الواحد: هو ما رواه واحد، أو عدد لم يبلغ حد التواتر^(١).

تحرير محل النزاع:

- اتفقوا على جواز العمل بخبر الواحد في الفتوى، والحكم، والشهادة، وفي الأمور الدنيوية، وشبهه من الآراء والحروب^(٢).

- واختلفوا في التعبد، والعمل بخبر الواحد في الأمور الدينية من حيث الجواز العقلي، والوجوب الشرعي، على عدة أقوال، مرت الإشارة إليها.

رأي القاضي عياض^(٣):

قال القاضي عياض: ((قال مسلم: " خبر الواحد الثقة عن الواحد حجة يلزم به العمل".

[أقوال العلماء في المسألة]

١. هذا الذي قاله هو مذهب جمهور المسلمين من السلف والفقهاء والمحدثين ومذهب الأصوليين، وأن وجوب ذلك من جهة الشرع كأن نقله بواحد عن واحد أو أكثر ما لم يبلغ عدد التواتر، وإن أوجب غلبة الظن دون اليقين والعلم^(٤).

٢. وذهب الروافض والقدرية^(٥) وبعض أهل الظاهر^(٦) إلى أنه لا يجب به عمل.

(١) انظر: تقريب الوصول ص ١٠٧، نزعة النظر ١٣.

(٢) شرح تنقيح الفصول ٢٧٨، نشر البنود ٣٢/٢، نثر الورد ٣٨٧/١، نهاية السؤل ٣٢١/٢، شرح الكوكب المنير ٣٥٨/٢.

(٣) وأضفت إلى هذا الكلام بعض العناوين الجانبية لاشتماله على غالب مادة المسألة.

(٤) إحكام الفصول ٢٥٢، تحفة للمسؤل ٣٤٩/٢، المحصول لابن العربي ١١٦، أصول السرخسي ٣٢١/١، كشف الأسرار ٦٨٠/٢، تيسر التحرير ٨٢/٣، المستصفي ٢٧٦/١، الإحكام ٦٥/٢، البحر المحيط ٣١٩/٣، العدة ٨٦١/٣، التمهيد ٤٤/٣، الروضة ٣٧٠/١.

(٥) منكري القدر، وأول من أنكره في الإسلام معبد الجهني وغيلان الدمشقي في أواخر عهد الصحابة رضوان الله عليهم، وهم غلاة ينفون القدر والعلم السابق، ومحتزلة - وهم المشهورون بالقدرية ومن وافقهم - أثبتوا العلم لكن قالوا أن العبد يخلق فعل نفسه. الفرق بين الفرق ص ١١٤، الفصل في الملل والأهواء والنحل ٢٢/٣، الملل والنحل ٣٨/١.

واختلفوا بعد :

أ- فمنهم من قال: مانع ذلك العقل^(١).

ب- ومنهم من قال: الشرع^(٢).

٣. وقالت طائفة: يجب العمل بمقتضاه عقلاً^(٣).

٤. وذهب الجبائي من المعتزلة: إلى أنه لا يلزم العمل إلا بما رواه اثنان عن اثنين هكذا إلى النبي صلى الله عليه وسلم^(٤).

٥. وقال غيره: لا يلزم إلا بما رواه أربعة عن أربعة^(٥).

ومثل هذا غير موجود، وإن وجد منه شيء فقليل، ولو التزم هذا لبطلت السنن^(٦).

[هل يوجب خبر الواحد العلم أو الظن]

١. وذهبت طائفة من أهل الحديث إلى أنه يوجب العلم، وحكي عن أحمد بن حنبل .

٢. ثم قالت منهم طائفة: إنما يوجب العلم الظاهر دون الباطن .

[الرد على مخالفتي الجمهور في حجية خبر الواحد، واقتضائه الظن]

(١) وهم: أبو بكر بن داود، والقاشاني.

(٢) وبه قال ابن علية والأصم والجبائي وجماعة من المتكلمين.

انظر: تحفة المسؤول ٣٤٥/٢، المذكرة ص ١٠٦، كشف الأسرار ٦٨٠/٢، تيسير التحرير ٨١/٣، فوائح الرحموت ١٦٦/٢،

المستصفى ٢٧٣/١، الإحكام ٦٠/٢، شرح الكوكب المنير ٣٥٩/٢.

(٣) انظر: إحكام الفصول ٢٥٢، تحفة المسؤول ٣٥٠/٢، المذكرة ص ١٠٧، كشف الأسرار ٦٨٠/٢، تيسير التحرير ٨٢/٣،

المستصفى ٢٧٦/١، الإحكام ٦٥/٢، العدة ٨٦١/٣، التمهيد ٤٤/٣، الروضة ٣٧٠/١.

(٤) نسب لأحمد، وابن سريج، والقفال، وأبي الحسين البصري.

انظر المراجع السابقة.

(٥) أو بعضه بدليل آخر كظهوره وانتشاره في الصحابة، أو عمل بعضهم به.

انظر: إحكام الفصول ٢٥٢، المذكرة ص ١١١، سلاسل الذهب ٣١٨، العدة ٨٦١/٣، المسودة ٤٧٧/١، شرح الكوكب المنير

٣٦٢/٢.

(٦) وبه قال القدريّة. انظر: إحكام الفصول ٢٥٢.

(٧) في المطبوع: لا يطلب السنن. ولعل الصواب ما أثبت.

وهذه الأقاويل كلها غير قول الجمهور باطلة، إذ لا يقطع بمغيبه وصدق ناقله، وإذ يعلم بالضرورة ترك الطمأنينة إلى القطع بصدق ناقله، لاحتمال الوهم والغلط، والآفات على الآحاد، كما لا يقطع بصحة شهادة الشهود.

وإن لزمتنا العمل بما إجماعاً، لعلمنا قطعاً لإجماع الخلفاء والصحابة ومن بعدهم من السلف على امتثال خير الواحد إذا أخرجهم بسنة أو قضاء من النبي صلى الله عليه وسلم، ورجوعهم إليه وقضائهم وفتياهم به دون تعلم، وطلبهم عند عدم الحجة ذلك ممن بلغهم أن ذلك عنده، واحتجاجهم برواية من روى ذلك عند اختلافهم، وكذلك علمنا بالضرورة والخير المتواتر إنفاذ من يأتي عن النبي صلى الله عليه وسلم لأوامره بأخبار رسله وتبليغ كتبه. وكل هذا لا خفاء بصحته والعقل لا يحيل التكليف بالعمل به.

والشرع لم يمنعه بل أوجبه.

وعبر بعض المتفقهة ومن لم يحصل لفظه بأنه يوجب العمل، وهو تجوز في اللفظ، إذ الشيء لا يكون حجة لوجوبه، وإنما تلقينا وجوب العمل به من سيرة السلف، وإجماعهم وأوامر النبي صلى الله عليه وسلم كما قدمنا.

وتفريق من فرق بين العلم الظاهر والباطن فيه، فإن أراد بالظاهر غلبة الظن دون القطع فهو ما أردناه وصوبناه، فهو خلاف في عبارة^(١).

وقد تكلم القاضي عياض رحمه الله على هذه المسألة في مواضع عدة من إكمال المعلم^(٢).

أدلة الجمهور في الاحتجاج بخير الواحد.

لقد تنوعت أدلة الجمهور، وكثرت كثرة يصعب حصرها في مثل هذا المبحث، لذا ارتأيت أن أقصر على الأحاديث التي استنبط منها القاضي عياض وجوب العمل بخير الآحاد^(٣).

(١) إكمال المعلم، المقدمة، باب صحة الاحتجاج بالحديث المعتمد ١/١٦٨-١٧٠.

(٢) انظر: إكمال المعلم ٢/٤٢١، ٤٤٥، ٥٦٥، ٦٦٥، ٨٢/٦، ٤٤٢، ٣٠/٧.

(٣) وانظر لغويها من الأدلة: الرسالة للشافعي ص ٤٠٣-٤١٣، أحكام القرآن للشافعي ١/٣١-٣٩: فصل في تثبيت خير الواحد من الكتاب، البخاري مع الفتح: باب ما جاء في إجازة خير الواحد، فتح الباري ١٣/٢٣٣-٢٣٩، أصول السرخسي ١/٣٢١-٢٣٣، جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر ٢/٣٤-٣٦، خير الواحد للقاضي برهون ٣٥٠-٣٧٠.

- عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: صليت مع النبي صلى الله عليه وسلم إلى بيت المقدس ستة عشر شهرا، حتى نزلت الآية التي في البقرة... فنزلت بعد ما صلى النبي صلى الله عليه وسلم، فانطلق رجل من القوم فمر بناس من الأنصار وهم يصلون، فحدثهم قولوا وجوههم قبل البيت^(١). قال عياض:

((وفي هذا الخبر بالجملة قبول خير الواحد، وعادة الصحابة بامتثاله والعمل به والوقوف عنده، واعتداد بعضهم بنقل بعض))^(٢).

[إجماع السلف]

- عن بسر بن سعيد أن زيد بن خالد الجهني أرسله إلى أبي جهيم يسأله ماذا سمع من رسول الله صلى الله عليه وسلم في المار بين يدي المصلي قال أبو جهيم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((لو يعلم المار بين يدي المصلي ماذا عليه لكان أن يقف أربعين خيرا له من أن يمر بين يديه قال أبو النضر لا أدري قال أربعين يوما أو شهرا أو سنة))^(٣).

قال القاضي عياض: ((وإرسال زيد بن خالد إلى أبي جهيم^(٤) يسأله عما سمع من النبي صلى الله عليه وسلم... دليل على... قبول خير الواحد عن الواحد))^(٥).

- عن بن شهاب أن عمر بن عبد العزيز أخر الصلاة يوما، فدخل عليه عروة بن الزبير فأخبره أن المغيرة بن شعبة أخر الصلاة يوما وهو بالكوفة فدخل عليه أبو مسعود الأنصاري فقال: ما هذا يا مغيرة! أليس قد علمت أن جبريل نزل فصلى فصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم.. (فعد خمسا). ثم قال: بهذا أمرت.

فقال عمر لعروة: انظر ما تحدث يا عروة أو إن جبريل عليه السلام هو أقام لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقت الصلاة.

(١) مسلم (٥٢٥).

(٢) إكمال المعلم، كتاب المساجد، باب تحويل القبلة من القدس إلى الكعبة، ٤٢١/٢.

(٣) مسلم (٥٠٧).

(٤) في المطبوع: أبو جهم، والصواب ما أثبتته، قال النووي: هو بضم الجيم وفتح الميم، واسمه: عبد الله بن الحارث بن العصة الأنصاري... وهو غير أبي جهم الذي قال النبي صلى الله عليه وسلم ((انزعوا هذه الحمصة إلى أبي جهم))، فإن صاحب الحمصة أبو جهم بفتح الجيم وبغير ياء، واسمه: عامر بن حذيفة العلوي. شرح مسلم ٢٢٤/٤-٢٢٥.

(٥) إكمال المعلم، كتاب الصلاة، باب منع المار بين يدي المصلي، ٤٤٥/٢.

فقال عروة: كذلك كان بشير بن أبي مسعود يحدث عن أبيه^(١).

قال عياض: ((وفيه ما عرف من فعل السلف، في قبول خير الواحد، والعمل به في الديانات))^(٢).

- عن عبد الله رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: ((إن بلالا يؤذن بليل، فكلوا واشربوا حتى تسمعا تأذين ابن أم مكتوم^(٣)))^(٤).

قال عياض: ((وفيه... العمل بخير الواحد في العبادات))^(٥).

- عن مالك بن أوس قال:.... قال العباس - لعمر -: يا أمير المؤمنين، اقض بيني وبين هذا الكاذب الآثم الغادر الخائن^(٦)، فقال القوم: أجل يا أمير المؤمنين فاقض بينهم وأرحهم. فقال مالك بن أوس: يَحْيَى إِلَيَّ أَنَّهُمْ قَدْ كَانُوا قَدَمُوهُمْ لَذَلِكَ. فقال عمر: اتنبا أنشدكم بالله الذي يأذنه تقوم السماء والأرض، أتعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((لا نورث ما تركنا صدقة))^(٧). قالوا: نعم.

ثم أقبل على العباس وعلي فقال: أنشدكما بالله الذي يأذنه تقوم السماء والأرض أتعلمان أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((لا نورث ما تركناه صدقة))^(٨). قالوا: نعم.

(١) مسلم (٦١٠).

(٢) إكمال المعلم، كتاب المساجد، باب أوقات الصلوات الخمس، ٥٦٥/٢.

(٣) عبد الله أو عمرو بن قيس بن زائدة القرشي العامري مؤذن رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن السابقين المهاجرين، وكان ضريرا رضي الله عنه، واستخلفه النبي صلى الله عليه وسلم على المدينة ثلاثة عشرة مرة، مات بعد القادسية وقد شهدا حاملا للراية وقيل استشهد فيها، له ثلاثة أحاديث، الاستيعاب ٢٧٦/٣، أسد الغابة ٧٦٠/٣، الإصابة ٤٩٤/٤.

(٤) مسلم (١٠٩٢).

(٥) إكمال المعلم، كتاب الصيام، باب بيان أن الدعول في الصوم يحصل بطلوع الفجر، ٢٩/٤.

(٦) قال جماعة من العلماء: معناه هذا الكاذب إن لم ينصف فحذف الجواب.

وقال القاضي عياض: قال للمازري: هذا اللفظ الذي وقع لا يليق ظاهره بالعباس، وحاشا لعلي أن يكون فيه بعض هذه الأوصاف، فضلا عن كلها، ولسنا تقطع بالعصاة إلا للنبي صلى الله عليه وسلم... لكننا مأمورون بحسن الظن بالصحابة رضي الله عنهم أجمعين، ونفي كل رذيلة عنهم...

وأجود ما حمل عليه أنه صدر من العباس على جهة الإذلال على ابن أخيه لأنه بمنزلة ابنه...

ولعله قصد بذلك ردعه عما يعتقد أنه عظمي فيه، وأن هذه الأوصاف يتصف بها لو كان يفعل ما يفعله عن قصد. شرح

النووي ٧٢/١٢.

قال عمر: فلما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أبو بكر^(١): أنا ولي رسول الله صلى الله عليه وسلم فحسبنا تطلب ميراثك من ابن أخيك ويطلب هذا ميراث امرأته من أبيها فقال أبو بكر: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((ما نورث ما تركنا صدقة))....^(٢).

قال القاضي عياض: ((وفيه قبول خبر الواحد والقضاء به))^(٣).

- عن أنس بن مالك^٤ قال: كنت ساقى القوم يوم حرمت الخمر في بيت أبي طلحة، وما شراهم إلا الفضخ^(٥): البسر والتمر، فإذا منادٍ ينادي، فقال: اخرج فانظر، فخرجت فإذا مناد ينادي: ألا إن الخمر قد حرمت. قال: فجرت في سكك المدينة.

فقال لي أبو طلحة: اخرج فاهرقها، فهرقتها...^(٦).

قال القاضي عياض: ((فيه قبول خبر الواحد))^(٧).

- قال رحمه الله في حديث إرسال علي رضي الله عنه المقداد^(٨) لسؤال النبي صلى الله عليه وسلم عن حكم المذي نيابة عنه: ((وقد كان الصحابة ينتابون لسماع العلم من رسول الله صلى الله عليه وسلم ويجزي بعضهم عن بعض، وما علمنا أحداً ولا بلغنا أن أحداً استثبت فيما سمعه من النبي صلى الله عليه وسلم إلا فيما مبتدأ الإسلام كحديث ضمَام وغيره، وقد قال الله تعالى { فَلَوْلَا نَفَرَ

(١) هو عبد الله بن عثمان بن عامر بن عمرو القرشي التيمي، أبو بكر الصديق، خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحبه في الغار، أفضل الأمة بعد نبيها، ومات رضي الله عنه سنة (١٣) للهجرة بالمدينة ودفن بجوار النبي صلى الله عليه وسلم ومناقبه وفضائله كثيرة جداً، أحاديثه (١٤٢). الاستيعاب ٩١/٣، أسد الغابة ٢٠٥/٣، الإصابة ١٤٤/٤.

(٢) مسلم (١٧٥٧).

(٣) إكمال المعلم، كتاب الجهاد، باب حكم الفبي، ٢٩/٤.

(٤) أنس بن مالك: هو أنس بن مالك بن النضر أبو حمزة، الأنصاري الخزرجي المدني خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأحد أكثرين من الرواية، ومن آخر الصحابة موتاً، وتوفي سنة (٩٠)، وقيل: ٩١، وقيل: ٩٢، وقيل: (٩٣) أحاديثه (٢٢٨٦). الاستيعاب ١٩٨/١، أسد الغابة ١٥١/١، الإصابة ٢٥٧/١، سير أعلام النبلاء ٣٩٥/٣.

(٥) قال إبراهيم الحربي: الفضخ أن يفضخ البسر ويصب عليه الماء ويتركة حتى يغلي.

وقال أبو عبيد: هو ما فضخ من البسر من غير أن تحمسه نار فإن كان معه تمر فهو خليط. شرح النووي ١٣/١٤٨.

(٦) مسلم (١٩٨٠).

(٧) إكمال المعلم، كتاب الأشربة، باب تحريم الخمر، ٤٤٢/٤.

(٨) للمقداد بن عمرو بن ثعلبة بن مالك بن ربيعة، أبو الأسود وقيل: غيرها، القضاعي، الكندي، البهراي. ويقال له المقداد بن الأسود لأنه ربي في حجر الأسود بن عبد يغوث الزهري فتبناه، شهد بلرا والمشاهد كلها مات سنة (٣٣). أحاديثه (٤٢).

الاستيعاب ٤٢/٤، أسد الغابة ٤٧٥/٤، الإصابة ١٥٩/٦، سير أعلام النبلاء ٣٨٥/١.

مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ { (التوبة: من الآية ١٢٢) والأكثر قادر على النفي والسماع بغير واسطة.

وقد قال ضمام: ((أنا رسول من ورائي)).

وقال لوفد عبد القيس: ((وأخبروا بمن من ورائكم)).

ونفذت كتبه إلى عماله، وأمم المسلمين ورسله، فوقفوا عندها، ولم يتردد أحد في قبولها، ولا أعمل (الراحلة في تحقيقها))^(١).

- وقال رحمه الله: ((ثم أخبار الآحاد يجب العمل بها والرجوع عند عدم الكتاب والتواتر لها وهي مقدمة على القياس، لإجماع الصحابة على الفعلين وتركهم نظر أنفسهم متى بلغهم خبر ثقة عن النبي وامثالهم مقتضاه دون خلاف منهم في ذلك))^(٢).

* * *

مسألة: أفعال الرسول صلى الله عليه وسلم.

تحرير محل النزاع:

- اعلم أن أفعال الرسول صلى الله عليه وسلم لا خلاف في أنها حجة شرعية من حيث الجملة، وقد ذكر بعض العلماء الإجماع على الاحتجاج بها^(٣).

قال القاضي عياض رحمه الله: ((... و لأنه لو صح ذلك منهم - أي عدم العصمة من الصغار - لم يلزمنا الاقتداء بأفعالهم وإقرارهم وكثير من أقوالهم، ولا خلاف في الاقتداء بذلك))^(٤).

- محل الخلاف إنما هو في دلالة الفعل من حيث الوجوب أو الندب أو الإباحة أو كونه قرينة أم لا؟ قال عياض: ((وإنما اختلاف العلماء: هل ذلك على الوجوب أو على الندب أو الإباحة أو التفريق فيما كان من باب القرب أو غيرها))^(٥).

(١) إكمال المعلم، كتاب الحمض، باب المذي ١٣٧/٢.

(٢) ترتيب المدارك، فصل في ترجيحه - مالك - من طريق الاعتبار والنظر، ٣٩/١.

(٣) المحصول لابن العربي ١٠٩، للمتمدن ٣٧٧.

(٤) إكمال المعلم، الإيمان، باب أدق أهل اللجنة منزلة فيها ٥٧٤/١.

أقسام الفعل:

قسم الأصوليون رحمهم الله أفعال النبي صلى الله عليه وسلم إلى عدة أقسام^(١):

القسم الأول: فعل النبي صلى الله عليه وسلم الجبلي، والطبيعي، مثل: القيام والقعود والمشي والأكل والشرب ونحوها.

وهذا القسم حكى كثير من العلماء الاتفاق على أنه مباح لنا التأسي فيه^(٢).

القسم الثاني: ما علم اختصاص النبي صلى الله عليه وسلم به مثل وجوب الضحى، والأضحى، والوتر، والتهجد بالليل، والمشاورة، والتخيير بين نسائه، والوصال في الصوم، والزيادة على أربع في النكاح. وحكم هذا القسم لا تشاركه فيه الأمة، لأن المشاركة والاختصاص لا يجتمعان.

قال الآمدي: ((وأما ما سوى ذلك، مما ثبت كونه من خواصه التي لا يشاركه فيها أحد، فلا يدل ذلك على التشريك بيننا وبينه فيه إجماعاً))^(٣).

وحكى الزركشي والشوكاني خلافاً في التأسي به صلى الله عليه في هذا القسم^(٤).

القسم الثالث: ما فعله بيانا لحكم مجمل، مثل بيانه للصلاة والحج، وكقطعه يد السارق من الكوع بيانا لقوله تعالى: {وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ} (المائدة: ٣٨)

(١) إكمال للمعلم، الإيمان، باب أدق أهل الجنة منزلة فيها ٥٧٤/١.

(٢) انظر لهذه الأقسام أفعال الرسول صلى الله عليه وسلم، للأشقر فقد أوصلها عشرة أقسام ٢١٥، وما بعدها والزركشي والشوكاني إلى ثمانية، وعامة كتب الأصول على ما ذكرنا وفي كتب الحنفية ألفا أربعة أقسام: مباح، مستحب، وواجب، وفرض، الزلة. ينظر إحكام الفصول ٢٢٣، شرح تنقيح الفصول ٢٢٦، ميزان الوصول ٤٥٦/١، كشف الأسرار ٣٧٤/٣، تيسر التحرير ١٢١/٣، فوائح الرحموت ٢٣١/٢، المستصفى ٢١٩/٢، الإحكام ٢٢٧/١، تشنيف للمسامع ٩٠٦/٢، البحر المحيط ٢٤٧/٣، شرح المعالم ١٨/٢، المدة ٧٣٤/٣، أصول الفقه لابن مفلح ٣٢٨/١، شرح الكوكب المنير ١٠٨/٢، المعتمد ٣٧٧/١، إرشاد الفحول ٥٦.

(٣) كشف الأسرار ٣٧٤/٣، تيسر التحرير ١٢١/٣، فوائح الرحموت ٢٣٣/٢، الإحكام ٢٢٨/١، أصول الفقه لابن مفلح ٣٢٨/١، شرح الكوكب المنير ١٠٨/٢.

(٤) الإحكام ٢٢٨/١.

(٥) البحر المحيط ٧/٣، إرشاد الفحول ٥٦.

وهذا القسم حكمه تابع لما بينه باتفاق، فإن كان المَبِين واجباً كان الفعل واجباً، وإن كان مندوباً فمندوب، أو مباحاً فمباح وهكذا^(١).

القسم الرابع: فعله المجرد المبتدأ (من غير سبب).

وهذا القسم هو المعقود له هذا الباب، وكلام الأصوليين واختلافهم واقع فيه، وهو ينقسم إلى قسمين:

الأول: ما علمت صفته بالنسبة للنبي صلى الله عليه وسلم من وجوب أو نذب أو إباحة، وقد اختلف العلماء فيه بالنسبة إلى أمته.

والراجح عند الجمهور أن أمته مثله فيه^(٢).

الثاني: ما لم تعلم صفته بالنسبة للنبي صلى الله عليه وسلم، وهو على نوعين:

أ- ما ظهر فيه قصد القرية

ب- ما لم يظهر فيه قصد القرية.

وهذا القسم بنوعيه قد اختلف العلماء فيه على أقوال عدة.

رأي القاضي عياض في مسألة أفعال الرسول صلى الله عليه وسلم^(٣):

- قال رحمه الله: ((وقوله صلى الله عليه وسلم: ((إني أفعله أنا وهذه ثم نفتسل))... فيه حجة على أن أفعاله صلى الله عليه وسلم على الوجوب، ولولا ذلك لم تكن فيه حجة ولا بيان للسائل))^(٤).

قال الزرقاني: عن حديث ((إني أصبح جنباً وأنا أريد الصيام)) قال القاضي عياض: فيه وجوب الإقتداء بأفعاله والوقوف عندها إلا ما قام الدليل على اختصاصه به^(٥)

(١) انظر المراجع السابقة في الإحالة رقم (٤).

(٢) كشف الأسرار ٣/٣٧٧، تيسر التحرير ٣/١٢١، شرح للمعلم ٢/١٨، أصول الفقه لابن مفلح ١/٣٣٣، شرح الكوكب المنير ٢/١٨٧، إرشاد الفحول ٥٨.

(٣) وانظر أيضاً: إكمال المعلم للإيمان، باب أدق أهل الجنة منزلة فيها ١/٥٧٤.

إكمال المعلم للحج باب استحباب النزول بالمحصب يوم النفر ٤/٣٩٣.

إكمال المعلم للباس والزينة باب تحريم خاتم الذهب على الرجال ٦/٦٠٤.

(٤) إكمال المعلم للحيض باب نسخ الماء من الماء ٢/١٩٩.

(٥) شرح الزرقاني على الموطأ ٢/٢١٣.

- وقال رحمه الله: ((وقد استدل بعض الأئمة على عصمتهم -أي الأنبياء- من الصفائر بالمصير إلى امثال أفعالهم، واتباع آثارهم، وسيرهم مطلقاً. وجمهور الفقهاء على ذلك من أصحاب مالك والشافعي وأبي حنيفة من غير التزام قرينة بل مطلقاً عند بعضهم. وإن اختلفوا في حكم ذلك:

- وحكى ابن خويز منداد وأبو الفرج عن مالك التزام ذلك وجوباً. وهو قول الأهمري وابن القصار وأكثر أصحابنا، وقول أكثر أهل العراق، وابن سريج^(١) والإصطخري^(٢)

(١) أحمد بن عمر بن سريج، أبو العباس، كان من عظماء الشافعيين وأئمة المسلمين، يقال له الباز الأشهب، إليه انتهت الرحلة، من تأليفه: كتاب الرد على بن داود في إبطال القياس والأعداء والأنداد، والتقريب بين المزي والشافعي، ولد عام (٢٤٩هـ) وتوفي عام (٣٠٦هـ). طبقات الشيرازي ١١٨، طبقات بن السبكي ٢١/٣، وطبقات ابن قاضي شهبة ٩٠/١.

(٢) الحسن بن أحمد بن يزيد بن عيسى بن الفضل، أبو سعيد، إمام في الأصول والفقه، من تأليفه: كتاب الفروض، وكتاب الوثائق، والسجلات، وله آراء في الأصول، ولد عام (٢٤٤هـ) توفي سنة (٣٢٨هـ). طبقات الشيرازي ١١٩، طبقات السبكي ٢٣٠/٣ وفیات الأعيان ٣٥٧/١.

وابن خيران^(١) من الشافعية.

- وأكثر الشافعية على أن ذلك ندب.

- وذهبت طائفة إلى الإباحة.

- وقيد بعضهم الاتباع فيما كان من الأمور الدينية وعلم به مقصد القربة ومن قال بالإباحة في أفعاله لم يقيد^(٢))). لم يبين رأيه

أقوال العلماء في المسألة:

القول الأول: الوجوب.

وبه قال مالك وأكثر أصحابه^(٣)، وأكثر أهل العراق^(٤)، ومنهم الكرخي، ونسب للإمام الشافعي^(٥) وهو مذهب جماعة من أصحابه^(٦)، ورواية عن الإمام أحمد، وعليها بعض الحنابلة^(٧)، وبعض المعتزلة^(٨).

(١) الحسن بن صالح بن خوران، أبو علي، البغدادي، الشافعي، أحد أئمة المذهب، كان من أفاضل الشيوخ وأماثل الفقهاء مع حسن للمذهب وقوة الورع، مات سنة (٣٢٠هـ). طبقات السبكي ٢/٢١٣، وطبقات بن هداية ٢٠٠، وطبقات بن قاضي شعبة ٩٣/١.

(٢) ين هذا في موضع آخر فقال: وإليه أشار حذاق المتكلمين منهم. إكمال المعلم ٣٢٥/٧.

(٣) كتاب الشفا فصل عصمة الأنبياء في الأعمال ٢/ ٤٨٩.

وقال في موضع آخر: وهذا مستقصى في فن الأصول. إكمال المعلم الصيام باب بيان أن القبلة في الصوم ليست محرمة ٤/ ٤٦.

(٤) إحكام الفصول ٢٢٣، ومقدمة بن القصار ٢٠٤، وشرح تنقيح الفصول ٢٢٦، ومنهم الأهمري، وابن القصار، والبايجي، وابن عويز منداد.

قال القرافي: (وهذا الذي نقله أئمة المالكية في كتبهم الأصولية والفروعية وفروع المذهب مبنية عليه). وصححه الزركشي في البحر.

(٥) أصول السرخسي ٨٦/٢، ميزان الوصول ٤٥٦، للمع ١٤٣، إرشاد الفحول ٦٠.

(٦) قال سليم: إنه ظاهر لمذهب الشافعي. وقال ابن السمعاني: إنه الأشبه بمذهب الشافعي. البحر المحيط ٣/ ٢٥٣.

(٧) منهم الإصطخري، وابن خوران، وابن أبي هريرة، والطبري، وأكثر المتأخرين من الشافعية. البحر المحيط ٣/ ٢٥٣، إرشاد الفحول ٦٠.

(٨) منهم ابن حامد، وحزم ابن أبي موسى، واختاره صاحب الواضح وذكره عن أصحابه، وعليها أكثر الحنابلة. أصول الفقه لابن مفلح ١/ ٣٣٦، شرح الكوكب المنير ٢/ ١٨٧.

(١) كشف الأسرار ٣/٣٧٧، الإحكام ١/٢٢٩.

القول الثاني: النذب.

ونسب لأكثر الحنفية^(١)، وهو قول بعض المالكية^(٢)، وبه قال معظم الشافعية^(٣)، ورواية عن الإمام أحمد، وعليها بعض أصحابه^(٤)، وهو مذهب أهل الظاهر^(٥)، واختاره الشوكاني^(٦).

القول الثالث: الإباحة.

وهو الصحيح عند أكثر الحنفية^(٧)، ونسب للإمام مالك^(٨)، ونقله الدبوسي^(٩) في التقوم عن أبي بكر الرازي وقال إنه الصحيح^(١٠).

القول الرابع: الوقف.

وهو مذهب جماعة من الشافعية^(١١)، ورواية عن الإمام أحمد اختارها أبو الخطاب^(١٢)، وهو قول أكثر الأشاعرة^(١٣)، وبعض المعتزلة^(١٤).

(١) تيسر التحرير ١٢٣/٣، قواطع الأدلة ١٧٧/٢، البحر المحيط ٢٥٤/٣.

(٢) منهم ابن المتناجب، واختاره ابن العربي. إحكام الفصول ٢٢٤، المحصول لابن العربي ١٠٩.

(٣) قال للماوردي والرويان: إنه قول الأكثرين، وقال الأمدى: إنه اختاره إمام الحرمين. وبه قال القفال، وأبو حامد المروزي.

الإحكام ٢٢٩/١، التحصيل ٤٣٤/١، البحر المحيط ٢٥٤/٣، إرشاد الفحول ٦٠.

(٤) واختاره أبو الحسن التميمي، والفخر إسماعيل. العدة ٧٣٧/٣، أصول الفقه لابن مفلح ٣٣٦/١.

(٥) الإحكام لابن حزم ٣٩/٤، النبذ ٤٢٢.

(٦) إرشاد الفحول ٦٠.

(٧) كشف الأسرار ٣٧٨/٣، المغني ٢٦٣، فواتح الرحموت ٢٣١/٢، شرح مختصر المنار ١٥٦.

(٨) هذه النسبة لا توجد في كتب المالكية، بل سبق أن قلنا كلام القرائي، ولكنها موجودة في كتب أصول الشافعية مثل

الإحكام، والمحصول، ومختصراته، وشرح المعالم، قال القرطبي: (ليس معروفاً عن أصحابه) البحر المحيط ٢٥٤/٣.

(٩) عبيد الله بن عمر بن عيسى أبو زيد الدبوسي الحنفي، القاضي كان يضرب به المثل في النظر واستخراج الصحيح، من

أعيان أصحاب أبي حنيفة، من مصنفاته: تقوم الأدلة، والأسرار، تأسيس النظر، توفي سنه ٤٣٠هـ). الفوائد البهية ١٠٩، تاج

التراجم ١٩٢.

(١٠) تقوم الأدلة ٢٤٧.

(١١) منهم الصوري، والدقاق، أبو القاسم بن كج، والقاضي أبو الطيب، وابن فورك، والسريجي، وهو اختيار الغزالي،

الرازي.

انظر: كشف الأسرار ٣٧٧/٣، تيسر التحرير ١٢٣/٣، اللع ١٤٣، قال: وهو الأصح. المحصول ٢٣٠/٣، الإحكام ٢٢٩/١،

البحر المحيط ٢٥٥/٣، إرشاد الفحول ٦٠.

(١٢) التمهيد ٣١٧/٢، أصول الفقه لابن مفلح ٣٣٦/١، شرح الكوكب للنير ١٨٩/٢.

(١٣) كشف الأسرار ٣٧٧/٣، تيسر التحرير ١٢٣/٣، قواطع الأدلة ١٧٧/٢، البحر المحيط ٢٥٥/٣، إرشاد الفحول ٦٠.

القول الخامس: التفريق بين ما ظهر فيه قصد القرية فهو محمول على القدر المشترك بين الواجب والندوب، وبين ما لم يظهر فيه قصد القرية، فيحمل على القدر المشترك بين الوجوب والندب والإباحة، وهو جواز الإقدام.

وهو اختيار الآمدي، والمازري، وابن الحاجب^(١).

الأدلة:

أدلة القول الأول: الوجوب.

استدلوا بالكتاب، والسنة، والإجماع، والمعقول^(٢).

أ. أما الكتاب: فاستدلوا بالنصوص الموجبة للاقتداء بالرسول صلى الله عليه وسلم في أقواله وأفعاله.

١- منها قوله تعالى: {قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأَمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ} (لأعراف: ١٥٨).

وجه الدلالة: أمر بمتابعته والاتباع له يكون في أقواله وأفعاله، والأمر ظاهر في الوجوب.

٢- قوله تعالى: { فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ } (النور: ٦٣).

وجه الدلالة: توعده على مخالفة أمر الرسول صلى الله عليه وسلم، والأمر يقع على القول والفعل.

٣- قوله تعالى: { وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا } (الحشر: ٧).

وجه الدلالة: الفعل مأتي به، فوجب أخذه، لأن ظاهر الأمر الوجوب.

(١) المحصول ٢٣٠/٣، تيسر التحرير ١٢٣/٣.

(٢) مختصر ابن الحاجب مع العضد ١٠٠، تيسر التحرير ١٢٣/٣، الإحكام ٢٢٩/١، الإمام المازري وآراؤه الأصولية ٤١٨.

(٣) انظر أدلتهم ومناقشتها في: إحكام الفصول ٢٢٤، شرح تنقيح الفصول ٢٢٦، أصول السرخسي ٨٧/٢، كشف الأسرار ٣٧٩/٣، تيسر التحرير ١٢٣/٣، فواتح الرحموت ٢٣٣/٢، المحصول ٢٣٠/٣، المستصفى ٢٢٢/٢، الإحكام ٢٣١/١، التمهيد ٣٢٢/٢، شرح الكوكب المنير ١٩٠/٢، إرشاد الفحول ٥٨.

٤- قوله تعالى: {لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا} (الأحزاب: ٢١).

وجه الدلالة: هذا زجر في طي أمر، وتقديره: من كان يؤمن بالله واليوم الآخر، فله فيه أسوة حسنة ومن لم يتأس به فلا يكون مؤمناً بالله ولا باليوم الآخر، وهو دليل للوجوب.

٥- قوله تعالى: {قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ} (آل عمران: ٣١).

وجه الدلالة: محبة الله واجبة، فيجب لازمها، وهو اتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم، فيكون واجباً. وقوله: (فاتبعوني) أمر، والأمر للوجوب.

٦- قوله تعالى: {قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ} (آل عمران: ٣٢).

وجه الدلالة: أمر بطاعة الرسول، والأمر ظاهر للوجوب، ومن أتى بمثل فعل الغير على قصد إعظامه، فهو مطيع له.

٧- قوله تعالى: { فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا } (الأحزاب: ٣٧).

وجه الدلالة: لولا الوجوب لما رفع تزويجه الحرج عن المؤمنين في أزواج أدعيائهم.

ب. من السنة:

١- عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى بأصحابه، إذ خلع نعليه، فوضعهما عن يساره، فلما رأى ذلك القوم ألقوا نعالهم، فلما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاته قال: ((ما حملكم على إلقاءكم نعالكم؟)) قالوا: رأيناك ألقيت نعليك فألقينا نعالنا فقال صلى الله عليه وسلم: ((إن جبريل أتاني فأخبرني أن فيهما قدراً))^(١).

(١) رواه أبو داود (٦٥٠)، وأحمد ٢٠/٣، والحاكم ٢٦٠/١، وقال: هذا حديث على شرط مسلم ولم يخرجاه. ووافقه الذهبي والبيهقي في السنن ٤٠٢/٢.

وجه الدلالة: فأقرهم في المتابعة ولم ينكر عليهم نفس المتابعة وإنما بين لهم العلة فدل على وجوب أفعاله صلى الله عليه وسلم.

٢- قصة غزوة الحديبية فإن النبي صلى الله عليه وسلم أمر الصحابة بالنحر والحلق والتحلل من إحرامهم، فلم يقيم منهم أحد، فشكا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك إلى أم سلمة^(١) رضي الله عنها فأشارت عليه أن ينحر ويحلق فإذا رأوا ذلك منه فعلوه، فلما نحر وحلق صلى الله عليه وسلم قام الناس واتبعوه فنحروا وحلقوا^(٢).

وجه الدلالة: ولولا أن فعله متبع، لما كان كذلك.

٣- وأيضاً ما روي عنه أنه صلى الله عليه وسلم لما سأله أم سلمة عن بل الشعر في الاغتسال قال: ((أما أنا فيكفيني أن أحثوا على رأسي ثلاث حثيات من ماء))^(٣) وكان ذلك جواباً.

وجه الدلالة: ولولا أنه متبع في فعله لما كان جواباً لها.

الإجماع:

١- فإن الصحابة - رضي الله عنهم - قد اختلفوا في جوب الغسل عن التقاء الختانين من غير إنزال، فقالت عائشة رضي الله عنها ((إذا جاوز الختان الختان فقد وجب الغسل))، فعلته أنا ورسول الله صلى الله عليه وسلم فاغتسلنا^(٤). فرجعوا إلى ذلك، وإجماعهم على الرجوع دليل على أن فعله واجب الاتباع.

٢- ما أثار عن عمر رضي الله عنه، أنه كان يقبل الحجر الأسود، ويقول: ((إني أعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع، ولو لا أنني رأيت رسول الله يقبلك لما قبلتك))^(٥) حيث رأى أن متابعته على الظاهر واجبة، والصحابة رضي الله عنهم كانوا يرون المبادرة إلى متابعة أفعاله مثل المبادرة إلى متابعة أقواله.

(١) / أم سلمة: هند بنت أبي أمية (المعروف بزد الراكب) بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن عذرم القرشية المخزومية توفيت (٥٩هـ، وقيل: ٦٠هـ) ولها (٨٤) سنة، أحاديثها (٣٧٨). الاستيعاب ٤/٤٩٣، أسد الغابة ٦/٢٨٩، الإصابة ٨/٣٤٢.

(٢) رواه البخاري (٢٧٣١-٢٧٣٢).

(٣) رواه مسلم، الحيض، باب استحباب إفاضة الماء ١٦٩/٢.

(٤) الترمذي (١٠٨)، ابن ماجة (٦٠٨).

(٥) رواه مسلم (١٢٧٠).

المعقول:

١- قالوا أن فعله صلى الله عليه وسلم يجوز أن يكون المراد به الوجوب ويجوز أن لا يكون، و الاحتياط يقتضي حمله على الوجوب^(١).

٢- أن تعظيم رسول الله صلى الله عليه وسلم واجب إجماعاً، والتزام مثل فعله على سبيل الوجوب من تعظيمه فيتعين^(٢).

أدلة القول الثاني: النذب^(٣).

من الكتاب:

١- قوله تعالى: {لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا} (الأحزاب: ٢١).

وجه الدلالة: لو كان التأسي واجباً لقال: (عليكم) فلما قال (لكم) دل على عدم الوجوب، ولما أثبت الأسوة الحسنة دل على رجحان جانب الفعل على جانب الترك، فلم يكن مباحاً.

الإجماع:

فهو أنا رأينا أهل الأعصار متطابقين على الاقتداء في الأفعال بالنبي صلى الله عليه وسلم، وذلك يدل على انعقاد الإجماع على أنه يفيد النذب، لأنه أقل ما يفيد جانب الرجحان^(٤).

المعقول: فهو أن فعله - عليه الصلاة والسلام - إما أن يكون راجحاً على العدم، أو مساوياً له، أو دونه.

والأول متعين. لأن الثاني والثالث مستلزمان أن يكون فعله عبثاً، وهو باطل. وإذا تعين أنه راجح على العدم، فقد يكون واجباً، وقد يكون مندوباً. والمتيقن هو النذب^(٥).

(١) شرح تنقيح الفصول ٢٢٧، المحصول ٢٣٧/٣، إرشاد الفحول ٦٠.

(٢) للمراجع السابقة.

(٣) إحكام الفصول ٢٢٤، شرح تنقيح الفصول ٢٢٧، تيسير التحرير ١٢٦/٣، فواتح الرحموت ٢٣٤/٢، المحصول ٢٣٧/٣، الإحكام ٢٣٤/١، التمهيد ٣٢٨/٢.

(٤) المحصول ٢٤٥/٣، إرشاد الفحول ٥٩.

(٥) المحصول ٢٤٥/٣، الإحكام ٢٣٤/١، إرشاد الفحول ٥٩.

أدلة القائلين بالإباحة:

١- أنه قد ثبت أن فعله صلى الله عليه وسلم لا يجوز أن يكون صادراً على وجه يقتضي الإثم لعصمته، فثبت أنه لا بد أن يكون إما مباحاً أو مندوباً أو واجباً. وهذه الأقسام الثلاثة مشتركة في رفع الحرج عن الفعل. فأما رجحان الفعل فلم يثبت على وجوده دليل، فثبت بهذا أنه لا حرج في فعله كما أنه لا رجحان في فعله فكان مباحاً. وهو المتيقن فوجب التوقف عنده وعدم مجاوزته إلى ما ليس بمتيقن^(١).

٢- الأصل في الأفعال كلها إنما هو الإباحة، ورفع الحرج عن الفعل والترك، إلا ما دل الدليل على تغيره، والأصل عدم المغير^(٢).

أدلة القائلين بالوقف:

فعله عليه السلام: متردد بين أن يكون خاصاً به، وبين أن لا يكون خاصاً به. وما ليس خاصاً به متردد بين الواجب والمندوب والمباح. والفعل لا صيغة له ليدل على البعض دون البعض، وليس البعض أولى من البعض، فلزم الوقف إلى أن يقوم الدليل على التعيين^(٣).

أدلة القائلين بالتفصيل:

قالوا: إذا ظهر قصد القرية ظهر الرجحان، فحكم به، والمنع من الترك زيادة لم تثبت إلا بدليل، والأصل عدمه فثبت الرجحان به وبالمنع من الترك وهو الندب. وإذا لم يظهر قصد القرية ظهر الجواز لبعده المعصية، فلا وجوب ولا ندب بالأصل. وأيضاً لما نفى الحرج في قوله { زَوْجَتَاكَ } (الأحزاب: من الآية ٣٧) مع احتمال الوجوب والندب، ولم يشبهتهما، فهم منه أن مقتضى الإباحة دونهما^(٤).

(١) المصادر السابقة.

(٢) الإحكام ١/٢٣٥.

(٣) الإحكام ١/٢٣٥.

(٤) الإحكام ١/٢٣٠، شرح المضد على مختصر بن الحاجب ١٠٢.

حجية إقرار النبي صلى الله عليه وسلم

توطئة:

إقرار النبي صلى الله عليه وسلم هو القسم الثالث من أقسام السنة النبوية، إذ هي قوله وفعله وإقراره.

تعريف الإقرار من النبي صلى الله عليه وسلم.

والإقرار أن يسمع الرسول صلى الله عليه وسلم شيئاً فلا ينكره، أو يرى فعلاً فلا ينكره مع عدم الموانع، فيدل ذلك على جوازه^(١).

والإقرار يكون على القول والفعل^(٢).

ويكون الإقرار أقوى في الدلالة وأوضح عند استشارة النبي صلى الله عليه وسلم^(٣).

رأي القاضي عياض في إقرار النبي صلى الله عليه وسلم:

يرى القاضي عياض حجية إقرار النبي صلى الله عليه وسلم، ونقل عليه الإجماع، حيث ذكر دلالة عدة أحاديث على الإقرار، وكلها صريحة في الدلالة على الإقرار، وإليك بعض النصوص، واستفادة عياض منها حجية الإقرار.

- قال في إباحة الضب: ((وقوله: (ولو كان حراماً ما أكل على مائدة رسول الله صلى الله عليه وسلم)^(٤) حجة في أن إقرار النبي صلى الله عليه وسلم دليل على جواز ما أقره عليه، إذ كان لا يقر

(١) اللمع ٢٠٠.

(٢) التمهيد لأبي الخطاب ١٥/١، إرشاد الفحول ٦٤.

(٣) مختصر ابن الحاجب مع المضد ١٠٤، تقريب الوصول ١٠٥، فواتح الرحموت ٢/٢٣٥، الإحكام للآمدي ١/١٤٤، شرح الكوكب المنور ٢/١٩٥.

(٤) رواه البعاري (٢٤٣٥)، ومسلم (١٩٤٧)، من حديث ابن عباس.

على منكر، ولا يجوز^(١) ذلك في حقه، لأنه جاء بالبيان والبلاغ، وهذا ضده، لما فيه من الإشكال والالتباس^(٢).

- وقال في سياق كلامه عند عدم جواز الصفات والمكروهات على النبي صلى الله عليه وسلم: ((وإذا كان النبي لا يُقرُّ على منكر باتفاق الجميع، كان من قول أو فعل، وأنه متى رأى شيئاً فأقره دل على إباحته..))^(٣).

- وقال في قصة لعب الحبشة في المسجد، وإنكار عمر رضي الله عنه عليهم حتى أقرهم النبي صلى الله عليه وسلم: ((وقول النبي صلى الله عليه وسلم: (دونكم يا بني أرفدة...) الحديث^(٤). وفيه أقوى دليل على إباحة مثل هذا الأمر لهم، زائداً على إقراره إياه، وكذلك في الرواية الأخرى (دعهم يا عمر))^(٥).

(١) في المطبوع: ولا يحرر. والصواب ما أثبتته.

(٢) إكمال المعلم، كتاب الصيد، باب إباحة الغضب، ٣٨٩/٦.

(٣) إكمال المعلم، كتاب الفضائل، باب علمه صلى الله عليه وسلم بالله، ٣٢٥/٧.

وانظر: الشفا فصل عصمة الأنبياء في الأعمال ٤٨٩/٢ - ٤٩٠.

(٤) رواه البخاري (٩٠٧) من حديث عائشة.

(٥) إكمال المعلم، كتاب صلاة العيدين، باب الرخصة في اللعب، ٣١٠/٣.

وانظر: إكمال المعلم ٤١٨/٢، ٤٨٢/٣.

مسألة: الفرق بين الخبر والشهادة (شروط الراوي أو الشاهد)

توطئة:

● الخير:

أ. لغة: الْخَيْرُ: محرّكة النبا جمع أخبار، والْخَبَارُ والْخَبَرُ: الأرض اللينة وهو مشتق من الخبر، وهي الأرض الرخوة؛ لأن الخير يثير الفائدة، كما أن الأرض الخبر تثير الغبار إذا قرعها الحافر.

ب. اصطلاحاً: في عرف الأصوليين له عدة تعريفات أشهرها: ما احتمل الصدق والكذب لذاته^(١). وعرف الخير في اصطلاح المحدثين بثلاث بتعريفات. فَقِيلَ: الخير مرادف للحديث. وَقِيلَ: الحديث ما جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم، والخير ما جاء عن غيره. وَقِيلَ: الحديث ما جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم والخير ما جاء عنه وعن غيره^(٢).

● الشهادة:

هي: إخبار بلفظ خاص عن خاص، علمه مختص بمعين، يمكن الترافع فيه عند الحكام^(٣).

أولاً: شروط متفق عليها في الراوي والشاهد

قال عياض رحمه الله: ((وقول مسلم رحمه الله: (والخير وإن فارق معناه معنى الشهادة في بعض الوجوه، فقد يجتمعان في أكثر معانيها):

ما أحسن قول مسلم هذا وأبينه في الدلالة على كثرة علمه، وقوة فقهه.

فاعلم أن الشهادة والخير يجتمعان عندنا في خمسة أحوال ويفترقان في خمسة أحوال.

فالخمسة الجامعة لهما: العقل^(٤) والبلوغ، والإسلام، والعدالة، وضبط الخبر أو الشهادة حين السماع والأداء. فمتى اختل وصف من هذه الأوصاف في أحد لم يقبل خبره ولا شهادته^(٥).

(١) ينظر: القاموس المحيط ١٧/٢، المصباح للنووي ٨٧، المفردات ١٤٨، مشارق الأنوار ٣٥٧/١، الإحكام ٩/٢، البحر المحيط ٢٨٣/٣، إرشاد الفحول ٦٦، شرح الكوكب المنير ٢٨٩/٢.

(٢) ينظر شرح غيبة الفكر ٤، تدريب الراوي ٢٩/١، قواعد التحديث ٦٢، مقدمة إكمال المعلم تحقيق شواظ ١٧٧.

(٣) شرح الكوكب المنير ٣٧٨/٢.

(٤) العقل شرط للأداء والتحمل. توضيح الأفكار ٨٤/٢.

(٥) إكمال المعلم، المقدمة ١٠٧/١-١٠٩. وقد ذكرها النووي أيضاً في شرح صحيح مسلم ٩٦/١، مع زيادة اشتراط المروءة. ومكمل إكمال الإكمال ٣٨/١-٣٩.

وهذه الشروط بجمع على كثير منها، فقد نقل الإجماع عليها ابن مفلح^(١) في أصوله، والفتوحى في شرح الكوكب المنير وغيرهم^(٢).

ثانياً: شروط لا تعتبر في راوي الخبر، وإن اعتبرت في الشاهد^(٣):

وهي: الحرية، والذكورة^(٤)، والعدد، ومراعاة الأهلية، والعداوة، أو الإكثار من الرواية^(٥)، أو معرفة النسب^(٦)، أو العلم بالفقه^(٧)، أو العربية^(٨)، ولا عدم الحد في قذف^(٩)، ولا البصر.

(١) محمد بن مفلح بن محمد بن مفرج أبو عبد الله، المقدسي، الصالحى الشيخ الإمام العالم العلامة، أحد الأئمة الأعلام، صنف المصنفات الكثيرة، وهو ممن خدم المذهب الخليلي أصولاً وفروعاً من مؤلفاته: أصول الفقه، الفروع، حاشية على المفتح، الآداب الشرعية، توفي سنة (٧٦٣هـ). للمقصد الأرشد ٥١٧/٢، الدر المنضد ٥٣٦/٢.

(٢) نهاية السؤل ٣٣٥/٢، أصول الفقه لابن مفلح ٥١٦/٢، شرح الكوكب المنير ٣٧٩/٢، توضيح الأفتكار ٨٤/٢.

(٣) ينظر لهذه الشروط مختصر بن الحاجب مع العضد ١٤٥، نثر الورود ٤٠٢/١، أصول السرخسي ٣٥٢/١، تيسير التحرير ٤٦/٣، فواتح الرحموت ١٨٤/٢، المستصفى ٣٠٢/١، الإحكام ٨٩/٢، البحر المحيط ٣٧١/٣، وما بعدها فقد ذكر عدد منها كثير وذكر المخالف فيها، أصول الفقه لابن مفلح ٥٤٢/٢، شرح مختصر الروضة ١٥٧/٢، المختصر في أصول الفقه ٨٦، شرح غاية السؤل ٢٢٢، شرح الكوكب المنير ٤١٤/٢، المدخل ٢١٤، تلريب الراوي ٣٥٢/١.

(٤) قال في المصؤل: (ولا يعتبر - أيضاً - أن يكون ذكراً أو حراً أو بصيراً وهو بجمع عليه) ٤٢٥/٤.

(٥) مختصر بن الحاجب ١٥٠، فواتح الرحموت ١٨٤/٢، البحر المحيط ٣٧٣/٣، شرح الكوكب المنير ٤١٦/٢.

(٦) قال الطولي: (كما لو لم يكن له نسب أصلاً كالعبد، وولد الزنى، والنفي باللعان، إذا كانوا عدولاً قبلت روايتهم ولا نسب لهم أصلاً...) فواتح الرحموت ١٨٤/٢، المصؤل ٤٢٦/٤، شرح مختصر الروضة ١٥٩/٢.

شرح الكوكب المنير ٤١٩/٢، تلريب الراوي ٦٩/١.

(٧) الخلاف في المسألة مع أبي حنيفة، ومالك، وعسى بن أبان. ينظر شرح تنقيح الفصول ٢٨٨، المصؤل ٤٢٢/٤، البحر المحيط ٣٧٢/٣.

(٨) قال في المصؤل: (لأن الحجة في لفظ الرسول - عليه السلام - والأعجمي والعامي يمكنهما حفظ اللفظ، وكذلك يمكنهما حفظ القراء...) ٤٢٥/٤، فواتح الرحموت ١٨٤/٢، البحر المحيط ٣٧٣/٣، شرح الكوكب المنير ٤١٦/٢.

(٩) تقبل رواية المحدث في القذف بعد التوبة، وروي عن الإمام أبي حنيفة في رواية الحسن خلافه أي عدم القبول وإن تاب قياساً على الشهادة، وهو خلاف الظاهر من المذهب؛ لقبوله أي بكراهة فإنه قذف المغفرة بن شعبة فعليه أمر المؤمنين عمر رضي الله عنه، وحسان ومسطح بن أثانة مع كونهما محددين حين قذفنا عائشة الصديقة فقرأها الله تعالى وكلهما الله حين افتري عبد الله بن أبي المنافق، لكنهم تابوا عن هذا الأمر الشنيع. أصول السرخسي ٣٥٤/١، كشف الأسرار ٧٥١/٢، تيسير التحرير ٤٦/٣، فواتح الرحموت ١٨٤/٢.

* هذا وقد تعرض القاضي عياض لبعض هذه الشروط وذكر أنها لا تشترط في الخبر وإن اشترطت في الشهادة.

وكلامه فيها موافق لما عليه جمهور الأمة وعامتهم من الأصوليين والمحدثين، حيث قال رحمه الله: ((وأما الخمسة التي يفترقان فيها: فالحرية، والذكورية، والعدد، ومراعاة الأهلية، والعداوة. فخير العبد مقبول وإن لم تقبل شهادته عندنا^(١)، وكذلك خير الواحد والمرأة مقبول^(٢)، ولا تقبل شهادتهما بمجردة إلا في مواضع مستثناة^(٣) وشرائط معلومة.

وخير الرجل وروايته فيما ينتفع به خاص أهله أو يضره عدوه مقبول، ولهذا لا يعذر في مكشفي القضاة، ومجرحي السر. وكذلك تجوز رواية الابن عن أبيه وأمه وروايتهما عنه وإن لم يجزه بعض العلماء في نقل الشهادة، في مذهبنا فيها وجهان.

- ولأن الرواية والخبر يعم ولا يخص شخصاً دون شخص^(٤)، والشهادة خاصة، ولهذا نعمل الشهادة العامة كيف كانت، ولا نردها بظنة منفعة ولا عداوة كالشهادة على العدو من أهل الكفر وعلى الأمور العامة للمسلمين في سككهم ومرافقهم وإن كان الشاهد واحداً منهم^(٥)).

مسألة: اشتراط البصر في الشهادة دون الخبر (رواية الأعمى)

رواية الأعمى مقبولة بالاتفاق^(٦)، والخلاف في شهادته.

(١) قال في البحر المحيط: (قال إلكيا الطبري: لا خلاف بين العلماء في عدم اشتراط الحرية والذكورة). ٣٧٢/٣.

(٢) لقبول الصحابة رضي الله عنهم خير عائشة، وأسماء، وأم سلمة، وأم سلمة، وغيرهن، ولا فرق بين كون الأنثى حرة أو رقيقة. شرح مختصر الروضة ١٥٧/٢، شرح الكوكب للنير ٤١٥/٢.

(٣) منها الأموال أو فيما لا يظهر للرجال مما هو خاص بالنساء كالولادة وغيرها مثل الرضاع.

(٤) فواتح الرحموت ١٨٤/٢، شرح مختصر الروضة ١٦٠/٢، شرح الكوكب للنير ٤١٦/٢، شرح النووي على صحيح مسلم ٩٦/١.

(٥) إكمال للعلم، المقدمة ١٠٧/١، والمقدمة من تحقيق أشواط ١٧٧، شرح النووي على صحيح مسلم ٩٦/١، مكمل الإكمال ٣٨/١.

(٦) قال الرازي في المحصول: (ولا يعتبر -أيضاً- أن يكون ذكراً أو حراً أو بصيراً وهو يجمع عليه).

انظر المسألة في: إحكام الفصول ٣٦٨/١، مختصر بن الحاجب ١٤٥، نثر الورود ٤٠١/١، أصول السرخسي ٣٥٤/١، تيسير التحرير ٤٦/٣، فواتح الرحموت ١٨٤/٢، للمستصفي ٣٠٢/١، الإحكام ٨٩/٢، نهاية السؤل ٣٥٢/٢، البحر المحيط ٣٧١/٣، شرح مختصر الروضة ١٥٧/٢، أصول الفقه لابن مفلح ٥٤٣/٢، شرح الكوكب للنير ٤١٥/٢.

قال القاضي عياض رحمه الله: ((وشرط الشافعي البصر في الشهادة دون الخبر ولا حجة له في ذلك))^(١).

قال النووي في شرح مسلم: ((واختلفوا في شهادة الأعمى فمعناها الشافعي وطائفة، وأجازها مالك وطائفة، واتفقوا على قبول خبره))^(٢).

الدليل:

- فعل الصحابة رضي الله عنهم حيث قبلوا رواية الأعمى قال الزركشي: ((بدليل إجماع الصحابة على قبول حديث عائشة رضي الله عنها من خلف ستر، وهم في تلك الحال كالعميان. وقد قبلوا خبر ابن أم مكتوم وعتبان بن مالك))^(٣).

وقال السرخسي: ((وأما العمى لا يؤثر في الخبر لأنه لا يقدح في العدالة، ألا ترى أنه قد كان في الرسل من ابتلي بذلك كشعيب ويعقوب، وكان في الصحابة من ابتلي به كابن أم مكتوم وعتبان بن مالك رضي الله عنهما، وفيهم من كف بصره كابن عباس وابن عمر وجابر ووائل بن الأسقع رضي الله عنهم، والأخبار المروية عنهم مقبولة، ولم يشتغل أحد بطلب التاريخ في ذلك أنهم رووا في حالة البصر أم بعد العمى وهذا بخلاف الشهادة...))^(٤).

مسألة: هل يشترط البلوغ حين السماع:

يرى القاضي عياض عدم اشتراط البلوغ للسمع حيث قال رحمه الله: ((وشرط بعض الأصوليين البلوغ حين السماع والإجماع بخلافه))^(٥).

وقال: ((أما صحة سماعه فمقتضى ضبط ما سمعه صح سماعه، ولا خلاف في هذا وصح الأخذ عنه بعد بلوغه إذ لا يصح الأخذ عن الصغير، ومن لم يبلغ وقد حدد أهل الصنعة في ذلك أن أقله سن محمود بن الربيع))^(٦).

(١) إكمال المعلم، المقدمة ١/١٠٧.

(٢) شرح صحيح مسلم للنووي، المقدمة ١/٩٦. ومكمل إكمال الإكمال ١/٣٨.

(٣) البحر المحيط ٣/٣٧١.

(٤) أصول السرخسي ١/٣٥٤.

(٥) إكمال المعلم، المقدمة ١/١٠٧.

(٦) الإسماع، باب متى يستحب سماع الطالب ومتى يصح سماع الصغير ٦٢.

ووافقه على هذا النووي حيث قال: (...) وشذ عنهم جماعة في أفراد بعض هذه الجملة، فمن ذلك شرط بعض أصحاب الأصول أن يكون تحمله الرواية في حال البلوغ، والإجماع يرد عليه، وإنما يعتبر البلوغ حال الرواية لا حال السماع...^(١).

وهذا الذي قالاه هو مذهب الجمهور، وهو الصحيح إن شاء الله لقوة أدلته، وضعف دليل المخالف له^(٢).

قال الشيخ الشنقيطي رحمه الله: ((فإنه يقبل على مذهب الجمهور وهو الحق، لأن العبرة بوقت الأداء))^(٣).

الأدلة: على قبول رواية الصبي المتحمل قبل البلوغ إذا أدى ما سمعه بعد البلوغ^(٤)

الأول: إجماع الصحابة، فإنهم قبلوا رواية ابن عباس وابن الزبير والنعمان بن بشير والحسن والحسين وأنس بن مالك- رضي الله عنهم- من غير فرق بين ما تحملوه قبل البلوغ أو بعده.

الثاني: إجماع السلف على إحضار الصبيان مجالس الرواية.

الثالث: أن إقدامه على الرواية- عند الكبر -يدل ظاهراً على ضبطه للحديث الذي سمعه حال الصغر.

الرابع: أجمعنا على أنه تقبل منه الشهادة التي تحملها حال الصغر فكذا الرواية. والجامع: أنه حال الأداء مسلم عاقل بالغ يحترز من الكذب.

مسألة: هل يشترط العدد في الخبر (حكم رواية الواحد)

يرى القاضي عياض رحمه الله بأنه يكفي رواية الواحد في الخبر ولا يشترط لقبول الحديث أو الخبر العدد.

ورأيه هذا هو ما عليه عامة الأمة من الأصوليين والمحدثين وغيرهم.

(١) شرح صحيح مسلم للنووي ، المقدمة ٩٦/١.

(٢) انظر المسألة في مختصر بن الحاجب مع العضد ١٤٣، نثر الورود ٣٩٨/١، أصول السرخسي ٣٤١/١، كشف الأسرار ٧٣٤/٢، تيسر التحرير ٣٩/٣، فواتح الرحموت ١٧٦/٢، المستصفي ٢٩٢/١، المحصول ٣٩٥/٤، الإحكام ٨٤/٢، شرح مختصر الروضة ١٤٣/٢، شرح الكوكب المنير ٣٨٢/٢، توضيح الأفكار ١٨٢/٢.

(٣) نثر الورود ٣٩٨/١

(٤) راجع هذه الأدلة في المصادر السابقة عند الإحالة على المسألة.

وشذ عن هذا الجبائي وبعض القدرية^(١).

قال القاضي عياض رحمه الله: ((وشرط الجبائي وبعض القدرية العدد، فلا بد عنده من اثنين عن اثنين في الخير كالشهادة، وعند الآخرين أربع عن أربع في كل خير^(٢)، وهذا مما يتعذر، ولا يفيد معنى في باب النقل))^(٣).

ووافقه النووي على ذلك فقال: ((وكل هذه الأقوال ضعيفة ومنكرة مطرحة...))^(٤)

تنبيه: في تصحيح نقل مذهب الجبائي في هذه المسألة:

قال الزركشي في البحر: ((واعلم أن أثبت منقول عن أبي علي الجبائي في ذلك ما نقله عنه أبو الحسين البصري في المعتمد فقال: قال أبو علي الجبائي: إذا روي اثنان خيراً وجب العمل به، وإن رواه واحد فقط لم يجوز إلا بشرط أن يعضده ظاهر، أو عمل بعض الصحابة به، أو اجتهد، أو يكون منتشرأ. وحكى القاضي عبد الجبار عنه أنه لم يقبل في الزنا إلا خير أربعة كالشهادة عليه، ولم يقبل شهادة القابلة الواحدة. اهـ.

والحاصل أنه لا يرد خير الواحد مطلقاً، بل يعتبر مع ذلك عاضداً له ويقوم العاضد مقام الراوي الآخر))^(٥).

وهذا التفصيل عنه هو ما رجحه ابن حجر والسيوطي كما ذكره هنا الزركشي^(٦).

* أدلة الجمهور: على عدم اشتراط العدد فقد سبقت في مسألة قبول خير الواحد والعمل به.

(١) انظر مسألة اشتراط العدد في إحكام الفصول ١/٣٤٠، مختصر بن الحاجب مع العضد ١٥٠، شرح تنقيح الفصول ٢٨٦، تيسر التحرير ٨١/٣، فواتح الرحموت ٢/١٨٤، البرهان ١/٢٣١، المستصفى ١/٢٩٠، المحصول ٤/٤١٧، لمائة السؤل ١/٣٥١، البحر المحيط ٣/٣٧٤، الروضة ٢/١٣٣، شرح الكوكب المنير ٢/٣٦٢، النكت ١/٢٤٢، تدريب الراوي ١/٦٩.

(٢) قال الحافظ بن حجر: (ورأيت في بعض تصانيف الجاحظ أحد المتحذرة أن الخير لا يصح عندهم إلا إن رواه أربعة) النكت ١/٢٤٢.

(٣) إكمال المعلم، المقدمة ١/١٠٨.

(٤) شرح النووي على صحيح مسلم، المقدمة ١/٦٩، ومكمل الإكمال ١/٣٩.

(٥) البحر المحيط ٣/٣٧٥.

(٦) النكت ١/٢٣٨، تدريب الراوي ١/٧١، توضيح الأفكار ١/٢٠. ونقلوه عن إبراهيم بن إسماعيل بن عليه الأصب.

تنبيه^(١): زعم الميائجي أن الشيخين يشترطان العدد في صحة الحديث في كتابيهما وذلك بأن يروه اثنان عن اثنان، وذكره عنهما الحاكم^(٢).

قال الزركشي: ((قلت: ولا نظن أن ما نقل أولاً عن الجبائي هو مذهب البخاري، فإن الحاكم ذكر أن البخاري في صحيحه اشترط رواية عدلين عن عدلين متصلةً أُنكر ذلك على الحاكم. قال ابن الجوزي^(٣) وغيره: هذا غير صحيح منه، وقد ظن ذلك ولم يصب. وأيضاً فذلك احتياط منه لا اشترط في العمل به))^(٤).

وقال الحافظ ابن حجر في الرد على الميائجي: ((فهذا الذي قاله الميائجي مستغن بحكايته عن الرد عليه، فإنهما لم يشترطا ذلك ولا واحد منهما. وكم في الصحيحين من حديث لم يروه إلا صحابي واحد، وكم فيهما حديث لم يروه إلا تابعي واحد، وقد صرح مسلم في صحيحه ببعض ذلك))^(٥).

مسألة: اشتراط العلم في الراوي:

يرى القاضي عياض عدم اشتراط العلم في الراوي إذا حفظ وضبط لما رواه قال رحمه الله: ((وذكر مسلم عن أبي الزناد قال: أدركت بالمدينة مائة كلهم مأمون ما يؤخذ عنهم الحديث يقال: ليس من أهله)).

ليس يشترط في رواية الثقة عندنا وعند المحققين من الفقهاء والأصوليين والمحدثين كون المحدث من أهل العلم، والفقهاء، والحفظ، وكثرة الرواية، وبجالة العلماء، بل يشترط ضبطه لما رواه، إما من حفظه أو كتابه، وإن كان قليلاً علمه.

(١) شرح مختصر الروضة ١٣٤/٢، النكت على بن الصلاح ٢٣٨/١، تدريب الراوي ٦٩/١.

(٢) محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه، أبو عبد الله، الحاكم النيسابوري الشافعي، المعروف بابن البيع، الإمام الحافظ الناقد العلامة شيخ المحدثين، من تصانيفه: المستدرک على الصحيحين، معرفة علوم الحديث، تاريخ نيسابور، ولد (٣٢١) ومات سنة (٤٠٥) تاريخ بغداد ٤٧٣/٥، سير أعلام النبلاء ١٦٢/١٧، طبقات الحفاظ ٤٠٩.

(٣) عبد الرحمن بن علي بن محمد، أبو الفرج القرشي البكري البغدادي الحنبلي العلامة كان كثير التصانيف من مصنفاته: زاد المسير في علم التفسير، والمنظوم في تاريخ الملوك والأمم، ومنقب الإمام أحمد، وغيرها توفي سنة (٥٩٧هـ). وفيات الأعيان ٢٧٩/١ وسير أعلام النبلاء ٣٦٥/٢١ والأعلام ٣١٦/٣.

(٤) البحر المحیط ٣٧٥/٣.

(٥) النكت على بن الصلاح ٢٤١/١، تدريب الراوي ٧٠/١.

إذ عُلم من إجماع الصدر الأول قبول خبر العدل وإن كان أمياً، ومن جاء بعد قبول الرواية من صاحب الكتاب وإن لم يحفظه، والرواية عن الثقات، وإن لم يكونوا أهل علم^(١).

وقد ذكر أبو عبد الله الحاكم في أقسام الحديث الصحيح المختلف فيه رواية الثقات المعروفين بالسماع وصحة الكتاب غير الحفاظ ولا العارفين، قال: كأكثر محدثي زماننا قال، فهذا محتج به عند أكثر أهل الحديث، قال: وإن لم ير ذلك مالك ولا أبو حنيفة.

قال القاضي عياض: والذي أقول: إن معنى قول أبي الزناد هذا وقد روي نحوه عن مالك وغيره، إن هؤلاء لم يكونوا أهل ضبط لما رووه لا من حفظهم ولا من كتبهم، أو قصدوا إثارة أهل العلم وترجيح الرواية عن أهل الإتقان والحفظ لكثرتهم حينئذٍ، والاستغناء بهم عن سواهم، فأما أن لا يقبل حديثهم فلا، وقد وجدنا هؤلاء رووا عن جماعة ممن لم يشتهر بعلم ولا إتقان^(٢).

وقال في موضع آخر: ((قوله: (فلعل بعض من لم يبلغه أوعى له من بعض ما سمعه): حجة في جواز الحديث عن الشيوخ، ومن لا علم عنده ولا فقه، إذا ضبط ما يحدث به))^(٣).



(١) والخلاف في المسألة مع أبي حنيفة، ومالك، وعيسى بن أبان. شرح تنقيح الفصول ٢٨٨، المحصول ٤/٤٢٢، البحر المحيط ٣٧٢/٣.

(٢) إكمال المعلم، المقدمة ١/١٢٧.

(٣) إكمال المعلم، القسامة، باب تغليظ تحريم الدماء والأعراض والأموال، ٥/٤٨٠.

مسألة: رواية الحديث بالمعنى.

أولاً: تحرير محل النزاع.

١- لا خلاف في أن نقل الحديث بلفظه أولى، لأنه إذا نقل بالفاظه، أمن فيه التغيير والتبديل، وسوء التأويل^(١).

ولقوله صلى الله عليه وسلم: ((نَضَرَ الله امرأ سمع مقالتي فوعاها وأداها كما سمعها، فربّ حامل فقه غير فقيه، وربّ حامل فقه إلى من هو أفقه منه))^(٢).

٢- واتفقوا على أن الجاهل ومن لا علم عنده بدلالة الألفاظ ومقاصدها، ولا بصيراً بمقدار التفاوت بين معانيها لا تجوز له الرواية بالمعنى^(٣).

قال القاضي عياض رحمه الله: ((لا خلاف أن على الجاهل والمبتدئ ومن لم يمهّر في العلم ولا تقدم في معرفة تقدم الألفاظ، وترتيب الجمل، وفهم المعاني، أن لا يكتب ولا يروي ولا يحكي حديثاً إلا على اللفظ الذي سمعه، وأنه حرام عليه التعبير بغير لفظه المسموع، إذ جميع ما يفعله من ذلك تحكم بالجهالة، وتصرف على غير حقيقة في أصول الشريعة، وتقوّل على الله ورسوله ما لم يحط به علماً))^(٤).

وقال في موضع آخر: ((لكن لحماية الباب من تسلط من لا يحسن، وغلط الجهالة في نفوسهم، وظنهم المعرفة مع القصور، يجب سد هذا الباب، إذ فعل هذا على من لم يبلغ درجة الكمال في معرفة المعاني حرام باتفاق))^(٥).

(١) شرح العضد على ابن الحاجب ١٥٤، أصول السرخسي ٣٥٥/١، كشف الأسرار ١١١/٣، الواضح في أصول الفقه ٣٨/٥، الكفاية ١٩٨.

(٢) رواه أحمد ٨٠/٤، وأبو داود (٣٦٦٠)، والترمذي (٢٦٥٦)، وحسنه، وابن ماجه (٢٣٠)،

قال ابن كثير: ولهذا الحديث طرق عن غير واحد من الصحابة.

تحفة الطالب ٢١٣.

(٣) إحكام الفصول ٣٩٠/١، شرح العضد على ابن الحاجب ١٥٤، كشف الأسرار ١١١/٣، فوائح الرحموت ٢١٣/٢،

الإحكام للآمدي ١١٥/٢، المستصفى ٣١٦/١، شرح مختصر الروضة ٢٤٤/٢، الكفاية ١٩٨، المقدمة لابن الصلاح مع

التقييد والإيضاح ١٨٩، تريب الراوي ٥٣٢/١، توضيح الأفكار ٢٢٣/٢، قواعد التحديث ٢٢٢.

(٤) الإلماع ١٧٤.

(٥) إكمال العلم، المقدمة ٩٤/١.

٣- واتفقوا على جواز نقل الحديث بالمعنى في الترجمة، لإفهام أهل ذلك اللسان^(١).

٤- وعمل الخلاف كذلك لا يشمل الكتب المصنفة^(٢)، قال ابن النجار: ((وعمل الخلاف في غير الكتب المصنفة، لاتفاقهم على أنه لا يجوز تغيير الكتب المصنفة، لما فيه من تغيير تصنيف مصنفها))^(٣).

وفيه قال ابن الصلاح: ((ثم إن هذا الخلاف لا نراه جاريا، ولا أجراه الناس فيما نعلم فيما تضمنته بطون الكتب، فليس لأحد أن يُغيّر لفظ شيء من كتاب مصنف ويثبت بدله فيه لفظا آخر بمعناه...))^(٤).

٥- واتفقوا أيضا على عدم جريان الخلاف في الأمور التالية^(٥):

أ- ما تُعبّد بلفظه كالتشهد والقنوت، والأذان والإقامة، والتكبير في الصلاة.

ب- ما كان من جوامع كلمه - صلى الله عليه وسلم - مثل: "العِجْمَاءُ جُبَارٌ"^(٦)، العجماء: أي جرح الدابة، وجبار: أي هدر "لا ضرر ولا ضرار"^(٧)، "الآن حمي الوطيس"^(٨).

ج- أحاديث الصفات لا يجوز نقلها بالمعنى بالإجماع، حكاه إلكيا الطبري وغيره، لأن الذي يحتمله ما أطلقه النبي صلى الله عليه وسلم من وجوه التأويل، لا ندري أن غيره من الألفاظ يساويه أو لا ؟. قال: وكذلك المشكل، والمشارك، والمحمل، لا ينقله أحد بالمعنى لتعذر نقله بلفظ آخر.

(١) نثر الورود ٤١١/١، المذكرة ص ٣٩، توضيح الإنكار ٢٢٣/٢.

(٢) شرح الكوكب المنير ٥٣٦/٢، المقدمة مع التقييد ١٩٨، تدريب الراوي ٥٣٨/١، تعليق د/ طه جابر فياض العلواني على المحصول ٤٧١/٤.

(٣) للمصادر السابقة.

(٤) للمصادر السابقة. المقدمة لابن الصلاح مع التقييد ١٩٨.

(٥) انظر الفقرات في: المذكرة ١٤٠، نثر الورود ٤١١/١، البحر المحيط ٤١٢/٣، إرشاد الفحول ٨٨، تعليق طه حابر العلواني على المحصول ٤٧١/٤، تدريب الراوي ٥٣٧/١.

(٦) رواه البغاري (٢٢٢٨)، ومسلم (١٧١٠) من حديث أبي هريرة.

(٧) رواه مالك (١٤٢٩)، من حديث عمرو بن يحيى المازني عن أبيه، وابن ماجه (٢٣٤٠، ٢٣٤١) من حديث عبادة وابن عباس، وحديث عبادة منقطع، وحديث ابن عباس فيه جابر الجعفي.

انظر مصباح الزجاجة ٤٨/٣.

(٨) رواه مسلم (١٧٧٥) من حديث العباس في غزوة حنين.

د- ((ما يستدل بلفظه على حكم لغوي، إلا أن يكون الذي أبدل لفظاً بلفظ آخر عربياً، نستدل بكلامه على أحكام العربية - ذكره جمهور النحاة)).

٦- موضع الخلاف:

واختلفوا في رواية الحديث بالمعنى للعارف بدلالات الألفاظ، ومقاصدها، ومقدار التفاوت بينها: قال القاضي عياض: ((ثم اختلف السلف، وأرباب الحديث والفقه والأصول، هل يسوغ ذلك لأهل العلم فيحدثون على المعنى أو لا يباح لهم ذلك ؟))^(١)

أقوال العلماء في المسألة:

القول الأول: المنع مطلقاً.

وهو قول القاضي عياض رحمه الله حيث قال في المشرق: ((ولهذا سَدَّ المحققون باب الحديث على المعنى وشددوا فيه، وهو الحق الذي اعتقده ولا مرية، إذ باب الاحتمال مفتوح والكلام للتأويل معرض، وأفهام الناس مختلفة، والرأي ليس في صدر واحد، والمرء يفتن بكلامه ونظره، والمغتر يعتقد الكمال في نفسه، فإذا فتح هذا الباب، وأوردت الأخبار على ما يفهم للراوي منها، لم يتحقق أصل المشروع، ولم يكن الثاني بالحكم على كلام الأول بأولى من كلام الثالث على كلام الثاني، فيندرج التأويل وتتأسخ الأقاويل.

وكفى بالحجة على دفع هذا الرأي القائل دعاؤه عليه السلام في الحديث المشهور المتقدم لمن أَدَى ما سمعه كما سمعه بعد أن شرط حفظه ووعيه...))^(٢).

وقال في الإلماع بعد نقله مذهب المانعين من النقل بالمعنى، وإيراده روايات بسنده عن الإمام مالك في الحث على الراوية باللفظ، والتشديد في ذلك.

قال: ((...وما قاله الإمام مالك - رحمه الله - الصواب، فإن نظر الناس مختلف وأفهامهم متباينة، وفوق كل ذي علم عليم، كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه))^(٣) فإذا أدى اللفظ أمن الغلط، واجتهد كل من بلغ إليه فيه وبقي على حاله لمن يأتي بعده، وهو أنزه للراوي وأخلص للمحدث.

(١) الإلماع ص ١٧٤ وما بعدها.

(٢) مشارق الأنوار، المقدمة ١٣.

(٣) سبق تخريجه.

ولا يحتج باختلاف الصحابة في نقل الحديث الواحد بألفاظ مختلفة، فإنهم شاهدوا قرائن تلك الألفاظ وأسباب تلك الأحاديث، وفهموا معانيها حقيقة فعبّروا عنها بما اتفق لهم من العبارات، إذ كانت محافظتهم على معانيها التي شاهدوها والألفاظ ترجمة عنها.

وأما من بعدهم فالمحافظة أولاً على الألفاظ المبلغة إليهم التي منها تستخرج المعاني فما لم تنضبط الألفاظ وتتحرى وتسمح في العبارات والتحدث عن المعنى انحل النظام واتسع الخرق.

وجواز ذلك للعالم المتبحر معناه عندي على طريق الاستشهاد، والمذاكرة والحجة، وتحريه في ذلك متى أمكنه أولى، كما قال مالك، وفي الأداء والرواية أكد^(١).

- وهذا القول حكاه ابن السمعاني عن ابن عمر، وبه قال ابن سيرين من التابعين، وعليه جمع من السلف وبعض المحدثين، وهو رواية عن أحمد، ونقل عن مالك، واختاره أبو بكر الرازي المعروف بالخصاص الحنفي، وهو مذهب أهل الظاهر، وثعلب من النحويين^(٢).

القول الثاني: جواز الرواية بالمعنى المطابق للفظ للعارف بمقتضيات الألفاظ، الفارق بينهما.

قال القاضي عياض رحمه الله: ((فأجازه جمهورهم إن كان ذلك من مشتغل بالعلم ناقد لوجوه تصرف الألفاظ والعلم بمعانيها ومقاصدها، جامع لمواد المعرفة بذلك، وروي عن مالك نحوه))^(٣).

(١) الإلماع ص ١٧٤، وما بعدها. وانظر: إكمال المعلم ٢٢٥/١.

(٢) شرح تنقيح الفصول ص ٢٩٦، ابن الحاجب مع العضد ص ١٥٤، نثر الورود ٤٠٨/١، للذكرة ١٣٧، كشف الأسرار ١١٢/٣، تيسير التحرير ٩٨/٣، فواتح الرحموت ٢١٣/٢، الإحكام للآمدي ١١٥/٢، المحصول ٤٦٦/٤، البحر المحيط ٤١٤/٣، التمهيد ١٦٢/٣، الواضح ٣٨/٥، شرح مختصر الروضة ٢٤٤/٢، شرح الكوكب المنير ٥٣١/٢، إرشاد الفحول ٨٨، تدريب الراوي ٥٣٣/١، توضيح الأفكار ٢٢٣/٢.

(٣) الإلماع ١٧٤، وما بعدها.

وقال القاضي في الإكمال: ((وذهب المحققون إلى أن الراوي إذا كان ممن يشتغل بفهم الكلام ومعانيه، ويعرف مقاصده ويفرق بين الظاهر والأظهر، والمتحمل والنص، فجائز لهذا الحديث على المعنى إذا لم يحتمل عنده سواه، وتفهم له فهما جليا معناه.

وحكى غير واحد معنى هذا عن مالك وأبي حنيفة والشافعي))^(١).

(١) إكمال المعلم، المقدمة ١/٩٤-٩٥.

والقول بالجواز هو مذهب جمهور الصحابة والتابعين ومن بعدهم من الفقهاء وأئمة الحديث وعليه الأئمة الأربعة^(١).^(٢)

أدلة المذهب الأول^(٣):

١- ساق القاضي عياض بسنده دليلاً لهذا المذهب حديث البراء بن عازب قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((إذا أتيت مضجعك فتوضأ وضوءك للصلاة ثم اضطجع على شقك الأيمن ثم قل: اللهم أسلمت وجهي إليك وفوضت أمري إليك، وأجأت ظهري إليك رغبة ورهبة إليك، لا ملجأ ولا منجى إلا إليك، آمنت بكتابك الذي أنزلت، ونبيك الذي أرسلت.

(١) انظر ما سبق من مراجع للمذهب في القول الأول.

(٢) وفي المسألة أقوال أخرى

القول الأول: ما يوجب العلم من ألفاظ الحديث، فالعمل فيه على المعنى، ولا يجب مراعاة اللفظ، وأما الذي يجب العمل به منها، فمنه ما لا يجوز الإخلال بلفظه.

حكاه ابن السمعاني وجهاً لبعض الشافعية قال: والأصح الحواز بكل حال.

القول الثاني: التفصيل بين الألفاظ التي لا مجال للتأويل فيها، فيحوز تلقها بالمعنى، دون غيره.

حكاه أبو الحسين بن القطان عن بعض الشافعية، وجرى عليه إلكيا الطبري.

القول الثالث: التفصيل بين أن يحفظ اللفظ فلا يجوز له أن يرويه بغيره، وإن لم يحفظه جاز أن يورد معناه بغير لفظه.

وبه حزم للماوردي والروياتي.

القول الرابع: تجوز الرواية بالمعنى في الأمر والنهي دون الخبر.

القول الخامس: تجوز الرواية بالمعنى للمحكم دون غيره كالجمل والمشتك والمتشابه والمجاز الذي لم يشتهر.

قاله أبو زيد الديوسي.

القول السادس: أن يكون المعنى مودعاً في جملة لا يفهمه العامي إلا بأداء تلك الجملة فلا تجوز روايته إلا بأداء تلك الجملة

بلفظها. قاله أبو بكر الصوري.

القول السابع: التفصيل بين الأحاديث الطوال فيحوز فيها الرواية بالمعنى بشرطه دون القصار .

قاله القاضي عبد الوهاب.

القول الثامن: جواز الرواية بالمعنى في كلام الناس، ومنهم من عكس. حكاه القاضي عياض.

القول التاسع: التفصيل بين أن يورده على قصد الاحتجاج به والفتيا فيحوز له روايته بالمعنى إن كان عارفاً بمعناه وبين أن يقصد

التبليغ فيحل له. قاله ابن حزم في كتاب الإحكام.

القول العاشر: وقبل يجوز بلفظ مرادف فقط.

تنظر الأقوال في البحر المحيط ٤١٤/٣-٤١٧، إرشاد الفحول ص ٨٨-٨٩، شرح الكوكب المنير ٥٣٢/٢، تزيين الراوي

٥٣٧-٥٣٦/١.

(٣) أورد الأدلة الثلاثة في الإلماع ص ١٧٤ وما بعدها.

فإن مت مت على الفطرة، وأجعله آخر ما تقول.

فقلت: أستاذكم: ورسولك الذي أرسلت. فقال: لا، ونيك الذي أرسلت^(١).

فأنكر عليه إبدال لفظ النبي بالرسول، وهما متساويان، وذلك يدل على اعتبار نقل اللفظ بصورته. ويجاب عن هذا بأن ألفاظ الأذكار توقيفية، وربما كان في اللفظ سر لا يحصل بغيره، ولعله أراد أن يجمع بين اللفظين في موضع واحد^(٢).

وبما قاله الخطيب: ((فإن النبي أمدح من الرسول، ولكل واحد من هذين النعتين موضع... وبيان آخر وهو أن قوله (وبرسولك الذي أرسلت) غير مستحسن، لأنه يجتزأ بالقول الأول أن هذا رسول فلان عن أن يقول الذي أرسله، إذ كان لا يفيد القول الثاني إلا المعنى الأول، وكان قوله (وبنيك الذي أرسلت) يفيد الجمع بين النبوة والرسالة فلذلك أمره النبي صلى الله عليه وسلم به ورده إليه والله اعلم^(٣).

٢- وساق بسنده كذلك عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: قال: كان عبد الله بن مسعود يكثر السنة لا يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: فإذا قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذته الرعدة ويقول: أو هكذا أو نحوه أو شبهه^(٤).

٣- وقال عياض: قال صلوات الله وسلامه عليه: ((نُصِّرَ الله امرأ سمع مقالتي فوعاها فأداها كما سمعها فرب مبلغ أوعى من سامع ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه ورب حامل فقه ليس بفقيه^(٥)، حيث حث على الأداء كما سمع، وذلك بمراعاة اللفظ المسموع. والجواب: أن المراد كما سمع من صحة المعنى، واستقامته، من غير زيادة ولا نقص^(٦).

(١) رواه البخاري (٥٩٥٢)، ومسلم (٢٧١٠).

(٢) الشذا الفياح ٣٨٠، المقنع ٣٩٠.

(٣) الكتابة ٢٠٣، وانظر: التمهيد في أصول الفقه ٢٦٧/٣، شرح الكوكب للنير ٥٣٦/٢، وانظر جواب شيخ الإسلام عن حديث الجراء.

(٤) الذي في سنن ابن ماجه (٢٣)، والجامع للخطيب ٩/٢، عن عمرو بن ميمون قال: ما أعطاني بن مسعود عشية حميس إلا أتيت فيه قال: فما سمعته يقول بشيء قط قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما كان ذات عشية قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم. قال: فنكس، فنظرت إليه فهو قائم محلة أزرار قميصه، قد اغرورقت عيناه، وانتضعت أوداجه. قال: أو دون ذلك أو فوق ذلك أو قريباً من ذلك أو شبهها بذلك.

(٥) سبق تخريجه.

(٦) النكت للزركشي ٦٢٣/٣.

وكذلك: من حفظ المعنى فقد أدى الحديث كما سمعه، مثل المترجم والشاهد يقال: أدى ما سمع، فكذلك من أبلغ إنسانا رسالة فحفظ معناها^(١).

وأیضا رواية هذا الخبر قد رواه بالمعنى، فروى بعضهم: "نعم الله" وغير ذلك من الألفاظ^(٢).

وقيل: أوجب ذلك على غير الفقيه دون الفقيه، وإلا فلا فائدة لهذا التعليل^(٣).

٤- وقوله صلى الله عليه وسلم: ((لا يقولن أحدكم خبثت نفسي، ولكن ليقُلْ لَقِست))^(٤). مع أن معنى لَقِست وخبثت واحد^(٥).

٥- قالوا: الشرع قد ورد بمعان كثيرة وجب فيها اعتبار اللفظ كالآذان والإقامة والتشهد. فيكون المطلوب فيها لفظ الحديث ومعناه جميعا^(٦).

والجواب: أن ما ذكر من المتعبدات خارج عن محل النزاع، لأن التشهد والآذان وغير ذلك من المتعبدات، لا يجوز أن يتعبد بها على غير لغة العرب، وليس الأمر كذلك في أوامره ونواهيه، فقد أمرنا أن نبغلهما إلى العمم بلغاتهم، فكان تبليغها بلغة العرب أولى وأحرى^(٧).

٦- قالوا: نقل الحديث بالمعنى يؤدي إلى طمسه واندراسه، لأن الراوي إذا أراد النقل بالمعنى فغايتة أن يجتهد في طلب ألفاظ توافق ألفاظ الحديث في المعنى.

والعلماء مختلفون في معاني الألفاظ وفهم دقائقها، فيحوز أن يغفل عن بعض الدقائق وينقله بلفظ آخر لا يدل عليها^(٨).

والجواب: أنه متى أدخل بأذن شيء لم يجز وتخرج المسألة عن صورتها لأن الغرض أنه لم يخل بشيء بل أتى بالمطابق من كل وجه^(٩).

(١) التمهيد في أصول الفقه ١٦٥/٧.

(٢) إحكام الفصول ٣٩١/١.

(٣) إحكام الفصول ٣٩١/١.

(٤) رواه البخاري (٥٨٢٥)، ومسلم (٢٢٥٠)، من حديث عائشة.

(٥) نثر الورود ٤٠٩/١، وقال: وهذا القول أحوط في حفظ الحديث وبعده عن تطرق الخلل.

(٦) إحكام الفصول ٣٩٠/١.

(٧) إحكام الفصول ٣٩١/١.

(٨) المضد ١٥٤، كشف الأسرار ١١٢/٣، نهاية السؤل ٣٧٤/٢، الإمماج ٣٤٥/٢.

وأيضا الغرض عدم التغيير في كل مرة، وهو مما لا يتصور في محل النزاع فإن الكلام فيمن نقل المعنى سواء من غير تغيير أصلا، وإلا لم يجز اتفاقا^(١).
أدلة قول الجمهور.

- ١- عن ابن مسعود سأل رجل النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله، تحدثنا حديثا لا نقدر أن نسوقه كما نسمعه فقال: ((إذا أصاب أحدكم المعنى فليحدث))^(٢).
- ٢- روى مكحول قال: دخلنا على وائلة بن الأسقع، فقلنا: حدثنا حديثا ليس فيه تقدم ولا تأخير فغضب. وقال: لا بأس إذا قدمت وأخرت إذا أصبت المعنى^(٣).
- ٣- روى يعقوب بن سليمان الليثي عن أبيه عن جده قال: أتينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلنا له: بآبائنا وأمهاتنا يا رسول الله إنا لنسمع منك الحديث ولا نقدر على تأديته كما سمعناه منك قال صلى الله عليه وسلم: ((إذا لم تحلوا حراما ولا تحرموا حلالا وأصبتم المعنى فلا بأس))^(٤).
- ٤- اتفاق الصحابة رضي الله عنهم على روايتهم بعض الأوامر والنواهي بالفاظهم. مثل ما روى صفوان بن عسال المرادي أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يأمرنا إذا كنا سفرا أن لا ننزع خفافنا ثلاثة أيام ولياليهن إلا من جنابة^(٥). وما روى أبو مخنورة رضي الله عنه أنه عليه السلام أمره بالترجيع^(٦). وما روى عامر بن سعد عن أبيه قال أمر النبي صلى الله عليه وسلم بقتل الوزغ وسماء فويسقا^(٧). وما روى أبو هريرة رضي الله عنه أنه عليه السلام نهى عن بيعتين في بيعة صفقة واحدة^(٨).

(١) الإجماع ٣٤٦/٢.

(٢) شرح العضد على مختصر ابن الحاجب ١٥٤.

(٣) أخرجه الخطيب في الكفاية ٢٠١، ومعناه الترمذي في العلل (شرح العلل ١/١٤٥)، وانظر: الواضح في أصول الفقه ٣٩/٥.

(٤) أخرجه الخطيب في الكفاية ٢٠٤ وغيره.

وانظر: الواضح في أصول الفقه ٣٩/٥.

(٥) الحديث في الكفاية ص ٢٠٠، وانظر: تدريب الراوي ١/٥٣٣، نثر الورود ١/٤٠٩، كشف الأسرار ٣/١١٣، المحصول ٢٦٨/٤.

(٦) رواه الترمذي (٩٦)، والنسائي ٨٣/١-٨٤، وابن ماجه (٤٧٨).

(٧) رواه مسلم (٣٧٩).

(٨) رواه مسلم (٢٢٣٨).

في شواهد كثيرة لا تحصى، فحكوا معاني خطابه عليه السلام من غير قصد إلى لفظه إذ لم يقولوا قال النبي عليه السلام: افعلوا كذا ولا تفعلوا كذا^(١).

٥- كذلك اختلافهم في نقل الحديث الواحد الذي جرى في مجلس واحد في واقعة معينة بالفاظ مختلفة مثل ما روي في حديث الأعرابي الذي بال في المسجد ودعا الله عند الفراغ فقال: اللهم ارحمني ومحمدا ولا ترحم بعدنا أحدا أنه عليه السلام قال له: ((لقد تحجرت واسعا))^(٢)، وروي ((لقد ضيقت واسعا))، ((لقد منعت واسعا)). ومثل ما روي في الحديث الذي رواه مسلم رحم الله امرأ مكان نضر الله، وروي فرب حامل فقه لا فقه له، مكان غير فقيه^(٣)، ولم ينكر عليهم أحد من جميع ما قلنا فكان ذلك إجماعا منهم على الجواز.

٦- عن عمرو بن ميمون قال: ما أخطأني ابن مسعود عشية حميس إلا أتيته فيه قال: فما سمعته يقول بشيء قط قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما كان ذات عشية قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم. قال: فنكس، فنظرت إليه فهو قائم محلة أزرار قميصه، قد اغرورقت عيناه، وانتفخت أوداجه. قال: أو دون ذلك أو فوق ذلك أو قريبا من ذلك أو شبيها بذلك^(٤). وكان أنس رضي الله عنه إذا روى حديثا قال: في آخره أو كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم^(٥). ولم ينكر عليهما أحد ولا نازعهم منازع فكان إجماعا على الجواز^(٦).

(١) أبو هريرة: اختلف في اسمه واسم أبيه وأشهر ما قيل أنه عبد الرحمن بن صخر وهو دوسي من ولد دوس بن عدنان، أسلم عام بخير، صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم، سيد الحفاظ الأثبات، وهو أكثر الصحابة رواية، وأحفظهم للحديث، مات سنة ٥٧ على أشهر الأقوال، وعمره ٨٧ سنة، أحاديثه (٥٣٧٤).

الاستيعاب ٣٣٢/٤، أسد الغابة ٣١٨/٥، الإصابة ٣٤٨/٧.

(٢) أخرجه الترمذي (١٢٣١)، وقال: حديث حسن صحيح.

(٣) كشف الأسرار ١١٣/٣-١١٤ والآثار جميعها فيه.

(٤) رواه البعاري (٥٦٦٤)، أبو داود (٣٨٠)، والترمذي (١٤٧).

(٥) كشف الأسرار ١١٥/٣، مقلعة ابن الصلاح مع التقييد ص ١٨٩.

(٦) سبق تخريجه. وانظر: كشف الأسرار ١١٥/٣، الإحكام للآمدي ١١٦/٢، المحصول ٤٦٩/٤.

(٧) رواه ابن ماجة (٢٣)، الكفاية ٢٠٦. وانظر: مقلعة ابن الصلاح مع التقييد ص ١٨٩، شرح الكوكب للنير ٥٣٤/٢.

(٨) كشف الأسرار ١١٥/٣، شرح الكوكب للنير ٥٣٤/٢، الإحكام للآمدي ١١٦/٢.

٧- نعلم بالضرورة أن الصحابة الذين رووا هذه الأحاديث ما كانوا يدونونها في ذلك المجلس، وما كانوا يكررونها في ذلك المجلس، بل تركوها كما سمعوها وما رجعوا لها إلا بعد الأعصار والسنين، وذلك يوجب القطع بتعدد روايتها على تلك الألفاظ^(١).

٨- الإجماع منعقد على جواز شرح الشرع للعجم بلسانهم، وإذا جاز إبدال العربية بالعجمية فإبدالها بالعربية أولى، إذ التفاوت بينهما أقل مما بين العربية والعجمية^(٢).

٩- المقصود من الألفاظ المعاني، فإذا أتى بالمعنى وجب أن تجوز، كما في ألفاظ الشاهد إذا تضمنت ما شهد به^(٣).

١٠- الاجتهاد في معاني ألفاظه لاستخراج الأحكام سائغ جائز بل واجب لازم، فتحزيء رواية المعاني التي بنينا عليها الأحكام كذلك^(٤).

١١- أحاديث الناس بعضهم عن بعض تجوز بالمعاني، ولا تشترط الصيغة التي سمعها، ولا يعد كاذبا ولا متحوزا، كذلك أحاديثهم عن النبي صلى الله عليه وسلم^(٥).

تنبيه: اشترط من أجاز الرواية بالمعنى شروطا منها^(٦):

١- أن لا تكون قاصرة عن الأصل في إفادة المعنى.

٢- أن لا تكون فيها زيادة ولا نقصان.

٣- أن تكون مساوية للأصل في الجلاء والخفاء، لأن الخطاب تارة يقع بالمحكم وتارة بالمتشابه لحكم وأسرار استأثر الله بعلمها، فلا يجوز تغييرها عن وضعها.

الراجع في المسألة: يترجح لدي والعلم عند الله قول الجمهور لقوة أدلتهم، وللإجابة عن أدلة المخالف. قال الترمذي رحمه الله تعالى: ((فأما من أقام الإسناد وحفظه وغير اللفظ فإن هذا واسع عند أهل العلم ، إذا لم يتغير به المعنى))^(٧).

(١) كشف الأسرار ١١٥/٣، المحصول ٤٦٩/٤، نهاية السؤل ٣٧٤/٢.

(٢) كشف الأسرار ١١٥/٣، المستصفى ٣١٦/١، شرح مختصر الروضة ٢٤٦/٢، تدريب الراوي ٥٣٦/١.

(٣) كشف الأسرار ١١٦/٣، الإحكام للآمدي ١١٦/٢، الواضح في أصول الفقه ٤٠/٥.

(٤) الواضح في أصول الفقه ٤٠/٥.

(٥) للمذكرة ١٣٧، الواضح في أصول الفقه ٤٠/٥، التمهيد في أصول الفقه ١٦٤/٣.

(٦) تنظر هذه الشروط في شرح تنقيح الفصول ص ٢٩٦، نثر الورود ٤١٠/١، المذكرة ص ١٣٧-١٣٨، المحصول ٤٦٧/٤.

نهاية السؤل ٣٧٣/٢، الإجماع ٣٤٤/٢، شرح مختصر الروضة ٢٤٥/٢.

وقال أحمد: ((ما زال الحفاظ يحدثون بالمعنى))^(١).

قال الشيخ الشنقيطي رحمه الله: ((التحقيق في هذه المسألة ما ذهب إليه الجمهور من جواز نقل الحديث بالمعنى بالشروط المتقدمة، لأنه غير متعبد بلفظه، والمقصود منه المعنى، فإذا أدى المعنى على حقيقته كفى ذلك دون اللفظ، ومن أتى بالمعنى بتمامه فقد أدى كما سمعه فبدخل في قوله:))
فأداها كما سمعها))^(٢).

(١) شرح علل الترمذي ١/١٤٥.

(٢) شرح علل الترمذي ١/١٤٧.

(٣) المذكرة ١٣٨.

مسألة: حذف بعض الخبر (اختصار الحديث).

تحرير محل النزاع :

١- لا خلاف أن الأولى نقل الخبر بتمامه دون حذف منه كما سمعه^(١) لقوله صلى الله عليه وسلم: ((نضر الله امرأ سمع مقالتي فوعاها فأداها كما سمع))^(٢).

قال الفتوحى : ((ويسن أن لا ينقص) من الحديث (غيره) أي: غير ما يتعلق بباقيه، بلا نزاع بين العلماء))^(٣).

٢- واتفقوا على أن ما تعلق ببعضه ببعض لا يجوز فيه الحذف.

قال الفتوحى : ((وحرّم نقص ما تعلق بباقي) يعني أنه يحرم على الراوي أن ينقص من الحديث شيئاً يتعلق بباقي الحديث إجماعاً لبطلان المقصود من الحديث))^(٤).

والتعلق يكون لفظياً أو معنوياً:

فالتعلق اللفظي كالاستثناء والشرط والغاية والصفة، كقوله صلى الله عليه وسلم : ((هى عن بيع الطعام)) يقطعه عن تمامه وغايته وهو قوله : ((حتى يحوزه التجار إلى رحالهم))^(٥).

فهذا لا يجوز لتغيير الحكم برواية بعضه .

والتعلق المعنوي: كالخاص بالنسبة إلى العام، والمقيد بالنسبة إلى المطلق، والمبين بالنسبة إلى المجمل، والناسخ بالنسبة إلى المنسوخ، فهذا لا يجوز تركه إجماعاً^(٦).

٣- واختلفوا إذا لم يتعلق بعض الحديث بالبعض الآخر. مثل: قوله صلى الله عليه وسلم: ((المؤمنون تكافأ دماؤهم، ويسمى بذمتهم أدناهم، ويرد عليهم أقصاهم، وهم يدٌ على من سواهم))^(٧).

(١) الإحكام للأمدى (١٢٣/٢)، شرح الكوكب المنير (٥٥٥/٢)، تيسير التحرير (٧٥/٣).

(٢) رواه أحمد ٨٠/٤، وأبو داود (٣٦٦٠)، والترمذي (٢٦٥٦)، وحسنه، وابن ماجه (٢٣٠)، قال ابن كثير:

ولهذا الحديث طرق عن غير واحد من الصحابة. تحفة الطالب ٢١٣.

(٣) شرح الكوكب المنير (٥٥٣/٢-٥٥٥).

(٤) شرح الكوكب المنير (٥٥٣/٢-٥٥٥).

(٥) رواه أبو داود (٣٤٩٩)، من حديث زيد بن ثابت. ورواه النسائي (٤٦٠٨) بمعناه عن ابن عمر. انظر: نصب الرأية

٣٢/٤.

(٦) البحر المحيط (٤١٧/٣)، إرشاد الفحول ص (٩٠)، المختصر في أصول الفقه لابن اللحام ص (٩٠).

رأي القاضي عياض:

قال القاضي عياض: ((.... وكذلك جوزوا الحديث ببعض الحديث إذا لم يكن مرتبطاً بشيء قبله ولا بعده ارتباطاً يخل بمعناه، وكذلك إن جمع الحديث حكيمين أو أمرين كل واحد مستقل بنفسه غير مرتبط بصاحبه، فله الحديث بأحدهما. وعلى هذا كافة الناس، ومذاهب الأئمة^(٣)، وعليه صنف المصنفون كتبهم في الحديث على الأبواب، وفصلوا الحديث الواحد أجزاءً بحكمها، واستخرجوا النكت والسنن من الأحاديث الطوال، وهو معنى قول مسلم في هذا الفصل إلى آخر كلامه.

وعمله البخاري كثيراً في صحيحه، ولهذا روي الحديث الواحد عن النبي صلى الله عليه وسلم بألفاظ مختلفة، في القصة الواحدة والمقالة الغذة، والقضية المشهورة من عهد الصحابة فمن بعدهم...))^(٣)

* وللعلماء في المسألة أقوال آخر^(٤).

أدلة الجمهور:

(١) رواه أبو داود (٢٧٥١)، وابن ماجه (٢٦٨٣-٢٦٨٥)، ولفظ أبي داود: عن عمر بن شعيب عن أبيه عن جده قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: للمسلمون تنكافؤ دماؤهم، يسمى بلمتهم أذانهم، ويجوز عليهم أقصاهم، وهم يد على من سواهم، يرد مشدحهم على مضغفهم، ومتسرعهم على قاعدتهم، لا يقتل مؤمن بكافر، ولا ذو عهد في عهده.

(٢) تيسر التحرير (٧٥/٣)، فواتح الرحموت (٢١٧/٢)، نثر الورود (٣٩٧/١)، مختصر ابن الحاجب مع العضد ص (١٥٦)، البرهان (٥٣/٢)، للمستصفي (٣١٦/١)، الإحكام للأمدى (١٢٣/٢)، نهاية السؤل (٣٧٦/٢)، الواضح (٧٤/٥)، شرح الكوكب المنير (٥٥٣/٢)، المختصر في أصول الفقه ص (٩٤)، شرح غاية السؤل ص (٢٤)، الكفاية ص (١٨٩-١٩٤)، مقدمة ابن الصلاح مع التقييد ص (١٩٠)، تدريب الراوي (٥٣٩/١)، توضيح الأفكار (٢٢٤/٢)، قواعد التحديث ص (٢٢٥).

(٣) إكمال المعلم، المقدمة، ٩٥/١، وانظر: الإلماع ١٧٩-١٨٠.

(٤) ومن هذه الأقوال:

- المنع مطلقاً: وهو رأي أكثر من منع الرواية بالمنع، وبه قال أبو الحسين البصري.
 - إن نقله بتمامه مرة جاز، وإلا فلا.
 - إن كان الحديث مشهوراً بتمامه جاز، وإلا فلا.
 - إذا كان الخبر لا يعلم إلا من طريق الراوي، وتعلق به حكم شرعي، لم يجوز له الاختصار على بعضه دون بعض، وإذا كان غير فقيه، لم يجوز، قاله ابن فورك، وأبو الحسين ابن القطان.
 - يجوز إن لم يتطرق إلى الراوي التهمة، ذكره الغزالي والمخطيب البغدادي.
- انظر: المستصفي ٣١٦/١، البحر المحيط ٤١٨/٣، شرح الكوكب المنير ٥٥٥/٢، إرشاد الفحول ٩٠، الكفاية ١٩٠، مقدمة ابن الصلاح مع التقييد ١٩٠، تدريب الراوي ٥٣٩/١، توضيح الأفكار ٢٢٤/٢.

- إذا عدم التعلق صار كل حكم بمثابة الخير القائم بنفسه مع خير آخر لا يلزمه أن يروي الخيرين، كذلك الحكمان في الخير الواحد^(١).
- شاع رواية البعض وحذف البعض من الأئمة المعتبرين بالاستقراء، فدل على إجماعهم عليه^(٢).

الترجيح:

والراجح إن شاء الله قول الجمهور، لقوة أدلتهم، وعليه الواقع في الرواية. قال الشوكاني: ((وأنت خبير بأن كثيرا من التابعين والمحدثين يقتصرون على رواية بعض الخير عند الحاجة، إلى رواية بعضه، لا سيما في الأحاديث الطويلة...))^(٣).

فائدة:

قال الزركشي: ((قال إلكيا الطبري: وهذه المسألة، ومسألة نقل الخير بالمعنى في المأخذ والمنشأ سواء...))^(٤).



(١) تيسر التحرير ٧٥/٣، فواتح الرحموت ٢١٧/٢، الواضح في أصول الفقه ٧٥/٥.

(٢) للمصدرين الأولين.

(٣) إرشاد الفحول ٩١، وهو ما رجحه الزركشي في البحر ٤٢٠/٣.

(٤) البحر المحيط ٤١٩/٣.

حكم قول الصحابي 'أمرنا بكذا ونهينا عن كذا، وهل هو من المسند أو

لا ؟

(المسألة الأولى : المرفوع حكما.)

توطئة:

هذه المسألة من مسائل كيفية رواية الصحابي لما سمعه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وللصحابي في كيفية الرواية عن الرسول صلى الله عليه وسلم مراتب عدة منها:

- مرتبة لا خلاف فيها كحديثي، وأخبرني، وشافهني، وسمعت^(١).

- ومنها مراتب مختلف فيها: كقال، وأمر، ونهى، وأمرنا، ونهينا، ومن السنة كذا، وكنا نفعل كذا، وعن الرسول..... الخ المراتب المذكورة في كتب الأصول وعلوم الحديث.

* هذا وللقاضي عياض كلام حول مرتبتين منها وهما، قوله: أمرنا بكذا، ونهينا عن كذا، وكنا نفعل كذا وكانوا يفعلون كذا.

وستتناولهما بالبحث واحدة تلو الأخرى، مع مقارنة كلامه بكلام أهل العلم فيها من حيث الأقوال والأدلة إن شاء الله تعالى.

العبارة الأولى: قول الصحاب: أمرنا بكذا، ونهينا عن كذا.

مثالها:

- قول أم عطية^(٢) رضي الله عنها: ((أمرنا أن نخرج في العيدين العواتق وذوات الخدور، وأمر الحبيص أن يعتزلن مصلى المسلمين))^(٣) وقولها: ((نهينا عن اتباع الجنائز ولم يعزم علينا))^(٤).

(١) تيسير التحرير ٦٩/٣، فوائح الرحموت ٢٠٧/٢، مختصر ابن الحاجب ١٥١، شرح تنقيح الفصول ٢٩١، نثر الورود ٤١٤/١، شرح مختصر الروضة ١٨٨/٢، المستصفى ٢٤٩/١، الإحكام للأمدى ١٠٩/٢، البحر المحيط ٤٢٠/٣، الإمماج ٣٢٨/٢، شرح الكوكب المنير ٤٨١/٢، إرشاد الفحول ٩٢.

(٢) أم عطية الأنصارية: نسبية بنت الحارث وقيل نسبية بنت كعب وحديثها أصل في غسل الميت وكان جماعة من الصحابة

وعلماء التابعين بالبصر يأتون عنها غسل الميت، أحاديثها (٤٠) الاستيعاب ٥٠١/٤، أسد الغابة ٣٦٧/٦، الإصابة ٤٣٧/٨.

(٣) صحيح البخاري (٣٥١)، مسلم (٨٠٩).

(٤) صحيح البخاري (١٢٧٨)، مسلم (٩٣٨).

- وقول أنس: أمر بلال أن يشفع الأذان ويوتر الإقامة^(١).
- وقول عائشة رضي الله عنها: كنا نؤمر بقضاء الصوم^(٢).

رأي القاضي عياض في المسألة:

- قال القاضي عياض رحمه الله^(٣): ((وفيه أن قول صاحب: أمرنا بكذا، ونهينا عن كذا، أنه من المسند لقول جبريل بهذا^(٤).
- وهذا أيضا غير ظاهر في الحجة، لأنه لا أمر لجبريل، ولا محمد بالصلاة إلا الله تعالى.
- وقول صاحب: أمرنا ونهينا عن كذا، يحتمل عوده على الخلفاء، أو على تأويله على الله، أو على الرسول عليه السلام؟.
- لكن كافة المحدثين، وأكثر الأصوليين يحملونه حمل المسند^(٥)، بظاهر أنه أمر الرسول صلى الله عليه وسلم.
- وجماعة من الأصوليين يأبون إسناده للاحتمال^(٦).
- ومحققو الأصوليين يميلون إلى هذا، إلا أن تصحبه قرينة تدل على أن الأمر الرسول^(٧))).

(١) صحيح البخاري: رقم (٦٠٥، ٦٠٦، ٦٠٧)، مسلم (٣٧٨).

(٢) مسلم: كتاب الحيض، رقم ٦٧.

(٣) إكمال المعلم: ٥٦٨/٢، منهجية فقه الحديث عند عياض ٣٥٩.

(٤) قال جبريل لما أقام الصلاة للنبي صلى الله عليه وسلم: ((وهذا أمرت)). مسلم (٦١٠).

(٥) هذا هو القول الأول في المسألة، وهو قول جمهور أهل العلم منهم مالك والشافعي وأحمد، وأبو عبد الله البصري، والقاضي عبد الجبار من المعتزلة، وصححه الخطيب وابن الصلاح والنووي والعراقي.

انظر: مختصر ابن الحاجب ١٥١، مع العضد، شرح تنقيح الفصول ٢٩١، تقريب الوصول ١١١، نثر الورود ٤١٤/١، أصول السرخسي ١١٥/١، تيسير التحرير ٦٩/٣، فواتح الرحموت ٢٠٧/٢، التلخيص ٣١٥، المستصفى ٢٤٩/١، الإحكام للأندلسي ١٠٩/٢، المحصول ٤٤٧/٤، الإجماع ٣٢٨/٢، نهاية السؤل ٣٥٩/٢، البحر المحيط ٤٣٢/٣، العدة ١٤٤/٢، التمهيد ١٧٧/٣، الروضة ١٦١/١، شرح مختصر الروضة ١٩٣/٢، شرح الكوكب المنير ٤٨٤/٢، شرح نهاية السؤل ٢٢٩، المعتمد ١٧٣، إرشاد الفحول ٩٣. الكفاية ٤٢١، مقدمة ابن الصلاح ٥٣، فتح المغيب ٥٦، تدريب الراوي ٢٠٨/١، توضيح الأفكار ٢٤٥/١، قواعد التحديث ١٤٤.

(٦) هذا هو القول الثاني في المسألة، وقال به مالكية بغداد، والإسماعيلي، والكرخي، وأبو بكر الرازي الجصاص، والسرخسي من الحنفية، والصوري، وإمام الحرمين، والقرطبي، وابن حزم الظاهري. قال السرخسي إنه للذهب عندهم.

انظر للمصادر السابقة، والإحكام لابن حزم ٢٠٨/٢.

أدلة القول الأول^(١):

استدل أصحاب القول الأول لحمله على أمر الرسول صلى الله عليه وسلم بما يلي^(٢):

- مَنْ لزم طاعة رئيس فإنه إذا قال: أُمِرْنَا بِكَذَا، فَهِمْ مِنْهُ أَمْرٌ ذَلِكَ الرَّئِيسُ، كَمَنْ هُوَ مِنْ خَدَمِ السُّلْطَانِ، فَإِنْ قَالَ: أُمِرْنَا بِكَذَا لَا يَفْهَمُ بَاقِي الْخَدَمِ وَالسَّامِعِ إِلَّا أَمْرَ ذَلِكَ السُّلْطَانِ.
- أَنَّ غَرَضَ الصَّحَابِيِّ أَنْ يَعْلَمُنَا الشَّرْعَ، فَيَجِبُ حَمْلُهُ عَلَى مَنْ صَدَرَ مِنْهُ الشَّرْعُ دُونَ الْأُئِمَّةِ وَالْوَلَاةِ، فَلَا يَحْمِلُ هَذَا الْقَوْلُ عَلَى أَمْرِ اللَّهِ تَعَالَى، لِأَنَّ أَمْرَهُ تَعَالَى ظَاهِرٌ لِلْكَلِّ. وَلَا عَلَى أَمْرِ جَمَاعَةِ الْأُئِمَّةِ، لِأَنَّ ذَلِكَ الصَّحَابِيُّ مِنَ الْأُئِمَّةِ، وَهُوَ لَا يَأْمُرُ نَفْسَهُ. فَتَعَيَّنَ كَوْنُهُ مِنَ الْأَخْبَارِ وَهُوَ الْمُدَّعَى.
- وَلِأَنَّ إِطْلَاقَ الْأَمْرِ فِي الشَّرِيعَةِ يَرْجِعُ إِلَى صَاحِبِ الشَّرِيعَةِ، وَلِهَذَا كَانَ أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ يَقُولُ: أَمْرٌ بَلَالٌ أَنْ يَشْفَعَ الْأَذَانَ وَيُوتِرَ الْإِقَامَةَ، وَيُحَدِّثُ بِهِ هَكَذَا، وَلَا يَقُولُ لَهُ أَحَدٌ: مِنَ الْأَمْرِ بِهِ ؟ فَدَلَّ عَلَى مَا قُلْنَاهُ^(٣).

- أَنَّ الْأَمْرَ إِنَّمَا يَحْسُنُ لِكَوْنِ الْمَأْمُورِ بِهِ مُصْلِحَةً، تَوْجِبُ أَنْ يَكُونَ فِي إِضَافَتِهِ إِلَى مَنْ يَعْلَمُ الْمَصَالِحَ أَوَّلَى مِنْ إِضَافَتِهِ إِلَى مَنْ لَا يَعْلَمُ، وَالرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَعْلَمُ بِذَلِكَ دُونَ غَيْرِهِ^(٤).
- قَالَ ابْنُ الصَّلَاحِ: لِأَنَّ مَطْلُوقَ ذَلِكَ يَنْصَرَفُ بِظَاهِرِهِ إِلَى مَنْ لَهُ الْأَمْرُ وَالنَّهْيُ، وَمَنْ يَجِبُ اتِّبَاعُ سُنَّتِهِ، وَهُوَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ^(٥).

أدلة القول الثاني:

- الْأَمْرُ وَالنَّهْيُ يَتَحَقَّقُ مِنْ غَيْرِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَمَا يَتَحَقَّقُ مِنْهُ، قَالَ تَعَالَى:

(١) كلام المهرمين، فإنه اختار هذا في التلخيص ٣١٥. وفي المسألة أقوال أخرى ذكرها الزركشي في البحر المحيط، منها:
- التفصيل بين أن يكون القائل أبا بكر الصديق فمرفوع، لأنه لم يتأثر عليه غيره. وحكاية عن ابن الأثير في جامع الأصول. انظر: البحر المحيط ٤٣٢/٣، إرشاد الفحول ٩٣، فواتح الرحموت ٢٠٧/٢، تيسير التحرير ٦٩/٣.
(٢) انظر المحصول ٤٤٧/٣، الإحكام للأمدى ١٠٩/٢، الإجماع ٣٢٨/٢، نهاية السؤل ٣٥٩/٢، العدة ١٤٤/٢، التمهيد ١٧٨/٣ وما بعدها، الكفاية ٤٢١، تدريب الراوي ٢٠٩/١.

(٣) انظر المصادر السابقة.

(٤) العدة ١٤٤/٢.

(٥) العدة ١٤٤/٢.

(٦) مقدمة ابن الصلاح ٥٣، فتح المغيث ٥٦، تدريب الراوي ٢٠٩/١، توضيح الأفكار ٢٤٥/١.

{ وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم }^(١)، [النساء: ٥٩] وعند الإطلاق لا يثبت إلا أدنى الكمال^(٢).

- ألا ترى أن مطلق قول العالم: أمرنا بكذا، لا يحمل على أنه أمر الله أنزله في كتابه نصاً، فكذلك لا يحمل على أنه أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم نصاً، لاحتمال أن يكون الأمر غيره ممن يجب متابعتة^(٣).

- قال عليه السلام: ((عليكم بسنتي وسنة الخلفاء من بعدي))^(٤).

- وقال عليه السلام: ((من سن في الإسلام سنة حسنة، فله أجرها وأجر من عمل بها بعده إلى يوم القيامة، ومن سن في الإسلام سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة))^(٥).

- وقد ظهر من عادة الصحابة التقييد عند إرادة سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم بالإضافة إليه على ما قال عمر لصبي بن معبد: ((هديت لسنة نبيك))^(٦). وقال عقبة بن عامر^٧ رضي الله عنه: ((ثلاث ساعات كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ينهانا أن نصلي فيهن))^(٨). وقال صفوان بن عسال رضي الله عنه: ((أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا كنا سفرأ أن لا ننزع خفافنا ثلاثة أيام ولياليها))^(٩). فبهذا يتبين أنهم إن أطلقوا هذا اللفظ فإنه لا يكون مرادهم بالإضافة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم نصاً، ومع الاحتمال لا يثبت التعيين بغير دليل.

(١) الآية ٥٩ من سورة النساء.

(٢) أصول السرعسي ٣٨٠/١ - ٣٨١.

(٣) أصول السرعسي ٣٨٠/١ - ٣٨١.

(٤) الترمذي: كتاب العلم - باب ما جاء في الأخذ بالسنة واجتتاب البدع ٤٤/٥، وأبو داود في كتاب السنة - باب لزوم

السنة ١٣/٥، وابن ماجه - المقدمة - باب اتباع سنة الخلفاء.

(٥) مسلم (١٠١٧) من حديث جرير بن عبد الله.

(٦) أبو داود (١٧٩٨)، النسائي (٢٧١٩)، ابن ماجه (٢٩٧٠).

قال الدارقطني في كتاب العلل وهو حديث صحيح. انظر: تنقيح التحقيق لابن عبد الهادي ٤١٨/٢.

(٧) عقبة بن عامر الجهني: عقبة بن عامر بن عيسى بن عمرو بن عدي، الجهني، أبو عيسى، ويقال أبو حماد وقيل غيرهما، وكان

من أحسن الناس صوتاً بالقرآن، مات سنة (٥٨)، أحاديثه (٥٥). الاستيعاب ١٨٣/٣، أسد الغابة ٥٥٠/٣، الإصابة ٤٢٩/٤.

(٨) مسلم (٨٣١).

(٩) الترمذي (٩٦)، النسائي (١٢٧)، ابن ماجه (٤٧٨)، بلفظ: كان رسول الله يأمرنا.

قال البهاري: إنه أصح حديث في التوقيت. انظر: تحفة المحتاج ١٩٥/١.

- عن علي رضي الله عنه أنه قال: ((جلد رسول الله صلى الله عليه وسلم في الخمر أربعين، وجلد أبو بكر أربعين، وجلد عمر ثمانين، وكل سنة))^(١). فسمى رأيهم في أيام عمر سنة.^(٢)

* هذا وقد أجاب عن أدلة السرخسي هذه والاحتمالات التي أوردها القاضي أبو يعلى وأبو الخطاب وغيرهم^(٣).

* هذا ويترجح لديّ القول الأول، القائل بأن قوله: أمرنا بكذا، أو نهيّا عن كذا أن له حكم المرفوع المسند لأنه هو الذي تعضده الأدلة، وعليه علماء الأمة أجمع إلا من شذّ منهم ممن ذكرناهم. ولأنه يمكن الإجابة عن أدلة القول الثاني. لكن مع ملاحظة ما ذكره ابن دقيق العيد من القرائن حيث قال في الإلمام: ((إن كان قائله من أكابر الصحابة كالخلفاء الأربعة: فيغلب على الظن غلبة قوية أن الأمر الرسول.

- وفي معناهم علماء الصحابة، كابن مسعود، وزيد بن ثابت، ومعاذ بن جبل. - وفي معناهم من كثرت ملازمته كأنس، وأبي هريرة، وابن عمر.

- وإن كان ممن هو بعيد عن مثل ذلك، من آحاد الصحابة الذين تأخر التحاقهم برسول الله صلى الله عليه وسلم، أو يفدون إليه ثم لا يعودون إلى بلادهم، فإن الاحتمال فيهم قوي))^(٤).

تنبيه: يلتحق بهذه المسألة قول الصحابي من السنة كذا.

مثل: قول علي رضي الله عنه: ((من السنة وضع الكف على الكف في الصلاة تحت السرة))^(٥).

(١) مسلم - كتاب الحدود - باب حد الخمر ١٣٣١/٣، أبو داود - كتاب الحدود - باب حد الخمر ٤/٦٢٣، وابن ماجه - الحدود - باب حد السكر.

(٢) العدة ١٤٥/٢، التمهيد ١٧٩/٣، الوصول لابن برهان ١٩٩/٢.

(٣) العدة ١٤٥/٢، التمهيد ١٧٩/٣، الوصول لابن برهان ١٩٩/٢.

(٤) محمد بن علي بن وهب، تقي الدين أبو الفتح، القشيري، المعروف بابن دقيق العيد المالكي الشافعي أئقن للملّيين وكان يفتي فيهما، ومن مصنفاته: شرح العنوان في الأصول، الإلمام في الحديث، إحكام الأحكام شرح العملة، الإقتراف في علوم الحديث، ولد عام (٦٢٥هـ) وتوفي عام (٧٠٢هـ). الديباج للذهب ٤١١، طبقات السبكي ٢٠٧/٢، شلرات اللعب ٥/٦.

(٥) زيد بن ثابت: زيد بن ثابت بن الضحاك بن زيد أبو سعيد وأبو خارجة الخزرجي النخاري الأنصاري، كاتب الوحي، وهو الذي جمع القرآن في عهد أبي بكر وعثمان، للقرئ القرضي، مفتي المدينة ومنابعه وفضائله كثيرة، مات سنة ٤٥هـ، وقيل: غيرها الاستيعاب ١١١/٢، أسد الغابة ١٢٧/٢، الإصابة ٤٩٠/٢.

(٦) البحر المحيط ٤٣٢/٣.

(٧) سنن أبي داود: حديث ٧٥٦/١، ٤٨٠.

وقول أبي قلابة^(١) عن أنس: ((من السنة إذا تزوج البكر على الثيب أقام عندها سبعة))^(٢).
حكمها^(٣):

- يرى القاضي عياض أنها من المسند المرفوع، وهو رأي جمهور العلماء كما سلف في المسألة السابقة، والمخالف فيه هم السابقون أيضاً.
- قال القاضي عياض^(٤) رحمه الله - وهو يتكلم على قول أنس السابق -: ((يلحق بالمسند عند عامة أئمة العلماء، لأن الصحابي إذا قال: السنة كذا، فهو مسند، إذ لا يحيل بالسنة إلا على ما عهد من النبي صلى الله عليه وسلم وسنته، وقد رفعه غير واحد عن أنس)).
- وافقه على هذا النووي والأبي في شرح مسلم لهما.

* * *

(١) الإمام شيخ الإسلام عبد الله بن زيد بن عمرو أو عامر بن نائل الجرمي البصري مات بالشام سنة (١٠٤هـ) هارباً من تولي القضاء وقيل بعدها .

حلية الأولياء ٢/٢٨٢، تهذيب الكمال ١٤/٥٤٢، سير أعلام النبلاء ٤/٤٦٨

(٢) صحيح البخاري: حديث رقم ٥٢١٣، ٥٢١٤، صحيح مسلم: كتاب الرضاع، باب قدر ما تستحقه البكر والثيب ح ١٤٦١ ٤/٦٦٣.

(٣) انظر: مختصر ابن الحاجب ١٥٢، شرح تنقيح الفصول ٢٩١، أصول السرعسي ١١٥/١ - ٣٨٠، تيسير التحرير ٣/٦٩، فواتح الرحموت ١/١٠٧، البرهان ٢/٢٥، التلخيص ص ٣١٥، المستصفى ١/٢٤٩، الإحكام للآمدي ٢/١١٠، الإمماج ٢/٣٢٩، البحر المحيط ٣/٤٣٣، العدة ٢/١٤٤، شرح الكوكب المنير ٢/٤٨٣.

الكفاية ٤٢٠، مقدمة ابن الصلاح ٥٢، فتح للمغيث ٥٦، تدريب الرلوي ١/٢٠٨.

(٤) إكمال المعلم، كتاب الرضاع، باب ما تستحقه البكر والثيب...، ٤/٦٦٣.

(المسألة الثانية: قول الصحابي: كنا نفعل كذا، أو كانوا يفعلون كذا)

مثالها:

- كقول جابر بن عبد الله^(١): ((كنا إذا صعدنا كبرنا، وإذا نزلنا سُبَحنا))^(٢).
- وقوله: ((كنا نزل على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم والقرآن ينزل))^(٣).
- وقوله: ((كنا نأكل لحوم الخيل على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم))^(٤).
- وقالت عائشة رضي الله عنها: ((كانوا لا يقطعون في الشيء التافه))^(٥).

حكمها:

يرى القاضي عياض أنها ملحقة بالمسند المرفوع، ونسبه لأكثر أهل العلم، مالك والشافعي. وصرح فيه بعدم الخلاف، إذا أضافه إلى زمن النبي صلى الله عليه وسلم.

فقال رحمه الله^(٦): ((وقوله في حديث أبي سعيد: ((كنا نخرج زكاة الفطر)) الحديث: مما يلحق بالمسند عند أكثر أهل العلم، وهو المروي عن مالك، والشافعي، وأن ظاهر هذا الكلام إضافته إلى زمن النبي صلى الله عليه وسلم. وأما على الرواية الأخرى التي زاد فيها: ((إذ كان فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم))، ((والذي أخرج في عهد رسول الله))).

مما لا يختلف في أنه مسند فيما لا يخفى أمره، إذ إقرار النبي عليه سنة، كقوله وفعله.

لا سيما في هذه المسألة التي إليه كانت ترفع، وعنده كانت تجمع، وهو يأمر بقبضها ودفعها، فليس يخفى عليه ما يخرج فيها)).

(١) / جابر بن عبد الله: هو جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام، أبو عبد الله وأبو عبد الرحمن الأنصاري السلمي الخزرجي، صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان من المكثرين الحفاظ للسنن، ومن شهد العقبة الثانية، مات سنة ٧٧ هـ، وعمره (٩٤ سنة)، أحاديثه (١٥٤٠) الاستيعاب ٢/٢٩٢، أسد الغابة ١/٣٠٧، الإصابة ١/٥٤٦.

(٢) أخرجه البخاري (٢٩٩٣، ٢٩٩٤). وانظر: تدريب الرلوي ١/٢٠٥.

(٣) البخاري (٥٢٠٧، ٥٢٠٨، ٥٢٠٩)، ومسلم (١٤٤٠).

(٤) سنن النسائي ٧/٢٢، ٢٠١، سنن ابن ماجه (١١٩٧). انظر: تدريب الرلوي ١/٢٠٥.

(٥) بمعناه في: المصنف ٩/٤٧٦، الهلبي ١/٤٢٦، وانظر: نصب الرأية ٣/٣٦٠.

(٦) إكمال المعلم، كتاب الزكاة، باب زكاة الفطر على المسلمين ٤/٤٨٢.

* هذا وما نصره عياض في المسألة قول جمهور أهل العلم من الأصوليين والمحدثين^(١).

فإنهم لم يختلفوا فيما أضيف إلى زمن النبي صلى الله عليه وسلم بأنه في حكم المرفوع المسند إلا ما روي عن الإسماعيلي^٢ من أنه موقوف^(٣).

وخلاف من خالف منهم، إنما كان فيما لم يضاف إلى عهد النبي صلى الله عليه وسلم. هل ذلك من الموقوف على الصحابي^٤؟

وأطلق البعض عنهم الحكم بالرفع في كلا الحالين سواء أضيف أو لا، كالإمام الرازي، والآمدي، وأبي الخطاب، والحاكم، وابن الحاجب، وغيرهم.

وقطع أبو إسحاق الشيرازي بالرفع إن كان الفعل مما لا يخفى غالباً، وإلا كان موقوفاً^(٥).

- فإن كان في القصة تصريح بطلّاعه صلى الله عليه وسلم فمرفوع إجماعاً^(٦)، كقول ابن عمر: ((كنا نقول ورسول الله صلى الله عليه وسلم حيّ أفضل هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر وعمر وعثمان، ويسمع ذلك رسول الله فلا ينكره)).

أدلة الجمهور:

(١) انظر المسألة : لمائة الوصول ٣٦٩/١، تيسير التحرير ٦٩/٣، فواتح الرحموت ٢٠٧/٢، مختصر ابن الحاجب ١٥٢، شرح تنقيح الفصول ٢٩١، تقريب الوصول ١١٢، المذكرة ٩٧، نثر الورود ٤١٥/١، المستصفى ٢٠٥/١، الإحكام ١١١/٢، المحصول ٤٩/٤، العدة ١٤٨/٢، التمهيد ١٨٢/٣، الروضة ١٦١/١، شرح مختصر الروضة ١٩٧/٢، شرح غاية السؤل ٢٢٩، المختصر في أصول الفقه ٨٩، شرح الكوكب المنير ٤٨٤/٢، للدخل ٢١٧، للمعتمد ١٧٤/٢، إرشاد الفحول ٩٤، أصول الفقه لأبي النور ١٥٦/٣، الكفاية ٤٢٢، مقدمة ابن الصلاح ٥١، فتح المغيث ٥٧، شرح نخبة الفكر ٣٥-٣٧، تدريب الراوي ٢٠٤/١، توضيح الأفكار ٢٤٩/١.

(٢) أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل بن عباس، أبوبكر الإسماعيلي، المرحاني شيخ الشافعية، الإمام الحافظ الحجة الفقيه شيخ الإسلام، من تصانيفه: المستخرج على صحيح البخاري، معجم الإسماعيلي، مسند عمر، ولد سنة (٢٧٧هـ) ومات سنة (٣٧١هـ). طبقات الشافعية لابن شعبة ١٣٩/١، سير أعلام النبلاء ٢٩٢/١٦، طبقات الحفاظ ٣٨١.

(٣) الكفاية ٤٢١، مقدمة ابن الصلاح ٥١، فتح المغيث ٥٧، تدريب الراوي ٢٠٤/١-٢٠٥، توضيح الأفكار ٢٤٩/١.

(٤) كالمخطوب، وابن الصلاح، والنووي، انظر المصادر السابقة.

(٥) البحر المحيط ٤٣٦/٣، تدريب الراوي ٢٠٦/١، توضيح الأفكار ٢٥٠/١.

(٦) فتح المغيث ٥٧، تدريب الراوي ٢٠٦/١، توضيح الأفكار ٢٥٠/١.

- قالوا: إن الظاهر من قول الصحابي أنه قصد أن يعلمنا بهذا الكلام حكماً، ويفيدنا شرعاً، ولا يكون كذلك إلا وقد علمه الرسول صلى الله عليه وسلم فلم ينكره.

- وإن الظاهر من الصحابة أنهم لا يُقدِّمون على أمر من أمور الدين، والنبي صلى الله عليه وسلم بين أظهرهم إلا عن أمره، فصار ذلك كالمسند إليه.^(١)

* قال الإسوي: ((ثم اختلفوا في المدرك:

- فعَلَّه الإمام وأتباعه: بأن غرض الراوي بيان الشرع، وذلك يتوقف على علم النبي صلى الله عليه وسلم به، وعدم إنكاره.

- وعَلَّه الآمدي ومن تبعه: بأن ذلك ظاهر في قول كل الأمة.

والحقه الأولون بالسنة، والثاني بالإجماع.

ويبنى على المدركين ما أشار إليه الغزالي في المستصفى وهو الاحتجاج إذا كان القائل تابعياً^(٢))).

(١) للمتمد ١٧٤/٢، المحصول ٤٤٩/٤، التمهيد ١٨٢/٣.

(٢) لمهابة السؤل ٣٦٠/٢.

مسألة: حكم إنكار الأصل رواية الفرع

أقسام المسألة:

إذا روى ثقة عن ثقة حديثاً ثم أنكر الشيخ المروي عنه الحديث.

فلا يخلو إنكاره من حالين:

- إما أن يكون إنكار تكذيب وجحود وتغليط.

- أو إنكار نسيان وسهو.

- أما الحالة الأولى: فإذا أنكر الشيخ إنكار تكذيب وجحود بأن قال: ما رويته، أو كذبت عليّ، فالعلماء متفقون على ردّ الحديث، وعدم العمل به^(١)، لأن كل واحد منهما مكذبٌ لصاحبه فيما يدعيه وهو موجب للقدح في الحديث وعدم العمل به، وهما على أصل عدالتهما، لأنهما الأصل فلا تبطل بالشك.

(١) مختصر ابن الحاجب مع العضد ١٥٥، كشف الأسرار ١٢٥/٣، تيسير التحرير ١٠٧/٣، نهاية الوصول للساعاتي ٣٧٥/١، فواتح الرحموت ٢١٨/٢، للمستصفى ٣١٤/١، الإحكام للآمدي ١١٨/٢، اللمع ٢٣٣، شرح مختصر الروضة ٢١٥/٢، شرح الكوكب المنير ٥٣٧/٢، المختصر في أصول الفقه ٩٣، الكفاية ص ١٣٩، مقدمة ابن الصلاح مع التقييد ١٢٨، تدريب الراوي ٣٩٥/١، توضيح الأفكار ١٤٩/٢، وقد ذكر بعض العلماء في هذه الحالة أقوالاً أخرى كالزركشي في البحر المحيط والسيوطي في تدريب الراوي، خلافاً لعامة كتب الأصول، من ذلك:

أ- قبول المروي عنه وعدم الرد، اختاره ابن السمعاني وأبو الحسن بن القطان وعزاه الشاشي للشافعي، البحر المحيط ٣٧٩/٣، تدريب الراوي ٣٩٥/١.

ب- حزم الماوردي والروائي بأن ذلك لا يقدح في صحة الحديث إلا أنه لا يجوز للفرع أن يرويه عن الأصل، البحر المحيط ٣٧٩/٣، تدريب الراوي ٣٩٥/١.

ج- ألهمتا يتعارضان ويرجح أحدهما لطريقه وصار إليه إمام الحرمين في كتابه البرهان ٢٥٠/١، والتلخيص ٣٠٧.

د- الباجي: إذا جحد رواية الحديث حملة فهذا يمنع من الاحتجاج بالخبر ويوقف أمره، أما إذا قال قد رويته إلا أنني لم أحدثه به فهذا لا يمنع من الاحتجاج لصحة الخبر من جهة المروي عنه لا من جهة الراوي، إحكام الفصول ٣٥٢/١، نثر الورود ٣٩٢/١، المذكرة ١٣٢.

قال القاضي عياض رحمه الله: ((وأما إنكاره إنكار قطع وتكذيب أنه لم يروه قط، فيجب رده عند جميعهم، وذلك لتقابل العدالتين، وليس إحداها بأولى بالعمل من الأخرى فيسقط الحديث))^(١).

وقال في موضع آخر: ((أما لو قال الراوي: هذا لم أحدثه به قط ولا رويته، فهم متفقون على طرحه لأنه مكذب للرواية عنه، والأول غير قاطع، والراوي عنه مصحح لها))^(٢).

- الحالة الثانية: إذا كان إنكاره للمروي عنه إنكار نسيان وسهو وشك.

اختار القاضي عياض قبوله وحكاه عن عامة أهل العلم حيث قال: ((وقول عمرو بن دينار في هذا الحديث (فذكرت ذلك لأبي معبد فأنكره وقال: لم أحدثك به قال عمرو وقد أخبرت قبل ذلك) وإدخال مسلم له دليل على قوله بصحة الحديث على هذا الوجه، مع إنكار المحدث عنه، إذا حدث به ثقة وهذا إذا أنكره لاسترابة أو تشكك أنه لم يروه، فالذي عليه معظم العلماء وأئمة الحديث والأصوليون إعماله، وذهب الكرخي إلى إبطاله..))^(٣).

وقال في موضع آخر: ((وما ذكره شعبة عن يحيى من هذه الزيادة فلم يحفظها، فإن كان سمعها من ثقة عنه ساغ له الحديث بما عمن حدثه عنه، ولم يضره نسيانه لها على قول جمهور محققى الأصوليين والمحدثين خلافاً للكرخي ومن تبعه من الحنفية في أنه لا يقبل ولا يعمل به))^(٤).

* والأمر كما قال القاضي، فإن الأصوليين والمحدثين على ذلك بأجمعهم^(٥).

(١) إكمال المعلم - كتاب المساجد، باب التكبير بعد انقضاء الصلاة ٣٥٣/٢.

(٢) إكمال المعلم - كتاب الصيام، باب جواز الصوم والفطر في شهر رمضان للمسافر..... ٦٨/٤

قال في الإلماع في معرض كلامه في الفوارق بين الخبر والشهادة: " والخبر يجوز فيه نقل الفرع مع شك الأصل ونسيانه عند جمهور الفقهاء من المالكية والشافعية والحنفية وجماعة المحدثين والأصوليين وهو مروي عن السلف المتقدم ولم يخالف فيه إلا الكرخي وبعض متأخرة الحنفية أصحابه " ينظر الإلماع ١١٣.

(٣) إكمال المعلم - كتاب المساجد، باب التكبير بعد انقضاء الصلاة ٣٥٣/٢ - ٣٥٦.

(٤) إكمال المعلم - كتاب الصيام، باب جواز الصوم والفطر في شهر رمضان للمسافر، ٦٨/٤.

(٥) إحكام الفصول ٣٥٢/١، مختصر ابن الحاجب مع المضد ص ١٥٥، نثر الورد ٣٩٢/١، اللمع ٢٣٣، البرهان ٢٥/١، التلخيص ص ٣٠٧، المستصفى ٣١٤/١، الإحكام للأمدى ١١٨/٢، المحصول ٤٢٠/٤، العدة ١٢٤/٢، التمهيد ١٢٥/٣، شرح مختصر الروضة ٢١٥/٢، شرح غاية السؤل ص ١٣٧، للمختصر في أصول الفقه ص ٩٣، الكفاية ص ١٣٩-٣٨٠، تدريب الراوي ٣٩٦/١، توضيح الأفكار ١٤٩/٢.

إلا الكرخي ومن تبعه من الحنفية^(١) كما ذكر القاضي عياض.

ورواية عن الإمام أحمد^(٢)، والرواية الصحيحة عنه^(٣) موافقة للجمهور، وعليها عامة أصحابه، وهو قول محمد بن الحسن^(٤) الحنفية.

قال الباقلاني فيما نقله عنه الزركشي: ((وهو مذهب الدهماء من العلماء والفقهاء من أصحاب مالك والشافعي وأبي حنيفة))^(٥).

وقال سليم في التقریب فيما نقله عنه الزركشي: ((وهو قول أصحاب الحديث بأسرهم))^(٦).

وقال القراني: ((وقال أكثر أصحابنا والشافعية والحنفية إذا شك الأصل في الحديث لا يضر ذلك خلافا للكرخي))^(٧).

قال ابن الصلاح: ((ومن روى حديثاً ثم نسيه، لم يكن ذلك مسقطاً للعمل به عند جمهور أهل الحديث، وجمهور الفقهاء والمتكلمين، خلافاً لقوم من أصحاب أبي حنيفة صاروا إلى إسقاطه بذلك))^(٨).

أدلة الجمهور^(٩): استدلو بما يلي

(١) قال البيهقي في الكشف: " فذهب الشيخ أبو الحسن الكرخي وجماعة من أصحابنا وأحمد بن حنبل في رواية عنه إلى أن العمل يسقط به كما في الوجه الأول، وهو مختار القاضي الإمام والشيخين وبعض المتكلمين "، كشف الأسرار ١٢٥/٣. وانظر: أصول السرخسي ٣/٢، تيسر التحرير ١٠٧/٣، نهاية الوصول إلى علم الأصول ٣٧٦/١، فواتح الرحموت ٢١٨/٢.

(٢) انظر مصادر الخنايلة السابقة.

(٣) قال ابن عقيل: " والأدلة أصح لأن أكثر كلام أحمد يتضمن تصحيحها " الواضح ٣٥/٥، تيسر التحرير ١٠٧/٣.

(٤) محمد بن الحسن بن فرقد الشيباني أبو عبد الله، العلامة فقيه العراق، صاحب أبي حنيفة، اشتهر بالتبحر في الفقه والأصول، وكان إماماً في اللغة العربية أيضاً، وفاته: (١٨٩هـ). الفوائد البهية ١٦٣، الجواهر المضيفة ٤٢/٢.

(٥) البحر المحيط ٣٧٩/٣.

(٦) البحر المحيط ٣٧٩/٣.

(٧) شرح تنقيح الفصول ٢٨٧.

(٨) مقدمة ابن الصلاح مع شرحها التقييد والإيضاح ١٢٨.

(٩) تنظر الأدلة: نهاية الوصول إلى علم الأصول ٣٩٦/١، أصول السرخسي ٣/٢، كشف الأسرار ١٢٦/٣، فواتح الرحموت ٢١٩/٢، أحكام الفصول ٣٥٣/١، مختصر ابن الحاجب مع شرح العضد ص ١٥٥، الإحكام للآمدي ١١٨/٢، المستصفي ٣١٤/١، العدة ١٢٤/٢، التمهيد ١٢٥/٣، الواضح ٣٥/٥، شرح مختصر الروضة ٢٦/٢.

١- بحديث ربيعة بن عبد الرحمن عن سهيل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة: " أنه صلى الله عليه وسلم قضى بالشاهد واليمين " ثم نسيه سهيل فكان يقول حدثني ربيعة عني، ويقول آخرني ربيعة وهو عندي ثقة أني حدثته إياه ولا أحفظه، ولم ينكر عليه منكر من التابعين فكان إجماعاً على جوازه والعمل به^(١).

- أن النبي صلى الله عليه وسلم نسيَ فسلم من ركعتين فقام إليه ذو اليمين فقال له: أقصرت الصلاة أم نسيت ؟ فقال: " كلُّ ذلك لم يكن " ثم سأل أبا بكر وعمر فصدقا ذا اليمين فقام يقضي ما أخره بأنه نسيه ((وهذا عملٌ بقول غيره فيما نسيه وجمده للنقصان كجمد الزهري للخير))^(٢).

- الفرع عدل جازم غير مكذب أو مغلط فيعمل بما رواه كموت الأصل أو جنونه^(٣).
اتفاق الكل على أن المروي عنه إذا أنكر زيادة لفظة في الحديث وجب قبولها من العدل فكذلك جميع الحديث^(٤).

- ولأن النسيان غالب على الإنسان فقد يحفظ الإنسان شيئاً ويرويه لغيره ثم ينسى بعد مدة فلا يتذكره أصلاً والراوي عنه ثقة فيه يترجح جانب الصدق في خبره ثم يبطل ذلك بنسيانه^(٥).



(١) رواه أبو داود (٣٦١٠-٣٦١١)، والبيهقي في الكبرى ١٦٩/١٠.

وانظر: نهاية الوصول ١/٣٧٦، الواضح ٥/٣٥، والمصادر السابقة.

(١) رواه أبو داود (٣٦١٠-٣٦١١)، والبيهقي في الكبرى ١٦٩/١٠.

وانظر: نهاية الوصول ١/٣٧٦، الواضح ٥/٣٥، والمصادر السابقة.

(٢) للوطأ (٢١٠)، والبخاري (٦٨٢)، ومسلم (٥٧٣).

وانظر: الواضح في أصول الفقه ٥/٣٥، كشف الأسرار ٣/١٢٥، أصول السرخسي ٣/٢.

(٣) شرح الكوكب المنير ٢/٥٣٨، مع المصادر السابقة.

(٤) إحكام الفصول للباهي ١٥٣، فواتح الرحموت ٢/٢١٩، تيسر التحرير ٣/١٠٧، البحر المحيط ٣/٣٨٠، الكفاية ٣٨٢.

(٥) أصول السرخسي ٣/٢، كشف الأسرار ٣/١٢٦، المستصفى ١/٣١٥.

مسألة المرسل

أولاً: تعريف المرسل:

لغة: اختلف في مأخذه اللغوي على أقوال:

١. من أرسل الشيء إذا أطلقه وأمله ولم يمنعه.

يقال: أرسلت الطائر من يدي إذا أطلقته، وقال الله تعالى: {أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤْزُهُمْ أَزْوَاجُهُمْ} (مرم: ٨٣). وعلى هذا فكان المرسل أطلق الإسناد ولم يصله بصاحبه^(١).

٢. وقيل: من قولهم: جاء القوم أرسلالا أي متفرقين^(٢).

٣. وقيل: من قولهم ناقة رسل أي سريعة السير.

قال كعب بن زهير في برده:

أمنت سعاد بأرض ما يبلغها**** إلا العتاق النحيات المراسيل.^(٣)

فكان المرسل للحديث أسرع فيه عَجلاً، فحذف بعض إسناده^(٤).

٤. وقيل: من الاسترسال، وهو الطمأنينة للشيء والثقة به^(٥).

ثانياً: تعريف المرسل اصطلاحاً.

للمرسل في الاصطلاح تعريفان: أحدهما لأهل الأصول، والآخر للمحدثين.

(١) المصباح المنير ص ١١٩، المفردات للراغب ص ٢٠١، القاموس المحيط ٣/٣٩٥، المحجم الوسيط ١/٣٤٤، جامع التحصيل في أحكام المراسيل للعلائي ١٤.

(٢) قال العلائي: ومنه حديث: إن الناس دخلوا على النبي صلى الله عليه وسلم بعد موته فصلوا عليه أرسلالا [سنن ابن ماجه (١٦٢٨)]. جامع التحصيل ٢٣.

٣ - النهاية في غريب الحديث ٢/٢٢٤، جامع التحصيل ٢٤.

(٤) جامع التحصيل ٢٤، توضيح الأفكار ١/٢٥٨.

(٥) قال العلائي: وهذا اللائق بقول المحتج بالمرسل. جامع التحصيل ٢٣.

وقد ذكر القاضي عياض رحمه الله تعريف المرسل على كلا الاصطلاحين، فقال: ((اختلف العلماء في المرسل على ما يقع من الحديث، وفي ثبوت الحجة به.

فأما الفقهاء والأصوليون^(١) فيطلقون المرسل على كل ما لم يتصل سنده إلى النبي صلى الله عليه وسلم، وأرسله راوٍ من رواته، تابعياً كان أو من دونه إلى النبي صلى الله عليه وسلم. أو سُكِّتَ فيه عن راوٍ من رواته أو أكثر، وارتفع إلى من فوقه، فهو داخلٌ عندهم في المرسل، وكذلك إذا قال: عن رجل ولم يسمه^(٢).

وأما أصحاب الحديث فلهم تفريق في ذلك، واصطلاحات بنوا عليها صنعتهم، ورتبوا أبوابهم وتراجمهم، فلا يطلقون المرسل إلا على ما أرسله التابعي وقال فيه: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم، دون ذكر الصحابي^(٣).

وقال أبو عبد الله الحاكم في كتاب علوم الحديث: ((لم يختلف مشايخ الحديث في هذا))^(٤). فأما ما أرسله الراوي دون التابعي فهو عندهم المنقطع^(٥)، وكذلك يسمون الحديث عن رجل لم يسم.

وذكر في كتاب المدخل إلى كتاب الإكليل: المرسل أن يقول التابعي أو تابع التابعي: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم^(٦). فإن كان بين المرسل والنبي صلى الله عليه وسلم أكثر من رجل سموه معضلاً^(٧)، كذا لقبة ابن المديني وغيره^(٨).

(١) انظر: تعريفات الأصوليين للمرسل في تيسر التحرير ١٠٢/٣، فواتح الرحموت ١٢٣/٢، كشف الأسرار ٦/٣، مختصر ابن الحاجب مع شرح المعضد ص ١٥٩، نثر الورود ٤٠٧/١، المذكرة ص ١٤٢، للمستصفى ٣١٨/١، الإحكام للآمدي ١٣٦/٢، البحر المحيط ٤٥٧/٣، شرح مختصر الروضة ٢٢٨/٢، شرح الكوكب المنير ٥٢٤/٢، إرشاد الفحول ص ٩٨، الإحكام ١٤٥/١، ووافقهم الخطيب على ذلك، وذكر أن اصطلاح المحدثين هو الشائع الغالب على المرسل.

(٢) هذه الحالة تختلف فيها وهي ما إذا قال: عن رجل ولم يسمه فقبل إنه منقطع وليس بمرسل، قاله الحاكم، وقيل يعتبر مرسلًا، قال العراقي: وكل من القولين خلاف ما عليه الأكثرون، فأنهم ذهبوا إلى أنه متصل في سنده بمجهول، حكاه الرشيد العطار، واختاره العلامي، التقييد والإيضاح ص ٥٧، تدريب الراوي ٢٢١/١، توضيح الأفكار ٢٨٥/١، إرشاد الفحول ص، وانظر الرومان ٢٤٤/١، البحر المحيط ٤٨٨/٣، فواتح الرحموت ٢٢٨/٢، تيسر التحرير ١٢٦/٢.

(٣) انظر تعريفات المرسل عند المحدثين معرفة علوم الحديث ص ٢٥، في الكفاية ص ٢٨٤، التقييد والإيضاح ص ٥٥، تدريب الراوي ٢١٩/١، توضيح الأفكار ص ٢٥٨، قواعد التحديث ص ١٣٣.

(٤) معرفة علوم الحديث ص ٢٥ قال: فإن مشايخ الحديث لم يختلفوا في أن الحديث المرسل هو الذي يرويه المحدث بأسانيد متصلة إلى التابعي، فيقول التابعي: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم.

(٥) للمنقطع هو: ما سقط من رواته راوٍ واحد غير الصحابي على المشهور. توضيح الأفكار ٢٩٣/١.

ثالثا: اختيار القاضي عياض في تعريف المرسل:

مال القاضي عياض إلى تعريف الأصوليين وإن لم يصرّح بذلك حيث قال بعد سياقه تعريف المرسل عند الأصوليين والمحدثين: ((وكل هذا بالحقيقة داخل في باب المرسل إذ أصل ذلك إضافة الراوي لحديث إلى من يرو عنه، وإرسال سنده، وسقوط اتصاله))^(١).

وقال: ((...وإنما يعد في المقطوع ما تُرك فيه اسم رجل قبل التابعي وأرسل قبله على عرف أهل الصنعة، وإلا فكله مرسل، والمنقطع نوع من المرسل على ما بيناه في هذا الكتاب...)).

رابعا: الفرق بين الاصطلاحين.

وأما الفرق بين الاصطلاحين فإن اصطلاح أهل الأصول أشمل وأعم من اصطلاح المحدثين حيث يسمون كل انقطاع في السند مرسلا، ويشمل ما يسميه المحدثون معضلا ومنقطعا. والمرسل عند المحدثين مخصوص بقول التابعي قال النبي x، وبعضهم يخصه بالتابعي الكبير فقط^(٢).

خامسا: أقوال أهل العلم في المرسل من حيث القبول والرد:

وأقوال أهل العلم في المسألة ذكرها القاضي عياض مفصلة ومنسوبة إليهم فقال: ((وأما الحجة به:

- فذهب السلف الأول إلى قبوله والحجة به. وهو مذهب مالك^(٣) وأبي حنيفة^(٤) وعامة أصحابهما، وفقهاء الحجاز والعراق^(٥)، وأحمد وأصحابه، وهو اختيار أبي يعلى^(٦)،

(١) للدخل إلى كتاب الإكمال.

(٢) للمعضل: هو عبارة عما سقط من إسناده إثبات فصاعدا، مقدمة ابن الصلاح مع التقييد ص ٦٥.

(٣) إكمال المعلم - المقدمة - ١٦٧/١.

(٤) إكمال المعلم - كتاب الصلاة - باب الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم بعد التشهد ٣٠٦/٢، وكتاب الجنائز، باب ما يقال عند دخول القبور والدعاء لأهلها ٤٥١/٣.

(٥) الإجماع ٣٣٩/٢، البحر المحيط ٤٥٧/٣، تدریب الروي ٢٢٠/١، نثر الورود ٤٠٧/١.

قال ابن حجر: ولم أر التقييد بالكبير صريحا عن أحد. نعم يُؤيد الشافعي المرسل الذي يقبل إذا اعتضد بأن يكون من رواية التابعي الكبير، ولا يلزم من ذلك أنه لا يسمى ما رواه التابعي الصغير مرسلا، بل الشافعي صرح بتسمية رواية من دون كبار التابعين مرسلة. فتح المغني ١ / ١٣٦.

وجماعة المتكلمين، وجمهور المعتزلة^(٥) منهم أبو هاشم.

- وذهب الشافعي^(٦) وإسماعيل القاضي^(٧) في عامة أهل الحديث^(٨) وكافة أصحاب الأصول^(٩) وأهل النظر، إلى ترك الحجة به.

وحكاية الحاكم عن ابن المسيب، ومالك، وجماعة أهل الحديث، وفقهاء الحجاز ومن بعدهم من فقهاء أهل المدينة، وعن الأوزاعي، والزهري، وابن حنبل^(١٠). والمعروف من مذهب مالك وأهل المدينة خلاف ما ذكر^(١١). وهو مذهب الظاهرية^(١٢)، وهو اختيار الشوكاني^(١٣).

- أقوال أخرى في المسألة:

قال القاضي عياض: ((وشرط بعض من لم ير الحجة به:

(١) شرح تنقيح الفصول ص ٢٩٥، تقريب الوصول ص ١١٢، نثر الورود ١/٤٠٨، المذكرة ١٤٢.

(٢) إكمال المعلم - المقدمة - ١٦٥/١، والنسبة لأهل العراق والمدينة في الكفاية ص ٣٨٤.

(٣) كشف الأسرار ٧/٣، المغني ١٩٠، تيسير التحرير ١٠٢/٣، فواتح الرحموت ٢/٢٢٣، أصول السرخسي ٣٦٠/١.

(٤) التمهيد ١٣٠/٣، شرح مختصر الروضة ٢٢٨/٢، شرح الكوكب المنير ٥٧٦/٢، المختصر ٩٦، المدخل ٢١٨.

(٥) المستصفى ٣١٨/١، الإحكام للآمدي ١٣٦/٢، وهو اختباره، المحصول ٤٥٤/٤، البحر المحيط ٤٥٨/٣، شرح مختصر

الروضة ٢٣٠/٢، وهو مذهب الزيدية، توضيح الأفكار ٢٦٤/١.

(٦) هذا هو المنسوب للشافعي في كتب الأصول كلها عدم القبول مطلقاً، ولكن الراجح عنده كما في الرسالة، وفي كتب

الشافعية قبوله بشرط توفر الشروط جميعها في المرسِل، وهي: ١. أن يكون مرسِله ثقة. ٢. أن يكون لا يروي عن

الضعفاء. ٣. أن يكون من كبار التابعين. وأن يعضد المرسل بأحد أمور:

١- أن يسنده غيره من وجه آخر. ٣- أو يرسله راوٍ آخر، يروي من غير شيوخ الأول.

٤- أو يعضده قول صحابي. ٥- أو قول أكثر أهل العلم.

وهو اختيار الغزالي، والخطيب البغدادي، انظر: الرسالة ٤٦١، الكفاية ٣٨٧، الإجماع ٣٤١/٢، نهاية السؤل ٣٨٠/٢، البحر

المحيط ٤٦٦/٣، تدريب الراوي ٢١٩/١، توضيح الأفكار ٢٦٢/١، انظر المراجع السابقة.

(٧) لم أجده.

(٨) معرفة علوم الحديث ص ٢٦، الكفاية ٣٨٤، مقدمة ابن الصلاح مع شرحها التقييد ٥٨، تدريب الراوي ٢٢٢/١، توضيح

الأفكار ٢٦٤/١، مع المصادر الأصولية.

(٩) تدريب الراوي ٢٢٣/١.

(١٠) هذه إحدى الروايات عنه: انظر التمهيد ١٣١/٣، شرح مختصر الروضة ٢٢٩/٢، شرح الكوكب ٥٧٧/٢.

(١١) إكمال المعلم - المقدمة - ١٦٦/١.

(١٢) الإحكام لابن حزم ١٤٥/٢، التمهيد لأبي الخطاب ١٣١/٣.

(١٣) قال: والحق عدم القبول لما ذكرت من الاحتمال. إرشاد الفحول ٩٨.

- مراسيل التابعين جملة^(١).

- وخص بعضهم مراسيل كبار التابعين^(٢).

- وبعضهم مراسيل الصحابة^(٣) إذا قالوا حدثني رجل عن النبي صلى الله عليه وسلم. وخص الشافعي مراسيل ابن المسيب^(٤). وبعضهم مراسيل الأئمة، وجعلها حجة كالمسندات إذ أكثرها كذلك، لا يرسلون إلا ما صح^(٥).

ومنهم من جعل هذه أقوى من المسانيد، لأن الإمام لا يرسل الحديث إلا مع نهاية الثقة به والصحة^(٦). واختار بعض المحققين من المتأخرين^(٧) قبول مرسل الصحابي والتابعي إذا عرف من عاداته أنه لا يروي إلا عن صحابي^(٨). قال أبو عمر^١ وأبو الوليد^(٩): ولا خلاف أنه لا يجوز العمل به إذا كان مرسله غير متحرز، يرسل عن غير الثقات^(١٠).

(١) انظر هذه الأقوال متفرقة في المصادر التالية البحر المحيط ٤٦٣/٣ - ٤٦٥، تدریب الراوي ٢٢٨/١.

(٢) وهو الشافعي رحمه الله كما سبق بيانه. انظر: الرسالة ٤٦٢ - ٤٦٥.

(٣) مرسل الصحابي حجة عند الجمهور وحكى فيه الاتفاق الأحناف. كشف الأسرار ٧/٣، فواتح الرحموت ٢٢٣/٢، تيسر التحرير ١٠٣/٣، التمهيد ١٣٤/٣، ومن المحدثين العراقي في التقييد ٦٣، حيث قال: إن المحدثين وإن ذكروا مراسيل الصحابة فإنهم لمن يختلفوا في الاحتجاج بها.

وعالف فيها ولم يقبلها الأستاذ أبو إسحاق الإسفراييني قال: لا تقبل مراسيل الصحابي، لا للشك في عدلته، ولكن لأنه قد يروي عن تابعي وعن أعرابي لا يعرف صحبته، ولو قال: لا أروي لكم إلا من سمعني أو من صحابي، وجب علينا قبول مرسله. انظر: البحر المحيط ٤٦٢/٣، وانظر المصادر الأصولية في المسألة فإنها تصف عدم قبول مرسل الصحابي بالشك. كالمذكورة ١٤٢.

(٤) الصحيح عن الشافعي أن مرسل سعيد عنده لا يحتج به إلا إن توفرت فيه شروط القبول، وانظر تفسير قوله: مراسيل سعيد حسن عندنا في: تدریب الراوي ٢٢٥/١. قال السيوطي: ولا يحتج بمراسيل سعيد إلا ما - أي الشروط - أيضا، مقدمة ابن الصلاح مع التقييد ص ٥٨.

(٥) وهو اختيار ابن الهمام وابن الحاجب. مختصر ابن الحاجب مع العضد ص ١٥٩، فواتح الرحموت ٢٢٣/٢، البحر المحيط ٤٥٩/٣.

(٦) الإجماع ٣٣٩/٢، حيث وصفهم بالفلو.

(٧) المستصفى ٣٢١/١.

(٨) وما لم يذكره القاضي عياض:

قول عيسى بن أبان: يقبل مرسل الصحابة، والتابعين، وتابع التابعين ومن هو من أئمة النقل مطلقا دون من عدا هؤلاء، وهو اختيار أبي الحسن الكرخي.

أصول السرخسي ١/٣٦٣، تيسر التحرير ١٠٣/٣، فواتح الرحموت ٢٢٣/٢، الإحكام للآمدي ١٣٦/٢.

* قال ابن جرير الطبري: إن التابعين أجمعوا بأسرهم على قبول المراسيل، ولم يأت عن أحد إنكارها إلى رأس المائتين.

لكن يعارضه قول مسلم في مقدمة صحيحه: ((المرسل في أصل قولنا وقول أهل العلم بالأخبار ليس بحجة))^(١)، وقد نقل رده عن غير واحد من التابعين ومن بعدهم^(٢).

وكذا قال أبو الوليد الباجي: إنكار كونه حجة بدعة حدثت بعد المائتين، وذلك لقبولهم مراسيل الأئمة من غير نكير^(٣).

* سبب الخلاف في مسألة المرسل.

قال العلامة: والخلاف في هذه المسألة يرجع إلى قواعد لأئمة الأصول والفقه في أصول الرواية:

١. قبول رواية مجهول العدالة.

٢. رواية العدل عن غيره هل هي تعديل له أم لا

٣. قول الراوي: حدثني الثقة. هل يحتاج به إذا لم يسمه.

٤. هل يقبل التعديل من غير ذكر سببه.

٥. هل يشترط العدد في التعديل^(٤).

(١) أبو عمر وقيل أبو عبد الله وقيل: أبو عبد الرحمن، البجلي القسري مات سنة (٥١) وقيل: (٥٤)، أحاديثه (١٠٠).

الاستيعاب ٣٠٨/١، أسد الغابة ٣٣٣/١، الإصابة ٥٨١/١، سير أعلام النبلاء ٥٣٠/٢.

(٢) ينظر قول أبي عمر بن عبد البر في التمهيد ١٧/١، وأبو الوليد الباجي في: الإشارة ٢٤٠، البحر المحيط ٤٦٥/٣، إرشاد الفحول ص ٩٨.

(٣) إكمال للمعلم - المقدمة - ١٦٨/١.

(٤) شرح النووي على مسلم ١٣٢/١.

(٥) كشبة والأوزاعي والليث وابن مهدي وغيرهم. انظر: جامع التحصيل ٧٥.

(٦) لمعرفة كلام ابن جرير ينظر في شرح الكوكب المنير ٥٧٧/٢، البحر المحيط ٤٦٠/٣، قواعد التحديث ص ١٣٤، توضيح الأفكار ٢٦٦/١، إرشاد الفحول ص ٩٩، والجواب عنه ص ٩٩.

(٧) جامع التحصيل (بتصرف) ٥١، وانظر: شرح مختصر الروضة ٢٢٨/٢، سلاسل الذهب ص ٣٣٠.

أدلة القول الأول:

قال القرافي: ((حجة الجواز: أن سكوته عنه مع عدالة الساکت، وعلمه أن روايته يترتب عليها شرع عام فيقتضي ذلك أنه ما سكت عنه إلا وقد جزم بعدالته، فسكوته كإخباره بعدالته وهو لو زكاه عندنا قبلنا روايته، فكذاك سكوته عنه.

حتى قال بعضهم: إن المرسل أقوى من المسند بهذا الطريق، وهو أن المرسل قد تزم الراوي وأخذه في ذمته عند الله تعالى، وذلك يقتضي وثوقه بعدالته، وأما إذا أسند فقد فوّض أمره للسامع ينظر فيه ولم يتذمه فهذه الحالة أضعف من الإرسال^(٢).

أدلة القول الثاني:

أ. من القرآن:

- قوله تعالى: {وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ} (الاسراء: من الآية ٣٦)، وقوله: {وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ} (الأعراف: من الآية ٣٣). ونحن إذا قبلنا خير من لا نعلم حاله قفونا ما ليس لنا به علم، وقبلنا في الدين ما لم نتحققه.

ب. السنة:

- قال صلى الله عليه وسلم: ((تسمعون ويسمع منكم ويسمع من يسمع منكم))^(٣). دل الحديث على أن شأن الرواية اتصال الإسناد.

- قال ابن عباس لبشير بن كعب العدوي لما جعل يحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: ((إنا كنا إذا سمعنا رجلاً يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ابتدرته أبصارنا، وأصغينا إليه بأذاننا، فلما ركب الناس الصعب والذلول، لم نأخذ من الناس إلا ما نعرف))^(٤).

(١) التمهيد ٦/١، جامع التحصيل ٥١-٨٨.

(٢) شرح تنقيح الفصول ص ٢٩٥.

(٣) رواه أبو داود (٣٦٥٩)، والحاكم ٩٥/١، وصححه على شرط الشيعين. قال العلامي: والحديث حسن، وفي كلام إسحاق بن راهويه ما يقتضي تصحيحه. جامع التحصيل ٥٢.

(٤) شرح النووي ٨٠/١. هذا في صحيح مسلم رقم (٧).

د. الملقول: قال القرافي: ((حجة الشافعي ومن معه: أنه إذا سكّت عن الرواي جاز أن يكون إذا أطلعنا نحن عليه لا نقبل روايته، ولم نكلف نحن بحسن ظن المرسل فيه، فحصول الظن كما تقدم خالفناه، إذا علمت عدالة الرواي بالبحث والمباشرة، فيبقى على مقتضى الدليل فيما عداه))^(١).

دليل قول عيسى بن أبان^(٢): حديث ((خير الناس قرني ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم ثم يفشو الكذب))^(٣).

فهذا الحديث يثبت عدالة أكثر أهل القرون الثلاثة، إن لم يكونوا جميعا عدولا، فغالب الظن أن الرواي من هؤلاء إنما يروي عن العدل أو عن من سمع منه. وبعد هذه القرون قد فشا الكذب^(٤).

دليل ابن الحاجب:

قال: ((لنا: أن إرسال الأئمة من التابعين كان مشهورا مقبولا ولم ينكره أحد، كابن المسيب والشعبي^(٥) والنخعي والحسن وغيرهم.

فإن قيل: يلزم أن يكون المخالف خارقا.

قلنا: خرّق الإجماع الاستدلالي أو الظني لا يقدح، وأيضا لو لم يكن عدلا عنده لكان مدلسا في الحديث))^(٦).

الترجيح:

قال العلّامي: ((من عرف من عاداته أنه لا يرسل إلا عن عدل موثوق به مشهور بذلك، فمرسله مقبول، ومن لم يكن عاداته ذلك لم يقبل مرسله. وهذا القول والذي قبله - قول الشافعي - أعدل المذاهب، وبه يحصل الجمع بين الأدلة المتقدمة من الطرفين فإن قبول المصدر الأول لكثير من

(١) شرح تنقيح الفصول ص ٢٩٥.

(٢) عيسى بن أبان بن صدقة، أبو موسى القاضي، ولي قضاء البصرة، له كتاب القياس، وخير الواحد، اجتهاد الرأي، والجامع، والحجج، توفي سنة (٢٢٠هـ). الفهرست ٢٨٩، الفوائد البهية ١٥١، الجواهر المضيفة ٦٧٨/٢، تاج التراجم ٢٢٧.

(٣) رواه البخاري (٦٤٢٩) ومسلم (٢٥٣٣) من حديث عبد الله بن مسعود.

(٤) أصول الفقه للزحيلي ١/٥٧٤.

(٥) عامر بن شراحيل بن عبد بن ذي كبار الشعبي الحميري، الممداني، من كبار أئمة التابعين، ومن الحفاظ الثقات، جليل القدر وافر العلم، شهد وقعة الجمل مع ابن الأشعث توفي سنة (١٠٤هـ). تقريب التهذيب ٤٦١/١، الأعلام ١٨/٤.

(٦) مختصر ابن الحاجب مع شرح المصنف ص ١٥٩.

المراسيل لا يمكن إنكاره وقد صدر من جماعة منهم كثيرين رد لكثير من المراسيل أيضا فيحمل قبولهم عند الثقة بمن أرسل منهم أنه لا يرسل إلا عن عدل موثوق به وردهم عند عدم ذلك))^(١). ونحوه لابن تيمية^(٢).

* ونحى ابن رجب^(٣) منحي آخر فادعى أن الخلاف لفظي بين الفقهاء والمحدثين فقال رحمه الله: ((واعلم أنه لا تنافي بين كلام الحفاظ وكلام الفقهاء في هذا الباب، فإن الحفاظ إنما يريدون صحة الحديث المعين إذا كان مرسلًا، وهو ليس بصحيح على طريقهم، لانقطاعه وعدم اتصال إسناده إلى النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم.

وأما الفقهاء فمرادهم صحة ذلك المعنى الذي دل عليه الحديث. فإذا عضد ذلك المرسل قرائن تدل على أن له أصلاً، قوي الظن بصحة ما دل عليه، فاحتج به مع ما احتف به من القرائن.

وهذا هو التحقيق في الاحتجاج بالمرسل عند الأئمة كالشافعي وأحمد، وغيرهما، مع أن في كلام الشافعي ما يقتضي صحة المرسل حينئذ))^(٤).



(١) جامع التحصيل ٩٦.

(٢) منهاج السنة ١١٧/٤.

(٣) عبد الرحمن بن أحمد بن رجب عبد الرحمن بن الحسن بن محمد الشهير بالحافظ ابن رجب، شيخ الإسلام، وأحد الأعلام، واعظ المسلمين، ومفيد المحدثين، صنف مصنفات جليلة كثيرة منها: فتح الباري في شرح البخاري ولم يكمله، والقواعد الفقهية، جامع العلوم والحكم، توفي سنة ٧٩٥هـ.

المقصد الأرشد ٨١/٢، الدر المنضد ٥٧٩/٢.

(٤) شرح علل الترمذي ٢٩٧/١.

مسألة زيادة الثقة.

صورة المسألة:

قال ابن رجب: ((صورتهما: أن يروي جماعة حديثاً واحداً بإسناد واحد ومن واحد ، فيزيد بعض الرواة فيه زيادة لم يذكرها بقية الرواة))^(١).

تحرير المسألة:

- الزيادة الحاصلة من بعض الصحابة على صحابي آخر إذا صح السند إليه فلا يختلفون في قبولها، كما في حديث أبي هريرة في الصحيحين^(٢) في قصة آخر من يخرج من النار، وأنه تعالى يقول له بعد ما يتمنى لك ذلك ومثله معه.

وقال أبو سعيد الخدري^٣: أشهد أني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لك ذلك وعشرة أمثاله معه. ونحوه من الأمثلة كثير^(٤).

- إذا روي حديثان مستقلان في حادثة في أحدهما زيادة سواء كانت موافقة أو مخالفة، فإنها تقبل من الثقة، كما لو انفرد الثقة بأصل الحديث^(٥).

أقسام الزيادة:

- الزيادة إما أن تكون مخالفة لرواية غيره ممن هو أكثر منه عدداً، وأوثق أو لا تكون كذلك.

- فإن كانت مخالفة لرواية من هو أكثر منه وأوثق، فهذه لا تقبل لأنها رواية شاذة.

قال ابن حجر: قد نوزع فيه وجزم ابن حبان والحاكم وغيرهما بقبول زيادة الثقة مطلقاً في سائر الأحوال سواء اتحد المجلس أو تعدد ، سواء أكثر الساكنون أو تساوا . وهذا قول جماعة من أئمة الفقه والأصول ، وجرى على هذا الشيخ محي الدين النووي في مصنفاته، وفيه نظر كثير^(٦).

(١) شرح الملل ١/٤٢٥، النكت لابن حجر ٢/١٦٩.

(٢) رواه البيهقي (٨٠٦)، ومسلم (٢٩٩).

(٣) أبو سعيد الخدري: هو سعد بن مالك بن سنان بن عبيد الأنصاري، له ولأبيه صحبة، واتسفر بأحد، ثم شهد ما بعدها، وكان من الحفاظ للكثيرين العلماء الفضلاء المقلاء، أحاديثه (١١٧٠) توفي رضي الله عنه بالمدينة سنة ٧٤هـ الاستيعاب

١٦٧/٢، أسد الغابة ٢/٢١٣، الإصابة ٣/٦٥، سير أعلام النبلاء ٣/١٦٨، وتقریب التهذيب ١٧٢.

(٤) انظر: شرح الملل ١/٤٢٤، النكت لابن حجر ٢/١٦٨، وتوضيح الأفكار ٢/١٨.

(٥) شرح الملل ١/٤٢٤.

قال القاضي عياض: ((فأما متى جاء ما يعارضه، وروت الجماعة خلافه، فالرجوع إلى قول الجماعة والحفاظ أولى من باب الترجيح.

وهذا أيضا أصل في الشهادة المتعارضة في مراعاة الأعدل على المشهور، واختلف المذهب في الترجيح فيها بالكثرة^(١).

وقال ابن الصلاح: ((ما كان مخالفا منافيا لما رواه الثقات فمردود))^(٢).

وقال الشيخ الأمين الشنقيطي: ((واعلم أن التحقيق في هذه المسألة أن فيها تفصيلا لأنها واسطة وطرفان.

طرف لا تقبل فيه الزيادة على التحقيق وهو ما إذا كانت الزيادة مخالفة لرواية الثقات الضابطين، لأنها يحكم عليها حينئذ بالشذوذ فترد...))^(٣).

- وإن لم تكن مخالفة لمن هو أكثر منه وأوثق فهذه لها ثلاث حالات:

الحالة الأولى: أن يعلم تعدد المجلس، فإن هذه الزيادة تقبل باتفاق^(٤).

قال الآمدي: ((فلا نعرف خلافا في قبول الزيادة))^(٥).

- لأن الثقة لو انفرد بمحدث لقبول فكذا في الزيادة في حديث.

- وإمكان انفراده دون غيره بحفظ الزيادة، لاحتمال عروض الطوارئ والعوارض لغيره من الحفاظ^(٦).

الحالة الثانية: أن يشكل الحال، فلا يعلم هل تعدد المجلس أو اتحد، فالزيادة مقبولة أيضا^(٧).

(١) النكت لابن حجر ١٦٤/٢ - ١٦٥.

(٢) إكمال المعلم، المقدمة ١٠٤/١.

(٣) المقدمة مع التقييد والإيضاح ٩٢، البحر المحيط ٣/٣٩١.

(٤) للمذكرة ١٣٥.

(٥) مختصر ابن الحاجب مع المضد ١٥٦، شرح تنقيح الفصول ٢٩٧، نثر الورود ٣٩٦/١، تيسير التحرير ١٠٩/٣، فوائح الرحوت ٢٢١/٢، البرهان ٢٥٥/١، المستصفى ٣١٥/١، المحصول ٤٧٣/٤، نهاية السؤل ٣٧٥/٢، الإمّاج ٢/٣٤٦، التمهيد ١٥٣/٣، شرح مختصر الروضة ٢/٢٢٠، شرح الكوكب المنير ٥٤١/٢، إرشاد الفحول ٨٧، الكفاية في علم الرواية ٤٢٤، توضيح الأفكار ١٣٢/٢.

(٦) الإحكام للآمدي ١٢٠/٢.

(٧) انظر التعليل في أكثر المراجع السابقة، مع المذكرة ١٣٤، المستصفى ٣١٥/١.

(٨) ينظر أكثر المراجع السابقة في الإحالة رقم (٤).

قال الآمدي: ((وحكمه حكم المتحد وأولى بالقبول نظرا إلى احتمال التعدد.

وذكر صاحب فوائح الرمحوت الاتفاق على قبولها، وكذلك صاحب تيسير التحرير، فقال: ((فإن تعدد المجلس، أو جهل تعدده قبلت الزيادة اتفاقا لاحتمال وقوع الزيادة في مجلس الانفراد على التقدير))^(١).

الحالة الثالثة: أن يتحد المجلس، فإن كان غيره لا يغفل مثلهم عن مثلها عادة لم تقبل^(٢).

وإلا ففي المسألة خلاف، وهو محط النظر في المسألة:

رأى القاضي عياض في مسألة زيادة الثقة:

يرى القاضي عياض قبول زيادة الثقة إذا كان الراوي شارك الثقات في الحفظ والرواية، وهو ما عليه الجمهور.

حيث قال: ((اختلف الناس في الراوي الثقة إذا انفرد بزيادة في الحديث عن سائر رواة شيخه.

- فذهب معظم الفقهاء والأصوليين والمحدثين إلى قبول زيادته.

- وذهب بعض أصحاب الحديث إلى ردها، وهو مذهب معظم أصحاب أبي حنيفة^(٣).

والصواب في ذلك كله ما ذهب إليه أهل التحقيق من الفريقين، وأشار إليه مسلم في هذا الفصل، من جواز قبوله، إذا كان الراوي شارك الثقات في الحفظ والرواية، بخلاف إذا لم يشاركهم ولا وافقهم فيما رووه، ثم انفرد هو برواية الكثير مما لم يرووه عن أشياخهم، ولا عرفه أولئك المشاهير من حديثهم، فهذا ينكر ولا يقبل، ويستراب جملة حديثه ويترك لتهمتنا إياه، إما بسوء الحفظ والروم، والتساهل.

بخلاف الزيادة في الحديث نفسه، أو رواية الحديث الواحد من هذا الفن فإن مثل هذا يقبل منه لثقتة، فإن ظهر فيها وهم لم يقدح في عدالته، واحتمل الصحة حديثه واستقامة روايته لغيره.

(١) تيسير التحرير ١٠٩/٣، فوائح الرمحوت ٢٢١/٢.

(٢) تيسير التحرير ١٠٩/٣، فوائح الرمحوت ٢٢١/٢، مختصر ابن الحاجب مع العضد ١٥٦، مع تنقيح الفصول ٢٩٧، نثر الورود ٣٩٦/١، الإحكام للآمدي ١٢١/٢، الإجماع ٣٤٦/٢، نهاية السؤل ٣٧٥/٢، التمهيد ١٥٣/٣، شرح الكوكب للنير ٥٤٣/٢، قال: ((وعلم مما تقدم أنه إن اتحد المجلس، ولم يتصور غفلة من فيه عادة أن زيادته لا تقبل، وهذا الصحيح عند الأكثر، وذكره بعضهم إجماعا.

(٣) انظر البرهان ٢٥٥/١، نهاية السؤل ٣٧٥/٢، البحر المحيط ٣٨٧/٣.

وقد بين مسلم رحمه الله الغرض فيه وأجاد، وحملنا زيادته هذه التي لم نر ما يطلها ويعارضها على أنه حفظ ما لم يحفظ غيره، وضبط ما لم يضبطه أصحابه.

وعلى هذا ثبتت زيادة الشاهد على غيره من الشهداء معه، ما لم تكن الشهاداتان في صورة المعارضة.

وعلى هذا ألف أئمة الحديث الغرائب والأفراد من الحديث، وعدوه في الصحيح. فأما متى جاء ما يعارضه، وروى الجماعة خلافه، فالرجوع إلى قول الجماعة والحفاظ أولى من باب الترجيح^(١).

* وفي المسألة أقوال أخرى أوصلها الزركشي في البحر المحيط إلى أربعة عشر قولاً^(٢). وأرجحها قول الجمهور، وهو قبول زيادة الثقة العدل الحافظ الضابط.

وسبق دليل الجمهور للقبول عند الحالة الأولى. ملاحظة: تحقيق مذهب المحدثين.

قال الحافظ ابن حجر: ((والذي يجري على قواعد المحدثين، أنهم لا يحكمون عليه بحكم مستقل من القبول والرد، بل يرجحون بالقرائن))^(٣).

فرع: حكم الحديث الذي يرويه بعضهم مراسلاً، وبعضهم متصلاً.

إذا أسند الحديث ثقة عدل، وأرسله الباقر، أو رفعه ووقفوه، أو وصله وقطعوه.

قال ابن رجب: ((ولا فرق في الزيادة بين الإسناد والمتن))^(٤).

قال الزركشي في السلاسل: ((وهذا الخلاف يلتفت على قبول زيادة الثقة لأنه أتى بزيادة))^(٥).

أقوال العلماء في المسألة:

فقد اختلف أهل العلم في المسألة على خمسة أقوال^(٦).

(١) إكمال المعلم، المقدمة ١٠٤/١.

(٢) البحر المحيط ٣/٣٨٦.

(٣) النكت لابن حجر ٢/١٦٤.

(٤) شرح العلل ١/٤٢٦.

(٥) سلاسل الذهب ٣٢٩.

(٦) وانظر الأقوال في مختصر ابن الحاجب مع العضد ١٥٦، نثر الورود ١/٣٩٣، للذكرة ١٣٦، كشف الأسرار ٧١٣ وتيسير التحرير ٣/١٠٩، فواتح الرحموت ٢/٢٢١، الإحكام ٢/١٢٣، نهاية السؤل ٢/٣٧٦، البحر المحيط ٣/٢٩٥، سلاسل

القول الأول: إنه بمثابة الزيادة من الثقة، وهي مقبولة.

وهو رأي القاضي عياض رحمه الله^(١)، حيث قال: ((وكذلك جاء اختلافهم متى أسند الحديث واحد وأرسله الباقر، وأكثر المحدثين على رد هذا الوجه.

والصواب في ذلك كله ما ذهب إليه أهل التحقيق من الفريقين، وأشار إليه مسلم في هذا الفصل من جواز قبوله إذا كان الراوي شارك الثقات في الحفظ والرواية، بخلاف إذا لم يشاركهم ولا وافقهم فيما روه، ثم انفرد هو برواية الكثير مما لم يرووه عن أشياخهم ولا عرفه أولئك المشاهير من حديثهم، فهذا ينكر ولا يقبل ويستتاب جملة حديثه ويترك...))^(٢).

* وهذا القول هو المذكور في جل الكتب الأصولية، والمرضى عندهم^(٣).

القول الثاني: أن الحكم للمسند إذا كان ثابت العدالة ضابطاً للرواية فيجب قبول خبره ويلزم العمل به وإن خالفه غيره وسواء كان المخالف له واحداً أو جماعة.

صحح هذا القول الخطيب البغدادي^(٤)، وقال ابن الصلاح: ((هو الصحيح في الفقه وأصوله))^(٥)، وحكى القاضي أبو بكر في التقريب فيه اتفاق أهل العلم، وحزم به الصوري.

قال النووي: ((وإذا ثبت أنه روى متصلاً ومرسلاً، فالعمل على أنه متصل هذا هو الصحيح الذي قاله الفقهاء، وأصحاب الأصول، وجماعة أهل الحديث، ولا يضر كون الأكثرين روه مرسلاً، فإن الوصل زيادة ثقة وهي مقبولة))^(٦).

الذهب ٣٢٩، التمهيد ١٤٤/٣، شرح الكوكب المنير ٥٥٠/٢، إرشاد الفحول ٨٧، الكفاية ٤١١، التقييد والإيضاح ٧٧، توضيح الأفكار ١٦/٢.

(١) واختاره إلكيا الهراسي وابن الممام.

(٢) إكمال المعلم، المقدمة ١٠٤/١.

(٣) انظر المراجع الأصولية السابقة.

(٤) أحمد بن علي بن ثابت، أبو بكر البغدادي، الإمام المحدث المورخ الأصولي، صاحب التصانيف ومنها: تاريخ بغداد، والكفاية في علم الرواية، وشرف أصحاب الحديث، ولد سنة (٣٩٢هـ) ومات سنة (٤٦٣هـ). وفيها الأعيان ٩٢/١.

(٥) قال ابن رجب: ثم إن الخطيب تناقض، فذكر في كتاب الكفاية للناس مذاهب في اختلاف الرواة في إرسال الحديث ووصله، كلها لا تعرف عن أحد من متقدمي الحفاظ، إنما هي مأخوذة من كتب المتكلمين.

ثم إنه اختار الزيادة من الثقة تقبل مطلقاً كما نصره المتكلمون وكثير من الفقهاء، وهذا يخالف تصرفه في كتاب تمييز المزيد، وقد عاب تصرفه في كتاب تمييز المزيد بعض محدثي الفقهاء، وطمع فيه لموافقة لهم في كتاب الكفاية. شرح الملل ٤٢٨/١.

(٦) مقدمة ابن الصلاح مع التقييد ٧٧.

القول الثالث: الحكم لمن أرسله.

حكاه الخطيب البغدادي وغيره عن أكثر أهل الحديث.

القول الرابع: أن الحكم للأكثر، فإن كان من أسنده أكثر ممن أرسله فالحكم للإرسال، وإلا فالوصل.

القول الخامس: أن الحكم للأحفظ^(١).

وعلى هذا لو أرسل الأحفظ فهل يقدح ذلك في عدالة من وصله أم لا، قولان. أصحهما وبه صدر ابن الصلاح كلامه: المنع.

وقال: ((ومنهم من قال: يقدح في سنده وفي عدالته وفي أهليته))^(٢).

(١) شرح صحيح مسلم، المقدمة ٣٣/١.

(٢) قال ابن رجب: وكلام أحمد وغيره من الحفاظ، يدور على اعتبار قول الأوثق في ذلك والأحفظ أيضاً. شرح العلل ٤٢٧/١.

(٣) التقييد والإيضاح ٧٧، البحر المحيط ٣/٣٩٦.

مسألة: ذكر سبب الجرح والتعديل.

تعريف الجرح:

هو أن ينسب إلى الشخص ما يردُّ قوله لأجله، من فعل معصية كبيرة، أو صغيرة، أو ارتكاب دنيئة^(١).

تعريف التعديل:

هو نسبة ما يقبل لأجله قول الشخص، مثل أن ينسب إلى الخير، والعفة، والصيانة، والمروءة، والتدين^(٢).

رأي القاضي عياض في المسألة:

لم يصرح القاضي عياض برأيه في المسألة، والذي يفهم من عرضه الأقوال في المسألة أنه يميل إلى القول بعدم الاستفسار في الجرح والتعديل، إن كان المجرح أو المعدل عالماً بصيراً بوجوه الترجيح، وإن لم يكن عالماً استفسرناه.

حيث قال: ((أما الخير إذا أطلق عارف بصير فيه بالجرح، فقد عدت به الثقة))^(٣).

وقوله هذا قريب من رأي الغزالي والرازي حيث قال: ((والحق أن هذا يختلف باختلاف أحوال المزكي، فإن علمنا كونه عالماً بأسباب الجرح والتعديل اكتفينا بإطلاقه، وإن علمنا عدالته في نفسه، ولم نعرف إطلاعه على شرائط الجرح والتعديل استخبرناه عن الجرح والتعديل))^(٤).
هذا نص كلام الرازي، ومثله للحوييني، والغزالي.

أقوال أهل العلم في المسألة:

قال القاضي عياض: ((أما تعيين سبب الجرح في الخير والشهادة فقد اختلف فيه العلماء من الفقهاء والأصوليين:

(١) شرح مختصر الروضة ١٦٢/٢، المدخل لابن بدران ٢١٤، شرح غاية السؤل ٢٢٣.

(٢) شرح مختصر الروضة ١٦٢/٢، المدخل لابن بدران ٢١٤، شرح غاية السؤل ٢٢٣.

(٣) إكمال المعلم، المقدمة، ٢٣٨/١.

(٤) المحصول ٤/٤١٠.

- فأوجه بعضهم مطلقا، وهو اختيار الشافعي وبعض أئمتنا.
- ولم يوجه آخرون، وهو اختيار القاضي أبو بكر، وجماعة غيره من أئمتنا. ورأوا قبول الجرح مطلقا دون ذكر السبب.
- وذهب بعضهم إلى أن المجرح إذا كان عالما بصيرا بوجوه التحريم لم نستفسره، وإلا استفسرناه.
- وهم في الشهادة أضيّق، والميل فيها إلى الاستفسار أصوب، إذ قد يجرح الشاهد - وإن كان مجرّحه بصيرا بوجوه الترجيح - بما يعتقد جرحه، والحاكم لا يراه لاختلاف الاجتهاد.
- أما الخبر إذا أطلق عارف بصير فيه بالجرح فقد عدت به الثقة^(١).
- * ما ذكره القاضي عياض هنا من أقوال العلماء في المسألة هي أهمها، وكلامه فيها منصب على الجرح فقط دون التعديل، ولكن كثيرا من الأصوليين والمحدثين يجرون الأقوال التي ذكرها على التعديل أيضا ويعقدون المسألة لهما معا:
- فأقول اختلف أهل العلم في المسألة على عدة أقوال:

القول الأول:

- يجب ذكر سبب الجرح دون التعديل، وهو مذهب الجمهور.
- منهم الحنفية^(٢)، والأشهر من قول مالك^(٣)، واختاره القرطبي، وهو قول الإمام الشافعي^(٤)، وأحد قولي الإمام أحمد وعليه أكثر أصحابه^(٥). وأكثر المحدثين وهو مذهب البخاري ومسلم^(٦).
- قال الخطيب: ((وذهب إليه الأئمة من حفاظ الحديث ونقاده، كالبخاري ومسلم^(٧).

(١) إكمال المعلم، المقدمة، ٢٣٨/١.

(٢) تيسر التحرير ٦١/٣، فواتح الرحموت ١٩٣/٢، البحر المحيط ٣٥٢/٣.

(٣) نقل ذلك الزركشي في البحر المحيط ٣٥٢/٣، والشوكاني في إرشاد الفحول ص ١٠٤.

وانظر للمذهب المالكية: مختصر ابن الحاجب مع شرحه المعضد ١٤٧، شرح تنقيح الفصول ٢٨٤.

(٤) الريهان ٢٣٧/١، المستصفى ٣٠٤/١، المحصول ٤٠٩/٤.

(٥) قال ابن بدران: وهو القول المنصور عندنا. للدخل ص ٢١٤.

التمهيد لأبي الخطاب ١٢٨/٣، أصول الفقه لابن مفلح ٥٤٩/٢، شرح الكوكب للنير ٤٢٠/٢، للمختصر في أصول الفقه لابن

البحر ص ٨٦.

(٦) مقدمة ابن الصلاح مع شرحها التقييد والإيضاح ١١٧، تدريب الرلوي ٣٥٩/١، توضيح الأفكار ٩٤/٢، الباعث الحثيث

٩٦.

(٧) انظر المراجع السابقة (٥).

وقال عبد العزيز البخاري عنه: ((وهو مذهب عامة الفقهاء والمحدثين))^(١).

وقال الزركشي: وهو الصحيح.

القول الثاني: عكسه، أي: يجب ذكر سبب التعديل دون الجرح.

قاله الإمام أحمد في أحد قوليهِ^(٢)، واشترطه ابن حمدان^(٣) من الحنابلة^(٤) للمسارعة إلى التعديل، بناءً على الظاهر^(٥).

القول الثالث: لا بد من ذكر السبب فيهما جميعاً.

حكاه الأصوليون والمحدثون^(٦)، وهو اختيار الشوكاني^(٧).

القول الرابع: لا يجب ذكر السبب فيهما جميعاً^(٨).

(١) كشف الأسرار ١٤٣/٣.

(٢) التمهيد لابن الخطاب ١٢٨/٣، الروضة لابن قدامة ٣٩٧/١، شرح مختصر الروضة ١٦٢/٢، المختصر في أصول الفقه ٨٦.

(٣) أحمد بن حمدان بن شبيب بن حمدان بن محمود، نجم الدين النمري، الحراني، الفقيه الأصولي، القاضي، كان عارفاً بالأصلين، والخلاف والأدب، صاحب التصانيف منها: الرعاية الصغرى، والرعاية الكبرى، والوأي في أصول الفقه، توفي سنة (٦٩٥هـ).

الذيل على طبقات الحنابلة ٢/٣٣٠، الدر المنضد ٤٣٦/١.

(٤) شرح الكوكب المنير ٤٢٣/٢.

(٥) الرهان ١/٢٣٧، الإحكام للآمدي ٢/٩٨، نهاية السؤل ٢/٢٤٧، الإهاج ٢/٣٢١، تدريب الراوي ١/٣٦١، توضيح الأفكار ١/٩٥.

(٦) الإحكام ٢/٩٨، مختصر ابن الحاجب ١٤٧، البحر المحيط ٣/٣٥٢، قال: وبه قال للماوردي، شرح الكوكب المنير ٤٢٣/٢.

(٧) إرشاد الفحول ١٠٤، شرح الكوكب المنير ٤٢٣/٢، وحكاه رواية عن الإمام أحمد، وقال اختاره جماعة من العلماء منهم ابن الباقلائي، وحكي عن الحنفية، تدريب الراوي ١/٣٦١، توضيح الأفكار ٢/٩٥.

(٨) مختصر ابن الحاجب مع شرحه العضد ١٤٧، شرح تنقيح الفصول ٢٨٤، كشف الأسرار ٣/١٤٣، تيسير التحرير ١/٦١، فواتح الرحموت ٢/١٩٣، المستصفى ١/٢٠٤، المحصول ٤/٤١٠، نهاية السؤل ٢/٣٤٧، الإهاج ٢/٣٢١.

وقد عم إمام الحرمين وغيره في نسبة القول الباقي إليه وصحح عنه هذا القول.

اختاره الآمدي^(١)، وجمع من العلماء.

قال السيوطي عن هذا القول: ((وهذا اختيار القاضي أبي بكر، ونقله عن الجمهور، واختاره إمام الحرمين، والغزالي والرازي والخطيب^(٢)، وصححه الحافظ أبو الفضل العراقي، والبلقيني في محاسن الاصطلاح^(٣))).

قال الغزالي في المستصفى: ((والصحيح عندنا أن هذا يختلف باختلاف حال المزكي، فمن حصلت الثقة ببصيرته، يكتفى بإطلاقه، ومن عرفت عدالته في نفسه، ولم تعرف بصيرته بشروط العدالة، فقد نراجعه إن فقدنا عالماً بصيراً به وعند ذلك نستفصله^(٤))).

ومثله لإمام الحرمين في البرهان والرازي في المحصول.

القول الخامس: إن كان من جرح بحملاً، قد وثقه أحد من أئمة هذا الشأن، لم يقبل الجرح فيه من أحد كائناً من كان إلا مفسراً، لأنه قد ثبت له رتبة الثقة، فلا يزحزح عنها إلا بأمر جلي، فإن أئمة هذا الشأن لا يوثقون إلا من اعتبروا حاله في دينه، ثم في حديثه، وتفقدوه كما ينبغي، وهم أيقظ الناس، فلا ينقض حكم أحدهم إلا بأمر صريح.

وإن خلا عن التعديل قبل الجرح فيه غير مفسر، إذا صدر من عارف، لأنه إذا لم يقبل فهو في حيز المجهول، وإعمال قول المجرح فيه أولى من إهماله. وهو اختيار الحافظ ابن حجر^(٥).

أدلة الجمهور:

شرح الكوكب المنير ٤٢٣/٢، شرح مختصر الروضة ١٦٢/٢، قال الطوي: وملهب أبي بكر في عدم اشتراط بيان السبب فيهما حسن جيد، مع أنه رجح قول الجمهور. إرشاد الفحول ١٠٢.

(١) الإحكام للآمدي ٩٨/٢.

(٢) الراجع أن الخطيب على قول الجمهور، حيث سبق النقل عنه في القول الأول.

وقال الصنعاني في توضيح الأفكار: وقال الخطيب: هو الصواب عندنا. اهـ فذكر السيوطي له هاهنا فيه نظر.

(٣) تدريب الراوي ٣٦٢/١.

(٤) للمستصفى ٣٠٤/١، البرهان ٢٣٧/١، المحصول ٤١٠/٤.

(٥) تدريب الراوي ٣٦٢/١، شرح نخبه الفكر ٥٤.

- قالوا لأنه قد يجرح بما لا يكون جارحا لاختلاف المذاهب والناس في الجرح، وأما العدالة فليس لها إلا سبب واحد^(١).

- ولأن أسباب التعديل كثيرة، فيشق ذكرها، بخلاف الجرح فإنه يحصل بأمر واحد.

- وللإختلاف في سبب الجرح، فرمما ذكر شيئا لا جرح فيه.

سبب الإختلاف في المسألة:

قال الزركشي: ((الجرح والتعديل هل يقبلان أو أحدهما من غير ذكر سبب فيه خلاف منشؤه أن المعدل والمجرح هل هو مخير فيصدق، أو حاكم ومفت فلا يقلد))^(٢).

(١) المحصول ١/٤٠٩، للمستصفي ١/٣٠٤، راجع ما سبق ذكره من المراجع للمذاهب.

(٢) البحر المحيط ٣/٣٥١.

ما الحكم إذا تعارض الجرح والتعديل؟

رأي القاضي عياض

قال رحمه الله: ((وذكر مسلم تجريح قوم لجماعة فيهم من يوجد تعديلهم لآخرين من الأئمة، وهذه المسألة اختلف فيها المحدثون والفقهاء والأصوليون في باب الخير والشهادة، وقالوا: إذا عدل معدلون رجلا وجرحه آخرون فالجرح أولى، وحكوا في ذلك إجماع العلماء مع الحجة بأن المجرح زاد ما لم يعلمه المعدل وهو بين. ^(١)

[تحرير محل النزاع]

- ولا خلاف في هذا إذا كان عدد المجرحين أكثر، فإن تساوا فكذلك عند القاضي أبي بكر - الباقلاني - والجمهور.

- وذهب بعض المالكية إلى توقف الأمر عند التكافؤ، وقيل يقضى بالأعدل.

فإن كان عدد المعدلين أكثر، فالجمهور على تقدم الجرح للعللة المتقدمة.

- وذهبت طائفة إلى ترجيح التعديل

- وقال الباجي: وهذا عندي يحتاج إلى تفصيل فإذا قال المعدل هو عدل رضي، وقال المجرح فاسق رأيته أمس يشرب الخمر فلا تنافي بين الشهادتين. وقد أثبت هذا فسقاً لم يعلمه الآخر، فأما لو قال المعدل ما فارقني أمس الجامع ومثل هذا، فقد تعارضت الشهادتان ولعل توقف من توقف من أصحابنا لهذا الوجه. ^(٢)

(١) انظر للمسألة في إحكام الفصول ٣٨٥/١، مختصر بن الحاجب مع العضد ١٤٨، نثر الورود ١/٤٠٤، المذكرة ١٢٣،

تيسر التحرير ٦٠/٣، فوائح الرحموت ١٩٧/٢، الملصق ٢٢٩، المستصفى ٣٠٥/١، المحصول ٤/٤١٠، الإحكام ٩٩/٢،

الإمجاج ٣٢٢/٢، نهاية السؤل ٣٤٧/٢، البحر المحيط ٣/٣٥٤، الروضة ١/١٩٦، شرح مختصر الروضة ٢/١٦٦، المختصر في

أصول الفقه ٨٧، شرح الكوكب المنير ٢/٤٣٠، المدخل ٢١٥، إرشاد الفحول ١٠٤، الكفاية ١٠٧، للقدمة مع التقييد ١١٩،

تدريب الراوي ١/٣٦٤، مقدمة الإكمال تحقيق شواطئ ٣٠٠.

(٢) كلام الباجي في إحكام الفصول ١/٣٨٦.

- وقال اللخمي: إذا كان اختلافهما في ذلك عن كلام قاله في مجلس أو فعل فعله قُضي بالأعدل لأنه تكاذب. وهذا نحو ما أشار إليه الباجي .

- وإن كان عن مجلسين متباينين غلب الجرح وإليه يرجع قول الجمهور.

- وإن تباعدت شهادة المعدل من شهادة المجرح قضي بآخرهما-وهذا مما لا يختلف فيه- إلا أن يُعلم أنه كان حين شهد عليه بتقادم الجرح ظاهر العدالة إذ ذاك، حسب ما هو عليه الآن فيغلب الجرح .

- قال القاضي: ثم يرجع إلى الأصل عند تعارض الشهادتين، فإن كان محمولا على العدالة، وجاءت بعد مثل هذه الشهادة مضت عدالته على ما تقدم له وعرف من حاله إذ سقطت الشهادتان، وإن كان على غير ذلك بقي حكمه الأول.

* وهل يترجح التعارض مع القول بالتوقف بالكثرة على الخلاف المتقدم ((^(١)).

رأي القاضي في المسألة:

والظاهر من صنيع القاضي أنه يميل في كثير من صور المسألة إلى رأي الجمهور القائلين بتقدم الجرح، يدل على هذا قوله "... مع الحجة بأن المجرح زاد ما لم يعلمه المعدل وهو بين" ولقوله "وإن كان الخلاف عن مجلسين متباينين غلب الجرح" ولقوله "إلا أن يعلم أنه كان حين شهد عليه بتقادم الجرح ظاهر العدالة إذ ذاك، حسب ما هو عليه الآن فيغلب الجرح" وحاصل مذهبه التفصيل في صور المسألة.

خلاصة أقوال أهل العلم في تعارض الجرح التعديل ^(٢)

اختلف أهل العلم في المسألة على أقوال خمسة وهي:-

- يقدم الجرح مطلقاً وإن كان الذي عدل أكثر.

- عكسه، وهو تقدم التعديل .

- يقدم الأكثر من الجارحين أو المعدلين.

- أنهما متعارضان، فلا يقدم أحدهما إلا بمرجح.

(١) إكمال للمعلم ، المقدمة ١/١٦٠-١٦١.

(٢) انظر هذه الأقوال والتعليل لها في البحر المحیط ٣/٣٥٤، إرشاد الفحول ١٠٤، تدريب الراوي ١/٣٦٤، مقدمة الإكمال تحقيق شواطئ ص ٣٠٠، مع المصادر السابقة.

- وقيل : يرجح بالأحفظ.

والظاهر -والله أعلم- أن القول بتقديم الجرح المفسر في الصور المختلف فيها أحوط، فيقدم على التعديل.

مسألة: هل رواية الثقة عن المجهول تعديل أم لا؟.

صورة المسألة:

إذا روى الثقة عن شخص مجهول الحال، وكان الثقة لا يروي إلا عن عدل، فهل تكون روايته عن هذا الشخص تعديلاً له أم لا؟

رأى القاضي عياض في المسألة:

قال القاضي عياض: ((وذكر مسلم عن مالك رحمه الله وقد سئل عن رجل فقال: لو كان ثقة لرأيت في كتبي.

هذا ترجيح من مالك رحمه الله، وتعديل منه صريح لكل من أدخله في كتبه.

[أقوال العلماء في المسألة]

وقد اختلف العلماء في رواية الثقة عن المجهول.

- فذهب بعضهم: إلى أنه تعديل^(١).

- وذهب الأكثر: إلى أنه ليس بتعديل، حتى يصرح بعدالته بقوله، أو ما يدل على ذلك^(٢).

(١) وهو اختيار القاضي أبي يعلى وأبو الخطاب ونقلها رواية عن أحمد.

انظر: مختصر ابن الحاجب ١٤٨، تيسر التحرير ٣/٥٠، ٥٦، فواتح الرحموت ٢/١٩٢، اللع ٢٢٩، الزهاني ١/٢٣٨، المستصفى ١/٣٠٥، المحصول ٤/٤١١، الإحكام ٢/١٠٠، الإجماع ٢/٣٢٢، نهاية السؤل ٢/٣٤٨، البحر المحيط ٣/٣٤٨، التمهيد ٣/١٢٩، شرح مختصر الروضة ٢/١٧٧، المختصر في أصول الفقه ٨٨، شرح الكوكب المنير ٢/٤٣٤، للدخل ٢١٥، مقدمة بن الصلاح مع التقييد ١٢٠، تدريب الراوي ١/٣٦٩، الباعث الحثيث ٩٨.

(٢) رواية عن الإمام أحمد، وهو اختيار الشيرازي، وبه جزم الماوردي والرويات وأبو الحسين بن القطان. والصحيح عن أكثر أهل الحديث، قال ابن الصلاح: عند أكثر العلماء من أهل الحديث وغيرهم...والصحيح الأول. اهـ يعني هذا القول.

وقال به الخطيب، والنووي، وابن كثير، والسيوطي، وابن حزم الظاهري.

للمصادر السابقة.

فأما من عرف بمثل حال مالك، ونقل عنه مثل قوله، فروايته عنه وإدخاله في كتبه تصريح بعدالته^(١))).^(٢)

والذي يظهر من هذا النص أن القاضي عياض يذهب إلى التفصيل الذي ذهب إليه جمهور الأصوليين، وهو النظر إلى العدل الراوي: فإن كان عرف من عاداته، أو قوله، أنه لا يروي إلا عن ثقة فهو تعديل، وإلا فلا، وهذا ما دل عليه آخر النص المنقول عنه.

دليل القول الأول:

- قالوا: أن العدل الظاهر تخرجه أن يحدث عمن يعلم كذبه أو فسقه أو يظنه، لأن ذلك يفضي إلى الكذب على رسول صلى الله عليه وسلم، فلما حدثت ظهر لنا أنه قد عرف عدالته، أي عملا بظاهر الحال^(٣).

- العدل لو كان يعلم فيه جرحا لذكره.

والجواب، كما قال الخطيب: ((وهذا باطل، لأنه يجوز أن يكون العدل لا يعرف عدالته، فلا تكون روابته عنه تعديلا، ولا خيرا عن صدقه، بل يروى عنه لأغراض يقصدها))^(٤).

دليل القول الثاني:

- قالوا: لجواز رواية العدل عن غير العدل، فلم تتضمن روابته عنه تعديله، وقد روي عن الشعبي أنه قال حدثنا الحارث الأعور، وكان والله كذاباً.

فلم يكن في الرواية عنه دليل على التعديل^(٥).

- لا يجب العمل بمجرد الرواية، إذ غايته أنه يقول سمعته كذا، فلو عمل به السامع من غير استكشاف، فالتقصير منه. قال الخطيب: ((وجد جماعة من العلول الثقات رووا عن قوم أحاديث

(١) وهو المنصوص عن أحمد، واختاره جمع من الأصوليين منهم: إمام الحرمين، والغزالي، الرازي، والآمدي، وابن الحاجب، والصفي الهندي، وابن القشيري، والكمال بن الهمام، والطوسي، وابن اللحام، وابن عبد الشكور، والسعاوي.

انظر المصادر السابقة، وشرح الملل لابن رجب ٨٠/١.

(٢) إكمال المعلم، المقدمة ١٥٨/١.

(٣) التمهيد ١٣٠/٣.

(٤) الكفاية ٨٩.

(٥) اللمع ٢٢٩، تدريب الراوي ٣٦٩/١.

أمسكوا في بعضها عن ذكر أحوالهم، مع علمهم بأنها غير مرضية، وفي بعضها شهدوا عليهم بالكذب في الرواية، وبفساد الآراء والمذاهب^(١).

الترجيح:

ما ذهب إليه القاضي عياض أعدل الأقوال، وأولها بالصواب، وعليه عمل جماعة من أئمة المحدثين.

قال الخطيب: ((إذا قال العالم كل من أروى لكم عنه وأسميه فهو رضا مقبول الحديث كان هذا القول تعديلاً منه لكل من روى عنه وسماه وقد كان ممن سلك هذه الطريقة عبد الرحمن بن مهدي... قال أبو بكر الأثرم^(٢): سمعت أبا عبد الله يعني أحمد بن حنبل يقول: إذا روى عبد الرحمن عن رجل فروايته حجة^(٣))).

قال الزركشي: ((على أن رواية الثقة عن غيره تعديل له إذا كان من عادته لا يروي إلا عن ثقة وهو أصح الأقوال^(٤))).

(١) ثم ذكر عن يزيد بن هارون قال: ثنا أبو روح وكان مجنوناً، وكان يعالج المجانين، وكان كذاباً.

وعن أبي بكر القاسم بن زكريا المقرئ قال ثنا علي بن الحسين بن كعب وكان رافضياً.

وعن سفيان بن عيينة ثنا عبد الملك بن أعين وكان شيعياً، وكان عندنا رافضياً صاحب رأي.

وعن أبي داود الطيالسي قال قال: شعبة لا تحملوا عن سفيان الثوري إلا عن تعرفون، فإنه كان لا يبالى عن حمل إنه يحدّثكم عن مثل أبي شعيب المهنون. فقال رجل لشعبة ثنا سفيان الثوري عن رجل فسألت عنه في قبيلته فإذا هو لص ينتقب البيوت. انظر: الكفاية ٨٩-٩١.

(٢) عبد العزيز بن جعفر بن أحمد بن يزداد بن معروف، أبو بكر المعروف بعلام الخلال، كان أحد أهل الفهم، موثقاً به في

العلم، متسع الرواية، مشهوراً بالدعابة، له المصنفات في العلوم المختلفة منها: الشافي، المقنع، تفسير القرآن، توفي سنة

(٣٦٣هـ). طبقات الحنابلة ١٩/٢، الدر المنضد ١٧٦/٢.

(٣) الكفاية ٩٢.

(٤) النكت للزركشي ١/٤٧٥، ٤٧٠.

مسألة: رواية المجهول.

أولاً: اعلم أن المجاهيل على أقسام^(١).

الأول: مجهول الحال في العدالة ظاهراً وباطناً مع كونه معروف العين برواية عدلين عنه وفيه أقوال: لا تقبل روايته وهو قول الجماهير وقيل: تقبل مطلقاً، وقيل: تقبل إن كان الراوي عنه لا يرويان عن غير عدل وإلا فلا.

الثاني: المستور (المجهول باطناً وهو عدل في الظاهر)

فعند أبي حنيفة يقبل ما لم يعلم الجرح، وبه قال سليم الرازي وابن فورك^٢ من الشافعية قال سليم: لأن الأخبار مبني على حسن الظن بالراوي، ولأن روايته الأخبار تكون عند من يتعذر عليه معرفة العدالة في الباطن، فاقصر فيها على معرفة ذلك في الظاهر، بخلاف الشهادة، فلأنها تكون عند الحكام، فلا يتعذر عليهم ذلك.^(٣)

قال بن الصلاح: ويشبه أن يكون العمل على هذا الرأي في كثير من كتب الحديث المشهورة في غير واحد من الرواة الذين تقدم العهد بهم وتعذرت الخبرة الباطنة بهم^(٤).

وعند الشافعي لا يقبل ما لم تعلم العدالة كالشهادة

الثالث: مجهول العين وهو من لم يشتهر، ولم يرو عنه إلا راو واحد وفيه أقوال عدة.

تحرير محل النزاع:

- واففقوا على أنه لا تقبل رواية مجهول الإسلام، والتكليف والضبط^(٥).

(١) انظر هذه الأقسام وما فيها من الخلاف في البحر المحيط ٣/٣٣٩، التقييد والإيضاح ١٢١، تدريب الراوي ١/٣٧٢، توضيح الأفكار ٢/١١٥.

(٢) أبو بكر محمد بن الحسن بن فورك، الأصبهاني، الشافعي، أصولي، فقيه، متكلم، مفسر، صاحب التصانيف الكثيرة ومنها: كتاب الحدود في الأصول "الحدود والمواضع" ومقدمة في نكت من أصول الفقه، ومشكل الحديث وبيانه، وتوفي في سنة (٤٠٦هـ). وفيات الأعيان ٤/٢٧٢، شذرات الذهب ٣/١٨٢، سير أعلام النبلاء ٤/٣٣٤.

(٣) التقييد والإيضاح ١٢٢.

(٤) مقدمة بن الصلاح مع التقييد ١٢٢.

(٥) شرح مختصر الروضة ٢/١٤٨، المدخل ٢١٤.

ثانياً: رأي القاضي عياض في المسألة:

يرى القاضي عياض عدم قبول رواية المجهول العدالة، وأن العدالة شرط لا بد منه ولا يكفي مجرد الإسلام كما نسب للإمام أبي حنيفة قال عياض: (وأسقط أبو حنيفة شرط العدالة ورأى أن مجرد الإسلام عدالة في الخبر والشهادة لمن لم يعلم فسقه وجهل أمره) ^(١)

وما رآه عياض هو ما عليه جمهور العلماء من الأصوليين والمحدثين ^(٢) إلا ما نقل عن أبي حنيفة رحمه الله من قبوله رواية المجهول وهو رواية عن أحمد قال الرازي في المحصول: (وقال أبو حنيفة يكفي -في قبول الرواية- الإسلام بشرط سلامة الظاهر عن الفسق) ^(٣).

وقال ابن قدامة: (والرواية الأخرى عن الإمام أحمد -يقبل خبر مجهول الحال في العدالة خاصة دون بقية الشروط وهو مذهب أبي حنيفة^(٤)) ^(٥).

أقوال العلماء في المسألة^(٦):

أحدها: لا يقبل مطلقاً إن كان غير الصحابي ^(٧) وهو الصحيح، وعليه الأكثر من المحدثين وقطع جمع من الأصوليين منهم التاج السبكي.

الثاني: يقبل مطلقاً وهو رأي من لم يشترط في الراوي غير الإسلام.

الثالث: التفصيل إن كان المنفرد بالرواية عنه لا يروي إلا عن عدل، كابن مهدي، ويمحي بن سعيد، واكتفينا بالتعديل بواحد قبل وإلا فلا.

الرابع: إن كان مشهور في غير العلم بالزهد والقوة في الدين قبل، وإلا فلا. وهو لابن

(١) إكمال المعلم، المقدمة ١/١٠٨.

(٢) إحكام الفصول ١/٣٧٣، مختصر بن الحاجب ١٤٦، شرح تنقيح الفصول ٢٨٤، نثر الورود ١/٤٠٢، للمستصفي ١/٢٩٤، الإحكام ٢/٩٠، التمهيد ٣/١٢١.

(٣) المحصول ٤/٤٠٢.

(٤) انظر مذهب أبي حنيفة في أصول السر عسي ١/٣٥٢، كشف الأسرار ٢/٧٤٧، تيسر التحرير ٣/٤٧، فواتح الرحموت ١٨٧/٢.

(٥) الروضة ١/٣٨٩.

(٦) البحر المحيط ٣/٣٣٩، شرح الكوكب المنير ٢/٤١٠، التقييد والإيضاح ١٢١، تدريب الراوي ١/٣٧٢، توضيح الأفكار ٢/١٥٥.

(٧) نثر الورود ١/٤٠٢.

عبد البر.

الخامس: إن زكاه أحد من أئمة الجرح والتعديل مع رواية واحد عنه قبل، وإلا فلا. وهو لأبي الحسين بن القطان.

ثالثاً: تحرير مذهب أبي حنيفة في مسألة المجهول: المجهول الذي قبله أبو حنيفة إنما هو ما كان في صدر الإسلام حيث كان الغالب على الناس العدالة، فأما بعد ذلك فلا بد من التزكية لكثرة الفسق، والفتوى على رأي الصاحبين من عدم قبول رواية المجهول.

قال السرخسي: ((وقلنا نحن المجهول من القرون الثلاثة عدل بتعديل صاحب الشرع إياه ما لم يتبين منه ما يزيل عدالته، فيكون خبره حجة على الوجه الذي قررناه))^(١)

وقال ابن النجار: (وإطلاق القبول عن أبي حنيفة وأصحابه، نقله كثير من العلماء... ونقل البرماوي عن صاحب (البديع) وغيره من الحنفية: أن أبا حنيفة إنما قبل ذلك في صدر الإسلام حيث الغالب على الناس العدالة، فأما اليوم فلا بد من التزكية لغلبة الفسق))^(٢).

رابعاً: حجة الجمهور على رد رواية المجهول^(٣)

١- أن مستند قبول خبر الواحد الإجماع، والمجمع عليه قبول رواية العدل، ورد خبر الفاسق، والمجهول الحال ليس بعدل، ولا هو في معنى العدل في حصول الثقة بقوله.

٢- أن الفسق مانع كالصبا والكفر، فالشك فيه كالشك في الصبا والكفر من غير فرق.

٣- أن شهادته لا تقبل فكذلك روايته وإن منعوا في المال، فقد سلموا في العقوبات. وطريق الثقة في الرواية والشهادة واحد، وإن اختلفا في بقية الشروط.

٤- أن المقلد إذا شك في بلوغ المفتي رتبة الاجتهاد، لم يجوز تقليده، بل قد سلموا أنه لو شك في عدالته، وفسقه لم يجوز تقليد، وأي فرق بين حكاية المقلد عن نفسه اجتهاده وبين حكايته خبراً عن غيره.

(١) أصول السرخسي ٣٥٢/١.

(٢) شرح الكوكب المنير ٤١٢/٢.

(٣) انظر الأدلة الخمس في الروضة ٣٩١/١.

هـ- أنه لا تقبل شهادة الفرع ما لم يعين شاهد الأصل فلم يجب تعيينه إن كان قول المجهول

مقبولاً فإن قالوا: يجب تعيينه: لعل الحاكم يعرفه بفسق فيرد شهادته، قلنا إذا كانت العدالة هي

الإسلام من غير ظهور فسق: فقد عرف ذلك فلم يجب التبع؟

مسألة: متى يخرج عن الراوي حد الجهالة^(١)

رأي القاضي عياض :

يرى القاضي عياض رحمه الله أن حد الجهالة لا ترتفع عن الراوي إلا إذا عرف حاله ولا يكفي في رفع الجهالة رواية رجلين عنه، بل لا بد من معرفة حاله حتى يحكم له بالعدالة. قال القاضي عياض: ((ورأى بعض أهل الحديث أن رواية رجلين عمن روي عنه يخرج عنه حد الجهالة، وإن لم يعرف حاله، والصواب أن الجهالة لا ترتفع عنه بروايتها حتى تعرف حاله، وتحقق عدالته وإن جهل نسبه))^(٢).

وهذا الذي قاله موافق لقول الخطيب البغدادي حيث قال: ((وأقل ما ترتفع به الجهالة أن يروي عنه اثنان فصاعداً من المشهورين بالعلم، إلا أنه لم تثبت له حكم العدالة بروايتها عنه، وقد رويناه ذلك عن محمد بن يحيى الذهلي وغيره))^(٣).

وأيضاً موافق لما نقله أبو الوليد الباجي عن المحققين من أصحاب الأصول: ((ذهب جمهور أصحاب الحديث إلى أن الراوي إذا روى عنه واحد فقط فهو مجهول، وإذا روى عنه اثنان فصاعداً فهو معلوم انتفت عنه الجهالة. وهذا ليس بصحيح عند المحققين من أصحاب الأصول، لأنه قد تروى الجماعة عن الرجل لا يعرفون حاله ولا يخبرون شيئاً من أمره ويحدثون بما رويوا عنه ولا تخرجه روايتهم عنه عن الجهالة به، إذا لم يعرفوا عدالته))^(٤).

قال الزركشي في البحر معقياً على كلام الباجي السابق: ((قلت: مراد المحدثين ارتفاع جهالة العين لا الحال، وعمدتهم أن رواية الاثنين بمنزلة الترجمة في الشهادة))^(٥).

(١) إحكام الفصول ٣٧٣/١، البحر المحيط ٣/٣٤١، مقدمة بن الصلاح مع التقييد ١٢١، تدريب الراوي ١/٣٧٢، توضيح

الأفكار ١١٩/٢، الباعث الخفي ٩٩.

(٢) إكمال المعلم، المقدمة ١/١٠٩.

(٣) الكفاية ٨٨، التقييد والإيضاح ١٢١، تدريب الراوي ١/٣٧٢، توضيح الأفكار ١١٩/٢، الباعث الخفي ٩٩.

(٤) إحكام الفصول ٣٧٣/١.

(٥) البحر المحيط ٣/٣٤٢.

وتعقبهم في ذلك ابن الصلاح فقال: ((قلت قد خرج البخاري في صحيحة حديث جماعة ليس لهم غير راو واحد، منهم مرداس الأسلمي، لم يرو عنه غير قيس بن أبي حازم. وكذلك خرج مسلم حديث قوم لا راوي لهم غير واحد، منهم ربيعة الأسلمي لم يرو عنه غير أبي سلمة بن عبد الرحمن، وذلك مصيراً منهما إلى أن الراوي قد يخرج عن كونه مجهولاً مردوداً برواية واحد عنه. والخلاف في ذلك متجه في التعديل نحو اتجاه الخلاف المعروف في الاكتفاء بواحد في التعديل على ما قد مناه))^(١)

ورُدَّ على ابن الصلاح بأن هؤلاء الذين مثل بهم صحابة وجهالة الصحابي لا تضر للإجماع على تعديلهم. قال النووي: (والصواب نقل الخطيب ولا يصح الرد عليه. مرداس وربيعة فإنهما صحابيَان مشهوران والصحابة كلهم عدول))^(٢).

* * *

(١) مقدمة الصلاح التقييد ١٢٥.

(٢) تدريب الراوي ١/٣٧٤.

مسألة رواية المبتدع.

١- تعريف البدعة:

أ. لغة:

المبتدع: هو صاحب البدعة، وهي اسم من الابتداع، وهي الإنشاء والإيجاد على غير مثال سابق^(١).

قال الراغب: ((الإبداع إنشاء صنعة بلا احتذاء واقتداء... والبدعة في المذهب: إيراد قول لم يستن قائلها وفاعلها فيه بصاحب الشريعة وأمائلها المتقدمة وأصولها المتقنة))^(٢).

ب. البدعة اصطلاحاً:

قال القاضي عياض: ((كل ما أحدث بعد النبي صلى الله عليه وسلم فهو بدعة، والبدعة: فعل ما لم يسبق إليه، فما وافق أصلاً من السنة يقاس عليها فمحمود، و ما خالف أصول السنن فهو ضلالة))^(٣). عرفها الشاطبي بقوله: ((طريقة في الدين مخترعة، تضاهي الشرعية، يقصد بالسلوك عليها ما يقصد بالطريقة الشرعية))^(٤). و((تضاهي الشرعية)): يعني أنها تشابه الطريقة الشرعية من غير أن تكون في الحقيقة كذلك، بل هي مضادة لها^(٥).

ج. المبتدعة:

١- هم أهل الأهواء كالجهمية^(٦) والقدرية والمعتزلة والخوارج والروافض ومن نحا نحوهم^(٧).

(١) المفردات للراغب ص ٤٩، المصباح للنير ص ٢٥، القاموس المحيط ٣/٣، المعجم الوسيط ٤٣/١.

(٢) المفردات ص ٤٩.

(٣) مشارق الأنوار ١/١٢٦.

(٤) الاعتصام للشاطبي ٥١/١ راجع التعريف عنده.

(٥) الاعتصام للشاطبي ٥١/١.

(٦) التحكيم بدعة ظهرت في آخر خلافة بني أمية بترمز على يد الجهم بن صفوان، وكان تلميذاً للحميد بن درهم، وهو من الجهمية الخالصة، وقد أنكرت الجهمية الاستطاعات كلها، وزعموا أن الجنة والنار تبيدان وتقنيان، وزعموا أن الإيمان هو المعرفة بالله تعالى فقط وأن الكفر هو الجهل فقط، ولا فعل ولا عمل لأحد غير الله تعالى، وإنما تنسب الأعمال للمخلوقين على الهماز، إلى غير ذلك من الضلالات، وكان السلف من أشد الرادين على الجهم، ونسبته إلى التعطيل المض، وهو موافق للمعتزلة في نفي الرؤية، وإثبات خلق الكلام، وإيجاب المعارف بالعقل قبل ورود السمع.

الفرق بين الفرق ١٥٨، الملل والنحل ١/٧٣.

(٧) شرح الكوكب النير ٢/٤٠٢، المختصر في أصول الفقه لابن اللحام ٨٥، مقدمة تحقيق شواط في الهامش ١٢٧.

٢- تحرير محل النزاع في المسألة:

اعلم أن المبتدعة على أقسام:

- فإما أن تكون بدعته مكفرة كالمجسمة^(١)، وغلاة الروافض، وغلاة الجهمية.

فهذا لا يقبل على قول جمهور أهل العلم^(٢) وحكى النووي الاتفاق على ذلك لكن السيوطي نازعه وحكى في المسألة أقوالاً أخرى^(٣)، والراجح في المسألة ما قاله الحافظ ابن حجر وغيره قال: ((والتحقيق أنه لا يرد كل مكفر ببذعته لأن كل طائفة تدعي أن مخالفتها مبتدعة، وقد تبالغ فتكفر مخالفتها فلو أخذ على الإطلاق لاستلزم تكفير جميع الطوائف، فالمتعمد أن الذي ترد روايته من أنكر أمراً متواتراً من الشرع، معلوماً من الدين بالضرورة، وكذا من اعتقد عكسه، فأما من لم يكن بهذه الصفة وانضم إلى ذلك ضبط لما يرويه مع ورعه وتقواه، فلا مانع من قبوله))^(٤).

- وإما أن لا تكون مكفرة، بأن كانت بدعة مفسدة:

- فإن كان ممن يستحل الكذب لنصرة مذهبه كالخطابية^(٥) والكرامية فلا يقبل اتفاقاً^(٦).

(١) المجسمة: هم المشبهة، وهم الذين شبهوا الله سبحانه وتعالى بالخلق في ذاته أو صفاته، وقولهم عكس قول النصارى، فإن النصارى شبهوا المخلوق بالخالق.

انظر: مقالات الإسلاميين ٢٠٧/١، الفرق بين الفرق ٢١٤، شرح العقيدة الطحاوية ٧٩١.

قال شيخ الإسلام في الصفدية ٢/٣٣: فالاعتماد في تنزيه الباري على نفي الجسم طريقة مبتدعة في الشرع متناقضة في العقل فلا تصح لا شرعاً ولا عقلاً.

أما الشرع: فإنه لم يرد بذلك كتاب، ولا سنة، ولا قول أحد من السلف، والأئمة. بل الكلام في صفات الله بنفي الجسم أو إثباته بدعة عند السلف والأئمة.

(٢) مختصر ابن الحاجب مع العضد ص ٨٥، نثر الورود ٣٩٨/١، تيسر التحرير ٤١/٣، الإحكام للأمندي ٨٥/١، الإجماع ٣١٣/٢، نهاية السؤل ٣٣٦/٢، البحر المحيط ٣٢٩/٣، التمهيد لأبي الخطاب ١١٥/٣، الروضة ٣٨٣/١، شرح الكوكب المنير ٤٢٠/٢، الكفاية للمحيط ١٢١، مقدمة ابن الصلاح مع التقييد ١٢٦، توضيح الأفكار ١٧٦/٢.

(٣) تدريب الراوي شرح تقريب النووي ٣٨٣/١، الباعث الحثيث ١٠١، وانظر شرح النعبة ٣٢.

(٤) شرح نغية الفكر ٣٢، ونقل هذا الكلام في قواعد التحديث ١٩٤ عن ابن دقيق العيد.

وانظر: البحر المحيط ٣٣٠/٣.

(٥) أصحاب أبي الخطاب محمد بن أبي زينب الأسدي الأجدع مولى بني أسد، الذي غلا في أبي عبد الله جعفر الصادق، فلعله وطرده وأمر أصحابه بالبراءة منه ولعنه، والخطابية من غلاة طوائف الشيعة المشبهة، وهم فرق عدة، وكلهم حيارى ضالون، يقولون بإلهية الأئمة من آل البيت.

الفرق بين الفرق ٢٢٣، والملل والنحل ١٧٩/١.

- وإن كان لا يستحل الكذب لنصرة مذهبه، فقد اختلف العلماء في قبول روايته.

قال صاحب فوائح الرحموت: ((ثم اعلم أن الخلاف في أصحاب البدع الذين لم يبيحوا الكذب، وأما المبيحون كالكرامية فلا تقبل روايته ألبته، لأنه لما جاز في دينهم على زعمهم الكذب لا يبالون بالارتكاب عليه، ومنهم الروافض الغلاة والإمامية فإن الكذب فيهم أظهر وأشهر...))^(١).

٣- رأي القاضي عياض في المسألة:

يرى القاضي عياض: رد رواية المبتدعة مطلقا، وهذا ما صرح به حيث قال: ((وقوله: (وينظر إلى أهل البدع فلا يؤخذ حديثهم) مع ما ذكره عن السلف والأئمة من مثل هذا، يؤيد ما قلناه في ترك روايتهم، خلاف ما حكاه الغساني من الاتفاق على قبوله، إذ لم يكونوا دعاة ولا غلاة وظهر صدقهم، وقد ذكرنا أن أبا عبد الله بن البيع ذكرهم في القسم الخامس.

قال القاضي عياض: وإلى قبول روايتهم وشهادتهم مال الشافعي.

وقال مالك: لا يؤخذ الحديث عن صاحب هوى يدعو إلى هواه.

فانظر اشتراطه الدعاء، هل هو ترخيص في الأخذ عنه إن لم يدع، أو أن البدعة سبب لتهمة أن يدعو الناس إلى هواه؟ أي: لا تأخذوا عن ذي بدعة، فإنه ممن يدعو إلى هواه؟ أو أن هواه يحمله أن يدعو إلى هواه فاتهمه لذلك؟ وهذا المعروف من مذهبه.

وقد تأول الباجي: أن معنى يدعو يظهرها ويحقق عليه، فأما من دعا فلم يختلف في ترك حديثه.

وقد ذم مسلم بعد هذا الرواية عنهم.

وأما القاضي أبو بكر الباقلاني في طائفة من المحققين من الأصوليين والفقهاء والمحدثين من السلف والخلف فأبو قبول خير المبتدعة والفساق والمتأولين، ولم يعذرهم بتأويل، وقالوا: هو فاسق بقوله: فاسق بجهله، فاسق ببدعته، فتضاعف فسقه.

وعلى هذا وقع خلاف الفقهاء في شهادتهم، فقبلها الشافعي وابن أبي لبلى، وردها مالك وغيره.

(١) الإحكام للآمدي ٩٥/٢، البحر المحيط ٣/٣٢٩، إرشاد الفحول ٧٩، توضيح الأفكار ١٧٨/٢.

(٢) فوائح الرحموت ١٧٩/٢.

وكذلك لا يشترط فيمن دعا إلى بدعته ما ذكره الغساني من افتعاله الحديث، وتحريفه الرواية لنصرة مذهبه، فإن هذا ثبت كذبه وطرح قوله، ولم يكن ذا بدعة، ومن شهر بالبدعة ائمنه أن يفعل هذا وإن لم يفعله، لثبوت فسقه ببذعته.

قال مالك: لا يؤخذ الحديث عن أربعة، ويؤخذ ممن سواهم: رجل معلن بفسقه، وإن كان أروى الناس، ورجل يكذب في أحاديث الناس، وإن كنت لا تهمه على حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، وصاحب بدعة يدعو إلى بدعته، ورجل له فضل لا يعلم ما يحدث به^(١).

٤- أقوال العلماء في المسألة^(٢):

اختلف أهل العلم في المسألة إلى ثلاثة أقوال.

القول الأول: رد رواية المبتدع مطلقاً.

وهو قول الإمام مالك^(٣)، ورواية عن الإمام أحمد^(٤)، وبها قال القاضي الباقلاني والقاضي عبد الجبار، والجبائية، واختاره الشيرازي، والأستاذ أبو منصور والآمدي، والقاضي أبو يعلى^(٥).

القول الثاني: يقبل مطلقاً، إن لم يكن ممن يستحل الكذب.

وهو مذهب الإمام الشافعي^(٦)، وبه قال ابن أبي ليلى، وسفيان الثوري^(٧)، وأبو يوسف^(٨) وهو رواية عن الإمام أحمد^(٩) واختارها أبو الحسين البصري، والرازي وأتباعه^(١٠).

(١) إكمال المعلم، المقدمة ١٢٥/١-١٢٦.

(٢) وفي المسألة أقوال أخر. انظرها في شرح علل الترمذي ٥٣/١-٥٥.

(٣) شرح تنقيح الفصول ٢٨٠، الكفاية ص ١٢٠.

(٤) شرح الكوكب المنير ٤٠٥/٢.

(٥) انظر نسبة الأقوال للمذكورين في الكتب التالية: اللع ص ٢٢، الإحكام للآمدي ٩٥/٢، البحر المحيط ٣/٣٢٩، نهاية

السؤل ٣٤٥/٢، شرح الكوكب المنير ٤٠٥/٢.

(٦) الكفاية ص ١٢٠، والمحصل ٤٠٠/٤، المستصفى ٢٩٩/١، الإمماج ٣١٨/٢، البحر المحيط ٣/٣٣٠.

(٧) سفيان بن سعيد بن مسروق، أبو عبد الله الثوري الكوفي، شيخ الإسلام، الإمام الحافظ، أمير المؤمنين في الحديث، سيد

العلماء العاملين في زمانه، المجتهد، من تصانيفه: الجامع الكبير والجامع الصغير، ولد سنة (٩٧هـ) ومات سنة (١٦١ هـ)

طبقات الفقهاء للشيرازي ٨٥، الأعلام ٣/١٥٨.

(٨) يعقوب بن إبراهيم بن حبيب، أبو يوسف القاضي صاحب أبي حنيفة، ولي قضاء بغداد، بث علم أبي حنيفة في أقطار

الأرض، كان صاحب حديث، من مصنفاته: الأمالي، والنوادر، والخراج، الجوامع، توفي سنة (١٨١هـ) وقيل (١٨٢هـ)

الفهرست ٢٨٦، الفوائد البهية ٢٢٥، تاج التراجم ٣١٧، الجواهر المضئية ٢/٢٢٢.

قال الشافعي: ((أقبل شهادة أهل الأهواء، إلا الخطابية، لأنهم يرون الشهادة بالزور لموافقهم))^(٤).
القول الثالث: تقبل روايته إذا لم يكن داعية.

رواية عن الإمام أحمد وهي الصحيحة عنه^(٥)، و مذهب جمهور أهل العلم.
قال عبد العزيز البخاري: ((هو مذهب عامة أهل الفقه والحديث))^(٦).
قال ابن الصلاح: ((وهذا مذهب الكثير، والأكثر من العلماء وهو أعلاها وأولاها))^(٧).

الأدلة:

أدلة القول الأول:

- قال تعالى: { إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا } (الحجرات: من الآية ٦) وهؤلاء المبتدعة إما كفرة أو فسقة، والأمر بالتبين يقتضي رد قولهم^(٨).
- ولأن في الرواية عنه ترويجا لأمره وتنويها بذكره^(٩).
- ولأنه فاسق ببدعته وإن كان متأولا يرد كالفاسق بلا تأويل، وكما استوى الكافر المتأول وغيره^(١٠).
- وضعف هذا القول ابن الصلاح والنووي، وابن حجر.

(١) الكفاية ١٢٠، البحر المحيط ٣/٣٣٠.

(٢) شرح الكوكب المنير ٤٠٦/٢.

(٣) المحصول ٣٩٦/٤-٤٠٠، نهاية السؤل ٣٤٥/٢.

(٤) المستصفى ٣٠٠، المحصول ٤٠٠/٤، الكفاية ١٢٠، تدريب الراوي ٣٨٤/١، الباعث الحثيث ١٠١.

(٥) شرح الكوكب المنير ٤٠٣/٢، الكفاية ١٢٠، وقال الزركشي: وحكاه عبد الوهاب في الملخص عن مالك. وبه جزم

سليم الرازي، البحر المحيط ٣/٣٣١.

(٦) كشف الأسرار ٥٣/٣.

(٧) مقدمة ابن الصلاح مع التقييد والإيضاح ١٢٧، تدريب الراوي ٣٨٥/١.

(٨) انظر: شرح تنقيح الفصول ص ٢٨٢، الإحكام للآمدي ٩٥/٢.

(٩) انظر: شرح الملل ٥٤/١.

(١٠) البحر المحيط ٣/٣٢٩، مقدمة ابن الصلاح مع التقييد ١٢٦، شرح غبة الفكر ٣٢.

قال ابن الصلاح: ((والأول بعيد مباعد للشائع عن أئمة الحديث، فإن كتبهم طافحة بالرواية عن المبتدعة غير الدعاة، وفي الصحيحين كثير من أحاديثهم في الشواهد والأصول))^(١). قال ابن حجر: ((وهو بعيد))^(٢).

أدلة الجمهور:

- قالوا: لعدم علة المنع من الرواية عن غير الداعية.
- ولما في الصحيحين وغيرهما من الرواية عن المبتدعة، كالقدريّة والخوارج والمرجئة^(٣)، ورواية السلف والأئمة عنهم^(٤).
- أما الداعية: فلأن تزين بدعته قد تحمله على تحريف الروايات، وتسويتها على ما يقتضيه مذهبه^(٥).

الترجيح:

قال الحافظ ابن حجر: ((والأكثر على قبول غير الداعية إلا إن روى ما يقوي بدعته، فيرد على المذهب المختار.

وبه صرح الحافظ أبو إسحاق إبراهيم ابن يعقوب الجوزجاني شيخ أبي داود والنسائي، في كتابه معرفة الرجال (...))^(٦).

قال ابن رجب: " البدع الغليظة كالتحهم يرد بها الرواية مطلقاً، والمتوسطة كالقدر إنما يرد رواية الداعي إليها والخفيفة كالإرجاء هل تقبل معها الرواية مطلقاً أو ترد عن الداعية على روايتين "^(٧)

(١) مقدمة ابن الصلاح مع التقييد ١٢٦، تدريب الراوي ٣٨٤/١.

(٢) شرح نخب الفكر ٣٢.

(٣) وهم الذين قالوا بتأخير العمل عن مسمى الإيمان وعدم دخوله فيه، وهذا هو الأمر الجامع لهم وهم نحو اثني عشرة فرقة، يمكن جمعهم في ثلاث آراء رئيسية، من قالوا أن الإيمان هو: المعرفة فقط، من قال الإيمان هو القول فقط، ومن قال الإيمان هو المعرفة والقول فقط دون العمل.

مقالات الإسلاميين ٢١٣/١، الفرق بين الفرق ص ٢٠٢، عقائد الثلاث والسبعين فرقة ٢٧١/١، الملل والنحل ١/١٣٧.

(٤) شرح الكوكب المنير ٤٠٣/٢.

(٥) شرح نخب الفكر ٣٢، تدريب الراوي ٣٨٥/١.

(٦) شرح نخب الفكر ٣٢، تدريب الراوي ٣٨٥/١، قواعد التحديث ١٩٢-١٩٣.

فوائده^(١):

قال السيوطي رحمه الله:

١- الصواب أنه لا تقبل رواية الرافضة، وساب السلف، لأن سباب المسلم فسوق، فالصحابة والسلف من باب أولى.

٢- من الملحق بالمتدعة من رأيه الاشتغال بعلوم الأوائل، كالفلسفة، والمنطق، صرح بذلك السلفي في معجم السفر والحافظ أبو عبد الله ابن رشيد في رحلته، فإن انضم إلى ذلك اعتقاده بما في علم الفلسفة، من قدم العالم، ونحوه فكافر، أو لما فيها مما ورد الشرع بخلافه، وأقام الدليل الفاسد على طريقتهم، فلا يأمن ميله إليهم.

وقد صرح بالخط على من ذكر وعدم قبول روايتهم وأقوالهم، ابن الصلاح في فتاويه، والمصنف في طبقاته^(٢)، وخلائق من الشافعية، وابن عبد البر، وغيره من المالكية، خصوصاً أهل المغرب، والحافظ سراج الدين القزويني، وغيره من الحنفية، وابن تيمية وغيره من الحنابلة، والذهبي لهج بذلك في جميع تصانيفه.

* * *

(١) شرح الملل ١/٣٥٨.

(٢) من تلخيص الروي ١/٣٨٦-٣٩٠.

(٣) أي: النووي في طبقات الشافعية.

مسألة: حكم رواية الكذاب وأنواع الكذابين، وسبب رواية الأئمة عنهم.

تعريف الكذب عند الأشعرية:

قال القاضي عياض: ((قال الإمام - المازري -: الكذب عند الأشعرية الإخبار عن الأمر على ما ليس هو به.

هذا حد الكذب عندهم، لا يشترطون في كونه كذباً العمدُ والقصدُ إليه، خلافاً للمعتزلة في اشتراطهم ذلك، ودليل هذا الخطاب يردُّ عليهم، لأنه يدل على أن ما لم يتعمد يقع عليه اسم الكذب))^(١).

حكم رواية الكذاب :

اعلم أن الكذاب إما أن يكذب في حديث رسول الله أو في حديث الناس:

أ. الكذب في حديث رسول الله متعمداً. رواية هذا الصنف مردودة اتفاقاً. ولكنهم اختلفوا إذا تاب من الكذب، هل تقبل روايته بعد توبته؟.

- قال القاضي عياض: ((ولم أرهم يختلفون في الكذاب في الحديث أنه لا يقبل حديثه))^(٢).

فلا تقبل روايته أبداً، وإن تاب وحسنت توبته، زجراً وتغليظاً له.

وهو المروي عن الإمام مالك، وأحمد بن حنبل، وأبي بكر الحميدي شيخ البخاري، وقاله القاضي أبو يعلى وغيره، وجمع من الشافعية^(٣).

قال الإمام أحمد: ((لأنه زنديق فتخرج توبته على توبته وفارق الشهادة، لأنه قد يكذب فيها لرشوة إلى أرباب الدنيا))^(٤).

● لكن في المسألة خلافاً. فقد قبلها الدامغاني الحنفي قال: ((لأن ردها ليس بحكم، ورد الشهادة حكم))^(٥).

(١) إكمال المعلم، المقدمة، باب تغليظ الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم ١/١١٠.

(٢) إكمال المعلم، المقدمة ١/١٥٥.

(٣) فواتح الرحموت ٢/١٥٦، البحر المحيط ٣/٣٤٢، شرح الكوكب المنير ٢/٣٩٣، الكفاية ١١٧، مقدمة بن الصلاح مع التقييد والإيضاح ١٢٨، توضيح الأفكار ٢/١٤٨.

(٤) شرح الكوكب المنير ٢/٣٩٥.

(٥) شرح الكوكب المنير ٢/٣٩٦.

وهو اختيار النووي رحمه الله حيث قال: ((قلت المختار الأظهر قبول توبته كغيره من أنواع الفسق))^(١).

ثانياً: الكذب في حديث الناس.

يرى القاضي عياض عدم قبول روايته، وهو قول أكثر أهل العلم منهم الإمام مالك وأحمد في رواية^(٢)، واختلفوا إذا تاب.

- فقال بعضهم تنفعه توبته ويرجع إلى القبول.

قال القاضي عياض: ((فهذا أيضاً لا يقبل حديثه ولا شهادته، قاله مالك وغيره، وتنفعه التوبة ويرجع إلى القبول))^(٣) وهو اختيار الصيرفي وأبي المظفر السمعاني^(٤).

- وقال بعضهم تنفعه توبته ولا تقبل روايته، لأنه لا يؤمن عليه أن يكذب فيه.

فرع: من نذر منه الكذب، أو غلا في قوله.

قال عياض رحمه الله: ((فأما من ينذر منه القليل من الكذب، ولم يعرف به، فلا يقطع بتحريمه مثلهم، إذ يتأول عليه الغلط أو الوهم، وإن اعترف متعمد ذلك المرة الواحدة ما لم يضر بها مسلماً، فلا يلحق بمثله الجرح، وإن كانت معصية لننورها، ولأنها لا تلحق بالكبائر الموبقات، ولأن أكثر الناس قلما يسلمون من مواقف بعض هذه الهنات، وبهذا قال مالك رحمه الله فيمن ترد شهادته: أن يكون كاذباً في غير شيء.

وكذلك لا يسقطها كذبه فيما هو من باب التعريض أو الغلو في القول، إذ ليس بكذب على الحقيقة وإن كان في صورة الكذب، لأنه لا يدخل تحت حد الكذب ولا يريد المتكلم به الإخبار عن ظاهر لفظه، وقد قال عليه السلام: ((أما أبو جهم فلا يضع عصاه عن عاتقه))^(٥) وقال إبراهيم عليه السلام: ((هذه أخي))^(٦) وقد أشار مالك - رحمه الله - لنحو هذا^(٧).

(١) شرح صحيح مسلم، المقدمة ١/١٦١.

(٢) شرح الكوكب النور ٢/٣٩٣.

(٣) إكمال العلم، للمقدمة، ١/١٥٥.

(٤) البحر المحيط ٣/٣٤٢، والتقييد والإيضاح ١٢٨، توضيح الأفكار ٢/١٤٨.

(٥) للموطأ (١٢١٠)، ومسلم (١٤٨٠) من حديث فاطمة بنت قيس.

(٦) علقه البخاري (الفتح ٦/٣٩٢).

وهو الصحيح عند الحنابلة، للمشقة وعدم دليله كما قال ابن النجار^(١).

فرع: أنواع الكذابين وأسباب الكذاب.

هذا الفصل قد بينه القاضي عياض أتم بيان، ونقله عنه الشراح بعده، وأثنوا به عليه كالنووي والسنوسي^(٢).

وإليك نص كلامه حيث أجاد وأفاد رحمه الله، فقال: ((اعلم أن الكاذبين على ضربين:

- ضرب عرفوا بذلك في حديث النبي صلى الله عليه وسلم، وهم على أنواع:

○ منهم من يضع عليه ما لم يقله أصلاً:

إما ترفعاً واستخفافاً، كالزنادقة وأشباههم ممن لم يرج للدين وقاراً.

أو حسبة يزعمهم. أو تدبنا كجهلة المتعبدة الذين وضعوا الأحاديث في الفضائل والرغائب.

أو إغراباً وسُعة كفسقة المحدثين.

أو تعصبا واحتجاجا كدعاة المبتدعة ومتعصبي المذاهب.

أو اتباعا لهوى أهل الدنيا فيما أرادوه، وطلب العذر لهم فيما أتوه.

وقد تعين جماعة من كل طبقة من هذه الطبقات عند أهل الصنعة وعلم الرجال.

○ ومنهم من لا يضع من الحديث، ولكن ربما وضع للتمن الضعيف إسناداً صحيحاً مشهوراً.

○ ومنهم من يقلب الأسانيد، أو يزيد فيها ويتعمد ذلك إما للإغراب على غيره، أو لرفع الجهالة عن نفسه.

○ ومنهم من يكذب فيدعي سماع ما لم يسمع، أو لقاء من لم يلق، ويحدث بأحاديثهم الصحيحة عنهم.

(١) إكمال للمعلم، المقدمة، ١/١٥٥.

(٢) شرح الكوكب للنير ٣٩٥/٢.

(٣) قال النووي رحمه الله: وقد نقحها - أي: الأصناف - القاضي عياض، وقد اتقن هذا الفصل رحمه الله.

شرح صحيح مسلم ١/١٦١.

وقال السنوسي: وانظر كلام القاضي (ع) - يعني رمز عياض - في هذا المجل فقد اتقن هذا الفصل إتقاناً عجيباً رحمه الله ورضي

عنه، مكمل إكمال الإكمال للمعلم ١/٧٤.

○ ومنهم من يعتمد إلى كلام الصحابة أو غيرهم وحكم العرب والحكماء فينسبها للنبي صلى الله عليه وسلم.

فهؤلاء كلهم كذابون متروكو الحديث.

وكذلك من تجاسر بالحديث بما لم يحققه ولم يضبطه أو هو شاك فيه، فلا يحدث عن هؤلاء ولا يقبل ما حدثوا به، ولو لم يكن منهم مما جاؤوا به من هذه الأمور إلا المرة الواحدة، كشاهد الزور إذا تعدد ذلك مرة واحد سقطت شهادته...

- والصنف الآخر من لا يستحيز شيئاً من هذا كله في الحديث، ولكنه يكذب في حديث الناس، قد عرف بذلك، فهذا أيضاً لا يقبل حديثه ولا شهادته، قاله مالك وغيره^(١).

فرع: سبب رواية الأئمة عن الكذابين وأهل البدع.

قال القاضي عياض: ((إنما حدث هؤلاء الأئمة عن مثل هؤلاء مع اعترافهم بكذبهم وسمعوا منهم مع علمهم بمرحتهم لوجوه:

منها: أن يعلموا صور حديثهم وضروب روايتهم، لئلا يأتي بمجهول أو مدلس فيبدل اسم الضعيف ويجعل مكانه قوياً فيدخل بروايته اللبس فيعلم المحقق لها العارف بها أن مخرجها من ذلك الطريق، فلا ينخدع بتلبس ملبس بها، وهذا احتج ابن معين في روايته صحيفة معمر عن أبان.

والثاني: أن يكون الرجل إنما تُرك لأجل غلطه وسوء حفظه، أو يكون ممن أكثر فأصاب وأخطأ فتروى أحاديثه، والحفاظ يعرفون وهم وغلطه، وما وافق فيه الأئبات وما خالفهم فيه، فيدعون تخليطه ويستظهرون بصحيح حديثه لموافقتهم غيره، وهذا احتج الثوري حين نهي عن الكلبي فقيل له: أنت تروى عنه؟ قال: أنا أعلم صدقه من كذبه، وهم لا يروون شيئاً منها للحجة بها والعمل بمقتضاها^(٢).

(١) إكمال المعلم، المقدمة ١٥٣/١-١٥٦.

انظر أسباب الوضع في: فواتح الرحموت ١٥٦/٢، البحر المحيط ٣٤٢/٣، وشروح المنهاج ومنها الإجماع ٢٧٩/٢، ونهاية السؤل ٣١٦/٢، شرح المهلي على جمع الجوامع ١١٧/٢، الكفاية ١١٧، توضيح الأفكار ٥٤/٢، مقدمة ابن الصلاح مع التقييد ١٠٩.

(٢) إكمال المعلم، المقدمة ١٤٠/١-١٤١.

* هذا الذي قاله القاضي عياض وافقه عليه النووي والسنوسي في شرحيهما على صحيح مسلم وزاد النووي سببين آخرين^(١).

(١) شرح مسلم للنووي ١/١٦٠، مكمل إكمال الإكمال ١/٦٠.

اشتراط البلوغ حين السماع (مسألة: سن التحمل)

اختلف العلماء في أقل السن التي يحصل بها التمييز، ويصح معها سماع الصغير على أقوال عدة. رأي القاضي عياض في المسألة:

و يرى القاضي عياض عدم تحديد ذلك بسن معينة، وإنما يرجع الأمر عنده إلى عقل الصغير لما سمعه ومعرفته له، وخالف لما عليه الجمهور من تحديد ذلك بخمس سنين، حيث قال رحمه الله: ((وفيه ما كان عليه السلام من حسن العشرة، كما مازح عليه السلام أبا عمير، ولعل قوله هذا به ليعقل هذا الفعل منه لصغره، فيحصل له بذلك تأكيد في فضيلة الصلبة، وتقلُّ شيء عن النبي صلى الله عليه وسلم كما كان، وكان محمود إذ ذاك ابن أربع سنين، وقيل خمس.

وبخبر محمود هذا احتج على جواز سماع الصغير إذا عقل، وجعل بعضهم هذا السن حجة في صحة السماع، وليس كما قال، بل لا يصح ذلك إلا بما عقله من سماعه كما عقل محمود بحجة النبي صلى الله عليه وسلم)).^(١)

وقال: ((قد حدد أهل الصنعة في ذلك - صحة السماع - أن أقله سن محمود بن الربيع...عن محمود بن الربيع قال: ((عقلتُ من النبي صلى الله عليه وسلم بحجة مجَّها في وجهي - وأنا ابن خمس سنين - من ذلك)). وترجم البخاري عليه: متى يصح سماع الصغير، وفي غير هذه الرواية: وهو ابن أربع سنين^(٢)....ولعلمهم إنما رأوا هذا السن أقل ما يحصل به الضبط، وعقل ما يسمع وحفظه)).^(٣)

(١) الإكمال، كتاب المساجد: باب الرخصة في التحلف عن الجماعة ٦٣٣/٢-٦٣٤.

وانظر: مشارق الأنوار ١٢/١.

(٢) قال ابن حجر: ذكر القاضي عياض في الإلماع وغيره أن في بعض الروايات أنه كان ابن أربع، ولم أقف على هذا صريحاً في شيء من الروايات بعد التبع التام، إلا إذا كان ذلك مأخوذاً من قول صاحب الاستيعاب: أنه عقل الهبة، وهو ابن أربع سنين أو خمس.

الفتح ١٥٧/١، والإلماع ص ٦٢ ت: أحمد السيد صقر.

(٣) الإلماع ص ٦٢-٦٧، وهو باب بحث فيه القاضي متى يصح سماع الصغير، ونقل فيه بأسانيده عن جمع من العلماء، استحبابهم السماع في سنين معينة، وكذلك متى يصح السماع بحسب البلدان، كالكوفة، والبصرة، والشام. وانظر: مشارق الأنوار ١٢/١ للقلمة.

أقوال العلماء في المسألة:

هذا وفي المسألة أقوال عدة إليك بياها^(١).

القول الأول:

أن أقله خمس سنين. وهو قول الجمهور. قال القاضي عياض: ((وقد حدد أهل الصنعة في ذلك أن أقله سن محمود بن الربيع خمس سنين))^(٢).

وقال ابن الصلاح: ((التحديد بخمس هو الذي استقر عليه عمل أهل الحديث المتأخرين، فيكتبون لابن خمس فصاعدا سماع، ولمن لم يبلغ خمسا حضر أو أحضر))^(٣).

القول الثاني: عدم التحديد، وإنما المرجع التمييز وفهم الخطاب.

وهو رأي القاضي عياض، وبه قال أحمد، وبعض علماء الحنفية^(٤)، وصوبه الخطيب، ونسبه لأكثر أهل الحديث، ابن الصلاح، والنووي والعراقي، وابن حجر، وغيرهم^(٥).

القول الثالث: أربع سنين^(٦)، للرواية الواردة في ذلك، وسبق أن نقلنا كلام ابن حجر في عدم ثبوتها، ولقصة ابن اللبان^(٧).

(١) كشف الأسرار ٧٣٥/٢، تيسر التحرير ٤٠/٣، فواتح الرحموت ١٧٦/٢، الكفاية ص ٥٤، ٧٦، المنهل الروي ص ٧٩، مقدمة ابن الصلاح ص ١٣٩، فتح المغيث ص ١٧٩، شرح نخبه الفكر ص ٥٩، تدريب الراوي ٤١٣/١، توضيح الأفكار ١٨٣/٢.

(٢) الإلماع ص ٩٢.

(٣) مقدمة ابن الصلاح ص ١٣٩.

(٤) كابن القيم، وعبد العزيز البهاري، والأنصاري وشراحهم، تيسر التحرير ٤٠/٣، كشف الأسرار ٧٣٥/٢، فواتح الرحموت ١٧٦/٢.

(٥) قال أحمد: إذا عقل وضبط. وقال موسى بن هارون الجمال: إذا فرّق بين البقرة والدابة، أو البقرة والحمار. قال ابن حجر: الذي يظهر أنه على سبيل المثال. وقيل: أن يحسن العد من واحد إلى عشرين. حكاه ابن الملقن. وكل هذا لا يخرج عن القول للذكور. انظر: الكفاية ص ٥٤، مقدمة ابن الصلاح ص ١٣٩، فتح المغيث ص ١٧٩، النكت للزركشي ٤٦٥/٣، فتح الباري ١٧١/١، تدريب الراوي ٣١٦/١، وتوضيح الأفكار ١٨٤/٢.

(٦) تيسر التحرير ٤٠/٣، فواتح الرحموت ١٧٦/٢، الكفاية ص ٥٩.

(٧) عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن أحمد بن عبد الله التميمي الأصبهاني، المعروف بابن اللبان، أصولي، فقيه، عالم، أخذ عن المقرئ، والمخلص والباقلاني، وحدث عنه أبو علي الحلي، وقيل: إن القاضي أباه يعلّم قرأ عليه في الأصول سرّاً، توفي بأصبهان

سنة (١٤٤٦هـ) بول مولفات، منها: فذهب أدب القضاء للخطاب، ودرر الفواص في علوم الخواص، انظر طبقات السبكي

٧٢/٥، شيرات الذهب ٣/٢٧٤، سر أعلام ١٧/٦٥٣، معجم المؤلفين ٦/١٢٥.

القول الرابع:

خمس عشرة سنة، منقول عن ابن معين، قال الإمام أحمد: هذا عجيب منه^(١).

القول الخامس: فرق السلفي بين العربي والعجمي فقال: أكثرهم على أن العربي يصح سماعه إذا بلغ أربع سنين، لحديث محمود، والعجمي إذا بلغ ست سنين^(٢).

الأدلة ومناقشتها:

دليل أصحاب القول الأول: القائلين بأن السن أقله خمس سنين.

استدلوا بحديث محمود بن الربيع، وسبق أن ذكرناه في كلام القاضي عياض، وهو العمدة في الباب^(٣).
الجواب عنه: ليس في الحديث سنة متبعة، ولا يلزم منه أن يميز كل أحد تمييز محمود، بل قد ينقص عنه أو يزيد، ولا يلزم منه ألا يعقل مثال ذلك وسنه أقل، ولا يلزم من عقل المجة عقل كل شيء سمعه^(٤).
وأيضاً فهو خير عن نفسه، ولم يكن منه صلى الله عليه وسلم قول ولا فعل ولا تقرير، ولا رواه في حياته صلى الله عليه وسلم^(٥). قال عياض: ((...وإلا فمرجع ذلك للعادة، وربّ بليد الطبع، غيّر الفطرة، لا يضبط شيئاً فوق هذا السن، ونبيلاً الجبلّة، ذكيّ القرينة، يعقل دون هذا السن)).

دليل القول الثالث:

١- استدلوا بما رواه الخطيب في الكفاية عن القاضي أبي محمد عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن اللبان الأصفهاني قال: ((حفظت القرآن ولي خمس سنين وحملت إلى أبي بكر بن المقرئ لأسمع منه

(١) نفس المصدر السابق.

قال الحفاظ ابن حجر: وما قاله بن معين إن أراد به تحديد ابتداء الطلب بنفسه فموجه، وإن أراد به رد حديث من سمع اتفاقاً، أو اعتنى به، فسمع وهو صغير فلا. وقد نقل ابن عبد البر الاتفاق على قبول هذا، وفيه دليل على أن مراد ابن معين الأول، وأما احتجاجه بأن النبي صلى الله عليه وسلم رد البراء وغيره يوم بدر ممن كان لم يبلغ خمس عشرة، فمردود بأن القتال يقصد فيه مزيد القوة والتبصر في الحرب، فكانت مظهره سن البلوغ، والسماع يقصد فيه الفهم فكانت مظهره التمييز. فتح الباري ١/١٧١.

(٢) تدريب الراوي: ١/٤١٧.

(٣) تيسير التحرير ٣/٤٠، فواتح الرحموت ٢/١٧٦، الكفاية ص ٥٩، مقدمة ابن الصلاح ص ١٣٩، فتح المغني ص ١٧٩، تدريب الراوي ١/٤١٥، توضيح الأفكار ٢/١٨٣.

(٤) للمصادر السابقة.

(٥) توضيح الأفكار ٢/١٨٣.

ولي أربع سنين، فقال بعض الحاضرين: لا تُسمِعوا له فيما قرئ، فإنه صغير، فقال لي ابن المقرئ: اقرأ سورة الكافرون ، فقرأتها. فقال: اقرأ سورة الكوثر فقرأتها، فقال لي غيره: اقرأ سورة المرسلات فقرأتها، ولم أغلط فيها، فقال ابن المقرئ: اسمعوا له، والعهد علي^(١).

٢- وقال ابن الصلاح: بلغنا عن إبراهيم بن سعيد الجوهري قال: رأيت صبيا ابن أربع سنين وقد حمل إلى المأمون قد قرأ القرآن ونظر في الرأي غير أنه إذا جاع بكى^(٢).
قال العراقي: والذي يغلب على الظن عدم صحة هذه الحكاية.

ويجاب عن هذا:

- أن مثل إدراك ابن اللبان لا يطرد، لأنه لا يحصل لكل من بلغ هذا السن، وقد يكون من باب المواهب التي يعطيها الله لمن يشاء من عباده، كما حفظ الشافعي الموطأ وهو ابن خمس، وحفظ الإمام سهل بن عبد الله التستري بعض الأوراد وهو ابن ستين، فهذا ليس في باب الغالب حتى يبنى عليه^(٣).

* إذا تبين هذا تعين المصير إلى ما ذهب إليه القاضي عياض من عدم التحديد بسن معين، لأن الناس يختلفون في الصفات العقلية أشد من اختلافهم في الصفات الجسمية.

* * *

(١) الكفاية ص ٦٤، مقلعة ابن الصلاح ص ١٤٠، فتح المغيث ص ١٨٠، تدريب الراوي ١/٤١٧.

(٢) مقلعة ابن الصلاح ص ١٤٠، فتح المغيث ص ١٨١.

(٣) تيسير التحرير ٣/٤٠-٤١، فواتح الرحموت ٢/١٧٦.

مسألة: السن الذي يحسن فيه الانتصاب للحديث

قال القاضي عياض رحمه الله: ((اعلم أنّ السماعَ من المسلم البالغ العدل العاقل الضابط لما سمعه، العارف حين أدائه، صحيحٌ متفق عليه))^(١).

* لكنّها اختلفت اختيارات أهل هذا الشأن: متى يستحب الانتصاب لهذا والتصدر له؟
- إما لأجل كمال عقله، واجتماع أشده، وانتهاء كهولته، ووقت سمته.
- أو لتوفي أشياءه، ومزاحمته من أخذ عنه...

قال القاضي أبو محمد بن خلاد^(٢): ((والذي يصح عندي من طريق الأثر والنظر في الحد الذي إذا بلغه الناقل حسنُ به أن يحدث: استيفاء الخمسين، لأنها انتهاء الكهولة وفيها مجتمع الأشد .
قال الشاعر:

أخو خمسين مجتمعٌ أشدّي وتجري مداورة الشؤون^(٣)

قال: وليس ينكر أن يحدث عند استيفاء الأربعين، لأنها حد الاستواء، ومنتهى الكمال، وفيها بعث النبي صلى الله عليه وسلم)) .

قال القاضي عياض: ((واستحسانه هذا لا يقوم له حجة بما قال، وكم من السلف المتقدمين، ومن بعدهم من المحدثين من لم ينته إلى هذا السن، ولا استوفى هذا العمر ومات قبله، وقد نشر من الحديث والعلم ما لا يحصى)) .

ثم ذكر أسماء جمع من العلماء كعمر بن عبد العزيز، ومالك، وإبراهيم النخعي، وسعيد بن جبير، والشافعي، انتصبوا للتدريس قبل الأربعين والخمسين^(٤).
ووافق ابن الصلاح، ومن جاء بعده^(٥)، عياض في الجملة.

(١) الإلماع ١٩٩.

(٢) انظر كتابه المحدث الفاضل ص (٣٥٢-٣٥٤)، ومثّل لذلك .

(٣) البيت لسحيم بن وثيل. انظر: اللسان مادة (بجذ)، غريب الحديث لابن قتيبة (١٢٣/٢).

(٤) الإلماع ٢٠٠.

(٥) انظر: التقريب مع التلريب ١١٩/٢-١٢٠، المقنع لابن الملقن ٣٩٥/١، للنهل الروي ١٠٦.

لكنه تأول كلام الرامهرمزي بقوله: ((ما ذكره ابن خلاد غير مستكر، وهو محمول على أنه قاله
فيمن يتصدى للتحديث ابتداءً من نفسه من غير براعة في العلم تعجلت له، قبل السن الذي ذكره،
فهذا إنما ينبغي له ذلك بعد استيفاء السن المذكور، فإنه مظنة الاحتياج إلى ما عنده.
وأما الذين ذكرهم عياض ممن حدث قبل ذلك فالظاهر أن ذلك لبراعة منهم في العلم تقدمت،
ظهر لهم معها الاحتياج إليهم، فحدثوا قبل ذلك، أو لأنهم سئلوا ذلك إما بصريح السؤال أو بقرينة
الحال))^(١).

(١) المقدمة مع التقييد ١٩٠-١٩١.

مسألة: سن ترك التحديث.

قال القاضي عياض رحمه الله: ((وقال القاضي أبو محمد^(١): فإذا تنهى العمر، فأحب إلي أن يحسبك في الثمانين، لأنه حد الهرم. والتسبيح والذكر وتلاوة القرآن أولى بأبناء الثمانين، إلا من كان ثابت العقل مجتمع الرأي محتسبا في الحديث فأرجو له خيراً .

- قال عياض: والحد في ترك الشيخ التحديث التغير وخوف الخرف، وإلا فأنس بن مالك وغيره من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قد حُمل عنهم وحدثوا وقد نَفَّوا على هذا العدد، وقارب كثير منهم المائة، وبلغها بعضهم وثُيِّفَ عليها، كعبد الله بن أبي أوفى، ووائل بن الأسقع، وسهل بن سعد الساعدي، وأبي الطفيل.

وكذلك من بعدهم من التابعين، وأئمة المسلمين قد بلغ كثير منهم الثمانين وأكثر من ذلك، وماتوا وهم يحدثون، وكانوا يرون ذلك من أفضل أعمالهم، والناس من أقطار الأرض يرحلون إليهم من المتقدمين والمتأخرين، كمالك بن أنس ثُوْفِيَّ وهو ابن نحو من سبع وثمانين، وقيل: أكثر من هذا وعد أسماء كثيرة ...

فيمن لا ينعد من أهل الشرق والغرب وهلم جرا، إلى من عاصرناه ولقيناه ممن بلغ هذه الأعمار، ولم تنقطع الرحلة إليه من الأقطار...

وإنما كره من كره لأصحاب الثمانين الحديث، لأن الغالب على من بلغ هذا السن اختلال الجسم والذكر، وضعف الحال، وتغير الفهم، وحلول الخرف، فحذر المتحري من الحديث في هذا السن مخافة أن يبدأ به التغير والاختلال، فلا يفتن له إلا بعد أن جازت عليه أشياء^(٢). ووافقه ابن الصلاح^(٣)، ومن جاء بعده^(٤).



(١) المحدث الفاضل ص (٣٥٤)، مثَّلَ لذلك .

(٢) الإلماع ص (١٩٩-٢١٢).

(٣) فقال: وأما السن الذي إذا بلغه المحدث ينبغي له الإمساك عن التحديث فهو السن الذي يخشى عليه فيه من الهرم والخرف ويخاف عليه فيه أن يخلط ويروي ما ليس من حديثه والناس في بلوغ هذا السن يتفاوتون بحسب اختلاف أحوالهم. اهـ وحمل كلام ابن خلاد على الغالب. انظر: للقدمة مع التقييد ١٩١.

(٤) انظر: التقريب مع التدریب ١٢٠/٢، للمقنع لابن الملقن ٣٩٥/١، المنهل الروي ١٠٦.

طرق التحمل:

١. السماع.
٢. القراءة على الشيخ.
٣. المناولة.
٤. الكتابة.
٥. الإجازة.
٦. الإعلام.
٧. الوصية.
٨. الوجدادة.

مسألة صيغ التحمل لغير الصحابة

توطئة:

قال القاضي عياض رحمه الله: ((اعلم أن طريق النقل، ووجوه الأخذ، وأصول الرواية، على أنواع كثيرة، ويجمعها ثمانية ضروب.

وكل ضرب منها له فروع وشعوب، ومنها ما يتفق عليه في الرواية والعمل، ومنها ما يختلف فيه فيهما جميعا، أو في أحدها...

أولها: السماع من لفظ الشيخ. وثانيها: القراءة عليه. وثالثها: المناولة. ورابعها: الكتابة. وخامسها: الإجازة. وسادسها: الإعلام. وسابعها: وصيته بكتبه له. وثامنها: الوقوف على خط الراوي فقط...^(١)

الضرب الأول: السماع من لفظ الشيخ.

وهذه أعلاها وأرفعها عند الجماهير، ومنهم القاضي عياض.

حيث قال رحمه الله: ((الضرب الأول: السماع من لفظ الشيخ، وهو منقسم إلى إملاء أو حديث، وسواء كان من حفظه أو القراءة من كتابه، وهو أرفع درجات أنواع الرواية عند الأكثرين. ولا خلاف أنه يجوز في هذه أن يقول السامع منه: حدثنا، وأخبرنا، وأنبأنا، وسمعت فلان يقول، وقال لنا فلان، وذكر لنا فلان...^(٢)

* وهذا الذي قاله القاضي عياض هو ما عليه جمهور أهل العلم من الأصوليين^(٣) والمحدثين^(٤).

وقد نقل كلامه في هذه المسألة، ووافقه عليه كل من ابن الصلاح^(٥)،

(١) الإلماع ٦٨.

(٢) الإلماع ٦٩.

(٣) شرح تنقيح الفصول ٢٩٢، مختصر ابن الحاجب مع العضد ١٥٢، للذكرة ١٢٨، نثر الورود ٤١٦/١، أصول السرخسي ٣٧٥/١، كشف الأسرار ٧٨/٣، تيسير التحرير ٩١//٣، نهاية الوصول ٣٧٠/١، فوائح الرحمات ٢١٠/٢، اللمع ٢٣٤، التلخيص ٣٠٦، المستنصفى ٣٠٩/١، الإحكام ١١١/٢، المحصول ٤٥٠/٤، البحر المحيط ٤٣٨/٣، نهاية السؤل ٣٦٣/٢، شرح مختصر الروضة ٢٠٣/٢، شرح الكوكب المنير ٤٩٠/٢، شرح غاية السؤل ص ٢٣١، المدخل ص ٢١٧، للمختصر في أصول الفقه ٩٠، إرشاد الفحول ٩٤.

(٤) الكفاية ٢٥٩ وما بعدها، مقدمة ابن الصلاح مع التقييد ١٤٠، تدريب الراوي ٤١٨/١، فتح المغني ص ١٨٢، توضيح الأفكار ١٨٦/٢، قواعد التحديث ٢٠٣.

(٥) التقرّب مع التدريب ٤١٨، فتح المغني ١٨٢، مقدمة ابن الصلاح مع التقييد ١٤٠.

والنوي^(١)، والعراقي^(٢).

لكن قيد هذا ووضّحه ابن حجر بقوله: ((والمشهور الذي عليه الجمهور أن السماع من لفظ الشيخ أرفع رتبة من القراءة عليه، ما لم يعرض عارض يصير القراءة عليه أولى، ومن ثمّ كان السماع من لفظه في الإملاء أرفع الدرجات لما يلزم منه من تحرز الشيخ والطالب والله أعلم))^(٣).

الضرب الثاني: القراءة.

سواء كانت القراءة من الطالب على الشيخ، أو قراءة غيره وهو يسمع.

وهذه المرتبة هي الثانية عند القاضي عياض، وجمهور أهل العلم من الأصوليين والمحدثين^(٤).

- ويطلق عليها كثير من المحدثين العرض. قال عياض: ((وسموا القراءة عرضاً))^(٥).

وقال أيضاً: ((وأكثر المحدثين يسمونه عرضاً، لأن القارئ يعرض ما يقرؤه على الشيخ كما يعرض القرآن على إمامه))^(٦).

- قال القاضي عياض: ((الضرب الثاني: القراءة على الشيخ، وسواء كنت أنت القارئ، أو غيرك وأنت تسمع، أو قرأت في كتاب أو من حفظ، أو كان الشيخ يحفظ ما يقرأ عليه، أو يمسك أصله، ولا خلاف أنّها رواية صحيحة))^(٧).

قال ابن حجر: ((وقد انقرض الخلاف في كون القراءة على الشيخ لا تجزئ، وإنما كان يقوله بعض المتشددین من أهل العراق))^(٨).

(١) مقدمة ابن الصلاح مع التقييد ١٤٠، فتح المغيث ١٨٢، التقريب مع التدريب ٤١٨.

(٢) المصدر السابق نفسه.

(٣) فتح الباري ١/١٥٠.

(٤) انظر المصادر السابقة.

(٥) إكمال المعلم، المقدمة ١/١٨٧.

(٦) الإلماع إلى معرفة أصول الرواية وتقييد السماع ص ٧٨، وانظر: البحر المحيط ٣/٤٣٩، تدريب الراوي ١/٤٢٣، قال السيوطي: قال ابن حجر: بين القراءة والعرض عموم وعصوص، لأن الطالب إذا قرأ كان أعم من العرض وغيره، ولا يقع العرض إلا بالقراءة، لأن العرض عبارة عما يعرض به الطالب أصل شيعه معه، أو مع غيره بمحضته، فهو أخص من القراءة.

(٧) الإلماع إلى معرفة أصول الرواية وتقييد السماع ص ٨٠، إكمال المعلم ١/٢٢٣.

(٨) فتح الباري ١/١٥٠.

فرع: هل يشترط الإقرار من الشيخ في صحة القراءة.

يرى عياض عدم اشتراط الإقرار من الشيخ، ويرى أنه الصحيح، وعليه الجمهور، وذكر أن المخالف هم الظاهرية، وبعض أهل المشرق.

قال القاضي عياض: ((وشرط في صحة الحديث بالقراءة بعض الظاهرية - وبه عمل جماعة من مشايخ أهل المشرق وأئمتهم^(١) - إقرار الشيخ عند تمام السماع بأنه كما قرئ عليه فيقول: نعم. وأبى الحديث من اشترطه إذ لم يكن هذا التقرير.

وفي صحيح مسلم عن يحيى عن مالك، ومن حديث غيره هذا التقرير.

وقد أنكره مالك لمن قرره أيضا وقال: ألم أفرغ لكم نفسي وسمعت عرضكم وأقمت سقطه وزلله.

والصحيح هذا، وأن الشرط غير لازم، لأنه لا يصح من ذي دين إقرار على خطأ في مثل هذا، فلا معنى للتقرير بعد.

وهذا مذهب الجمهور من المحدثين والفقهاء والنظار. ولعل المروى عن مالك وأمثاله في فعل ذلك للتأكيد لا للزوم^(٢).

* والمسألة كما قال عياض، وهو المنقول في كتب الأصول والحديث^(٣).

قال النووي: ((لا يشترط نطق الشيخ على الصحيح الذي قطع به جماهير أصحاب الفنون...))^(٤).

وانظر: الإجماع ٣٣٢/٢، البحر المحيط ٤٣٩/٣، إرشاد الفحول ص ٩٥، تدريب الراوي ٤٢٥/١، فتح المغيث ١٨٦، وحكى الإجماع على ذلك، المقدمة مع التقييد ١٤٢، توضيح الأفكار ١٨٨.

(١) منهم بعض الشافعية كأبي إسحاق الشيرازي، وابن الصباغ وسليم الرازي وابن السمعاني.

انظر اللع ص ٢٢٣، القواطع، البحر المحيط ٤٤٤/٣.

(٢) الإجماع ٧٨.

وانظر: إكمال المعلم، المقدمة ١٨٨/١، وانظر كتاب الإيمان ٢٢٣/١، ٤٧٨/٤.

(٣) مختصر ابن الحاجب مع المضد ١٥٢، المذكرة ١٢٨، نهاية الوصول ٣٧١/١، كشف الأسرار ٧٨/٣، تيسير التحرير

٩١/٣، التلخيص ٣٠٦، المستصفى ٣٠٩/١٢، الإحكام للأمدى ١١٢/٢، الروضة ٢٠٢/١، شرح مختصر الروضة

٢٠٤/٢، شرح الكوكب المنير ٤٩٦/٢، الكفاية ٢٨٠، مقدمة ابن الصلاح مع التقييد ١٤٥، فتح المغيث ص ١٩٠،

تدريب الراوي ٤٣٤/١، توضيح الأفكار ١٩١/٢.

(١) التقريب مع التدريب ٤٣٤/١، قال السيوطي لأصحاب الفنون، الفقه، والحديث والأصول.

قال الإسنوي: ((واتفقوا إلا بعض أهل الظاهر على وجوب العمل بهذا، وعلى جواز روايته بقوله
أخبرنا وحدثنا قراءة عليه))^(١).

* * *

هل يجوز إطلاق حدثنا وأخبرنا في القراءة (العرض)

تحرير محل النزاع:

١. لا خلاف في إطلاق قرأت، أو قرئ على فلان وأنا أسمع، أو حدثني وحدثنا فلان قراءة، أو
أخبرني وأخبرنا قراءة، وأنشدنا قراءة عليه في الشعر^(٢).
قال عبد العزيز البخاري: ((ثم عند القائلين بالجواز يجوز للسامع في هذا القسم أن يقول قرأت
على فلان، أو قرئ عليه، أو حدثني، أو أخبرني قراءة عليه بلا خلاف))^(٣).
٢. اختلفوا في إطلاق حدثنا وأخبرنا غير مقيدين بالقراءة على أقوال، ذكرها عياض وغيره.

(١) نهاية السؤل ٣٦٣/٢.

فرع آخر: هل السماع أعلى رتبة أم القراءة على الشيخ.

هذه المسألة للعلماء فيها ثلاثة أقوال ذكرها القاضي عياض من غير ترجيح، وهذه الأقوال هي:

- التسوية بينهما: وهو مذهب معظم علماء المحجاز والكوفة.
- السماع أعلى رتبة: وصحح هذا القول جمع من العلماء كابن الصلاح والزرخشى والعراقي.
- القراءة أعلى من السماع.

انظر: نص كلام عياض المنقول في المسألة هنا في الإلماع ص ٧٠-٧٣، وذكر المسألة في إكمال المعلم، المقدمة ١٨٦/١ وما
بعدها.

وانظر للمسألة: أصول السرخسي ٣٧٥/١، تيسير التحرير ٩١/٣، كشف الأسرار ٨٢/٣، الإجماع ٣٣٢/٢، البحر المحيط
٤٣٩/٣، شرح غاية السؤل ٢٣٢، الكفاية ٢٦٠، مقدمة ابن الصلاح مع التقييد ص ١٤٥، فتح المغيث ص ١٨٦، تدريب
الراوي ٤٢٦/١، توضيح الأفكار ١٨٨/٢، قواعد التحديث ٢٠٣.

(٢) كشف الأسرار ٧٩/٣-٨٣، للمستصفي ٣١٠/١، الإحكام للأمدي ١١٢/٢، الإجماع ٣٣٢/٢، شرح مختصر الروضة
٢٠٥/٢، شرح الكوكب المنير ٤٩٤/٢، إرشاد الفحول ص ٩٥، الكفاية ص ٢٩٧، مقدمة ابن الصلاح مع التقييد
والإيضاح ص ١٤٣، فتح المغيث ص ١٨٨، تدريب الراوي ٤٢٩/١، توضيح الأفكار ١٩١/٢.

(٣) كشف الأسرار ٧٩/٣، مقدمة ابن الصلاح مع التقييد والإيضاح ص ١٤٣، فتح المغيث ص ١٨٨.

رأي القاضي عياض:

واختار - رحمه الله - كما يظهر من كلامه في الإكمال والإلماح أنه لا فرق بين الإطلاق والتقيد من جهة الاصطلاح^(١).

أقوال العلماء في المسألة:

القول الأول: جواز إطلاق حدثنا وأخبرنا في القراءة.

قال عياض عن هذا المذهب: ((ومذهب مالك - رحمه الله - ومعظم علماء الحجازيين، والكوفيين، أن حدثنا وأخبرنا واحد^(٢)، وأن ذلك يستعمل فيما سمع من لفظ الشيخ، وفيما قرئ عليه وهو يسمع، وهو مذهب الحسن والزهرى في جماعة، واختيار البخاري.

واختلف في ذلك عن أبي حنيفة^(٣) وابن جريج والثوري.

وهو مذهب متقدمي أهل المدينة، وهو مذهب الفقهاء المدنيين، وأصحاب مالك بمجملتهم، وذكر مالك أنه مذهب متقدمي أئمة المدينة...

وذكر البخاري عن ابن عيينة: حدثنا وأخبرنا وأنبأنا وسمعت واحد^(٤).

وأجاز بعضهم في القراءة سمعت فلانا، وهو قول روي عن الثوري وهو رواية عن أحمد^(٥)، واختارها الخلال^(٦)، وأبو بكر عبد العزيز والقاضي أبي يعلى وصاحب أبي حنيفة^(٧).

(١) انظر كلام عياض وذكره الأقوال في الإكمال - المقدمة - ١٨٨/١ وما بعدها، الإلماح ص ١٢٢-١٣٤.

(٢) انظر: رسالة الطحاوي في التسوية بين حدثنا وأخبرنا.

(٣) الصحيح عند الأحناف هذا القول فحاء في تيسر التحرير ٩٣/٣ والإطلاق لحدثنا وأخبرنا من غير تقييد بقراعتي أو قراءة عليه جائز على المختار كما هو مذهب أصحابنا وفي فواتح الرحموت ٢١١/٢ ومطلقا على الراجح. ولغاية الوصول للساعاتي ٣٧١/١. وفيه عدة روايات عن الإمام أحمد في المسألة.

(٤) سأل رجل محمد بن نصر المروزي ما الفرق بينهما فقال: سوء الخلق. انظر: فتح المغيث ٣٤/٢.

(٥) الروضة ٢٠٣/١، شرح مختصر الروضة ٢٠٥/٢، شرح غاية السؤل ص ٣٣ وفيه عدة روايات عن الإمام أحمد في المسألة للسودة ص ٢٨٦، أصول الفقه لابن مفلح ص ٢٣٨، والمختصر لابن اللحام ص ٦١.

(٦) أحمد بن محمد بن هارون، أبو بكر المعروف بالخلال، له التفاسير الدائرة، والكتب السائرة، ومنه ذلك: الجامع، والعلل والسنة والطبقات، وكان شيوخ المذهب يشهدون له بالفضل والتقدم توفي سنة (٣١١) هـ.

طبقات الخنابلة ١٣/٢، الدر المنضد ١٦١/١.

(٧) ونقله السعادي عن ابن الصلاح وأبي عمر والأوزاعي وابن معين وابن وهب والشافعي. فتح المغيث ٢/ ٣٤.

القول الثاني: المنع منها مطلقا.

قال عياض عن هذا المذهب: ((وقال آخرون لا يقول: حدثنا وأخبرنا إلا فيما سمع من الشيخ، وليقل قرأت أو قرئ عليه وأنا أسمع.

وإلى هذا نحا ابن المبارك، ويحيى بن يحيى التميمي، والنسائي، وابن حنبل في آخرين، وقال القاضي الباقلاني: (إنه الصحيح^(١))).

وهو اختيار الشيرازي، والغزالي، والآمدي، وصفي الدين الهندي.

القول الثالث: التفريق بينهما: المنع من إطلاق حدثنا وجواز أخبرنا.

قال عياض عن هذا المذهب: ((وأبى جمهور الخرسانيين وأهل المشرق من إطلاق حدثنا في القراءة، وأجازوا فيه أخبرنا ليفرقوا بين الضريين^(٢).

وروي هذا المذهب من التفريق عن أبي حنيفة أيضا. وهو قول الشافعي^(٣)، وحكاه ابن البيع عن الأوزاعي والثوري، وهو مذهب مسلم بن الحجاج في آخرين.

وقالوا: إن أول من أحدث الفرق بين هذين اللفظين ابن وهب^(٤) بمصر)).

القول الرابع:

وقال عياض: ((وذهب القاضي أبو بكر ابن الطيب في لمة من أهل التحقيق إلى اختيار الفصل بين السماع والقراءة، فلا يطلق حدثنا إلا فيما سمع، ويقيد في غيره بما قرأ بأن يقول: حدثنا أو أخبرنا قراءة، أو فيما قرئ عليه وأنا أسمع، أو قرأت عليه.

ليزول إيهام اختلاط أنواع الأخذ، وتظهر نزاهة الراوي وتحفظه)).

* والذي يظهر لي أنه كالقول الثاني القائل بالمنع، والقاضي أفردته بالذكر في الموضوعين.

(١) تيسر التحرير ٩٣/٣.

(٢) قالوا: ولا تكون حدثنا إلا مشافهة، ويصح أخبرنا في الكتاب والتبليغ: ألا ترى أنك تقول أخبرنا الله بكنا وأخبرنا رسوله ولا تقول حدثنا .

(٣) والصحيح من مذهبه الأول. انظر: فتح المغيث ٣٤/٢.

(٤) عبد الله بن وهب بن مسلم القرشي مولاهم المصري، أبو محمد ، الإمام الجامع بين الفقه والحديث، أثبت النس في الإمام مالك الحافظ الحجة، صاحب مالكا عشرين سنة، له تأليف حسنة منها: سماعة من مالك، وموطأ الكبير، و موطأ الصغير، وجامعه الكبير، وغير ذلك، مولده سنة (١٢٥هـ) ومات سنة (١٩٧هـ). الديباج ٢١٤، شجرة النور ٥٨.

وذكر في تيسير التحرير وقال القاضي أبو بكر: إنه الصحيح^(١).

الترجيح:

اختار عياض في المسألة عدم التفريق، وأن ما ذكره أهل العلم إنما هو اصطلاح، ولا مشاحة في الاصطلاح ما لم يكن فيه فرقٌ معنويٌّ أو تغييرٌ للمعنى.

فقال في الإلماع: ((وكل ما تقدم من الاصطلاحات والاختيارات لا تقوم لترجيحها حجة إلا من جهة الاستحسان، للفرق لطرق الأخذ والمواضعة لتمييز أهل الصنعة أنواع النقل...))

وأما من جهة التحقيق فلا فرق إذا صحت الأصول المتقدمة، وأما طرق للنقل صحيحة، وأن العبارة فيها بحدثنا وأخبرنا وأنبأنا سواء، لأنه إن سمعه منه فلا شك في إخباره به وكذلك إن قرأه عليه فحوزه له أو أقره عليه فهو إخبار به حقيقة، وإن لم يسمع من فيه كلمة منه، فكذلك إذا كتبه له أو أذن له فيه فكله إخبار حقيقة، وإعلام بصحة ذلك الحديث و الكتاب، وروايته له بسنده الذي ذكره له، فكأنه سمع منه جميعه. قال القاضي عياض: هذا مقتضى اللغة، وعرف أهلها حقيقة ومجازاً، ولا فرق فيما بين هذه العبارات^(٢).

* وما ذهب إليه القاضي عياض رحمه الله هو الراجح، لأنه قول الجماهير، ومقتضى اللغة، وعرف المحدثين.

الضرب الثالث: المناولة

تعريف المناولة:

أ. لغة:

المناولة مأخوذة من العطية. قال القاضي عياض: ((في حديث الخضر: ((فحملوهما بغير نول))^(٣). أي بغير جعل ولا أجر، والنول بالواو، والمنال والمناولة: الجعل. والنيل بالياء، والنوال: العطاء. والمناولة: مذك يدك بالشئ إلى غيرك، وكأنه من النول، وهو الإعطاء^(٤).

(١) تيسير التحرير ٩٣/٣.

(٢) الإلماع ص ١٣٢. وانظر: الإكمال - المقدمة - ١٩٨/١.

(٣) جزء من الحديث أخرجه البغاري (١٢٢)، ومسلم (١٨٠).

(٤) مشارق الأنوار ٥٧/٢، باب النون مادة (نول).

هي: إعطاء الشيخ الطالب شيئا من مروياته مع إجازته له به، صريحا أو كناية^(١).

قال عياض رحمه الله: ((وهو أن يحضر الشيخ بعض حديثه، أو بعض كتبه، أو يكون عند الطالب ويقول له: هذا سماعي من فلان فاحمله عني، أو أجزمها لك...))^(٢).

رأي القاضي عياض في المسألة:

القاضي عياض ممن يرى جواز المناولة وصحتها، وقد نقل هذا المذهب عن كافة أهل النقل والأداء والتحقيق من أهل النظر، وكلامه في المسألة وصورها منقول في كتب أهل الأصول وأصول الحديث في معرض الاحتجاج به، وقد تناول المسألة وصورها وأقوال أهل العلم فيها وأدلتها: فقال رحمه الله في المناولة: ((الضرب الثالث: المناولة وهي أنواع.

- أرفعها أن يدفع الشيخ كتابه الذي رواه أو نسخة منه وقد صححها، أو أحاديث من حديثه وقد انتخبها وكتبها بخطه، أو كتبت عنه فعرّفها، فيقول للطالب: هذه روايتي، فاروها عني ويدفعها إليه.

- أو يقول له خذها فانسخها وقابل بها ثم اصرفها إلي، وقد أجزت لك أن تحدث بها عني، أو اروها عني.

- أو يأتيه الطالب بنسخة صحيحة من رواية الشيخ، أو بجزء من حديثه، فيقف عليه.

فهذا كله عند مالك وجماعة من العلماء بمنزلة السماع^(٣).

(١) توضيح الأفكار ٢/٢٠٣.

(٢) إكمال المعلم، المقدمة، ١/١٩٠-١٩٣.

(٣) هذا منسوب مالك، وجماعة معه سيذكرهم القاضي بعد قليل بقوله: وهو منسوب يحيى بن سعيد...

وفي المسألة أقوال أخرى منها:

- الصحيح عند أصحاب الشافعي وغيرهم: أن المناولة منحلة عن السماع والقراءة.

قال النووي رحمه الله في الترتيب: والصحيح أنها منحلة عن السماع والقراءة، وهو قول الثوري والأوزاعي وابن المبارك، وأبي حنيفة، والشافعي، والبيهقي، والمزني، وأحمد، وإسحاق، ويحيى بن يحيى. قال الحاكم: وعليه عهدنا أئمتنا وإليه نذهب اهـ

الترتيب مع التدريب ١/٤٧١.

- قال السيوطي: ونقل ابن الأثير في مقدمة جامع الأصول أن بعض أصحاب الحديث جعلها أرفع من السماع، لأن الثقة بكتاب الشيخ مع إذنه فوق الثقة بالسماع منه، وأثبت لما يدخل من الوهم على السامع والمسمع. اهـ تدريب الراوي ١/٤٧٠.

ثم ساق بسنده إلى إسماعيل بن أبي أويس يقول: سألت مالكا عن أصح السماع فقال: قراءتك على العالم، أو قال على المحدث، ثم قراءة المحدث عليك، ثم أن يدفع إليك كتابه فيقول أرو عني هذا^(١). وفي رواية أخرى: السماع عندنا على ثلاثة أضرب^(٢)، الحديث المتقدم. وهي رواية صحيحة عند معظم الأئمة والمحدثين. وهو مذهب يحيى بن سعيد الأنصاري^(٣)، والحسن^(٤)، والأوزاعي، وعبيد الله العمري، وحيوة بن شريح، والزهري^(٥)، وهشام بن عروة، وابن جريج^(٦). وحكاها الحاكم عن أبي بكر بن عبد الرحمن، وعكرمة^(٧)، ومجاهد^(٨)، والشعبي، والنخعي، وقاتدة في جماعة عدهم من أئمة المدينة والكوفة والبصرة ومصر. وهو قول كافة أهل النقل والأداء والتحقيق من أهل النظر^(٩).

- وعن الأوزاعي أنه يعمل ما ولا يحدث ما.

قال الزركشي: وأثر الخلاف يظهر في الاختصار على حديثي وأعمري. البحر المحيط ٤٤٩/٣

قال القاضي: ولعل قوله هذا فيما لم يأذن في الحديث به عنه. الإلماع ٨٢.

* والصحيح عندي قول الشافعية ومن وافقهم، لإجماع العلماء على تقدم السماع، واختلافهم في المناولة، والأخذ بما.

(١) الأثر في المحدث الفاضل ٤٣٧، وفيه زيادة كيفية الرواية عنه.

(٢) قال: أولها: قراءتك على العالم. الثاني: قراءته عليك. الثالث: أن يدفع إليك كتابا قد عرفه فيقول: أروه عني... الإلماع

٧٤، الكفاية ٣٢٧.

(٣) يحيى بن سعيد بن قيس الأنصاري، مات سنة (١٤٣هـ). طبقات الشوزي ٥٣.

(٤) الحسن بن أبي الحسن بن يسار البصري كان من سادات التابعين وعلمائهم، ثقة، فاضل، مشهور، توفي

(١١٠هـ). وفات الأعيان ٦٩/٢، تقريب التهذيب ١/١٠٢، النجوم الزاهرة ١/١٦٧.

(٥) أبو بكر محمد بن مسلم بن عبيد الله بن شهاب الزهري، من أئمة الإسلام، وأعلامهم، وحفاظهم، ومن أوعية العلم،

توفي سنة (١٢٤هـ). طبقات الشوزي ٤٧.

(٦) أبو الوليد عبد الملك بن عبد العزيز، فقيه الحرم المكي، وكان إمام أهل الحجاز في عصره، توفي سنة (١٥٠هـ). الأعلام

٣٠٥/٤

(٧) عكرمة بن عبد الله مولى ابن عباس، ثقة، ثبت، عالم بالتفسير، قال عنه الحفاظ بن حجر: لم يثبت تكذيبه عن ابن عمر،

ولا يثبت عنه بدعة، توفي سنة (١٠٧هـ).

سير أعلام النبلاء ١٢/٥ وتقريب التهذيب ١/٦٨٥.

(٨) مجاهد بن جبر، أبو الحجاج المخزومي، مولاهم للمكي، إمام في التفسير ثقة، توفي سنة (١٠٢هـ). طبقات

الشوزي ٥٨، سير أعلام النبلاء ٤/٤٤٩، تقريب التهذيب ٢/٢٢٩.

(٩) انظر مسألة المناولة، وصورها في: مختصر ابن الحاجب مع المصنف ص ١٥٢، تقريب الوصول ص ١١٠، نثر الورود

٤١٦/١، للذكرة ١٣٠. أصول السرخسي ١/٣٧٧، نهاية الوصول ١/٣٧٢، كشف الأسرار ٣/٨٨، ٩٢، ٩٤. تيسر

ثم ساق بسنده إلى محمد بن الضحاك عن مالك بن أنس قال: كلمني يحيى بن سعيد الأنصاري، فكتب له من أحاديث ابن شهاب. فقال له قائل: فسمعها منك؟ قال: هو كان أفقه من ذلك^(١).

ومن غير هذا الطريق: بل أخذها عني وحدث بها.

وهذا بين لأن الثقة بكتابه مع إذنه أكثر من الثقة بالسماع وأثبت لما يدخل من الوهم على السامع والمسمع^(٢).

من صور المناولة:

قال القاضي عياض في الإلماع: ((نوع آخر من المناولة:

أن يعرض الشيخ كتابه ويناوله الطالب، ويأذن له في الحديث به عنه، ثم يمسكه الشيخ عنده ولا يمكنه منه.

فهذه مناولة صحيحة أيضاً، تصح بها الرواية والعمل على ما تقدم، لكن بعد وقوع كتاب الشيخ ذلك للطالب بعينه أو انتساحه نسخة منه، أو تصحيح كتابه متى أمكنه بكتابه، أو بنسخة وثق بمقابلتها منه.

وعلى التحقيق فليس هذا بشيء زائد على معنى الإجازة للشيء المعين من التصانيف المشهورة، والأحاديث المعروفة المعينة.

ولا فرق بين إجازته إياه أن يحدث عنه بكتاب الموطأ وهو غائب أو حاضر، إذ المقصود تعيين ما أحازه له.

لكن قديماً وحديثاً شيوخنا من أهل الحديث يرون لهذا مزية على الإجازة.

ولا مزية له عند مشايخنا من أهل النظر والتحقيق، بخلاف الوجوه الأول.

التحرير ٩٣/٣، فواتح الرحموت ٢/٢١١. التلخيص ٣٠٦، للمستصفي ١/٣١٠، الإحكام ١١٣، المحصول ٤/٤٥٣، الإلماع ٤/٣٣٤، نهاية السؤل ٢/٣٦٥. الروضة ١/٢٠٥، شرح مختصر الروضة ٢/٢٠٨، شرح الكوكب المنير ٢/٥٠٣، شرح غاية السؤل ٢٣٥، المدخل ٢١٧، الإحكام لابن حزم ٢/٢٧١، إرشاد الفحول ٩٦. معرفة علوم الحديث ٢٥٩، الكفاية ٣٢٦، المقدمة لابن الصلاح مع التقييد ١٦٠، فتح المغيب للعراقي ٢١٥، شرح نخب الفكر ٤٥، ٤٦، تدريب الراوي ١/٤٦٧ وما بعدها. توضيح الأفكار ٢/٢٠٣، قواعد التحديث ٢٠٣.

(١) الأثر المحدث الفاصل ص ٤٣٨ في غير هذا السند عن إسماعيل بن أبي أوس - وكذلك في الكفاية ٣٤٧، أثر قريب منه. البحر المحيط ٣/٤٤٨.

(٢) هل هذا من القاضي عياض ترجيح لما نقله السيوطي عن ابن الأثير

لأن دفعه كتابه إليه وتمليكاه إياه حتى يحدث منه، أو ينتسخه بمنزلة تحديثه إياه وإملائه عليه في التحقيق حتى كتب الحديث أو حفظه. وهذا الوجه الآخر وإن كان يتوصل به إلى المراد عند ظفره بالكتاب المناوّل، فقد قلنا إنه لا فرق بينه وبين إجازته لذلك الكتاب، إذا عُيِّن له اسمه، وإن لم يحضر، لأنه إذا ظفر به أيضا صحّت روايته له عنه^(١).

هذا وعياض في هذه الصورة موافق لما عليه الأصوليون، والمحدثون^(٢)، وقد نقلوا كلامه فيها. الأدلة على حجية المناوالة^(٣).

قال القاضي عياض: ((والأصل عندهم في ذلك من الأثر:

- اعتماد عمال النبي صلى الله عليه وسلم في البلاد على كتبه إليهم^(٤).

ثم ساق بسنده إلى صالح بن كيسان قال: قال ابن شهاب: أخبرني عبيد الله بن عبد الله أن ابن عباس أخبره أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث بكتابه إلى كسرى مع عبد الله بن حذافة، وأمره أن يدفعه إلى عظيم البحرين، ويدفعه عظيم البحرين إلى كسرى^(٥).

- وحثهم أيضا في كتابه لعبد الله بن جحش كتابا وختم عليه، ودفعه إليه، ووجهه في طائفة من أصحابه إلى جهة نخلة، وقال له: ((لا تنظر في الكتاب حتى تسير يومين ثم انظر فيه. وأنفذ لما فيه، ولا تكرهن أحدا على النفوذ معك^(٦))).^(٧)

الضرب الرابع: الكتابة.

(١) الإلماع ٨٢-٨٣.

(٢) كشف الأسرار ٩٤/٣، مقدمة ابن الصلاح مع التقييد ١٦٢، فتح للمغيث ٢١٨، تدريب الراوي ٤٧٢/١، شرح نخبة الفكر ٤٧.

(٣) تنظر في: مختصر ابن الحاجب مع العضد ١٥٢، المذكرة ١٣٠، البحر المحيط ٤٤٨/٣، العدة ١٣٦/٢، الواضح في أصول الفقه ٥٤/٥، شرح الكوكب المنير ٥٠٤/٢، الكفاية ٣٢٦-٣٣٣، المحدث الفاضل ٤٣٥ وما بعدها، تدريب الراوي ٤٦٧/١، الإحكام لابن حزم ٢٧٣/٢، إرشاد الفحول ٩٧، توضيح الأفكار ٢٠٣/٢.

(٤) الواضح في أصول الفقه ٥٤/٥.

(٥) البخاري (٤١٦٢).

(٦) أخرجه البخاري في العلم باب ما يذكر في المناوالة رقم الباب (٧) الكفاية في علم الرواية ص ٣١٣، ٣١٢، توضيح الأفكار ٢٠٣/٢.

(٧) الإلماع ص ٨١، ٨٢.

أولاً: صورتها (تعريفها):

عرفها القاضي عياض بقوله: ((وهو أن يسأل الطالب الشيخ أن يكتب له شيئاً من حديثه، أو يبدأ الشيخ بكتاب ذلك مقيداً للطالب بحضوره، أو من بلد آخر، وليس في الكتاب ولا في المشافهة والسؤال إذن ولا طلباً للحديث بما عنه))^(١).

ثانياً: حكمها^(٢).

- وقال رحمه الله: ((وإلى صحة الحديث والعمل بذلك ذهب كافة المحدثين والفقهاء والأصوليين.

- وقالت فرقة: لا تجوز الرواية به وهو خطأ...))^(٣).

- وقال: ((وحديث أبي عثمان كتب إلينا عمر ونحن بأذربيجان... مما تتبعه عليهما - أي: الدارقطني -، وهو حجة في جواز الحديث من الكتاب...))^(٤).

قال الشوكاني: " قال القاضي عياض إن الذي عليه الجمهور من أرباب النقل وغيرهم، جواز الرواية لأحاديث الكتاب... إرشاد الفحول

- هذا وقد تحمل القاضي عياض بهذا الطريق كتباً كثيرة من شيوخه.

* وما رآه عياض من العمل بالمكتبة والإجماع عليها يوافقه عليه أهل الأصول والحديث^(٥).

وما ذكر من خلاف في المسألة إنما هو في بعض أنواعها وصورها، وإلا فالعلماء على العمل بالمكتبة كما ذكر القاضي عياض عنهم.

ثالثاً: شرط العمل بالكتابة.

(١) الإلماع ص ٨٣-٨٤، مقدمة ابن الصلاح مع التقيد ص ١٦٥، فتح المغيث ص ٢٠٣، تدريب الراوي ١/٤٨٠، توضيح الأفكار ١/٢٠٨.

(٢) وانظر ما سيأتي من النقول عن عياض في: الأدلة على جواز المكتبة.

(٣) إكمال المعلم - الجهاد - باب كراهة ثمن لقاء العدو، والأمر بالصبر عند اللقاء ٤٥/٦.

(٤) إكمال المعلم - اللباس والزينة - باب تحريم استعمال إناء الذهب ٥٨٥-٥٨٦.

(٥) أصول السرخسي ١/٣٧٦، نهاية الوصول ١/٣١٢، كشف الأسرار ٢/٨٢، تيسير التحرير ٣/٩٢، فواتح الرحموت ٢/٢١١،

مختصر ابن الحاجب ص ١٥٢، شرح تنقيح الفصول ص ٢٩٢، نثر الورد ١/٤١٧، اللمع ص ٢٣٤، المحصول ٤/٤٥١،

الإحكام ٢/١١٣، الإجماع ٢/٣٣٣، البحر المحیط ٦/٤٤٦، نهاية السؤل ٢/٣٦٥، العدة ٢/١٣٨-١٣٩، الواضح ٥/٥١،

شرح الكوكب المنير ٢/٥٠٩، إرشاد الفحول ص ٩٦، الإحكام لابن حزم ٢/٢٧٢-٢٧٣، الكفاية ص ٣٣٦، مقدمة ابن

الصلاح مع التقيد ص ١٦٥، فتح المغيث ص ٢٢٣، تدريب الراوي ١/٤٨٠، توضيح الأفكار ٢/٢٠٨.

- قال القاضي عياض رحمه الله: ((فهذا قد أجاز المشايخ الحديث بذلك عنه متى صح عنده أنه خطه وكتابه، لأن في نفس كتابه إليه - به بخط يده أو إجابته إلى ما يطلبه عنده من ذلك - أقوى إذن))^(١)، وهذا الشرط موافق عليه من قبل الأصوليين والمحدثين^(٢).

ونقل عن أبي حنيفة أن شرط ثبوته بالبينة التي تثبت بمثلها الكتب، على ما عرف في كتاب القاضي إلى القاضي^(٣).

أنواع الكتابة:

هي على نوعين:

١- مقرونة بالإجازة.

٢- مجردة عن الإجازة.

النوع الأول: الكتابة المقرونة بالإجازة.

هذا النوع متفق عليه عند العلماء، ويعدّه بعضهم بأنه مثل المناولة المقرونة بالإجازة ، أو مثل السماع في جواز الرواية به^(٤).

(١) الإلماع ص ٨٦.

(٢) كشف الأسرار ٨٤/٣، تيسر التحرير ٩٢/٣، فوائح الرحمت ٢/٢١١، اللمع ص ٢٣٤، المحصول ٤/٤٥١، الأحكام ١١٣/٢، الإجماع ٣٣٣/٢، نهاية السداد ٢/٣٦٥، المحط ٣/٤٤٦، نهاية السداد ٢/٣٦٥، ش - الكوكب الأحكام ١١٣/٢، الإجماع ٣٣٣/٢، نهاية السداد ٢/٣٦٥، البحر المحيط ٣/٤٤٦، نهاية السداد ٢/٣٦٥، شرح الكوكب المنير ٢/٥١٧، الكفاية ص ٣٣٦، مقدمة ابن الصلاح ص ١٦٥، فتح للمغيث ص ٢٢٤، تدريب الراوي ١/٤٨٣، توضيح الأفكار ٢/٢٠٩.

(٣) انظر المصادر السابقة، وخاصة كتب الحنفية السابقة.

(٤) تدريب الوصول ص ١١٠، كشف الأسرار ٨٣/٣، الإحكام للآمدي ١١٣/٢، الإجماع ٣٣٣/٢، نهاية السداد ٢/٣٦٥، البحر المحيط ٣/٤٤٦، شرح الكوكب المنير ٢/٥٠٩، لإرشاد الفحول ص ٩٦، الكفاية ص ٣٣٦، مقدمة ابن الصلاح مع التقييد ص ١٦٥، فتح للمغيث ص ٢٢٣، تدريب الراوي ١/٤٨٠.

- قال القاضي عياض: ((قال القاضي أبو محمد بن خلاد: إذا تيقنت أنه بخطه فهو وسماعه والإقرار منه سواء، لأن الغرض من الخط كاللسان التعبير عن الضمير، فإذا وقعت بما وقعت فكله سواء))^(١)

- قال عبد العزيز البخاري: ((أحدهما: أن يفتن به الإجازة، كما ذكر الشيخ في الكتاب، وهو مثل السماع في جواز الرواية به بالاتفاق))^(٢).

النوع الثاني: المكاتب المجردة من الإجازة.

وهذه قد اختلفوا فيها على قولين.

(١) الإلماع ص ٨٦، المحدث الفاضل ص ٤٥٢ بمعناه، الكفاية ص ٣٤٥.

(٢) كشف الأسرار ٨٣/٣

القول الأول: جوازها.

وبه قال كثير من المتقدمين والمتأخرين^(١)، وجماعة من الشافعية، وغير واحد من الأصوليين^(٢)، والصحيح المشهور بين أهل الحديث^(٣).

وبالغ أبو المظفر السمعاني فقال: إنها أقوى من الإجازة^(٤).

القول الثاني: منع الرواية بها.

وبه قال الماوردي، والرويان^٥، والغزالي، والآمدي، ونقل عن أبي الحسن الدارقطني^(٦)، وذهب ابن القطان^(٧) إلى انقطاع الرواية بالكتابة^(٨).

خامساً: الأدلة على جواز الكتابة:

- قال القاضي عياض: ((وقوله: في هذا الحديث: عن أبي النضر، عن كتاب رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، قال الدارقطني: الحديث صحيح، واتفق البخاري ومسلم على إخرجه حجة في جواز الإجازة والمكاتبة))^(٩).

(١) منهم: أيوب السختياني، ومنصور، والليث بن سعد.

انظر: كشف الأسرار ٨٣/٣، الإمّاج ٢٣٣/٢، البحر المحيط ٤٤٦/٣، شرح الكوكب المنير ٥١٥/٢، إرشاد الفحول ص ٩٦، مقدمة ابن الصلاح مع التقييد ص ١٦٥، فتح المغيث ص ٢٢٤، تريب الراوي ٤٨١/١، توضيح الأفكار ٢٠٨/٢.

(٢) منهم: إمام الحرمين والرازي. المحصول ٤١٥/١، الإمّاج ٣٣٣/٢، وانظر: فتح المغيث ص ٢٢٣، تريب الراوي ٤٨١/١، توضيح الأفكار ٢٠٨/٢، إرشاد الفحول ص ٩٦.

(٣) كشف الأسرار ٨٣/٣، مقدمة ابن الصلاح ص ١٦٥، تريب الراوي ٤٨٢/٢، فتح المغيث ص ٢٢٣، شرح الكوكب المنير ٥١٥/٢.

(٤) انظر: قول السمعاني في البحر المحيط ٤٤٦/٣، الإمّاج ٣٣٣/٢، مقدمة ابن الصلاح ص ١٦٥.

(٥) عبد الواحد بن إسماعيل بن أحمد بن محمد بن أحمد، أبو الحسن، الرويان الطوري، شيخ الشافعية، أصولي، فقيه، تولى القضاء بطبرستان، من تصانيفه: البحر، والكاوي شرح مختصر على المختصر، والحلية، ولد عام (٤١٥هـ)، وقتله للملاحدة بآمل عام (٥٠١هـ). وفيات الأعيان ٩٨/٣، وطبقات الشافعية الكبرى ١٩٤/٧، سير أعلام النبلاء ١٩/١٩٠ - ٢٦٢، شذرات الذهب ٤/٤.

(٦) كشف الأسرار ٨٣/٣، الإحكام للآمدي ١١٣/٢، الإمّاج ٢٣٣/٢، البحر المحيط ٤٤٧/٣، شرح الكوكب المنير ٥١٥/٢، وكب علوم الحديث: المقدمة، الإلماع ص ٨٦.

(٧) بيان الوهم والإيهام ٢٧٨/٢.

(٨) ورد عليه ابن المواق في بغية النقاد. النكت للزركشي ٥٤٥/٣.

وانظر: فتح المغيث ص ٢٢٣، تريب الراوي ٤٨١/١.

- وقال رحمه الله: ((وقد كتب صلى الله عليه وسلم إلى ملوك الأمم فكان حجة عليهم.

وكتب لعماله وإمرائه فلزمهم العمل به، ولأن الثقة بالكتاب كالثقة بالكلام))^(١).

- وقال: ((وقد استمر عمل السلف فمن بعدهم من المشايخ بالحديث بقولهم: كتب فلانٌ إلى فلانٍ قال: أخبرنا فلانٌ.

وأجمعوا على العمل بمقتضى هذا التحديث، وعدلوه في المسند بغير خلاف يعرف في ذلك، وهو موجود في الأسانيد كثيراً))^(٢).

- ساق عياض بسنده أن الشافعي ناظر إسحاق بن راهوية، وابن حنبل حاضر في جلود الميتة إذا دبغت، فقال الشافعي: دباغها طهورها، واستدل بحديث ميمونة^٤ هلاً انتفعتم بإهابها فقال إسحاق: حديث ابن عكيم كتب إلينا النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((لا تنتفعوا من الميتة بإهاب ولا عصب))^(٥) أشبه أن يكون ناسخاً لحديث ميمونة لأنه قبل موته بشهر^(٦).

فقال الشافعي: هذا كتاب وذاك سماع.

فقال إسحاق: كتب النبي صلى الله عليه وسلم إلى كسرى وقيصر وكان حجةً عليهم، فسكت الشافعي^(٧).

- استدلل البخاري أيضاً في صحيحه بنسخ عثمان رضي الله عنه المصاحف، فإن عثمان أمرهم بالاعتماد على تلك المصاحف ومخالفة ما عداها^(٨).

(١) الإلزامات والتتبع للدارقطني ص ٣٠٤.

(٢) إكمال العلم - الجهاد - باب كراهة مني لقاء العدو، والأمر بالصبر عند اللقاء ٤٥/٦.

(٣) الإلماع ص ٨٦، البحر المحيط ٤٤٧/٣، إرشاد الفحول ص ٩٦.

(٤) ميمونة بنت الحارث بن حزن بن بجر الهلالية زوج النبي صلى الله عليه وسلم وكان اسمها برة فسمها رسول الله صلى الله عليه وسلم ميمونة توفية سنة ٥١ بصرف وقبل غير ذلك، أحاديثها (٧٦).

الاستيعاب ٤٦٧/٤ أسد الغابة ٢٧٢/٦ الإصابة ٣٢٢/٨.

(٥) أبو داود (٤١٢٧)، والنسائي (٤٢٤٩)، والترمذي (١٧٢٩) وحسنه، وابن ماجه (٣٦١٣).

قال الترمذي: كان أحمد يذهب إليه ويقول هذا آخر الأمر ثم تركه لما اضطربوا في إسناده.

انظر: فتح الباري ٦٥٩/٩، تلخيص الحبير ٤٧/١.

(٦) البخاري (١٤٢١)، ومسلم (٣٦٣) من حديث ابن عباس عن ميمونة.

(٧) الإلماع ص ٨٦-٨٧، توضيح الأفكار ٢٠٦-٢٠٨.

(٨) توضيح الأفكار ٢٠٨/٢.

- وكذلك فعل الخلفاء الراشدين، فقد كتب أبو بكر وعمر رضي الله عنهما وغيرهما في أمور عظام ومهمة، وبما كانت تقوم الحجة.

- وفي الصحيحين أحاديث منها، بعضها اتفقا عليه، وبعضها انفرد به أحدهما^(١).

الضرب الخامس: الإجازة.

أولاً: تعريف الإجازة.

أ. لغة^(٢):

قال الصنعاني في تعريفه^(٣) ((وفي مأخذها أقوال:

- قيل: من التحوز، وهو التعدي، كأنه عدى روايته حتى أدخلها في المروي عنه.

- وقيل: من المحاز، كأن القراءة والسماع هي الحقيقة، وما عداها مجاز.

- وقيل: من الجواز بمعنى الإباحة، فإنه أباح المجيز من أجازه أن يروي عنه وأذن له في ذلك))^(٤).

ب. اصطلاحاً:

عرّفها القاضي عياض بقوله: ((إما مشافهة أو إذناً باللفظ مع المغيب، أو يكتب له ذلك بخطه بحضوره، أو منغيه))^(٥).

ثانياً: حكم الإجازة:

ذكر القاضي عياض أن الخلاف في هذه المسألة من جهتين.

(١) قال الزركشي: وقع في صحيح مسلم أحاديث رويت كتابة فوق العشرة. التكت على ابن الصلاح ٤٥٦/١. توضيح الأفكار ٢٠٨/٢، شرح الكوكب المنير ٥١٥/٢، تدريب الراوي ٤٨٢/١.

(٢) انظر: مادة - جوز - في القاموس ١٧٦/٢، المصباح للنير ص ٦٣، مفردات القرآن ص ١١٠، المعجم الوسيط.

(٣) قال: مصدر، وأصلها إجازة، تحركت الواو، انفتح ما قبلها فقلبت ألفاً، وحذفت إحدى الألفين، إما الزائدة، وإما الأصلية، على الخلاف... إلخ. توضيح الأفكار للصنعاني ١٩٣/٢، وانظر: التكت على ابن الصلاح للزركشي ٥٠٢/٣.

(٤) يرى ابن فارس أنها مأخوذة من جواز الماء. معجم مقاييس اللغة ٤٩٤/١.

قال الزركشي: ويقال: أجزت لفلان كذا، وأجزت فلاناً كذا، فمن عداها بحرف الجر فهو بمعنى سوغت له وأبحت، ومن عداها بنفسه فهو بمعنى أجزته ماء، أي أسقته ماء لأرضه وماشيتة، والأول أظهر، وأشهر.

التكت على ابن الصلاح للزركشي ٥٠٢/٣.

وانظر: كشف الأسرار ٨٩/٣، الكفاية ص ٣١٢، مقدمة ابن الصلاح ص ١٩٥، فتح المغيب ص ٢٣١، تدريب الراوي ٤٦٥/١.

(٥) للإمام ص ٨٨، وزاد: " والحكم في جميعها واحد، إلا أنه يحتاج مع المغيب لإثبات النقل، أو الخط ".

إحدهما: من جهة الرواية بما.

والثانية: من جهة العمل.

حيث قال رحمه الله: ((والتمييز بين الإجازة، وبين السماع أولى، للخلاف في صحتها، والعمل بما، وهو الذي شاهدته من أهل التحري في الرواية ممن أخذنا عنه...))^(١).

رأي القاضي عياض في الرواية بالإجازة:

يرى القاضي عياض صحة الرواية بالإجازة، ويدل عليه أمور منها:

١- نقل في كتاب الجهاد عن الدارقطني القول بصحة الإجازة والمكاتبة: ((وقوله في هذا الحديث: عن أبي النضر، عن كتاب رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم. قال الدارقطني: الحديث صحيح، واتفاق البخاري ومسلم على إخراجه حجة في جواز الإجازة والمكاتبة.

ثم قال القاضي: ((وإلى صحة الحديث والعمل بذلك ذهب كافة المحدثين والفقهاء والأصوليين. وقالت فرقة: لا تجوز الرواية به، وهو خطأ.

وقد كتب النبي صلى الله عليه وسلم إلى ملوك الأمم، فكان حجة عليهم، وكتب لعماله وأمرائه فلزمهم العمل به))^(٢).

٢- تصحيحه لبعض أنواعها، وتضعيفه ورده للبعض الآخر منها، كما سيأتي^(٣).

٣- تحمله بالإجازة عن عدد من مشايخه كابن العربي^(٤).

قال في الغنية: ((وبعد أيها الراغبون في تعيين روايتي، وإجازة مسموعاتي ومجموعاتي..... وأسمي أشياءي الذين أخذت عنهم، قراءةً، وسماعاً، ومناولةً، ومن كتب إليّ ممن لم ألقه، وذكرت من خير كل واحد منهم ما يعطي الحال وفقه، بطرق من الاختصار والإيجاز))^(٥).

(١) إكمال المعلم - المقدمة - ١ / ١٩٠.

(٢) إكمال المعلم - كتاب الجهاد - باب كراهة مني لقاء العدو، والأمر بالصبر عند اللقاء ٤٥/٦، وكلام الدارقطني في التبع

والإلزامات ص ٣٠٤.

(٣) سيأتي كلامه في الأنواع إن شاء الله.

(٤) الغنية ص ١٣٦.

٤- إجازته لكتبه لتلاميذه كابن خيّر^(٢).

٥- نقله القول بالإجازة عن عامة العلماء، والسكوت على ذلك، قال في الإكمال: ((فالمشهور عن عامة الفقهاء والمحدثين جوازها... فظاهر رواية الكراهة عمن لا يستحقها، لا لنفسها.

قال أحمد بن ميسر^(٣) من أئمتنا: والإجازة عندي خير من السماع الرديء^(٤).

- وقال في الإلماع^(٥) عن النوع الأول من أنواع الإجازة - إجازة معين لمعين - ((فهذه عند بعضهم، التي لم يُختلف في جوازها، ولا خالف فيه أهل الظاهر، وإنما الخلاف منهم في غير هذا الوجه..... وقال القاضي أبو الوليد الباجي^(٦): لا خلاف في جواز الرواية بالإجازة من سلف هذه الأمة وخلفها. وادعى فيه الإجماع ولم يفصل، وذكر الخلاف في العمل بها)).

(١) الفنية لعياض، بتحقيق: محمد بن عبد الكريم ص ٨٤، ٩٧، ٩٨، التعريف بالقاضي عياض ص ٩، وندوة الإمام مالك دورة القاضي عياض ١٨٨/٢، بحث الجانب الرباني في شخصية القاضي عياض: أحمد العلوي، القاضي عياض وجهوده في علمي الحديث: رواية ودراية ١٢١-١٢٣-١٢٤.

(٢) تقدم محمد بن عبد الكريم للفنية ص ٧٩.

(٣) أحمد بن ميسر بن محمد بن إسماعيل يعرف بابن الأغيش أبو عمر القرطبي، تقدم في معرفة العربية، وكان يميل إلى النظر والحجة، اعتنى بكتب الشافعي، وكان يميل إليه، وكان إذا استغنى ربما يقول: أما مذهب أهل بلدنا فكلنا، وأما الذي أراه فكلنا. ت: ٣٢٨، وقيل: ٣٢٧.

انظر: الدنيا الملهب ص ٣٣-٣٤.

(٤) إكمال المعلم- المقدمة ١/١٩٠.

(٥) الإلماع ص ٨٨-٨٩.

(٦) إحكام الفصول ١/٣٦٦، وغلط ابن الصلاح كلام الباجي.

المقدمة ص ١٥٢.

قال الزركشي: سبق الباجي إلى نقل ذلك القاضي أبو بكر، ودعوى المصنف بطلانه فيه نظر، فإن الخطيب وغيره من المحققين حلوا كلام المانعين على الكراهة...

انظر: النكت ٣/٥٠٣-٥٠٦.

* وما قاله عياض من جواز الرواية بالإجازة هو ما عليه الجمهور، وعامة الفقهاء كما حكاه عنهم، وهو الذي استقر عليه رأي الأمة^(١).

(١) مختصر ابن الحاجب مع العضد ص ١٥٢، شرح تنقيح الفصول ص ٢٩٣، تقريب الوصول ١١٠، المذكرة ص ١٢٩، نثر الورود ٤١٦/١، أصول السرخسي ٣٧٧/١، نهاية الوصول ٣٧٢/١، كشف الأسرار ٨٨/٣، تبصير التحرير ٩٤/٣، فواتح الرحموت ٢١١/٢، التلخيص ص ٣٠٦، البرهان ٢٤٨/١، المستصفي ٣١٠/١، المحصول ٤٥٤/٤، الإحكام ١١٢/٢، نهاية السؤل ٣٦٥/٢، العدة ١٣٩/٢، الواضح ٥١/٥، شرح مختصر الروضة ٢٠٩/٢، الروضة ٢٠٤/١، إرشاد الفحول ص ٩٧، الإحكام لابن حزم ٢٧٣/١، الكفاية ص ٣١١، مقدمة ابن الصلاح ص ١٥١، فتح المغيث ص ٢٠١، تدريب الرلوي ٤٤٨/١، توضيح الأفكار ٢٠٦/٢، قواعد التحديث ص ٢٠٤.

وخالف في هذه المسألة بعض العلماء^(١).

قال القاضي عياض: ((وأبأها أهل الظاهر، وحُكي عن الشافعي، ورؤي الوجهان عن مالك، والجواز عنه أشهر)).

حكم العمل بالإجازة:

- قال القاضي عياض رحمه الله: ((واختلف من أجازها في وجوب العمل بها، فالجمهور على وجوبه، كالسماع والقراءة))^(٢).

- وقال: ((واختلف من أجاز الرواية بها في وجوب العمل بمقتضاها، وما روي بها، فالجمهور على صحة ذلك كما تقدم))^(٣).

* وما رآه القاضي عياض من وجوب العمل بالإجازة، هو ما عليه جمهور العلماء المميزون للرواية بالإجازة^(٤).

قال الخطيب في الكفاية: ((وقال الدهماء من العلماء أنه يجب العمل بها))^(٥).

(١) ومن منع الرواية بالإجازة: أبو حنيفة، ومحمد، ونقل عن أبي يوسف، وشعبة، وأبي زرعة الرازي، وإبراهيم بن إسحاق الحربي، وأبي نصر الوائلي السجزي، وأبي عماد الأصبهاني، والقاضي حسين، والمواردي، والرويان، وأبي طاهر الدهاس، وأبي بكر الحنفتي، ورواهما الربيع عن الشافعي، قال شعبة: لو صحت الإجازة، لبطلت الرحلة، وقال أبو زرعة: لو صحت لبطل العلم. وروى عن أبي حنيفة، ومحمد، وأبي بكر الرازي إجازتها إن كان المجيز والمجاز له قد علما ما في الكتاب الذي أجاز روايته.

انظر: مختصر ابن الحاجب ص ١٥٢، المذكرة ص ١٢٩، كشف الأسرار ٨٨/٣، نهاية الوصول ٣٧٢/١، الإمّاج ٣٣٥/٢، البحر المحيط ٤٥٢/٣، وفيه أقوال أخرى، العدة ١٣٩/٢، الواضح ٥٣/٥، شرح الكوكب للنير ٥٠١/٢، إرشاد الفحول ص ٩٧، مقدمة ابن الصلاح ص ١٥٢، فتح المغيب ص ٢٠١، تدريب الراوي ٤٤٨/١، قواعد التحديث ص ٢٠٤.

(٢) إكمال المعلم - المقدمة - ١٩٠ / ١.

(٣) الإلماع ص ٩٣.

(٤) انظر للمذهب الجمهور: إحكام الفصول ٣٦٦/١، شرح تنقيح الفصول ص ٢٩٣، المذكرة ص ١٢٩، اللع ص ٢٣٤، التلخيص ص ٣٠٧، البرهان ٢٤٨/١، المستصفى ٣١٠/١، الإمّاج ٣٣٥/٢، البحر المحيط ٤٥١/٣، إرشاد الفحول ص ٩٧، الكفاية ص ٣١١، مقدمة ابن الصلاح ص ١٥٢، فتح المغيب ص ٢١٠، تدريب الراوي ٤٤٨/١، قواعد التحديث ص ٢٠٤.

(٥) الكفاية ص ٣١١.

- قال القاضي عياض: ((وقال قوم من أهل الظاهر لا يجب عمل بما روي))^(١).

- قال ابن السبكي: ((وخالف بعض أهل الظاهر، وهو خلاف ضعيف))^(٢).

ثالثاً: أنواع الإجازة.

هذا المبحث من المباحث التي حررها القاضي عياض أتم تحرير في كتابه الإلماع، كما ذكر ذلك في نهايتها هو بنفسه، وقد نقله عنه المحدثون والأصوليون، واعتمدوا عليه فيه. وذكر نبذاً منها في مقدمة صحيح مسلم، وأحال على الإلماع للاستزادة، وسوف نقل كلامه فيها من الإلماع مع الإشارة لما في صحيح مسلم.

النوع الأول: الإجازة لمعين في معين.

صورته: أن يقول أحزرت لك أو لكم الكتاب الفلاني، أو ما اشتملت عليه فهرستي هذه.

- قال القاضي عياض: ((أعلاهما الإجازة لكعب معينة، وأحاديث مخصصة مفسرة، إما في اللفظ والكعب، أو مُحالٍ على فهرسة حاضرة أو مشهورة))^(٣).

حكمها:

- قال القاضي عياض^(٤) في حكم هذا النوع من الإجازة: ((فهذه عند بعضهم التي لم يختلف في جوازها، ولا خالف فيه أهل الظاهر، وإنما الخلاف منهم في غير هذا الوجه))^(٥).

- وقد سوى بعضهم بين هذه وبين للنائلة، وسماه أبو العباس ابن بكر المالكي في كتابه "الوجازة" منائلة، وقال: إنه يحل محل السماع والقراءة عند جماعة من أصحاب الحديث. قال: وهو مذهب مالك^(٦).

(١) إكمال المعلم - المقدمة - ١ / ١٩٠، وانظر: الإلماع ص ٩٣.

(٢) الإلماع ٣٣٥/٢، وانظر للمذهب الظاهرية في المسألة: للمصادر السابقة في رقم (١).

(٣) الإلماع ص ٨٨، وراجع: كشف الأسرار، ٩٦/٣، تيسر التحرير ٩٥/٣، للذكرة ص ١٢٨، الإلماع ٣٣٦/٢، البحر المحيط ٤٥٤/٣، شرح الكوكب المنير ٥١١/٢، شرح غاية السؤل ص ٢٣٨، إرشاد الفحول ص ٩٨، الكفاية ص ٣٢٦، مقدمة ابن الصلاح مع التقييد ص ١٥١، فتح المغني ص ٢١٠، تدريب الراوي ٤٤٨/١، توضيح الأفكار ١٩٣/٢، قواعد التحديث ص ٢٠٤.

(٤) الإلماع ص ٨٨.

(٥) الذي في الإحكام لابن حزم إنكارها، ووصفها بالباطل، والبدعة، والمنقول في الكعب إنكار أهل الظاهر للإجازة، رواية، وعملاً، ولم أقف على عدم مخالفة أهل الظاهر لهذا النوع إلا عن القاضي عياض.

(٦) الإلماع ص ٨٨.

- قال القاضي أبو الوليد الباجي: لا خلاف في جواز الرواية بالإجازة من سلف هذه الأمة وخلفها، وادعى فيه الإجماع، ولم يفصل، وذكر الخلاف في العمل بها^(١).

* وما رآه القاضي عياض من عدم الخلاف في هذا النوع من الإجازة نقله عنه المحدثون والأصوليون ووافقه عليه^(٢).

النوع الثاني: الإجازة لمعين في غير معين. صورتهما:

- قال القاضي عياض: ((الوجه الثاني: أن يميز لمعين على وجه العموم والإهمام، دون تخصيص ولا تعيين لكتب ولا أحاديث، كقولك: قد أجزت لك جميع روايتي، أو ما صَحَّ عندك من روايتي))^(٣).

حكمها:

- قال القاضي عياض: ((فهذا الوجه هو الذي وقع فيه الخلاف تحقيقاً، والصحيح جوازه، وصحة الرواية والعمل به بعد تصحيح شيئين:
- تعيين روايات الشيخ ومسموعاته وتحقيقها.
- صحة ومطابقة كتب الراوي لها.

(١) كلام الباجي في إحكام الفصول ٣٦٦/١.

قال الإمام الجوهري في البرهان: تردد الأصوليون فيه، فذهب ذاهبون إلى أنه لا يتلقى بالإجازة حكم، ولا يسوغ التعويل عليها عملاً ورواية. واختار هو التعويل على ذلك مع تحقيق الحديث.

وقال أبو مروان الطبري: إنما تصح الإجازة عندي إذا عَيَّنَّ المميز للمجاز ما أجاز له، فله أن يقول فيه حديثي. ووافقه عليه الحنفية كأبي حنيفة، ومحمد، وأبي بكر الرازي، وثقل عن مالك.

قال: وعلى هذا رأيت إجازات أهل المشرق، وما رأيت مخالفاً له بخلاف إذا أهم ولم يسمَّ ما أجاز، ولا يحتاج في هذا الغير مقابلة نسخته بأصول الشيخ. البرهان للجوهري ٢٤٧/١-٢٤٨، والتلخيص في أصول الفقه ص ٣٠٦-٣٠٧، الإلماع ص ٨٩، وانظر: كشف الأسرار ٨٩/٣، تيسر التحرير ٩٥/٣، فواتح الرحموت ٢/٢١١، الإحكام للآمدي ٢/١١٢، الإلماع ص ٩٥، تدريب الراوي ١/٤٦٦، قواعد التحديث ص ٢٠٤.

(٢) راجع المصادر المبال إلىها في أول النوع...

(٣) الإلماع ص ٩١.

انظر: مقدمة ابن الصلاح ص ١٥٢، فتح المغيب ص ٢٠١، توضيح الأفكار ١/١٩٣، تدريب الراوي. ٤٥١/١.

وهو قول الأكثرين، والجمهور من الأئمة والسلف، ومن جاء بعدهم من مشايخ المحدثين والفقهاء والنظار...))^(١).

* والأمر في المسألة كما قال عياض^(٢).

قال النووي في التقريب: ((والضرب الثاني: يميز معيناً غيره، كأجزتك مسموعاتي، فالخلاف فيه أقوى وأكثر، والجمهور من الطوائف جوزوا الرواية وأوجبوا العمل بها))^(٣).
وأغرب السرخسي إذ قال في هذا النوع: ((فأما إذا قال المحدث: أجزت لك أن تروي عني مسموعاتي فإن ذلك غير صحيح بالاتفاق)).

تنبيه:

ناقش عياض ضمن هذا الوجه ما روي عن الإمام مالك من الكراهة للإجازة فقال: " وما روي عن مالك من خلاف ذلك في سماع " ابن وهب " فعلى الكراهية، وتعظيم شأن العلم.
وقوله: " رأيت مالكا فعله "، قال: وسمعت مرة، وقد سئل عن مثل هذا فقال: ما يعجبني وإن الناس يفعلونه، قال: وذلك أنهم طلبوا العلم لغير الله، يريدون أن يأخذوا الشيء الكثير في المقام القليل^(٤).
- قال: وكان يكرهها لمن ليس من أهله، ويقول إذا امتنع من إعطاء الإجازة: أحدهم يجب أن يذعى قساً ولم يخدم الكنيسة. يضرب هذا المثل في هذا^(٥).

(١) قال: وهو ملهب الزهري، ومنصور بن المعتز، وأيوب، وشعبة، وربيعة، وعبد العزيز بن الماجشون، والأوزاعي، والثوري، ومالك، وابن عيينة، وجملة المالكيين، وعامة أصحاب الحديث، وهو الذي استمر عليه عمل الشيوخ وقووه، وصححه أبو المعالي، واختاره هو وغيره من أئمة النظر المحققين. اهـ

لكن المنصوص عن شعبة في كتب الأصول وعلوم الحديث عدم القول بمواز الإجازة جملة، ونقل عنه: لو صحت الإجازة لبطلت الرحلة.

انظر: الإلماع ص ٩١-٩٢، راجع: الكفاية بالنسبة لكثير من الأعلام الذين ذكرهم عياض ص ٣١٣.
(٢) المذكورة ص ١٢٩، كشف الأسرار ٩٦/٣، تيسر التحرير ٩٥/٣، الإمجا ٣٣٦/٢، البحر المحيط ٤٥٤/٣، شرح الكوكب المنير ٥١٢/٢.

مقدمة ابن الصلاح مع التقييد ص ١٥٢، فتح المغيث ص ٢٠١، تدريب الروي ٤٥١/١، توضيح الأفكار ١٩٣/٢، قواعد التحديث ص ٢٠٤.

(٣) التقريب مع تدريب الروي ٤٥١/١.

(٤) الإلماع ص ٩٤، الكفاية ص ٣١٦-٣١٧، البحر المحيط ٥٥٢/٣.

(٥) كلام أبي العباس، ونقله عن مالك، الإلماع ص ٩٤، كشف الأسرار ٩٢/٣، البحر المحيط ٤٥٢/٣، مقدمة ابن الصلاح ص ١٦٠، فتح المغيث ص ٢١٤، تدريب الروي ٤٦٦/١.

- قال عياض رضي الله عنه: ((أما الشرطان الأولان فواجبان على كل حال في السماع والعرض والإجازة وسائر طرق النقل، إلا اشتراط العلم فمختلف فيه))^(١).
- قال ابن عبد البر: الصحيح أنهما لا تجوز إلا لماهر بالصناعة، وفي شيء معين لا يشكل إسناده^(٢).

النوع الثالث: أن يميز لغير معين بوصف العموم (الإجازة العامة)

صورتها:

- قال القاضي عياض: ((الإجازة للعموم من غير تعيين المجاز له، وهي على ضربين: معلقة بوصف، ومخصوصة بوقت، أو مطلقة.
- فأما المخصوصة والمعلقة كقولك: أجزت لمن لقيني، أو لكل من قرأ عليّ العلم، أو لمن كان من طلبة العلم، أو لأهل بلد كذا، أو لبني هاشم، أو قريش.
- والمطلقة: أجزت لجميع المسلمين، أو لكل أحد))^(٣).

حكمها:

حكى القاضي عياض أقوال أهل العلم فيها، ورجح صحتها إن كانت بوصف حاصر.

١. فذهب القاضي ببغداد أبو الطيب الطبري^(٤) إلى أن هذا كله يصح فيمن كان موجوداً من أهل ذلك البلد ومن بني هاشم، وجماعة المسلمين، ولا يصح لمن لم يوجد ممن هو معلوم.

(١) الإلماع ص ٩٥.

(٢) كلام ابن عبد البر: الإلماع ص ٩٥، كشف الأسرار ٩٢/٣، البحر المحيط ٤٥٤/٣، مقدمة ابن الصلاح ص ١٦٠، فتح المنهت ص ٢١٤، تدريب الراوي ٤٦٦/١.

(٣) الإلماع ص ٩٥.

وانظر: كشف الأسرار ٢٩٦/٣، الإلهام ٣٣٦/٢، البحر المحيط ٤٥٤/٣، شرح الكوكب المنير ٥١٢/٢، مقدمة ابن الصلاح ص ١٥٣، فتح المنهت ص ٢٠٢، تدريب الراوي ٤٥١/١.

(٤) رأي أبي الطيب الطبري في: الإلماع ص ٩٨، الإلهام ٣٦٦/٢، البحر المحيط ٤٥٤/٣، شرح الكوكب المنير ٥١٣/٢، إرشاد الفحول ص ٩٨، مقدمة ابن الصلاح ص ١٥٣، فتح المنهت ص ٢٠٢، تدريب الراوي ٤٥٢/١، والقاضي أبو الطيب الطبري وآراؤه الأصولية ص ٤٥٤.

٢. وذهب القاضي بالبصرة أبو الحسن الماوردي إلى منعها في الجهول كقوله من المسلمين، مَنْ
وُجِدَ ومن لم يوجد، وكذلك يأتي على قوليهما في طلبه العلم عليه فيمن وُجِدَ منهم

ومن لم يوجد^(١).

٣. وذهب أبو بكر الخطيب إلى جواز ذلك كله^(٢)، وإليه ذهب غير واحد من مشايخ الحديث^(٣).

ثم قال: فأما إذا كان هذا العموم لمن يأخذه الحصر والوجود كقوله: أجزت لمن هو الآن من طلبة العلم ببلد كذا، أو لمن قرأ عليّ قبل هذا.

فما أحسبهم اختلفوا في جوازه ممن تصح عنده الإجازة، ولا رأيت منعه لأحد، لأنه محصور موصوف كقوله: لأولاد فلان، أو إخوة فلان^(٤).

مبنى الخلاف في المسألة:

قال القاضي عياض: ((واختلافهم فيه مبني على اختلافهم في الوقف على المجهول، ومن لا يُحصى، كالوقف على بني تميم وقريش، فإن الفقهاء اختلفوا في ذلك:

- فقالت طائفة: ذلك يصح، وهو مذهب أصحابنا المالكيين، ومحمد بن الحسن، وأبي يوسف، وأحد قولي أصحاب الشافعي.

- والقول الآخر: لا يصح، لأنه لا يتعين الموقف عليه، وعادت إلى جهالة)).

(١) الإلماع ص ٩٩، الكفاية ص ٣٢٥، الإمّاج ٣٣٦/٢، البحر المحيط ٤٥٤/٣، شرح الكوكب المنير ٥١٣/٢، إرشاد الفحول ص ٩٨، مقدمة ابن الصلاح ص ١٥٢، واختاره فقال: " ولم نر ولم نسمع عن أحد ممن يقتدى به، أنه استعمل هذه الإجازات فروی لها، ولا عن الشرذمة المتأخرة الذين سمعوا، والإجازة في أصلها ضعف وتزداد بهذا التوسع والاسترسال ضعفاً كثيراً، لا ينبغي احتماله". وفتح المغني ص ٢٠٢، تدريب الرلوي ص ٤٥٢/١.

(٢) رأي الخطيب: الإلماع ص ٩٩، كشف الأسرار ٩٧/٣، الإمّاج ٣٣٦/٢، البحر المحيط ٤٥٤/٣، شرح الكوكب المنير ٥١٣/٢، إرشاد الفحول ص ٩٨، مقدمة ابن الصلاح ص ١٥٣، فتح للمغني ص ٢٠٢، تدريب الرلوي ٤٥٢/١، توضيح الأفكار ١٩٤/٣.

(٣) منهم: المحافظ ابن منده، وأبو محمد بن سعيد من شيوخ الأندلس، وأبو عبد الله بن عثّاب، وأبو العلاء الحسن بن أحمد المطّار، وأبو الفضل أحمد بن الحسين بن [خبرون] البغدادي، وأبو الوليد ابن رشد المالكي، وأبو طاهر السلفي. ورجحه ابن الحاجب، وصححه النووي في زباده على " الروضة "، وحدث بها أبو بكر بن خير الأشبيلي، وشرف الدين عبد المؤمن بن خلف الدماطي، وسمع بها جمع منهم: المزني، والذهبي، والبرزلي.

انظر: شرح الكوكب المنير ٥١٣/٢، مقدمة ابن الصلاح ص ١٥٣، فتح للمغني ص ٢٠٢، تدريب الرلوي ٤٥٢/١، توضيح الأفكار ١٩٤/٢، التقييد والإيضاح ص ١٥٥، كشف الأسرار ٩٧/٣.

(٤) الإلماع ص ١٠١، ونقل كلامه ابن الصلاح في مقدمته ص ١٥٣، العراقي في فتح للمغني ص ٢٠٢، والسيوطي في التدريب ٤٥١/١. وما صححه عياض قال فيه ابن الصلاح: فإن كان ذلك مقيداً بوصف حاصر أو نحوه، فهو إلى الجواز أقرب. مقدمة ابن الصلاح ص ١٥٣.

النوع الرابع: الإجازة للمجهول أو بالجهول.
وصورتها^(١):

- للمجهول: مثل: أجزت لمحمد بن خالد الدمشقي، وفي وقته ذلك جماعة مشتركون في الاسم والنسب ثم لا يعين المجاز له. ومثل أجزت لرجل من الناس.
- وبالجهول: مثل: أجزتك أن تروي عني كتاب السنن، وهو يروي عنه من السنن، ثم لا يعين المجاز به، أو أجزتك بعض مروياتي.
- حكمها:

- قال القاضي عياض: " الإجازة للمجهول، وهي على ضربين:

١. فإما لمعين مجهول في حق المجيز لا يعرفه:

فلا تضره بعد إجازته له جهالته بعينه، إذا سمى له أو سماه في كتابه، أو نسبه على ما نص عليه. كما لا يضره عدم معرفته إذا حضر شخصه للسمع منه^(٢).

* وما رآه القاضي عياض من جواز هذا الضرب، يوافقه عليه الجمهور من العلماء^(٣).

- قال ابن النجار: ((أما لو استُحيز لمن سُمي له، ونسب له، فلا يقدح في صحة الإجازة جهله بشخصه، كما لا يقدح عدم معرفته بمن هو حاضر يسمعه بشخصه))^(٤).

٢. المجهول المبهم على الجملة:

يرى القاضي عياض عدم صحة الإجازة له حيث قال رحمه الله: ((وإما مجهول مبهم على الجملة، كقوله: أجزت لبعض الناس أو لقوم أو لنفر لا غير، فهذه لا تصح الرواية بها ولا تفيد هذه الإجازة، إذ لا سبيل إلى معرفة هذا المبهم ولا تعيينه))^(٥).

(١) كشف الأسرار ٩٧/٣، تيسر التحرير ٩٥/٣، فواتح الرحموت ٢١١/٢، الإمجا ٣٣٦/٢، البحر المحيط ٤٥٤/٣، شرح الكوكب المنير ٥٢٠/٢.

مقدمة ابن الصلاح ص ١٤٥، فتح للمفhit ص ٢٠٣، تدريب الراوي ٤٥٤/١، توضيح الأفكار ١٩٤/٢.

(٢) الإلماع ص ١٠١.

(٣) انظر: الإمجا ٣٣٦/٢، شرح الكوكب المنير ٥٢٠/٢، مقدمة ابن الصلاح ص ١٥٤، فتح للمفhit ٢٠٤، تدريب الراوي ٤٥٥/١.

(٤) شرح الكوكب المنير ٥٢٠/٢.

(٥) الإلماع ص ١٠١.

- وقال في الإكمال: ((ومنعوا الإجازة للمجهول المبهم جملة كقوله: أجزت لبعض الناس))^(١).

* وما ذهب إليه القاضي عياض من عدم الصحة يوافقه عليه العلماء^(٢).

قال ابن السبكي: ((فهذه إجازة فاسدة لا فائدة لها))^(٣).

ومثله لابن الصلاح والزرکشي والعراقي.

٣. الإجازة المعلقة بالشرط:

صورتهما:

قال القاضي عياض: ((وأما إن تعلقت الجهالة بشرط وتميزت بصفة أو تعيين أولاً كقوله: أجزت لأهل بلد كذا إن أرادوا، أو لمن شاء أن يحدث عني، أو لمن شاء فلان، فهذه قد اختلف فيها، وقد وقعت إجازته لبعض من تقدم))^(٤).

حكمها:

اختلف العلماء فيها على قولين:

القول الأول: الجواز.

قال القاضي عياض عنه^(٥): ((وبإجازته قال أبو بكر الخطيب الشافعي، وأبو الفضل بن عمرو المالك، وأبو يعلى الفراء الحنبلي، والقاضي أبو عبد الله الدامغاني الحنفي، وروي مثله عن محمد بن أحمد بن يعقوب بن شيبه))^(٦). وغيره ممن تقدم^(٧).

(١) الإكمال: المقدمة ١/١٩٤.

(٢) كشف الأسرار ٣/٩٧، تيسر التحرير ٣/٩٥، الإمّاج ٢/٣٣٦، البحر المحيط ٣/٤٥٤، شرح الكوكب المنير ٢/٥٢٠،

مقدمة ابن الصلاح ص ١٥٤، فتح المغني ص ٢٠٤، تدريب الراوي ١/٤٥٤.

٣ - الإمّاج ٢/٣٣٦.

(٤) الإمّاع ص ١٠٢-١٠٤.

وانظر: الإمّاج ٢/٣٣٧، البحر المحيط ٣/٤٥٤، شرح الكوكب المنير ٢/٥٢٠، مقدمة ابن الصلاح ص ١٥٥، فتح المغني ص

٢٠٤، تدريب الراوي ١/٤٥٥.

(٥) نفس المصدر السابق.

(٦) انظر مذاهب المهيزين في: الإمّاج ٢/٣٣٧، البحر المحيط ٣/٤٥٤، شرح الكوكب المنير ٢/٥٢٠، مقدمة ابن الصلاح ص

١٥٥، فتح المغني ص ٢٠٥، تدريب الراوي ١/٤٥٥، قالوا: إن الجهالة ترتفع عند وجود المشبهة، ويتميز المجاز له عندها.

وزاد في الإكمال^(١): ((والمعروف من مذهب المغاربة جواز ذلك كله، وقد رأيته في إجازات جماعة من متقدميهم ومتأخريهم، ومن أدركناه)).

القول الثاني: المنع.

قال عنه القاضي عياض^(٢): ((ومنع ذلك القاضي أبو الطيب الطبري، والقاضي أبو الحسن الماوردي الشافعيان^(٣))).

وهو اختيار ابن النجار الحنبلي حيث قال: ((والصحيح خلاف ذلك، وهو عدم الصحة لما في ذلك من الجهالة والتعليق^(٤))).

النوع الخامس: الإجازة للمعدوم.

صورتها:

قال القاضي عياض عنها: ((كقوله: أحزت لفلان وولده وكل ولد يولد له، أو لعقبه وعقب عقبه، أو لطلبة العلم ببلد كذا متى كانوا، أو لكل من دخل بلد كذا من طلبة العلم^(٥))).

حكمها:

قال عياض: ((فهذا مما اختلف فيه)). على قولين: الجواز والمنع.

القول الأول: الجواز^(٦).

(١) الإكمال: المقدمة ١٩٤/١.

(١) الإكمال: المقدمة ١٩٤/١.

(٢) الإلماح ص ١٠٢-١٠٤، الإكمال: المقدمة ١٩٤/١.

(٣) انظر مذاهب المانعين في المصادر السابقة في الإحالة رقم "٢"، وعللوا المنع بأنه إجازة لمجهول فصار كقوله " أحزت بعض الناس " وهذا فاسد عند الجميع.

انظر: الإلماح ٣٣٧/٢، البحر المحيط ٤٥٤/٣، فتح المغيث ص ٢٠٦، تدريب الراوي ٤٥٤/١.

(٤) شرح الكوكب المنير ٥٢٠/٢.

(٥) الإلماح ص ١٠٤، الإكمال: المقدمة ١٩٤/١، وانظر كشف الأسرار ٩٧/٣، تيسير التحرير ٩٥/٣، فواتح الرحموت

٢١١/٢، نثر الورود ٤١٧/١، شرح الكوكب المنير ٥١٩/٢، شرح غاية السؤل ص ٢٣٨، الإلماح ٢/٢، البحر المحيط

٤٥٦/٣، مقدمة ابن الصلاح ص ١٥٦، فتح المغيث ص ٢٠٧، تدريب الراوي ٤٥٧/١، قواعد التحديث ص ٢٠٣.

(٦) انظر للقول بالجواز المصادر السابقة.

قال عنه القاضي عياض^(١): ((فأجازها معظم الشيوخ المتأخرين، وبها استمر عملهم - بعدُ - شرقاً وغرباً، وإليه ذهب من الفقهاء: أبو الفضل بن عمرو البغدادي المالكي، وأبو يعلى بن الفراء الحنبلي، والقاضي أبو عبد الله الدامغاني الحنفي. واختلف فيه قول القاضي أبي الطيب الطبري من الشافعية، وأجازها غيره منهم، وهو اختيار الشيخ أبي بكر بن ثابت البغدادي)).

(١) الإلماع ص ١٠٤-١٠٥.

القول الثاني: المنع^(١).

قال عنه القاضي عياض^(٢): ((ومنع ذلك الماوردي)).

الأدلة في المسألة^(٣):

قال القاضي عياض بعد نقله الأقوال في المسألة: ((وحجة المجيزين لها:

- القياس على الوقف عند القائلين بإجازة الوقف على المعلوم من المالكية والحنفية.

- ولأنه إذا صحت الإجازة مع عدم اللقاء، وبعد الديار، وتفريق الأقطار فكذلك مع عدم اللقاء، وبعد الزمان وتفريق الأعصار)).

النوع السادس: الإجازة لما لم يزوه المجيز بعد:

صورها:

الإجازة بما لم يسمعه المجيز، ولم يتحمله فيما مضى لرواية المجاز له، إن تحمله بعد ذلك.

قال رحمه الله: ((...أو إجازة ما لم يصح له روايته عند الإجازة، كقوله: أجزت له ما رويت وما أرويه)).^(٤)

حكمها:

هذه الإجازة لا تصح، وقد أبطلها العلماء^(٥)، وهو رأي القاضي عياض رحمه الله تعالى، وقد نقله عنه العلماء^(٦).

(١) انظر للقائلين بالمنع في المصادر السابقة في الإحالة رقم من الصفحة السابقة.

قال ابن السبكي: والصحيح الذي استقر عليه رأي القاضي أبي الطيب لأنها لا تصح لأن الإجازة في حكم الإيعار جملة بالمجاز كما تقدم، فكما لا يصح الإيعار للمعلوم لا يصح إجازته.

الإمام ٣٣٨/٢، وانظر البحر المحيط ٤٥٤/٣.

(٢) الإلماع ص ١٠٤-١٠٥، الإكمال: المقدمة ١٩٤/١.

(٣) الإلماع ص ١٠٤.

٤ - الإكمال، المقدمة ١٩٤/١-١٩٥.

(٥) كشف الأسرار ٩٨/٣، تيسر التحرير ٩٥/٣، الإمام ٣٣٨/٣، البحر المحيط ٤٥٤/٣، شرح الكوكب للنير ٥٢١/٢،

مقدمة ابن الصلاح ص ١٥٨، الكفاية ص ٣٤٩، فتح المغيث ص ٢١٠، تريب الروي ٤٦١/١، توضيح الأفكار

٢٠٢/٢، قواعد التحديث ص ٢٠٣، فقد نصت المصادر السابقة على فسادها وبطلانها.

(٦) كلام عياض في المسألة منقول في معظم المصادر السابقة.

قال رحمه الله تعالى^(١): ((الإجازة لما لم يروه المجيز بعد، فهذا لم أر من تكلم عليه من المشايخ، ورأيت بعض المتأخرين والعصرين يصنعونه...))

وهذا هو الصحيح —أي عدم الجواز—، فإن هذا يجيز بما لا خير عنده منه، ويأذن في الحديث بما لم يتحدث بعد، ويبيح ما لم يعلم هل يصح له الإذن فيه، فمنعه الصواب.))

قال ابن الصلاح^(٢): ((ينبغي أن يبنى ذلك على أن الإجازة في حكم الإخبار بالمجاز جملة، أو هي إذن، فإن جعلت في حكم الإخبار، لم تصح هذه الإجازة، إذ كيف يجيز بما لا خير عنده منه. وإن جعلت إذناً، انبنى هذا على الخلاف في تصحيح الإذن في باب الوكالة فيما لم يملكه الآذن الموكل بعد، مثل أن يوكل في بيع العبد الذي يريد أن يشتريه)).

تنبيه:

لو قال له: أجزت لك ما صحَّ عندك من مسموعاتي، فهذه تصح الرواية بما عند القاضي عياض وغيره، وقد فعله الدارقطني رحمه الله.

قال القاضي عياض^(٣): ((وعلى هذا فيجب على المجاز له في الإجازة العامة المبهمة إذا طلب تصحيح رواية الشيخ كما قدمنا، أن يعلم أن هذا مما رواه قبل الإجازة، إن كان الشيخ ممن يعلم سماعه وطلبه بعد تأريخ الإجازة، فيحتاج ههنا إلى ثبوت فصل ثالث وهو تأريخ سماعه، زائداً إلى الفصلين اللذين ذكرناهما هنالك))^(٤).

قال ابن الصلاح وغيره^(٥): ((وأما إذا قال أجزت لك ما صح، ويصح عندك من مسموعاتي، فهذا ليس من هذا القبيل، وقد فعله الدارقطني وغيره، وجائز أن يروي بذلك عنه ما صح عنده بعد الإجازة أنه سمعه قبل الإجازة.))

ويجوز ذلك وإن اقتصر على قوله (ما صح عندك)، ولم يقل (وما يصح)، لأن المراد أجزت لك أن تروي عني ما صح عندك، فالمعتبر إذاً فيه صحة ذلك عنده (حالة الرواية)).

(١)الإلماع ص ١٠٦، وقصة أبي مروان في مقدمة ابن الصلاح ص ١٥٨، فتح المغيث ص ٢١٠، تدريب الراوي ٤٦١/١.

(٢)مقدمة ابن الصلاح ص ١٥٨، الإمهاج ٣/٣٣٨، البحر المحيط ٣/٤٥٤، فتح المغيث ص ٢١٠، تدريب الراوي ٤٦١/١.

(٣)الإلماع ص ١٠٧.

(٤)قال عياض هناك في الوجه الثاني: والصحيح جوازه، وصحت الرواية والعمل به، بعد تصحيح شيخين: تعيين روايات الشيخ ومسموعاته وتحققها، وصحة مطابقة كتب الراوي لها. الإلماع ص ٩١-٩٢، وانظر: الكفاية ص ٣٤٥.

(٥)مقدمة ابن الصلاح ص ١٥٨، فتح المغيث ص ٢١١، تدريب الراوي ٤٦٢/١.

* هناك صورٌ من أنواع الإجازة لم يتعرض لها القاضي، فلم نذكرها.
مثل: لو كانت الإجازة للمعدوم تبع لموجود، والإجازة للطفل، والكافر، والمجنون، والفاسق، والمبتدع، والحمل، وإجازة المجاز وغيرها^(١).

الضرب السادس: الإعلام (إعلام الشيخ):

صورته:

قال القاضي عياض^(٢): ((وهو إعلام الشيخ الطالب أن هذا الحديث من روايته، وأن هذا الكتاب سماعه فقط، دون أن يأذن له في الرواية عنه، أو يأمره بذلك، أو يقول الطالب: هو روايتك أحمله عنك ؟ فيقول له: نعم، أو يقرّه على ذلك ولا يمنعه)).

رأي القاضي عياض في الرواية بالإعلام:

يرى القاضي عياض جواز الرواية والعمل بالإعلام^(٣).

حيث قال رحمه الله: ((فهذا أيضاً وجهٌ وطريقٌ صحيح للنقل والعمل عند الكثير، لأن اعترافه به وتصحيحه له أنه سماعه، كتحديثه له بلفظه وقراءته عليه إياه، وإن لم يجزه له.

وبه قال طائفة من أئمة المحدثين ونظار الفقهاء المحققين، وروي عن عبيد الله العمري، وأصحابه المدنيين، وقالت به طائفة من أهل الظاهر، وهو الذي اختار القاضي أبو محمد بن خلاد، والحافظ

(١) كشف الأسرار ٩٨/٣، تيسير التحرير ٩٥/٣، الإجماع ٣٣٨/٣، البحر المحيط ٤٥٥/٣، الكفاية ص ٣٤٩، مقدمة ابن الصلاح ص ١٥٨ وما بعدها، فتح المغيث ص ٢٠٨-٢١١، شرح الكوكب المنير ٥١٧/٢-٥١٩، تدريب الراوي ٤٥٧، ٤٦٢/١ وما بعدها، قواعد التحديث ص ٢٠٣.

(٢) انظر الإلماع ص ١٠٧، وإكمال المعلم - المقدمة - ١٩٢/١.

(٣) انظر الإلماع ص ١٠٨، وإكمال المعلم - المقدمة - ١٩٢/١ وما بعدها، وراجع القول بالجواز للمصادر التالية:

فوائح الرهوت ٢١٢/٢، المذكرة ص ١٣٠، الروضة ٢٠٦/١، شرح مختصر الروضة ٢١٠/٢، شرح غاية السؤل ص ٢٣٦، شرح الكوكب المنير ٥٢٦/٢، المدخل ص ٢١٧، مقدمة ابن الصلاح ص ١٦٦، فتح المغيث ص ٢٢٤، تدريب الراوي ٤٨٤/١، قواعد التحديث ص ٢٠٤.

الوليد بن بكر المالكي، وغيرهما، وهو مذهب عبد الملك بن حبيب من كبراء أصحابنا)). ونسبه إلى عياض الشنقيطي في نثر الورود، والصنعاني^(١).

المخالف:

وخالف في المسألة الغزالي وغيره، كابن الصلاح والنووي، فقالوا بالمنع من الرواية في هذه الحال^(٢).
- قال القاضي عياض^(٣): ((ولم يجوز النقل والرواية بهذا الوجه طائفة من المحدثين وأئمة الأصوليين، وجعلوه كالشاهد إذا لم يشهد على شهادته وسمع يذكرها فلا يشهد عليها، إذ لعله لو استؤذن في ذلك لم يأذن لتشكك أو ارتياب بدخله عند التحقيق والأداء، أو النقل، بخلاف ذكرها على غير هذا الوجه، فكذلك النقل عنه للحديث.
وهو اختيار الطوسي من أئمة الأصوليين، لكن محقق أصحاب الأصول لا يختلفون بوجوب العمل^(٤) بذلك، وإن لم تجز به الرواية عند بعضهم)).

فرع^٥: لو منع الشيخ بعد الإعلام من الرواية عنه (دون معرفة خلل في الرواية)^(٦).

قال القاضي عياض: ((وقال القاضي أبو محمد بن خلاد بصحتها وصحة الرواية والنقل بها... حتى ولو قال له: هذه روايتي لكن لا ترويه عني لم يلتفت إلى نهيه، وكان له أن يرويها عنه، كما لو سمع منه حديثاً ثم قال له: لا تروه عني ولا أحيظه لك، لم يضره ذلك))^(٧).

(١) نثر الورود ٤١٧/١، توضيح الأفكار ٢١٠/٢.

(٢) المستصنى ٣١٠/١، الإلماع ١١٠، نثر الورود ٤١٧/١، توضيح الأفكار ٢١٠/١ إضافة للمصادر السابقة.

(٣) كلام عياض في الإلماع ص ١٠٩-١١٠، وإكمال المعلم - المقدمة - ١٩٣/١.

(٤) قال في شرح الكوكب المنير ٥٢٧/٢: ويعمل وجوباً بما ظن صحته من ذلك أي مما قلنا: إنه لا تجوز له روايته عند أصحابنا والشافعية. يعني أنه لا يتوقف وجوب العمل على حواجز الرواية، وذلك لعمل الصحابة بكتبه صلى الله عليه وسلم. ثم نقل كلاماً لابن العراقي وابن الصلاح والنووي على حواجز العمل، ونقل عن عياض القائلين بالمنع من العمل.

انظر للقول بالعمل بما روي عن طريق الإعلام: شرح مختصر الروضة ٢١٠/٢، مقدمة ابن الصلاح ص ١٦٦، فتح المغيث ص ٤٢٤، تدريب الراوي ٤٨٦/١، توضيح الأفكار ٢١٠/٢، قواعد التحديث ص ٢٠٤، وكلام عياض في العمل منقول في مصادر علوم الحديث وواقفه عليه.

(٥) انظر: المقدمة ص ١٦٦، فتح المغيث ص ٢٢٥، تدريب الراوي ٤٨٥/١، الكفاية ص ٣٤٨.

قال القاضي عياض^(١): ((وما قاله صحيح لا يقتضي النظر سواء، لأن منعه ألا يحدث بما حدثه لا لعله ولا رية في الحديث لا يؤثر، لأنه قد حدثه فهو شيء لا يرجع فيه. وما أعلم مقتدىً به قال خلاف هذا في تأثير منع الشيخ ورجوعه عما حدث به من حديثه، وأن ذلك يقطع سنده عنه^(٢))).

مناقشة القاضي عياض لحجة المانعين بالقياس على الشهادة:

قال رحمه الله^(٣): ((وقياس من قاس الإذن في الحديث في هذا الوجه وعدمه على الإذن في الشهادة وعدمها غير صحيح، لأن الشهادة على الشهادة لا تصح إلا مع الإشهاد والإذن في كل حال، إلا إذا سُمع أداؤها عند الحاكم ففيه اختلاف، والحديث عن السماع والقراءة لا يحتاج فيه إلى إذن باتفاق، فهذا يكسر عليهم حجتهم بالشهادة في مسألتنا هنا، ولا فرق.

- وأيضاً فإن الشهادة مفترقة من الراوية في أكثر الوجوه، ويشترط في الشاهد أوصاف لا تشتط في الراوي، ويضر الرجوع عنها بخلاف الخبر، ولأن الشاهد لو نسيَ شهادته، أو شك فيها بعد أن كان نقلت عنه لم يصح نقلها، ولا جازت شهادة الفرع لضعف شهادة الأصل عند الجميع، والخبر يجوز فيه نقل الفرع مع شك الأصل ونسيانه عند جمهور الفقهاء من المالكية والشافعية والحنفية وجماعة المحدثين والأصوليين، وهو مروي عن السلف المتقدم، ولم يخالف فيه إلا الكرخي وبعض متأخرة الحنفية أصحابه.

(١) كلام الرامهرمزي: المحدث الفاضل ص ٤٥١-٤٥٢، الإلماع ص ١١٠، إكمال المعلم - المقدمة - ١٩٣/١، والمقدمة لابن الصلاح ص ١٦٦، فتح المغيث ص ٢٢٥، تدريب الراوي ٤٨٥/١.

(٢) تعقيب عياض على ابن خلدون الرامهرمزي في الإلماع ص ١١٠، وإكمال المعلم - المقدمة - ١٩٣/١، فتح المغيث ص ٢٢٥، تدريب الراوي ٤٨٥/١.

(٣) ثم قال رحمه الله: إلا أني قرأت في كتاب الفقيه أبي بكر بن أبي عبد الله المالكي القروي في طبقات علماء إفريقية عن شيخ من جلة شيوخنا أنه أشهد بالرجوع عما حدث به بعض أصحابه لأمر نقمه عليه. وكذلك نقل مثل هذا بعض من لقيناه من مشايخ الأندلس المتطور إليهم، وهو الفقيه أبو بكر بن عطية فإنه أشهد بالرجوع عما حدث به أصحابه لموى ظهر له منه، وأمر أنكرها عليه.

ولعل هذا لمن فعله تأديب منهم وتضعيف لهم عند العامة، لا لأنهم اعتقلوا صحة تأثيره. اهـ.

(٤) للمناقشة في الإلماع ص ١١١-١١٣، وإكمال المعلم - المقدمة - ١٩٣/١، وانظر فتح المغيث ص ٢٢٥، تدريب الراوي ٤٨٦/١.

- ولأن شهادة الفرع لا تنقل بحضرة شاهد الأصل، وإمكانه من أدائها عندنا، ويصح الخبر عن راويه مع شهوده وإمكان سماعه منه.
- ولأنه لا يصح بتزكية شاهد الفرع لشاهد الأصل، ويصح بتزكية الراوي لمن روى عنه، فهما مفترقان...
- ولا فرق في التحقيق بين سماعه كتاباً عليه أو عرضه والشيخ ساكت، عند من لا يشترط التقرير، وهم الجمهور والمحققون.
- ولا بين أن يدفع إليه كتاباً ذكر له أنه روايته، أو اعترف له به وإن لم يدفعه إليه، أو كتب إليه بأحاديث بخطه، وإن لم يجرها له^(١).
- إضافة للقول بالجواز، وتقويه له^(٢):
- ثم ساق عياض بسنده إلى أنس بن عياض يقول: سمعت عبيد الله بن عمر - يعني العمري - يقول: كنا نأتي الزهري بالكتاب من حديثه فنقول له: يا أبا بكر هذا من حديثك؟ فيأخذه فينظر فيه ثم يرده إلينا ويقول: نعم هو من حديثي.
- قال عبيد الله: فناخذه وما قرأه علينا ولا استجزناه أكثر من إقراره بأنه من حديثه^(٣).
- الضرب السابع: الوصية بالكتب .
- صورتها: قال القاضي عياض: ((وهو أن يوصي الشيخ بدفع كتبه عند موته أو سفره لرجل))^(٤).
- حكم الرواية والعمل^(٥):

(١) سبقت الحالة في الصفحة السابقة.

(٢) الإلماع ص ١١٤-١١٥.

(٣) ثم قال رحمه الله: فهذا ملحق الزهري، إمام هذا الشأن، وعبيد الله العمري أحد أئمة وقته بالمدينة، في آخرين من أقرانه أهمهم من أصحاب الزهري، ومن هم مالك، وابن عمه أبو أويس، ومحمد بن إسحاق، وإبراهيم بن سعد، ويونس بن يزيد وطبقتهم.

- قال الواقدي: قال ابن أبي الزناد: شهدت ابن جريح جاء إلى هشام بن عروة فقال له: الصحيفة التي أعطيتها فلاناً هي حديثك؟ قال: نعم.

قال الواقدي: سمعت ابن جريح بعد ذلك يقول: أخبرنا هشام بن عروة.

(٤) الإلماع ص (١١٥)، وانظر: فوائح الرجوح (٢/٢١٢)، شرح الكوكب المنير (٢/٥٢٣)، مقدمة ابن الصلاح ص (١٦٧)، فتح للمغيث ص (٢٢٦)، شرح نخب الفكر ص (٤٧)، تدريب الراوي (١/٤٨٦)، قواعد التحديث ص (٢٠٤).

(٥) انظر للسائلة في المصادر السابقة: المحدث الفاضل ص (٤٥٩)، والكفاية ص (٣٥٢).

نقل القاضي عياض جواز الرواية والعمل بهذا الطريق عن السلف، ولم يفصح هو عن رأيه فيه، لكن في هذا منه إشارة إلى جوازها.

قال رحمه الله عنه: ((وهذا باب أيضاً قد روي فيه عن السلف المتقدم إجازة الرواية بذلك، لأن في دفعها له نوعاً من الإذن، وشبهها من العرض والمناولة، وقريب من الضرب الذي قبله))^(١).
((فهذا إن كان قد أعلمه أنها روايته فهو من هذا الباب، أو يكون في معنى الوصية إذنه بالحديث بها أو الإعلام بأنها من حديثه))^(٢).

المخالف:

هذا والجمهور على المنع من الرواية بالوصية كالخطيب، وابن الصلاح، والنووي، وغيرهم^(٣).
- قال ابن حجر^(٤): ((فقد قال قوم من الأئمة المتقدمين: يجوز له أن يروي تلك الأصول عنه بمجرد هذه الوصية، وأبى ذلك الجمهور إلا إن كان له منه إجازة))
لكن خالف في ذلك ابن أبي الدم فنسب القول بجوازها للأكثرين^(٥).
الترجيح:

ولعل ما جرح إليه القاضي من الجواز أقرب للصواب، لما أشار إليه رحمه الله من تجويز السلف لها، ومشاهرتها للإعلام، ولما فيها من شائبة الإذن فكانت قريبة من الإجازة التي أجازها الجمهور.

(١) الإلماع ص (١١٥). ثم ساق بسنده إلى حماد بن زيد عن أيوب قال: قلت لعماد - هو ابن سيرين - إن فلاناً أوصى لي بكنية فأحدث عنه؟ قال: نعم، ثم قال لي بعد ذلك: لا أمرك، ولا أنفك، قال حماد: وكان أبو قلابة، قال: ادفعوا كشي إلى أيوب إن كان حياً ولا فأحرقوها. انظر: المحدث الفاضل ص (٤٥٩)، الكفاية ص (٣٥٢)، فتح المغيبي ص (٢٢٦).
(٢) إكمال المعلم - المقدمة - (١/ ١٩٣).

وروي عن ابن أبي الدم الشافعي جواز الرواية والعمل بها، حيث قال: الوصية أرفع رتبة من الولاية فلا خلاف، وهي معمول بها عند الشافعي وغيره.

انظر النص في شرح الكوكب المنير (٥٢٥/٢)، تدریب الراوي (٤٨٧/١).

(٣) شرح الكوكب المنير (٥٢٣/٢)، الكفاية ص (٣٥٢)، مقدمة ابن الصلاح ص (١٦٧)، فتح المغيبي ص (٢٢٦)، تدریب الراوي (٤٨٦/١)، قواعد التحديث ص (٢٠٤).

(٤) شرح نخبه الفكر ص (٤٧).

(٥) النكت للزركشي ٥٥٠/٣.

الضرب الثامن: الوجادة

أولاً: تعريفها لغة:

الوجادة: مصدر مولد لوجد يجد.

استعملوها فيما أخذ من العلم من صحيفة من غير سماع ولا إجازة ولا مناولة ولا كتابة ولا إعلام^(١).

ثانياً: تعريفها اصطلاحاً:

عرفها القاضي عياض بقوله: ((وهو الوقوف على كتاب بخط محدث مشهور يعرف خطه ويصححه، وإن لم يلقه ولا سمع منه، أو لقيه ولكن لم يسمع منه كتابه هذا، وكذلك كتب أبيه وجده بخط أيديهم))^(٢).

ثالثاً: حكمها.

أ- حكم الرواية بالوجادة.

اتفق العلماء على المنع من الرواية بالوجادة، وهذا ما نص عليه القاضي عياض رحمه الله حيث قال: ((ثم اختلف أئمة الحديث والفقه والأصول في العمل بما وجد من الحديث بالخط المحقق لإمام، أو أصل من أصول ثقة، مع اتفاقهم على منع النقل والرواية به))^(٣).

وحكى الاتفاق على المنع من النقل والرواية بها أيضاً الشيخ الشنقيطي: ((...يعني أن الرواية بالوجادة ممنوعة اتفاقاً، والعمل بها ممنوع عند الجمل، هذا مراده وكثير من محققي النظر على جواز العمل بها عند حصول الثقة))^(٤).

(١) انظر مادة وجد ومصادرها في: نثر الورود ٤١٨/١، شرح مختصر الروضة ٢١١/٢، شرح الكوكب المنير ٥٢٥/٢، مقدمة ابن الصلاح ١٦٧، فتح المغيث ٢٢٧، تدريب الراوي ٤٨٧/١.

(٢) الإلماع ١١٦.

وانظر تعريف الوجادة في المصادر التالية: نثر الورود ٤١٨/١، فواتح الرحموت ٢١٢/٢، المستصفى ٣١١/١، نهاية السؤل ٣٦٦/٢، روضة الناظر مع نزهة الخاطر ٢٠٦/١، شرح الكوكب المنير ٥٢٦/٢، مقدمة ابن الصلاح ١٦٨، فتح المغيث ص ٢٢٨، شرح نغية الفكر ٤٧، تدريب الراوي ٤٨٧/١، توضيح الأفكار ٢١١/٢، قواعد التحديث ٢٠٤.

(٣) الإلماع ١٢٠، وانظر للمصادر السابقة لحكم الرواية.

(٤) نثر الورود ٤١٨/١.

ب. حكم العمل بالوجادة:

اختلف العلماء في حكم العمل بالوجادة على قولين الجواز والمنع.

والقاضي عياض رحمه الله لم يبين لي رأيه في المسألة صريحاً إلا أن نقله للأقوال في المسألة يدل على ميله إلى القول بالمنع، حيث عزاه لمعظم المحدثين والفقهاء من المالكية وغيرهم ونقل القول بالجواز على سبيل الحكاية حيث قال رحمه الله: ((اختلفت أئمة الحديث والفقه والأصول في العمل بما وجد من الحديث بالخط المحقق للإمام، أو أصل من أصول ثقة، مع اتفاقهم على منع النقل والرواية به.))

وحكي عن الشافعي جواز العمل به، وقالت به طائفة من نظار أصحابه^(١)، وهو الذي نصره الجويني^(٢)، واختاره غيره من أرباب التحقيق، وهذا مبني على مسألة العمل بالمرسل^(٣))).^(٤)

* وكلام عياض في هذه المسألة نقله عنه المحدثون والأصوليون واعتمدوا عليه^(٥).

والقول بالجواز هو الذي صححه من جاء بعد القاضي كابن الصلاح والعراقي والنووي وابن النجار الحنبلي والشيخ الشنقيطي والصنعاني في توضيح الأفكار ونقله عن الشيعة الزيدية^٦ وصححوه^(٧).

هذا كله إذا حصلت الثقة بالخط كما نص عليه إمام الحرمين والإسنوي والشنقيطي^(٨).

٤- صيغة الأداء في الوجادة:

قال القاضي عياض: ((فهذا لا أعلم من يقتدى به أجاز النقل فيه بمحدثنا، وأخيرنا، ولا من يعده معدّ المسند. والذي استمر عليه عمل الأشياخ قديما وحديثا في هذا قولهم: وجدت بخط فلان،

(١) كما في الرهان لإمام الحرمين ٢٤٩/١، ولهاية السؤل ٣٦٦/٢، المقدمة لابن الصلاح ص ١٦٩، وفتح المغني ٢٢٧، وتدريب الراوي ٤٥٠/١.

(٢) الرهان ٢٤٩/١، ومقدمة ابن الصلاح ١٦٩.

(٣) فتح المغني ٢٢٩.

(٤) الإلماع ١٢٠، البحر المحيط ٤٤١/٣ نصا، وكلام عياض في المسألة موجود في فتح المغني ٢٢٩، وتدريب الراوي ٤٥/١، وتوضيح الأفكار ٢١٢/١.

(٥) فتح المغني ٢٢٩، تدريب الراوي ٤٩٠/١، توضيح الأفكار ٢١٢/٢، شرح الكوكب المنير ٥٢٧/٢.

(٦) فرقت من فرق الشيعة، سموا بذلك نسبة إلى زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، ذكر شيخ الإسلام أنه كان من أفاضل أهل البيت وعلمائهم، وكانت الشيعة تتحلله، ومن زمنه افترقت الشيعة إلى الرافضة وزيدية، فإنه لما سئل عن أبي بكر وعمر ترحم عليهما، وأثنى عليهما، فرفضه قوم من الشيعة فقال لهم: رفضتموني. لرفضهم إياه، وسموا من لم يرفضه من الشيعة زيدية، نسبة إليه. وكان من مذهب الزيدية جواز إمامة المفضل على الفضل ولذلك يقرؤن بخلافه أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، مع تفضيلهم علي، إلا أنه لما ترأس عليهم ناصر الأطرش مالت أكثر الزيدية عن ذلك، وطلعت في الصحابة طعن الإمامية من الرافضة، وقد صارت الزيدية على مذهب المعتزلة في بعض أصولهم، ككفي الصفات الذي سموه توحيدا، وهم ست فرق منهم الجارودية، والسلمانية، والبرية، والنهمية. مقالات الإسلاميين ١٣٦/١، للملل والنحل ١٥٤/١، منهاج السنة ٣٤/١ - ٣٥، ٧٢.

(٧) مقدمة ابن الصلاح ص ١٢٩، فتح المغني ٢٢٩، التقریب مع التدريب ٤٩٠/١، شرح الكوكب المنير ٥٢٧/٢، نثر الورود ٤١٨/١، توضيح الأفكار ٢١٢/٢.

(٨) نهاية السؤل ٣٦٦/٢، الرهان ٢٤٩/١، نثر الورود ٤١٨/١، مقدمة ابن الصلاح ١٦٩.

وقرأت في كتاب فلان بخطه، إلا من يدلس فيقول: عن فلان، أو قال فلان، وربما قال بعضهم: أخبرنا.

وقد انتقد هذا على جماعة عرفوا بالتدليس^(١). ثم ساق عياض بسنده عن جماعة ممن كانوا يروون بالوجادة^(٢).

* وما ذكره القاضي عياض هنا هو ما أطبق عليه الجمهور من علماء الحديث والأصول^(٣).

٥- الدليل على صحة الوجادة:

١- احتجوا على ذلك بكتب النبي صلى الله عليه وسلم إلى البلاد حيث كانوا يعتمدون عليها ويعمل بها كل من وجدها^(٤).

٢- حديث: ((أي الخلق أعجب لإيماناً؟ قالوا: الملائكة، قال الملائكة: وكيف لا يؤمنون وهم عند ربهم. قالوا: الأنبياء، قال: وكيف لا يؤمنون وهم يأتيهم الوحي، قالوا: نحن. قال: وكيف لا تؤمنون وأنا بين أظهركم. قالوا: فمن يا رسول الله؟ قال: قوم يأتون من بعدكم يجدون صحفاً يؤمنون بما فيها))^(٥). لفظ الحديث في مجمع الزوائد بلفظ آخر وفيه ((أعجب الناس لإيماناً قوم يجيئون من بعدكم فيجدون كتاباً من الوحي فيؤمنون به)) قال البلقيني: وهذا استنباط حسن^(٦).

٣- لو توقف العمل فيها على الرواية لانسد باب العمل بالمنقول لتعذر شرط الرواية فيها^(٧).

(١) الإلماع ١١٧، (١١٧-١٩).

(٢) الإلماع ١١٧، (١١٧-١٩).

(٣) كشف الأسرار ١٠٨/٣، فواتح الرحموت ٢/٢١٢، المستصفى ٣١١، نهاية السؤل ٢/٣٦٦، الروضة ١/٢٠٢، شرح مختصر الروضة ٢/٢١١، شرح غاية السؤل ٢٣٦، شرح الكوكب المنير ٢/٥٢٦، المدخل ٢١٧، المقدمة ص ١٦٨، فتح المغيث ٢٢٨، شرح نغمة الفكر ٤٧، تدريب الراوي ١/٤٨٧، توضيح الأفكار ٢/٢١١، قواعد التحديث ٢٠٤.

(٤) البرهان ١/٢٤٩، شرح الكوكب المنير ٢/٥٢٧، توضيح الأفكار ٢/٢١٢.

(٥) قال الهيثمي: رواه البزار وقال غريب من حديث أنس. قلت: فيه سميد بن بشر وقد اختلف فيه فوثقه قوم وضعفه آخرون وبقية رجاله ثقات. اهـ وذكر له شاهد مرسل من حديث عمر بن الخطاب عند البزار وأبي يعلى.

انظر: مجمع الزوائد ١٠/٦٥.

(٦) المصدرين السابقين.

(٧) البرهان ١/٢٤٩ مقدمة ابن الصلاح ١٦٩.

الفصل الثالث: آراؤه في المباحث المشتركة بين الكتاب والسنة.

* المبحث الأول: الحقيقة والجهاز والمشارك:

- المطلب الأول: هل يقدم الاسم العربي على اللغوي أو العكس
 - المطلب الثاني: هل الحمل على اللفظ اللغوي مقدم على الشرعي أم لا ؟
 - المطلب الثالث: هل الأسماء الشرعية منقولة من اللغة أو لا ؟
 - المطلب الرابع: على ماذا تحمل الألفاظ المشتركة إذا وردت مطلقة
- * المبحث الثاني: الأمر:

- المطلب الأول:هل صيغة الأمر تقتضي الوجوب
 - المطلب الثاني: هل أمر الرسول صل الله عليه وسلم على الوجوب أم لا ؟
 - المطلب الثالث: حكم الأمر إذا ورد بعد الحظر
 - المطلب الرابع: الأمر بصيغة الخبر.
- * المبحث الثالث: النهي:

- المطلب الأول: هل النهي يقتضي الفساد.
 - المطلب الثاني: هل النهي عن الشيء أمر بضده ؟
- * المبحث الرابع: الإجمال والبيان:
- المطلب الأول:هل ورود الأوامر بهذه الألفاظ الشرعية تكون مجملة فتحتاج إلى بيان أم لا؟
 - المطلب الثاني: تأخير البيان إلى وقت الحاجة.
- * المبحث الخامس: العام والخاص.

- المطلب الأول: حجية العموم
- المطلب الثاني: هل لفظة "من" من صيغ العموم
- المطلب الثالث:هل قضايا الأعيان تتعدى
- المطلب الرابع:العموم إذا خرج على سبب قصر عليه
- المطلب الخامس: العموم المراد به الخصوص
- المطلب السادس:هل العمل بالعام يحتاج إلى البحث عن المخصص أم لا ؟

- المطلب السابع: حكم دخول العبد في خطاب الأحرار
- المطلب الثامن: هل الخطاب الوارد في حق النبي صلى الله عليه وسلم يعم أمته
- المطلب التاسع: حكم تخصيص القرآن بالسنة حكم تخصيص عموم القرآن بخبر الآحاد
- المطلب العاشر: حكم تخصيص العموم بالعادة
- * المبحث السادس: الاستثناء:
- المطلب الأول: حكم الاستثناء والشرط والتقييد إذا تعقب جملاً هل يرجع إلى جميعها أم لا؟
- * المبحث السابع: المطلق والمقيد:
- المطلب الأول: حمل المطلق على المقيد
- المطلب الثاني: حمل المطلق على المقيد إذا كان في معنى واحد
- * المبحث الثامن: المفهوم:
- المطلب الأول: حجية مفهوم المخالفة
- المطلب الثاني: هل مفهوم اللقب حجة ؟
- المبحث التاسع: النسخ.
- وفيه ستة مطالب:
- المطلب الأول: تعريف النسخ.
- المطلب الثاني: ما حكم نسخ الأحكام؟
- المطلب الثالث: أنواع النسخ.
- المطلب الرابع: متى يثبت النسخ في حق المكلف.
- المطلب الخامس: نسخ القرآن بالسنة ونسخ السنة بالقرآن.
- وهل يثبت النسخ بخبر الآحاد
- المطلب السادس: هل الزيادة على النص نسخ.

الفصل الثالث: آراؤه في المباحث المشتركة بين الكتاب والسنة.

المبحث الأول: الحقيقة والمجاز والمشتراك: وفيه ثلاثة مطالب

المطلب الأول: هل يقدم الاسم العربي على اللغوي أو العكس

المطلب الثاني: هل الأسماء الشرعية منقولة من اللغة أو لا ؟

المطلب الثالث: على ماذا تحمل الألفاظ المشتركة إذا وردت مطلقة

المطلب الأول: هل يقدم الاسم العرفي على اللغوي أو العكس

قال القاضي عياض رحمه الله : ((قال الإمام: وهل من شرط جواز المسح على الخفين أن يُلبسا على طهارة أم لا؟.

مذهب داود أنه يجوز المسح عليهما إن كان قد لبسهما ورجلاه طاهرتان من النجاسة وإن لم يكن مستيحياً للصلاة ، والفقهاء على خلافه.

وسبب الخلاف قوله صلى الله عليه وسلم: ((دعهما فلاي أدخلتها طاهرتين))^(١).

هل هذا محمول على الطهارة اللغوية أو الشرعية؟ وهذا المعنى ما قد اختلف أهل الأصول فيه. وهو مقدمة الاسم العرفي على اللغوي أو مقدمة اللغوي على العرفي؟ والخلاف فيما ذكرنا كالخلاف في قوله : ((توضؤوا مما مست النار))، هل يحمل ذلك على الوضوء اللغوي الذي هو غسل اليد ، أو على الوضوء الشرعي؟...))^(٢).

والقاضي رحمه الله هنا مجرد ناقل لكلام المازري والإمام المازري حكى الخلاف في المسألة ولم يبن رأيه والذي عليه الأصوليين تقلد الحقيقة الشرعية علي العرفية واللغوية وتقلد العرفية على اللغوية كما أحكموه في باب الترجيح^(٣).

قال الشوكاني: (يقدم ما كان حقيقة شرعية أو عرفية على ما كان حقيقة لغوية قال في المحصول وهذا ظاهر في اللفظ الذي صار شرعياً لا فيما لم يكن كذلك كذا قال ، ولا يخفى أن الكلام فيما صار شرعياً ، لا فيما لا يثبت كونه شرعياً فإنه خارج عن هذا)^(٤).

مسألة: هل الحمل على اللفظ اللغوي مقدم على الشرعي أم لا؟

(١) رواه البخاري (٢٠٣)، ومسلم (٢٧٤)، من حديث المغيرة بن شعبة.

(٢) إكمال المعلم، كتاب الطهارة، باب المسح على الخفين، ٨١/٢ وانظر المعلم ٢٣٩/١.

(٣) مختصر بن الحاجب مع شرحه للفتاوى ٣٩٧، تيسير التحرير ١٥٧/٣، المحصول ٤٢٩/٥، الإمّا ٢٣١/٣،

البحر المحيط ٤٥٩/٤، شرح مختصر الروضة ٧٣٠/٣، شرح الكوكب المنير ٦٦٨/٤.

(٤) إرشاد الفحول ٤١١.

سبق نصها والخلاف فيها ضمن المسألة السابقة والراجع اللفظ الشرعي مقدم على اللغوي .

المطلب الثاني: هل الأسماء الشرعية منقولة من اللغة أم لا؟

تعريف الحقيقة الشرعية:

هي اللفظ الذي استفيد من الشارع وضعه للمعنى، سواء كان اللفظ والمعنى مجهولين عند أهل اللغة، أو كانا معلومين لكنهم لم يضعوا ذلك الاسم لذلك المعنى، أو كان أحدهما مجهولا والآخر معلوما^(١).

أصل النزاع في المسألة.

قال أبو إسحاق الشيرازي (هذه أول مسألة نشأت في الاعتزال، وقالت المعتزلة بالمنزلة بين المنزلتين أي جعلوا الفسق منزلة متوسطة بين الكفران والإيمان لما علموا: أن الإيمان في اللغة التصديق، والفاسق موحد مصدق.

فقالوا: هذه حقيقة الإيمان في اللغة ونقل في الشرع إلى من لم يرتكب شيئا من المعاصي فمن ارتكب شيئا منها خرج عن الإيمان ولم يبلغ الكفر^(٢).

١. قد اتفق أهل العلم على ثبوت الحقيقة اللغوية والعرفية واختلفوا في ثبوت الحقيقة الشرعية^(٣).

٢. الخلاف والأدلة من الجانبين أن الشرعية هي اللفظ المستعمل فيما وضع له بوضع الشارع لا بوضع أهل الشرع كما ظن^(٤).

٣- لا خلاف في إمكانها، قال ابن السبكي: "أما إمكانها فقد نقل جماعة الإتفاق عليه" لكنهم اختلفوا في وقوعها^(٥).

(١) ثر الورود ١٤٦/١، المحصول ١٤٤/١، الإجماع ٢٧٥/١، تشنيف المسامع ٤٤٦/١، شرح الكوكب المنير

١٥٠/١، شرح مختصر الروضة ٤٩٠/١، المعتمد ١٨/١، إرشاد الفحول ٤٩/١.

(٢) الإجماع ٢٧٨/١.

(٣) تشنيف المسامع ٤٣٩/١، إرشاد الفحول ٤٩/١.

(٤) إرشاد الفحول ٤٩/١.

ويمكن تقسيم الخلاف إلى خلاف في الوقوع، وخلاف في كيفية الوقوع^(٣).

رأي القاضي عياض:

- قال القاضي عياض رحمه الله في مسألة معنى الصلاة لغة: ((ثم تشعبت مذاهب المتكلمين والنظار من الفقهاء في هذه الأسماء المستعملة في الشرعيات كالصلاة والزكاة والصيام والحج وشبهها.

١- هل هي منقولة عن موضوعها في اللغة رأساً^(٤) وهذا بعيد، ومود إلى أن العرب خوطبت وأمرت بغير لغتها.

٢- أو هي مبقاة على مقتضاها في أصل اللغة، فالصلاة دعاء، والصيام إمساك، والحج القصد وهكذا في سائرهما، وهو المراد بما والمفهوم منها، وغير ذلك مما أضيف إليها من أقوال وأفعال غير داخل تحت الاسم، وهو مذهب القاضي أبي بكر^(٥).

٣- أو هي واقعة على أصول مسياتها، ثم أطلق على ما انضاف إليها بحكم الاشتمال، أو الاستعارة لمشابهة معناها، وهو مذهب الأشياخ والمحققين من متكلمي أهل السنة وغيرهم من الفقهاء^(٥).

(١) الأحكام ٦١/١، الإمهاج ٢٧٦/١، شرح مختصر الروضة ٤٩٠/١.

وهذا يعلم ما في قول صاحب المراقي:

والخلف في الجواز والوقوع لها من المأثور والمسموع
وانظر رد ذلك في: تشنيف المسامع ٤٣٩/١-٤٤٠.

(٢) البناني مع المهلي.

(٣) وبه قال للعتلة والخوارج وطائفة من الفقهاء.

انظر: شرح تنقيح الفصول ص ٤٣، المحصول ٤١٤/١، الإمهاج ٢٧٧/١، تشنيف المسامع ٤٤١/١، المعتمد ١٩/١.

(٤) أي: الباقلائي، وشدد النكير على مخالفيه، وقال: قد تبهم شذمة من الفقهاء الحائدين عن التحقيق، وما راموا مرامهم، بيد أنهم زلوا عن سواء الطريق. وتبعه ابن القشيري، وغيره، ونقله الماوردي في الحاوي عن الجمهور.

انظر: شرح تنقيح الفصول ص ٤٣، الإمهاج ٢٧٧/١، تشنيف المسامع ٤٤١/١.

(٥) ورجحه الجويني، والغزالي، والرازي، وابن الحاجب.

فهي مجازات لغوية مشتهرة.

التقرير والتحرير ١٤/٢، المحصول ٤١٥/١، الإمهاج ٢٧٧-٢٧٨، مختصر أصول الفقه ص ٤٧، تشنيف المسامع ٤٤٤/١، إرشاد الفحول ٤٩/١.

وقد أطال المصنفون في الأصول الكلام في هذا الباب ومدوا أطنابه، ومخالفة الجماهير من الموافقين والمخالفين جرأة تامة وجسارة، وقول المرء لقول يعتقد^(١) الصواب في خلافه غير بين، وخسارة.

فالحق أحق أن يتبع، لاسيما بخلاف ليس في قاعدة دين، ومقالة تلوح بالحق اليقين، ولا تخرج عن مراد مشايخنا المحققين.

وذلك أنه متى أعطيت هذه الألفاظ من البحث حقها، وُجِدَتْ عند المخاطبين بها لأول ورودها من أهل الشريعة معروفة المعنى على ما جاءت به من أفعال مخصوصة وعبارات مقررة إلا ما غير الشرع فيها من بدع الجاهلية، أو نُسخ من شرائع من تقدم من الكتابية. لكن لا يبعد أن أصل استعمال العرب لها في جاهليتهم قبل ورود الشريعة كان على ما أشار إليه الأشياخ، إما من إيقاعها على المعنى الحقيقي في اللغة دون اعتبار المزيد فيها، على مذهب القاضي أبي بكر، أو على الجميع بحكم تشابه المعنى والاستعارة على ما ذهب إليه غيره....))

ثم ساق الأدلة على أن الصلاة كانت معروفة لأهل الجاهلية من أفعال وأقوال وهيئات، وكذا غيرها من العبادات كالصوم والاعتكاف والحج والصدقة.

ثم قال: ((ومع هذا التقرير فلا مجال للخلاف مع الإنصاف، وقد طالعت بهذا الرأي أهل التحقيق من شيوخي فما رأيت منهم منصفاً رده))^(٢).

القسم الأول من النزاع: نزاع في الوقوع^(٣):

القول الأول: الوقوع مطلقاً.^(٤)

وبه قال المعتزلة والخوارج وجمهور الفقهاء.

القول الثاني: عدم الوقوع مطلقاً.^(٥)

(١) في المطبوع: لقول قيل يعتقد.

(٢) إكمال المعلم، كتاب الصلاة، باب بدء الأذان، ٢٣٤/٢-٢٣٦.

(٣) التقرير والتحجير ١٤/٢، المحصول ٤١٥/١، الإجماع ٢٧٧/١-٢٧٨، مختصر أصول الفقه ص ٤٧، تشنيف المسامح ٤٤٤/١، ٤٤٢، إرشاد الفحول ٤٩/١.

(٤) المحصول ٢٩٨/١.

(٥) المحصول ٢٩٨/١.

وبه قال الباقلاني وابن القشيري^(١).

القول الثالث: التفريق بين الإيمان فيبقى على موضوعه في اللغة، وبين الصلاة والصيام والحج ونحوه فهي منقولة.^(٢)

اختاره الشيخ أبو إسحاق الشيرازي، وتبعه السبكي.

قال: وليس من ضرورة النقل أن يكون في جميع الألفاظ، وإنما يكون على حسب ما يقوم عليه الدليل.^٣

القول الرابع: الوقف.^(٤) مال إليه الآمدي.

القسم الثاني: نزاع في كيفية الوقوع.^(٥)

القول الأول: هي مأخوذة من الحقائق اللغوية.

وبه قال جمهور الفقهاء.

القول الثاني: حقائق مبتكرة لم يلاحظ فيها المعنى اللغوي أصلاً.

وبه قال المعتزلة والخوارج.^(٦)

وهو قول باطل أبطله القاضي عياض بلا مزيد عليه.

أدلة القاضي^(٧)

(١) عبد الرحيم بن عبد الكريم بن هوازن، أبو نصر القشيري من علماء نيسابور، وكان من أئمة الأشعرية عالماً بالأصول والتفسير والكلام، ووقعت بسببه فتنة بين الحنابلة والشافعية فاستدعاه نظام الملك إلى أصفهان وعاد إلى نيسابور. توفي سنة ٥١٤.

تبيين كذب المفتري ص/٣٠٨، طبقات بن قاضي شهبة ٢٩٣/١، والأعلام ٣/٣٤٦.

(٢) الإجماع ١/٢٧٨، نثر الورود ١/١٤٥.

(٣) الإجماع ١/٢٧٨.

(٤) الإحكام ١/٧٢، الإجماع ١/٢٧٨.

(٥) نفس المصادر السابقة. وانظر: شرح تنقيح الفصول ص ٤٣، المعتمد ١/١٩.

(٦) وزعمت المعتزلة ألماً منقسمة إلى أسماء أحرمت على الأفعال وهي الصلاة والزكاة والصوم وغيرها، وإلى أسماء أحرمت على الفاعلين كالمؤمن والفاسق والكافر، وهذا الضرب يسمى بالأسماء الدينية.

(٧) الإحكام للآمدي ١/٦١-٦٢، الإجماع ١/٢٧٨-٢٨١، شرح مختصر الروضة ١/٤٩٦-٤٩٨، إرشاد الفحول

الدليل الأول: إفادة هذه الألفاظ لهذه المعاني لو لم تكن لغوية لما كان القرآن كله عريباً، وفساد اللازم يدل على فساد المزوم.

وأجيب:

١. بأن إفادة هذه الألفاظ لهذه المعاني وإن لم تكن عربية لكنها في الجملة ألفاظ عربية فإنهم كانوا يتكلمون بها في الجملة وإن كانوا يعنون بها غير هذه المعاني.

٢. وأجيب أيضاً بأننا لا نسلم أنها ليست بعربية على تسليم أنها مجازات لغوية جعلها الشارع حقائق شرعية.

٣. ولو سلمنا أن المجازات العربية التي صارت بوضع حقائق الشارع ليست بعربية لم يلزم أن يكون القرآن غير عربي بدخولها فيه لأنها قليلة جداً والاعتبار بالأغلب.

الدليل الثاني: أن الشارع لو فعل ذلك لزمه تعريف الأمة بالتوقيف نقل تلك الأسماء، وإلا كان مكلفاً لهم بفهم مراده من تلك الأسماء، وهم لا يفهمونه، وهو تكليف بما لا يطاق. والتوقيف الوارد في مثل هذه الأمور لا بد وأن يكون متواتراً لعدم قيام الحجة بالأحاد فيها ولا تواتر.

ويجاب عن هذا:

١. إنما يكون هذا تكليفاً بما لا يطاق إذ لو كلفهم بفهمها قبل تفهيمهم وليس كذلك.
٢. لا نسلم أن التفهيم إنما يكون بالنقل، وما المانع أن يكون تفهيمهم بالتكرير والقرائن المتضافرة مرة بعد مرة كما يفعل الوالدان بالولد الصغير والأخرس في تعريفه لما في ضميره لغیره بالإشارة.

أدلة الجمهور^(١):

- بما هو معلوم شرعاً أن الصلاة في لسان الشارع لذات الأذكار والأركان، والزكاة لأداء مال مخصوص، والصيام لإمساك مخصوص، والحج لقصد مخصوص.

(١) شرح مختصر الروضة ١/٤٩٢-٤٩٥، إرشاد الفحول ١/٤٩.

- أن هذه المدلولات هي المتبادرة عند الإطلاق وذلك علامة الحقيقة، شرعية كانت أو عرفية.

- حكمة الشرع تقتضي تخصيص مسمياته بأسام مستقلة.

- تخصيص مسمياته بأسام مستقلة أئين للمكلفين وأجدر بزوال الاشتباه عنهم.

الترجيح:

قال الشوكاني: وإذا عرفت هذا تقرر لك ثبوت الحقائق الشرعية وعلمت أن نافيها لم يأت بشيء يصلح للاستدلال كما أوضحناه، وهكذا الكلام فيما سمته المعتزلة حقيقة دينية فإنه من جملة الحقائق الشرعية كما قدمنا، فلا حاجة إلى تطويل البحث فيه^(١).

قال محمد الأمين الشنقيطي: والظاهر وقوعها في الكل^(٢). قال شيخ الإسلام: ((وتحقيق ذلك: أن تصرف الشرع فيها كتصرف أهل العرف في بعض الأسماء اللغوية، إما تخصيصها ببعض معانيها كالدابة، وإما تحويلها إلى ما بينه وبين المعنى الأول سبب كاسم الراوية والغائط والعذرة، فالصلاة كانت اسما لكل دعاء فصارت اسما لدعاء مخصوص، أو كانت اسما لدعاء فنقلت إلى الصلاة الشرعية لما بينها وبين الدعاء من المناسبة، والأمر في ذلك متقارب. نعم قد يسرف بعض من يقول هي منقولة فلا يشترط أن يكون بين المنقولة منه والمنقولة إليه مناسبة بل يجعله وصفا ثانيا حتى كأنه ليس من المجاز اللغوي، ويسرف من يقول هي منقولة حتى يعتقد أن مفهومها في الشرع هو محض الدعاء... وكلا القولين طرف و خيار الأمور أوسطها. وبهذا التقرير قول من يقول هي منقولة أقرب إلى الصواب، وكذلك أيضا بهذا التقرير أن معنى النقل تخصيصها ببعض معانيها، وهي في ذلك أبلغ من تخصيص أهل العرف الاسم ببعض معانيه كالدابة والنجم؛ لأن ذلك التخصيص كان معلوما بخلاف ما كان من خصائص الصوم والصلاة والزكاة، فإنه لم يكن معروفا معناه ولا دلالة للفظ عليه وقد اتفقوا على أن الصلاة المشروعة بعد بيان

(١) إرشاد الفحول ١/٥٠-٥١.

(٢) نثر الورود ١/١٤٥.

النبي صلى الله عليه وسلم صارت في المفهوم من لفظ الصلاة في الكتاب والسنة ومن ادعى بعد ذلك أنها بعد ذلك التصرف إلى مجرد المعنى اللغوي فقد غلط^(١).

ثمرة الخلاف^(٢): أنها إذا وردت في كلام الشارع مجردة عن القرينة هل تحمل على المعاني الشرعية، أو على اللغوية، فالجمهور قالوا بالأول والباقلاني ومن معه قالوا بالثاني.

لكن قال ابن الهمام^٣ وشارحه: (وفيه نظر لأن كونها)

أي الصلاة مستعملة (للأفعال) المعلومة شرعاً (في عهده صلى الله عليه وسلم لا يقبل التشكيك وأشهر)^(٤).

(١) شرح العمدة ٣/٣٠-٣١.

(٢) التقرير والتحجير ١٤/٢، إرشاد الفحول ٤٩/١،

(٣) محمد بن عبد الواحد بن عبد الحميد، كمال الدين الشهير بابن الهمام، كان إماماً نظاراً فارساً في البحث فروعياً وأصولياً محدثاً مفسراً نحويّاً، وله تصانيف منها: التحرير في أصول الفقه، وفتح القدير في شرح الهداية، توفي سنة (٨٦١هـ). الفوائد البهية ١٨٠.

(٤) التقرير والتحجير ١٤/٢.

المطلب الثالث: على ماذا تحمل الألفاظ المشتركة إذا وردت

تعريف المشترك:

هو اللفظ الموضوع لحقيقتين مختلفتين أو أكثر، وضعا أولا من حيث هما كذلك، عند أهل تلك اللغة، على حد سواء.^(١)

فخرج (بالوضع): ما يدل على الشيء بالحقيقة، وعلى غيره بالجواز.

وخرج بقيد الحيثية: المتواطئ فإنه يتناول الماهيات المختلفة لكن لا من حيث هي كذلك بل من حيث إنها مشتركة في معنى واحد
مثاله: قولنا: جارية فإنها تتناول الأمة والسفينة.^(٢)

وقوع المشترك:

اختلف أهل العلم في المشترك:

١. قال الجمهور: إنه جائز وواقع.^(٣)

^(١) المحصول ٢٦١/١، الإجماع ٢٤٨/١، إرشاد الفحول ٤٥،

^(٢) أصول الشاشي ص ٣٦، المحصول ٣٥٩/١، الإجماع ٢٤٨/١، إرشاد الفحول ٤٥/١.

^(٣) واحتج من قال بجواز الوقوع وإمكانه:

- بأن المواضع تابعة لأغراض التكلم، وقد يكون للإنسان غرض في تعريف غيره شيئا على التفصيل، وقد يكون غرضه تعريف ذلك الشيء على الإجمال، إما لدرء مفسدة أو جهلا بالتفصيل.
كما روي عن أبي بكر رضي الله عنه أنه قال لمن سألته عند المحبرة عن النبي صلى الله عليه وسلم من هو فقال: هو رجل يهديني السبيل.

- يجوز أن يقع من واضعين بأن وضع أحدهما لفظا لمعنى، ثم وضعه الآخر لمعنى آخر، ثم اشتهر ذلك اللفظ ما بين الطائفتين في إفادته للمعنيين.

قال الشوكاني: للمشارك موجود في هذه اللغة العربية، لا ينكر ذلك إلا مكابر، كالقرء فإنه مشترك بين الطهر والحيض مستعمل فيهما من غير ترجيح، وهو معنى الاشتراك، وهذا لا خلاف فيه بين أهل اللغة، وكما هو واقع في لغة العرب بالاستقراء فهو أيضا واقع في الكتاب والسنة، فلا اعتبار بقول من قال أنه غير واقع في الكتاب فقط أو غير واقع فيهما لا في اللغة. إرشاد الفحول ٤٦/١.

وانظر: المحصول ٣٦٦/١، الأحكام ٤١/١-٤٣، الإجماع ٢٥١/١، المختصر في أصول الفقه ص ٤٠-٤١.

٢. وقال آخرون: إنه ممتنع الوقوع^(١).

٣. وقال قوم: إنه واجب الوقوع في لغة العرب^(٢).

مذاهب العلماء في مسألة جواز استعمال المشترك في معنييه.

القول الأول: جواز استعمال المشترك في معنييه.

وبه قال الجمهور^(٣).

القول الثاني: امتناع استعماله في معنييه^(٤).

(١) ومنهم: ثعلب، وأبو زيد البلعي، والأهمري. الإمهاج ٢٥٠/١

واحتجوا: بأن المعاطبة باللفظ المشترك لا يفيد فهم المقصود على التمام، وما كان كذلك يكون منشأ للمفاسد.

وأجيب بأنه لا نزاع في أنه لا يحصل الفهم التام بسماع اللفظ المشترك، لكن هذا القدر لا يوجب نفيه، لأن أسماء الأجناس غير دالة على أحوال تلك المسميات لا نفياً ولا إثباتاً، والأسماء المشتقة لا تدل على تعيين الموصوفات البتة، ولم يستلزم ذلك نفيها، وكونها غير ثابتة في اللغة. انظر: المحصول ٣٦٣/١-٣٦٥، الإحكام ٤٦/١، الإمهاج ٢٥٠/١، إرشاد الفحول ٤٦/١.

(٢) احتج القائلون بالوجوب:

- بأن الألفاظ متناهية والمعاني غير متناهية والمتناهي إذا وزع على غير المتناهي لزم الاشتراك، ولا ريب في عدم تنامي المعاني لأن الأعداد منها وهي غير متناهية بلا خلاف. إرشاد الفحول.

وأجيب عن هذا: بمنع عدم تنامي المعاني إن أريد بها المختلفة أو المتضادة، وتسليمه مع منع عدم وفاء الألفاظ بما إن أريد للمتماثلة، فإن الوضع للحقيقة المشتركة كاف في التفهيم.

وأيضاً لا نسلم تنامي الألفاظ لكونها مترتبة من للمتناهي فإن أسماء العدد غير متناهية مع تركيبها من الألفاظ المتناهية.

وأيضاً الأمور التي يقصدها المسمون بالتسمية متناهية، فإنهم لا يشرعون في أن يسموا كل واحد من الأمور التي لا نهاية لها، فإن ذلك مما لا ينظر به لهم، فكيف يقصدون تسميتها. انظر: المحصول ٣٦٠/١-٣٦١، الإمهاج ٢٤٩/١، إرشاد الفحول ٤٥/١-٤٦.

(٣) ذهب إليه الشافعي، والباقلاني، وأبو يعلى، وابن عقيل، والحلواني من الحنابلة، وأبو علي الجبائي، والقاضي عبد الجبار من المعتزلة، وروحه البيضاوي، وابن الحاجب، والإسنوي، نسب للمالكية وأكثر الحنابلة بل ذكر شيخ الإسلام أنه الصحيح من مذاهب الأئمة الأربعة.

انظر: المحصول ٣٧١/١، الإمهاج ٢٥٥/١-٢٥٦، التمهيد ص ١٧٦، المسودة ٣٧٠/١، المختصر في أصول الفقه ص ١١٠، إرشاد الفحول ٤٦/١.

(٤) المحصول ٣٧٢/١، الإمهاج ٢٥٥/١-٢٥٦، المسودة ٣٧٠/١، المعتد ٣٠٧/١، إرشاد الفحول ٤٦/١.

إليه ذهب أبو هاشم وأبو الحسن البصري والكرخي، ونسب للحنفية.
ورجحه والغزالي، والرازي، والشوكاني^(١)، واختاره بعض الحنابلة ونسبه ابن القيم
للأكثرين .
وفي المسألة أقوال أخر^(٢).

**مسألة: هل يجب حمل اللفظ المشترك على معنييه
تحويل محل النزاع:**

- إذا امتنع الجمع بين مدلولي المشترك لم يجوز استعماله فيهما معا اتفاقا^(٣).
- هذا الخلاف جار في استعماله في مجازيه مثل أن يقول والله لا أشتري ويريد السوم،
وشراء الوكيل
وفي حقيقته ومجازه مثل أن يطلق النكاح ويريد به العقد والوطء
جميعا^(٤).

أقوال العلماء في مسألة: هل يجب حمل اللفظ المشترك على معنييه.

- قال القاضي عياض رحمه الله: ((وقد اختلف الأصوليون في الألفاظ المشتركة إذا
وردت مطلقة. - فقول: تحمل على عموم مقتضاها من جميع معانيها، ما لم يمنع مانع.

(١) قال: لم يأت من جوزه بحجة مقبولة. انظر: إرشاد الفحول ٤٨/١.

(٢) القول الثالث: يجوز الجمع مجازا لا حقيقة. وبه قال جماعة من المتأخرين.

القول الرابع: يجوز إرادة الجمع، لكن بمحدد القصد، لا من حيث اللغة.
وقد نسب هذا إلى الغزالي والرازي.

القول الخامس: يجوز الجمع في النفي لا في الإثبات. فيقال مثلا ما رأيت عينا ومراده العين الجارحة وعين الذهب
وعين الشمس وعين الماء، ولا يصح أن يقال عندي عين وتراد هذه المعاني بهذه اللفظ
القول السادس: إرادة الجميع في الجمع، فيقال مثلا عندي عيون، ويراد تلك المعاني وكلها للثنى فحكمه حكم
الجمع. فيقال مثلا عندي جوزان ويراد أبيض وأسود ولا يصح إرادة المعنيين أو المعاني بلفظ المفرد وهذا الخلاف
إنما هو في المعاني التي يصح الجمع بينها، وفي المعنيين اللذين يصح الجمع بينهما لا في المعاني المتناقضة.

انظر: التمهيد ص ١٧٦-١٧٧، إرشاد الفحول ٤٨/١.

(٣) التمهيد ص ١٧٣، إرشاد الفحول ٤٨/١.

(٤) المحصول لابن العربي ص ٧٦، المنحول ص ١٤٧، الإجماع ٢٥٧/١.

- وقيل: تحمل على الحقيقة دون ما تجوز به، وإليه نحا القاضي أبو بكر^(١).

وقال عند قوله صلى الله عليه وسلم لعدي بن حاتم ((إن وسادك لعريض))^(٢).

قال رحمه الله: ((وفيه وجوب التوقف عند الألفاظ المشتركة وطلب البيان فيها، وأما لا تحمل على أظهر وجوهها، وأكثر استعمالها إلا عند عدم البيان فيها، وقد كان البيان عتيذا بوجود النبي عليه السلام))^(٣).

* وقد اختلف العلماء في هذه المسألة إلى فريقين:

١. لا يجب الحمل^(٤).

وبه قال الجمهور، واختاره الغزالي، والرازي، وأبو يعلى، وابن عقيل، والباقلاني.

٢. يجب الحمل إذا تجرد عن القرائن المختصة^(٥)، وبه قال الشافعي^(٦).

أدلة الجمهور:

- إن لم يكن موضوعاً للمجموع، فلا يجوز استعماله فيه. وإن كان موضوعاً له، فهو أيضاً موضوع لكل واحد من الأفراد، واللفظ دائر بين كل واحد من الأفراد وبين المجموع فيكون الجزم بإفادته للمجموع دون كل واحد من الأفراد ترجيحاً لأحد الجائزين على الآخر من غير مرجح وهو محال^(٧).

(١) إكمال المعلم، كتاب الصلاة، باب الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم بعد التشهد، ٣٠١/٢.

(٢) رواه البخاري (٤٢٣٩)، ومسلم (١٠٩٠)، عن عدي بن حاتم.

(٣) إكمال المعلم، كتاب الصيام، باب بيان أن الدخول في الصوم يحصل بطلوع الفجر، ٢٥/٤.

(٤) المحصول ٣٨٠/١، أصول السرخسي ١٦٢/١، الإمجا ٢٦٨/١، المختصر في أصول الفقه ص ١١٠-١١١، المسودة ٣٧٢/١.

(٥) احتياطاً في تحصيل مراد المتكلم لأننا إن لم نحمّله على واحد منهما لزم التعطيل أو حملناه على واحد لزم الترجيح بلا مرجح. انظر: التمهيد ص ١٧٧.

(٦) وحكاة الرازي عن الباقلاني، وهو وهم.

المحصول ٣٨٠/١، المنحول ص ١٤٧، التمهيد ص ١٧٧، المسودة ٣٧١/١.

(٧) المحصول لابن العربي ص ٧٦، المنحول ص ١٤٧، المحصول ٣٨٠/١.

- العربي إذا أخبر عن اللفظ المشترك بقضية تخص بعض متناولاته أو تحتل، لم يقصد عموم الإرادة في الكل، وكذلك العرب لا تطلق لفظ الأسد وهي تريد الشجاع والبهيمة إلا أن يأتي بلفظ يدل على إرادتهما معا.^(١)

- لفظ العين ما وضعته العرب لعموم جملة مسمياته، فإنه لا يطلق لفظ العين لإرادة جملتها، كما يطلق لفظ الرجال لإرادة الجمع، بل وضعت لآحادها على البدل، فهو عند الإطلاق مجمل.

- ولا يجمع أيضا بين الحقيقة والمجاز ولكنه يحمل على الحقيقة على إنفرادها أو على المجاز على حياله لعلنا بأن العرب لا تطلق لفظ الأسد وتعني به الجمع بين الأسد والشجاع.

الترجيح:

ما ذهب إليه الجمهور هو الراجح في نظري، لأنه مقتضى اللسان العربي، ولم يرد في الشرع ناقل له، فيبقى على الأصل.

فما يفرع على هذا الخلاف:

١. قال الشافعية بعموم قوله تعالى: {ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا}، وشموله للمستطيع بنفسه، وبغيره وهو المعضوب إذا وجد من يحج عنه.

واستدلوا به على وجوبه عليه مع أن إقامة فعل الغير مقام فعل الشخص بمجاز^(٢).

٢- و مثل لو أوصى رجل لموالي زيد أوقف عليهم ولزيد موالٍ اعتقوه وموالٍ اعتقهم فلمن تكون الوصية.

* * *

^(١) المحصول لابن العربي ٧٦

^(٢) قال الإسنوي: وهذا الذي ذكرناه مبني على إعراب الآية وللنحاة فيها ثلاثة أقوال حكاهما ابن عصفور وغيره.

المبحث الثاني: الأمر: وفيه أربعة مطالب

المطلب الأول: هل صيغة الأمر تقتضي الوجوب

المطلب الثاني: هل أمر الرسول صل الله عليه وسلم على الوجوب أم لا ؟

المطلب الثالث حكم الأمر إذا ورد بعد الحظر

المطلب الرابع: الأمر بصيغة الخبر.

المطلب الأول: هل صيغة الأمر تقتضي الوجوب

تعريف الأمر:

القول الدال بالذات على اقتضاء فعل غير كف مدلول عليه بغير كف على جهة الاستعلاء.

وقال ابن السبكي: اقتضاء فعل غير كف مدلول عليه بغير كف^(١).

واختلفوا في اشتراط العلو والاستعلاء فيه على أربعة أقوال، لخصها صاحب المراقي بقوله:

وليس عند جل الأذكاء شرط علو فيه واستعلاء
وخالف الباجي بشرط التالي^(٢) وشرط ذاك رأي ذي اعتزال^(٣)
واعتبرا معا على توهين لدى القشيري وذي التلقين^(٤)

تحرير محل النزاع:

- تأتي صيغة الأمر في اللغة لمعان، أوصلها السبكي لثنتين وعشرين معنى^(٥).
- أجمعوا على أن صيغة "افعل" ليست حقيقة في جميع المعاني التي وردت لها في اللغة، والذي وقع الخلاف فيه أمور خمسة: الوجوب، والندب، والإباحة، والتنزيه، والتحريم^(٦).
- يدخل في هذا البحث صيغة "افعل"، و"ليفعل"، وألحق به ما تضمن معنى الأمر، كقوله تعالى { فَضَرْبَ الرِّقَابِ } (محمد: من الآية ٤)، وكذا الكتابة والإشارة المفهمة^(٧).

(١) جمع الجوامع مع التشنيف ٥٧٥/٢. وانظر: قواطع الأدلة ٩٠/١.

(٢) انظر الإشارة ص ١٦٤، وواقعه الشريف التلمساني والأمدي وابن الحاجب وابن ممام.

انظر: مفتاح الوصول ص ٣٦٩، تيسير التحرير ٣٣٨/١.

(٣) وواقفهم السمعاني الشيرازي وابن الصباغ. انظر: تيسير التحرير ٣٣٨/١، قواطع الأدلة ٩٠/١.

(٤) المراقي ص ٣٥، و(ذي التلقين) القاضي عبد الوهاب، له التلقين مختصر في الفقه المالكي.

(٥) الإشارة ص ١٦٣-١٦٤، مفتاح الوصول ص ٣٧٠-٣٧٢، أصول السرخسي ١٤/١، تشنيف للمسابع ٥٨٣/٢-٥٩٤،

وانظر: المحصول ٥٧/٢-٦١، الإجماع ٢٢/٢، العدة ٢١٩/١، للعتمد ٤٩/١، إرشاد الفحول ص ١٧٣-١٧٥، قال

الركششي: وترد صيغة "فعل" ليف وثلاثين معنى، ثم ذكر ثلاثة وثلاثين معنى. البحر المحيط ٩٩/٢.

(٦) المحصول ٦١/٢-٦٢، الإجماع ٢٢/٢، تشنيف للمسابع ٥٩٥/٢.

-واختلفوا في الأمر المجرد عن القرينة هل يقتضي الوجوب أو لا فيه خمسة عشر قولاً للعلماء، تقتصر منها على أشهرها^(١).

رأي القاضي عياض:

قال القاضي عياض: ((ولقوله: " إذا صلى أحدكم، فليقل التحيات لله " وأمره للوجوب))^(٢).

وقال: ((" نهي عن الكلام " دليل على منعه في الصلاة، وتركه فيها فرض عندنا على أصح القولين لهذا النهي، وقيل: سنة، والاختلاف في ذلك مبني على الاختلاف في أوامره عليه السلام المجردة، هل تحمل على الوجوب أو على الندب، وقول أكثر أئمتنا أنها محمولة على الوجوب))^(٣).

ومما نقل سابقاً، يتبين أن القاضي عياض يرى أن الأمر المتجرد عن القرائن محمول على الوجوب، وهناك مواضع أخرى تناول فيها هذه المسألة تركتها خشية الإطالة^(٤).

أقوال العلماء في المسألة:

القول الأول:

إنه يقتضي الوجوب ما لم تقم قرينة تصرفه إلى غيره. وبه قال عامة المالكية، وجمهور الفقهاء^(٥)، وقال الجويني والآمدي: إنه مذهب الشافعي^(٦)، وصححه الغزالي، ابن

(١) انظر: للمعتمد ٤٩/١،

(٢) القواعد والفوائد الأصولية ص ١٥٩-١٦٢ وسردها، الإنصاف للمرداوي ٣٥٣/٦.

وإن كان بعض هذه الأقوال لا تثبت عن قائل عند التحقيق.

(٣) إكمال للمعلم، كتاب الصلاة، باب ما يجمع صفة الصلاة، ٤١٢/٢.

(٤) إكمال للمعلم، كتاب المساجد، باب تحريم الكلام في الصلاة، ونسخ ما كان من إباحته، ٤٦٩/٢.

(٥) انظر إكمال للمعلم: ٥٧/٢، ٢٣٩/٢، ٢٣٧/٣، ٨١/٤، ٤١٧/٧.

(٦) الإشارة ص ١٦٦، مفتاح الوصول ص ٣٧٨، أصول الشافعي ص ١٢٠، تيسر التحرير ٣٤١/١، قواطع الأدلة

٩٢/١، التبصرة ص ٢٦، المنحول ص ١٠٥، تشنيف للمسامع ٥٩٥/٢، الروضة ص ١٩٣، المسودة ٨٣/١،

شرح الكوكب للنير ٣٩/٣، المعتمد ٥٠/١.

قال شيخ الإسلام: والأمر يقتضي الوجوب خصوصاً في العبادات. انظر: شرح العملة ٦٠٣/٣.

(٧) وقال إمام الحرمين في التلخيص: وأما الشافعي فقد أدعى كل من أهل المذاهب أنه على وفاقه، ومسكوا بعبارات متفرقة له في كتبه، حتى اعتصم القاضي بالفاظ له من كتبه، واستنبط منها مصوره إلى الوقف، وهذا

الحاجب، والبيضاوي، والرازي^(١)، ونص عليه أحمد^(٢)، ونسبه الشيرازي لنص الأشعري^(٣)، وأبو الحسين البصري من المعتزلة^(٤)، وابن حزم^(٥)، وهو الحق^(٦).

القول الثاني: أنه حقيقة في النذب.

قال به ابن المُنْتَاب، وأبو الفرج من المالكية^(٧)، وحكاها الغزالي والآمدي قولاً للشافعي^(٨)، وقال به بعض الشافعية، ورواية عن أحمد^(٩)، وبعض المعتزلة^(١٠).

القول الثالث: أنه حقيقة في الإباحة، لأنه المحقق، والأصل عدم الطلب^(١١).

حكى عن بعض أصحاب مالك، والإمام الشافعي.

عدول عن سنن الإنصاف، فإن الظاهر والمأثور من ملحه حمل مطلق الأمر على الوجوب. انظر: البرهان

٢١٦/١، الإحكام ١٤٤/٢، الإجماع ٢٢٢/٢.

(١) تيسير التحرير ٣٤١/١، المنحول ص ١٠٧، المصنوع ٦٩/٢، ١٥٨.

(٢) القواعد والفوائد الأصولية ص ١٥٩.

(٣) قيل: هو الذي أملاه الأشعري على أصحاب أبي إسحاق المروزي ببغداد. انظر: إرشاد الفحول ص ١٦٩.

(٤) المعتمد ٥١/١.

(٥) الإحكام ٢٥٩/١.

(٦) ثم اختلف أصحاب هذا للمذهب، هل يدل على الوجوب بوضع اللغة أو بالشرع، أو بالعقل. والأول نقله في البرهان عن الشافعي وبه قال ابن حزم، والشيرازي والآمدي وابن المصنف. واختار الجويني وابن حمدان والبلخي وأبو عبد الله البصري أنه بالشرع، وفي المستوعب للقرواني أنه يدل بالعقل. أو حقيقة في الوجوب لغة وشرعاً كما ذهب إليه الجمهور.

انظر: تيسير التحرير ٣٦٠/١، التمهيد ص ٧٣، نهاية السؤل ٢١/٢، القواعد والفوائد الأصولية ص ١٥٩، شرح الكوكب المنير ٣٩/٣-٤٠، إرشاد الفحول ص ١٧٠، الإحكام لابن حزم ٢٦٣/١.

(٧) الإشارة ص ١٦٧.

(٨) شرح تنقيح الفصول ص ١٢٧، المستصفى ٤٢٦/١، والإحكام ١٤/٢، شرح الكوكب المنير ٤١/٣.

(٩) قال أحمد: ما أمر به النبي صلى الله عليه وسلم أسهل مما نهي عنه. قال ابن تيمية: وهو بعيد لمخالفته منصوصاته الكثيرة. انظر: المسودة ٨٤/١، شرح الكوكب المنير ٤١/٣.

(١٠) كأي هاشم. انظر: التبصرة ص ٢٧، المنحول ص ١٠٥، المصنوع ٦٦/٢، الروضة ص ١٩٣، القواعد والفوائد الأصولية ص ١٥٩، المعتمد ٥١/١، إرشاد الفحول ص ١٦٩.

(١١) كشف الأسرار ٢٥٦/١، الوصول في الأصول ١٣٤/١، الإجماع ٢٣/٢، البحر المحيط ١٠٢/٢، القواعد

والفوائد الأصولية ٢٢٢.

القول الرابع:

أنه حقيقة في القدر المشترك بين الوجوب والندب وهو الطلب.

وبه قال أبو منصور الماتريدي^(١) ومشايخ سمرقند^(٢)، ونسب لنص الشافعي^(٣).
القول الخامس: أنه للتوقف^(٤).

وهو الصحيح مما نسب إلى الأشعري لاتفاق جمهور الأشعرية على ذلك. وبه قال
الباقلائي، وذهب إليه الغزالي^(٥) وجماعة من المحققين^(٦).

القول السادس: أن أمر الله للوجوب وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم للندب.
حكاه القيرواني في المستوعب عن الأهمري في أحد أقواله^(٧).

القول السابع: أن أمر الشارع للوجوب دون غيره. اختاره أبو المعالي وابن منجاء^(٨).

(١) محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور، من أئمة المتكلمين، والماتريدي نسبة إلى ماتريد (علة بسمرقند)، من
مؤلفاته: التوحيد وتأويلات القرآن، والمقالات، والجدل في أصول الفقه. توفي سنة ٣٣٣هـ.
الجواهر المضية ١٣٠/٢، الفوائد البهية ١٩٥، تاج التراجم ٤٣.

(٢) لكن قال: يحكم بالوجوب ظاهرا في حق العمل احتياطا دون الاعتقاد.

شرح تنقيح الفصول ص ١٢٧، كشف الأسرار ١١٨/١، تيسر التحرير ٣٤١/١، شرح الكوكب للنور ٤٢/٣،
إرشاد الفحول ص ١٦٩.

(٣) تيسر التحرير ٣٤١/١، المستصفي للغزالي، القواعد والفوائد الأصولية ص ١٥٩.

(٤) قال ابن قدامة في رد هذا المذهب: أما القول بأن الصيغة لا تفيد شيئا فتسفيه لواضع اللغة، وإعلاء للوضع،
عن الفائدة بمحده، وإن توقفا لمطلق الاحتمال لزمهم التوقف في الظواهر كلها، وترك العمل بما لا يفيد القطع،
واطراح أكثر الشريعة، فإن أكثرها إنما ثبت بالظنون. روضة الناظر ١٩٧/١-١٩٨.

(٥) كما في المستصفي ٤١٩/١، لكن قال في المنحول ص ١٠٧: المختار أن مقتضى صيغة الأمر في اللسان طلب
جازم إلا أن تغيره قرينة... وإنكار ذلك خلاف لما عليه أهل اللغة قاطبة.

(٦) واختلف في تفسير مذهب الأشعري والباقلاني، ف قيل: إنما توقفا في أنه موضوع للوجوب والندب، وقيل:
توقفا بأن قالوا: لا ندري بما هو حقيقة فيه أصلا. فتوقفوا في تعيين المعنى الموضوع له حقيقة.

انظر: الإشارة ص ١٦٦، أحكام الفصول ص ١٩٥، تيسر التحرير ٣٤١/١، التبصرة ص ٢٧، المنحول ص ١٠٥،
تشنيف المسامع ٥٩٧/٢، القواعد والفوائد الأصولية ص ١٥٩، إرشاد الفحول ص ١٦٩.

(٧) والقول الثاني: أنه يقتضي الندب.

انظر: الإشارة ص ٣٧٧، الإجماع ٢٦/٢، التمهيد ص ٢٦٩، القواعد والفوائد الأصولية ص ١٥٩.

(٨) منحي بن عثمان بن أسعد بن المنحأ، أبو البركات، التنوخي، الفقيه الأصولي، المفسر، النحوي، انتهت إليه
رئاسة المذهب في الشام، من تأليفه: للمتعة في شرح المقنع، شرح المحصول ولم يكمله، توفي سنة (٦٩٥هـ). الذيل
على طبقات الحنابلة ٣٢٢/٢، الدر المنضد ٤٣٧/١.

(١) وفي المسألة أقوال أخرى قولاً، انظرها في: اللع ١٣، المحصول ٢/٦٦-٦٩، التمهيد ٧٣، تشنيف المسامع ٥٩٥-٥٩٩، القواعد والفوائد الأصولية ١٥٩-١٦٠، إرشاد الفحول ١٦٩-١٧٠.

أدلة الجمهور^(١):

أ. الأدلة النقلية:

قال تعالى لإبليس: { مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ } {لأعراف: من الآية ١٢}، فوبخ الله تعالى إبليس على ترك السجود ومخالفة الأمر فدل على أنه يقتضي الوجوب.

- وقوله تعالى: { وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ارْكَعُوا لَا يَرْكَعُونَ } {المرسلات: ٤٨} ، فذمهم على ترك فعل ما قيل لهم افعلوه، ولو كان الأمر يفيد الندب لما حسن هذا الكلام.

- وقوله تعالى: { فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ } {النور: من الآية ٦٣}، فرتب على ترك مقتضى أمره إصابة الفتنة في الدنيا، أو العذاب الأليم في الآخرة، فأفادت الآية بما تقتضيه إضافة الجنس من العموم أن لفظ الأمر يفيد الوجوب شرعا مع تجرده عن القرائن.

- وقوله تعالى: { أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي } {طه: ٩٣} أي: تركت مقتضاه فدل على أن تارك المأمور به عاص.

- وقوله تعالى: { وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ } {الجن: من الآية ٢٣}.

- وقوله تعالى: { وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُمْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ } {الأحزاب: من الآية ٣٦}. فهذا نص في إيجاب الأمر، ونفي التخيير بين الفعل والترك.

- عن ابن عباس رضي الله عنهما أن مغيثا كان عبدا فقال: يا رسول الله اشفع لي إليها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((لو)) . فقالت: يا رسول الله أأمرني بذلك. قال: ((لا إنما أنا شافع))^(٢). قالت فلا حاجة لي فيه.

(١) الإشارة ص ١٦٨، مفتاح الوصول ص ٣٧٨-٣٧٩، تيسير التحرير ٣٤٢/١-٣٤٥، قواطع الأدلة ٩٥/١-١٠٨، التبصرة ص ٢٧-٣٥، المنحول ص ١٠٧، المحصول ٦٩/٢-١٥٥، العدة ٢٢٩/١، الروضة ص ١٩٤-١٩٦، للمعتمد ٥٣/١-٦٩، إرشاد الفحول ص ١٧٠-١٧٣.

(٢) أخرجه البعاري في الخلع (٥٢٨٣)، وأخرجه الترمذي في الرضاع بدون لفظ الأمر (١١٥٦)، وابن ماجة في الطلاق (٢٠٧٥، ٢٠٧٤) و النسائي في القضاء (٥٤١٧)، أبو داود في الطلاق (٢٢٣١)، الدارقطني (١٨٣)، وسعيد بن منصور (١٢٥٧)، ابن حبان (٤٢٧٣).

فنفى صلى الله عليه وسلم الأمر منه مع ثبوت الشفاعة الدالة على الندب.

ووجه الدلالة أن بريرة رضي الله عنها قالت أتأمرني؟ ومعنى هذا أن الصحابة كانوا يفهمون أن الأمر للوجوب.

- عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم على أبي بن كعب وهو يصلي فقال: يا أباي، فالتفت ثم لم يجبه ثم قال أباي: فخفف أباي ثم انصرف إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: السلام عليك يا رسول الله. فقال: وعليك السلام، ما منعك يا أباي إذ دعوتك أن تجيبني؟ فقال: يا رسول الله كنت في الصلاة.

- قال: ((أولست تجد فيما أوحى الله إلي: { اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ } (لأنفال: من الآية ٢٤)))^(١). فوبخه على مخالفة الأمر، فدل على أن الأمر يقتضي الوجوب.

- قوله عليه السلام: ((لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك))^(٢). فدل على أنه لو أمر به لوجب.

وقيل: وجه الدلالة منه أن النبي صلى الله عليه وسلم جعل الأمر بمعنى الوجوب كما يدل عليه السياق والحال وقد جاء في بعض الروايات (لفرضت عليهم السواك) رواه البزار والطبراني

(١) رواه الترمذي (٢٨٧٥)، أحمد، ابن خزيمة (٨٦١)، الحاكم ٥٥٨/١، البيهقي في الكبرى ٣٧٥/٢،

وورد هذه القصة عن أبي سعيد بن الملقى البخاري (٤٢٠٤)، أبو داود (١٤٥٨)، ابن خزيمة (٨٦٣، ٨٦٢)،

البيهقي في الكبرى ٣١٧/١، والنسائي ٩١٣

قال في الفتح ١٥٧/٨: ((وجمع البيهقي بأن القصة وقعت لأبي بن كعب ولأبي سعيد بن الملقى، ويتعين المصير إلى ذلك لاختلاف مخرج الحديثين واختلاف سياقهما)).

(٢) رواه البخاري (٧٨٧، ٧٢٤٠)، ومسلم (٢٥٢)، من حديث أبي هريرة.

والحديث ورد عن جمع من الصحابة منهم: أبو هريرة وزيد بن خالد، وعلي بن أبي طالب، والعباس بن عبد المطلب.

انظر: نصب الراية ٩/١، التلخيص الحبير ٦٢/١-٦٣.

• روى البراء بن عازب رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم أمر أصحابه بفسخ الحج إلى العمرة فردوا عليه القول، فغضب. ثم انطلق حتى دخل على عائشة غضبان فقالت: من أغضبك أغضبه الله، فقال: وما لي لا أغضب وأنا أمر بالأمر فلا أتبع.

- ب. الإجماع:- تكرر استدلال الصحابة والسلف بهذه الصيغة مع تجردها عن القرائن على الوجوب، وشاع ذلك وذاع بلا نكير، فأوجب العلم العادي باتفاقهم عليه^(١).

ج. الأدلة العقلية:

- أطبق العقلاء على ذم عبد لم يمثل أمر سيده ويوصف عندهم بالعصيان، ولا يذم إلا من كان تاركا لواجب عليه.

- الأمر موضوع لاقتضاء الفعل، فوجب أن يحمل على وجه يحصل معه الفعل، ومتى حملناه على التدب جوزنا له تركه، وهذا يوجب الإخلال بموضوع اللفظ.

- الوجوب ينهي أن تكون له صيغة مفردة في اللغة، وتلك الصيغة هي "افعل" فوجب أن تكون افعل للوجوب.

د. الأدلة اللغوية:

- فرق أهل اللسان بين السؤال والأمر، فقالوا: إذا قال لمن هو دونه "افعل" أن هذا أمر، وإذا قال لمن هو فوقه "افعل" قالوا: هذا سؤال، كما ندرك التفرقة بين قولهم: قام زيد، ويقوم زيد، في أن الأول للماضي، والثاني للمستقبل، وإن كان قد يعبر عن الماضي بالمستقبل وبالعكس، لقرائن تدل عليه.

- أنا ندرك التفرقة في اللغات كلها بين قول "افعل"، وبين قول "إن شئت فافعل".

- قال الحماسي:

(١) وانظر الاعتراضات على هذا الاستدلال والجواب عليها في إرشاد الفحول ص ١٧٠.

أطعت لآمرِك بصرِم حَبلي مُرِيهم في أَجِبَتهم بِذاك
فإن هم طاعوك فطاعِهم وإن عاصوك فأخصي مَن عصاك
وقال دريد بن الصمة :

أمرقم أمري بمنعرج اللوى فلم يستبينوا الرشد إلا ضحى الغد
فلما عصوني كنت منهم وقد أرى غوايتهم وأنفي غير مهتد^(١)

الترجيح: الراجح والله أعلم مذهب الجمهور، لتنوع وقوة أدلتهم، وضعف أدلة المخالفين لهم.

المطلب الثاني: هل أمر الرسول صلى الله عليه وسلم على الوجوب؟

رأي القاضي عياض في المسألة:

قال رحمه الله: ((وحجة أحمد - في إيجاب التشهد - تشهد النبي صلى الله عليه وسلم فيهما... ولقوله: ((إذا صلى أحدكم فليقل: التحيات لله)) وأمره على الوجوب))^(٢).

قال رحمه الله: ((وقوله: (لهيئنا عن الكلام) دليل على منعه في الصلاة، وتركه فيها فرض عندنا على أصح القولين لهذا النهي، وقيل: سنة، والاختلاف في ذلك مبني على الاختلاف في أوامره - عليه السلام - المجردة، هل تحمل على الفرض أو على الندب، وقول أكثر أئمتنا أنها محمولة على الوجوب))^(٣).

وقال رحمه الله: ((وبقوله: " عوذوا بالله " الحديث على الوجوب))^(٤).

وقال رحمه الله عند قوله صلى الله عليه وسلم: " إياكم والجلوس في الطرقات... إذا أيتم إلا المجلس ": ((وفيه دليل أن أمره - عليه السلام - لم يكن على الوجوب.... وقد يحتج به من لا يرى الأوامر على الوجوب))^(٥).

(١) قاله دريد بن الصمة. انظر: الأصبعيات ص ١٠٥.

(٢) إكمال المعلم، كتاب الصلاة، باب ما يجمع صفة الصلاة، ٤١٢/٢.

(٣) إكمال المعلم، كتاب المساجد، باب تحريم الكلام في الصلاة، ٤٦٩/٢.

(٤) إكمال المعلم، كتاب المساجد، باب ما يستعاذ منه في الصلاة، ٥٤١/٢.

* وبمجموع ما وقفت عليه من كلام القاضي عياض يدل على ميله إلى قول الجمهور، والأقوال والأدلة قد مرت مستوفاة في المسألة السابقة. ونسب التفريق بين أمر الله ورسوله إلى الأهمري حيث قال إن أمر الرسول صلى الله عليه وسلم للندب وأمر الله للوجوب والصحيح عدم التفريق وأن الكل على الوجوب.^(١)

(١) إكمال المعلم، كتاب السلام، باب من حق الجلوس على الطريق رد السلام، ٤٤/٧.

وانظر: ٥٧/٢، ٦٣/٤، ١١٧/٧.

(٢) انظر أحكام الفصول ٢٠٤/١، الإمهاج ٢٦/٢، نهاية السؤل ٢٧/٢، جمع الجوامع ٣٧٦/١، القواعد

والفوائد ٢٢٣.

المطلب الثالث: ورود الأمر بعد الحظر

توطئة: هذه المسألة مفرعة على مسألة ما تفيد صيغة الأمر المجردة، هل هي للوجوب أو للإباحة أو غيرهما؟.

أقوال العلماء في المسألة:

وقد اختلف العلماء في المسألة على أقوال عدة، ذكر القاضي عياض بعضها منها:

حيث قال رحمه الله في معرض شرحه لقول النبي صلى الله عليه وسلم: ((فكلوا وتصدقوا وادخروا))^(١).

((وقد اختلف الأصوليون من الفقهاء والمتكلمين في لفظة ((افعل)) إذ جاءت بعد الحظر، هل تحمل الوجوب أو الإباحة؟

- فجمهور محققيهم من القائلين بالصيغة واقتضاها بمجرد الواجب من أصحابنا وغيرهم يحملها على الوجوب ها هنا^(٢).

قال القاضي أبو بكر: لو كنت من القائلين بالصيغة لقلت بأنها لو أطلقت بعد الحظر يقتضي الوجوب^(٣). وذابت طوائف منهم من فقهاء أصحابنا وغيرهم من المتكلمين أنها تحمل على الإباحة ورفع الحظر^(٤) وهو مذهب الشافعي^(٥).

(١) والحديث في صحيح مسلم، الأضاحي، باب بيان ما كان من النهي عن أكل لحم الأضاحي ٤٢٢/٦.

(٢) قال به الحنفية، وأكثر للمالكية، وأصحاب الشافعي، وهو قول المعتزلة.

انظر: شرح تنقيح الفصول ص ١١٣، مختصر ابن الحاجب مع المضد ص ١٧٤، مفتاح الوصول ص ٢٣، كشف الأسرار ٢٧٦/١، نهاية الوصول ٤٢٢/١، تيسر التحرير ٣٤٥/١، إحكام الفصول ٢٠٦/١، المحصول ٩٦/٢، الإحكام للأمدى ١٩٨/٢، البحر المحيط ١١١/٣، نهاية السؤل ٤٧/٢، العدة ١٧٥/٢، التمهيد ١٧٩/١، القواعد والفوائد الأصولية ص ٢٢٨، شرح الكوكب المنير ٦٥/٣، المعتمد ٧٥/١، أصول الفقه لأبي النور ٣٣٨/٢.

(٣) انظر كلام القاضي الباقلاني في: البرهان ٨٧/١، الإمّا ج ٤٤/٢، البحر المحيط ١١١/٢.

(٤) قال به بعض المالكية كأبي الفرج، وأبي تمام، وأبي محمد ابن نصر، ومحمد بن خوير منلاد، وابن الحاجب، وابن التلمساني، وقال به الإمام أحمد وجمهور أصحابه، وقال به بعض الحنفية وقيل إنه قول الجمهور.

تقريب الوصول ص ٧٤، المذكرة ص ١٩٢، الإشارة ص ٢٥٢، فواتح الرحموت ٤١٤/٢، المغني ص ٣٢، الإمّا ج ٤٣/٢، جمع الجوامع ٣٧٨/١، المستصفى ٨٠/٢، الواضح في أصول الفقه ٥٢٤/٢، الروضة ٨٤/٢، شرح مختصر الروضة ٣٧٠/٢، شرح غاية السؤل ص ٢٨٥.

(١) نسب للشافعي في معظم كتب الأصول.

وقال قائلون: إن كان الحظر مؤقتا فهو على الإباحة^(١).

وكان من قال بوجوب الأكل في مشينا إلى هذا الأصل استروح، كما أشار إليه الإمام أبو عبد الله^(٢).

واسترواحه عندي في ذلك غير صحيح، لأن هذا الحظر معلق بعلّة نص عليها الشارع، وأبان أن نفيه لسببها، فإذا ارتفعت ارتفع موجبها وبقي الأمر على ما كان عليه قبل الإباحة، فليس في ذكره له بعد الحظر من زائد على ما يوجب سقوط العلة بقوله: ((إنما نهيتكم من أجل الدافة))^(٣) لفهم أن سقوط العلة سقوط الأمر على الإباحة^(٤).

وقال أيضا: ((وقوله: ((إلا على ميت)) يدل على اختصاص ذلك بالأموات دون المطلقات على ما ذهب إليه الجمهور. وقوله هذا محمول عند القائلين به على الوجوب لا على الندب.

وقد أشار الباجي: أن هذا من باب ورود لفظة ((افعل)) بعد الحظر ألّا تحمل على الوجوب، على ما ذهب إليه بعض الأصوليين، خلافا لمن رآها على الإباحة.

وليس هذا الحديث من هذا ولا فيه ورود أمر بعد حظر، وإنما فيه استثناء من عموم الحظر، فلولا الاتفاق على حمله على الوجوب، وأدلة الحديث الآخر وقوله — عليه السلام — في حديث أم سلمة في الكحل: ((لا)) وما يبينه في حديث أم عطية، لكانت الإباحة أظهر فيه؟.

* مما سبق من عرض كلام القاضي عياض يثبت ما يلي:

- ذكر أن في المسألة أربعة أقوال: قول بالوجوب، وقول بالإباحة، وقول بالوقف وهو ما أشار إليه من مذهب القاضي أبي بكر الباقلاني.

(١) في الرومان ٨٨/١، الإجماع ٤٤/٢. إن كان الحظر مؤقتا فهو على الإباحة .

(٢) أي المازري حيث تكلم قبله عن المسألة.

(٣) الحديث في صحيح مسلم، الأضاحي، باب بيان ما كان من النهي عن أكل لحم الأضاحي، ٤٢٢/٦.

(٤) هذا الذي ذكره القاضي عياض من تعليل هو رأي الإمام الغزالي كما نسب إليه.

والقول الذي صححه وهو أن الأمر بعد الحظر يرجع إلى ما كان عليه من إباحة أو غيرها.

- وعود الأمر بعد الحظر إلى ما كان عليه قبل الحظر، هو ما رجحه القفال الشاشي، والكمال ابن الهمام، وشيخ الإسلام ابن تيمية، ورجحه ابن كثير في تفسيره، والزرکشي في البحر المحیط، والشيخ الشنقيطي في المذكرة والأضواء. قال شيخ الإسلام ابن تيمية: ((وهو المعروف عن السلف والأئمة ومعناه كلام المزني))^(٣).

وفي المسألة أقوال أخرى منها:

١. أنه للاستحباب (الندب) اختاره القاضي حسين^(٣).

٢. إن كان بعد الحظر أمر صريح بلفظه فيقتضي الوجوب بخلاف صيغة، افعِل. قال المجد ابن تيمية: ((وعندي أن هذا التفصيل هو كل المذهب))^(٤).

الأدلة:

دليل القائلين بالوجوب: (٥)

(١) إسماعيل بن يحيى بن إسماعيل بن عمرو بن مسلم المزني أبو إبراهيم المصري، تلميذ الشافعي، كان رأساً في الفقه، قال الشافعي: المزني ناصر مذهبي، صنف كتباً كثيرة منها البسيط، والمختصر، والمتشور، ولد سنة ١٧٥هـ، وتوفي سنة ٢٦٤هـ سر أعلام النبلاء ٤٩٢/١٢ وطبقات الشافعية لابن قاضي شعبة ٥٨/٢ وطبقات الشافعية للإسنوي ٢٨/١

(٢) انظر: المذكرة ص ١٩٣، ثر الورود ١٩٧/١، أضواء البيان ٢/....، تيسير التحرير ٣٤٥/١، فواتح الرحموت ٤١٤/١، البحر المحیط ٣/ ١١٣، جمع الجوامع مع شرح المجلد ١٧٨/١، شرح مختصر الروضة ٣٨٠/٢، القواعد والفوائد الأصولية ص ٢٢٩، شرح الكوكب المنير ٦٠/٣، شرح غاية السؤل ص ٢٨٦.

(٣) كشف الأسرار ٢٧٩/١، البحر المحیط ١١٣/٢، شرح مختصر الروضة ٣٨٠/٢، القواعد والفوائد الأصولية ص ٢٢٩، شرح الكوكب المنير ٦٠/٣.

(٤) الروضة ٤٨/٢، شرح مختصر الروضة ٣٨٠/٢، القواعد والفوائد الأصولية ص ٢٢٩، المختصر في أصول الفقه ص ١٠٠، شرح غاية السؤل ص ٢٨٥.

(٥) انظر لهذه الأدلة ومناقشتها: إحكام الفصول للباحي ٢٠٦/١، كشف الأسرار ٢٧٨/١، الحصول ٩٦/٢، الوصول لابن برهان ١٥٩/١، التمهيد ١٧٩/١، العدة ١٧٨/٢-١٨٠، الروضة ٤٨/٢، شرح مختصر الروضة ٣٨٠/٢، الواضح في أصول الفقه ٥٢٤/٢.

- قالوا: إن الصيغة دلت على الإيجاب بوضعها، وورودها بعد الحظر لا يوجب خللا في الصيغة، فلا يوجب خللا في المقتضى، والحظر المتقدم لا يجوز أن يجعل قرينة، فإن القرينة كاسمها مأخوذة من الاقتران.

والحظر ليس بقرينة لأنه متقدم وليس بمقارن، فإذا دلت الصيغة على الإيجاب قبل الحظر دلت على الإيجاب بعد الحظر.

والجواب: إن الصيغة إنما تدل على اقتضائه مع عدم القرائن الصارفة له، والحظر قرينة صارفة له عن اقتضائها الوجوب

- ولأن النهي بعد الأمر، يقتضي الحظر، فتقدم الأمر عليه لا يغير مقتضاه وكذلك أيضا تقدم النهي على الأمر لا يغير مقتضاه.

والجواب: لا نسلم أن النهي إنما إذا ورد بعد الأمر يقتضي الكراهة والتنزيه كالأمر سواء، وكذلك الفرق بين النهي والأمر لأن النهي أكد ويقتضي قبح المنهي عنه.

- الأمر فيما عدا الواجب لا يكون أمرا على الحقيقة، فلما ثبت أن هذا أمر وجب أن يكون على الوجوب.

والجواب: أن الأمر فيما عدا الواجب يكون أمرا على الحقيقة كما في الندب.

- قالوا: الأمر بالمباح لا يحسن، لكونه عبثا، لأن المأمور لا يستحق عليه الثواب إذا فعله، فلا يجوز أن يكون هذا الأمر مقتضيا للإباحة.

والجواب: أن هذا ليس بأمر عندنا، وإنما صيغته صيغة الأمر، ومن سماه أمرا فإنما يسميه على طريق المجاز.

- هذا لا يخرج على قولكم، لأن عندكم أن أصل الأشياء على الحظر، فيقتضي أن يكون سائر الأوامر مبيحة لا يثبت بشيء منها إيجاب، لأنها كلها ترد بعد الحظر.

والجواب: أن المواضع التي حملناها على الوجوب لدليل دل عليها اقتضت الوجوب.

- ورود بعض النصوص بعد الحظر، والمراد بها الوجوب كقوله تعالى: {فَإِذَا انسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ} (التوبة: من الآية ٥) وقوله صلى الله عليه وسلم لفاطمة

بنت حبيش^١ التي كانت تستحاض: ((إنما ذلك عرق، وليس بالحيض، فإن أقبلت حيضتك فدعي الصلاة، وإذا أدبرت فاغسلي عنك الدم ثم صلي)).
والجواب: بأن هذه النصوص دلت على الوجوب لأدلة أخرى وعلم الوجوب فيها دليل خارجي.

دليل القائلين: الأمر بعد الحظر يدل على رجوع الفعل إلى ما كان عليه قبل الحظر.
استدل هؤلاء بالاستقراء التام لأدلة المسألة.

- حيث يقول ابن الهمام وشارحه الأمير بادشاه:^(٢) [والحق أن الاستقراء دل على أنه] أي الأمر [بعد الحظر لما اعترض] أي طرأ الحظر [عليه، فإن] اعترض [على الإباحة] بأن كان ذلك المحظور مباحا، قبل الحظر ثم اتصل به الأمر [كاصطادوا] فإن الصيد كان مباحا قبل الإحرام فصار محظورا به، فأمر به بعد التحلل [فلها] جواب إن: أي فالأمر حينئذ للإباحة [أو] اعترض [على الوجوب، كاغسلي عنك الدم وصلي فله] أي فالأمر للوجوب، لأن الصلاة كانت واجبة ثم حرمت بالحيض [فلنختار ذلك] أي التفضيل المذكور، وفي الشرح العضدي وهو غير بعيد، وما اختاره المصنف أقرب إلى التحقيق)).

- قال الشيخ الشنقيطي في الأضواء^(٣): ((وبهذا تعلم أن التحقيق الذي دل عليه الاستقراء التام في القرآن أن الأمر بالشيء بعد تحريمه يدل على رجوعه إلى ما كان عليه قبل التحريم من إباحة أو وجوب — ثم مثل — هذا هو الحق في هذه المسألة الأصولية.

- قال ابن كثير في تفسير هذه الآية { وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا } (المائدة: ٢) ((وهذا أمر بعد الحظر، والصحيح الذي يثبت على السير أنه يرد الحكم إلى ما كان عليه قبل النهي ، فإن كان واجبا رده واجبا، وإن كان مستحباً فمستحب، أو مباحاً فمباح.

ومن قال: إنه للوجوب ينتقض عليه بآيات كثيرة.

ومن قال: إنه للإباحة يرد عليه بآيات أخرى.

(١) فاطمة بنت أبي حبيش بن المطلب بن أسد بن عبد العزى بن قصي القرشية الأسدية، لها ثلاثة أحاديث.

الاستيعاب ٤/٤٤٧ أسد الغابة ٦/٢١٨ الاصابة ٨/٢٧٠

(٢) تيسر التحرير ١/٣٤٦.

(٣) أضواء البيان ١/٢٥٧-٢٥٨.

والذي ينتظم الأدلة كلها هذا الذي ذكرناه، كما اختاره بعض علماء الأصول)).

الترجيح:

يترجح لدي القول بأن صيغة الأمر بعد الحظر تعود إلى ما كانت عليه قبل الحظر

قال الشيخ الشنقيطي رحمه الله:

((إذا عرفت أن الاستقراء الثام في القرآن دل على ما اخترناه واختاره ابن كثير، وجمع من

أهل العلم، من أن الأمر بعد الحظر يدل على رجوع الحكم إلى ما كان عليه قبل التحريم،

عرفت أن ذلك هو الحق والعلم عند الله)).

المطلب الرابع: الأمر بصيغة الخبر (وكذلك النهي)

رأي القاضي عياض

- قال في مسألة قراءة الحائض والجنب للقرآن: (وقد اختلف العلماء... فمنهم من رخص لهما في حمل المصحف وقراءة القرآن، وهو قول جماعة من السلف وأهل الظاهر وتناولوا الآية في قوله تعالى: {لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ} (الواقعة: ٧٩) أنها خبر لا نهي، وأن المراد الملازمة وأنها بمعنى الآية الأخرى التي في عبس: {بِأَيْدِي سَفَرَةٍ كِرَامٍ بَرَرَةٍ} (عبس: ١٥، ١٦) وإلى هذا التفسير نحا مالك في موطنه، وعلى هذا يكون منع مسه لغیر المتطهر على وجه النذب لا على وجه الإيجاب، وذهب جمهور العلماء ومالك والشافعي وأبو حنيفة إلى أنه لا يمس القرآن إلا طاهر، وحملوا الآية على ظاهرها، وأن الخبر هنا مقتضاه النهي. كما قال تعالى {وَالْمُطَلَّاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ} (البقرة: من الآية ٢٢٨) الصورة خبر ومقتضاه الأمر، ولا يقرؤه الجنب والحائض^(١).

٢- وقال: ((وقوله: (لا يفرك مؤمن مؤمنة) لا يفيضها، ليس على النهي بل على الخبر...))^(٢). ٣- وقال أيضاً: (وقوله: (لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن) قيل: هو على النهي لا على الخبر، وهذا بعيد لا يعطيه نظم الكلام ولا تساعده الرواية...))^(٣).

* الذي يظهر لي من الأمثلة السابقة أن القاضي عياض يرى جواز مجي صيغة الأمر والنهي والمراد بهما الخبر وهذا كثير^(٤) قال ابن النجار (وكأمر خير بمعناه) يعني أن الأمر الذي بلفظ الخبر ... حكمه حكم الأمر الصريح في جميع ما تقدم؛ لأن الحكم تابع للمعنى الذي دل عليه اللفظ، دون صورة اللفظ وكذا النهي بلفظ الخبر... واستدل على أنهما كالأمر والنهي الصريح بدخول

(١) إكمال للعلم، الحيض، باب جواز غسل الحائض رأسها ١٣٣/٢.

(٢) إكمال للعلم، الرضاع، باب الوصية بالنساء ٦٨٠/٤.

(٣) إكمال للعلم، الإيمان، باب بيان نقصان الإيمان بالمعاصي ٣١١/١.

(٤) انظر للأمانة في مباحث صيغ الأمر والنهي. البحر المحيط ٩٦/٢، ١٥٦، إرشاد الفحول ١٤٧. شرح لكوكب للنير ٣/٣١، ٦٦.

النسخ فيهما، إذ الأخبار المحضة لا يدخلها النسخ))^(١).

المبحث الثالث: النهي وفيه مطلبان

- المطلب الأول: هل النهي يقتضي الفساد؟

- المطلب الثاني: هل النهي عن الشيء أمر بضده؟

(١) شرح الكوكب المنير ٦٦/٣.

المطلب الأول: هل النهي يقتضي الفساد؟

تعريف النهي:

وهو في الاصطلاح القول الدال على طلب كف عن فعل على جهة الاستعلاء^(١).

أقسام النهي باعتبار المنهي عنه^(٢)

النهي عن الشيء ينقسم ظاهرا إلى ثلاثة أقسام:

أحدها: ما يرجع إلى ذات المنهي عنه، كالكذب والظلم ونحوهما.

وثانيها: ما يرجع إلى وصف المنهي عنه. كصوم يوم النحر وبيع الربويات والوطء في حالة الحيض والطلاق فيه أيضا.

وثالثها: ما يرجع إلى غيره كالنهي عن البيع وقت النداء وعن النجس وما أشبههما^(٣).

تفسير مصطلحات يحتاج إليها^(٤).

الصحة: عند الفقهاء : إسقاط القضاء

وعند المتكلمين: في العبادة: كونها موافقة لأمر الشارع في ظن الفاعل لا في نفس الأمر سواء وجب القضاء أو لم يجب^(٥).

(١) المعتمد ١/١٦٨، إرشاد الفحول ١/١٩٢.

(٢) تحقيق المراد ٦٦.

(٣) قال العز ابن عبد السلام في قواعد الأحكام ٢/٢١: ما يتردد بين هذين النوعين، كصوم يوم الشك، وأيام التشريق، والصلاة في الأوقات المكروهات، وفيه خلاف ماعلوه أن النهي عنه هل هو لمنه أو لأمر يقتضيه به. - أن ينهى عما لا يعلم أنه لا احتلال للشرائط والأركان، أو لأمر مجاور، فهذا أيضا مقتضى للفساد حملا للفظ على الحقيقة ومثاله نهي صلى الله عليه وسلم عن بيع الطعام حتى يجزي فيه الصاعان.

(٤) تحقيق المراد ٦٨-٧٠.

(٥) فعلى هذا يتخرج صلاة من ظن أنه متطهر ثم تبين أنه ليس كذلك فعند المتكلمين هي صحيحة لأنها وقعت موافقة لأمر الشارع في ظنه وعند الفقهاء هي باطلة لأنها لم تسقط القضاء. وعكسها صلاة من صلى خلف الخنثى للمشكك ثم تبين أنه رجل إذا فرع على أحد القولين للشافعي في أنه لا يجب القضاء لكن الرجوع خلافه فإنما على اصطلاح الفقهاء صحيحة على هذا القول لإسقاطها القضاء وعند للمتكلمين باطلة لأنها ليست موافقة لأمر الشرع وذكر القرافي أن الخلاف لفظي. وهذا فيه نظر من جهة مسألة الصلاة خلف الخنثى للمشكك التي

وفي المعاملات: الذي عليه جمهور أئمة الأصول أن:
الصحة فيها: عبارة عن ترتب ثمرة ذلك العقد المطلوبة منه.
والفساد: أن لا يترتب عليه ذلك^(١).

الفرق بين الفاسد والباطل:

والجمهور على عدم التفرقة بين الباطل والفاسد.
وأما الحنفية فإنهم فرقوا بينهما وخصصوا اسم:
الصحيح: المشروع بأصله ووصفه. وهو العقد المستجمع لكل شرائطه. والباطل: هو
الممنوع بهما جميعا.
والفاسد: المشروع بأصله الممنوع بوصفه^(٢).

تحرير محل النزاع:

- يرد النهي مجازا لما ورد له الأمر^(٣).
- الكلام في أن النهي هل يقتضي الفساد أم لا إنما هو مفرع على أنه للتحريم. وأما
نهي الكراهة فلا خلاف في أنه لا يقتضي الفساد^(٤).
- الخلاف في " النهي المطلق " ، أما النهي المقيد المقترن بقرينة تدل على الفساد، أو
تدل على عدمه، فليس من محل الخلاف^(٥).

أشرنا إليها ولا يلزم من اتفاقهم على ما ذكر من الأحكام أن يكون الخلاف في التسمية لأنه ثم أحكام آخر غير
هذه.

(١) والمراد بالثمرة: أثر كل عقد بحسبه، فأثر البيع التمكّن من الأكل، والوطة والمبة والوقف ونحو ذلك. وثمرّة
الإحارة التمكّن من المنافع، وفي القرض عدم الضمان واستحقاق الربح، وفي النكاح التمكّن من الوطء
والطلاق إلى غير ذلك من أنواع العقود.

(٢) تحقيق المراد ص ٧٢.

(٣) شرح الكوكب للنور ٣/٧٧-٨٣، إرشاد الفحول ١/١٩٣.

(٤) تحقيق المراد ص ٦٣-٦٥، تشنيف المسامع ٢/٦٣٥.

(٥) تشنيف للمسامع ٢/٦٣٤.

هذه المسألة وإن كانت جزئية فهي من القواعد الكبار التي يبنى عليها من الفروع الفقهية ما لا يحصى^(١).

رأي القاضي عياض:

قال رحمه الله: ((ومذهب مالك وعامة أهل العلم أن المستنحي يمينه أساء واستنحاؤه جائز، وذهب أهل الظاهر وبعض الشافعية إلى أن الاستنحاء باليمين لا يجزئ، لاقتضاء النهي فساد المنهي عنه، وهو أصل مختلف فيه عند أرباب الأصول))^(٢).

وقال: ((وقوله صلى الله عليه وسلم: "من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد"^(٣)، قال الإمام: يحتج بهذا من أهل الأصول من يرى أن النهي يدل على فساد المنهي عنه، لأنه أخير إن كان أحدث بما ليس من الدين فهو رد. والمنهيات المحرمات كلها ليست من أمره صلى الله عليه وسلم فيجب ردها.

ومن أنكر من أهل الأصول ممن يرى كون النهي [لا]^(٤) يدل على فساد المنهي عنه على الإطلاق، يقول: هذا خير واحد، يتطرق إليه الاحتمال والتأويل، فلا يستمسك به في مثل هذه المسألة.

قال القاضي - رحمه الله -: معنى قوله "رد": أي فاسد.

وفائدة الخلاف المتقدم هذا فيمن يقول: إن النهي يدل على فساد المنهي عنه، وهو قول جمهور الفقهاء، وأن العقود المنهي عنها فاسدة إلا من دليل آخر^(٥).

ومذهب معظم أئمة المتكلمين من شيوعنا أن مجرد النهي لا يدل على الفسخ ولا على فساد^(٦) المنهي عنه، وإنما يستدل على فساد ما فسد منه بغير مجرد النهي عنه. ومعنى قولهم: "رد": أي غير موافق لسنة، وصاحبه غير مأجور فيه ومردود عليه^(٧).

(١) تحقيق المراد ص ٢٠١.

(٢) إكمال المعلم، كتاب الطهارة، باب الاستطابة، ٦٩/٢.

(٣) رواه البخاري (٢٥٥٠)، ومسلم (١٧١٨)، من حديث عائشة.

(٤) ساقطة من المطبوع والسياق يقتضيها.

(٥) لعل صواب العبارة: وعلى العقود المنهي عنها إلا من دليل آخر.

(٦) في المطبوع: فساء، والصواب ما أثبتته.

(٧) إكمال المعلم، كتاب الأقضية، باب نقض الأحكام الباطلة، ٥٧٦/٥.

● وفي هذا القدر الذي وقفنا عليه من كلام القاضي عياض لا يتبين لنا مذهبه في المسألة على سبيل القطع، وإن كان قوله ((معنى قوله "رد": أي فاسد)) يشير إلى موافقة الجمهور.

● مذاهب العلماء في المسألة:

افترق العلماء في ذلك إلى فرقتين:

القسم الأول: من يرى اقتضاء النهي الفساد: وهم جمهور الفقهاء من أرباب المذاهب الأربعة، وأهل الظاهر، وطوائف من المتكلمين، ونسبه في البرهان للمحققين^(١).

واختلفوا بعد ذلك على مذاهب:

المذهب الأول: النهي يقتضي الفساد المرادف للبطلان إذا تعلق النهي بذات الشيء أو وصفه الملازم^(٢). وإليه ذهب الجمهور من الشافعية.

المذهب الثاني: كالمذهب الأول، إلا أن البيع الفاسد يفيد شبهة الملك فيما يقبل الملك، فإذا لحقه أحد أربعة أشياء تقرر الملك بالقيمة وهي: ١. حوالة الأسواق ٢. تلف العين ٣. نقصانها ٤. تعلق حق الغير بها.

وهو مذهب مالك^(٣) وأصحابه، على تفصيل لهم وفروع هي مبسطة في كتبهم والله أعلم^(٤).

(١) مفتاح الوصول ص ٤١٨، تيسر التحرير ٣٧٦/١، التبصرة ص ١٠٠، اللمع في أصول الفقه ص ٢٥، قواطع الأدلة ٢٥٥/١-٢٥٦، تحقيق المراد ص ٧٤، ٨٠، تشنيف المسامع ٦٣٢/٢، المسودة ٢٢٤/١-٢٢٥، شرح الكوكب المنير ٨٤/٣. قال شيخ الإسلام: والنهي يقتضي فساد المنهي عنه لاسيما إذا كان من العبادات و كان النهي لمعنى في المنهي عنه. شرح العمدة ٤٠٤/٤

(٢) والمراد عندهم أنه يقتضيه شرعا لا لغة، وقيل: إنه يقتضي الفساد لغة كما يقتضيه شرعا.

انظر: قواطع الأدلة ٢٥٦/١، تشنيف المسامع ٦٣٢/٢، إرشاد الفحول ١٩٣/١.

(٣) اختلف أصحاب مالك في مذهبه على أقوال، والمذكور هو الذي قرره القرافي وجرى عليه من بعده.

قال ابن العربي في المحصول ص ٧١: والصحيح من مذهبه أي مالك - أن النهي على قسمين:

- لمي يكون لمعنى في المنهي عنه.

- ولمي يكون لمعنى في غيره.

المذهب الثالث: النهي إن كان لحق الله فإنه يدل على الفساد، بخلاف ما هو لحق العبد، فلا يفسد المنهي عنه.

وقال الشريف التلمساني إنه تحقيق المذهب -أي: المالكي-، واستدل له بحديث المصراة^(٣)، وبه قال الحنابلة^(٤).

المذهب الرابع: النهي إن كان لعين الشيء اقتضى البطلان، وإن كان لوصفه اقتضى فساد الوصف، أو مجاور فيكون النهي للمجاور فلا يقتضي فساد النهي عنه. وبه قال الحنفية^(٥).

المذهب الخامس: النهي يقتضي الفساد في العبادات دون المعاملات^(٦).

المذهب السادس: النهي يقتضي فساد المنهي عنه مطلقا. نُسب لأحمد^(٧) ومالك^(٨)، وبه قال الظاهرية، والشوكاني^(٩).

فإن كان لعن في المنهي عنه دل على فساده، وإن كان لعن في غير المنهي عنه فذلك يختلف، إلا أن الأغلب فيه أنه لا يدل على الفساد، فأما اقتضاء النهي المحقق للتحريم المتيقن فهي مسألة أصولية، والدليل فيها كالدليل على الوجوب في الأمر بعينه وأما القول في الفساد فذلك من فروع الفقه.

(١) وإن كانت قاعدتهم أن النهي يدل على الفساد في الأصول، غير أنهم راعوا الخلاف في أصل القاعدة في الفروع. فقالوا: شبهة الملك. ولم يقتصروا الفساد ولا الصحة جمعا بين المذاهب.

قال العلائي: وهذا يقتضي اختصاص هذا القول بالفقود دون العبادات، لكن سيأتي من تفرعاتهم في العبادات ما يؤخذ منه نظير ذلك، حيث يقولون: بوجوب الإعادة في الوقت خاصة، ولا يعيد بعده. انظر: تحقيق المراد ٨٢.

(٢) وذكره المازري عن شيعه، قال العلائي: وأظنه أبا الحسن اللعمي.

انظر: مفتاح الوصول ٤٢١-٤٢٢، تحقيق المراد ٢٠٩.

(٣) واستدل له ابن مفلح بآيات الشرع الخبار في تلقي الركبان. شرح الكوكب المنير ٩٥/٣-٩٦.

(٤) قال الشوكاني: ولم يستدلوا على ذلك بدليل مقبول... ولهم في ذلك فروق وتدقيقات لا تقوم بمثلها المحجة. انظر: تيسر التحرير ٣٧٦/١-٣٧٧، تحقيق المراد ص ٧٢، المسودة ٢٢٨/١، التلويح ١٢٣/٢، إرشاد الفحول ١٩٥/١-١٩٦.

(٥) وبه قال أبو الحسين البصري، والرازي، وابن الملاحي والرياص. ونسب هذا القول للغزالي، قال الزركشي: وفيه نظر. انظر: تشنيف المسامح ٦٣٢/٢، المعتمد ١٧١/١، إرشاد الفحول ١٩٤/١.

(٦) الروضة مع نزهة الخاطر ١٢٧/٢، المسودة ٢٢٤/١.

(٧) البرهان ٢٩٢/١، ٢٨٤، المسودة ٢٢٧/١.

القسم الثاني: لا يقتضي الفساد مطلقا.

وهو مذهب عامة المتكلمين من الأشاعرة والمعتزلة^(١).

ونسب لمحمد بن الحسن وأبي حنيفة أنه يدل على الصحة، لكنه لا يصح هذه النسبة إليهما^(٢).

أدلة الجمهور^(٣):

أ. من المنقول:

- عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد)) وعند مسلم ((من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد))^(٤). رد: أي مردود ، وهو المفسوخ الذي لا يعمل به نقيض المقبول والصحيح فالمنهي عنه ليس عليه أمرنا فهو مردود باطل^(٥).

- وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: ((إذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم، وإن نهيتكم عن شيء فاجتنبوه))^(٦).

فأفاد وجوب اجتناب المنهي عنه وذلك هو المطلوب.

(١) قال الشوكاني: والحق أن كل شيء من غير فرق بين العبادات والمعاملات يقتضي تحريم المنهي عنه وفساده المرادف للبطلان اقتضاء شرعا. انظر: تشنيف المسامع ٦٣٦/٢، إرشاد الفحول ١٩٥/١.

(٢) وبه قال القفال ونسبه للشافعي، والباقلاني والغزالي، وأبي الحسن الكرخي من أصحاب أبي حنيفة. قال بعضهم: وإنما الاعتماد في فساده على فوات الشرط، وقيل: إن كان النهي يختص بالمنهي عنه دل على فساده غير ذلك انظر: الإشارة ص ١٨١، التبصرة ص ١٠٠-١٠١، اللع في أصول الفقه ص ٢٥، قواطع الأدلة ٢٥٦-٢٥٧، المستصفي ٢٦/٢، تحقيق المراد ص ٧٥-٧٦، تشنيف المسامع ٦٣٢/٢، العدة ٤٣٤/٢، المسودة ٢٢٥/١، المعتمد ١٧١/١، إرشاد الفحول ١٩٤/١.

(٣) انظر: أصول السرخسي ٨٠/١، تشنيف المسامع ٦٣٧/٢-٦٣٨.

(٤) مفتاح الوصول ص ٤١٩، الإشارة ص ١٨١-١٨٣، التبصرة ص ١٠١-١٠٣، اللع ص ٢٥، قواطع الأدلة ٢٦٦-٢٨١، تحقيق المراد ص ١١٢-١٤٩، الروضة مع نزهة الخاطر ١٢٩-١٣٣، شرح الكوكب للنير ٨٥/٣-٩١، للمعتمد ١٧٤-١٧٥، إرشاد الفحول ١٩٤/١.

(٥) رواه البخاري (٢٦٩٧) باللفظ الأول، ومسلم (١٧١٨). وانظر: شرح للنووي مسلم ١٦/١٢، فتح الباري ٣٠٣/٥.

(٦) وانظر الاعتراضات على هذا الدليل والجواب عنها في: تحقيق المراد ص ١١٢-١١٧.

(٧) رواه البخاري (٦٨٥٨) من حديث أبي هريرة. وانظر: شرح للنووي مسلم ١٦/١٢، فتح الباري ٣٠٣/٥.

- وروى أبو داود^(١) في قصة المواقع أهله في نهار رمضان أن النبي صلى الله عليه وسلم قال له: ((وصم يوما مكانه)). وهذا دليل على فساد الصوم بارتكاب المنهي عنه.
- حكمه صلى الله عليه وسلم على البيوع المنهي عنها بالرد والإبطال كما في حديث فضالة رضي الله عنه أتى النبي صلى الله عليه وسلم عام خيبر بقلادة فيها ذهب وخرز ابتاعها رجل بتسعة دنانير أو سبعة فقال النبي صلى الله عليه وسلم: ((لا حتى تميز بينهما)). فرده حتى ميز بينهما^(٢).
- عن علي رضي الله عنه أنه فرق بين جارية وولدها فنهاء النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك ورد البيع^(٣).
- عن أبي سعيد: أن أم سلمة رضي الله عنها بعثت بصاعين من تمر عتيق واشترت بمها صاع عجوة فقدمته إلى النبي صلى الله عليه وسلم فتناول منه تمرًا ثم سأل عنه فأخبرته بما صنعت فالتقى التمرة وقال: ((ردوه ردوه، التمر بالتمر مثلاً بمثل...))^(٤).
- عن أبي المنهال اشترت أنا وشريك لي شيئاً يدا بيد ونسيئة فحاء البراء بن عازب فسألناه فقال فعلته أنا وشريكي زيد بن أرقم قال فسألنا النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقال: ((أما ما كان يدا بيد فخذوه وما كان نسيئة فردوه))^(٥). (وقيل: فذروه)

(١) سنن أبي داود (٢٣٩٣)، من حديث أبي هريرة بسند صحيح.

(٢) رواه مسلم (١٥٩١) بلفظ: حتى تفصل، أبو داود (٣٣٥١)،

(٣) سنن أبي داود (٢٦٩٦)، الكرى للبيهقي ١٢٦/٩، من طريق ميمون بن أبي شبيب عن علي. قال أبو داود: ميمون لم يدرك علياً.

قال ابن حجر: وصحح إسناده الحاكم، ورجحه البيهقي لشواهده. لكن رواه الترمذي وابن ماجة من هذا الوجه وأحمد والدارقطني من طريق الحكم عن عبد الرحمن بن أبي ليلي عن علي... وصحح ابن القطان رواية الحكم هذه، لكن حكى ابن أبي حاتم عن أبيه في العلل أن الحكم إنما سمعه من ميمون بن أبي شبيب عن علي. وقال الدارقطني في العلل بعد حكاية الخلاف فيه: لا يمتنع أن يكون الحكم سمعه من عبد الرحمن ومن ميمون فحدث به مرة عن هذا ومرة عن هذا. تلخيص الخبير ١٦/٣.

(٤) المستدرک للحاکم ٤٩/٢ وصحح إسناده، البيهقي في الكرى ٢٨٦/٥.

(٥) البعاري (٢٣٦٥).

- ومنها قوله صلى الله عليه وسلم: ((إن الله إذا حرم على قوم أكل شيء حرم عليهم ثمنه))^(١). وهذا يتضمن الدليل على أن البيع الفاسد لا يتقرر أصلاً بوجه ما، إذ لو كان كذلك لما حرم التصرف في الثمن مطلقاً.

ب. الإجماع:

- تواتر عن الصحابة رضي الله عنهم من وجوه عديدة الاستدلال بالنهي على الفساد والحكم على المنهي عنه بفساده في وقائع كثيرة، يقتضي مجموعها القطع بذلك. ولم ينقل عن أحد منهم إنكار ذلك، فكان في ذلك إجماع منهم على أن النهي للفساد^(٢). قال الخطابي: هذا مذهب العلماء في قديم الدهر وحديثه^(٣).

ج. من المعقول:

- العقود إنما تفيد إذا جرت على وفق الشرع، لما تمهد فيها من الشروط، وقيدت به من القيود، ومنع الخلق من كثير مما كانوا يتعاطونه فيها ويرضون به قبل الشرع، فأشبهت العبادات حيثئذ، وتوقف الحكم بترتب آثارها عليها حتى ترد على وفق المشروع، وإذا كان كذلك بقيت الأموال والأبضاع على أصلها من التحريم، ولا تنتقل إلا إذا وقعت على الوجه المشروع، فما لم تكن كذلك يحكم بفسادها، استناداً إلى أصل التحريم^(٤).

- الأمر يقتضي الصحة لما تقدم والنهي نقيضه والنقيضان لا يجتمعان فيكون النهي مقتضياً للفساد.

- مجرد النهي إذا كان على ظاهره للتحريم مناسب للفساد لما يشتمل المنهي عنه من المفسدة الخالصة أو الراجعة.

(١) رواه أبو داود (٣٤٨٨)، الكبرى للبيهقي ١٣/٦، الأوسط للطبراني ٢٨١/٢، من حديث ابن عباس بإسناد صحيح. انظر: تحفة المحتاج ٢/٢٠٤.

(٢) انظر طرفاً من هذه الأدلة، والرد على اعتراضات الغزالي والرازي في: تحقيق المراد ص ١٢٠-١٣٠، وهي مغرقة في الصحاح والسنن بأسانيد جياد.

(٣) المسودة ١/٢٢٦، شرح الكوكب المنير ٨٥/٣. [أعلام السنن: باب النهي عن بيع الكلب].

(٤) قاله الإمام الشافعي، قال العلائي: وهذا حسن بالغ تحقيق المراد ص ١٤٥.

- الأمر يقتضى اشتغال الذمة بعبادة متحدة عن النهي، إذ لا يجوز أن يكون المنهي عنه هو الذي ورد الأمر به، فإذا فُعل على الوجه المنهي عنه لم يأت بالمأمور به. وإنما أتى بغيره، فبقي الفرض في ذمته كما كان، وصار بمنزلة ما لو أمر بفعل الصلاة فأتى بالصوم.
- ولأن الحكم بصحة العبادة وإجزائها للأمر المنهي عنه لم يتعلق به الأمر فلم يجوز أن يحكم له بالصحة.
- لو لم يكن النهي للفساد لكان كل موضع منهى عنه قيل بفساده ككنكاح ذوات المحارم، والصلاة مع ملابس النجاسة التي لا يعفى عنها، وأشباه ذلك، يجب أن يكون لقرينة منفصلة دلت على ذلك الفساد، لكن الأصل عدمها، والظاهر أن الفساد مستند إلى مجرد النهي، وإلا كانت القرينة تذكر ولو في بعض الصور، فوجب أن يكون النهي يقتضي الفساد لذلك.
- النهي لا بد له من فائدة، وليست إلا الفساد، لأن طلب الكف إما لمفسدة في الفعل، أو لعدم فائدة فيه، أو لفائدة في الامتناع.
- ودليل الحصر أنا لو فرضنا انتفاء هذه الأقسام كلها، للزم أن يكون الفعل مشتملا على المصلحة خاليا من المفسدة، فيكون مطلوبا لا منهيا عنه، وليس الأمر كذلك، فثبت الحصر.
- دليا، من قال بعدم اقتضائه الفساد^(١):
- لو دل على الفساد لغة أو شرعا لناقض التصريح بالصحة لغة أو شرعا واللازم باطل.
- أما الملازمة فظاهرة، وأما بطلان اللازم فلأن الشارع لو قال نهيتك عن الربا فهي تحريم ولو فعلت لكان البيع المنهي عنه، موجبا للملك، لصح من غير تناقض لا لغة ولا شرعا.
- وأجيب: بمنع الملازمة لأن التصريح بخلاف النهي قرينة صارفة له عن الظاهر، ولم ندع إلا أن ظاهره الفساد فقط.

(١) قال العلافي في تحقيق المراد ص ١٤٩: تنوعت عباراتهم في الاحتجاج لذلك وحاصلها يرجع إلى ثلاثة أوجه. انظر أدلتهم في: التبصرة ص ١٠٢-١٠٣، قواطع الأدلة ٢٥٩/١-٢٦٢، تحقيق المراد ص ١٤٩-٢٠١، وقد أعرضنا عن بعض أدلتهم التي في أدلة الجمهور الرد عليها صريحا، كقولهم أن الفساد لم يدل عليه نقل ولا إجماع.

- فساد الشيء عبارة عن سلب أحكامه، وليس في لفظ النهي ما يدل عليه لغة قطعاً.
- واحتجوا بأن النهي يقتضي قبح النهي عنه، وقبحه لا يدل على بطلانه كالطلاق في حال الحيض، والوضوء بالماء المغصوب.
والجواب: أن النهي يقتضي معنى يدل على القبح، وهو أن ما يفعله غير ما ورد به الشرع، وذلك يوجب بطلانه على ما بيناه.
وأما الطلاق في حال الحيض، والوضوء بالماء المغصوب، فإنما حكمنا بصحتها لقيام الدلالة عليه.

وليس إذا ترك ظاهر اللفظ في بعض المواضع يجب أن يترك في كل موضع،
ألا ترى أن النهي قد يرد في بعض المواضع ولا يراد به التحريم، ثم لا يدل ذلك على أن إطلاقه لا يقتضي التحريم.

- لو كان النهي يقتضي فساد النهي عنه لوجب إذا تناول ما ليس بفساد أن يكون مجازاً،
ولما وجدنا النهي على سبيل الحقيقة في كثير من المواضع ولا يقتضي الفساد دل على أنه لا يقتضي ذلك.

والجواب: النهي يقتضي التحريم، وفساد النهي عنه. فإذا دل الدليل على أنه غير فاسد بقي حقيقة في الباقي كالعموم إذا خص بعضه.

- ليس في اللفظ ما يوجب إعادة الفعل، فمن ادعى وجوب إعادة احتاج إلى دليل.
والجواب: الذي دل على وجوب إعادة هو الأمر بالفعل، وذلك أن الأمر يتناول عبادة لا يتعلق بما نهي، وهو لم يفعل ذلك، فكان الأمر بإيجاب الفعل باقياً كما كان.

- قالوا: ليس في فعله على وجه النهي أكثر من فعله منهاه عنه، وقولكم إنه فاسد زيادة صفة يحتاج في إثباته إلى دليل.

والجواب: معنى قولنا فاسد أنه لا يعتد به عما علق الأمر عليه، وليس يحتاج في ذلك إلى دليل أكثر مما يتناوله، وهو أنه لم يفعل المأمور به، فيجب أن يكون المأمور به باقياً في الذمة.

المطلب الثاني: هل النهي عن الشيء أمر بضده

قال القاضي عياض في معرض حديثه عن حكم صلاة الجنابة : (ما في هذا الحديث يؤكد وجوبها ، وأمره- عليه السلام- بالصلاة على الجنائز ، واستدل بعض أصحابنا بقوله تعالى: {وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا} (التوبة: من الآية ٨٤) ، قال بعضهم : هو من دليل الخطاب . وقال آخرون هو من باب أن النهي عن الشيء أمر بضده ، وهذا كله ضعيف كثير وخطأ بين، ليس يصح الاستدلال به بوجه من هذين الوجهين ، ولا دليل فيه على الوجوب جملة^(١)).

وحاصل هذا الكلام إبطال قول من استدل بالآية على وجوب صلاة الجنابة بأحد الوجهين المذكورين، وليس فيه التصريح برأيه في المسألة.

ولعله يشير إلى ما قاله القاضي بآبن العربي-وهو من شيوخه- عند هذه الآية قال-رحمه الله- "...وقد وهم بعض أصحابنا، فقال: إن الصلاة على الجنابة فرضٌ على الكفاية، بدليل قوله {ولا تصل على أحدٍ منهم مات أبداً} { فنهى الله عن الصلاة على الكفار، فدل ذلك على وجوبها على المؤمنين، وهذه غفلة عظيمة " ثم ذكر الخلاف في المسألة المذكورة، ثم قال: " وليست الصلاة على المؤمنين ضدّاً مخصوصاً للصلاة على الكافرين، بل كلُّ طاعة ضدها، فلا يلزم من ذلك تخصيص الصلاة على المؤمنين دون سائر الأضداد"^(٢) أقوال أهل العلم في المسألة:

اختلف أهل العلماء في المسألة على ثلاثة أقوال:

الأول: أن النهي عن الشيء أمرٌ بضده كما أن الأمر بالشيء نهيٌ عن ضده، ورأى هؤلاء عين الأمر نهيّاً كعكسه، وهذا قول جمهور المتكلمين^(٣).

(١) إكمال للعلم ، الجنائز ، باب تحسين كفن الميت ٣/٣٩٨.

(٢) أحكام القرآن ٢/٥٥٩.

(٣) المذكر: ٢٦٦ نهاية الوصول ١/٤١٧، البرهان ١/١٧٩، الإحكام ٢/١٩٠.

قالوا: اسكن مثلاً، السكون المأمور به فيه، هو عين ترك الحركة، فهو إذا عين النهي عن الحركة أيضاً.

والذين قالوا بهذا القول اشترطوا في الأمر كون المأمور به معيناً وكون وقته مضيقاً ، أما إذا كان غير معين كالأمر بواحد من خصال الكفارة فلا يكون نهيًا عن ضده فلا يكون في آية الكفارة نهي عن ضد الاعتاق ، مثلاً، لجواز ترك الاعتاق من أصله والتلبس بضده كالتكفير بالإطعام مثلاً.

وكذلك الوقت الموسع فلا يكون الأمر بالصلاة في أول الوقت نهيًا عن التلبس بضدها في ذلك الوقت ، بل يجوز التلبس بضدها في أول الوقت وتأخيرها إلى وسطه أو آخره بحكم توسيع الوقت.

الثاني: أن النهي عن الشيء أمر بضده، كما أن الأمر بالشيء نهي عن ضده، من جهة التضمن واللزوم، لا أن أحدهما هو عين الآخر^(١) ؛ لأن قولك اسكن مثلاً يستلزم نهيك عن الحركة لأن المأمور به لا يمكن وجوده مع التلبس بضده لاستحالة اجتماع الضدين ، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب ، وعلى هذا القول أكثر أصحاب مالك، واختاره الباجي، وإليه رجع الباقلاني في آخر مصنفاته وكان يقول بالأول .

الثالث: أن النهي عن الشيء ليس أمراً بضده، كما أن الأمر ليس نهيًا عن ضده، لا عيناً ولا تضمناً وإليه ذهب الأبياري، وإمام الحرمين، والغزالي، وابن الحاجب، وابن العربي^(٢). واستدل من قال بهذا بأن الأمر يجوز أن يكون وقت الأمر ذاهلاً عن ضده وإذا كان ذاهلاً عنه فليس نهيًا عنه إذ لا يتصور النهي عن الشيء مع خطوره بالبال أصلاً. ويجاب عن هذا بأن الكف عن الضد لازم لأمره لزوماً لا يتفك، إذ لا يصح امتثال الأمر بحال إلا مع الكف عن ضده فالأمر مستلزم ضرورة للنهي عن ضده لاستحالة اجتماع الضدين.

(١) إحكام الفصول ١٢٤، أصول السر عسي ٩٤/١، مجموع فتاوى ابن تيمية ١٥٩/٢٠، المختصر لابن اللحام ١٠١.

(٢) المحصول لابن العربي ٦٣، البرهان ١٧٩/١، المستصفى ١٥٤/١، الإحكام ١٩٠/٢.

* * *

الإجمال و البيان: وفيه مطلبان.

-المطلب الأول: هل ورود الأوامر بهذه الألفاظ الشرعية تكون مجملة فتحتاج إلى بيان أم لا؟

-المطلب الثاني: تأخير البيان إلى وقت الحاجة.

المطلب الأول: هل ورود الأوامر بهذه الألفاظ الشرعية

تكون مجملة فتحتاج إلى بيان أم لا؟

قال القاضي عياض عن لفظ الصلاة والزكاة والحج وغيرها واستعمال الشرع لها هل هو على أصل وضعها أم غير فيها: ((ثم تشعبت مذاهب المتكلمين والنظار والفقهاء في هذه الأسماء المستعملة في الشرعيات كالصلاة والزكاة والصيام والحج وشبهها ، هل هي منقولة عن موضوعها في اللغة رأساً؟ وهذا بعيد ومؤد إلى أن العرب خوطبت وأمرت بغير لغتها، أو هي مبقاة على مقتضاها في أصل اللغة فالصلاة الدعاء والصيام الإمساك، والحج القصد، وهكذا في سائرهما وهو المراد بها والمفهوم منها ، وغير ذلك مما أضيف إليها من أقوال وأفعال غير داخل تحت الاسم وهو مذهب القاضي أبو بكر

أوهي واقعة على أصول مسمياتها، ثم أطلق على ما انضاف إليها بحكم الاشتمال أو الاستعارة لمشاكلة معناها، وهو مذهب الأشياخ والمحققين من متكلمي أهل السنة وغيرهم من الفقهاء

وقد أطال المصنفون في الأصول الكلام في هذا الباب ومدوا أطنا به، ومخالفة الجماهير من الموافقين والمخالفين جرأة تامة وجسارة، وقول المرء لقول قيل يعتقد الصواب في خلافه غير بين وخسارة ، فالحق أحق أن يتبع لا سيما بخلاف ليس في قاعدة دين ومقالة تلوح بالحق اليقين ، ولا نخرج عن مراد مشايخنا المحققين

وذلك أنه متى أعطيت هذه الألفاظ من البحث حقها وجِدَتْ عند المخاطبين بما لأول ورودها من أهل الشريعة معروفة المعنى على ما جاءت به من أفعال مخصوصة وعبارات مقررّة إلا ما غير الشرع فيها من بدع الجاهلية أو نسخ من شرائع من تقدم من الكتابية ،

لكن لا يبعد أن أصل استعمال العرب لها في جاهليتهم قبل ورود الشريعة كان على ما أشار إليه الأسيّاح ، إما من إيقاعها على المعنى الحقيقي في اللغة دون اعتبار المزيد فيها ، على مذهب القاضي أبي بكر ، أو على الجميع بحكم تشابه المعنى والاستعارة على ما ذهب إليه غيره

ثم استمر استعمالهم لهذه الألفاظ عرفاً على جميع العبادة فصارت كاللغة الصحيحة والتسمية الموضوعية، فجاءهم الشرع واستعمالهم لها مفهوم عند جميعهم ، فقد حققنا قطعاً بمطالعة السّير ومدارسة الأثر واستقراء كلام العرب وأشعارها:

أن الصلاة كانت عندهم معلومة على هيئتها عندنا من أفعال وأقوال ودعاء وخضوع وسجود وركوع ، وقد تنصر كثير منهم وثمود وحمّس ، وتقربوا بالصلوات والعبادات، وجاوروا أهل الديانات ، وداخلوا أهل الملل ووفد أشرافهم على ملوكهم ، وألفت قريش رحلة الشتاء والصيف إلى بلادهم ، وثاقبو ربّانيّهم وأخبارهم ، وشاهدوا من رهبانيتهم وشرائعهم ، وثابر كثير منهم على بقايا عندهم من دين إبراهيم ، وعرفوا السجود والركوع والصوم والحج والعمرة والاعتكاف ، وحجوا كل عام واعتمروا واعتكفوا وحضوا على الصدقة ، وصاموا عاشوراء ، وفي الحديث : ((كان عاشوراء يوماً تصومه الجاهلية)) . وقال عمر : ((نذرت في الجاهلية أنا اعتكف يوماً في المسجد الحرام)) ، وفي إسلام أبي ذر وأنه صلى قبل المبعث بثلاث سنين مع صواحيبه ، وأنه كان يتوجه عشاء حيث يوجهه الله.

ومن طالع أخبارهم ودرس أشعارهم علم ذلك منهم ضرورة ، فجاء الشرع بالأمر بهذه العبادات وهي عندهم معلومة مفهوم المراد منها ، من أن الصوم: إمساك مخصوص على أفعال مخصوصة بالنهار دون الليل ، والاعتكاف : لزوم للتعبد والتركيز بمكان مخصوص ، والحج: قصد مخصوص لبيت الله الحرام يشتمل على وقوف بعرفة وطواف بالبيت ودعاء وذكر وتبرير ، وأن الصدقة: بذل المال للمحتاج ، ثم سميت زكاة لما فيها من زكاة المال ونمائه ، أو زكاة صاحبه وتطهيره كما قال تعالى: {تُخَذُ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةٌ تُطَهِّرُهُمْ

وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا} (التوبة: من الآية ١٠٣) فإن لم تجد تسمية الزكاة الشرعية قبل معرفة فالصدقة معروفة ، وقد قال الأعشى في مدحه صلى الله عليه وسلم :

له صدقات ما تُعْبُّ ونائِلُ

ومع هذا التقرير فلا مجال للخلاف مع الإنصاف، وقد طالعت بهذا الرأي أهل التحقيق من شيوخي فما رأيت مُنْصِفاً رَدّه.

ثم اختلف الأصوليون والفقهاء من أصحابنا وغيرهم في ورود هذه الأوامر بهذه الألفاظ الشرعية كقوله {وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ} (البقرة: ٤٣) و {كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ} (البقرة: ١٨٣) { وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ } (آل عمران: ٩٧) {وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا} (البقرة: ٢٧٥) فقيل: هي جملة تحتاج إلى بيان ، وقيل هي عامة تحمل على العموم إلا ما خص منها الدليل ، وقيل تحمل على أصل ما يتناوله اللفظ ، واستقصاء هذا في علم الأصول^(١).

= قال الإمام: قوله ((لا صلاة)) اختلف أهل الأصول في مثل هذا اللفظ إذا ورد في الشرع على ماذا يحمل ؟ فقال بعضهم: يلحق بالمحملات ، لأن نصه يقتضي نفى الذات ومعلوم ثبوتها حساً ، فقد صار المراد مجھولاً ، وهذا الذي قالوه خطأ، لأن المعلوم من عادة العرب أنها لا تضع هذا لنفى الذات وإنما تورده مبالغة ، فتذكر الذات ليحصل لها ما أرادت من المبالغة ، وقال آخرون: بل يحمل على نفى الذات وسائر أحكامها وتخص الذات بالدليل ، على أن الرسول صلى الله عليه وسلم لا يكذب ، وقال آخرون: لم تقصد العرب قط على نفى الذات ، ولكن لنفى أحكامها ، ومن أحكامها الكمال والإجزاء : في هذا الحديث ، فيحمل اللفظ على العموم فيها ، وأنكر هذا [بعض المحققين] لأن العموم لا يصح دعواه فيما يتنافى ، ولا شك أن نفى الكمال يشعر بحصول الإجزاء ، فإذا قدر الإجزاء متنفياً بحق العموم قدر ثابتاً بحق إشعار نفى الكمال بثبوته ، وهذا يتناقض، وما يتناقض لا يحمل الكلام عليه ، وصار المحققون إلى التوقف بين نفى الإجزاء

ونفى الكمال، وادعوا الاحتمال من هذه الجهة لا بما قال الأولون، فعلى هذه المذاهب يخرج قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لا صلاة ...) الحديث^(١).

= وقال في صوم يوم عاشوراء ((وفيه أولاً ما نهينا عليه في أول كتاب الصلاة، من أن ألفاظ العبادات واردة في الشرع على ما عهده أهل اللغة. خلافاً لجماهير المتكلمين من الموافقين والمخالفين، إذ كانوا يصومون ويعرفون الصوم، ويحجون ويعرفون الحج، فخاطبهم الشرع بما علموه تحقيقاً، لا أنه أتاهم باللفاظ مؤتلفة ابتدعها لهم كما قاله المخالف، أو باللفاظ لغوية لا يعلم منها المقصود إلا رمزاً كما أشار إليه المؤلف، وهناك بسطها وكشف الغطاء عن الحق فيها^(٢)).

* هذه المسألة من المسائل التي لم يُن في فيها القاضي عياض عن رأيه فيها.

مذاهب العلماء:

* والجمهور على أن هذه الآية وأمثالها تفيد العموم^(٣). قال النووي: وهذا القول أصحها عند الشافعي، وأصحابنا. قال في الأم: هذا أظهر معاني الآية^(٤).

- وخالف في ذلك الحنفية^(٥)، وبعض الشافعية، والخلولائي، والقاضي أبو يعلى في قول له من الخابلة^(٦).

أدلة الجمهور:

- قال صاحب الحاوي: والدليل لهذا القول أن النبي صلى الله عليه وسلم نهي عن بيعو كانوا يعتادونها ولم يبين الجائز فدل على أن الآية الكريمة تناولت إباحة جميع البيوع إلا ما خص منها وبين صلى الله عليه وسلم المخصوص^(٧).

(١) إكمال للمعلم، الصلاة، باب وجوب قراءة الفاتحة في كل ركعة ٢٧١/٢... ٢٧٢.

(٢) إكمال للمعلم، الصيام، باب صوم يوم عاشوراء ٧٨/٤.

(٣) اللمع في أصول الفقه ص ٥٠-٥١، التبصرة ص ٢٠٠، الإحكام ١١/٣، العدة ١١٠، ١٤٨/١، روضة الناظر

ص ١٨١، المختصر في أصول الفقه ص ١٢٨، شرح الكوكب المنير ٤٢٦/٣.

(٤) فعلى هذا في العموم قولان أحدهما: أنه عموم دخله التخصيص. والثاني: أنه عموم أريد به التخصيص.

انظر: المجموع ١٣٧/٩، الإمام ١٣٢/٢، إرشاد الفحول ٢٤٢.

(٥) كشف الأسرار ٥٤/١، أصول السرغسي ١٦٨/١، التلويح ١٢٧/١.

(٦) مصادر الجمهور السابقة.

- قال الشيرازي في قوله تعالى {وأحل الله البيع وحرم الربا}:

لنا: أن البيع معقول في اللغة، وما كان معقول المراد من لفظه في اللغة لم يكن مجملا كقوله تعالى: {فاقتلوا المشركين} ^(١).

سبب الخلاف: قال البرماوي: ومنشأ الخلاف أن ((ال)) التي في البيع، هل هي للشمول أو عهدية أو للجنس من غير استغراق أو محتملة ^(٢).

المطلب الثاني: تأخير البيان عن وقت الحاجة.

تحرير محل النزاع:

- تأخير البيان على وجهين:

الأول: أن يتأخر عن وقت الحاجة، حكى غير واحد الإجماع على امتناع وقوعه ^(٣).

قال ابن السمعاني: لا خلاف في امتناع تأخير البيان عن وقت الحاجة إلى الفعل، ولا خلاف في جوازه إلى وقت الفعل؛ لأن المكلف قد يؤخر النظر وقد يخطئ إذا نظر فهذا نك القدران لا خلاف فيهما.

الوجه الثاني: تأخيره عن وقت ورود الخطاب إلى وقت الحاجة إلى الفعل، وهو محل النزاع.

(١) المجموع ١٣٧/٩.

(٢) التبصرة ص ٢٠٠.

(٣) شرح الكوكب المنير ٤٢٧/٣.

(٤) المحصول لابن العربي ص ٤٩، الموافقات ٢٤٨/٣، نثر الورود ٣٣٨/١، الإحكام ٣٦/٣، البرهان ١٢٨/١، الإلهام ٢١٥/٢، تشنيف للمسابع ٨٥٢/٢، شرح الكوكب المنير ٤٥٢/٣، إرشاد الفحول ٢٩٤/١.

رأي القاضي عياض.

- قال عند قوله صلى الله عليه وسلم: ((لو حدث في الصلاة شيء أنبأتكم به)).

قال: ((وفيه حجة أن تأخير البيان لا يجوز عن وقت الحاجة))^(١).

وقد نقل عن الباقي: ((ولا خلاف أنه لا يجوز تأخير البيان عن وقت الحاجة للفعل))^(٢).

(١) إكمال المعلم، كتاب المساجد، باب السهو في الصلاة والسجود له، ٥١٠/٢.

وانظر: إكمال المعلم ٤١٧/١-٤١٨، ٥٧٦-٥٧٥/٢.

(٢) إكمال المعلم ٥٧٦/٢.

القول الأول: الجواز مطلقاً^(٢).

(١) هناك أقوال أخرى في المسألة

للمذهب الثالث: يجوز تأخير بيان الحمل دون غيره.

نسبه الجصاص للحنفية، وبه قال الصوري وأبو حامد المروزي.

قال الشوكاني: ولم يتوأمها يدل على عدم جواز التأخير فيما عدا ذلك إلا ما لا يعتد به ولا يلتفت إليه.

للمذهب الرابع: يجوز تأخير بيان العموم لأنه قبل البيان مفهوم، ولا يجوز تأخير بيان الحمل لأنه قبل البيان غير مفهوم.

حكاه الماوردي والرويانى وجها لأصحاب الشافعي، ونقله ابن برهان في الوجيز عن عبد الجبار.

للمذهب الخامس: يجوز تأخير بيان الأوامر والنواهي، ولا يجوز تأخير بيان الأعيان كالوعد والوعيد.

حكاه الماوردي عن الكرخي وبعض المعتزلة.

للمذهب السادس: عكسه.

حكاه الشيخ أبو إسحاق منعباً ولم ينسبه إلى أحد.

للمذهب السابع: يجوز تأخير بيان النسخ دون غيره.

ذكر هذا المذهب أبو الحسين في المعتمد وأبو علي وأبو هاشم وعبد الجبار.

للمذهب الثامن: التفصيل بين ما ليس له ظاهر كالشترك فلا يجوز دون ما له ظاهر كالعام والمطلق والنسخ ونحو ذلك فيجوز.

وبه قال أبو الحسين البصري، والدقاق، والقفال، وأبو إسحاق.

للمذهب التاسع: بيان الحمل إن لم يكن تبديلاً ولا تغييراً جاز مقارنة وطائراً وإن كان تغييراً جاز مقارنة ولا يجوز طائراً بالحال.

نقله السمعاني عن أبي زيد من الحنفية.

قال الشوكاني: هذه الأقوال لا وجه لها.

انظر: نثر الورود ١/٣٣٩-٣٤٠، الفصول للجصاص ٢/٤٥-٤٦، اللمع ص ٥٢-٥٣، التبصرة ص ٢٠٧، الأحكام ٣/٣٦، الإمّااج ٢/٢١٦-٢١٧، التمهيد للإسنوي ص ٤٢٩، تشنيف المسامع ٢/٨٥٤-٨٥٦، إرشاد الفحول ١/٢٩٤-٢٩٦.

(٢) اللمع ص ٥٢، التبصرة ص ٢٠٧، الأحكام ٣/٣٦، المحصول ٣/٢٨٠، الإمّااج ٢/٢١٥، التمهيد للإسنوي ص ٤٢٩، تشنيف المسامع ٢/٨٥٤، المختصر في أصول الفقه ص ١٢٩، شرح الكوكب المنير ٣/٤٥٣، الأحكام لابن حزم ١/٨١، إرشاد الفحول ١/٢٩٤.

حكاه القاضي عن مالك، ونسبه الباجي لأكثر المالكية، وعليه جماعة من أصحاب أبي حنيفة، ونسب للشافعي، وعليه عامة الفقهاء والمتكلمين من الشافعية، وهو رواية عن أحمد، وبه قال أكثر الحنابلة، وبه قال الأشعري والقاضي الباقلاني، وابن حزم^(١)، واختاره الرازي وابن الحاجب^(٢).

المذهب الثاني: المنع مطلقاً^(٣).

وبه قال الأهمري، وكثير من الحنفية، وأبو إسحاق المروزي، وأبو حامد المروزي، وأبو بكر الدقاق. ورواية عن أحمد، وداود الظاهري، وبعض المعتزلة^(٤).

أدلة الجمهور^(٥):

أ. النقلية:

- قال تعالى: {إِنْ عَلَيْنَا جَمْعُهُ وَقُرْآنُهُ فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيِّنَاتٍ} (القيامة: ١٧-١٩)، {الر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ} (هود: من الآية ١).

و"ثم" للتعقيب مع التراخي.

- وقوله في قصة نوح: {وَأَهْلَكَ} (هود: من الآية ٤٠)، وحكمه تناول ابنه.

- وبقوله: {إِنْ كُنْمْ وَمَا تُعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبٌ جَهَنَّمَ} (الانبياء: من الآية ٩٨).

(١) قال ابن حزم: وأنا أقطع ولا أمترى أن ملقي هذه النكته إلى ضعفاء المسلمين مغمور في دينه ضعيف في عقله كالدلالة للشرعة ولا شك في ذلك ثم تهافت بالتقليد مع من تهافت وبالله تعالى التوفيق (١).

الإحكام في أصول الأحكام ٨٢/١.

(٢) قال ابن تيمية: وتأخير البيان لمصلحة هو البيان الواجب أو المستحب. المختصر في أصول الفقه ص ١٢٩.

(٣) نشر البنود ٢٨١/١، التبصرة ص ٢٠٧، الإحكام ٣٦/٣، الإجماع ٢١٥/٢، تشنيف المسامع ٨٥٤/٢، شرح الكوكب المنير ٤٥٣/٣.

(٤) قال القاضي عبد الوهاب: قالت المعتزلة والحنفية لا بد أن يكون الخطاب متصلاً بالبيان أو في حكم المتصل احترازاً من انقطاعه بعملس ونحوه من عطف الكلام بعضه على بعض. إرشاد الفحول ٢٩٤.

(٥) المحصول لابن العربي ص ٤٩، اللع ص ٥٤، التبصرة ص ٢٠٨-٢١١، البرهان ١٢٩/١، المنحول ص ٦٨، المحصول ٢٨٢/٣-٣٠٦، الأحكام ٣٧/٣-٥٠، الإجماع ٢١٨/٢-٢٢٢، شرح الكوكب المنير ٤٥٤/٣، الإحكام لابن حزم ٨٤/١-٨٥، إرشاد الفحول ٢٩٤/١-٢٩٥.

ثم لما سأل ابن الزبيري^(٣) عن عيسى والملائكة نزل قوله: {إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ} (الانباء: ١٠١) .

- وبقوله: {وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ} (البقرة: من الآية ٤٣)، ثم وقع بيانها بعد ذلك بصلاة جبريل وبصلاة النبي صلى الله عليه وسلم.

- ومثله قوله: {وَأَتُوا الزَّكَاةَ} (البقرة: من الآية ٤٣)، وبقوله: {وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا} (المائدة: من الآية ٣٨)، وبقوله: {وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا} (آل عمران: من الآية ٩٧).

ثم وقع البيان لهذه الأمور بعد ذلك بالسنة، ونحو هذا كثير جدا.

- العمومات الواردة في البيع والنكاح والإرث وردت مطلقة والنبي صلى الله عليه وسلم بين بعد ذلك على التدريج، ما يصح بيعه وما لا يصح، ومن يحل نكاحها ومن لا يحل، وصفات العقود وشروطها، ومن يرث ومن لا يرث، ومقادير الموارث شيئا فشيئا^(٤).

- قال شيخ الإسلام: قد يحصل التأخير للحاجة أيضا، إما من جهة المبلغ، أو المبلغ.

(١) ابن الزبيري: هو عبد الله بن الزبيري - بكسر الزاي والياء للموحدة وسكون المهمله بعدها راء مفتوحة بعدها ألف مقصورة - بن قيس بن عدي القرشي السهمي الشاعر، وأمه عاتكة بنت عبد الله بن عمرو بن وهب، كان من أشعر قريش وكان شديدا على المسلمين، ثم أسلم بعد الفتح رضي الله عنه ومدح النبي صلى الله عليه وسلم، وهذا المذكور عنه مشهور في كتب التفسير والسيرة، وروى الحاكم في المستدرک عن الحسن بن واقد عن يزيد النحوي عن عكرمة عن ابن عباس. قال السبكي: وهذا مسند صحيح لكن ليس فيه ذكر ابن الزبيري بخصوصه. الإجماع ٢/٢٢٢، الاستيعاب ٣/٣٦ أسد الغابة ٣/١٣٥، الإصابة ٤/٧٦.

(٣) زاد ابن حزم رحمه الله دليلا لم يذكره غيره وهو من القوة بمكان فقال: يختلف في الوضوح - أي البيان - فيكون بعضه جليا، وبعضه غفيا، فيختلف الناس في فهمه، فيفهمه بعضهم، ويتأخر بعضهم عن فهمه، كما قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: إلا أن يؤتي الله رجلا فهمها في دينه.

.... وكما عرض لعدي في توهمه أن الخطب الأبيض والأسود من يحيط بالناس حتى زاده الله تعالى بيانها في أن ذلك من الفجر، وقد اكتفى غير عدي بالآية نفسها وعلم أن المراد الفجر.

وكما توهم ابن أم مكتوم أنه ملوم في تأخره عن الغزو، فزاده الله بيانها باستثناء أولي الضرر، وقد اكتفى غير ابن أم مكتوم بمسائر النصوص الواردة في رفع الحرج، وأن لا حرج على مريض ولا أعمى، وأن الله تعالى لا يكلف نفسا إلا وسعها. الإحكام في أصول الأحكام ١/٨٥.

أما المبلّغ: فإنه لا يمكنه أن يخاطب الناس جميعا ابتداء، ولا يخاطبهم بجميع الواجبات جملة، بل يبلغ بحسب الطاقة والإمكان.

وأما المبلّغ: فلا يمكنه سماع الخطاب وفهمه جميعا، بل على سبيل التدرّج. وقد يقوم السبب الموجب لأمرين من اعتقادين أو عمليين أو غير ذلك، لكن يضيق الوقت عن بيانهما، أو القيام بهما، فيؤخر أحدهما للحاجة أيضا، ولا يمنع ذلك أن الحاجة داعية إلى بيان الآخر... وأيضا فإنما يجب البيان على الوجه الذي يحصل المقصود فإذا كان في الإهمال والاستثناء من مصلحة البيان ما ليس في المبادرة كان ذلك هو البيان المأمور به، وكان هو الواجب أو هو المستحب، مثل تأخير البيان للأعرابي المسيء في صلاته إلى ثالث مرة.

وأیضا فإنما يجب التعجيل إذا خيف الفوت بأن يترك الواجب المؤقت حتى يخرج وقته ونحو ذلك^(١).

ب. الأدلة العقلية:

- لا استحالة في أن يقول السيد لعبده خط لي هذا الثوب غدا، فإذا كان من الغد يبين له الكيفية.^٢

- النسخ عند المخالف بيان مدة التكليف، ولم يكن هذا البيان مقترنا بمورد الخطاب الأول^(٣).

- تأخيره لا يخل بالامتنال، فجاز كتأخير بيان النسخ^(٤).

(١) المسودة ص ١٦٣. وانظر: شرح الكوكب المنير ٤٥٢/٣ - ٤٥٣.

(٢) المحصول لابن العربي ٤٩.

(٣) قال ابن العربي: وتعمد للمعتزلة فإلهم قالوا إن النسخ بيان لانقضاء مدة العبادة فكيف أنكروا ما جوزوا.

قال الجويني: وليس لهم عن هذا جواب.

انظر: المحصول لابن العربي ص ٤٩، البرهان ١/١٢٩.

(٤) أدلة المانعين:

قالوا: لو جاز ذلك فيما أن يكون إلى مدة معينة، أو إلى الأبد، وكلاهما باطل.

أما إلى مدة معينة فلكونه تحكما، ولكونه لم يقل به أحد.

وأما إلى الأبد فلكونه يلزم المهنور وهو الخطاب والتكليف به مع عدم الفهم. وأجيب: باختيار جوازه إلى مدة معينة عند الله، وهو الوقت الذي يعلم أنه يكلف به فيه، فلا تحكم. قال الشوكاني: ((هذا أفض ما استدلوا به على

الترجيح:

قال الشوكاني: وقد عرفت قيام الأدلة المتكثرة على الجواز مطلقا فلاقتصاد على بعض ما دلت عليه دون بعض بلا مخصص باطل... وأنت إذا تتبععت موارد هذه الشريعة المطهرة وجدتها قاضية بجواز تأخير البيان عن وقت الخطاب قضاء ظاهرا واضحا، لا ينكره من له أدنى خبرة بها، وممارسة لها، وليس على هذه المذاهب المخالفة لما قاله المحوزون إثارة من علم^(١).

ضعفه، وقد استدلوا بما هو دونه في الضعف، فلا حاجة لنا إلى تطويل البحث بما لا طائل نحته)). قال القاضي عبد الوهاب: ووافقهم بعض المالكية والشافعية واستدل هؤلاء بما لا يسمن ولا يفني من جوع.

انظر: إرشاد الفحول ١/٢٩٥.

(١) إرشاد الفحول ١/٢٦٢.

المبحث الخامس: العام والخاص.

- المطلب الأول: حجية العموم

- المطلب الثاني: هل لفظة "من" من صيغ العموم

- المطلب الثالث: هل قضايا الأعيان تتعدى

- المطلب الرابع: العموم إذا خرج على سبب قصر عليه

- المطلب الخامس: العموم المراد به الخصوص

- المطلب السادس: هل العمل بالعام يحتاج إلى البحث عن المخصص أم لا ؟

- المطلب السابع: حكم دخول العبد في خطاب الأحرار

- المطلب الثامن: هل الخطاب الوارد في حق النبي صلى الله عليه وسلم يعم أمته

- المطلب التاسع: حكم تخصيص القرآن بالسنة

- المطلب العاشر: حكم تخصيص عموم القرآن بخبر الآحاد

- المطلب الحادي عشر: حكم تخصيص العموم بالعادة

المطلب الأول: حجية العموم

مقدمة:

يبحث معظم الأصوليين هذه المسألة تحت اسم: ((مسألة هل للعموم صيغة)). فمن قال منهم أن له صيغة حملها على العموم، ومن نفاها، قال بالوقف، أو يحمله على أقل ما يصدق عليه اللفظ، كما سيأتي بيانه مفصلاً.

تعريف العام.

أ. لغة: عَمَّ الشيء يعمُّ بالضم عُمُوماً. أي: شمل الجماعة.

ومنه قولهم: عمهم الخير، إذا شملهم وأحاط بهم

قال الشوكاني: شمول أمر لمتعدد سواء كان الأمر لفظاً أو غيره^(١).

ب. اصطلاحاً: اللفظ المستغرق لجميع ما يصلح له بوضع واحد دفعة بلا حصر^(٢).

قال في المراقي:

ما استغرق الصالح دفعة بلا حصر من اللفظ كعشر مثلاً^(٣).

رأي القاضي عياض رحمه الله.

- قال رحمه الله عند قوله تعالى { حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ } {آل عمران: من الآية ٩٢):

((وفيه استعمالهم العموم - أي الصحابة-، وفهم ذلك من الشرع))^(٤).

وقال في الحيض ((هذا شيء كتبه الله على بنات آدم)): ((وظاهره العموم، وهو يرد

قول من قال: أول ما أرسل الحيض على بني إسرائيل))^(٥).

(١) مختار الصحاح مادة (عمم)، لسان العرب (عمم)، إرشاد الفحول ١٩٧.

(٢) انظر تعريف العام في: المحصول ٥١٣/٢، الإحكام ٢١٧/٢، الإجماع ٨٢/٢، مختصر أصول الفقه ١٠٦، شرح الكوكب المنير ١٠١/٣، إرشاد الفحول ١٩٧.

(٣) نثر الورود ٢٤٣/١.

(٤) إكمال المعلم، كتاب الزكاة، باب فضل النفقة على الآخرين، ٥١٨/٣.

وانظر: إكمال المعلم ٤٩٣/٣، ١٥٨/٤.

(٥) إكمال المعلم، كتاب الحج، باب بيان وجوه الإحرام، ٢٤٢/٤. وانظر: ٣١٥/٤، ٢٧٤، ٢٣٤/١.

وقد حمل كثيرا من الأحاديث على عمومها، وصرح بذلك^(١).

* وهذا كله يدل على أنه يرى حمل لفظ العموم إذا ورد على عمومه.
إلا أنه ورد عنه ما يخالف هذا ظاهرا.

حيث قال رحمه الله: ((وقول الصحابة لما نزلت {الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ} (الأنعام: من الآية ٨٢): "وأينا لم يظلم نفسه".

قال الإمام: هذا يدل بظاهره عند بعض أهل الأصول على أنهم كانوا يقولون بالعموم، لأن الظلم عندهم يعم الكفر وغيره، فلهذا أشفقوا.

قال القاضي: ... وليس يظهر لي في هذا الحديث حجة العموم...

بل أقول: إن طريقهم رضي الله عنهم فيه الطريقة المثلى، والنظر الأولى، من حملهم لفظ الظلم على أظهر معانيه، وأكثر استعمالاته في محتملاته، فإنه وإن كان ينطلق على الكفر وغيره لغة وشرعا، فعرف استعماله غالبا، والأظهر من مفهومه إطلاقه في الفسق والتعدي والعدول عن الحق في غير الكفر، كما أن لفظ الكفر ينطلق على معاني من جحد النعم والحقوق وسترها، لكن مجرد إطلاقه وغالب شيعه على ضد الإيمان.

فعلى هذا وقع فهم الصحابة رضي الله عنهم المراد بالظلم، وتأويلهم الآية وإشفاقهم من ذلك، إذ قد ورد دون قرينة ولا بيان يصرفه عن أظهر وجوهه إلى بعض محتملاته، حتى بين لهم النبي صلى الله عليه وسلم مراد ربه بما ذكر في الحديث^(٢).

ولكن قوله: ((وليس يظهر لي في هذا الحديث)) يرشدنا أن مقصوده خصوص هذه الحادثة، لا كل نص عام.

وهذا يتبين أن مذهب القاضي رحمه الله حمل ألفاظ العموم على عمومها إلا أن يرد المخصص.

(١) انظر: إكمال المعلم ٣٩١/١، ٦٣/٥، ٦٧/٥، ٩٩/٥، ٢٦٢/٥، ٣١٦/٥، ٣٢٦/٥، ٤٧٧/٥.

(٢) إكمال المعلم، كتاب الإيمان، باب صدق الإيمان وإصلاحه، ٤١٧/١-٤١٨.

● وهذا مذهب الأئمة الأربعة ، وجمهور العلماء، وجميع أهل الظاهر^(١)، أن للعموم

(١) الأحكام لابن حزم ٣/٣٥٩ .

صيغة^(١) موضوعة له حقيقة^(٢)، فإذا وردت هذه الألفاظ وجب حملها على العموم إلا ما خصه الدليل^(٣).

مذهب المخالف:

١- الوقف^(٤). وإليه ذهب أبو الحسن الأشعري^(٥)، والباقلاني، واختاره الآمدي^(٦).

قال السرخسي: ((قال بعض المتأخرين ممن لا سلف لهم في القرون الثلاثة حكمه الوقف فيه حتى يتبين المراد منه بمنزلة المشترك أو الحمل ويسمى هؤلاء الواقفية))^(٧).

٢- تحمل على أقل ما تقتضيه الألفاظ^(٨).

(١) وذلك كأسماء الشرط، والاستفهام، والموصولات، والجموع المعرفة تعريف الجنس، والمضافة، واسم الجنس، والتكرة المنفية، والمفرد المطلق باللام، ولفظ كل، وجميع، ونحوها. إرشاد الفحول ٢٠١.

(٢) الإشارة ١٨٦، إحكام الفصول ٢٣٣، شرح تنقيح الفصول ١٩٢، الفصول ٩٩/١، وحكاها عن جميع الحنفية، أصول السرخسي ١٣٢/١، التبصرة ١٠٥، الملح ٢٧، البرهان ٢٢١/١، الإحكام ٢٢٢/٢، الإجماع ١٠٨/٢، المسودة ٢٣٧/١، شرح الكوكب المنير ١٠٨/٣، إرشاد الفحول ٢٠١.

(٣) قال الباجي: هذا قول جمهور أصحابنا كالقاضي أبي محمد، والقاضي أبي الحسن، والشيخ أبي تمام وغيره، وهو مذهب عامة الفقهاء، وهو قول مالك رحمه الله. إحكام الفصول ٢٣٣.

(٤) الإشارة ١٨٧، إحكام الفصول ٢٣٣-٢٣٤، العقد المنظوم في الخصوص والعموم ٤٥٢/١، شرح تنقيح الفصول ١٩٢، الفصول ١٠٠/١، التبصرة ١٠٥، الملح ٢٧، الإحكام ٢٢٢/٢، الإجماع ١٠٨/٢، الإحكام لابن حزم ٣٥٩/٣، إرشاد الفحول ٢٠٢.

(٥) قال الجويني: وقد تحققت على طول بحثي عن كلام أبي الحسن أنه ليس من منكري الصيغ على ما اعتقده معظم النقلة، ولكنه قال في مفاضة مع أصحاب الوعيد بإنكار الصيغ، وآل مذهبه إلى إنكار التعلق بالظواهر فيما ينبغي القطع فيه، ولا نرى له المنع من العمل بقضايا الظواهر في مظان الظنون. البرهان ٢٩٩/١.

نعم باح القاضي بمحمد الصيغ في المواضع التي تقدم ذكرها في العقليات والعلميات وصرح بنفي المفهوم

(٦) وقد اختلفت الواقفية في عمل الوقف على تسعة أقوال، منها:

الأول: وهو المشهور من مذهبهم. القول به على الإطلاق من غير تفصيل.

الثاني: الوقف في الوعد والوعيد دون الأمر والنهي، حكاها أبو بكر الرازي عن الكرخي.

الثالث: القول بصيغ العموم في الوعد والوعيد، والتوقف فيما عدا ذلك، وهو قول جمهور المرجحة.

الرابع: الوقف في الوعيد.

انظر: الإجماع ١٠٨/٢-١٠٩، إرشاد الفحول ٢٠٣.

(٧) أصول السرخسي ١٣٢/١.

وبه قال محمد بن المنتاب^(٣) من المالكية، ومحمد بن شجاع الثلجي^(٤) من الحنفية، ونسبه ابن حزم لبعض الشافعية^(٥).
أدلة الجمهور^(٦):

أ. من القرآن:

قال الله تعالى - { إِنَّا مُهْلِكُوا أَهْلَ هَذِهِ الْقَرْيَةِ إِنَّا أَهْلُهَا كَانُوا ظَالِمِينَ } قَالَ إِن فِيهَا لُوطًا { (العنكبوت: من الآية ٣١-٣٢). وجه الدلالة: حمل إبراهيم لها على العموم، وإشفاقه من ذلك.

- لما نزل قوله: { إِنَّا لَنُكْفِيَنَّكُم مَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ } (الأنبياء: من الآية ٩٨). قال عبد الله بن الزبيري: ((والله لأخصمن محمدا)) فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال: قد عبد المسيح وعبدت الملائكة أفيدخلون النار. فأنزل قوله: { إِن الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَى أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ } (الأنبياء: ١٠١)^(٧). وجه الدلالة: أنه احتج بعموم الآية، وهو من أهل اللسان، ولم ينكر عليه النبي صلى الله عليه وسلم.

(١) الإشارة ١٨٧، الفصول ٩٩/١، التبصرة ١٠٦، ونسبه لأبي هاشم، الرهان ٢٢١/١، الإحكام ٢٢٢/٢، الإجماع ١٠٨/٢، الروضة مع نزهة الخاطر ١٤٣/٢، المسودة ٢٣٧-٢٣٨، وعزاه للسمناني، إرشاد الفحول ٢٠٢.

(٢) أبو الحسن عبيد الله بن المنتاب بن الفضل المالكي البغدادي، المعروف بالكرايسي. انظر: الديباج ١٤٥-١٤٦، شجرة النور ٧٧/١.

(٣) محمد بن شجاع، أبو عبد الله الثلجي، فقيه العراق في وقته مع ورع وعبادة، من مصنفاته: المضاربة، وكتاب النواذر، تصحيح الآثار، توفي سنة (٢٦٦هـ). قبل (٢٦٧هـ). الفهرست ٢٩١، الفوائد البهية ١٧١، تاج التراجم ٢٤٢.

(٤) الإحكام لابن حزم ٣٥٩/٣.

(٥) الإشارة ١٨٧، إحكام الفصول ٢٣٤-٢٣٩، العقد للنظوم في الخصوص والعموم ٤٥٣/١، وما بعدها، الأحكام ٢٢٣-٢٢٨، الإجماع ١١١/٢، الروضة مع نزهة الخاطر ١٤٦-١٥٠، شرح الكوكب النور ١١٠/٣، إرشاد الفحول ٢٠٢.

(٦) قال ابن حجر: اشتهر على ألسنة كثير من علماء المعجم، وفي كتبهم، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال في هذه القصة: أي قصة بن الزبيري- « ما أجهلك بلفظ قومك، فإني قلت وما يعبدون وهي لما لا يعقل ولم أقل » ومن يعبدون» وهو شيء لا أصل له، ولا يوجد مسندا ولا غير مسند، الوضع عليه ظاهر، والمعجب ممن نقله

- لم يزل العلماء يستدلون بمثل: {وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا} (المائدة: من الآية ٣٨)، و{الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ} (النور: من الآية ٢). وقد كان الصحابة يحتجون عند حدوث الحادثة عند الصبيغ المذكورة على العموم.
ب. من السنة:

- ومنه ما ثبت عنه صلى الله عليه وسلم لما سئل عن الحمر الأهلية فقال: ((لم ينزل علي في شأنها إلا هذه الآية الجامعة، {فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ} (الزلزلة: ٧-٨))^(١).

- وما ثبت أيضا احتجاج عمرو بن العاص^٢ لما أنكر عليه ترك الغسل من الجنابة والعدول إلى التيمم مع شدة البرد فقال سمعت الله يقول: {وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ} (النساء: من الآية ٢٩). فقرر ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم^(٣).
قال الشوكاني: ((وكم يعد العاد من مثل هذه المواد، وما أجيب به عن ذلك بأنه إنما فهم بالقرائن جواب ساقط لا يلتفت إليه ولا يعول عليه))^(٤).

ج. الإجماع:

- احتجاج عمر على أبي بكر رضي الله عنهما في قتال مانعي الزكاة بقوله كيف تقاتلهم وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: ((أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم)).

من المحدثين. انظر: تفسير ابن كثير ١٧٣/٣، والكاظمي الشافعي في تخریج أحداث الكشاف، والحاكم في المستدرک ٣٨٤/٣، ٣٨٥. والواحدي في أسباب النزول أفاده البيهقي. وروى الحاكم في المستدرک عن الحسن بن واقد عن يزيد النحوي عن عكرمة عن ابن عباس قال السبكي: وهذا مسند صحيح لكن ليس فيه ذكر ابن الزهري بخصوصه. الإجماع ٢٢٢/٢.

(١) البخاري (٢٢٤٢)، مسلم (٩٨٧)، من حديث أبي هريرة.

(٢) عمرو بن العاص بن وائل بن هاشم، أبو عبد الله وقيل: أبو محمد القرشي السهمي، داعية قریش، أحد أصحاب الفتوح وقادة الجيوش، توفي سنة (٤٣) على الصحيح، أحاديثه (٣٩). أسد الغابة ٧٤١/٣، الإصابة ٢/٥، سير أعلام النبلاء ٧٧/٣.

(٣) علقه البخاري (الفتح ٤٥٤/١)، وصله أبو داود (٣٣٤) عن عمرو بن العاص.

(٤) إرشاد الفحول ٢٠٢.

ولم ينكر عليه أحد من الصحابة احتجاجة بذلك بل عدل أبو بكر إلى التعليق بالاستثناء وهو قوله صلى الله عليه وسلم: ((إلا بحقها)).

فدل على أن لفظ الجمع المعروف للعموم.

- احتجاج أبي بكر على الأنصار بقوله صلى الله عليه وسلم: ((الأئمة من قريش)).

ووافقه الكل على صحة هذا الاحتجاج من غير نكير، ولو لم يكن لفظ "الأئمة" عاما لما صح الاحتجاج.

د. من اللغة:

- أهل اللغة إذا أرادوا الاستيعاب فزعموا إلى لفظ الكل والجميع وعلى ذلك ورد قوله تعالى: {فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ} (الحجر: ٣٠).

- (بعض) نقيض قولنا (كل)، فلذلك يعد أهل اللغة مناقضة قول القائل: أعط بعض القوم جميعهم.

هـ. من المعقول:

- قالوا لأن الحاجة ماسة إلى الألفاظ العامة، لتعذر جمع الآحاد على المتكلم فوجب أن يكون لها ألفاظ موضوعة حقيقة، لأن الغرض من وضع اللغة الإعلام والإفهام.

- واحتجوا أيضا بأن السيد إذا قال لعبده لا تضرب أحدا، فهم منه العموم حتى لو ضرب واحدا عدُّ مخالفا، والتبادر دليل الحقيقة.

- صحة دخول الاستثناء على هذه الألفاظ دليل على استغراقها للجنس.

الترجيح:

قال بن دقيق العيد مرجحا لمذهب الجمهور: ((وهو مقطوع به عندنا في لسان العرب، وتصرفات ألفاظ الكتاب والسنة. قال: والاستدلال بهذا فرد من أفراد لا تحصى لا للاقتصار عليه))^(١).

(١) فتح الباري ٣١٥/٢، وانظر: إحكام الأحكام ٥٤/١.

قال الشاطبي: ((فالحق في صيغ العموم إذا وردت أنها على عمومها في الأصل الاستعمالي بحيث يفهم محل عمومها العربي الفهم المطلق على مقاصد الشرع فثبت أن هذا البحث يبنى عليه فقه كثير وعلم جميل وبالله التوفيق))^(١).

قال الشوكاني: ((ولا يخفak أن قولهم موضوع للخصوص مجرد دعوى ليس عليها دليل، والحجة قائمة عليهم لغة وشرعا وعرفا، وكل من يفهم لغة العرب واستعمالات الشرع لا يخفى عليه هذا))^(٢).

(١) الموافقات ٢٩٢/٣.

(٢) إرشاد الفحول ٢٠٣.

المطلب الثاني: هل لفظة (من) من صيغ العموم

توطئة:

- مسألة عموم (من) مبنية على المسألة السابقة (هل للعموم صيغة).

فكل من نفى وجود صيغة للعموم، فهو لا يقول بعموم (من).

قال في المختصر في أصول الفقه: ((صيغ العموم عند القائلين بها هي أسماء الشروط والاستفهام كمن فيمن يعقل، وما فيما لا يعقل...))^(١).

- أقسام صيغ العموم:

الذي يفيد العموم إما أن يفيد من جهة اللغة، أو العرف، أو العقل^(٢).

رأي القاضي عياض

قال عند قوله صلى الله عليه وسلم: ((لم ينزل علي فيها شيء إلا هذه الآية الجامعة {فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ} (الزلزلة: ٧-٨)))^(٣).

قال: ((أي: العامة. وهذه حجة للقائلين بالعموم، وأن لفظة (من) من صيغ العموم))^(٤).

وقال رحمه الله: ((وقوله في حديث الأقرع بن حابس أنه ذكر له أنه لا يقبل ولده:)) (إنه من لا يرحم لا يرحم)^(٥).

كلام عام، ليس هو راجع لخصوص رحمة الولد، إنما هو على عموم الرحمة المشروعة، كما قال في الحديث الآخر ((من لا يرحم الناس لا يرحمه الله))^(٦) ((...))^(٧).

أقوال العلماء في المسألة:

(١) ١٠٧/١.

(٢) الإجماع ٩٢/٢، وقد ساق جميع صيغ العموم تحت تقسيم بديع.

(٣) البخاري (٢٢٤٢)، مسلم (٩٨٧)، من حديث أبي هريرة.

(٤) إكمال المعلم، كتاب الزكاة، باب إثم مانع الزكاة، ٤٩٣/٣.

(٥) رواه البخاري (٥٦٥١)، ومسلم (٢٣١٨)، من حديث جرير بن عبد الله.

(٦) رواه البخاري (٦٩٤١)، ومسلم (٢٣١٩)، من حديث جرير بن عبد الله.

(٧) إكمال المعلم، ٢٨٢/٧.

وقد عد جمهور الأصوليين من الشرطية في صبيغ العموم، دون أن يحكموا فيها خلافاً، إلا

الخلاف السابق، مع الواقعة ومن شايهم^(١). وحكى الاتفاق عليه العلائي في تلقيح الفهوم.
- قال المجد ابن تيمية: ((وهذا القسم لم يختلف فيه أحد أثبت العموم))^(٢).
- قال في المراقي:

صيه^(٣) كل أو الجميع وقد تلا الذي التي الفروع
أين وحيشا ومن أي وما شرطا ووصلا وسؤالا أفهما^(٤).

- وقد قسم الغزالي ألفاظ العموم إلى ثلاث فقال: ((اعلم أن العموم عند من يرى التمسك به، ينقسم إلى: قوي يعد عن قبول التخصيص إلا بدليل قاطع، أو كالقاطع، وهو الذي يحوج إلى تقدير قرينة حتى تنقذ إرادة الخصوص به، وإلى ضعيف ربما يشك في ظهوره... يقرب من هذا -أي في القوة- قوله عليه الصلاة والسلام من ملك ذا رحم محرم عتق عليه))^(٥).

- وقريب منه قول الجويني: ((فمن أعلاها وأرفعها الأسماء التي تقع أدوات في الشرط. وهي تنقسم إلى ظرف زمان، وإلى ظرف مكان.

واسم مبهم يختص بمن يعقل كقولك من أتاني أكرمته))^(٦). ثم قال: ((فلا شك أنه لاقتضاء العموم ودليلا عليه كدليلنا على تسمية العرب جارحة مخصوصة رأسا))^(٧).

* وعمومها في العاقل دون غيره. قال الآمدي: ((... وإما عامة فيمن يعقل دون غيره: كمن في الجزاء والاستفهام تقول من عندك؟ ومن جاعني أكرمته))^(٨).

(١) انظر: شرح تنقيح الفصول ١٩٩، المقد المنظوم للقرائي ٣٨٧/١، مفتاح الوصول ٤٨٧، للمعونة ٢٩، الأحكام ٢٢٠/٢، التمهيد ٢٠٣، المسودة ٢٣٧/١، مختصر أصول الفقه ١٠٧/١، شرح مختصر الروضة ٤٦٧/٢، شرح الكوكب المنير ١١٩/٣-١٢٠، المعتمد ٢٠٦/١، إرشاد الفحول ٢٠٤/١. تلقيح الفهوم ٢٦٠.

(٢) للمسودة ٢٥٧/١.

(٣) أي صيغ العموم.

(٤) نثر الورود ٢٥١/١-٢٥٢.

(٥) للمستصفي ٢٠٠.

(٦) البرهان في أصول الفقه ٢٢٢/١.

(٧) البرهان في أصول الفقه ٢٢٥/١، وانظر: للمسودة ٢٥٦/١.

(٨) الأحكام ٢٢٠/٢، وهذا غير قادح في عمومها، لأنه كما سبق في تعريف العام: أنه اللفظ المستغرق لما وضع له، وهي موضوعة للعاقل دون غيره.

دليل الجمهور:

قال القرافي: ((واستدلوا على ذلك بأمر، منها:

- صحة الاستثناء.

- والسبق إلى الفهم.

- والثناء على الممثل، وذم المخالف، إذا قال: من دخل داري فله درهم، فأعطى كل من دخل الدار، استحق المدح، وامتنع الاعتراض عليه، وإن حرم بعض الداخلين استحق العتب^(١).

- وقال الشوكاني: ((ويدل عليه أن قول القائل: من دخل داري فأكرمه.

لو كان مشتركا بين العموم والخصوص لما حسن من المخاطب أن يجري على موجب الأمر إلا عند الاستفهام عن جميع الأقسام، لكنه قد حسن ذلك بدون استفهام، فدل على عدم الاشتراك .

- وأيضا لو قال: من دخل داري فأكرمه.

حسن منه استثناء كل واحد من العقلاء من هذا الكلام، وحسن ذلك معلوم من عادة أهل اللغة ضرورة.

والاستثناء يخرج من الكلام ما لولاه لوجب دخوله فيه.

وذلك أنه لا نزاع أن المستثنى من الجنس يصح دخوله تحت المستثنى منه.

فلما أن لا يعتبر مع الصحة الوجوب، أو يعتبر.

والأول باطل.

وإلا لم يبق فرق بين الاستثناء من الجمع المنكر كقولك: جاءني فقهاء إلا زيدا. وبين

الاستثناء من الجمع المعروف كقولك: جاءني الفقهاء إلا زيدا.

والفرق بينهما معلوم بالضرورة من عادة العرب.

فعلما أن الاستثناء من الجمع المعرف يقتضي إخراج ما لولاه لوجب دخوله تحت اللفظ،
وهو المطلوب))^(١).

(١) إرشاد الفحول ١/٢٠٤-٢٠٥.

المطلب الثالث: هل قضايا الأعيان تتعدى

هي الفعل المحتمل وقوعه على وجوه مختلفة.^١

رأي القاضي عياض:

- قال رحمه الله في حديث أن النبي صلى الله عليه وسلم توضأ مما مست النار: ((وقيل: وضوؤه صلى الله عليه وسلم من ذلك قضية في عين لم يأت البيان أن الوضوء منها، فقد يكون لسبب آخر اقتضاه، أو اقتضى طهارة أو تجديدها))^(٢).

- وقال رحمه الله: ((وقوله ((في ثوبه))...وهو عندنا على الخصوص لذلك الشخص، لأنها قضية في عين، وإخبار عن شخص معين))^(٣).

وقال رحمه الله: عند قوله: ((إنما الرضاعة من الجماعة)): ((ولأن الخطاب في سالم قضية في عين، لم يأت في غيره...))^(٤).

* وهذا مما اتفق عليه الأصوليون والفقهاء^(٥)، مع أنهم لم يعقدوا لها باباً، لكنها كثيرة الورد في استدلالاتهم.

قال الشاطبي: ((فقد ذكر أهل الأصول أن قضايا الأعيان لا تكون بمجردها حجة ما لم يعضدها دليل آخر، لاحتمالها في أنفسها، وإمكان أن تكون مخالفة لما عليه العمل المستمر))^(٦).

أمثلة لاستدلالات العلماء بالقاعدة:

^١ - تلقيح الفهوم ٢٦٠.

(٢) إكمال المعلم، كتاب الحيض، باب الوضوء مما مست النار، ٢/٢٠٢.

(٣) إكمال المعلم، كتاب الحج، باب ما يفعل المحرم إذا مات، ٤/٢٢٢.

(٤) إكمال المعلم، كتاب الرضاع، باب رضاع الكبير، ٤/٦٤٢.

وانظر: إكمال المعلم ٣/٢٧٩، ٤/٢٢١، ٥/١٦٥، ٦/١٣٨.

(٥) انظر مثالا على ذلك: شرح النووي على مسلم ٨/١٣٢، ١٤٧. ١٠/١٧٧. ١١/٣٠، ١٨٢.

فتح الباري: ٤/٤٢٢، ٩/٧٨.

(٦) الموافقات ٣/٥٨.

- وأما تسمية هذا الرجل الذي سمعه ينشد شيطاناً فلعله كان كافراً أو كان الشعر هو الغالب عليه أو كان شعره هذا من المذموم.

وبالجملة: فتسميته شيطاناً إنما هو في قضية عين تنطرق إليها الاحتمالات المذكورة وغيرها، ولا عموم لها، فلا يحتاج بها والله اعلم^(١).

- قال ابن القيم: ((والطائفتان احتجوا بحديث أبي بكره والتحقيق أنه قضية عين يحتمل دخوله في الصف قبل رفع الإمام ويحتمل أنه لم يدخل فيه حتى رفع الإمام وحكاية الفعل لا عموم لها فلا يمكن أن يحتاج بها على الصورتين فهي إذا جملة متشابهة فلا يترك لها النص المحكم الصريح فهذا مقتضى الأصول نصاً وقياساً وبالله التوفيق^(٢))). هذا الكلام في رد السنة الصحيحة الصريحة المحكمة في وجوب الإعادة علي من صلي خلف الصف وحده.

- قال الشاطبي: ((وما روى أن أبا بكر رضي الله عنه أنفذ وصية رجل بعد موته برؤيا رؤيت فهي قضية عين لا تقدر في القواعد الكلية لاحتمالها فلعل الورثة رضوا بذلك فلا يلزم منها خرم أصل^(٣))).

* * *

(١) شرح النووي على مسلم ١٥-١٤/١٥..

(٢) إعلام الموقعين ٢/٣٦٠.

(٣) للواقعات ٢/٢٦٧.

المطلب الرابع: هل العموم إذا خرج على سبب يقصر عليه؟

توطئة:

- هذا التعبير هو الذي درج عليه القاضي عياض، وأكثر الأصوليين يعنونون للمسألة (هل العبرة بعموم اللفظ أو بخصوص السبب).
- قال شيخ الإسلام: ((سبب الخطاب: إما سؤال سائل، أو غيره.
- وغير السؤال: إما أمر حادث، أو أمر باق.
- وكلاهما يكون: عينا، وصفة، وعملا.
- فيتنفع بالسبب في معرفة جنس الحكم تارة، وفي صفته أخرى، وفي محله أخرى، ومن لم يحيط علما بأسباب الكتاب والسنة وإلا عظم خطؤه كما قد وقع لكثير من المتفقيين، والأصوليين، والمفسرين، والصوفية))^(١).

رأي القاضي عياض في المسألة:

قال رحمه الله: ((وذكر مسلم سبب نزول قوله تعالى: {نِسَاءُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ} (البقرة: من الآية ٢٢٣). قال الإمام: اختلف الناس في وطء النساء في أدبارهن، أذلك حرام أم لا؟ وقد تعلق من قال بالتحليل بظاهر الآية، وانفصل عنها من يحرم بأن المراد بها ما نزلت عليه من السبب والرد على اليهود فيما قالت.

والعموم إذا خرج على سبب قصر عليه عند بعض أهل الأصول.

ومن قال بتعديده وحمله على مقتضى اللفظ من التعميم كانت الآية حجة له في نفي التحريم...))^(٢).

وحكى الخلاف في هذه المسألة الأصولية في مواضع من الإكمال^(٣)، دون أن يبين رأيه فيها، أو يرجح قولاً على آخر.

(١) للسودة ٣٠٨/١.

(٢) إكمال المعلم، كتاب النكاح، باب جواز جماعه امرأته في قبله، ٦١١/٤.

(٣) إكمال المعلم ٦٤٦/٤، ٢١١/٢-٢١٣.

* هذا والجمهور على أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب^(١).

وخالف في ذلك المزني وأبو ثور والقفال، والدقاق. وقاله أبو الفرج والقاضي عبد الوهاب وغيرهما من المالكية. وهو رواية عن أحمد^(٢).
وحكي عن مالك^(٣) و الشافعي^(٤).

أدلة الجمهور:

- أن المقتضى للعموم قائم وهو اللفظ الموضوع للعموم، والمعارض الموجود وهو خصوص السبب، لا يصلح معارضا لأنه لا منافاة بين عموم اللفظ وخصوص السبب، فإن الشارع لو صرح وقال يجب عليكم أن تحملوا اللفظ العام على عمومته، وأن لا تخصصوه بخصوص سببه، كان ذلك جائزا والعلم بجوازه ضروري.

- أن الأمة مجمعة على أن آية اللعان والظهار والسرقة وغيرها إنما نزلت في أقوام معينين مع أن الأمة عمت حكمها، ولم يقل أحد أن ذلك التعميم خلاف الأصل.

الترجيح:

قال الغزالي: ((سبب ورود العام على سبب خاص لا يسقط دعوى العموم، كقوله صلي الله عليه وسلم ((لما إيهاب دبغ طهر)) وقال قوم يسقط عمومته وهو خطأ.
نعم يصير احتمال التخصيص اب دبغ طهر أقرب، ويقنع فيه بدليل أخف وأضعف، وقد يعرف بقرينة اختصاصه بالواقعة))^(٥).

(١) نص عليه أحمد، والشافعي في الأم، وبه قال أبو حنيفة، والحنابلة، والحنفية، وأكثر الشافعية، واختاره الإمام فخر الدين والآمدي وأتباعهما.

انظر: المحصول ٣/١٨٨-١٩٠، القواعد والفوائد الأصولية ٢٤٠، المسودة ١/٣٠٦، شرح مختصر الروضة ٢/٥٠١، المختصر في أصول الفقه ١١٠، إرشاد الفحول ٢٣٠.

(٢) للمسودة ١/٣٠٧-٣٠٨.

(٣) حكاه أبو الطيب وابن برهان.

(٤) قال الجويني وهو الذي صح عندنا من ملهب الشافعي.

قال الإمام فخر الدين في مناقب الشافعي عن قول إمام الحرمين ومن نقل هذا عن الشافعي فقد التبس على ناقله.

(٥) للمستصفي ٢٣٦.

قال ابن دقيق العيد: ((ويجب أن يتنبه للفرق بين دلالة السياق والقرائن الدالة على تخصيص العموم وعلى مراد المتكلم، وبين مجرد ورود العام على سبب. والظاهرية المانعون من الصوم في السفر يقولون أن اللفظ عام والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب وصورة السبب قطعية الدخول عند الأكثر فلا تخص بالاجتهاد.

ولا تجريهما مجرى واحدا، فإن مجرد ورود العام على السبب لا يقتضي التخصيص به كنزول قوله تعالى: {وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا} (المائدة: من الآية ٣٨) وبسبب سرقة رداء صفوان فإنه لا يقتضي التخصيص به بالضرورة والإجماع. أما السياق والقرائن فإنها الدالة على مراد المتكلم من كلامه، وهي المرشدة إلى بيان المحملات، وتعين المحملات فاضبط هذه القاعدة، فإنها مفيدة في مواضع لا تحصى))^(١).

(١) إحكام الأحكام ٢/٢٢٥

المطلب الخامس: العموم المراد به الخصوص

مقدمة:

أ. أقسام اللفظ من حيث العموم والخصوص^(١):

- قد يرد اللفظ العام والمراد العموم كقوله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ} (البقرة: من الآية ٢٣١).

- وقد يرد اللفظ الخاص والمراد به الخصوص كقوله تعالى: {مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ} (الفتح: من الآية ٢٩).

- وقد يرد اللفظ الخاص والمراد العموم وذلك نحو قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ} (الطلاق: من الآية ١) فافتتح الخطاب بذكر النبي صلى الله عليه وسلم والمراد سائر من يملك الطلاق للعدة.

- وقد يرد اللفظ العام والمراد به الخصوص نحو قوله تعالى {الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ} (آل عمران: من الآية ١٧٣) .
ب. الفرق بين العام المخصوص والمراد به الخصوص^(٢).

قال تقي الدين السبكي:

- العام الذي أريد به الخصوص هو العام إذا أطلق وأريد به بعض ما يتناوله. فهو لفظ مستعمل في بعض مدلوله، وبعض الشيء غيره فالذي يظهر أنه مجاز قطعاً...

- وأما العام المخصوص فهو العام إذا أريد به معناه مخرجاً منه بعض أفرادهِ. فالإرادة فيه إرادة الإخراج لا إرادة الاستعمال.

وتلك الإرادة ليست إرادة استعمال اللفظ في غير موضوعه فلذلك لم يقطع بكونه مجازاً بل حصل التردد...

ثم رجح كونه حقيقة فيه.

(١) الفصول في الأصول ١/ ١٣٥-١٣٧.

(٢) الإجماع ١٣٢/٢-١٣٣، نقلاً عن والده، وانظر: القواعد والفوائد الأصولية ١٩٥، شرح الكوكب المنير

١٦٦/٣-١٦٨، إرشاد الفحول ٢٤١.

قال في المراقي:

وذو الخصوص هو ما يستعمل في كل الأفراد لدى من يعقل
وما به الخصوص قد يراد جعله في بعضها النقاد
والثاني اعز للمجاز جزما وذلك للأصل وفرع ينمى^(١)

كلام القاضي عياض في المسألة.

قال رحمه الله عند قول النبي صلى الله عليه وسلم ((فأصلي عليهم)) عند خروجه لأهل
البيع: ((قيل: ولعل المراد بالصلاة عليهم هؤلاء خاصة، فاللفظ عموم والمراد به
خصوص))^(٢).

وقال رحمه الله: ((وقوله فيهم (ليسوا على شيء) دليل على بطلان قولهم، وأنه لا صحة
ولا حقيقة له، وفيه جواز الغلو في اللفظ، وإطلاق مثل هذا اللفظ العام، والمراد به الخاص
من أحوالهم لا ذواتهم، لأنهم أشياء بلا شك ولا يعد هذا كذبا))^(٣).

وقد رد القاضي عياض رحمه الله على من حمل بعض الأحاديث على العموم.
من ذلك قوله في مسألة فرار الشيطان عند سماع الأذان: ((وقيل هذا عموم المراد به
الخصوص، وأن ذلك في المؤمنين من الجن والإنس، وأما الكافر فلا شهادة له، وهذا لا
يسلم لقائله لما جاء في الآثار من خلافه))^(٤).

* هذا، والقول بجواز ورود اللفظ العام مرادا به الخصوص مذهب الجمهور^(٥)، وإن لم
يعقد أكثر الأصوليين لجوازه فصلا، لكنهم تعرضوا للفرق بينه وبين العام المخصوص.

(١) (للأصل) أي الحقيقة، (وفرع) أي: المأز. نثر الورود ٢٧٥/١.

(٢) إكمال المعلم، كتاب الجنائز، باب ما يقال عند دخول القبور والدعاء لأهلها، ٤٤٧/٣.

(٣) إكمال المعلم، كتاب السلام، باب تحريم الكهانة، ١٥٥/٧.

(٤) إكمال المعلم، كتاب الصلاة، باب فضل الأذان، ٢٥٧/٢.

(٥) العقد المنظوم للقراي ١٢٠/٢، الفصول في الأصول ١٣٧/١، المحصول ١٤/٣، المعتمد ٢٣٧/١.

- عقد له في المعتمد بابا، فقال: ((باب في جواز استعمال الله سبحانه الكلام العام في الخصوص أمرا كان أو خيرا))^(١).

- قال ابن قاضي الجبل^٢: يجوز ورود العام، والمراد به الخصوص، خيرا كان أو أمرا.
- قال أبو الخطاب: وقد ذكره أحمد في قوله تعالى: {ثَلَمَرُ كُلِّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا} (الاحقاف: من الآية ٢٥) قال: وأتت على أشياء لم تدمرها كمساكنهم والجبال^(٣).

المخالف^(٤):

- ومنع من ذلك بعض الحنفية.
- حكى عن قوم أنهم منعوا من ذلك في الخير دون الأمر.
أدلة الجمهور^(٥):

- ورد القرآن بخطاب عام والمراد به الخصوص في الأمر كقوله سبحانه: {فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ} (التوبة: من الآية ٥)، والخير كقوله تعالى {الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ} (آل عمران: من الآية ١٧٣).
وعومومه يقتضي دخول جميع الناس في اللفظين، والمراد بعضهم لأن القائلين غير المقول لهم.

(١) للمعتمد ٢٣٧/١.

(٢) أحمد بن الحسن بن عبد الله بن أبي عمر، أبو العباس، كان من أهل البراعة والفهم، والرياسة في العلم، متقناً عالماً بالحديث وعلمه، وله باع طويل في التفسير، من مصنفاته: الفائق في الفقه، وشرح المتقى ولم يكمله، توفي سنة (٧٧١هـ).

الذيل على طبقات الحنابلة ٤٥٣/٢، المقصد الأرشد ٩٥/١.

(٣) شرح الكوكب المنير ١٦٨/٣.

(٤) العقد المنظوم للقرائي ١٢٠/٢، الفصول في الأصول ١٣٧-١٣٨، المحصول ١٤/٣، المعتمد ٢٣٧/١.

(٥) العقد المنظوم للقرائي ١٢٠-١٢١، الفصول في الأصول ١٣٧، المحصول ١٤/٣، المعتمد ٢٣٧/١.

- الدليل دل على حسن المجاز لغة، وهو اشتماله على محاسن الكلام ومزاياه، ورقته وحسن تلقيه عند النفوس وهذا أصل المجاز. واتفقوا على أن هذا المجاز من أرجح أنواع المجاز، فليجز بطريق الأولى.

- والحكمة أيضا لا تمنع من ذلك، لأن أكثر ما فيه أنه يصير العموم باستعماله في الخصوص مجازا، والحكمة لا تمنع من التكلم بالمجاز.

نوع الخلاف في المسألة:

الذي يظهر من أدلة المخالف التي عرضها الجصاص رحمه الله أن الخلاف معه لفظي، وهل يكون حقيقة أو مجازا.

قال رحمه الله على لسان المخالف: ((لأن الدلالة الموجبة للخصوص بمنزلة الاستثناء المتصل بالجملة، كقوله تعالى: { فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا } (العنكبوت: من الآية ١٤)، غير جائز أن يقال إن هذه الصيغة عبارة عن ألف سنة كاملة.

كذلك قيام الدلالة على إرادة الخصوص تجعل اللفظ خاصا، ويتبين أنه لم يكن لفظ عموم قط، وليس وجود اللفظ الذي يصلح للعموم بموجب أن يكون عموما بل هو لفظ خاص صورته غير صورة لفظ العموم.

كما أن وجود لفظ الألف من قوله: { أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا } (العنكبوت: من الآية ١٤)، لا يوجب أن تكون هذه الصيغة هي صيغة الألف المطلقة العارية من الاستثناء بل الصيغتان مختلفتان.

فهذا يدل على أن دلالة التخصيص بمنزلة الاستثناء فينبغي على هذا أن لا يختلف حكم اللفظ فيهما في كونه حقيقة في موضعه، وأنه ليس بلفظ عموم^(١).

* * *

المطلب السادس: هل العمل بالعام يحتاج إلى البحث عن مخصص أو لا؟

تحرير محل النزاع:

قال السبكي: ((وأفاد الأستاذ^(١) في هذه المسألة فائدة جليلة وهي:

أن الخلاف ليس إلا فيما إذا ورد الخطاب العام بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم، أما إذا ورد في عهده وجبت المبادرة إلى الفعل على عمومته لأن أصول الشريعة لم تكن متقررة^(٢))). قال الزركشي: وفي ذلك نظر وهو كما قال فإن الناظر في كلام العلماء في المسألة يعلم عدم صحة هذا الحصر.

رأي القاضي عياض:

يرى القاضي عياض أنه العمل بالعام يحتاج إلى البحث قبل العمل به.

حيث قال رحمه الله: ((وقوله في الحديث: (أمرنا أن نصلي عليك، فكيف نصلي عليك): حكم من خوطب بأمر يحتمل لوجهين، أو يحمل لا يفهم مراده، أو عام يحتمل الخصوص، أن يسأل ويبحث إذا أمكنه ذلك، واتسع له الوقت للسؤال...))^(٣).
* هل المسألة محل إجماع أو خلاف؟^(٤).

قال السبكي: ((إثبات الخلاف في هذه المسألة على هذا الوجه هو إيراد الإمام وجمهور أتباعه.

وادعى جمع من المتأخرين أن ذلك غير معروف بل باطل.

محتجين بأن الذي قاله الغزالي فمن بعده كالأمدى وغيره، أنه لا يجوز التمسك بالعام قبل البحث عن المخصص إجماع^(٥).

(١) أبو إسحاق الإسفرائيني.

(٢) التقرير والتحجير ٢٦٨/١، الإجماع ١٤١/٢.

(٣) إكمال المعلم، كتاب الصلاة، باب الصلاة على النبي، ٣٠١/٢.

(٤) التقرير والتحجير ٢٦٧/١، الإجماع ١٤١/٢.

(٥) قال ابن الأمير الحاج: نقل الإجماع المذكور (إما لعدم اعتبار قول الصوري) يتمسك به ابتداء ما لم يظهر مخصص (لقول إمام الحرمين إنه) أي قول الصوري (ليس من مباحث العقلاء بل صدر عن غباوة وعناد وإما

...قالوا وليس خلاف الصيرفي إلا في اعتقاد عموميه قبل دخول وقت العمل به وإذا ظهر
مخصص تغير الاعتقاد)).

ثم ذكر أن الشيرازي والاسفرايني سبقا إلى حكاية الخلاف في المسألة.
أقوال العلماء في المسألة^(١).

– القول الأول: المنع:

وهو قول أبي العباس بن سريج، وغيره^(٢)، ورواية عن أحمد اختارها أبو الخطاب^(٣).
ونقل الغزالي والآمدي وابن الحاجب الإجماع على منع العمل بالعام قبل البحث عن
المخصص.

– القول الثاني: يجوز التمسك به ابتداءً. يجوز أو يجب

ذهب إليه الصيرفي^(٤)، وإليه مال الرازي^(٥)، وغيره^(٦).

قال ابن الحاج: ((هذه المسألة لم أقف فيما وصل الناظر القاصر إليه من كتب الحنفية
على صريح لهم فيها. نعم أصولهم توافق ما ذهب إليه الصيرفي))^(٧). ولا سيما ما ذهب
إليه معظمهم القائلون بأن موجهه قطعي كموجب الخاص.
قدر ذلك^(٨):

واختلفوا في قدر البحث.

-
- لتأويله) أي قول الصيرفي كما ذكر العلامة الشيرازي (بوجوب اعتقاد العموم قبل ظهور المخصص فإن ظهر
المخصص (تغير) اعتقاد العموم (ولاً) أي وإن لم يظهر (استمر) اعتقاد العموم التقرير والتحجير ٢٦٧/١
- (١) التقرير والتحجير ٢٦٧/١، المصنوع ٢٩/٣، الإلهام ١٤١/٢، إرشاد الفحول ٢٤٠.
- (٢) وأضاف الشيخ أبو حامد إليه الإصطخري وابن خيران والقفال الكبير. وقال: زعم ابن سريج ورفقته أن ما
ذهبوا إليه مذهب الشافعي، لأنه قال: وعلى أهل العلم في الكتاب والسنة أن يطلبوا دليلاً يفرقون به بين الحتم
وغيره في الأمر والنهي. التقرير والتحجير ٢٦٧/١.
- (٣) القواعد والفوائد الأصولية ١٣.
- (٤) قال الشيخ أبو حامد وذكر الصيرفي أن ما ذهب إليه مذهب الشافعي. التقرير والتحجير ٢٦٨/١.
- (٥) المصنوع ٣٢-٣٣.
- (٦) كمصنفي الحاصل، والتحصيل، والمنهاج. التقرير والتحجير ٢٦٧/١.
- (٧) التقرير والتحجير ٢٦٨/١.
- (٨) التقرير والتحجير ٢٦٨/١، الإلهام ١٤١/٢، إرشاد الفحول ٢٤٠.

- فقال الأكثرون: إلى أن يغلب الظن بعدمه.

- وقال الباقلاني إلى القطع به.

وهو ضعيف إذ القطع لا سبيل إليه واشتراطه يفضي إلى عدم العمل بكل عموم.
مرّد الخلاف^(١):

قال الكرمانى: مثار الخلاف التردد في أن التخصيص مانع أو عدمه شرط.

- فالصيرفي يقول إنه مانع، فيتمسك به ما لم ينهض المانع، لأن الأصل عدمه.

- وابن سريج يقول عدمه شرط، فلا بد من تحققه.

أدلة الطرفين^(٢):

أدلة القول الأول: المنع.

- قبل البحث عن وجود المخصص، يجوز أن يكون العموم حجة، وأن لا يكون،
والأصل أن لا يكون حجة إبقاءً للشيء على حكم الأصل.

والجواب أن ظن كونه حجة أقوى من ظن كونه غير حجة لأن إجراءه على العموم أولى
من حمله على التخصيص، ولما ظهر هذا القدر من التفاوت كفى ذلك في ثبوت الظن .

أدلة القول الثاني:

- لو وجب طلب المخصص والبحث عنه قبل التمسك بالعام لوجب طلب المجاز عند
استعمال اللفظ في حقيقته واللازم منتف فالملزوم مثله.

والجواب: أن الفرق واضح، وذلك لأن احتمال وجود المخصص أقوى، إذ ما من عام إلا
وقد تطرق إليه التخصيص.

- الأصل عدم المخصص والاحتمال بمجرده، لا يصلح معارضا لهذا الأصل.

الترجيح:

(١) التقرير والتحجير ٢٦٨/١.

(٢) الإمّا ج ١٤٢/٢، المحصول ٣٠/٣، إرشاد الفحول ٢٤٠.

قال الشوكاني: ((ولا شك أن الأصل عدم التخصيص، فيجوز التمسك بالدليل العام لمن كان من أهل الاجتهاد الممارسين لأدلة الكتاب والسنة العارفين بها، فإن عدم وجود المخصص لمن كان كذلك، يسوغ له التمسك بالعام بل هو فرضه الذي تعبد به الله به، ولا ينافي ذلك تقدير وجود المخصص، فإن مجرد هذا التقدير لا يسقط قيام الحجة بالعام))^(١).
فائدة^(٢):

إذا اقتضى اللفظ العام عملاً مؤقتاً وضاق الوقت عن طلب الخصوص فهل يعمل بالعموم أو يتوقف فيه. محل خلاف.

(١) إرشاد الفحول ٢٤١.

(٢) الإمّاج ١٤٣/٢.

المطلب السابع: حكم دخول العبد في خطاب الأحرار

قال رحمه الله ((... قال الإمام:... واختلف الناس هل تجب على العبد والمسافر؟... وأوجبها عليهما داود.... وهذا على القول بأن العبد يدخل في الخطاب مع الحر، وأما إذا قلنا: إنه لا يدخل في خطاب الأحرار لم يكن ههنا عموم عارض بخبر واحد، بل يكون الاستمسك بالأصل واستصحاب براءة الذمة في حقه هو الأصل المعتمد عليه))^(١).

ومع أن هذا من كلام المازري إلا أنه لم يبين رأيه فيه، ولم أقف في الإكمال ولا في غيره من كتبه ما يبين رأيه رحمه الله في خصوص هذه المسألة.

* قال الآمدي: ((اختلفوا في دخول العبد تحت خطاب التكاليف بالألفاظ العامة المطلقة كلفظ الناس والمؤمنين.

[الاقوال في المسألة]

- فآبته الأكثرون.

- ونفاه الأقلون إلا بقرينة ودليل يخصه.

- ومنهم من قال بدخوله في العمومات المثبتة لحقوق الله دون حقوق الآدميين^(٢).

[الراجح] والمختار إنما هو الدخول وذلك.

[الدليل] لأن الخطاب إذا كان بلفظ الناس أو المؤمنين فهو خطاب لكل من هو من الناس والمؤمنين والعبد من الناس والمؤمنين حقيقة فكان داخلا في عمومات الخطاب بوضعه لغة إلا أن يدل دليل على إخراج منه^(٣).

* * *

(١) إكمال المعلم، كتاب الجمعة، باب التغليظ في ترك الجمعة، ٢٦٤/٣.

(٢) وهو منسوب إلى أبي بكر الرازي من أصحاب أبي حنيفة

(٣) الأحكام ٢٨٩/٢-٢٩٠. وانظر: شرح تنقيح الفصول ١٩٦، فواتح الرحموت ٢٧٠/١، المحصول ٢٠١/٣-

٢٠٣، تشنيف المسامع ٧٠٢/٢، شرح الكوكب المنير ٢٤٢/٣، الإحكام لابن حزم ٣٤٢/٣.

المطلب الثامن: هل الخطاب الوارد في حقه صلى الله عليه وسلم يعم أمته؟

تصوير المسألة^(١).

إذا ورد خطاب خاص بالنبي صلى الله عليه وسلم كقوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الْمُؤْمَلُونَ} (المزمل: ١-٢)، {يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُونَ} (المدثر: ١-٢)، {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ} (الأحزاب: من الآية ١)، {لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ} (الزمر: من الآية ٦٥). هل يعم الأمة ذلك الخطاب.

تحرير النزاع^(٢):

- كل خطاب لا يمكن تشريك الأمة فيه مع النبي صلى الله عليه وسلم ليس محلاً للنزاع مثل قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُونَ} (المدثر: ١-٢).
- كل ما نص على اختصاصه به، أو قامت القرينة على اختصاصه به، فليس محلاً للنزاع أيضاً، كقوله تعالى: {خَالِصَةً لِّكَ مِنَ الْوُحُودِ} (الأحزاب: من الآية ٥٠).
- واختلفوا فيما أمكن إرادة الأمة فيه معه.

رأي القاضي عياض.

والقاضي رحمه الله يميل إلى أن الخطاب الوارد في حقه صلى الله عليه وسلم لا يعم أمته حيث قال: ((قوله: (نُهِيتُ أَنْ أَقْرَأَ رَاكِعًا أَوْ سَاجِدًا، فَأَمَّا الرُّكُوعُ فَعُظِمُوا فِيهِ الرَّبُّ) حجة لمن ذهب من أهل الأصول إلى أن خطاب النبي صلى الله عليه وسلم خصوصاً يتناول أمته، وإن اقتضى من طريق اللغة تخصيصه، وذلك للأمر بالاقتداء به إلا ما دل دليل على تخصيصه به.

والذي نصره المحققون أنه يختص به إذا ورد بصيغة الاختصاص له، حتى يدل على دخول غيره فيه دليل...))^(١).

(١) الأحكام ٢/٢٧٩.

(٢) نثر الورود ١/٢٦٠، شرح الكوكب المنير ٣/٢٢٢.

أقوال العلماء في المسألة^(١):

القول الأول: لا يعم.

وبه قال الشافعية، وبعض الحنابلة^(٢)، والأشعرية، والمعتزلة.

القول الثاني: يعم.

وبه قال أبو حنيفة، وأحمد بن حنبل وأصحابهما، وظاهر كلام الشافعي^(٣)، والمالكية^(٤)، وبعض الشافعية،

الأدلة في المسألة^(٥).

دليل القول الأول:

- الخطاب الوارد نحو الواحد موضوع في أصل اللغة لذلك الواحد، فلا يكون متناولا لغيره بوضعه، ولهذا فإن السيد إذا أمر بعض عبيده بخطاب يخصه لا يكون أمرا للباقيين.

- لو عمهم هذا الخطاب لكان إخراجهم تخصيصا، ولا قائل به.

والجواب عن الاستدلاليين السابقين: هذا ليس في محل النزاع، لأننا نوافقهم أنه لا يشمل لغة، لكن أمر مثله صلى الله عليه وسلم، ممن له منصب الاقتداء، يفهم منه أهل اللغة شمول أتباعه عرفا، لا مدلولاً وضعياً لذلك اللفظ.

- يحتمل أن يكون في الأمر للواحد المعين مصلحة له، وهو مفسدة في حق غيره، وذلك كما في أمر الطبيب لبعض الناس بشرب بعض الأدوية، فإنه لا يكون ذلك أمرا لغيره.

(١) إكمال للمعلم، كتاب الصلاة، باب النهي عن قراءة القرآن في الركوع والسجود، ٣٩٥/٢.

(٢) مختصر ابن الحاجب مع المضد ٢/٢١١، نثر الورود ١/٢٦٠، التقرير والتحجير ١/٢٨٤، اللع ٢٢، الروهان ١/٢٥٠، المحصول ٢/٦٢٠، الأحكام ٢/٢٧٩، تشنيف المسامع ٢/٧٠٠، الروضة ٨/٢٠٨، العدة ١/٣١٨،

شرح الكوكب المنير ٣/٢١٨-٢١٩،

(٣) أبو الحسن التميمي، وأبو الخطاب. الروضة ٨/٢٠٨.

(٤) في البويطي، قاله الأسنوي في نهاية السؤل ٢/٨٨.

(٥) قال في المراقي:

وما به قد خطوب النبي تعميمه في المذهب السني

(٦) التقرير والتحجير ١/٢٨٤-٢٨٥، الأحكام ٢/٢٧٩-٢٨٢، الروضة ٨/٢٠٨-٢١٣، شرح الكوكب المنير

والجواب: وما ذكرتموه من احتمال التفاوت في المصلحة والمفسدة فغير قادح مع ظهور المشاركة في الخطاب كما تقرر.

ولهذا جاز تكليف الكل مع هذا الاحتمال لظهور الخطاب وجاز تعدية الحكم من الأصل إلى الفرع عند ظن الاشتراك في الداعي مع احتمال التفاوت بين الأصل والفرع في المصلحة والمفسدة.

- خص النبي صلى الله عليه وسلم بأحكام لم يشاركه فيها أحد من أمته من الواجبات والمندوبات المحظورات والمباحات، ومع امتناع اتحاد الخطاب، وجواز الاختلاف في الحكمة والمقصد، يمتنع التشريك في الحكم.

أدلة القول الثاني:

- عن عائشة رضي الله عنها أن رجلاً جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم يستفتيه فقال يا رسول الله تدركني الصلاة وأنا جنب أفأصوم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((وأنا تدركني الصلاة وأنا جنب فأصوم)). فقال: لست مثلنا يا رسول الله قد غفر الله لك أتقي))^(١).

فأجابهم بفعله، ولو اختص الحكم به لم يكن جواباً لهم.

- أنكر صلى الله عليه وسلم على الصحابة مراجعتهم له باختصاصه بالحكم، في مواضع عدة، فدل على أن مثل هذا لا يجوز اعتقاده.

- من كان مقدماً على قوم، وقد عقدت له الولاية والإمارة عليهم، وجعل له منصب الاقتداء به، فإنه إذا قيل له اركب لمناجزة العدو، وشن الغارة عليه وعلى بلاده، فإن أهل اللغة يعنون ذلك أمراً لأتباعه وأصحابه.

- قال تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ} (الطلاق: من الآية ١)، ولم يقل إذا طلقت النساء فطلقهن، وذلك يدل على أن خطابه خطاب لأمته.

والجواب: تخصيص النبي في أول الآية بالنداء جرى مجرى التشريف والتكريم له، وفي الآية ما يدل على أن خطاب النبي لا يكون خطاباً للأمة، فإنه لو كان كذلك لما احتيج إلى قوله: {إِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ} (الطلاق: من الآية ١).

- وقوله تعالى: {فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا} (الأحزاب: من الآية ٣٧) أخبره أنه إنما أباحه ذلك ليكون ذلك مباحاً للأمة، ولو كانت الإباحة خاصة به، لما انتفى الحرج عن الأمة.

- إذا خص النبي صلى الله عليه وسلم بحكم نص على ذلك، كقوله تعالى: {وَأَمْرًاؤُا مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَكْبِحَهَا خَالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ} (الأحزاب: من الآية ٥٠)، وكقوله تعالى: {وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ} (الإسراء: من الآية ٧٩). ولو لم يكن الخطاب المطلق له خطاباً لأُمَّته، بل خاصاً به لما احتيج إلى بيان التخصيص به هاهنا .

الترجيح:

والذي يظهر لي والله أعلم أن الخطاب الوارد في حقه صلى الله عليه وسلم يتناول أُمَّته عموماً عرفياً أو معنوياً، لا بالعموم اللفظي، وجماهير العلماء على هذا، وأدلتهم من المنقول والمعقول أقوى من أدلة المخالف.

المطلب التاسع: حكم تخصيص القرآن بالسنة

حكم تخصيص ظاهر القرآن بخبر الآحاد

توطئة:

- هذه المسألة وسمها بعض أهل الأصول بقولهم: ((تخصيص المقطوع بالمظنون))^(١).
- قال التلمساني: ((يجوز تخصيص الكتاب بالكتاب، والسنة بالسنة، والسنة بالكتاب، والكتاب بالسنة المتواترة، وهذا لا نزاع فيه عند الجمهور وأما تخصيص الكتاب بخبر الواحد فالأكثر علي حوازه مطلقا لأنه جمع بين الدليلين والمحققون من الحنفية يشترطون فيه كون الكتاب مخصوصا بشيء آخر حتى تضعف دلالة، فحينئذ يجوز تخصيصه بخبر الواحد))^(٢).

رأي القاضي عياض.

- قال رحمه الله: ((أجمع المسلمون على الأخذ بهذا النهي في الجمع بين الأختين، وفي الجمع بين المرأة وعمتها أو خالتها، أو في الوطاء بملك اليمين، وقد كان في جمع الوطاء بملك اليمين اختلاف من بعض السلف استقر بعد الإجماع عليه، إلا طائفة من الخوارج لا يلتفت إلى قولهم قالوا: يجمع بين الأختين بملك اليمين، وبالجمع بين المرأة وعمتها أو خالتها عموما، تعلقا بظاهر {وأن تجمعوا بين الأختين}.

وتعلقا بأن أخبار الآحاد لا يخصص بها عموم القرآن.

وهما مسألتا خلاف بين أهل الأصول، والصحيح جوازهما.

- لأن خير النبي صلى الله عليه وسلم مبين مفسر لما جاء به عن القرآن، ونحن متعبدون بامتثاله.

والإجماع بإلحاق الجمع بين الأختين مع هذه الآثار الصحيحة المفسرة لمحمل الآية المبين لها، يرد عليهم^(٣).

(١) الإجماع ١٧١/٢.

(٢) مفتاح الوصول ٥٣٤.

- قال رحمه الله: ((واتفق كل من يرى الدباغ مؤثرا في جواز الانتفاع على أنه يؤثر في إثبات الطهارة الكاملة، سوى مالك في إحدى الروايتين عنه، فإنه منع أن يؤثر الطهارة الكاملة، وهذا يجب أن يعتبر فيه قول الله سبحانه {حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ} (المائدة: من الآية ٣). فإن سلم أن الجلد حي دخل في هذا الظاهر^(١)، وكان ما يورد من الأحاديث بتخصيصه، تخصيصا لعموم القرآن بأخبار الآحاد، وفي ذلك اختلاف بين أهل الأصول)).

- قال رحمه الله: ((وفي حديث سعد ينخص عموم جواز الوصية في القرآن بالسنة، بالاختصار على الثلث.

وفي هذا الأصل بين الفقهاء والأصوليين خلاف.

والصواب تصحيحه، أن السنة مبيّنة، ولما علم من اجتهاد الصحابة على مثل هذا متى ورد ((^(٢)).

مسألة تخصيص عموم الكتاب بالسنة المتواترة^(٣):

حكى غير واحد الإجماع على جوازه^(٤).

- وألحق الأستاذ أبو منصور بالمتواتر الأخبار التي يقطع بصحتها.

- وألحق به أخبار الآحاد التي أجمعت الأمة على العمل بها ، كقوله: ((القاتل لا يرث))^(٥)، ((ولا وصية لوارث))^(٦) فيجوز تخصيص العموم به قطعاً.

(١) إكمال المعلم، النكاح، باب تحريم الجمع بين المرأة وعمتها أو عالتها في النكاح ٥٤٧/٤. وانظر: إكمال المعلم ٣٠٦/٥، ٥٩/٥، ٦٤٦/٤

(٢) في المطبوع: الطاهر، والصواب ما أثبتته.

(٣) إكمال المعلم، كتاب الوصية، باب الوصية بالثلث، ٣٦٨/٥.

وانظر: ٥٤/٥، ٦٤٦/٤، من كلام للآزري،

(٤) الإحكام ٣٤٧/٢، المصنوع ١٢٠/٣، الإجماع ١٧٠/٢، تشنيف المسامع ٧٧٨/٢، إرشاد الفحول ٢٦٧، ٢٧٩

(٥) كالأستاذ أبي منصور، والآمدي، والمهدي. وقال الاسفرائيني: إلا ما يحكى عن داود في إحدى الروايتين.

انظر: للمراجع السابقة.

(٦) رواه الترمذي (٢١٠٩)، وابن ماجه (٢٦٤٥) والبيهقي ٢٢٠/٦، من حديث أبي هريرة، وفيه: إسحاق بن

عبد الله بن أبي فروة متروك. قال الترمذي: لا يصح هذا الحديث ولا نعرفه إلا من هذا الوجه. وقال البيهقي:

شواهده تقويه. انظر الدراية ٢٦٠/٢-٢٦١.

تخصيص القرآن بخبر الواحد.

انظر: الإمّاج ١٧٠/٢.

(١) رواه أبو داود (٢٨٧٠)، والترمذي (٢١٢٠)، وابن ماجه (٢٧١٣)، من حديث أبي أمامة.

أقوال العلماء في المسألة^(١):

اختلفوا في جواز تخصيص الكتاب العزيز بخير الواحد:

- ذهب الأئمة الأربعة^(٢)، والجمهور إلى جوازه مطلقا، ورجحه جماعة من المحققين^(٣).
- وذهب بعض الحنابلة إلى المنع مطلقا، والمعتزلة وطائفة من المتكلمين والفقهاء، وطائفة من أهل العراق.
- ذهب عيسى بن أبان إلى الجواز إذا كان العام قد خص من قبل بدليل قطعي متصلا كان أو منفصلا^(٤).
- ذهب الكرخي إلى الجواز إذا كان العام قد خص من قبل بدليل، منفصل قطعيًا كان أو ظنيا.
- ذهب الباقلاني إلى الوقف.
- أدلة الجمهور^(٥):
- العموم وخير الواحد دليلان متعارضان، وخير الواحد أخص من العموم فوجب تقديمه على العموم.

(١) الإشارة ١٩٩-٢٠٠، إحكام الفصول ٢٦٢، مفتاح الوصول ٥٣٤، شرح تنقيح الفصول ٢٠٨، مختصر ابن الحاجب ١٤٩/٢، الفصول ١٤٤/١، اللع ٣٣، التبصرة ١٣٢، البرهان ٢٨٥/١، الوصول لابن برهان ٢٦٠/١، الإحكام ٣٤٧/٢، المحصول ١٣١/٣، الإجماع ١٧١/٢، تشنيف للمسامع ٧٧٧/٢، العدة ٥٥٠/٢، المسودة ٢٨٤/١-٢٨٥، شرح الكوكب المنير ٣٥٩/٣، إرشاد الفحول ٢٦٧.

وفي المسألة أقوال أخرى، انظرها في تشنيف المسامع: ٧٧٧/٢-٧٧٨.

(٢) في نسبه لأبي حنيفة، وكذا جمهور الحنفية بخلاف. انظر: المحصول ١٣١/٣، المسودة ٢٨٤/١-٢٨٥، شرح الكوكب المنير ٣٦٢/٣.

(٣) كالجويني، والآمدي. انظر المصادر السابقة.

(٤) انظر نص كلامه في: الفصول في الأصول ١٠٦/١-١٠٩.

ثم قال الجصاص عقبه: وهذا الذي ذكرناه هو ملهب الصدر الأول عندنا. الفصول ١٠٩/١.

ونسبه التلمساني للمحققين من الحنفية. مفتاح الوصول ٥٣٥.

(٥) الإشارة ٢٠٠-٢٠١، التبصرة ١٣٣-١٣٥، البرهان ٢٨٦/١، المحصول ١٣٢/٣-١٤٦، قواطع الأدلة، الإحكام ٣٤٣/٢-٣٤٧، إعلام الموقعين ٣١٨/٢، الإحكام لابن حزم ٤/٥٠٥، إرشاد الفحول ٢٦٧-٢٦٩.

- أجمع الصحابة على تخصيص قوله تعالى: { يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ } (النساء: من الآية ١١)، بقوله صلى الله عليه وسلم: ((إنا معشر الأنبياء لا نورث)).
- وخصوا التوارث بالمسلمين عملاً بقوله صلى الله عليه وسلم: ((لا يرث المسلم الكافر))^(١). وخصوا قوله: { فَأَقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ } (التوبة: من الآية ٥)، بخير عبد الرحمن بن عوف في الجحوس. وغير ذلك كثير.
- يدل على جواز التخصيص دلالة بينة واضحة ما وقع من أوامر الله عز وجل باتباع نبيه صلى الله عليه وسلم من غير تقييد. فإذا جاء عنه الدليل كان اتباعه واجباً وإذا عارضه عموم قرآني كان سلوك طريقة الجمع بين العام على الخاص متحتماً.
- وجوب الطاعة لما جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم كوجوب الطاعة لما جاء في القرآن ولا فرق، وكل ذلك من عند الله تعالى { وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى } (النجم: ٣-٤).
- دلالة العام على أفرادهِ ظنية لا قطعية، فلا وجه لمنع تخصيصه بالأخبار الصحيحة الأحادية.
- إذا اجتمع نصان أحدهما عام، والآخر خاص، وتعذر الجمع بين حكميهما، فإما أن يعمل بالعام أو الخاص.
- فإن عمل بالعام لزم منه إبطال الدليل الخاص مطلقاً.
- ولو عمل بالخاص، لا يلزم منه إبطال العام مطلقاً، لإمكان العمل به فيما خرج عنه كما سبق، فكان العمل بالخاص أولى.
- ولأن الخاص أقوى في دلالته، وأغلب على الظن، لبعده عن احتمال التخصيص، بخلاف العام فكان أولى بالعمل.
- ولأن الخاص يتناول الحكم بخصوصه على وجه لا يحتمل غير ما تناوله، والعام يتناول الحكم بعمومه على وجه يحتمل أن يكون المراد به غير ما تناوله الخاص، فوجب أن يقدم الخاص على العام.
- مبني الخلاف في المسألة:**
- قال الزركشي: ((وأصل المسألة يلتفت على أن دلالة العام على أفرادهِ قطعية أو ظنية؟

(١) رواه مالك في الموطأ (١٠٨٢)، والبخاري (٦٣٨٣)، ومسلم (١٦١٤)، من حديث أسامة بن زيد.

فإن قلنا قطعية لم يجز بخبر الواحد، لأن الظني لا يرفع القطعي.
وإن قلنا ظنية، جاز...^(١).

(١) سلاسل الذهب ٢٤٦.

المطلب العاشر: حكم تخصيص العموم بالعادة

رأي القاضي عياض.

قال رحمه الله في مسألة دباغ جلود الميتة: ((وقال بعضهم: فإن العموم يخص بالعادة، ولم يكن من عادتهم اقتناء الخنازير حتى تموت فيدبغوا جلودها. قال بعضهم: ولا الكلب أيضا، لم يكن من عادتهم استعمال جلده...))^(١).

* وهذا من القاضي عياض حكاية عن بعض العلماء، لم يبين فيه رأيه، فلا يمكن من خلال هذا النقل نسبة الجواز أو المنع إليه.

* وذهب الجمهور من العلماء إلى عدم تخصيص العموم بالعادة، خلافا لأبي حنيفة^(٢). وذلك لأن الحجة في اللفظ الوارد، وهو مستغرق لكل ما يصدق عليه بلفظه ولا ارتباط له بالعوائد، وهو حاكم على العوائد، فلا تكون العوائد حاکمة عليه.

(١) إكمال المعلم، كتاب الحيض، باب طهارة جلود الميتة بالدباغ، ٢/٢١٢.

(٢) التقرير والتحجير ١/٣٥٠، الأحكام ٢/٣٥٨، الإمّاٰج ٢/١٨١، المسودة ١/٢٩٢-٢٩٥، وانظر بحث شيخ

الإسلام فيها فإنه نفيس، المعتمد ١/٢٧٨، إرشاد الفحول ٢٧٣.

المبحث السادس: الاستثناء: وفيه مطلب واحد، وهو:

حكم الاستثناء والشرط إذا تعقب جملا هل يرجع إلى جميعها أم لا؟

حكم الاستثناء والشرط إذا تعقب جملا هل يرجع إلى جميعها أم لا؟

توطئة:

أقسام الاستثناء^(١):

ينقسم الاستثناء إلى قسمين:

- متصل: وهو ما كان من جنس المستثنى منه، ولا خلاف فيه، ولا تخصيص إلا به.

- منقطع: فلا يخص به، نحو جاعني القوم إلا حمارا^(٢).

وقد اختلف في الاستثناء المنقطع، هل وقع في اللغة أم لا.

فقال الزركشي: ((من أهل اللغة من أنكره وأوله تأويلا رده به إلى الجنس وحيثذ فلا خلاف في المعنى)).

تحرير محل النزاع^(٣):

- محل الخلاف في العطف بالواو، والفاء، وثم، وحتى، دون غيرها من حروف العطف، لأنها تجمع بين الشيعين معا في الحكم.

ويضاف لها "أو"، لأن العلماء مثلوا بآية المحاربة.

رأي القاضي عياض.

قال رحمه الله عند قوله تعالى { وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ وَرَبَائِكُمُ اللَّاتِي فِي حُجُورِكُمْ مِنْ نِسَائِكُمُ اللَّاتِي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَإِنْ لَمْ تَكُونُوا دَخَلْتُمْ بِهِنَّ } (النساء: من الآية ٢٣): ((قال

(١) إرشاد الفحول ٢٤٩.

(٢) قال ابن السراج: ولا بد في المنقطع من أن يكون الكلام الذي قبل إلا قد دل على ما يستثنى منه.

قال أبو بكر الصميري: يجوز الاستثناء من غير الجنس ولكن بشرط أن يتوهم دخوله في المستثنى منه بوجه ما، وإلا لم يجوز. كقوله: وبلدة ليس بها أنيس إلا اليعافير وإلا العيس.

فاليعافير قد توانس فكأنه ليس بها من يوانس به إلا هذا النوع. إرشاد الفحول ٢٤٩-٢٥٠.

(٣) شرح تنقيح الفصول، التقرير والتحجير ١/٣٣٥-٣٣٦، القواعد والفوائد الأصولية ٢٥٩.

الإمام: ...هل النعت والتقييد راجع إلى النساء المذكورات آخرا، أم عائد على المذكورات أولا وآخرا؟

والأرجح ما ذهب إليه الجمهور لوجوه، منها: أن الاستثناءات والشروط عند جماعة من أهل الأصول تعود إلى أقرب المذكورات إليها، وكذلك أصل النحاة أيضا^(١). وقد أقره القاضي عياض ولم يتعقبه.

أقوال العلماء في المسألة^(٢).

القول الأول: يعود إلى جميعها ما لم يخصه دليل.

ذهب الشافعي وأصحابه، ونسب لمالك^(٣)، ونص عليه أحمد^(٤)، وبه قال الحنابلة، والقاضي عبد الجبار.

القول الثاني: يعود إلى الجملة الأخيرة إلا أن يقوم دليل على التعميم.

وبه قال أبو حنيفة، وجمهور أصحابه، والظاهرية، واختاره الرازي، والأصفهاني. وإليه ذهب أبو علي الفارسي.

القول الثالث: الوقف. وإليه نحا الباقلاني، والمرتضى من الشيعة^(٥)، هو مذهب

(١) إكمال المعلم، كتاب النكاح، باب تحريم الجمع بين المرأة وعمتها، ٥٤٦/٤.

وانظر: كتاب الجنائز، باب غسل الميت، ٣٨٣/٣.

(٢) إحكام الفصول ٢٧٧، شرح تنقيح الفصول ٢٥٣، مفتاح الوصول ٥٣٢، نشر البنود ٢٥٠/١، نشر الورود ٢٩٤-٢٩٥، التقرير والتحجير ٣٣٦/١، التبصرة ١٧٢-١٧٣، المحصول ٦٣/٣، الإحكام ٢٢١/٢، تشنيف المسامع ٧٥٢/٢، سلاسل الذهب ٢٥٦-٢٥٧، الروضة ٢٥٧، للسودة ٣٥٤/١، القواعد والفوائد الأصولية ٢٥٧، شرح الكوكب المنير ٣١٢/٣، إرشاد الفحول ٢٥٧. وفي المسألة أقوال أخر، انظرها في إرشاد الفحول ٢٥٧-١٥٩، إذ أوصلها لستة مذاهب.

(٣) نسبة ابن القصار إلى مالك. قال الزركشي: وهو الظاهر من مذاهب أصحاب مالك.

(٤) نقلوا عنه أنه قال في قوله صلى الله عليه وسلم: لا يؤمن الرجل في سلطانه ولا يقعد على تكرمته إلا بإذنه قال أرجو أن يكون الاستثناء على كله. القواعد والفوائد الأصولية ٢٥٧.

(١) يطلق اسم الشيعة على من قال بإمامة علي نهماً ووصية، إما جلياً، أو خفياً، واعتقدوا أن الإمامة لا تخرج عن ولده، واعتبروا مسألة الإمامة من أركان الدين ، وهم فرق وطوائف، غلاة كالقرامطة والإسماعيلية ونحوهم، ورافضة وهم فرق، وزيدية وهم فرق، يكفر بعضهم بعضاً ويلعن بعضهم بعضاً.

مقالات الإسلاميين ٦٥/١ وما بعدها ، الفرق بين ص ٢٩ وما بعدها ، الملل والنحل ١/١٤٤ وما بعدها ، وانظر منهاج السنة النبوية لشيخ الإسلام ابن تيمية فقد خصصه للرد عليهم.

الأشعرية^(١)، واختاره إمام الحرمين الجويني، والغزالي، والآمدي، والرازي.
وقال الشريف التلمساني^(٢): والحق أنه يحمل.

أدلة الطرفين^(٣):

أدلة القول الأول:

- الجمل إذا تعاطفت صارت كالجملّة الواحدة، بدليل الشرط والاستثناء بالمشيئة فإنهما يرجعان إلى ما تقدم إجماعاً.

وأجيب بأن ذلك مسلم في المفردات وأما في الجمل فممنوع.

كما أن القياس على الشرط بالفرق بينهما، وذلك بأن الشرط قد يتقدم كما يتأخر.

ويجاب عن الأول بأن الجمل المتعاطفة لها حكم المفردات ودعوى اختصاص ذلك بالمفردات لا دليل عليها.

وعن الثاني بأنه يمنع مثل هذا الفرق لأن الاستثناء يفيد مفاد الشرط في المعنى.

- الحاجة قد تدعو إلى الاستثناء من جميع الجمل، وأهل اللغة مطبقون على أن تكرار الاستثناء في كل جملة مستقبح ركيك، فلم يبق سوى تعقب الاستثناء للجملّة الأخيرة.

- ما جاز أن يرجع إلى كل واحدة من الجمل إذا انفردت؛ عاد إلى جميعها إذا عطف بعضها على بعض، كالشرط.

- الاستثناء صالح أن يعود إلى كل واحدة من الجمل، وليس البعض أولى من البعض، فوجب العود إلى الجميع كالعام.

أدلة القول الثاني:

- قال تعالى: {وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ} إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ

(١) قال ابن عقيل وغيره: قول الأشعرية محدث بعد الإجماع. القواعد والفوائد الأصولية ٢٥٨.

(٢) أبو عبد الله محمد بن أحمد الحسني التلمساني، ت: ٧٧١هـ - انظر: التعريف لابن خلدون ٦٢-٦٤.

(٣) ولهم في ذلك أدلة كثيرة، ومناقشات يصعب استيعابها. انظر: التبصرة ١٧٣-١٧٦، المحصول ٦٧/٣-٨٦،

الإحكام ٢٢٢/٢-٣٢٩، تشنيف للسامع ٧٥٣/٢، الروضة ٢٥٧، إرشاد الفحول ٢٥٨.

وَأَصْلَحُوا} (النور: ٤-٥) . فإنه راجع إلى قوله {وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ} ولم يرجع إلى الجلد بالاتفاق.

وأيضاً قوله تعالى: {فَتَخْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَدِيَّةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهَا إِلَّا أَنْ يَصَّدَّقُوا} (النساء: الآية ٩٢). وقوله: {إِلَّا أَنْ يَصَّدَّقُوا} راجع إلى الدية دون الإعتاق بالاتفاق.

فالجواب: أما الآية الأولى فلا نسلم اختصاص الاستثناء بالجملة الأخيرة منها، بل هو عائد إلى جميع الجمل عدا الجلد، لدليل دل عليه، وهو المحافظة على حق آدمي.

أما الآية الأخرى فإنما امتنع عود الاستثناء إلى الإعتاق، لأنه حق الله تعالى وتصدق الولي لا يكون مسقطاً لحق الله تعالى.

- رجوع الاستثناء إلى ما يليه من الجمل هو الظاهر، فلا يعدل عنه إلا بدليل ويجاب عنه بمنع دعوى الظهور.

- فصل بين الجملة الأولى وبين الاستثناء بالجملة الثانية، فلم يرجع الاستثناء إليهما، كما لو فصل بينهما بقطع الكلام، وإطالة السكوت.

والجواب: الفصل بين الجملة والاستثناء بالكلام لا يمنع من عود الاستثناء، وإن كان الفصل بالإطالة والسكوت يمنع.

ألا ترى أنه لو فصل بين الجملة والاستثناء بالخبر بأن يقول: أعط بني تميم وبني طيء كل واحد دينارا إلا الكفار، لم يمنع ذلك من رجوع الاستثناء إلى الجميع ولم يجعل ذلك بمنزلة ما لو فصل بينهما بالسكوت.

- الاستثناء إنما رُدُّ إلى ما تقدم لأنه لا يستقل بنفسه، فإذا رد إلى ما يليه استقل، فلم تجز الزيادة عليه إلا بدليل.

والجواب: هذا باطل بالشرط، فإنه إنما علق على ما يتصل به من الكلام، لأنه لا يستقل بنفسه، وإذا رد إلى ما يليه استقل، ثم لا يقتصر عليه.

الترجيح: قال الشوكاني: ((والحق الذي لا ينبغي العدول عنه: أن القيد الواقع بعد جمل إذا لم يمنع مانع من عودة إلى جميعها لا من نفس اللفظ ولا من خارج عنه فهو عائد إلى جميعها))^(١).

قال الشيخ محمد الامين الشنقيطي: ((وجه كون هذا القول هو التحقيق أن القرآن يشهد له في آيات كثيرة...))^(١).

مسألة الشرط المتعقب جملاً^(٢):

والخلاف في هذه المسألة أضعف من سابقتها.

قال ابن النجار: ((عاد إلى الكل عند الأربعة وغيرهم)).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: ((فأما الشرط المتعقب جملاً فقد سلم الحنفية أنه يعود إلى جميعها وكذلك ذكر أبو محمد^٣ في الروضة أن الشرط والصفة سلم أكثر المخالفين أنهما يعودان إلى الجميع))^(٤).

* * *

(١) نثر الورود ٢٩٦/١.

(٢) انظر: شرح تنقيح الفصول ٢١٤، مختصر ابن الحاجب مع العضد ١٤٦/٢، تيسير التحرير ٢٨١/١، المحصول

٩٦/٣، تشنيف للمسامع ٧٦٢/٢، القواعد والفوائد الأصولية ٢٦٠، شرح الكوكب المنير ٣٤٥/٣.

(٣) عبد الله بن يوسف بن عبد الله بن حيوية الجويني نسبة إلى (جوين) من نواحي نيسابور، أبو محمد، والد

إمام الحرمين، وكان إماماً في التفسير واللغة والأدب، عالماً بالفقه والأصول، صنف التفسير الكبير، والتبصرة في

الفقه، والتذكرة، وغيره ذلك، توفي سنة (٤٣٨هـ). طبقات الفقهاء لابن هداية الله ٢٢٨ وسير أعلام النبلاء

٣/٥٠٣ وطبقات الشافعية الكبرى ٥/٧٣

(٤) للسودة ٣٥٦/١.

المبحث السابع: المطلق والمقيد:

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: حمل المطلق على المقيد إذا كان في معنى واحد.

المطلب الثاني: حمل المطلق على المقيد.

المطلب الأول: حمل المطلق على المقيد إذا كان في معنى واحد.

تعريف المطلق والمقيد^(١):

أ. لغة: الإطلاق هو الانفكاك من القيد^(٢).

والقيد: الحبس^(٣).

ب. اصطلاحاً:

المطلق: ما دل على الماهية بلا قيد.

نحو قوله عز وجل: {فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ} (النساء: من الآية ٩٢)

المقيد: ما دل على الماهية بقيد من قيودها نحو {فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ} (النساء: من الآية ٩٢).

رأي القاضي عياض.

قال رحمه الله: ((وأما ما دون النصاب في الحب فأبو حنيفة يوجب فيه الزكاة، ونحن نخالف.

ويحتج لأبي حنيفة بقوله صلى الله عليه وسلم: ((فيما سقت السماء العشر))^(٤).

ويحتج عليه بالأحاديث التي فيها التقييد بالنصاب.

والمطلق يرد إلى المقيد إذا كان في معنى واحد بلا خلاف....))^(٥).

إذا اتفق في السبب والحكم^(٦).

(١) وقيل في تعريفه: ما دل على شائع في جنسه. وقيل: هو ما تناول واحداً من غير معون باعتبار حقيقة شاملة لجنسه انظر: كشف الأسرار ٢/٢٨٦، الإحكام ٣/٥، الروضة ٢٥٩، شرح الكوكب المنير ٣/٣٩٢، المدخل ٢٦٠، إرشاد الفحول ٢٧٨-٢٧٩.

(٢) معجم مقاييس اللغة، مادة (طلق)، شرح الكوكب المنير ٣/٣٩٢.

(٣) معجم مقاييس اللغة، مادة (قيد).

(٤) رواه البيهقي (١٤١٢)، من حديث ابن عمر.

(٥) إكمال المعلم، كتاب الزكاة، ٣/٤٥٩.

فيحمل أحدهما على الآخر بالاتفاق، كما حكاه القاضي عياض^(٣).

ومن حكي الإجماع: القاضي الباقلاني، والقاضي عبد الوهاب، وابن فورك، وإلكيا الطبري، والمجد ابن تيمية، والآمدني، والشريف التلمساني.

هل المسألة مجمع عليها:

- حكي الباجي، والطرطوشي^(٣) خلافا داخل مذهب المالكية^(٤).

قال الباجي: ((فهذا يحمل كل ضرب منهما على عمومه لأنه لا اتفاق بينهما... وقد اختلف كلام القاضي أبي بكر في ذلك في التقريب))^(٥).

- وكذا حكي الأحناف خلافا في مذهبهم، وإن رجحوا الحمل^(٦).

قال الزركشي: ((واعلم أن جماعة نقلوا الاتفاق في هذا القسم على حمل المطلق على المقيد، منهم القاضي أبو بكر، وليس الأمر كذلك))^(٧).

- قال المجد ابن تيمية: ((فهذا لا خلاف فيه، وأنه يحمل المطلق على المقيد، اللهم إلا أن يكون المقيد آحادا، والمطلق تواترا، فيبني على مسألة الزيادة على النص هل هي نسخ، وعلى النسخ للتواتر بالآحاد، والمنع قول الحنفية))^(٨).

- وكذا حكي الحنابلة خلافا في مذهبهم.

(١) إحكام الفصول ٢٨٠، مفتاح الوصول ٥٤٢، التقرير والتحجير ٣٦٣/١، كشف الأسرار ٢٨٧/٢، التبصرة ٢١٦-٢١٥، الرهان ٢٨٨/١، للمستصفي ٢٦٢، المحصول ٢١٤/٢، الإحكام ٧-٦/٣، الإجماع ٢٠٠/٢-٢٠٢، الروضة ٢٦٠-٢٦١، شرح الكوكب المنير ٣٩٦-٣٩٧، المدخل ٢٦٢، إرشاد الفحول ٢٧٩.

(٢) ثم اختلفوا :

- هل هذا الحمل هو بيان للمطلق، أي دال على أن المراد بالمطلق هو المقيد.

- أو أنه يكون نسخا، أي دالا على نسخ حكم المطلق السابق بحكم المقيد اللاحق.

رجح ابن الحاجب الأول. وقال الشوكاني: الأول أولى. إرشاد الفحول ٢٧٩. وانظر: أكثر المصادر السابقة.

(٣) تشنيف للسامع ٨١٤/٢.

(٤) إحكام الفصول ٢٨٠، شرح تنقيح الفصول ٢٦٦.

(٥) إحكام الفصول ٢٨٠-٢٨١.

(٦) كشف الأسرار ٢٨٧/٢.

(٧) تشنيف للسامع ٨١٤/٢.

(٨) المسودة.

قال أبو الخطاب في الانتصار: ((لا يحمل، نص عليه في رواية المروذي، وإن سلمنا على رواية فإذا لم يمكن التأويل))^(١).

* فتبين لنا من هذا أن في المسألة أربعة أقوال:

١. يحمل وهو قول الجماهير، وحكي إجماعا.
٢. لا يحمل مطلقا: قول عند الحنفية، رواية عن أحمد حكاه أبو الخطاب.
٣. يحمل إذا لم يمكن التأويل: رواية عن أحمد حكاه أبو الخطاب.
٤. يحمل إلا أن يكون المقيد آحادا، والمطلق متواترا: مقتضى مذهب الحنفية.

(١) شرح الكوكب المنير ٣/٣٩٨، وانظر: القواعد والفوائد الأصولية ٢٨١.

المطلب الثاني: حمل المطلق على المقيد

أقسام حمل المطلق على المقيد^(١).

القسم الأول: أن يختلفا في السبب والحكم.

فلا يحمل أحدهما على الآخر. بالاتفاق، حكاة غير واحد^(٢).

القسم الثاني: أن يتفقا في السبب والحكم.

فيحمل أحدهما على الآخر، ومر بيانه في المسألة السابقة.

بالاتفاق، كما حكاة القاضي عياض وغيره^(٣).

القسم الثالث: أن يختلفا في الحكم.

لا يحمل أحدهما على الآخر بالإجماع^(٤).

القسم الرابع: أن يختلفا في السبب دون الحكم.

كإطلاق الرقبة في كفارة الظهار، وتقييدها بالإيمان في كفارة القتل^(٥).

وهذا القسم هو موضع الخلاف

رأي القاضي عياض: - قال في حد التيمم: ((والحكم إذا أطلق في شيء، وقيد فيما بينه وبينه مشاهمة، اختلف أهل الأصول في رده إليه، كهذه المسألة والعق في الكفارة في الظهار، هل يشترط فيه الإيمان ويرد إلى كفارة القتل))^(٦).

(١) إحكام الفصول ٢٨٠، مفتاح الوصول ٥٤٢، التقرير والتحير ٣٦٣/١، التبصرة ٢١٥-٢١٦، البرهان ٢٨٨/١، للمستصفي ٢٦٢، المحصول ٢١٤/٢، الإحكام ٧-٦/٣، الإجماع ٢٠٠-٢٠٢، الروضة ٢٦٠-٢٦١، المدخل ٢٦٢، إرشاد الفحول ٢٧٩.

(٢) حكاة الباقلائي، والجويني، وإلكيا المراسي، وابن برهان، والآمدي وغيرهم.

(٣) كالقاضي الباقلائي، والقاضي عبد الوهاب، وابن فورك، وإلكيا الطبري والمجد ابن تيمية، والآمدي.

ثم اختلفوا: - هل هذا الحمل هو بيان للمطلق، أي دال على أن المراد بالمطلق هو المقيد.

- أو أنه يكون نسجاً، أي دالا على نسخ حكم المطلق السابق بحكم المقيد اللاحق.

رجع ابن الحاجب الأول. وقال الشوكاني: الأول أولى. المدخل ٢٦٢.

(٤) قال الشوكاني: حكى الإجماع جماعة من المحققين آخرهم ابن الحاجب. إرشاد الفحول ٢٨٠.

(٥) فالحكم واحد وهو وجوب الاعتاق في الظهار والقتل مع كون الظهار والقتل سببين مختلفين.

- ونقل الخلاف من غير ترجيح في غير هذا الموضع^(٣).

إن اختلف السبب دون الحكم.

كإطلاق الرقبة في كفارة الظهار، وتقييدها بالإيمان في كفارة القتل.

وهذا القسم هو موضع الخلاف، وفيه أقوال، أشهرها:

- عدم جواز التقييد:

مذهب الحنفية، وأكثر المالكية. وبعض الشافعية، وأبي إسحاق ابن شاقلا من الحنابلة^(٤).

- يجوز التقييد.

ذهب إليه جمع من الشافعية، والمالكية، والقاضي أبو يعلى من الحنابلة.

- يجوز تقييد المطلق بالقياس على ذلك المقيّد إن حصل القياس الصحيح.

مذهب الشافعي ومحققى الشافعية والمالكية، وأبي الخطاب، ورجحه الرازي.

قال الشريف التلمساني: ((يحمل عندنا بجامع))^(٥).

* قال الشوكاني: ((ولا يخفّك أن اتحاد الحكم بين المطلق والمقيّد يقتضي حصول التناسب

بينهما بجهة الحمل))^(٥).

* * *

(١) إكمال للمعلم، كتاب الحيض، باب التيمم، ٢١٩/٢.

(٢) انظر: إكمال للمعلم، كتاب المساجد، باب تحريم الكلام في الصلاة، ٤٦٦/٢.

إكمال للمعلم، كتاب الصيام، باب تغليظ تحريم الجماع في نهار رمضان، ٥٤/٤.

(٣) وقد روي عن أحمد ما يدل على هذا أيضا. المدخل ٢٦٢.

(٤) مفتاح الوصول ٥٤٤.

(٥) إرشاد الفحول ٢٨٠.

المبحث الثامن: في المفهوم.

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: حجية مفهوم المخالفة.

المطلب الثاني: هل مفهوم اللقب حجة ؟

المطلب الأول: حجية مفهوم المخالفة

تعريف مفهوم المخالفة:

اصطلاحاً:

ما يكون مدلول اللفظ في محل السكوت مخالفاً لمدلوله في محل النطق^(١).

سمي بذلك لمخالفته المنطوق به.

* ويسمى دليل الخطاب^(٢)، وتنبیه الخطاب^(٣).

تصوير المسألة^(٤):

- وذلك كقوله تعالى: {وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلاً أَنْ يَنْكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمِنْ مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ فِتْيَانِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ} (النساء: من الآية ٢٥)

فتخصيص جواز نكاح الإماء بعدم الطول، يدل على أن واجد الطول لا يجوز له نكاح الإماء. وتخصيص المؤمنات بجواز النكاح عند عدم الطول، يدل على أن عادم الطول لا يباح له نكاح الإماء الكوافر.

- وكقوله عليه السلام: ((في سائمة الغنم الزكاة))^(٥). فتخصيص السوم بحكم، وهو وجوب الزكاة، يدل على نفي ذلك الحكم عن غير السائمة.

(١) إحكام الفصول ٥١٥، الإشارة ٢٩٤، فواتح الرحموت ٤١٤/١، الرهان ٢٩٨/١، الأحكام ٧٨/٣، المحصول ١٠٥/٣، الروضة ٢٦٤، المختصر في أصول الفقه ١٣٢، شرح الكوكب المنير ٤٨٩/٣، المدخل ٢٧٤، إرشاد الفحول ٣٠٣.

(٢) قال الشوكاني: لأن دليله من جنس الخطاب أو لأن الخطاب دال عليه، أو لمخالفته منظوم الكلام. شرح الكوكب المنير ٤٨٩/٣، إرشاد الفحول ٣٠٣.

(٣) نثر الورود ١٠٦/١-١٠٧.

(٤) الإشارة ٢٩٤، المنحول ٢٠٥٨، المدخل ٢٧٤.

(٥) قال ابن الملقن: لا أعرفه هكذا. نعم معناه موجود في حديث أنس: وفي صلقة الغنم في سائمته إذا كانت أربعين إلى عشرين ومائة. رواه البخاري (١٣٨٦). خلاصة البدر للنير ٢٩١/١. وفي المستدرک: ((في سائمة

قال القرافي: ((وهل المخالفة بين المنطوق والمسكوت بضد الحكم المنطوق به، أو نقيضه الحق الثاني))^(١).

قال القاضي عياض: ((من مات يشرك بالله شيئا دخل النار)) استدل به على صحة دليل الخطاب، وفي الاستدلال به ضعف، وهو كلام من لم يميز دليل الخطاب، إذ لا يدل وجوب النار لمن مات على الكفر، وجوب الجنة لمن كان على ضده، وإنما دليل خطابه: لا يدخل النار.

وأما صحة قول ابن مسعود فمن دليل صحة التقسيم لا من دليل الخطاب، لأنه لما قال صلى الله عليه وسلم: ((من مات يشرك بالله شيئا دخل النار)) وصح أنه ليس ثم منزل ثالث سوى الجنة والنار، وتميز بهذا اللفظ، نزل أحدهما، بقي الصنف المخالف له للأخرى))^(٢).

قول القاضي عياض. قال رحمه الله: ((ولهم في الماء القليل تحل فيه النجاسة اليسيرة، حديث ((إذا جاوز الماء قلتين لم يحمل خبثا))^(٣)، وهذا ليس الحجة به من جهة نصه إنما هي من جهة دليله، فإن لم نقل بدليل الخطاب سقط احتجاجهم به فيما دون القلتين. وإن قلنا بدليل الخطاب قلنا في مقابلة قوله صلى الله عليه وسلم: خلق الله الماء طهوراً^(٤).))^(٥).

وله مواضع أخرى مثل هاته لا تنبئ عن رأيه في المسألة^(٦).

الغنم إذا كانت أربعين فبها شاة))، وكذا في سنن أبي داود وعند البيهقي. قال ابن الصلاح: ((أحسب أن قول الفقهاء والأصوليين: في سائمة الغنم زكاة اختصار منهم للمفصل في لفظ الحديث)).

(١) انظر: شرح تنقيح الفصول، إرشاد الفحول ٣٠٣.

(٢) انظر: إكمال المعلم ٣٦٤/١.

(٣) رواه النسائي (٥٢)، أبو داود (٦٣)، الترمذي (٦٧)، الحاكم ٢٢٥/١، وابن خزيمة ٤٩/١، وصححه ابن خزيمة، وابن حبان، وابن منده، والطحاوي، والحاكم على شرط البخاري ومسلم. انظر: تحفة المحتاج ١٤١/١.

(٤) قال ابن كثير: هذا الحديث بهذا اللفظ لم أره في شيء من الكتب... وروى أبو داود والترمذي والنسائي عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنهم، عن النبي صلى الله عليه وسلم: قال إن الماء طهور لا ينجسه شيء، قال الإمام أحمد هو حديث صحيح. تحفة الطالب ٢٥٤-٢٥٨.

(٥) انظر: إكمال المعلم، كتاب الطهارة، باب وجوب غسل البول وغيرها من النجاسات، ١٠٨/٢.

حجته^(٢):

- مفهوم المخالفة حجة عند الجمهور^(٣)، ووافقهم بعض الحنفية كالكرخي.
- وقال أبو حنيفة^(٤)، وبعض الشافعية^(٥)، والحنابلة^(٦)، والمتكلمين^(٧)، ليس بحجة. شرط الاحتجاج به عند الجمهور^(٨):

وقد اشترطوا للمفهوم انتفاء فائدة ظاهرة، غير تخصيص المذكور بالحكم، لأن المفهوم فائدة خفية، فيأخّر عن غيره^(٩)، وقسموها إلى ثمان شروط.

قال في مراقبي السعود:

ودع إذا الساكت عنه خافا
أو جهل الحكم أو النطق المجلب للسل^(١٠) أو جرى على الذي غلب^(١)

(١) انظر: إكمال المعلم ٤٦٦/٣، ١٨٤/٥-١٨٥.

(٢) التقرير والتحجير ١٥٤/١، الرهان ٢٩٩/١، المحصول ١٠٤/٣، الروضة ٢٦٤، المسودة ٦٧٩/٢، القواعد والفوائد الأصولية ٢٨٧، المدخل ٢٧٥، إرشاد الفحول ٣٠٣.

(٣) واختلف المثبتون للمفهوم هل هو حجة من حيث اللغة، أو الشرع، أو العرف العام، أو العقل.

أقوال. والصحيح أنه حجة من حيث اللغة. المختصر في أصول الفقه ١٣٣، إرشاد الفحول ٣٠٤

(٤) وذكر السرخسي في كتاب السير: أنه ليس بحجة في خطابات الشرع، وأما في مصطلح الناس وعرفهم فهو حجة. التقرير والتحجير ١٥٤/١، إرشاد الفحول ٣٠٣.

(٥) كالقفال الشاشي وأبي حامد المروزي وابن سريج. التبصرة ٢١٨، إرشاد الفحول ٣٠٣.

(٦) كآبي يعلى وأبي الحسن التميمي. المسودة ٦٨١/٢.

(٧) كالأشمري والباقلاني وأكثر المعتزلة. للمسودة ٦٨١/٢.

قال الجويني: وأما منكر صيغ العموم ولما يتطرق إليها من تقابل الظنون فلا شك أنهم ينكرون المفهوم فإن تقابل الظنون فيه أوضح وهو بالتوقف أولى. الرهان ٢٩٩/١.

(٨) شرح تنقيح الفصول ٢٧٢، شرح المضد ١٧٤/٢، نثر الورود ١٠٧/١، التمهيد ٦٧، شرح الكوكب المنير ٣٨٩/٣، المدخل ٢٧٥-٢٧٦.

(٩) اقتصر عليه البيضاوي. انظر شرح الأسنوي ٦٧، شرح الكوكب المنير ٣٩٦/٣.

(١٠) قال الزركشي: ولعل الفرق - يعني بين عموم اللفظ وعموم المفهوم - أن دلالة المفهوم ضعيفة، تسقط بأدن قرينة، بخلاف اللفظ العام.

قال الشوكاني: وهذا فرق قوي لكنه إنما يتم في المفاهيم التي دلالتها ضعيفة، أما المفاهيم التي دلالتها قوية قوة تلحقها بالدلالات اللفظية فلا. إرشاد الفحول ٣٠٥.

(١) كما في قوله تعالى: {وَرَبَّائِكُمُ اللَّائِي فِي حُجُورِكُمُ} (النساء: ٢٣)، فإن الغالب كون الربائب في حجور الأزواج.

أو امتنان^(١) أو وفاق الواقع^(٢) والجهل والتاكيد^(٣) عند السامع^(٤)
 ويضاف إليه: - أن لا يعارضه ما هو أرحح منه، من منطوق أو مفهوم موافقة^(٥).
 - وأن لا يعود على أصله الذي هو المنطوق بالإبطال أما لو كان كذلك فلا يعمل به^(٦).
 أدلة الجمهور^(٧):

- عن يعلى بن أمية أنه قال لعمر رضي الله عنه: إن الله سبحانه يقول: {فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا} (النساء: من الآية ١٠١) وها نحن قد آمننا فما بالنا نقصر؟ فقال له عمر: سألت رسول الله كما سألتني.
 فقال: ((صدقة تصدق الله بها عليكم، فاقبلوا صدقته))^(٨).

فهؤلاء الصحابة، والخلفاء رضي الله عنهم، وهم أعيان الفصحاء، قد فهموا تخصيص الحكم المعلق على الشرط بوصف الشرط.

- قال النبي صلى الله عليه وسلم: ((يقطع الصلاة الكلب الأسود)).
 قال عبدالله بن الصامت لأبي ذر: ما بال الأسود من الأحمر من الأصفر، فقال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم كما سألتني، فقال: ((الكلب الأسود شيطان))^(٩).

(١) نحو {تَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِبًا} (النحل: من الآية ١٤). فإنه لا يدل على منع القديد.
 (٢) كما في قوله تعالى: { لَا يَتَّبِعِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ } (آل عمران: من الآية ٢٨).
 (٣) كقوله صلى الله عليه وسلم: لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تحد. فإن التقييد بالإيمان لا مفهوم له، وإنما ذكر لتفهم الأمر.

(٤) نثر الورود ١/١٠٧.
 (٥) قال شارح اللمع: دليل الخطاب إما يكون حجة إذا لم يعارضه ما هو اقوى منه كالنص والتنبه، فإن عارضه أحدهما سقط وإن عارضه عموم صح التعلق بعموم دليل الخطاب على الأصح.

وإن عارضه قياس حلي قدم القياس.
 وأما الخفي فإن حملناه حجة كالنطق قدم دليل الخطاب، وإن جعلناه كالقياس فقد رأيت بعض أصحابنا يقدمون كثيرا القياس في كتب الخلاف والذي يقتضيه للمذهب أنهما يتعارضان. إرشاد الفحول ٣٠٥.

(٦) شرح الكوكب المنير ٣/٣٩٥، إرشاد الفحول ٣٠٥-٣٠٦.

(٧) الإشارة ٢٩٥، المحصول ١/١٠٥، الروضة ٢٦٦.

(٨) رواه مسلم (٦٨٦).

(٩) رواه مسلم (٥١٠).

ففيهما من تعليق الحكم على الموصوف بالسواد انتفاء عما سواه.

- ولأن النبي صلى الله عليه وسلم لما سئل عما يلبس المحرم من الثياب فقال: ((لا يلبس القميص ولا السراويلات ولا البرانس))^(١).

فلولا أن تخصيصه المذكور بالذكر يدل على إباحة لبس ما سواه، لم يكن جوابا للسائل عما يجوز للمحرم لبسه.

- فصحاء أهل اللغة يفهمون من تعليق الحكم على شرط أو وصف، انتفاء الحكم بدونه بدليل ما روى يعلى بن أمية عن عمر بن الخطاب كما سبق.

- أن تخصيص الشيء بالذكر لا بد له من فائدة، فإن استوت السائمة والمعلوفة، فلم تُخصَّص السائمة بالذكر من عموم الحكم والحاجة إلى البيان شاملة للقسمين.

* * *

(١) رواه البخاري (١٤٦٨)، ومسلم (١١٧٧)، من حديث ابن عمر.

المطلب الثاني: هل مفهوم اللقب حجة.

توطئة:

سماء بعضهم مفهوم الاسم، وآخرون: مفهوم العلم^(١).

تعريفه^(٢): هو تعليق الحكم بالاسم العلم، نحو {مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ} (الفتح: من الآية ٢٩)، أو اسم النوع نحو: في الغنم زكاة. قال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي: ((ضابط اللقب هو الاسم الجامد كأسماء الأجناس والعلم بأنواعه الثلاثة (الاسم والكنية واللقب)))).

رأي القاضي عياض

قال رحمه الله: ((قوله: (ثلاثة أحجار)، تعلق داود بنص النبي صلى الله عليه وسلم عليها أنه لا يجزئ الاستنجاء بغير الأحجار... (فقال في رد قوله) ولأن تعلق الحكم بالاسم لا يدل على أن ما عده بخلافه عند أكثر الأصوليين...))^(٣).

وقال رحمه الله عند قوله صلى الله عليه وسلم ((وتربتها طهورا)): ((...لأن الحكم إذا تعلق باسم مجرد دون صفة، ضعف التعلق بالاستدلال باختصاصه عما عده، بخلافه إذا تعلق بالصفة))^(٤).

* وهذا الذي ذهب إليه مذهب جماهير أهل العلم^(٥).

قال في المراقي:

أضعفها اللقب وهو ما أبي من دونه نظم الكلام العربي^(٦).

(١) التقرير والتحير ١/١٨٥، التمهيد ٢٦١، الإمّاج ١/٣٦٩.

(٢) نثر الورود ١/١١٢، الإحكام ٣/١٠٤، الإمّاج ١/٣٦٩، القواعد والفوائد الأصولية ٢٨٩، المختصر في أصول الفقه ١٣٤، شرح الكوكب المنير ٣/٥٠٩، المدخل ٢٧٧، إرشاد الفحول ٣٠٨.

(٣) إكمال المعلم، كتاب الطهارة، باب الاستطابة، ٢/٧٠.

(٤) إكمال المعلم، كتاب المساجد، ٢/٤٣٨.

(٥) شرح تنقيح الفصول ٢٧١، مفتاح الوصول ٥٦٧، التقرير والتحير ١/١٨٥، التمهيد ٢٦١، الإحكام ٣/١٠٤، الإمّاج ١/٣٦٩، المختصر في أصول الفقه ١٣٤، القواعد والفوائد الأصولية ٢٨٩، شرح الكوكب المنير ٣/٥٠٩، المدخل ٢٧٧، المسودة ٢/٦٨٣-٦٨٤، إرشاد الفحول ٣٠٨.

(٦) نثر الورود ١/١١٢.

آراء العلماء في المسألة^(١):

القول الثاني: يعمل به.

ذهب إليه أبو بكر الدقاق^(٢)، وبعض الشافعية^(٣)، والصيرفي^(٤)،

ونسب لمالك^(٥)، وبعض المالكية^(٦)، ونقل عن منصور أحمد^(٧)، وهو قول جمهور الحنابلة، وداود وبعض الشافعية.

ونقل القول به عن ابن خويز منداد والباقي وابن القصار.

القول الثالث: يعمل به في أسماء الأنواع لا في أسماء الأشخاص.
وبه قال بعض الشافعية^(٨).

القول الرابع: يعمل بما دلت عليه القرينة دون غيره^(٩).

(١) انظر المصادر السابقة في مذهب الجمهور.

(٢) أبو بكر محمد بن محمد بن جعفر البغدادي الشافعي، ت: ٣٩٢هـ — طبقات الفقهاء للشيرازي ١١٨.

قال الشيرازي: ادعى شيخنا ابن الدقاق في بعض محال النظر ببغداد صحة ما قاله من مفهوم اللقب، فألزم وجوب الصلاة فإن البارئ تعالى أوجب الصلاة، فهل له دليل يدل على نفي وجوب الزكاة والصوم وغيرهما. فبان له غلطة وتوقف فيه. الإجماع ١/٣٧٠.

(٣) كابن فورك.

(٤) حكاه عنه السهيلي في نتائج الفكر ٢٥٨، إرشاد الفحول ٣٠٨.

(٥) قال محمد الأمين الشنقيطي: فإن قيل: جاء عن مالك رحمه الله ما يدل على اعتبار مفهوم اللقب، وذلك أنه قال باشتراط النهار في الأضحية... مستدلاً بمفهوم قوله تعالى {وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَهَامِ مَغْلُومَاتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ} (الحج: ٢٨)... فالجواب أنه مفهوم ظرف. ثر الورود ١/١١٣.

(٦) كابن خويز منداد وابن قصار.

(٧) سيأتي بيان ما في هذا النقل في القول الرابع.

(٨) حكاه ابن برهان في الوجيز. إرشاد الفحول ٣٠٩، البحر المحيط ٤/٢٥.

(٩) قال المجد ابن تيمية: لو قال: عليكم في الإبل الزكاة. لم يكن له مفهوم لأنه لا يوجب تخصيص عام قد ذكر ويمكن أن غيرها لم يخطر بباله ولو قيل لرسول الله: هل في بهيمة الأنعام الزكاة فقال: في الإبل الزكاة، لكان له مفهوم لما ذكرنا. وأكثر مفهومات اللقب التي جاءت عن أحد لا تخرج عما ذكرته لمن تدبرها وكذلك لم يسبق إلى الفهم مفهوم في حديث الأعيان الستة فلو قدرنا أن رجلاً قال لرسول الله أنبيع الطعام بالطعام متفاضلاً فقال لا تبيعوا الر بالمر متفاضلاً الموصوف فيه مع الصفة والثاني ما اقتصر فيه عليها فصار الاسم الخاص في سياق العام قوماً به كما قوى الموصوف الصفة ترجيحاً. المسودة ٢/٦٨٤، القواعد والفوائد الأصولية ٢٨٩-٢٩٠.

حكاه ابن حمدن وأبو يعلى من الحنابلة.

أدلة الجمهور^(١):

- معلوم من لسان العرب أن من قال: رأيت زيدا، لم يقتض أنه لم ير غيره قطعا.

وأما إذا دلت القرينة على العمل به فذلك ليس إلا للقرينة، فهو خارج عن محل النزاع.

- اللقب إنما ذكر ليسند إليه الحكم فقط، فظهر فائدة لتخصيصه بالذكر.

- لو كان مفهوم اللقب حجة ودليلا، لكان القائل إذا قال عيسى رسول الله فكأنه قال

محمد ليس برسول الله، وكذلك إذا قال زيد موجود، فكأنه قال الإله ليس بموجود، وهو

كفر صراح، ولم يقل بذلك قائل.

- أنه لو كان مفهوم اللقب دليلا لما حسن من الإنسان أن يخبر أن زيدا يأكل إلا بعد

علمه أن غيره لم يأكل، وإلا كان مخيرا بما يعلم أنه كاذب فيه، أو بما لا يأمن فيه من

الكذب.

وحيث استحسن العقلاء ذلك مع عدم علمه بذلك، دل على عدم دلالة على نفي الأكل

عن غير زيد.

الترجيح:

- قال الشوكاني: ((والحاصل أن القائل به كلا، أو بعضا، لم يأت بحجة لغوية، ولا

شرعية، ولا عقلية))^(٢).

- قال الغزالي: ((وإنما أسقط مفهوم اللقب لأنه ليس فيه دلالة من حيث اللفظ بل هو

نطق بشيء وسكوت عن شيء))^(٣).

- لكن لا بد من ملاحظة ما قال ابن قدامة: ((تخصيص اللقب يحتمل حمله على أنه لم

يحضره ذكر المسكوت عنه، وهذا يعد فيما إذا ذكر أحد الوصفين المتضادين، لأن ذكر

الصفة يذكّر ضدها.

(١) نثر الورود ١/١١٢، التقرير والتحبير ١/١٨٥، الإحكام ٣/١٠٤-١٠٥، إرشاد الفحول ٣٠٩.

(٢) إرشاد الفحول ٣٠٩.

(٣) للمستصفي ٢٧٣.

وهو مشتق بالكلية فيما إذا ذكر الوصف العام، ثم وصفه بالخاص فظهر احتمال
المفهوم^(١).

(١) روضة الناظر ٢٦٩.

المبحث التاسع: النسخ.

وفيه ستة مطالب:

المطلب الأول: تعريف النسخ.

المطلب الثاني: ما حكم نسخ الأحكام؟

المطلب الثالث: أنواع النسخ.

المطلب الرابع: متى يثبت النسخ في حق المكلف.

المطلب الخامس: نسخ القرآن بالسنة ونسخ السنة بالقرآن.

وهل يثبت النسخ بخبر الآحاد

المطلب السادس: هل الزيادة على النص نسخ.

المطلب الأول: تعريف النسخ.

تعريف النسخ:

أ. لفظة^(١): للنسخ في اللغة معان:

١ - النقل: ومنه قول القائل: نسخت الكتاب إذا نقله من موضع إلى موضع.

٢ - الإزالة: ومنه قولهم نسخت الرياح الآثار أي أزالتها.

* ثم اختلفوا:

- فذهب جمع إلى أنه مشترك بين هذين المعنيين.

- وذهب القفال وغيره إلى أنه حقيقة في النقل، مجاز في الإزالة.

- وذهب الأكثر إلى أنه حقيقة في الإزالة، مجاز في النقل^(٢).

- وقيل القدر المشترك بينهما، وهو التغير^(٣).

واعتبر السرخسي كل ذلك مجازاً، وزاد:

٣ - التبديل.

قال السرخسي: ((وأوجه ما قيل فيه إنه عبارة عن التبديل من قول القائل نسخت

الرسوم أي بدلت برسوم آخر... وعبارة التبديل منصوص عليه في القرآن. قال تعالى:

{ وَإِذَا بَدَلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ } (النحل: من الآية ١٠١)... فجعله عبارة عما يكون معلوماً

بالنص أيضاً يكون أولى الوجه^(٤).

- قال الآمدي: ((ومع هذا كله فالنزاع في هذا لفظي لا معنوي))^(٥).

(١) إحكام الفصول ٣٨٩، نثر الورود ٣٤٢/١، أصول السرخسي ٥٣/٢، التقرير والتحير ٥٣/٣، الإحكام

١١١/٣، إرشاد الفحول ٣١١.

(٢) لأن إطلاق اسم النسخ على النقل في قولهم نسخت الكتاب مجاز لأن ما في الكتاب لم ينقل حقيقة

وإذا كان اسم النسخ مجاز في النقل لزم أن يكون حقيقة في الإزالة لأنه غير مستعمل فيما سواهما.

(٣) صرح به الجوهري.

(٤) أصول السرخسي ٥٤/٢.

(٥) الأحكام ١١٤/٣.

ب. اصطلاحاً^(١):

- رفع الحكم الشرعي الثابت بالخطاب المتقدم، بخطاب متراخ عنه، على وجه لولاه لكان ثابتاً^(٢).

محترزات التعريف:

وخرج بقولنا (رفع الحكم الثابت بالخطاب المتقدم) الأحكام العقلية قبل ورود الشرع. ولفظ (الخطاب) شامل للفحوى والمفهوم، فإنه يجوز نسخ جميع ذلك.

وتناول الأمر والنهي والخير وجميع أنواع الحكم.

خرج بقولنا (بخطاب): جميع الأعذار الدالة على ارتفاع الأحكام الزائلة بما مع تراخيها كالموت والمرض والجنون.

وبقولنا (متراخ عنه) الخطاب المتصل كالاستثناء والتقييد بالشرط والغاية فإنه يكون بياناً لا نسخاً.

وبقولنا (على وجه لولاه لكان ثابتاً) احترز به عما إذا ورد الخطاب بحكم مؤقت ثم ورد الخطاب عند تصرُّم ذلك الوقت بحكم مناقض للأول^(٣).

(١) الإشارة ٢٥٥، إحصاء الفصول ٣٨٩، الحدود للباقي ٤٩، منتهى السؤل ١٥٤، شرح المضد ١٨٥/٢، مفتاح الوصول ٥٩٣، فواتح الرحموت ٥٣/٢، المحصول ٤٢٣/٣، الأحكام ١١٤/٣، شرح النووي ٣٥/١، العدة ٧٧٨/٣، شرح الكوكب المنير ٥٢٦/٣، الإحصاء لابن حزم ٥٩/٤، إرشاد الفحول ٣١٢.

(٢) هذا التعريف قريب مما اختاره الباقلاني والصوري وأبو إسحاق الشيرازي والغزالي والآمدي وابن الأنباري، وغيرهم.

(٣) انظر الاعتراضات على هذا التعريف، وجوابها في الإحصاء ١١٦/٣-١١٧.

وللنسخ تعريفات أخرى منها:

- إزالة مثل الحكم الثابت بقول منقول عن الله تعالى أو عن رسوله مع تراخيه عنه على وجه لولاه لكان ثابتاً. قاله أبو الحسين البصري.

واعترض عليه بأنه غير مانع إذ يدخل فيه إزالة الأحكام العقلية قبل ورود الشرع بخطاب الشارع المتراخي عنه. وليس بنسخ إجماعاً.

- هو إزالة الحكم بعد استقراره.

ويطَّل بما لو زال الحكم بعد استقراره بمرض أو جنون أو موت فإنه دافع فيما قيل، وليس بنسخ إجماعاً.

قال الشنقيطي: ((فإن قيل: هذا الحدّ يشمل نوعين من أنواع النسخ الثلاثة: وهما نسخ التلاوة والحكم معا...، ونسخ الحكم فقط دون التلاوة...، ولكن لا يشمل الثالث الذي هو رفع التلاوة دون الحكم.... فالجواب: أنّ فيها نسخ حكم وهو عدم حرمة قراءتها على الجنب ومسّها على المحدث وقراءتها في الصلاة...))^(١).

- وقيل: هو الخطاب الدال على انتهاء الحكم الشرعي مع التأخير عن مواعده^(٢).
قال في المراقي:

رفع حكم أو بيان الزمن بمحكم القرآن أو بالسنن^(٣).

* فائدة:

قال النووي: ((وقد أدخل فيه كثيرون أو الأكثرون من المصنفين في الحديث ما ليس منه بل هو من قسم التخصيص أو ليس منسوخا ولا مخصصا بل مؤولا أو غير ذلك))^(٤).

* * *

- هو نقل الحكم إلى خلافه.

ويطلق بما لو نقل الحكم إلى خلافه بالغاية. كما في قوله تعالى ثم أمروا الصيام إلى الليل.

- قال ابن الحاجب: رفع الحكم الشرعي بليل شرعي متأخر.

(١) نثر الورود ٣٤٢/١-٣٤٣.

(٢) وعرج الشريف التلمساني على هذا الخلاف في تعريفه مسائل فقهية. انظر مفتاح الوصول ٥٩٤-٥٩٥.

(٣) نثر الورود ٣٤٢/١، وانظر سلاسل الذهب ٢٩٢-٢٩٣.

(٤) شرح النووي ٣٥/١.

المطلب الثاني: ما حكم نسخ الأحكام.

رأي القاضي عياض

قال رحمه الله عند حديث تحويل القبلة: ((وفي هذه القصة دليل على صحة نسخ الأحكام، وهو مما أجمع عليه كافة المسلمين إلا طائفة من المبتدعة لا يعبا بها لم تقل به، ووافقت العناية^(١) من اليهود فيه^(٢))).

وقال: ((وتحرم السباع حكم، والأحكام يصح نسخها، والأخبار لا يصح نسخها))^(٣). وقد ورد عنه رحمه الله في مواضع عدة، القول بالنسخ، وحكايته عن أهل العلم من غير نكير^(٤)، وسيأتي بعض ذلك في المسائل القادمة.

* وقد أجمع المسلمون على جواز النسخ ووقوعه، حكى الإجماع جمهور الأصوليين^(٥)، إلا ما حكى من إنكار أبي مسلم^(٦) له.

(١) وقع في المطبوع: القنائة، ولعل الصواب ما أثبتته، وهم فرقة من اليهود أنكروا النسخ شرعا لا عقلا، كما سيأتي بيانه.

(٢) إكمال المعلم، كتاب المساجد، باب تحويل القبلة، ٤٤٨/٢.

(٣) إكمال المعلم، كتاب المساجد، باب تحويل القبلة، ٤٤٨/٢.

(٤) انظر على سبيل المثال: إكمال المعلم ٤٤٨/٢، ٦٣٣-٦٣٤، ١٧٦/٧، ٣٤١/٧.

(٥) انظر على سبيل المثال: إحكام الفصول ٣٩١، المحصول ٤٦٠/٣، الإجماع ٢٢٧/٢.

(٦) عمرو بن بحر الأصفهاني المعتزلي، ت: ٣٢٢ هـ - الفهرست لابن النديم ١٥١، وانظر: آراء المعتزلة الأصولية ٤١٩.

قال ابن أمر الحاج: أبو مسلم الأصفهاني المعتزلي الملقب بالحافظ، واسمه محمد بن بحر، وقيل ابن عمر، وقيل هو عمر بن يحيى. التقرير والتحجير ٥٩/٣.

قال السرخسي: ((ثم المذهب عند المسلمين أن النسخ جائز في الأمر والنهي الذي يجوز أن يكون ثابتاً، ويجوز أن لا يكون))^(١).

قال الآمدي: ((وقد اتفق أهل الشرائع على جواز النسخ عقلاً وعلى وقوعه شرعاً ولم يخالف في ذلك من المسلمين سوى أبي مسلم الأصفهاني فإنه منع من ذلك شرعاً وجوزه عقلاً، ومن أرباب الشرائع سوى اليهود...))^(٢).

نوع خلاف أبي مسلم الأصفهاني:

قال الزركشي: ((قيل: لم ينكر النسخ مطلقاً، وإنما أنكر النسخ في القرآن لقوله تعالى: { لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ } {فصلت: من الآية ٤٢} . وقيل: خلافه لفظي، لأنه يجعل ما كان مغنياً في علم الله تعالى كما هو مغنياً باللفظ، ويسمي الجميع تخصيصاً، ولا فرق عنده بين أن يقول {ثُمَّ أَتَمُوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ} (البقرة: من الآية ١٨٧) وأن يقول: صوموا مطلقاً وعلمه محيط بأنه سينزل: لا تصوموا وقت الليل، والجمهور يجعلون الأول تخصيصاً والثاني نسخاً، فلا خلاف في المعنى))^(٣).

أقوال أخرى في المسألة^(٤).

- قال اليهود: لا يجوز أصلاً النسخ، ثم اختلفوا:

منهم من أبى ذلك عقلاً^(٥).

وفريق أبى جوازه سمعاً وتوقيفاً^(٦).

(١) أصول السرخسي ٥٤/٢.

(٢) الأحكام ١٢٧/٣، وانظر: إرشاد الفحول ٣١٣.

(٣) تشنيف المسامح ٨٨٦/٢-٨٨٧.

(٤) أصول السرخسي ٥٤/٢.

(٥) وهم الشيعونية منهم. قالوا: الأمر بالشيء دليل على حسن المأمور به، والنهي عن الشيء دليل على قبح للنهي عنه، والشيء الواحد لا يجوز أن يكون حسناً وقيحاً، فالقول بجواز النسخ قول بجواز البدء، وذلك إنما يتصور ممن يجهل عواقب الأمور.

أصول السرخسي ٥٥/٢، الأحكام ١٢٧/٣.

(٦) وهم العنانية منهم. واستدلوا بما يروى عن موسى صلى الله عليه وسلم أنه قال: تمسكوا بالسبب ما دامت السموات والأرض.

وزعموا أن هذا مكتوب في التوراة عندهم.

أدلة النسخ^(١):

- قال تعالى: {مَا نُنَسِّخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلَهَا} (البقرة: من الآية ١٠٦). - وقوله: {وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ} (النحل: من الآية ١٠١).

قال السرخسي: نص قاطع على جواز النسخ.

- شريعة محمد صلى الله عليه وسلم ناسخة لما قبلها من الشرائع.

- ونسخ التوجه إلى بيت المقدس بفرضية التوجه إلى الكعبة أمر ظاهر لا ينكره عاقل، فقول من يقول لم يوجد باطل من هذا الوجه.

- اتفق الكل على أن جواز النكاح بين الإخوة والأخوات قد كان في شريعة آدم عليه الصلاة والسلام، فإن حواء خلقت منه، وأمر آدم أن يزوج بناته من بنيه، ثم انتسخ ذلك الحكم حتى لا يجوز لأحد أن يستمتع بمن هو بعض منه بالنكاح.

- ولأن اليهود مقرّون بأن يعقوب عليه السلام حرم شيئا من المطعومات على نفسه، وأن ذلك صار حراما عليهم كما أخبرنا الله تعالى به في قوله: {كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلالًا لِنَبِيِّ إِسْرَائِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ} (آل عمران: ٩٣). وقد انتسخ كل ذلك.

- العمل في السبت كان مباحا قبل زمن موسى عليه السلام، فإذا جاز ثبوت الحرمة في شريعته بعد ما كان مباحا، جاز ثبوت الحل في شريعة نبي آخر قامت الدلالة على صحة نبوته.

- شرع الله تعالى الأحكام على سبيل الابتلاء لعباده حتى يميز المطيع من العاصي، ومعنى الابتلاء يختلف باختلاف أحوال الناس، وباختلاف الأوقات فقد تكون المنفعة في إثبات شيء في وقت، وفي نفيه في وقت آخر، كإيجاب الصوم في النهار إلى غروب الشمس أو طلوع النجوم كما هو مذهب اليهود، ونفي الصوم بعد ذلك.

وقالوا: قد ثبت عندنا بالطريق الموجب للعلم وهو خبر التواتر عن موسى صلى الله عليه وسلم أنه قال إن شريعتي لا تنسخ.

وذُهِبَ العسوية إلى جوازه عقلا ووقوعه سمعا واعتزفوا بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم لكن إلى العرب خاصة لا إلى الأمم كافة. أصول السرخسي ٥٥/٢، الأحكام ١٢٧/٣.

(١) إحكام الفصول ٣٩١، أصول السرخسي ٥٤/٢-٥٧، التبصرة ٢٥٢، للنحول ٢٨٨، الأحكام ١٢٧/٣.

الخلاصة:

قال الشوكاني: ((وإذا صح هذا عنه -أي عن أبي مسلم- فهو دليل على أنه جاهل بهذه الشريعة المحمدية جهلاً فظيلاً... وإنما يعتد بخلاف المجتهدين، لا بخلاف من بلغ في الجهل إلى هذه الغاية ... وأما الجواز فلم يحك الخلاف فيه إلا عن اليهود وليس بنا إلى نصب الخلاف بيننا وبينهم حاجة.

ولا فيها أحكام الإسلام حتى يذكر خلافهم في هذه المسألة.

ولكن هذا من غرائب أهل الأصول على أنا قد رأينا في التوراة في غير موضع أن الله سبحانه رفع عنهم أحكاماً لما تضرعوا إليه وسألوا منه رفعها وليس النسخ إلا هذا، ولهذا لم يحكه من له معرفة بالشريعة الموسوية إلا عن طائفة من اليهود وهم الشمعونية^(١).

أقول: ما قاله الشوكاني رحمه الله وجهه، وعليه لعل ما نقل عن الفرق الأخرى من اليهود هو إنكار لنسخ الشريعة جملة لا لأحاديها، فإن أصل الأدلة المتقولة عنهم تقتضي ذلك.

المطلب الثالث: أنواع النسخ.

رأي القاضي عياض

قال رحمه الله: ((النسخ في القرآن على ثلاثة وجوه:

١. نسخ حكم بقي لفظه، وهو أكثر المنسوخ^(١).
٢. ونسخ حكم ولفظ، كما حُكي من شأن خمس رضعات^(٢).
٣. ونسخ لفظ وبقاء حكم^(٣)، كما يذكر من آية الرجم، فأنسى الله من ذلك ما شاء لحكمة أرادها.

وتوفي النبي صلى الله عليه وسلم وقد كمل النسخ، وحفظ جميع القرآن.

ثم تأمل ما يذكره الصحابة مما نسخ من ذلك، فإنما أتوا به على المعنى وبعض اللفظ، لا على نص معجز وسياق القرآن، يشهد لذلك ما ذكروه من ذلك المعنى وبعده عن نظم القرآن وبلاغته^(٤).

وقال رحمه الله عند كلامه على نسخ ((والشيخ والشيخة إذا زنيا...))^(٥).

قال: ((وهذه الآية مما نص العلماء أنه مما نسخ لفظه وبقي معناه، وحكمه ثابت، وله نظائر.

(١) ادعى بعضهم الإجماع عليه، لكن حكى جماعة من الحنفية والحنابلة عدم الجواز عن بعض أهل الأصول وعللوا المنع بأنه إذا انتفى الحكم فلا فائدة في التلاوة.

قال الشوكاني: وهذا قصور عن معرفة الشريعة وجهل كبير بالكتاب العزيز فإن المنسوخ حكمه الباقية تلاوته في الكتاب العزيز مما لا ينكره من له أدق قدم في العلم.
إرشاد الفحول ٣٢٠-٣٢١.

(٢) رواه مسلم (١٤٥٢) من حديث عائشة.

(٣) ومنع قوم من نسخ اللفظ مع بقاء حكمه وبه حزم شمس الأئمة السرخسي لأن الحكم لا يثبت بدون دليله.
قال الشوكاني: ولا وجه لذلك فإن الدليل ثابت موجود محفوظ ونسخ كونه قرآناً لا يستلزم عدم وجوده ولهذا رواه الثقات في مؤلفاتهم.

انظر: الفصول ٢/٢٥١، إرشاد الفحول ٣٢٢.

(٤) إكمال المعلم، كتاب الزكاة، باب لو أن لابن آدم واديين، ٣/٥٨٥.

(٥) روى البعاري أصله من غير ذكر الآية (٦٤٤٢)، ومسلم (١٦٩١). وبذكر الآية ابن ماجة (٢٥٥٣).

لكن لا يصح أن يثبت قرآنا في المصحف، ولا يتلى، إذ لم يكتب في المصحف لفظه.

بل هذا ومثله مما أنسى الله المسلمين حفظه، حكمة منه وآية لعباده^(١).

ألا ترى أنه لو كان باقيا لفظه لم يجد المبتدع إلى التكذيب بحكمه سبيلا.

ألا ترى أن ما ذكر عمر رضي الله عنه منها - والله أعلم - إخبار على معنى ما كان حفظ من القرآن، إذ هذا اللفظ والنظم بعيد عن بلاغة القرآن ونظمه^(٢).

* وقد ذكر هذا التقسيم جمهور الأصوليين^(٣)، وجمع من شراح الحديث^(٤)، وحكوا الاتفاق عليها إلا ما ورد عن بعض المعتزلة^(٥).

قال ابن مفلح: ((ولم تخالف المعتزلة في نسخهما معا خلافا لما حكاه الآمدي عنهم))^(٦).

(١) قال الحافظ ابن حجر شارحا لقوله صلى الله عليه وسلم: بئس ما لأحدهم أن يقول نسيت آية كيت وكيت بل أنسى.

قال: قال الإمام علي أيضا يحتمل أن يكون فاعل نسيت النبي صلى الله عليه وسلم كأنه قال: لا يقل أحد عني إني نسيت آية كذا فإن الله هو الذي نساني ذلك لحكمة نسجه ورفع تلاوته، وليس لي في ذلك صنع، بل الله هو الذي ينسني لما تنسخ تلاوته، وهو كقوله تعالى: {سَتَقَرُّكَ فَلَا تَنْسَى إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ} (الأعلى: ٦-٧) فإن المراد بالنسي ما ينسخ تلاوته فينسى الله نبيه ما يريد نسخ تلاوته.

قال الخطابي: يحتمل أن يكون ذلك عاصا بزمان النبي صلى الله عليه وسلم، وكان من ضروب النسخ نسيان الشيء الذي ينزل ثم ينسخ منه بعد نزوله الشيء فيذهب رسمه وترفع تلاوته ويسقط حفظه عن حملته، فيقول القائل نسيت آية كذا فنهوا عن ذلك لئلا يتوهم على محكم القرآن الضياع وأشار لهم إلى أن الذي يقع من ذلك إنما هو بإذن الله لما رآه من الحكمة والمصلحة. فتح الباري ٨١/٩.

قال السرخسي: وأما نسخ الرسم والتلاوة فإنما يكون بأن ينسيهم الله تعالى إياه ويرفعه من أوهامهم أو يأمرهم بالإعراض عن تلاوته. الفصول ٢٥١/٢.

(٢) إكمال المعلم، كتاب الحدود، باب رجم الثيب من الزنا، ٥٠٨/٥.

(٣) الإشارة ٢٦٢، إحكام الفصول ٤٠٣، شرح تنقيح الفصول ٣٠٩، أصول السرخسي ٧٨/٢، الفصول ٢٥١/٢، كشف الأسرار ١٨٨/٣، اللع ٥٧، المحصول ٤٨٢/٣، الإحكام ١٥٤/٣، تشنيف المسامع ٨٦٣/٢، المدة ٧٨٠/٣، الروضة ٧٤، شرح الكوكب المنير ٥٥٣/٣، المدخل ٢١٦، المعتمد ٣٨٦/١، إرشاد الفحول ٣٢١.

(٤) انظر: شرح النووي ٢٩/١٠، تحفة الأحوذى ٢٥٩/٤، سبل السلام ٢١٦/٣، عون المعبود ٤٧/٦.

(٥) قال الآمدي: للسائلة السادسة اتفق العلماء على جواز نسخ التلاوة دون الحكم وبالعكس ونسخهما معا، خلافا لطائفة شاذة من المعتزلة. الإحكام ١٥٤/٣.

(١) شرح الكوكب المنير ٥٥٣/٣، لكن الآمدي لم يحكم عن جميع المعتزلة، إنما حكاه عن طائفة منهم. انظر النقل السابق.

- وقد جعل أبو إسحاق المروزي والسمعاني^(١) وغيرهما ذلك ستة أقسام^(٢)

الأول: ما نسخ حكمه وبقي رسمه.

كنسخ آية الوصية للوالدين والأقربين بآية المواريث ونسخ العدة حولاً بالعدة أربعة أشهر وعشراً، وإلى جواز ذلك ذهب الجمهور.

الثاني: ما نسخ حكمه ورسمه، وثبت حكم الناسخ ورسمه.

كنسخ صيام عاشوراء بصيام رمضان.

الثالث: ما نسخ حكمه وبقي رسمه، ورفع رسم الناسخ وبقي حكمه.

كقوله تعالى: {فَأَمْسِكُوهُمْ فِي الْبُيُوتِ حَتَّى يَتَوَفَّاهُنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا} (النساء: من الآية ١٥)، بقوله تعالى: ((الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة نكالا من الله)) (الرابع: ما نسخ حكمه ورسمه، ونسخ رسم الناسخ وبقي حكمه.

كما ثبت في الصحيح عن عائشة أنها قالت: كان فيما أنزل عشر رضعات متتابعات يجرمن فنسخن بخمس رضعات، فتوفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهن فيما يتلى من القرآن.

قال ابن السمعاني: وقولها وهن مما يتلى من القرآن بمعنى أنه يتلى حكمها دون لفظها.

وقال البيهقي^٣ المعنى أنه يتلوه من لم يبلغه نسخ تلاوته.

الخامس: ما نسخ رسمه لا حكمه ولا يعلم الناسخ له.

وذلك كما ثبت في الصحيح لو كان لابن آدم واديان من ذهب لتمني لهما ثالثاً ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب ويتوب الله على من تاب فإن هذا كان قرعانا ثم نسخ رسمه^(٤).

(١) قواطع الأدلة ١/٤٢٦-٤٢٨.

(٢) للدخل ٢١٦، إرشاد الفحول ٣٢١.

(٣) أحمد بن الحسين بن علي بن عبدالله بن موسى، أبوبكر البيهقي الخسروجردي الخراساني الشافعي، محدث، فقيه، ثبت، غلب عليه الحديث، له مؤلفات قيل إنها بلغت الألف، ومنها: السنن الكبير، المبسوط في نصوص الشافعي، الجامع، الترغيب والترهيب، ولد عام ٣٨٤هـ وتوفي عام ٤٥٨هـ. انظر: وفيات الأعيان ١/٧٥، طبقات السبكي ٨/٤، شلرات الذهب ٣/٣٠٤، سير أعلام النبلاء ١٨/١٦٣، طبقات بن قاضي شهبة ١/٢٢٦.

(٤) رواه البعاري (٦٠٧٢-٦٠٧٥)، ومسلم (١٠٤٨-١٠٤٩) من حديث أنس وابن عباس.

قال أنس: عن أبي قال: كنا نرى هذا من القرآن حتى نزلت الأحكام التكاثر.

ومنه قول من قال إن سورة الأحزاب كانت نحو سورة البقرة.

السادس: ناسخ صار منسوخا وليس بينهما لفظ متلو.

كالموارث بالخلف والنصرة فإنه نُسخ بالتوارث بالإسلام والمهجرة ونسخ التوارث بالإسلام والمهجرة بآية الموارث.

قال السمعاني: وعندي أن القسمين الأخيرين تكلف، وليس يتحقق فيهما النسخ^(١).

* وزاد الأحناف^(٢): والنسخ بطريق الزيادة على النص، وسيأتي بيانه في مبحث مستقل.

أدلة الجمهور على جواز هذه الأقسام^(٣):

أ. من المعقول:

- جواز تلاوة الآية حكم، ولهذا يثاب عليها بالإجماع.

وما يترتب عليها من الوجوب والتحريم وغير ذلك حكم.

وإذا كانا حكمين جاز أن يكون إثباتهما مصلحة في وقت، ومفسدة في وقت، وأن لا يكون إثبات أحدهما مصلحة مطلقا، وإثبات أحدهما مصلحة في وقت دون وقت، وإذا كان كذلك جاز رفعهما معا ورفع أحدهما دون الآخر.

- التلاوة والحكم عبادتان منفصلتان وكل ما كان كذلك فإنه غير مستبعد في العقل أن يصيرا معا مفسدتين أو أن يصير أحدهما مفسدة دون الآخر وتكون الفائدة في بقاء التلاوة دون الحكم ما يحصل من العلم بأن الله تعالى أزال مثل هذا الحكم رحمة منه على عباده.

ب. من المنقول:

- نسخ التلاوة والحكم يدل عليه ما روت عائشة أنها قالت: فيما أنزل عشر رضعات محرقات فنسخت بخمس.

قال ابن عباس: فلا أدري من القرآن هو أم لا.

(١) قواطع الأدلة ١/٤٢٨.

(٢) أصول السرخسي ٢/٧٨.

(٣) الإشارة ٢٦٢، قواطع الأدلة ١/٤٢٧، المحصول ٣/٤٨٢-٤٨٦، الإحكام ٣/١٠٤-١٠٥، شرح الكوكب

النير ٣/٥٥٨.

وليس في المصحف عشر رضعان محرمان ولا حكمها فهما منسوخان.

- وأما نسخ الحكم دون التلاوة:

فكنسخ حكم آية الاعتداد بالحول، ونسخ حكم آية الوصية للوالدين.

- وأما نسخ التلاوة دون الحكم:

فما روي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال: كان فيما أنزل ((الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة نكالا من الله ورسوله)).

فإنه منسوخ التلاوة دون الحكم.

المطلب الرابع: متى يثبت النسخ في حق المكلف.

تحرير محل النزاع:

قال الغزالي: ((والمختار أن للنسخ حقيقة وهو ارتفاع الحكم السابق ونتيجة وهو وجوب القضاء وانتفاء الإجزاء بالعمل السابق.

- أما حقيقته فلا يثبت في حق من لم يبلغه وهو رفع الحكم لأن من أمر باستقبال بيت المقدس فإذا نزل النسخ بمكة لم يسقط الأمر عن من هو باليمن في الحال بل هو مأمور بالتمسك بالأمر السابق، ولو ترك لعصى وإن بان أنه كان منسوخا ولا يلزمه استقبال الكعبة بل لو استقبلها لعصى، وهذا لا يتجه فيه خلاف.

- وأما لزوم القضاء للصلاة إذا عرف النسخ فيعرف ذلك بدليل نص أو قياس وربما يجب القضاء حيث لا يجب الأداء كما في الحائض لو صامت عصت ويجب عليها القضاء فكذاك يجوز أن يقال هذا لو استقبل الكعبة لعصى ويلزمه استقبالها في القضاء))^(١).

رأي القاضي عياض :

قال رحمه الله: ((... حقيقة الخطاب بالتكليف إنما يتعلق بالبلاغ عند المحققين من أئمتنا، فإن النسخ إذا ورد، فمن لم يبلغه باق على المخاطبة بالعبارة الأولى، وليس في حقه نسخ حتى يبلغه، ومنهم من يثبت النسخ في حقه لكن بشرط أن يبلغه، فهو اختلاف عبارة، وكلهم مجمعون على بقاءه على الحكم الأول وإجزائه.

- إذ الجاهل لا يثبت التكليف في حقه بما جهله ولم يبلغه.

- وهذا من المستحيل.

وإنما ذهب إلى النسخ في حقه طائفة من الفقهاء والمتكلمين الذين لم يقولوا في الأصول. وما قدمناه يرد قولهم))^(٢).

ثم ذكر فروعا للمسألة، وما خرج عنها بمقتضى قواعد آخر أخرجه.

(١) المستصفى ٩٧.

(٢) إكمال المعلم، كتاب المساجد، باب تحويل القبلة، ٤٤٦/٢.

الأقوال في المسألة^(١):

- لا يكون نسخا في حقه ما لم يبلغه.

وهو قول جمهور الفقهاء والمتكلمين وظاهر كلام أحمد، وبه قال الحنابلة، ومذهب الحنفية، ووجه عند الشافعية.

- النسخ يحصل في حقه، وإن كان جاهلا به.

حكى ابن برهان^٢ أنه مذهب أصحابه، ونصره، واختاره أبو الطيب، والباقلاني.

أدلة الجمهور^(٣):

- أهل قباء بلغهم نسخ الصلاة إلى بيت المقدس وهم في الصلاة، فاعتدلوا بما مضى من صلاتهم.

- الناسخ هو الراجع لكن العلم شرط، فلا نسخ قبل وجود الشرط.

- الناسخ خطاب، ولا يصير خطابا في حق من لم يبلغه.

نوع الخلاف في المسألة:

قال الجويني: ((وعندنا أن المسألة إذا حقق تصويرها لم يبق فيها خلاف. فإن قيل على من لم يبلغه الخير الأخذ بحكم الناسخ قبل العلم به، فهذا ممتنع عندنا، وهو من فن تكليف ما لا يطاق، وهو مستحيل في تكليف الطلب، وإن أريد بثبوت النسخ في حق من لم يبلغه الخير أن الخير إذا بلغه لزمه تدارك أمر فيما مضى، فهذا لا امتناع فيه. وإذا ردت المذاهب المطلقة في النفي والإثبات إلى هذا التفصيل لم يبق للخلاف تحصيل مسألة^(٤).

(١) نثر الورود ٣٥٢/١-٣٥٣، المستصفى ٩٧، المسودة، روضة الناظر ٨٣-٨٤.

(٢) أحمد بن علي بن محمد الوكيل المعروف بابن برهان -بفتح الباء- الفقيه الشافعي الأصولي، المحدث، كان حنبلي للمذهب ثم انتقل إلى مذهب الشافعي، عرف بالذكاء والحفظ حتى ضرب به المثل، له الوصول إلى الأصول، ولد عام (٤٧٩هـ)، وتوفي عام (٥١٨هـ). طبقات الشافعية لابن هداية ٢٥٢، طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة ٢٨٦/١، شذرات الذهب ٦١/٤، الفتح المبين ١٦/٢.

(٣) للمستصفى ٩٧، المسودة، روضة الناظر ٨٣-٨٤.

(٤) الرهان ٨٥٥/٢.

وهل يثبت النسخ بخبر الآحاد.

أولاً: نسخ القرآن بالسنة ونسخ السنة بالقرآن.

لا خلاف بين القائلين بوقوع النسخ على جواز نسخ الكتاب بالكتاب، والسنة المتواترة بالمتواترة، والآحاد بالمتواترة، بيد أنهم يختلفون في جواز نسخ الكتاب أو المتواتر بخبر الواحد^(١).

وقد ذهب القاضي عياض إلى جواز نسخ الكتاب والمتواتر بخبر الواحد.

ومما يدل على أنه ممن يرى جواز نسخ الكتاب والمتواتر بخبر الواحد نصوصه الآتية قال — في سياق رده على من منع النسخ بخبر الواحد — : ((إن العمل بخبر الواحد مقطوع به، كما أن العمل بالحكم المقطوع بصحته من الكتاب والسنة المتواترة مقطوع به، ولأن الدليل الموجب لثبوت الحكم أولاً غير الدليل الموجب لنفيه وثبوت غيره، وإلى جواز النسخ بخبر الواحد مال القاضي وغيره من المحققين))^(٢).

فنسبته القول بجواز النسخ به إلى المحققين يدل على أنه يرى ذلك، وهذا ظاهر.

وقال في موضع آخر في النهي عن الجمع بين الأختين: ((وقد كان في جمع الوطاء بملك اليمين اختلاف من بعض السلف، استقر بعد الإجماع عليه، إلا طائفة من الخوارج لا يلتفت إلى قولهم... تعلقاً بأن أخبار الآحاد لا يخصص بها عموم القرآن، وهما مسائلنا خلاف بين أهل الأصول — يعني النسخ والتخصيص — والصحيح جوازهما))^(٣).

وهذا نص منه - رحمه الله - على جواز نسخ الكتاب والمتواتر بخبر الواحد.

أقوال العلماء في المسألة:

(١) إرشاد الفحول ص ٣٢٣

(٢) إكمال المعلم، كتاب المساجد، باب تحويل القبلة ٤٤٥/٢

(٣) إكمال المعلم، النكاح، باب تحريم الجمع بين المرأة وعمتها أو خالتها في النكاح ٥٤٧/٤

— ذهب إلى القول بجواز نسخ الكتاب والخير المتواتر بخير الأحاد عقلاً جمهور الأصوليين^(١)

وذهبت طائفة إلى منعه عقلاً^(٢).

والذين جوزوه عقلاً تنازعوا في جوازه ووقوعه شرعاً؛ فالذي عليه جمهورهم:

أن نسخ القرآن والسنة المتواترة بخير الواحد لم يرد به الشرع^(٣)

وذهبت طائفة من المحققين إلى جوازه ووقوع شرعاً^(٤)

الأدلة:—

حجة المانعين:

استدل من منع ذلك عقلاً: بأن حكم القرآن والخير المتواتر ثابت معلوم، وخير موجب

مظنون غير معلوم^(٥)

وأجيب: بأن الحكم الثابت

والراجع

هو ما ذهب إليه القاضي عياض من جواز النسخ بخير الواحد مطلقاً، وكذا العكس، وذلك لأنه واقع في الشرع والعقل لا يحيله، والله تعالى أعلم.

* * *

(١) الإحكام ٢/٣٠٩، العدد ٥٥٥/٢، الواضح لابن عقيل ٤/٢٩٠-٢٩٤، الإحكام لابن حزم ٤/٤٧٧، إحكام الفصول ٤١٨، المذكرة ص ٨٦.

(٢) انظر المراجع السابقة

(٣) البرهان ٢/٨٥٤، إحكام الفصول ٤١٨، المذكرة ٨٦.

(٤) منهم الباقلاني والباهي والغزالي المستفى ١/١٢٧— الإحكام ٣/٢٠٩، نهاية السؤل ٢/٥٨٦، إحكام الفصول

ص ٤١٨ وقال ابن عقيل: هو رواية عن الإمام أحمد الواضح ٤/٢٩٠، التحبير شرح التحرير ٦/٤٣٠٣.

(٥) البرهان ٢/٨٥٤، إحكام الفصول ٤١٩،

المطلب السادس: هل الزيادة على النص نسخ؟

تحرير المسألة^(١):

- لا خلاف بين أهل العلم أن النقصان من العبادة نسخ.

- أما الزائد: فإما أن يكون مستقلا بنفسه أو لا.

الأول المستقل: إما أن يكون من غير جنس الأول كزيادة وجوب الزكاة على الصلاة فليس بناسخ لما تقدم من العبادات بلا خلاف^(٢).

وإما أن يكون من جنسه كزيادة صلاة على الصلوات الخمس فهذا ليس بنسخ على قول الجمهور.

وذهب بعض أهل العراق إلى أنها تكون نسخا لحكم المزيد عليه.

كقوله تعالى: {حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى} (البقرة: ٢٣٨)، لأنها زيادة صلاة تجعل الوسطى غير وسطى.

قال الشوكاني: ((وهو قول باطل لا دليل عليه ولا شبهة دليل))^(٣).

الثاني: غير المستقل:

كزيادة ركعة على الركعات، وزيادة التغريب على الجلد، وزيادة وصف الرقبة بالإيمان. وهو محل الخلاف.

(١) المنحول ٢٢٩، المحصول ٥٤١/٣، إعلام الموقعين ٣١٠/٢، شرح الكوكب للنير ٥٨٣/٣، المدخل ٢١٧، إرشاد الفحول ٣٣١.

(٢) قال في المحصول اتفق العلماء على أن زيادة عبادة على العبادات لا تكون نسخا للعبادات.

قال الشوكاني: ومعلوم أنه لا يخالف في مثل هذا أحد من أهل الإسلام لعدم التناهي.

(٣) قال الشوكاني: فإن الوسطى ليس المراد بها المتوسطة في العدد بل المراد بها الفاضلة، ولو سلمنا أن المراد بها المتوسطة في العدد لم تكن تلك الزيادة محرجة لها عن كونها مما يحافظ عليه فقد علم توسطها عند نزول الآية وصارت مستحقة لذلك الوصف.

قال القاضي عبد الجبار: ويلزمهم زيادة عبادة على العبادة الأعيرة لأن هذه الميزة تصير أعيرة وتجعل تلك التي كانت أعيرة غير أعيرة وهو خلاف الإجماع.

والمزمع الرازي بأنه لو كان عدد كل الواجبات قبل الزيادة عشرة فبعد الزيادة لا يبقى ذلك العدد فيكون نسخا يعني وهو خلاف الإجماع. إرشاد الفحول ٣٣٢.

رأي القاضي عياض:

قال رحمه الله (وقولها: -عائشة-) ((فأقرت صلاة السفر)) أي بقيت على ما كانت قبل النسخ من وجوبها ركعتين ...

وهذا على قول من يرى أن الوجوب إذا نسخ بقي الأمر على الجواز .

قال القاضي وهذه مسألة اختلف فيها أهل الأصول، وكذا اختلفوا في الزيادة على النص هل هونسخ أم لا؟^(١) .

ومن هذا لا يتضح رأيه في المسألة إلا أنه أقر المازري على القول بأن الزيادة على النص لا تكون نسخاً .

فقال : (قال الإمام : اختلف الفقهاء في قبول الشاهد الواحد في بعض الحقوق والمطالب فنفي بعضهم قبوله أصلاً، ورأى أن قوله تعالى : { فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ } (البقرة: من الآية ٢٨٢) يوجب الاختصار على هذا المذكور في القرآن ، وإذا جاء هذا الحديث بخلافه وسلم من القدح فيه باحتمال لفظه، وأن القضية لم تنقل صفتها فإن ذلك زيادة على النص ، والزيادة على النص لا تكون نسخاً في كل موضع والنسخ لا يكون بأخبار الآحاد . وأما نحن فإننا نقبل الشاهد واليمين في الأموال ، ونرى أن الزيادة على النص لا تكون نسخاً في كل موضع .

وهذا من المواضع التي لا يكون فيها نسخ ونظن أنا قدمنا بسط القول في الأصل). (٢)

(١) إكمال للمعلم ، صلاة المسافرين وقصرها ٨/٣-٩ .

(٢) إكمال للمعلم ، الأقضية، باب القضاء باليمين والشاهد ٥٥٨/٥ .

اختلفوا فيه على أقوال:

- الأول: لا يكون نسخا مطلقا، سواء اتصلت بالمزيد عليه أولا ولا فرق بين أن تكون هذه الزيادة مانعة من إجزاء المزيد عليه بدونها أو غير مانعة.
- وبه قالت الشافعية، والمالكية، والحنابلة، وبعض المعتزلة.
- الثاني: تكون نسخا. قال السرخسي: سواء كانت الزيادة في السبب أو في الحكم.
- وهو قول الحنفية، واختاره بعض الشافعية، وعزي إلى الشافعي أيضا.
- الثالث: إن رفعت الزيادة حكما عقليا أو ما ثبت باعتبار الأصل كبراءة الذمة لم تكن نسخا. وإن تضمنت رفع حكم شرعي كانت نسخا.
- حكى عن أصحاب الشافعي، واختاره ابن برهان والآمدي وابن الحاجب والرازي

(١) وفي المسألة أقوال أخرى، وهي:

- إن كان المزيد عليه ينفي الزيادة بفحواه فإن تلك الزيادة نسخ، كقوله في سائمة الغنم الزكاة فإنه يفيد نفي الزكاة عن المعلوفة.
- وإن كان لا ينفي تلك الزيادة فلا يكون نسخا.
- حكاه ابن برهان وصاحب المعتمد وغيرهما.
- إذا غيرت الزيادة المزيد عليه تغيرا شرعيا حتى صار لو فعل بعد الزيادة على حد ما كان يفعلها قبلها لم يعتد به، وذلك كزيادة ركعة. يكون نسخا.
- وإن كان المزيد عليه يصبح فعله بدون الزيادة لم يكن نسخا، كزيادة التفرغ على الجلد.
- وإليه ذهب بعض الحنابلة، واختاره الباقلاني، وابن الحاجب، والاسترأبادي، وعبد الجبار.
- التفصيل بين أن تنصل به فهي نسخ وبين أن تنفصل عنه فلا تكون نسخا.
- حكى عن عبد الجبار، واختاره الغزالي.
- إن تكن الزيادة مغيرة لحكم للمزيد عليه في المستقبل كانت نسخا، وإن لم تغير حكمه في المستقبل بأن كانت مقارنة لم تكن نسخا.

حكاه ابن فورق عن أصحاب أبي حنيفة، وبه قال أبو الحسن الكرخي، وأبو عبد الله البصري.

انظر: الإشارة ٢٥٦، أحكام الفصول ٤١٠، شرح تنقيح الفصول ٣١٧، شرح العضد ٢/٢٠١، أصول السرخسي ٢/٨٢، التبصرة ٢٧٦، للمستصفي ٩٤، المحصول ١/٩٠، الوصول لابن برهان ٢/٣٢، العدة ٣/٨١٤، الروضة ٧٩، إعلام الموقعين ٢/٣١٠، شرح الكوكب المنير ٣/٥٨١، المدخل ٢١٧، المعتمد ١/٤٠٥.

والبيضاوي، وأبو الحسين البصري، وهو ظاهر كلام الباقلاني والجويني^(١).

فائدة الخلاف في المسألة:

قال الزركشي: ((واعلم أن فائدة هذه المسألة أن ما ثبت أنه من باب النسخ وكان مقطوعا به فلا ينسخ إلا بقاطع كالتغريب، فإن أبا حنيفة لما كان عنده نسخا نفاه لأنه نسخ للقرآن بخير الواحد.

ولما لم يكن عند الجمهور نسخا قبلوه إذ لا معارضة.

وقد ردوا يعني الحنفية بذلك أخبارا صحيحة لما اقتضت زيادة على القرآن ... فردوا أحاديث تعين الفاتحة في الصلاة، وما ورد في الشاهد واليمين، وما ورد في إيمان والرقبة، وما ورد في اشتراط النية في الوضوء^(٢).

* قال ابن القيم: فالكلام معكم في الزيادة المغيرة في ثلاثة مواضع في المعنى والاسم والحكم^(٣).

أدلة الجمهور على الأحناف^(٤):

ناقش ابن القيم الأحناف فذكر اثنين وخمسين وجها، منها:

(١) قال الصفي الهندي: إنه أجود الطرق وأحسنها. قال بعض المحققين: إن هذه التفاصيل لا حاصل لها، وليست في محل النزاع فإنه لا ريب عند الكل أن ما رفع حكما شرعيا كان نسخا حقيقة، وليس الكلام هنا في مقام أن النسخ رفع أو بيان، وما لم يكن كذلك فليس بنسخ، فإن القائل حينما فصل بين ما رفع حكما شرعيا وما لا يرفع كأنه قال إن كانت الزيادة نسخا فهي نسخ وإلا فلا، وهذا لا حاصل له، وإنما النزاع منهم هل ترفع حكما شرعيا فتكون نسخا أو لا تكون نسخا، فلو وقع الاتفاق على أنها ترفع حكما شرعيا لوقع الاتفاق على أنها نسخ، ولو وقع الاتفاق على أنها لا ترفع حكما شرعيا لوقع الاتفاق على أنها ليست بنسخ. ولكن النزاع في الحقيقة إنما هو في أنها رفع أم لا. إرشاد الفحول ٣٣٣.

(٢) البحر المهيض. وانظر: إحكام الأحكام لابن دقيق العيد ١١١/٤، بداية المجتهد ٣٢٧/٢، فتح الباري ٢٨١/٥، شرح الكوكب المنير ٥٨٢/٣. ومخالف الأحناف أصلهم في مواضع، انظر: إعلام الموقعين ٣١٢/٢، شرح الكوكب المنير ٥٨٣/٣.

(٣) إعلام الموقعين ٣١٠/٢.

(٤) التبصرة ٢٧٦، إعلام الموقعين ٣١٢/٢-٣٨٢.

- الأحناف أول من نقض هذا الأصل الذي أصولوه، فإنهم قبلوا خير الوضوء بنييد التمر وهو زائد على ما في كتاب الله، مغير لحكمه، وقبلوا خير الأمر بالوتر مع رفعه لحكم شرعي، وهو اعتقاد كون الصلوات الخمس هي جميع الواجب.

- قال تعالى: {وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ} (الحشر: من الآية ٧).

فإن الله سبحانه ولّى نبيه منصب التشريع عنه ابتداء، كما ولاه منصب البيان لما أراده بكلامه، بل كلامه كله بيان عن الله.

والزيادة بجميع وجوها لا تخرج عن البيان بوجه من الوجوه.

- النسخ في اللغة هو الرفع والإزالة ثم خص في الشرع ببعض ما تناوله الاسم فقيل هو رفع الحكم الثابت بالنص وهذه الحقيقة لا توجد فيما زيد فيه لأن الحكم الثابت بالنص باق كما كان لم يزل ولم يرتفع وإنما لزمه زيادة فلم يكن ذلك نسخا يدل على أنه لو كان في الكيس مئة درهم فزيد عليه شيء آخر لم يكن ذلك رفعا لما في الكيس كذلك هاهنا^(١).

- الله سبحانه نصب رسول الله صلى الله عليه وسلم منصب المبلغ المبين عنه، فكل ما شرعه للأمة، فهو بيان منه عن الله أن هذا شرعه ودينه، ولا فرق بين ما يبلغه عنه من كلامه المتلو، ومن وحيه الذي هو نظير كلامه في وجوب الإتيان، ومخالفة هذا كمخالفة هذا.

- أن الله سبحانه أمرنا بإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وحج البيت، وصوم رمضان، وجاء البيان عن رسوله صلى الله عليه وسلم بمقادير ذلك، وصفاته، وشروطه.

فإذا أمر الرسول بأمر كان تفصيلا وبيانا للطاعة المأمور بها، وكان فرض قبوله كفرض قبول الأصل المفصل، ولا فرق بينهما.

- الزيادة لو كانت ناسخة لما جاز اقتراحها بالمزيد لأن الناسخ لا يقارن المنسوخ وقد جوزتم اقتراحها به وقتلتم تكون بيانا أو تخصيصا.

الفصل الرابع: آراؤه في مباحث الإجماع

المبحث الأول: حكم الإجماع والعمل به.

المبحث الثاني: منكر الإجماع.

المبحث الثالث: مستند الإجماع.

المبحث الرابع: هل يصح الإجماع بعد الخلاف

المبحث الخامس: خلاف الواحد معتبر ولا ينعقد الإجماع بدونه.

المبحث السادس: الاعتداد بالمتبدع والفاسق في الإجماع.

المبحث السابع: اشتراط انقراض العصر في الإجماع.

المبحث الثامن: حكم إحداث قول ثالث في مسألة الخلاف فيها على قولين

المبحث التاسع: حجية الإجماع السكوتي وحكم فعل الإمام إذا لم يعرف له مخالف هل هو

إجماع؟

المبحث العاشر: إجماع أهل المدينة.

المبحث الأول: حكم الإجماع والعمل به.

تعريف الإجماع:

أ. لغة:

الإجماع في اللغة يأتي لمعنيين هما: العزم والاتفاق^(١).
فالعزم منه قوله تعالى: {فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ} (يونس: ٧١).
والاتفاق كقوله: أجمع القوم على كذا، أي اتفقوا عليه.

ب. اصطلاحاً:

اتفاق مجتهدي أمة محمد صلى الله عليه وسلم بعد وفاته في عصر من العصور على أمر من أمور الدين^(٢).

رأي القاضي عياض في الإجماع:

القاضي عياض ممن يحتاج بالإجماع ويراه دليلاً من أدلة الشرع ويدل لذلك أمور منها:

١- أنه ذكر أن الإجماع مصدر من مصادر الشرع حيث قال رحمه الله: ((ثم إجماع المسلمين مرتب عليهما، ومُسند إليهما، فلا يصح أن يوجد وينعقد إلا عنهما، إما من نص عرفوه ثم تركوا نقله، أو من اجتهاد مبني عليهما على القول بصحة الإجماع من طريق الاجتهاد))^(٣).

٢- رد على المنكرين للإجماع، كالنظام والخوارج وأهل البدع، حيث قال في مسألة إمامة قريش: ((هذه الأحاديث وما في معناها في هذا الباب حجة أن الخلاف لقريش، وهو مذهب كافة المسلمين وجماعتهم، وبهذا احتج أبو بكر وعمر على الأنصار يوم السقيفة، فلم يدفعه أحد عنه، وقد عدّها الناس في مسائل الإجماع، إذ لم يؤثر عن أحد من السلف فيها خلاف، قولاً ولا عملاً، قرناً بعد قرن... ولا اعتبار بقول النظام ومن وافقه من الخوارج وأهل البدع، إنها تصح في غير

(١) انظر: مشارق الأنوار ١/٢٤٠، إكمال للمعلم ١/٢٧٩، المصباح ١٠٩، الصالح ٣/١١٩٩.

(٢) انظر تعريفات في: مختصر ابن الحاجب مع العضد ١٠٧، شرح تنقيح الفصول ٥٣، نثر الورود ٢/٤٢٥، اللع ٢٤٥، المستصفى ١/٣٢٥، الإحكام ١/٢٥٣، المحصول ٤/٢٠، الإمام ٢/٣٤٩، البحر المحيط ٣/٤٨١، نهاية السؤل ٢/٣٨٠، نهاية الوصول ١/٢٦٨، كشف الأسرار ٣/٤٢٣، تيسر التحرير ٣/٢٢٤، فواتح الرحموت ٢/٢٦٧، الروضة ١/٢١٩، شرح مختصر الروضة ٣/٦، شرح الكوكب المنير ٢/٢١٠، إرشاد الفحول ١٠٩.

(٣) ترتيب للمدارك ١/٨١.

قريش ولا لسخافة ضرار بن عمرو في قوله: إن غير القرشي من النبط وغيرهم، يقدم على القرشي، وأن خلعه إذا وجب ذلك، إذ ليس له عشيرة تمنعه. وهذا كله هزؤ من القول ومخالفة لما عليه السلف وجماعة المسلمين^(١).

٣- الاستدلال بالإجماع في بعض المسائل على نفي الخلاف فيها كمسألة الاستخلاف حيث قال رحمه الله: ((وفيه جواز انعقاد الخلافة بالوجهين: التقليم، والعقد من المتولي كفعل أبي بكر لعمر، أو بعقد أهل الحل والعقد والاختيار، كفعل الصحابة بعد النبي صلى الله عليه وسلم، وهذا مما أجمع المسلمون عليه. وفيه أنه لا بد من إقامة خليفة وهذا مما أجمع المسلمون عليه بعد النبي صلى الله عليه وسلم، وفي سائر الأعصار خلافا للأئم، حتى ذهب بعض الناس إلى أن ذلك واجب عقلا ...))^(٢).

٤- نقله الإجماع في المسائل: وهذا عنده كثير جدا خاصة في إكمال المعلم^(٣). قال الشيخ الدكتور شواظ: ((أكثر القاضي من ذكر الإشارة إلى الإجماعات الفقهية، وقد لاحظت أثناء التحقيق أن بعض الإجماعات التي ذكرها القاضي لا توجد في كتاب الإجماع لابن المنذر، ولا في كتاب مراتب الإجماع لابن حزم مما يشرح كتاب القاضي ليكون مصدرا في هذا الباب وقد عدت له (٥٩) إجماعا في أقل من نصف الكتاب))^(٤).

* هذا والقول بالإجماع وحجته قول كافة الأمة وعلمائها^(٥).

قال ابن حزم: ((ثم اتفقنا نحن وأكثر المخالفين لنا على أن الإجماع من علماء الإسلام حجة، وحق مقطوع به في دين الله عز وجل))^(٦).

(١) إكمال المعلم، كتاب الإمارة، باب الناس تبع لقريش، ٢١٤/٦.

(٢) إكمال المعلم، كتاب الإمارة، باب الاستخلاف وتركة، ٢٢٠/٦.

(٣) انظر مثلا: إكمال المعلم: ٢/٤٥٨، ٢٠٣، ١١، ١٠٠، ٥٧٦/٤، ١٠٤، ٣٦٤/٥، ٣٢٨، ٢٨٢.

٤١٠/٦، ٤٠٠، ٢٧٣، ٩٠، ١١، ٩٠٧/٧، ٢٩٤، ١٣٣.

(٤) منهجية فقه الحديث عند القاضي عياض ٢٧٧، ٣١٤.

(٥) إحكام الفصول ٤٤١/١، الإشارة ٨٨، مفتاح الوصول ١٦٤، أصول السرخسي ٢٩٥، نهاية الوصول ٢٨٢/١، المغني

٢٧٣، كشف الأسرار ٣/٤٢٤، تيسير التحرير ٣/٢٢٥، فواتح الرحموت ٢/٢٦٩، اللع ٢٤٥، المستصفي ١/٣٢٧،

الإحكام ١/٢٥٧، المحصول ٤/٣٥، الوصول ٢/٧٢، الإجماع ٢/٣٥٣، نهاية السؤل ٢/٣٨٢، العدة ٢/١٨٣، الروضة

٢/٢٢٢، شرح مختصر الروضة ٣/١٤، شرح الكوكب المنير ٢/٢١٣، للمتمد ٤١٢، الإحكام لابن حزم ٤/٥٣٨، إرشاد

الفحول ١١٢.

(٦) الإحكام لابن حزم ٤/٥٣٨.

وقال الزركشي: ((وذهب جمهور الصحابة والتابعين، وأكثر المسلمين إلى أن الإجماع حجة الله — عز وجل — في شريعته، مع اختلافهم في شروطه))^(١).

وقال الآمدي: ((اتفق أكثر المسلمين على أن الإجماع حجة شرعية يجب العمل به على كل مسلم، وخالف في حجية الإجماع والعمل به النظام من المعتزلة والخوارج والشيعة))^(٢).
أدلة الجمهور لحجية الإجماع^(٣):

استدل الجمهور لحجية الإجماع والعمل به بآيات من الذكر الحكيم، وأحاديث من السنة النبوية، وقد أطالوا هم ومخالفوهم المناقشة والردود فيها، إلا أننا سنكتفي بإيرادها، ووجه الدلالة منها. فمن أدلتهم:

أ. الأدلة من القرآن.

١- قوله تعالى: {وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ ۖ وَسَاءَتْ مَصِيرًا} (النساء: ١١٥)

وجه الدلالة: أن فيها التوعيد على اتباع غير سبيل المؤمنين. وسبيلهم ما أجمعوا عليه.

٢- قوله تعالى: {وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا} (البقرة: من الآية ١٤٣). والوسط: العدل الخيار. وجه الدلالة: أخبر الله تعالى أن الأمة عدل، لم يجز عليهم الضلالة، لأنه لا عدالة مع الضلالة، وجعلهم شهداء على الناس، كما جعل الرسول شهيدا عليهم، فلما كان قول الرسول حجة، كذلك قول الأمة، وإنما يتحقق هذا المدح إذا كانوا على الصواب. قوله تعالى: {وَاَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا} (آل عمران: من الآية ١٠٣). وجه الدلالة: نهى عن التفرق، فإن أجمعوا على شيء لم يجز لمن بعدهم أن يترك ذلك القول، لأنه يحصل بذلك التفرق.

(١) البحر المحيط ٤٩١/٣.

(٢) راجع المصادر في الإحالة رقم (٣).

(٣) انظر أدلة الجمهور ومناقشتها مفصلة في: إحكام الفصول ٤٤٣/١-٤٦٤، مختصر ابن الحاجب ١٠٩، شرح تنقيح الفصول ٢٥٤-٢٥٥، نهاية الوصول ٢٧٣/١-٢٨١، أصول السرخسي ٢٩٦-٣٠٠، كشف الأسرار ٤٣٩/٣-٤٤٧، تيسر التحرير ٢٢٨/٣-٢٢٩، فوائح الرحوت ٢٦٩/٢-٢٨٥، الملح ٢٦١، للصفى ٣٢٨/١، لإحكام ٢٥٨/١-٢٨٣، المصنوع ٣٥/٤-١٠١، الإجماع ٣٥٢/٢-٣٥٦، نهاية السؤل ٣٨٤/٢-٣٩٧، لعل ١٨٣/٢-١٨٩، الروضة ٢٢٢/١-٢٢٩، شرح مختصر الروضة ١٤/٣-٢٩، شرح الكوكب للنير ٢١٥/٢-٢٢٤، إرشاد الفحول ١١٣-١١٩.

٣- قوله تعالى: {كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ} (آل عمران: من الآية ١١٠) وجه الدلالة: ذكرهم في سياق المدح يدل على أنهم على الصواب، والصواب يجب اتباعه، فيجب اتباعهم، ولأنه تعالى وصفهم بأنهم يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، واللام للعموم، فيأمرون بكل معروف، فلا يفهم حق لأنه من جملة المعروف، وقوله: {وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ} والمنكر باللام يفيد أنهم ينهون عن كل منكر، فلا يقع الخطأ بينهم ويوافقوا عليه.

٤- وقوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ} (النساء: من الآية ٥٩). وجه الدلالة: شرط الرجوع إلى الله والرسول عند التنازع، فإذا أجمعوا عدم الشرط، فلم يجب الرد، لأن تعليق الحكم بالشرط يدل على أن ما عداه بخلافه.

٥- قوله تعالى: {وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةً يَهْتَدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ} (الأعراف: ١٨١).

٦- قوله تعالى: {وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ} (الشورى: من الآية ١٠) ومفهومه أن ما اتفقت عليه فهو حق. قال القرافي رحمه الله: بعد ذكره الآيات ووجه الدلالة منها: ((والعمدة الكبرى: أن كل نص من هذه النصوص مضموم للاستقراء التام من نصوص القرآن والسنة وأحوال الصحابة، وذلك يفيد القطع عند المطلع عليه، وأن هذه الأمة معصومة من الخطأ، وأن الحق لا يفوتها فيما بينته شرعا، فالحق واجب الاتباع، فقولهم واجب الاتباع))^(١).

ب. الأدلة من السنة:

ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((لا تجتمع أمتي على ضلالة)). وروي ((على خطأ))^(٢).

(١) شرح تنقيح الفصول ٢٥٥.

(٢) - رواه أبو داود عن أبي مالك الأشعري قال ابن كثير: وفي إسناد هذا الحديث نظر.

- رواه الترمذي عن ابن عمر وقال: غريب من هذا الوجه. قال ابن كثير: وفي إسناده سليمان بن سفيان، وقد ضعفه الأكثرون. - عن أبي بصرة الغفاري، قال المهيدي: رواه أحمد والطبراني وفيه رلو لم يسم.

- رواه الحاكم عن ابن عمر، وعلمه الحاكم والدارقطني. - رواه الإمام أحمد من حديث أبي ذر، وفيه البحرني: واه.

وغيرها من الطرق التي تدل إن للحديث أصلا، فيتقوى بها.

انظر: تحفة الطالب ص ١٤٦-١٤٧، مجمع الزوائد ٢٢١/٧-٢٢٢، تذكرة المحتاج ١/٥١-٥٦.

وروي: ((ما رآه المسلمون حسناً، فهو عند الله حسن، وما رآه المسلمون قبيحاً، فهو عند الله قبيح))^(١).

وروي: ((من فارق الجماعة قدر شبر، فقد خلع ربة الإسلام من عنقه))^(٢).

و((من فارق الجماعة مات ميتة جاهلية))^(٣).

وروي: ((عليكم بالسواد الأعظم))^(٤).

وجه الدلالة: وهذا كله يدل على أن اتباع المجمعين فيما أجمعوا عليه واجب.

وهذه الأحاديث تفيد التواتر المعنوي في عصمة الأمة، وأن الأمة تلتفت هذه الأصول بالقبول.

ج. الأدلة من المعقول:

استدل الجمهور لحجية الإجماع بالمعقول أيضاً. فمن ذلك:

١- أن هذه الأمة هي آخر الأمم، ولا نبي بعد نبيها صلى الله عليه وسلم، فلو جاز أن يجتمعوا على خطأ، لاحتاجوا إلى نبي يدعوهم إلى الحق، كما احتاجت غيرهم من الأمم إلى ذلك، فجعل الله تعالى إجماعهم معصوماً من الخطأ والزلل، حتى لا يخرج الحق عنهم.

٢- أن الجماعات الكثيرة على اختلاف، ولا يجوز أن يتفقوا على قول إلا لداع، ولا يجوز أن يكون ذلك هو التقليد، لأن الكثير منهم يطل التقليد، ولو دعتهم شبهة لنقلت، ونقل خوضهم فيها، فلما لم ينقل، علمنا أنهم أجمعوا بحجة قاطعة، وجرى مجرى اتفاقهم على رواية ما شاهدوه في أنهم لا يجوز عليهم الخطأ فيه.

(١) أحمد (١٣٧٩)، عن ابن مسعود موقوفاً. قال ابن حجر: أخرجه أحمد موقوفاً على ابن مسعود بإسناد حسن. وقال ابن كثير: بسند جيد.

قال ابن كثير: رواه سيف بن عمر في كتاب وفاة النبي صلى الله عليه وسلم عنه مرفوعاً، ولكن بإسناد غريب جداً. انظر: تحفة الطالب ٤٥٦، الدراية ١٨٧/٢.

(٢) رواه أبو داود (٤٧٥٨) والحاكم (٢٠٣/١) من رواية أبي ذر. قال الحاكم: ورواه ابن عمر بإسناد صحيح على شرط الشيخين.

ورواه الترمذي (٢٨٦٣)، ابن عزيمة ١٩٥/٣ من حديث الحارث الأشعري من كلام يحيى عليه السلام. خلاصة البدر المنير ٢٩٠/٢.

(٣) رواه البخاري (٦٦٤٦)، ومسلم (١٨٤٩)، من حديث ابن عباس.

(٤) ابن ماجه (٣٩٥٠)، من حديث أنس بن مالك. قال البوصيري: هذا إسناد ضعيف لضعف أبي خلف الأعمى، ورواه أبو يعلى اللصلي، وقد روى هذا الحديث من حديث أبي ذر، وأبي مالك الأشعري، وابن عمر، وأبي نصره وقدامة بن عبد الله الكلبي، وفي كلها نظر قاله شيخنا العراقي رحمه الله. مصباح الرجاجة ١٦٩/٤.

- ٣- قال الآمدي: وأما المعقول فهو أن الخلق الكثير، وهم أهل كل عصر إذا اتفقوا على حكم قضية، وجزموا به جزماً قاطعاً، فالعادة تميل على مثلهم الحكم الجزم بذلك، والقطع به، وليس له مستند قاطع، بحيث لا يتنبه واحد منهم إلى الخطأ في القطع بما ليس بقاطع. ولهذا وجدنا أهل كل عصر قاطعين بنخطة مخالفة ما تقدم من إجماع قبلهم، ولولا أن يكون ذلك دليل قاطع، لاستحال في العادة اتفاقهم على القطع بنخطة المخالف، ولا يقف واحد منهم على حجة الحق في ذلك.
- ٤- قد ثبت دوام شرعنا إلى انقضاء التكليف، فوجب أن يكون قول الأمة حجة، ليوم قيام الدلالة على اتصال الشرع.

المبحث الثاني: مسألة منكر الإجماع.

مقدمة:

١. اعلم أن الإجماع ينقسم إلى قسمين: إجماع ظني، وإجماع قطعي.

فالإجماع الظني: هو الإجماع السكوتي، والإجماع المنقول آحاداً، مما لم يبلغ حد التواتر^(١).

فهذا: مما أثق على عدم التكفير به^(٢).

قال عبد العزيز البخاري: ((واعلم أن العلماء بعدما اتفقوا على أن إنكار حكم الإجماع الظني

كالإجماع السكوتي، والمنقول بلسان الآحاد غير موجب للكفر، واختلفوا في حكم الإجماع القطعي

كإجماع الصحابة...))^(٣).

٢. اتفق العلماء على أن حديث العهد بالإسلام لا يكفر اتفاقاً^(٤).

٣. لا يكفر منكر الإجماع الخفي (غير المشهور) اتفاقاً، كالإجماع على أن الجماع قبل وقوف عرفة

يفسد الحج، بل ولو كان منصوباً كالإجماع على أن لبنت الابن السلس مع البنت^(٥).

قال ابن النجار: ((والحق أن منكر المجمع عليه الضروري، والمشهور والمنصوص عليه كافر قطعاً،

وكذلك المشهور فقط لا الخفي، قال في شرح التحرير: " في الأصح فيهما "))^(٦).

٤. لم يكفر العلماء منكري أصل الإجماع، بسبب هذا القول وحجته كالنظام والشيعة والخوارج.

لأنهم لم يستقر عندهم كونه حجة، فلم يتحقق منهم تكذيب صاحب الشريعة بخلاف منكر حكمه

بعد اعترافه بكونه حجة، فإنه يتحقق منه ذلك، فأخذ بإقراره^(٧).

(١) كشف الأسرار ٤٧٩/٣، شرح مختصر الروضة ١٣٦/٣.

(٢) انظر حكاية الاتفاق في مختصر ابن الحاجب مع العضد ص ١٢٧، كشف الأسرار ٤٧٩/٣، تيسير التحرير ٢٦٠/٣،

المحصل ٢١٠/٤، الإحكام للآمدي ٣٤٤/١، نهاية السؤل ٤٣٧/٢، البحر المحيط ٥٦٨/٣، شرح مختصر الروضة

١٣٦/٣، للمختصر في أصول الفقه ص ٧٩، شرح غاية السؤل ص ٢٦١، أصول الفقه لأبي النور ٢١٦/٣، أصول الفقه

للزحيلي ٥٥٠/١.

(٣) كشف الأسرار ٤٧٩/٣.

(٤) نثر الورود ٤٤٠/٢.

(٥) شرح تنقيح الفصول ص ٢٦٥، نثر الورود ٤٤٠/٢، البحر المحيط ٥٦٦/٣، شرح الكوكب المنير ٢٦٣/٢.

(٦) شرح الكوكب المنير ٢٦٣/٢.

(٧) شرح تنقيح الفصول ص ٢٦٥، نثر الورود ٤٣٩/٢، تيسير التحرير ٢٥٩/٣، الوهان ٢٨٠/١، شرح مختصر الروضة

* فهذه الأحوال كما ترى محل إجماع بين أهل العلم، وكلام القاضي عياض يدل على موافقتهم عليها.

ثم اختلف العلماء في حكم الإجماع القطعي، وهو المنقول متواتراً مشهوراً من غير استقرار خلاف سابق عليه^(١).

رأي القاضي عياض:

الذي وقفت عليه من كلام القاضي عياض حكايته الأقوال، والظاهر من قوله أنه يميل إلى تكفير منكر الإجماع القطعي حيث قال:

((فأما من أنكر الإجماع المجرد الذي ليس طريقه النقل المتواتر عن الشارع:

- فأكثر المتكلمين من الفقهاء والنظار قالوا بتكفير كل من خالف الإجماع الصحيح الجامع لشروط الإجماع المتفق عليه عموماً، وحجتهم قوله تعالى: {وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى} (النساء: من الآية ١١٥) ، وقوله صلى الله عليه وسلم: ((من خالف الجماعة قيد شبر فقد خلع ربة الإسلام من عنقه))^(٢). وحكوا الإجماع على تكفير من خالف الإجماع.

- وذهب آخرون إلى الوقوف عن القطع بتكفير من خالف الإجماع الذي يختص بنقله العلماء.

- وذهب آخرون إلى التوقف في تكفير من خالف الإجماع الكائن عن نظر، كتكفير النظام بإنكاره الإجماع، لأنه يقول هذا مخالفاً لإجماع السلف على احتجاجهم به بخارفاً للإجماع.

- قال القاضي أبو بكر^(٣): القول عندي أن الكفر بالله هو الجهل بوجوده، والإيمان بالله هو العلم بوجوده، وأنه لا يُكفر أحد بقول ولا رأي إلا أن يكون هو الجهل بالله فإن عصي بقول أو فعل نص الله ورسوله أو أجمع المسلمون أنه لا يوجد إلا كافر، أو يقوم دليل على ذلك، فقد كفر. ليس لأجل قوله أو فعله لكن لما يقارنه من الكفر...^(٤).

(١) فواتح الرحموت ٣٠٢/٢، شرح مختصر الروضة ١٣٦/٣.

(٢) أبو داود (٤٧٥٨)، الترمذي (٢٨٦٣)، الحاكم في المستدرک ١٠٠/١، ٢٠٢، ٥٨٢، والبيهقي في الكبرى ١٥٧/٨، ابن عزيمة ١٩٥/٣، ابن حبان (٦٢٣٣)، من حديث ابن عمر وأبي ذر، والحرث الأشعري.

قال الميشتي عن بعض طرقه: رواه أحمد، ورجاله ثقات رجال الصحيح خلا علي بن اسحق السلمي وهو ثقة. جمع الزوائد ٢١٧/٥. انظر: تلخيص الحبير ٤١/٤، خلاصة البدر المنير ٢٩٠/٢.

(٣) أي: بالقلبي، وما ذكره مخالف لنص القرآن {قد كفرتم بعد إيمانكم}، وإجماع السلف في التكفير بالاعتقادات والأقوال والأعمال. انظر التوسط والاقتصاد لعلوي السقاف.

(٤) الشفاء، باب في بيان ما هو من المقالات كفر، وما يتوقف أو يختلف فيه، وما ليس بكفر ٥٨٩/٢.

ثانيا: أقوال أهل العلم في إنكار الإجماع القطعي^(١).

للعلماء ثلاثة أقوال سلف بعضها في كلام القاضي عياض وهي ملخصة كالتالي:

القول الأول: يكفر منكر الإجماع القطعي، وهو قول أكثر الحنفية لأنه خالف القاطع، فأشبه ما لو خالف العقلي القاطع بإثبات الصانع، وتوحيده وإرسال الرسل.

القول الثاني: لا يكفر، وقال به جمع من العلماء كالقاضي أبي يعلى، وأبي الخطاب من الحنابلة^(٢).

القول الثالث: يكفر بإنكار ما علم بالضرورة من الدين، نحو العبادات الخمس، والتوحيد، والرسالة، ولا يكفر بغيره^(٣).

وهو اختيار الآمدي وابن الحاجب والطوفي وابن اللحام.

قالوا: إن أدلة أصل الإجماع ليست مفيدة للعلم، فما تفرع عليها أولى ألا يفيد العلم، بل غايته الظن، ومنكر الظنون لا يكفر بالإجماع^(٤).

الراجع:

تكفر منكر الإجماع المعلوم القطعي، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: ((والتحقق أن الإجماع المعلوم يكفر مخالفه، كما يكفر مخالف النص بتركه لكن هذا لا يكون إلا فيما علم ثبوت النص به... وأما غير المعلوم فيمتنع تكفيره))^(٥).



(١) انظر الأقوال في: شرح مختصر ابن الحاجب ص ١٢٧، شرح تنقيح الفصول ص ٢٦٥، نثر الورود ٤٣٩/٢، نهاية الوصول ٣١٥/١، كشف الأسرار ٤٧٩/٣، تيسر التحرير ٢٥٨/٣، فواتح الرحموت ٣٠٢/٢، الزهان ٢٨٠/١، المحصول ٢١٩/٤، الأحكام ٣٤٤/١، نهاية السؤل ٢٣٧/٢، البحر المحيط ٥٦٨/٣، شرح مختصر الروضة ١٣٦/٣، المختصر في أصول الفقه ص ٧٩، شرح نهاية السؤل ص ٢٦١، شرح الكوكب المنير ٢٦٢/٢، المدخل ص ٢٨٩.

(٢) شرح مختصر الروضة ١٣٦/٣.

(٣) يرى البعض وبعض الحنفية كصاحبي تيسر التحرير وفواتح الرحموت أن نحو الصلوات الخمس والمعلوم من الدين بالضرورة متفق على كفر جاحده.

جاء في فواتح الرحموت: وضروريات الدين الصيام والصلاة والزكاة والحج والجهاد وجوب الصلاة إلى الكمية الشريفة (بخارجة) عن هذا الاختلاف (اتفاقا) فإنه يكفر ألبتة اتفاقا. اهـ

ووصف اختيار ابن الحاجب وغيره بأنه تليس فواتح الرحموت ٣٠٣/٢.

(٤) شرح تنقيح الفصول ص ٢٦٥، المحصول ٢٢٠/٤.

(٥) الفتاوى ٢٧٠/١٩.

المبحث الثالث: مستند الإجماع.

توطئة:

الإجماع لا بد له من مستند يستند إليه، وهذا محل اتفاق بين العلماء، ومنهم الأئمة الأربعة^(١). قال الآمدي: ((اتفق الكل على أن الأمة لا تجتمع على الحكم إلا عن مأخذٍ ومستندٍ يُوجب اجتماعها، خلافا لطائفة شاذة، فإنهم قالوا يجوز انعقاد الإجماع عن توفيق لا توقيف، بأن يوفقهم الله تعالى لاختيار الصواب من غير مستند))^(٢).

ويقول عبد العزيز البخاري: ((وأعلم أن عند عامة الفقهاء والمتكلمين لا ينعقد إجماع إلا عن مأخذ ومستند))^(٣).

وعملوا ذلك فقالوا: ((لأن أهل الإجماع ليست لهم رتبة الاستقلال بإثبات الأحكام، وإنما يشتبهوا نظرا إلى أدلتها ومآخذها، فوجب أن يكون عن مستند، لأنه لو انعقد من غير مستند لاقتضى إثبات الشرع بعد النبي وهو باطل))^(٤).

رأي القاضي عياض في المسألة:

يرى القاضي عياض في المسألة أن الإجماع لا بد له من مستند، وهو إما أن يكون نصا من كتاب أو سنة، ولا يصح عن غير مستند.

وحكى خلافا في كون مستند الإجماع الاجتهاد، ورأيه هذا موافق لما عليه جماهير أهل العلم كما أسلفت سابقا.

وإليك نص كلامه في المسألة: ((... ثم إجماع المسلمين مرتب عليهما — أي الكتاب والسنة — ومستند إليهما، فلا يصح أن يوجد وينعقد إلا عنهما، إما من نص عرفوه ثم تركوا نقله، أو من اجتهاد مبني عليهما على القول بصحة الإجماع من طريق الاجتهاد))^(٥).

(١) مختصر ابن الحاجب ١٢٠، شرح تنقيح الفصول ٢٦٦، نثر الورود ٤٣٤/٢، أصول السرخسي ٣٠١/١، كشف الأسرار

٤٨١/٣، تيسر التحرير ٢٥٤/٣، فواتح الرحموت ٢٩٧/٢، اللمع ٢٥٠، المحصول ١٨٧/٤، الإحكام ٣٢٢/١، الإجماع

٣٨٩/٢، البحر المحيط ٤٩٩/٣، التمهيد ٢٨٥/٣، شرح الكوكب المنير ٢٥٩/٢، المعتمد ٥٦/٢، إرشاد الفحول ١٢٠.

(٢) الإحكام ٣٢٢/١.

(٣) كشف الأسرار ٤٨١/٣.

(٤) البحر المحيط ٤٩٩/٣.

(٥) ترتيب المدارك ٥٩/١.

المخالف في المسألة:

وخالف في المسألة قومٌ كما حكى ذلك عنهم الآمدي فيما سلف، فقالوا بجواز انعقاد الإجماع بالتوفيق، والبحث والمصادفة.^(١)

قال الزركشي في البحر: ((وهو فاسد، فإن معناه يجوز أن يحصل عن توفيق من الله جل ذكره، بغير دليل شرعي دهم على ذلك، بأن يوفق الله للصواب بالإلهام لقوله: ((ما رآه المسلمون حسنا فهو عند الله حسن))^(٢). وهو ضعيف لا يجوز القول في دين الله بغير دليل)).^(٣)

دليل الجمهور في المسألة:^(٤)

١- إن الفتوى بغير دليل خطأ، ولا إجماع على الخطأ، ولأن اشتراط الاجتهاد في المجمعين مجتمع عليه، فلو انعقد بدون دليل، لم يكن في اشتراطه فائدة.^(٥)

٢- قالوا: إن الأمة أكد حالا من الرسول عليه السلام، ومعلوم أنه لا يقول إلا عن الوحي، ولا يقول تخميناً، يدل عليه قوله تعالى: {وَمَا يَنْطَلِقُ عَنِ الْهَوَىٰ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى} (النجم: ٣-٤)، فأولى أن تكون الأمة لا تقول إلا عن دليل.^(٦)

٣- وقالوا: لو جاز الإجماع بلا دليل، جاز لكل واحد من الأمة أن يقول بلا دليل، ويكون ذلك توفيقاً فلا يكون للإجماع مزية.^(٧)

٤- وقالوا: إن أهل الإجماع ليست لهم رتبة الاستقلال بإثبات الأحكام، وإنما يشتهونها نظراً إلى أدلتها ومآخذها، فوجب أن يكون عن مستند، لأنه لو انعقد من غير مستند، لاقتضى إثبات الشرع بعد النبي صلى الله عليه وسلم وهو باطل.^(٨)

(١) الإحكام ٣٢٢/١.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) البحر المحيط ٤٩٩/٣.

(٤) انظر أدلة الجمهور، والمخالف أيضاً في:

مختصر ابن الحاجب ١٢٠، شرح تنقيح الفصول ٢٦٦، أصول السرعسي ٣٠١/١، كشف الأسرار ٤٨١/٣، تيسير

التحرير ٢٥٤/٣، فواتح الرحموت ٢٩٧/٢، المحصول ١٨٨/٤، الإحكام ٣٢٣/١، الإجماع ٣٨٩/٢، البحر المحيط

٤٩٩/٣، التمهيد ٢٨٥/٣، شرح مختصر الروضة ١١٨/٣، شرح الكوكب المنير ٢٥٩/٢، المعتمد ٥٦/٢.

(٥) نهاية الوصول ٣٠٥/١، الوصول ١١٥/٢، شرح الكوكب المنير ٢٦٠/٢، الإجماع ٣٨٩/٢.

(٦) كشف الأسرار ٤٨٢/٣، التمهيد ٢٨٦/٣، المعتمد ٥٦/٢.

(٧) التمهيد ٢٨٦/٣.

(٨) البحر المحيط ٤٩٩/٣.

٥- ولأن اختلاف الآراء والهمم تمنع عادة من الاتفاق على شيء إلا عن سبب^(١).

٦- ولأن القول في الدين بغير دليل خطأ، إذ الدليل هو الموصل إلى الحق، فإذا فقد لم ينحقق الوصول إليه، فلو اتفقوا على شيء من غير دليل لكانوا مجمعين على الخطأ وذلك قاذح في الإجماع^(٢).

٧- قال شيخ الإسلام ابن تيمية: ((ولا يوجد مسألة يتفق الإجماع عليها إلا وفيها نص))^(٣).

(١) كشف الأسرار ٤٨١/٣، المحصول ١٨٨/٤، أصول الفقه لأبي النور ٢٠٤/٣.

(٢) كشف الأسرار ٤٨١/٣، المحصول ١٨٨/٤، أصول الفقه لأبي النور ٢٠٤/٣.

(٣) مجموع الفتاوى ١٩/١٩٥.

المبحث الرابع: مسألة هل يصح الإجماع بعد الخلاف.

توطئة:

وقد يعبر الأصوليون عن هذه المسألة بقولهم: ((اتفاق العصر الثاني على أحد قولي العصر الأول)).
والبعض يخصها بالصحابة والتابعين فيقولون: ((اتفاق التابعين على أحد قولي الصحابة إجماع)).

رأي القاضي عياض في المسألة:

يرى القاضي عياض جواز الإجماع بعد خلاف سبقه، وقد ذكر في عدة مسائل أنه حصل فيها الإجماع بعد سبق الخلاف فيها ومن ذلك:

١- قوله في كتاب الحيض: ((قال ابن القصار أجمع التابعون ومن بعدهم بعد خلاف من تقدم على الأخذ بمحدث " إذا التقى الختانان " . وإذا صح الإجماع بعد الخلاف كان مسقطا للخلاف، قال القاضي: لا نعلم من قال به بعد خلاف الصحابة، إلا ما حكى عن الأعمش، ثم داود الأصبهاني وخالفه كثير من الصحابة وقالوا بمذهب الجماعة))^(١).

٢- وقال أيضا: ((ولا خلاف أن الوقت من فروض الصلاة، وشروط صحتها، إلا شيئا روي عن أبي موسى وبعض السلف، ولم يصح عنهم، ثم انعقد الإجماع على خلافه...))^(٢).

٣- وقال في مسألة الجمع في الوطء بملك اليمين: ((أجمع المسلمون على الأخذ بهذا النهي في الجمع بين الأختين، وفي الجمع بين المرأة وعمتها وخالتها في النكاح، أو في الوطء بملك اليمين، وقد كان في جمع الوطء بملك اليمين اختلاف من بعض السلف، استقر الإجماع عليه إلا طائفة من الخوارج لا يلتفت إلى قولهم قالوا: يجمع بين الأختين بملك اليمين، والجمع بين المرأة وعمتها أو خالتها...))^(٣).

٤- وقال عن نكاح المتعة: ((ولا خلاف بين العلماء أن هذه المتعة كانت نكاحا إلى أجل لا ميراث فيه، وفراقها بانقضاء الأجل من غير طلاق، ووقع الإجماع على تحريمها بعد من جميع العلماء إلا الروافض، واتفق السلف على تحريمها آخرها إلا ما روي عن ابن عباس من إجازتها، وقد روي

(١) إكمال المعلم، كتاب الحيض، باب إنما الماء من الماء، ١٩٦/٢.

(٢) إكمال المعلم، كتاب المساجد، باب أوقات الصلوات الخمس، ٥٦٨/٢.

(٣) إكمال المعلم، كتاب النكاح، باب تحريم الجمع بين المرأة وعمتها، ٥٧٤/٤.

عنه أنه رجع عن ذلك، وأجمعوا على أنه متى وقع نكاح المتعة الآن أنه يفسخ أبداً قبل الدخول وبعده، إلا ما تقدم عن زفر...^(١).

٥- وقال في بيع الميسر: ((وفيه جواز بيع السلعة ممن يريد، وهو قول كافة العلماء، بل وقع عليه الآن الإجماع بعد خلاف كان من بعضهم))^(٢).

٦- وقال: ((أجمع العلماء أن من مات وله ورثة فليس له أن يوصي بجميع ماله إلا شيئاً روي عن بعض السلف، أجمع الناس بعد على خلافه))^(٣).

* فهذه النصوص كلها تدل على أنه يرى انعقاد الإجماع بعد خلاف سبقه.

تحرير محل النزاع في المسألة:

قسم الأصوليون هذه المسألة إلى أحوال عدة، وصور مختلفة، اختلفت أقوالهم بحسبها. قال ابن السبكي رحمه الله في الإجماع: ((للمسألة تشعب في النظر، وشفاء الغليل فيها أن يقال هل يجوز أن يجمع على شيء سبق خلافه...))^(٤).

وعليه فنقول للمسألة حالتان:

الأولى: هل يجوز انعقاد الإجماع بعد إجماع على خلافه.

الجمهور على المنع من ذلك، لأنه يكون أحدهما خطأ لا محالة، وإجماعهم على الخطأ غير جائز. وخالف في ذلك أبو عبد الله البصري، والرازي^(٥).

الحالة الثانية: أن يختلف العلماء في المسألة على قولين، ثم يقع الإجماع على أحدهما، وهذه الحالة لها صورتان.

إحدهما: ألا يستقر الخلاف بين المجتهدين لأهل العصر حتى يجمعوا على أحدهما.

(١) إكمال المعلم، كتاب النكاح، باب نكاح المتعة، ٥٣٧/٤.

(٢) إكمال المعلم، ٤٤٦/٥.

(٣) إكمال المعلم، كتاب الوصية، باب الوصية بالثلث، ٣٦٤/٥. وانظر: ٤٨١/٣.

(٤) الإجماع ٣٧٤/٢، واتبعت في تفصيلاته.

(٥) قال الرازي: ((لأنه لا امتناع في إجماع الأمة على قول، بشرط أن لا يطرأ عليه إجماع آخر، ولكن أهل الإجماع لما اتفقوا على أن كل ما أجمعوا عليه، فإنه واجب العمل به — في كل الأعصار — فلا حرم أمنا من وقوع هذا الجائز)).

انظر: المحصول ٢١١/٤، الإجماع ٣٧٤/٢، البحر المحيط ٥٧٠/٣، المعتمد ٣٧/٢. إرشاد الفحول ١٣٠.

مثل اتفاق الصحابة على دفنه صلى الله عليه وسلم في بيت عائشة بعد خلافهم، ومثل اتفاقهم على قتال مانعي الزكاة وإمامة أبي بكر رضي الله عنه^(١).

قال أبو إسحاق الشيرازي في اللمع: ((وصارت المسألة بعد ذلك إجماعاً بلا خلاف))^(٢).

وقال ابن اللحام: ((وقبل الاستقرار لم يخالف فيه إلا شذمة))^(٣).

الثانية: أن يستقر الخلاف بين المجتهدين، ومضي مدة فيه للنظر والمهلة. وهذه الصورة تحتها مسألتان.

الأولى: إذا اختلف أهل العصر على قولين، فهل يجوز لأهل ذلك العصر بعينهم بعد استقرار الخلاف؛ الاتفاق على أحد القولين، والمنع من المصير إلى القول الآخر^(٤).

وهذه المسألة مبنية على اشتراط انقراض العصر في الإجماع.

فمن شرطه جاز عنده، وكان حجة.

ومن لم يشترط انقراض العصر في الإجماع، اختلفوا على أقوال:

القول الأول: لا يجوز مطلقاً وهو اختيار الإمام الرازي.

القول الثاني: يجوز مطلقاً وهو اختيار الآمدي والزرکشي.

القول الثالث: يجوز إن كان مستند اتفاقهم على الخلاف القياس والاجتهاد لا دليلاً قاطعاً.

القول الرابع: إن قرب عهد المختلفين ثم اتفقوا على قول فهو إجماع، وإن تمادى الخلاف في زمن طويل ثم اتفقوا فليس بإجماع.

الأدلة:

استدل المجوزون مطلقاً:

١- بالوقوع: ومن ذلك إجماع الصحابة على إمامة أبي بكر رضي الله عنه، وقتال مانعي الزكاة بعد اختلافهم فيها.

(١) مختصر ابن الحاجب ١٢٥، شرح تنقيح الفصول ٢٥٨، نهاية الوصول ٣١٤/١، اللمع ٢٥٩، الإحكام ٣٤٠/١، الإجماع ٣٧٥/٢، البحر المحيط ٥٧١/٣، شرح الكوكب المنير ٢٧٤/٢، إرشاد الفحول ١٣٠.

(٢) اللمع ٢٥٩.

(٣) للمختصر في أصول الفقه ٧٩.

(٤) انظر المسألة إضافة للمصادر السابقة في: للذكرة ١٥٥، تيسير التحرير ٢٣٥/٣، فواتح الرحموت ٢٨٦/٢، الريحان ٢٧٤/١، المستصفى ٣٧٠/١، التمهيد ٣٠١/٣، شرح مختصر الروضة ٩٧/٣.

واتفاق التابعين على المنع من بيع الأمهات الأولاد، بعد اختلاف الصحابة فيه.

ورد: بأننا لا نسلم أن هذا اتفاق منهم بعد استقرار الخلاف، لجواز أن يكون ذلك قبل استقراره ونحن لا نمنعه^(١).

واستدل المانعون: بأن أهل العصر الأول اتفقوا على جواز الأخذ بأي القولين كان — إذا أدى الاجتهاد إليه — فلو أجمعوا على أحد القولين، وجب أن يكون الإجماعان صوابا، ويكون المتأخر ناسخا للمتقدم، لكن ذلك باطل.

والجواب: أن الإجماع على الأخذ بأي القولين شاء مشروط بعدم الاتفاق، فإذا حصل الاتفاق، زال شرط الإجماع، فزال لزوال شرطه^(٢).

واستدل المفصل:

بأن الاتفاق بعد استقرار الخلاف فيه رفع لما اتفقوا عليه، فيكون فيه مخالفة للإجماع فلا يجوز، وأما قبل الاستقرار للخلاف فليس فيه مخالفة له، ولا يتصور مانع من الجواز غير تلك المخالفة، فكان الاتفاق جائزا لذلك.

رد عليه من قبل المانعين: بأن مخالفة ما اتفقوا عليه متحققة في الحالتين فالتفصيل بينهما تحكم^(٣).

المسألة الثانية:

إذا اختلف أهل العصر على قولين، ومضوا على ذلك، فهل يتصور انعقاد الإجماع من أهل العصر الثاني على أحد القولين، ويمتنع المصير إلى القول الآخر، وهذه المسألة هي التي يتنزل عليها كلام القاضي عياض.

مثال المسألة:^(٤)

١- اتفاق التابعين على تحريم بيع أم الولد، بعد اختلاف الصحابة في ذلك.

٢- وتحريم التابعين لنكاح المتعة بعد القول بالجواز من ابن عباس.

(١) انظر لهذا الدليل: شرح تنقيح الفصول ٢٥٨، المصنوع ١٣٦/٤، الوصول لابن برهان ١٠٤/٢، الإحكام ٣٣٦/١، شرح مختصر الروضة ٩٧/٣، شرح الكوكب المنير ٢٧٦/٢.

(٢) المصنوع ١٣٧/٤، نهاية الوصول ٣١٧/٢، شرح الكوكب المنير ٢٧٦/٢.

(٣) أصول الفقه لأبي النور ١٩٥/٣.

(٤) مفتاح الوصول ١٦٦، نهاية الوصول ٣١٤/٢، تيسير التحرير ٢٤٣/٣، الوصول لابن برهان ١٠٣/٢، الإجماع ٣٧٦/٢.

أقوال العلماء في المسألة:

اختلف العلماء في المسألة على قولين: (١)

القول الأول: المنع من ذلك (٢).

ذهب إليه الشيخ أبو الحسن الأشعري، وأحمد ابن حنبل، والصيرفي، وابن أبي هريرة^٣، وأبو علي الطبري، وأبو حامد المروذي، وإمام الحرمين، والغزالي، واختاره الآمدي.

القول الثاني: الجواز (٤).

وبه قال الجمهور.

الأدلة: استدلل الجمهور لما ذهبوا إليه من الجواز بما يلي:

- ١- قوله تعالى: {وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ تُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَتُصْلِهِ جَهَنَّمَ ۖ وَسَاءَتْ مَصِيرًا} (النساء: ١١٥). وقوله تعالى: {وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا} (البقرة: من الآية ١٤٣). حيث لم يفصل بين أن يتقدم إجماعهم خلاف أو لا يتقدم.
- ٢- قوله صلى الله عليه وسلم: ((لا تجتمع أمتي على ضلالة)) (٥). ومن خالف إجماعهم فقد زعم أن إجماعهم خطأ، وهذا لا يجوز.
- ٣- وقالوا: إن إجماع التابعين اتفاق من أهل العصر على حكم، فلم يجز خلافه، كما لو أجمعوا على حكم في حادثة حدثت في عصرهم.

(١) إحكام الفصول ٤٩٨/١، شرح تنقيح الفصول ٢٥٨، مفتاح الوصول ١٦٦، أصول السرخسي ٣١٩/١، كشف الأسرار ٤٥٧/٣، نهاية الوصول ٣١٢/١، الملح ٢٥٩، الرهان ٢٧٤/١، الإحكام ٣٤٠/١، الإجماع ٣٧٥/٢، البحر المحيط ٥٧١/٣، العدة ١٩٩/٢، التمهيد ٢٩٧/٣، شرح الكوكب المنير ٢٧٢/٢، المعتمد ٣٨٠٥٤/٢، الإحكام لابن حزم ٥٦٠/٤، إرشاد الفحول ١٣٠.

(٢) نسبة الباجي للباقلاني، والقاضي أبي جعفر، وأبي تمام لابن عويز منداد، وهو مذهب الحنابلة. انظر: المختصر في أصول الفقه ٧٩، العدة ١٩٩/٢.

(٣) الحسن بن الحسين القاضي أبو علي بن أبي هريرة، البغدادي، شيخ الشافعية، من أصحاب الوجوه إنتهت إليه رئاسة المذهب، وصنف شرحاً لمختصر للزرق، توفي سنة (٣٤٥هـ)، انظر طبقات الشافعية لابن قاضي شعبة ١٢٨/١، سير أعلام النبلاء ٤٣٠/١٥، طبقات الشافعية لابن هداية ٢٠٥.

(٤) ومنهم الحنفية وكثير من المالكية والشافعية، واختاره أبو الخطاب، وابن الحاجب، وصححه الرازي، وهو مذهب المعتزلة وابن حزم.

(٥) سبق تخريجه.

٤- وقالوا: إن خلافة أبي بكر رضي الله عنه ثبتت بالإجماع، وإن كان ما دخل فيه علي وسعد بن عباد.

٥- أنه اتفاق عقب اختلاف، فقطع حكم الاختلاف، كما لو اختلف الصحابة في مسألة على قولين، ثم أجمعوا فيها على قول واحد.

٦- إجماع التابعين حجة مقطوعة بها، وقول بعض الصحابة ليس بحجة مع قيام الخلاف بينهم، فلا يجوز ترك الحجة والأخذ بما ليس بحجة.

٧- قالوا: كل حكم لم يميز لعامة عصر التابعين العمل به لم يميز لمن بعدهم العمل به، كالمنسوخ من أحكام الشرع.

٨- قالوا: إن هذا القول قد صار قول كل الأمة، لأن أهل العصر الثاني في حكم كل الأمة، فالصواب لا يفوقهم فيتعين قولهم.

* الترجيح:

والراجع: القول بالجواز، وحصول الإجماع بعد الخلاف، وذلك لسلامة أدلة الجمهور.

المبحث الخامس:

خلاف الواحد معتبر ولا ينعقد الإجماع بدونه. (مخالفة الأقل)

* أولاً: مثال المسألة.

وذلك كخلاف ابن عباس رضي الله عنه في العول والمتعة، وربما النسيئة للصحابة رضي الله عنهم، فهل ينعقد الإجماع دونه؟

وكذلك خلاف أبي موسى الأشعري رضي الله عنه للصحابة في عدم نقض الوضوء بالنوم، إلى غيرها من الأمثلة^(١)

* ثانياً: رأي القاضي عياض رحمه الله في المسألة.

يرى القاضي عياض أن خلاف الواحد معتبر، ولا ينعقد الإجماع مع مخالفته، حيث قال رحمه الله مستنبطاً من حديث قتال مانعي الزكاة: ((وفيه أن الواحد إذا خالف الجماعة فخلافه معتبر، ولا ينعقد به إجماع خلافاً لمن رأى غير ذلك من الأصوليين))^(٢). * وما ذهب إليه القاضي عياض رحمه الله هو قول الجمهور من المالكية، والحنفية، والشافعية، والحنابلة، والظاهرية^(٣).

(١) مختصر ابن الحاجب مع العضد ص ١١٤، مفتاح الوصول ص ١٦٥.

وانظر أيضاً : كشف الأسرار ٣/٤٥٤، تيسير التحرير ٣/٢٣٧، فواتح الرحموت ٢/٢٨٠، للمستصفي ١/٣٤٧، الإحكام ١/٢٩٤، الإجماع ٢/٣٨٨، نهاية السؤل ٢/٤٢٧.

(٢) إكمال المعلم، كتاب الإيمان، باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله... إلخ ١/٢٤٨.

(٣) إحكام الفصول ١/٢٦٧، الإشارة ص ٨٩، شرح تنقيح الفصول ص ٢٦٣، مختصر ابن الحاجب ص ١١٤، مفتاح الوصول ص ١٦٥، نثر الورد ٢/٤٢٧، أصول السرخسي ١/٣١٦. و نهاية الوصول ١/٢٨٧، كشف الأسرار ٣/٤٥٣، تيسير التحرير ٣/٢٣٧، فواتح الرحموت ٢/٢٨٠، اللمع ص ٢٥٦، التنصرة ص ٢١٠.

و الإجماع ٢/٣٨٧، نهاية السؤل ٢/٤٢٧، البحر المحيط ٣/٥٢٢، العدة ٢/٢٠٦، التمهيد ٣/٢٦٠، الروضة ١/٢٣٦، شرح مختصر الروضة ٣/٢٥٣.

وشرح الكوكب المنور ٢/٢٢٩، المدخل ص ٢٨٦، للمعتمد ٢/٢٩، الإحكام لابن حزم ٤/٥٩٠، إرشاد الفحول ص ١٣٤، أصول الفقه لأبي النور ٣/٢٠٣، أصول الفقه للزحيلي ١/٥١٨.

وغيرهم^(١).

أدلة الجمهور:

استدل الجمهور لما ذهبوا إليه بما يلي:^(٢)

١- قوله تعالى: {وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ} (النساء: من الآية ١١٥)، {وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا} (البقرة: من الآية ١٤٣) {كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ} (آل عمران: من الآية ١١٠)، وقوله صلى الله عليه وسلم: ((لا تجتمع أمتي على الضلالة))^(٣).

(١) وفي المسألة أقوال أخرى، منها:

- لا يضر مخالفة الواحد والاثنين ويعتقد الإجماع.

قال به ابن جرير الطبري، وابن عسوز منناد من المالكية، وأبو بكر الرازي من الحنفية، وأبو الحسين بن الخطاب من المعتزلة، وأوماً إليه الإمام أحمد، وقاله ابن حمدان من أتباعه، وإليه ميل أبي محمد الجويني والد إمام الحرمين.

- لا يضر إن قصر عن عدد التواتر.

وهو قول المعتزلة، ونسبه العراقي لأبي الحسين بن الخطاب.

- إن سوغت الجماعة مذهب المخالف كان خلافه معتداً به، وإلا لم يعد به.

قاله أبو عبد الله الجرجاني، وأبو بكر الرازي من الحنفية، وصححه السرخسي.

- حجة وليس بإجماع.

رجحه ابن الحاجب، وابن المرد، وابن بدران.

انظر: شرح تنقيح الفصول ص ٢٦٤، كشف الأسرار ٤٥٣/٣، نهاية الوصول ٢٨٨/١، تيسر التحرير ٢٣٦/٣، الإحكام

٢٩٤/١، اللمع ص ٢٥٦، المستصفي ٣٤٧/١، الإجماع ٣٨٨/٢، البحر المحيط ٥٢٣/٣، شرح مختصر الروضة ٥٣/٣، إرشاد الفحول ص ١٣٥، أصول الفقه للزحيلي ٥١٨/١.

(٢) إحكام الفصول ص ٤٦٧، مختصر ابن الحاجب ص ١١٤، شرح تنقيح الفصول ص ٢٥٤، نثر الورود ٤٢٨٤/٢، المذكرة ص ١٥٣، أصول السرخسي ٣١٦/١، نهاية السؤل ٢٨٨/١٢، كشف الأسرار ٤٥٤/٣، تيسر التحرير ٢٣٧/٣، فواتح الرحموت ٢٨٠/٢، التبصرة ص ٢١١، التلخيص ص ٣٨٩، المستصفي ٣٤٨/١، الإحكام ٢٩٥/١، المحصول ١٨١/٤، الوصول ٩٤/٢، العلة ٢٠٦/٢، التمهيد ٢٦٠/٣، الروضة ٢٣٧، شرح مختصر الروضة ٥٥/٣، المعتمد ٣٠/٢، الإحكام لابن حزم ٥٩٠/٤، أصول الفقه لأبي النور ٢٠٣/٣، أصول الفقه للزحيلي ٥١٨/١.

(٣) - رواه أبو داود عن أبي مالك الأشعري قال ابن كثير: وفي إسناد هذا الحديث نظر.

- رواه الترمذي عن ابن عمر وقال: غريب من هذا الوجه. قال ابن كثير: وفي إسناده سليمان بن سفيان، وقد ضعفه الأكرثون. - عن أبي بصرة الغفاري، قال الهيثمي: رواه أحمد والطبراني وفيه رلو لم يسم.

- رواه الحاكم عن ابن عمر عله الحاكم والدارقطني. - رواه الإمام أحمد من حديث أبي زر، وفيه البحري: واه.

وغيرها من الطرق التي تدل إن للحديث أصلاً، فيتقوى بها.

انظر: تحفة الطالب ص ١٤٦-١٤٧، مجمع الزوائد ٢٢١/٧-٢٢٢، تذكرة المحتاج ٥١/١-٥٦.

وهذه النصوص بحقيقتها تتناول كل أهل الإجماع فما بقي واحد من أهل الإجماع مخالفا لهم لا ينعقد الإجماع.

٢- قوله تعالى: {فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ} (النساء: من الآية ٥٩) والتنازع موجود، فوجب الرجوع إلى الكتاب والسنة.

٣- وقوله تعالى: {وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ} (الشورى: من الآية ١٠). وقد وجد الاختلاف فلا إجماع.

٤- واستدلوا بالوقوع:

فقالوا: إن جميع الصحابة أجمعوا على ترك قتال مانعي الزكاة، وخالفهم فيه أبو بكر رضي الله عنه وحده فيه، ولم يقل أحد: إن خلافه غير معتد به، بل لما ناظره رجعوا إلى قوله^(١).

وكذلك ابن عباس وابن مسعود خالفا كل الصحابة في مسائل الفرائض، وخالفهما باق.

٥- قالوا: أن الأدلة إنما شهدت بالعصمة لمجموع الأمة، والمجموع ليس بمحصل، فلا تحصل العصمة.

٦- قالوا: أن العقل يجوز الخطأ على جميع العلماء وعلى بعضهم، ومقدار ما ورد به الشرع عصمة جميعهم، وبقي الباقي على أصل جواز الخطأ.

٧- وقالوا: العقل يجوز الخطأ على هذه الأمة، كما يجوز الخطأ على سائر الأمم، وإنما نفينا عنهم الخطأ بالشرع، وقد وجد الشرع في حال الاجتماع دون الاختلاف، فإذا وجد الاختلاف بقي الحكم على مقتضى العقل.

* الترجيح:

وقول الجمهور هو الراجح، لكثرة الأدلة التي تعضده، وسلامته من النقض، وما ذكره غيرهم لا يخلو من مناقشة، وأخذ ورد.

* * *

(١) هذا الدليل فيه نظر، لأنه إجماع لم يستقر، والخلاف في الإجماع المستقر، فالأولى التمثيل بنحو خلاف ابن مسعود للصحابة في المعوذتين مثلا.

البحث السادس: الاعتداد بالمبتدع والفاسق في الإجماع.

تحرير محل النزاع:

- الكافر الأصلي، والمترد، ومن كُفّر ببدعته عند مكفره، لا يعتبرون في الإجماع اتفاقاً^(١).

وذلك لعدم دخولهم مسمى الأمة المشهود لهم بالعصمة.

وإن لم يعلم هو كفر نفسه كما قال تعالى: {وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ} (النساء: من الآية ١١٥) وقال صلى الله عليه وسلم: ((لا تجتمع أمتي على ضلالة))^(٢) وهذه الأدلة لا تتناولهم^(٣).

- واختلف العلماء في الاعتداد بالمجتهد المبتدع الذي لا يكفر ببدعته، والمجتهد الفاسق بلا تأويل، وسبب الخلاف هو هل تشترط العدالة في أهل الإجماع أو لا تشترط^(٤).

رأي القاضي عياض في المسألة:

الذي ظهر لي من تتبع كلام عياض في هذه المسألة أنه لا يعتد بأهل البدع حيث ذكر الإجماع في عدة مسائل، وقال فيها: لا اعتبار بخلاف الخوارج والروافض فيها، كنكاح المتعة، ومسألة الخلافة والإمامة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ووصفهم بأنهم أهل بدع لا يعتد بخلافهم.

قال رحمه الله: ((والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من واجبات الإيمان، ودعائم الإسلام بالكتاب والسنة وإجماع الأمة، ولا خلاف في ذلك إلا ممن لا يعتد بخلافه من الرافضة))^(٥).

وقال في نكاح المتعة: ((... ووقع الإجماع على تحريمها بعد، من جميع العلماء إلا الروافض، واتفق السلف على تحريمها آخر، إلا ما روي عن ابن عباس من إجازتها، وقد روي عنه أنه رجع عن ذلك))^(٦)

(١) انظر إحكام الفصول ٤٨٠/١، شرح تنقيح الفصول ص ٢٦٣، نثر الورد ٤٢٧/١، أصول السرخسي ٣١١/١، نهاية الوصول ٢٨٧/١، كشف الأسرار ٤٤٢/٣، فوائح الرحموت ٢٧٤/٢، اللع ٢٥٧، البرهان ٢٦٦/١، التلخيص ص ٣٨٣، المستصفي ٣٤٤/١، المحصول ١٩٦/٤، الإحكام ٢٨٤/١، الإجماع ٣٨٦/٢، البحر المحيط ٥٢٢/٣، الروضة ٢٣٣/١، شرح مختصر الروضة ٢٤/٣، شرح غاية السؤل ٢٤٨، شرح الكوكب المنير ٢٢٧/٢، الإحكام لابن حزم ٦٣٠/٤، المعتمد ٤٢/٢، إرشاد الفحول ص ١٢١.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) انظر تعليقاتهم في المراجع السابقة. الإحكام للأمدى ٢٨٤/١، نهاية السؤل للساعاتي ٢٨١/١.

(٤) فوائح الرحموت ٢٧٤/٢، البحر المحيط ٥١٥/٣، شرح الكوكب المنير ٢٢٩/٢، معالم أصول الفقه عند أهل السنة ص ١٧٢.

(٥) إكمال المعلم، كتاب الإيمان، باب كون النهي عن المنكر من الإيمان، ٢٨٨/١.

(٦) إكمال المعلم، النكاح، باب المتعة ٥٣٧/٤.

وقال في الجمع بين الأختين ملك اليمين: ((... وقد كان في جمع الوطاء بملك اليمين اختلاف من بعض السلف استقر بعد الإجماع عليه، إلا طائفة من الخوارج لا يلتفت إلى قولهم قالوا: يجمع بين الأختين بملك اليمين وبالجمع بين المرأة وعمتها أو خالتها عموماً...))^(١).

وقال في الكلام عن إمامة قريش: ((هذه الأحاديث، وما في معناها في هذا الباب حجة أن الخلافة لقريش، وهو مذهب كافة المسلمين وجماعتهم... وقد عدّها الناس في مسائل الإجماع، إذ لم يؤثر عن أحد من السلف فيها خلاف، قولا ولا عملا قرنا بعد قرن.... ولا اعتبار بقول النظام، ومن وافقه من الخوارج وأهل البدع، إنما تصح في غير قريش، ولا بسخافة ضرار بن عمرو في قوله: إن غير قريش من النبط وغيرهم يقدم على القرشي، وهو أن خلعه إذا وجب ذلك، إذا ليست له عشيرة تمنعه.

وهذا كله هزؤ من القول، ومخالفة لما عليه السلف وجماعة المسلمين))^(٢).

* والقول بعدم الاعتداد باجتهاد المبتدع أو الفاسق هو قول جمهور العلماء.^(٣)

قال أبو منصور البغدادي: ((قال: أهل السنة لا يعتبر في الإجماع وفاق القدرية والخوارج والروافض، ولا اعتبار بخلاف هؤلاء المبتدعة في الفقه...))^(٤)
أقوال أخرى في المسألة: وهناك في المسألة أقوال أخرى^(٥)، منها:

(١) إكمال المعلم، النكاح، باب تحريم الجمع بين المرأة وعمتها أو خالتها في النكاح ٥٤٧/٤.

(٢) إكمال المعلم. الإمارة، باب الناس تبع لقريش والخلافة في قريش ٢١٤/٦.

(٣) انظر مذهب الجمهور في مختصر ابن الحاجب مع العضد ص ١١٣، للذكرة ص ١٥٢، لهابة الوصول ٢٨٣/١، كشف الأسرار ٤٤٠/٣، المغني ص ٢٧٨، تيسر التحرير ٢٣٨/٣، فواتح الرحموت ٢٧٦/٢، اللمع ص ٢٥٧، الوصول ٦٨/٢، الإجماع ٣٨٦/٢، لهابة السؤل ٤٣٦/٢، البحر المحيط ٥١٥/٣، العدة ٢١٥/٢، التمهيد ٢٥٢/٣، الروضة ٢٣٤/١، شرح مختصر الروضة ٣٤٤/٣، المختصر في أصول الفقه ص ٥٧، شرح غاية السؤل ص ٢٤٨، شرح الكوكب المنير ٢٢٨/٢، المدخل ص ٢٨٦، إرشاد الفحول ص ١٢١، أصول الفقه لأبي النور ٢١٤/٣، أصول الفقه للزحيلي ٥٠٣/١، الإحكام لابن حزم ٦٢٩/٤-٦٣٠.

(٤) ثم قال: روى أشهب عن مالك. والعباس بن الوليد عن الأوزاعي. وأبو سليمان الجوزجاني عن محمد بن الحسين، وذكر أبو ثور أنه قول أئمة الحديث، وقال ابن القطان: الإجماع عندنا إجماع أهل العلم، وأما من كان أهل الأهواء فلا مدخل له فيه. واختاره أبو يعلى واستقره من كلام أحمد.

انظر: تيسر التحرير ٢٣٩/٣، البحر المحيط ٥١٥/٣، شرح الكوكب المنير ٢٢٧/٢، إرشاد الفحول ص ١٢١، أصول الفقه للزحيلي ٥٠٣/١.

(٥) انظر المراجع السابقة في قول الجمهور مع اللمع ص ٢٥٧، المستصفى ٣٤٣/١، المحصول ١٨١/٤، الإحكام للآمدي ٢٨٧/١.

١- يعتبر قول الفاسق والمبتدع الذي لا يكفر بدعته. وهو اختيار إمام الحرمين والشيروازي والغزالي والآمدي وغيرهم. قال ابن برهان: ((ونقل عن بعض الأصوليين: أنهم قالوا: الإجماع لا يتعقد مع مخالفته - أي الفاسق -))^(١).

٢- يعتبر في حق نفسه فقط دون غيره.

٣- التفصيل بين المعلن بفسقه أو الداعية لبدعته فلا يعتد بقوله، وإلا اعتد بقوله إن لم يعلن فسقه أو يدعو إلى بدعته.

وهو ما اختاره السرخسي وأبو الخطاب، ونقله عن جماهير سلفهم من المحدثين.

٤- إن ذكر الفاسق مستندا صالحا اعتد بقوله وإلا فلا.

أدلة الجمهور^(٢):

١- قوله تعالى: {وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ} (البقرة: ١٤٣) . والوسط هو العدل، فلما لم يكن أهل الضيق والضلال بهذه الصفة، لم يجوز أن يكونوا من الشهداء على الناس، فلا يعتد بهم في الإجماع.

٢- وقال تعالى: {كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ} (آل عمران: من الآية ١١٠)، وأهل الفسق والضلال يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف.

٣- وقياسا على رد خير، لأنه لو روى حديثا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يجب العمل به لثمة الكذب، فلا يعتد بخلافه، لأن قوله خير عن الحكم، فإذا لم تقبل أخباره لم تقبل فتياه.

٤- وقالوا كذلك: إن الفاسق لا يجوز تقليده فيما يأتي إذا ليس قوله حكما لله تعالى فلا يعتد بخلافه كالكاfer والصبي، وهذا لا يجوز لغيره تقليده في فتواه، ولو كان قوله حكما لله تعالى لجاز الأخذ به.

٥- وقالوا: كونهم من جملة الجمعين يقتضي مدحهم وتعظيمهم، وكونهم من أهل الفسق والضلال يقتضي ذمهم والاستخفاف بهم، فلما لم يجوز أن يكونوا استحقوقا الذم والمدح في حالة واحدة لم يجوز أن يكونوا داخلين في جملة من يعتد بهم في الإجماع مع كونهم من أهل الفسق.

(١) الوصول ٦٨/٢.

(٢) انظر أدلة الجمهور في: محضر لمن المحاجب مع المضد ١١٣، للذكرة ١٥٣، أصول السرخسي ٣١١/١، نهاية السؤل ٢٨٣/١، كشف الأسرار ٤٤٠/٣. تيسر التحرير ٤٣٨/٣، فواتح رحمت ٢٧٦/٢، للمع ٢٥٧، الإحكام ٢٨٧/١، فصول ٨٦/٢، لعة ٢١٥/٢، تنهيد ٢٥٤/٣، الروضة ٢٣٤/١، شرح محضر الروضة ٤١/٣، أصول فقه لأبي الفوار ٢١٤/٣-٢١٥.

المبحث السابع: اشتراط انقراض العصر.

المراد بانقراض العصر:

الانقراض هو الانقطاع، وانقراض العصر: أي أهله.

أي: موت جميع من هو من أهل الاجتهاد، في وقت الحادثة بعد اتفاقهم على حكم فيها^(١).

رأي القاضي عياض في المسألة:

الذي يظهر لي أن القاضي عياض لا يشترط انقراض العصر، كما هو مذهب الجمهور، حيث قال رحمه الله في مسألة المرتدين وأنواعهم وأحكامهم عند كلامه على حديث قتال أبي بكر رضي الله عنه لهم.

قال رحمه الله: ((.. وفيمن كفر منهم، اختلف في سبي ذراريه، لا في مانعي الزكاة، قاله الخطابي. ثم لم ينقرض العصر حتى أجمعوا على أنه لا يسبى المرتد، وإنما اختلف في سبي أولاد المرتدين))^(٢).

وقال في فوائد حديث قتال مانعي الزكاة: ((وفيه أن الخلاف إذا وقع ثم انعقد الإجماع قبل انقراض العصر أن الخلاف غير معتبر، وفيه خلاف بين الأصوليين أيضا، وهذا الصحيح))^(٣). وهذا النص يفيد أنه يشترط انقراض العصر حيث علق عدم اعتبار الخلاف في المسألة وجعلها مجمعا عليها إذا كان ذلك قبل انقراض العصر.

إلا أنني وقفت في الإكمال على نص صريح في معرض كلام الإمام المازري في طلاق الثلاث أن انقراض العصر لا يعتبر، ونسبه لأهل التحقيق في أهل الأصول، والقاضي لم يعلق عليه بشيء.

قال رحمه الله: ((ولو قدر أن النسخ ظهر لهم في أيام عمر، وقد أجمع عصر أبي بكر الصديق رضي الله عنه على خلافه حكم الناسخ، لم يصح ذلك، ولأنه لا يكون إجماعا على الخطأ، ونحن لا نراعي انقراض العصر، وهو مذهب المحققين من أهل الأصول))^(٤).

* وعدم اشتراط انقراض العصر، هو مذهب جمهور أهل الأصول من الحنفية والمالكية والشافعية والأشاعرة والمعتزلة.

(١) كشف الأسرار ٤٥٠/٣، تيسير التحرير ٢٣٠/٣، البحر المحيط ٥٥٦/٣، شرح الكوكب المنير ٢٤٦/٢.

(٢) إكمال المعلم، كتاب الإيمان، باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله، ٢٤٤، ٢٤٨/١.

(٣) إكمال المعلم، كتاب الإيمان، باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله، ٢٤٤، ٢٤٨/١.

(٤) إكمال المعلم، كتاب الطلاق، باب طلاق الثلاث، ٢١/٥.

وأوما إليه الإمام أحمد، وقال به جمع من أصحابه^(١).

الأقوال الأخرى في المسألة:

وفي المسألة أقوال أخرى^(٢)، أهمها:

القول الأول: يشترط انقراض العصر.

قال به أكثر الحنابلة، وهو ظاهر كلام الإمام أحمد، واختاره القاضي أبو يعلى وبعض المالكية والشافعية^(٣).

وقال به أبو تمام البصري من المالكية والجبائي من المعتزلة.

القول الثاني: إن كان الإجماع قولاً أو فعلاً من الجميع لم يشترط وإن كان سكوتاً من الباقي اشترط، وهو رأي أبي إسحاق الإسفرائيني واختاره جمع من الشافعية^(٤).

(١) اختاره الرازي وابن الحاجب، وصححه إمام الحرمين.

انظر: إحكام الفصول ٤٧٣/١، الإشارة ٩٨، شرح تنقيح الفصول ٢٥٨، أصول السرعسي ٣١٥/١، كشف الأسرار ٤٥٠/٣، نهاية الوصول ٣٠١/١، التبصرة ٢١٩، اللمع ٢٥٣، البرهان ٢٦٨/١، المحصول ١٤٧/٤، الإحكام ٣١٧/١، الإجماع ٣٩٣/٢، البحر المحيط ٥٥٣/٣، العدة ١٩٣/٢، التمهيد ٣٤٧/٣، الروضة ٢٤٢/١، شرح الكوكب للنور ٢٤٧/٢، المعتمد ٤١/٢، إرشاد الفحول ١٢٧.

(٢) وهي:

— قال إمام الحرمين: إن قطعوا بالحكم فلا اشتراط، وإن لم يقطعوا بل استندوه إلى الظن فلا بد من تطاول الزمان سواء ماتوا أم لا؟

— إذا لم يبق من المجمعين إلا عدد ينقص عن أقل عدد التواتر ينعقد الإجماع.

— يعتبر في إجماع الصحابة دون إجماع غيرهم.

— ينعقد قبل الانقراض فيما لا مهلة فيه، ولا يمكن استدراكه من قتل نفس أو استباحة فرج.

— إن شرطوا في إجماعهم أنه غير مستقر، وجوزوا الخلاف اعتبر انقراض العصر، وإن لم يشترطوا ذلك لم يعتبر.

— إن كان الجمع عليه من الأحكام التي لا تتعلق بها إتلاف واستهلال، اشترط قطعاً، وإن تعلق بها ذلك مما لا يمكن استدراكه كإراقة الدماء، واستباحة الفروج، فوجهان. وهو طريقة الماوردي في الحاوي.

انظر: فوائح الرحموت ٢٨٢/٢، البرهان ٢٦٨/١، الإجماع ٢٩٣/٢، البحر المحيط ٥٥٦/٣، شرح الكوكب للنور ٢٤٨/٢.

(٣) اختاره أبو تمام البصري من المالكية، وابن فورك وسليم الرازي من الشافعية، ونقل عن الأشعري، وبه قال الجبائي من المعتزلة. انظر: المصادر السابقة في قول الجمهور.

(٤) منهم أبو منصور البغدادي، وقال: إنه قول الحنذاق من أصحاب الشافعي، وقال القاضي أبو الطيب: إنه قول أكثر الأصحاب. وجعل سليم الرازي محل الخلاف في القول، فقال: وأما السكوتي فانقراض العصر معتبر فيه بلا خلاف.

انظر: مختصر ابن الحاجب ١١٩، كشف الأسرار ٤٥٠/٣، نهاية الوصول ٣٠١/١، الإحكام ٣١٧/١، الإجماع ٣٩٣/٢، البحر المحيط ٥٥٤/٣، شرح مختصر الروضة ٦٦/٣، شرح الكوكب للنور ٢٤٧/٢.

فائدة الخلاف في المسألة:

قال القاضي أبو يعلى: ((وفائدة الخلاف: من قال لا يعتبر انقراض العصر، يقول: لا يسوغ أن يرجع الكل عما أجمعوا عليه، وإن رجع واحد منهم ساغ رجوعه، لكنه محجوج بقول الباقيين. وإذا حدث من التابعين من هو من أهل الاجتهاد وخالفهم لم يكن خلافه خلافاً. ومن قال: يعتبر انقراض أهل العصر.

يقول يجوز أن يرجع الكل عن ذلك القول إلى غيره، ويرجع الواحد منهم عن القول معهم، فيكون خلافه خلافاً، ويسوغ للتابعين مخالفتهم، فيكون خلافهم خلافاً))^(١)

أدلة الجمهور^(٢)

قالوا إن:

- ١- أدلة حجية الإجماع من الكتاب والسنة وغيرهما لا توجب انقراض العصر شرطاً في الإجماع.
- ٢- حقيقة الإجماع الاتفاق، وقد وجد، ودوام ذلك استدامة له، والحجة في اتفاقهم لا في قولهم.
- ٣- احتجاج التابعين بالإجماع في زمن أواخر الصحابة كأنس وغيره، ولو اشترط الانقراض لم يصح ذلك.
- ٤- اشتراط انقراض العصر يؤدي إلى تعذر الإجماع، ومادام واحد من التابعين لا يستقر الإجماع، فتابعو التابعين تعتبر مخالفتهم، وهكذا إلى ما نهاية له من التسلسل.
- ٥- واستدلوا بقوله تعالى: {وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا} (البقرة: من الآية ١٤٣) وصفهم بالخيرية، وإجماعهم لا على الصواب يقدح في وصفهم بالخيرية.

(١) العدة ١٩٤/٢. وانظر: كشف الأسرار ٤٥٠/٣، شرح التلويح على التوضيح ١٠٠/٢، تيسير التحرير ٢٣١/٣، البحر المحيط ٣٠٥٦/٣، ٥٥٣، التمهيد ٣٤٧/٣، المختصر في أصول الفقه ٧٨، شرح الكوكب المنير ٢٤٦/٢.

(٢) انظر الأدلة ومناقشتها في: إحكام الفصول ٤٧٣/١-٤٧٦، مختصر ابن الحاجب ١١٩، شرح تنقيح الفصول ٢٥٨، للذكاة ١٥٥، أصول السرعسي ٣١٥/١، كشف الأسرار ٤٥١/٣، نهاية الوصول ٣٠٢/١، التبصرة ٢٢١، التلخيص ٣٩٢-٣٩٤، المستصفي ٣٦١/١، المحصول ١٤٧-١٤٨، الإحكام ٣١٧/١-٣١٨، الإماج ٣٩٤/٢، العدة ١٩٧/٢-١٩٩، التمهيد ٣٤٨/٣، الروضة ٢٤٢/١، شرح مختصر الروضة ٦٧/٣-٧٠، شرح الكوكب المنير ٢٥١/٢، المعتمد ٤٢/٢-٤٣.

٦- قوله صلى الله عليه وسلم : ((لا تجتمع أمتي على الخطأ))^(١) ينافي إجماعهم على الخطأ ولو في لحظة واحدة.

٧- قوله تعالى: {وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا} (النساء: من الآية ١١٥) ولم يفرق بين أن ينقض العصر عليه، وبين ألا ينقض.

٨- قالوا: إن قول النبي صلى الله عليه وسلم حجة بوجوده، ولا يقف على انقراضه، كذلك قول المجمعين.

٩- قالوا: ليس يخلو إما أن كون الحجة هي انقراض العصر، أو اتفاقهم بشرط انقراض العصر، أو اتفاقهم فقط. والأول يقتضي أن يكون العصر لو انقض من دون اتفاقهم أن يكون حجة، والثاني يقتضي أن يكون لموهم تأثير في كون قولهم حجة، وذلك لا يجوز، كما لا يكون لموت النبي صلى الله عليه وسلم تأثير في كون قوله حجة، فثبت أن الحجة اتفاقهم.

* * *

المبحث الثامن: حكم إحداء قول ثالث في مسألة الخلاف فيها على قولين.

صورة المسألة، ومثالها:

أن يختلف المجتهدون في عصر ما في مسألة على قولين.

فهل يجوز لمن بعدهم إحداء قول ثالث فيها^(١).

والأمثلة على ذلك كثيرة، منها:

- اختلاف العلماء في إرث الجدة مع الإخوة.

فالقول الأول: يرث الجدة المال كله.

وقول الثاني: يقاسم الإخوة.

فالقول بمحجب الجدة عن الميراث، وحرمانه، قول ثالث في المسألة^(٢).

رأي القاضي عياض في المسألة:

الذي يفهم من رده على داود في مسألة التفريق بين البكر والثيب في اشتراط الولي، أنه يقول بعدم

إحداء القول الثالث في المسألة، حيث رد على داود بهذا الأصل.

قال رحمه الله وهو يتكلم في أحاديث استئذان الثيب في النكاح بالنطق والبكر بالسكوت: ((

ناقض داود في استعماله هذه الأحاديث أصله في موضعين، فقضى بالمفسر فيها على الحمل على

طريق الكافة، وترك ظاهر اللفظ على مذهبه وليس من أصله، فخالف أبا حنيفة ومن قال بقوله في

البكر: أنه لا يعقد عليها إلا الولي، لعموم قوله: ((لا نكاح إلا بولي))^(٣) ووافقهم في الثيب

لظاهر قوله: ((هي أحق بنفسها من وليها)).

وأصله في مثل هذه الظواهر إذا تعارضت طرحتها، والرجوع إلى استصحاب حال الأصل قبل ورود

الشرع، فهذا موضع واحد ناقض فيه أصله.

(١) إحكام الفصول ٥٠٣/١، شرح تنقيح الفصول ص ٢٥٦، مختصر ابن الحاجب ص ١٢١، كشف الأسرار ٤٣٥/٣، تيسير

التحرير ٢٥٠/٣، للمستصفي ٣٦٦/١، المحصول ١٢٧/٤، الإحكام ٣٢٩/١، الإجماع ٣٦٩/٢، نهاية السؤل ٤٠٧/٢،

المعتمد ٤٤/٢، أصول الفقه لأبي النور ١٨٧/٣، أصول الفقه للزحلي ٤٩٢/١.

(٢) انظر: شرح تنقيح الفصول ص ٢٥٦، نثر الورود ٤٣٤/٢، المذكرة ص ١٥٦، كشف الأسرار ٤٣٥/٣، تيسير التحرير

٢٥٠/٣، شرح التلويح ٩٢/٣، فواتح الرحموت ٢٩٤/٢، المستصفي ٣٦٦/١، الإحكام ٣٣٠/١، الإجماع ٣٦٩/٢،

شرح مختصر الروضة ٩٣/٣، للدخل ص ٢٨٨، المعتمد ٤٤/٢.

(٣) رواه أبو داود (٢٠٨٥) من حديث أبي موسى الأشعري، وعند ابن ماجه (١٨٨٠) من حديث ابن عباس وعائشة.

والآخر أن مذهبه: أن إحداه قول ثالث في مسألة الخلاف فيها على قولين خرقاً للإجماع، وهو مذهب بعض أهل الأصول، وقوله هو - هذا في التفريق بين البكر والثيب - في اشتراط الولي في العقد، فكونه ركناً من أركان صحة العقد في البكر دون الثيب قول لم يقله قبله غيره، وإنما الخلاف في ذلك في الجميع لازم أو غير لازم^(١).

* والقول بالنوع من إحداه قول ثالث هو قول جمهور العلماء^(٢).

أقوال المخالف:

وفي المسألة أقوال أخرى منها:

- يجوز إحداه قول ثالث مطلقاً.

قال به بعض الحنفية وبعض الظاهرية والشيعة وبعض المتكلمين^(٣).

- إذا اختلف الصحابة على قولين، لم يجوز إحداه ثالث، وأما إذا اختلف من بعدهم فيجوز إحداه ثالث.

وهو لبعض الحنفية^(٤).

(١) إكمال المعلم، كتاب النكاح، استئذان الثيب في النكاح بالنطق والبكر بالسكوت ٥٦٩/٤، البحر المحيط ٥٨٠/٣، إرشاد الفحول ص ١٣١.

(٢) نص عليه الإمام الشافعي في الرسالة، ومحمد بن الحسن في نواذر هشام، وعليه أرباب المذاهب الأربعة، وهو قول معظم العلماء، وصححه جمهور المحققين.

انظر: إحكام الفصول ٥٠٢/١، الإشارة ص ٩٢، مختصر ابن الحاجب ١٢١، شرح تنقيح الفصول ص ٢٥٥، كشف الأسرار ٤٣٥/٣، نهاية الوصول ٣٠٨/١.

و للمغني في أصول الفقه ص ٢٧٩، شرح التلويح ٩٢/٢، تيسر التحرير ٢٥٠/٣، اللمع ص ٢٦٢، البرهان ٢٧٣/١، البحر المحيط ٥٨٠/٣.

و العدة ٢٠٤/٢، الروضة ٢٤٩/١، شرح مختصر الروضة ٨٨/٣، شرح الكوكب المنير ٢٦٤/٢، إرشاد الفحول ص ١٣١.

(٣) انظر المصادر السابقة.

(٤) نهاية الوصول ٣٠٨/١، كشف الأسرار ٤٣٧/٣، تيسر التحرير ٢٥٠/٣، شرح التلويح ٩٢/٢، فواتح الرحموت ٢٩٤/٢.

- التفصيل بين ما يرفع متفقاً عليه فلا يجوز، وما لا يرفعه فيجوز^(١).

روي عن الشافعي^(٢).

وهو اختيار الآمدي، والرازي، والبيضاوي، وابن الحاجب، والقرافي، والطوفي، وابن اللحام^(٣).

الأدلة: الجمهور:

١- قالوا: أهم إذا أجمعوا على قولين، فقد اتفقوا على أن ما عدا القولين خطأ، وإنما اختلفوا في تعيين الحق في أحدهما، ولم يختلفوا في أن ما عداهما خطأ، فمن قال بغيرهما فقد صوب ما أجمع أهل العصر على أنه خطأ^(٤).

٢- قالوا: إن كان الثالث عن غير دليل امتنع، أو عنه لزم تخطئة الأمة بالجهل به، لأن حصر الاختلاف في قولين إجماعٌ معنىً على المنع من ثالث، لإيجاب كل طائفة الأخذ بقولها أو قول مخالفها، وتحريم الأخذ بغير ذلك^(٥).

(١) مثال الرفع:

- لو قال بعض الأمة باعتبار النية في كل طهارة.

- وقال البعض الآخر باعتبارها في بعض الطهارات دون بعض، كما هو قول أبي حنيفة: يعتبر هذا في التيمم دون الوضوء.

فالثاني اعتبارها في جميع العبادات مطلقاً، يكون رافعا للإجماع الأول.

ومثال ما ليس رافعا للإجماع:

- قال بعض الصحابة: لا يقرأ الجنب حرفاً.

- وقال بعضهم: يقرأ ما شاء.

فالقول يقرأ بعض آية، وهو قول أحمد، ليس برفع، لأنه لم يرفع الإجماع الأول، بل وافق كل فريق في بعض ما ذهب إليه.

انظر: نثر الورود ٤٣٤/٢، كشف الأسرار ٤٣٥/٣، المحصول ١٢٨/٤، الإحكام ٣٣١/١، نهاية السؤل ٤١٢/٢، شرح

مختصر الروضة ٩٢/٢، شرح الكوكب المنير ٢٦٧/٢

(٢) قال الزركشي: وكلام الشافعي في الرسالة يقتضيه. البحر المحيط ٥٨١/٣.

(٣) انظر: مختصر ابن الحاجب ص ١٢١، شرح تنقيح الفصول ص ٢٥٥، كشف الأسرار ٤٣٥/٣، نهاية الوصول ٣٠٩/١،

تيسر التحرير ٢٥٠/٣، شرح التلويح ٩٣/٢، فواتح الرحموت ٢٩٤/٢، المحصول ١٢٧/٤، الإحكام ٣٣٠/١، الإجماع

٣٦٩/٢.

شرح مختصر الروضة ٩٢/٣، شرح الكوكب المنير ٢٦٥/٢، إرشاد الفحول ص ١٣١.

(٤) إحكام الفصول ٥٠٣/١، الإشارة ص ٩٢، شرح تنقيح الفصول ص ٢٥٥، كشف الأسرار ٤٣٥/٣، نهاية الوصول

٣٠١/١، تيسر التحرير ٢٥٢/٣، اللمع ص ٢٦٢، التبصرة ص ٢٢٨، التلخيص ٤٠١، المدة ٢٠٤/٢، التمهيد ٣١١/٣،

الروضة ٢٤٩/١، شرح مختصر الروضة ٨٨/٣، المعتمد ٤٤/٢، أصول الفقه لأبي النور ١٨٨/٣.

(٥) نهاية الوصول ٣٠٩/١

٣- قالوا: إن التابعين أجمعوا على حصر الأقاويل، وضبط المذاهب، ولو جاز إحداث مذهب آخر لم يكن لضبط الأقاويل، ولا حصر المذاهب معنى^(١).

٤- أن الذهاب إلى القول الثالث، إنما يجوز لو أمكن كونه حقا، ولا يمكن كونه حقا إلا عند كون الأولين باطلين، ضرورة أن الحق واحد. وحيثئذ: يلزم إجماع الأمة على الباطل^(٢).

٥- أن ذلك نسبة الأمة إلى تضييع الحق والغفلة عنه، فإنه لو كان الحق في القول الثالث، كانت الأمة ضيعته وغفلت عنه، وخلا العصر عن قائم لله بحجته، ولم يبق منهم عليه أحد^(٣).

* الترجيح:

لعل ما ذهب إليه المفصلون أقرب للصواب لكن لعلنا نضيف له قيда، وهو أن يكون محدث القول الثالث من أئمة أهل العلم.

قال ابن رجب: ((يتعين ضبط كلام السلف من الأئمة، وجمعه، وكتابته، والرجوع إليه، ليطمئن بذلك ما هو مأثور عنهم بما أحدث بعدهم مما هو مخالف لهم))^(٤).

(١) التبصرة ٢٢٨.

(٢) المستصفي ٣٦٦/١، المحصول ١٢٩/٤، شرح مختصر الروضة ٨٩/٣.

(٣) الروضة ٢٤٩/١، شرح مختصر الروضة ٨٩/٣.

(٤) شرح الملل ١/.

المبحث التاسع: الإجماع السكوتي.

أولاً: تعريفه^(١).

أن يقول بعض المجتهدين قولاً أو يفعل فعلاً، وينتشر ذلك في المجتهدين من أهل ذلك العصر، فيسكتون ولا يظهر منهم اعتراف ولا إنكار^(٢).

ثانياً: شروطه.

اشترط العلماء لحجية الإجماع السكوتي شروطاً منها^(٣):

- ١- أن يكون في مسائل التكليف، قاله ابن الصباغ في العدة، وابن السمعاني في القواطع، وأبو الحسين في المعتمد وغيرهم.
- ٢- أن يعلم أنه بلغ جميع أهل العصر، وإلا فلا يكون إجماعاً سكوتياً قاله الصيرفي وغيره.
- ٣- أن يكون مضي زمن يسع النظر عادة في تلك المسألة، فلو احتمل أن الساكتين كانوا في مهلة النظر لم يكن إجماعاً سكوتياً، ذكره الدبوسي وغيره.
- ٤- ألا يتكرر ذلك مع طول الزمان.
- ٥- أن يكون قبل استقرار المذاهب، فأما بعد استقرارها، فلا أثر للسكوت قطعاً، كإفتاء مقلد سكت عنه المخالفون للعلم بمذهبهم ومذهبه، ذكره إلكيا الطبري وغيره.

ثالثاً: تحرير محل النزاع في المسألة:

قال الشيخ الشنقيطي رحمه الله: ((وتحرير المسألة أن لها ثلاث حالات:

- ١- أن يعلم من قرينة حال الساكت أنه راض بذلك فهو إجماع قولاً واحداً.
- ٢- أن يعلم من قرينته أنه ساخط غير راض فليس بإجماع قولاً واحداً.

(١) السكوت في اللغة: خلاف النطق، وهو ترك التكلم مع القدرة عليه.

انظر: لسان العرب ٤٣/٢، التعريفات ص ١٥٩.

(٢) إحكام الفصول ٢٧٩/١، كشف الأسرار ٤٢٦/٣، المستصفى ٣٥٨/١، المحصول ١٥٣/٤، نهاية السؤل ٤٢٢/٢، الروضة ٢٥١/١، شرح مختصر الروضة ٧٨/٣، للمدغل ص ٢٧٨، للمعتد ٦٥/٢، إرشاد الفحول ص ١٢٧، أصول الفقه لأبي النور ١٩٨/٣.

(٣) نثر الورود ٤٣٨/٣، البحر المحيط ٥٤٧/٣.

وانظر: الإجماع ٣٧٩/٢، التمهيد ٣٢٣/٣، شرح مختصر الروضة ٧٩/٣، شرح غاية السؤل ص ٢٥٥، شرح الكوكب المنير ٢٥٣/٢، للمعتد ٦٦/٢، والعلواني في تحقيق المحصول ١٥٨/٤، وأبو زنيد في تحقيق الوصول ١٢٤/٢، أصول الفقه للزحيلي ٥٠٣/١.

٣- ألا يعلم منه رضا ولا سخط، فيه الأقوال...))^(١).

وهذه الحالة الثالثة هي محل النزاع وقد اختلف العلماء فيها إلى عدة أقوال.

رابعاً: رأي القاضي عياض.

يرى رحمه الله أنه إجماع وحجة، قال ذلك عند حديث غسل الجمعة، وقول عمر وهو على المنبر للدخول لما قال له: ((ما زدت على أن توضأت، فقال عمر: والوضوء أيضاً؟)).

قال القاضي عياض: ((وهذا قول من عمر، وإقرار بمحضر جماعة الصحابة، ولا منكر له ولا مخالف، فهو كالإجماع.

- وعامة الفقهاء والأصوليين منهم يجلدون هذا إجماعاً وحجة^(٢).

- وقال آخرون: وفي قول الواحد من الصحابة إذا انتشر، ولم يعلم له مخالف وسكوتهم كالنطق^(٣).

- وقال آخرون: هذا حجة وليس بإجماع^(٤).

(١) للذكرة ص ١٥٨.

(٢) ذهب إليه أكثر المالكية، وأكثر الحنفية، وبعض الشافعية، كأبي إسحاق الإسفراييني، والقاضي أبي الطيب، وأبي إسحاق الشيرازي، ومذهب الحنابلة، وبعض المعتزلة.

قال القاضي عبد الوهاب: ((هو الذي يقتضيه مذهب أصحابنا)).

قال السرخسي: ((فالإجماع يثبت به عندنا)).

إحكام الفصول ٤٧٩/١، مختصر ابن الحاجب ص ١١٧، شرح تنقيح الفصول ص ٢٥٩، مفتاح الوصول ١٦٥، أصول السرخسي ٣٠٣/١، كشف الأسرار ٤٢٦/٣، تيسر التحرير ٢٤٦/٣، فواتح الرحموت ٢٩١/٢، الزهاني ٢٧٠/١، الإحكام للآمدي ٣١٢/١، تيسر التحرير ٢٤٧/٣.

العدة ٢٢٩/٢، التمهيد ٣٢٤/٣، الروضة ٢٥١/١، شرح مختصر الروضة ٧٩/٣، شرح الكوكب المنير ٢٥٤/٢. للمعتمد ٦٦/٢.

(٣) إرشاد الفحول ص ١٢٨، البحر المحيط ٥٤٦/٣.

(٤) حكاه في المعتمد عن أبي هاشم، وهو أحد الوجهين عند الشافعية، وبه قال الصوفي واختاره الآمدي وابن الحاجب والكركشي من الحنفية.

قال النووي: بل الصواب من مذهب الشافعي أنه حجة وليس إجماعاً.

انظر: إحكام الفصول للباي ٤٧٩/١، تيسر التحرير ٢٤٦/٣، فواتح الرحموت ٢٩١/٢، البحر المحيط ٥٤٢/٣، المسودة ص ٣٣٤، المعتمد ٦٦/٢، إرشاد الفحول ص ١٢٧.

- والذي اختاره محققوا الأصوليين: أن هذا كله ليس بإجماع، والسكوت ليس كالنطق، وهو اختيار القاضي أبي بكر وطبقته^(١))).^(٢).

وكذلك حكى الإجماع السكوتي، واحتج به عياض في ثبوت آية الرجم، فقال: ((وفي هذا كان قول عمر- رضي الله عنه- ذلك على المنبر، وإخباره برجم النبي صلى الله عليه وسلم، ورجمهم معه، وقرأ إثر آية الرجم، ولا منكر له من علماء الصحابة وجماعتهم رضي الله عنهم، ما يدل على موافقتهم له، إذ كان مثلهم لا يقر على منكر، ولا يسكت عما استشهد به فيه مما يعلم خلافه))^(٣).

* وفي المسألة أقوال أخرى^(٤)، اقتصرنا هنا على ما ذكره القاضي عياض.

(١) نسبة الغزالي والرازي والآمدي لنص الشافعي، وقال إمام الحرمين: إنه ظاهر ملعبه.

واختاره الباقلاني، وعيسى ابن أبان من الحنفية، وداود الظاهري وابنه، وأبو عبد الله البصري من المعتزلة. منهم المعتمد ٦٦/٢.

انظر: إحكام الفصول ٤٨٠/١، شرح تنقيح الفصول ص ٢٥٩، نثر الورود ٤٣٨/٢، أصول السرخسي ٣٠٣/١، تيسير

التحرير ٢٤٦/٣، فواتح الرحموت ٢٩١/٢، الرهان ٢٧٠/١، المستصفى ٣٥٨/١، المحصول ١٥٣/٤، الإحكام ٣١٢/١،

الإجماع ٣٧٩/٢، نهاية السؤل ٤٢٢/٢، البحر المحيط ٥٣٨/٣.

(٢) إكمال المعلم، كتاب الجمعة. باب وجوب غسل الجمعة ٢٣٣/٣.

(٣) إكمال المعلم، كتاب الخلود. باب رجم الثيب في الزنى ٥٠٨/٥، وانظر ٢٤٢/٧.

(٤) من هذه الأقوال:

- إجماع بشرط انقراض العصر.

وبه قال أحمد في رواية، وهو قول أبي علي الجبائي، ونقله ابن فورك عن أكثر الشافعية، وصححه واختاره ابن القطان،

والبندينجي، وقال الرافعي إنه أصح الأوجه عند أصحابنا.

- إجماع إن كان فتيا لا حكما وقضاء. وبه قال ابن أبي هريرة.

- إجماع إن كان حكما لا فتيا أي عكس السابق. وبه قال أبو إسحاق المروزي.

- إن وقع في شيء يغتور استدراكه من إراقة دم، أو استباحة فرج كان إجماعا، وإلا فهو حجة.

- إن كان الساكنون أقل إجماعا وإلا فلا. اختاره الجصاص وحكاه السرخسي عن الشافعي ونفاه الزركشي.

- إن كان مما يذم وينكر وقوعه والخوض فيه، فإن السكوت يكون إجماعا.

اختاره إمام الحرمين والغزالي في المنحول.

- إجماع قطعي أو حجة ظنية، فيحتج به على كل من التقديرين، ونحن مترددون في أيهما أرجح.

اختاره ابن الحاجب في الصغير.

انظر: مختصر ابن الحاجب ١١٧، تيسير التحرير ٢٤٦/٣، فواتح الرحموت ٢٩١/٢، المستصفى ٣٥٨/١، المحصول ١٥٣/٤،

الإحكام ٣١٢/١، البحر المحيط ٥٤٣/٣، شرح مختصر الروضة ٧٩/٣، إرشاد الفحول ١٦٨.

١- أن الإجماع معصوم من الخطأ، ولو أن ما أفق به خارج عن وضع الشرع لما أقروه عليه، لعلمنا أنهم أشد حرصاً على تشييد أحكام الدين، والاتفاق على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فلما أجمعوا على ذلك علم أنه منتسب إلى أوضاع الشرع^(١).

٢- أن العادة جارية مستقرة على أنه لا يجوز أن يسمع العدد الكثير، والجسم الغفير - الذين لا يصح عليهم التواطؤ - قولا يعتقدون خطأه وبطلانه، ثم يمسك جميعهم عن إنكاره، وإظهار خلافه، بل أكثرهم يتسرع إلى ذلك ويتسابق إليه، فإذا ظهر قول وانتشر، وبلغ أقصاه الأرض، ولم يعلم له مخالف، عُلم أن ذلك السكوت رضا منهم به، وإقرار عليه لما جرت عليه العادة^(٢).

٣- لو شُرط القول في انعقاد الإجماع، لم يتحقق إجماع أصلاً، لأن العادة في كل عصر إفتاء الأكابر، وسكوت الأصاغر تسليماً، فلم يتحقق قول عنهم في كل عصر، فلا يتحقق إجماع^(٣).

٤- قول البعض مع سكوت آخرين إجماع في الاعتقادات إجماعاً بيننا وبينكم، فكذا الفروع لأن الملاحظ أن السكوت رضا، وهو مشترك^(٤).

٥- الظاهر الموافقة، لبعد سكوتهم عادة، ولذلك ورد عن الصحابة والتابعين في معرض الحجة " كانوا يقولون "، أو " يرون " ونحوه، ومعلوم أن كل أحد لم يصرح به، وهو مستمد من سكوته صلى الله عليه وسلم^(٥).

الترجيح:

رجح الشيخ الشنقيطي: أنه إجماع سكوتي ظني، حيث قال:

((والحق إنه إجماع سكوتي ظني))^(٦).

* * *

(١) الوصول لابن برهان ١٢٥/٢.

(٢) إحكام الفصول ٤٨٠/١، الإشارة ٩١.

(٣) أصول السرخسي ٣٠٥/١، تيسير التحرير ٢٤٧/٣، فواتح الرحموت ٢٩١/٢.

(٤) انظر المصادر السابقة، أصول الفقه للزحيلي ٥٥٤/١.

(٥) شرح الكوكب المنير ٢٥٥/٢.

(٦) للمذكرة ١٥٨.

حكم فعل الإمام إذا لم يعرف له مخالف، هل هو إجماع؟

يرى القاضي عياض أن فعله إجماع، حيث أفاد ذلك من حديث أبي بكر رضي الله عنه في قتال مانعي الزكاة، وذكر أن أكثر الأصوليين لا يرون ذلك إجماعاً، حيث قال رحمه الله: ((وفيه الحجة لمن ذهب أن فعل الإمام، إذا لم يعرف له مخالف إجماع لشهرة فعله، وأنهم كانوا ممن لا يقرّون على باطل، ويقومون بما عندهم من حق، ولا يكتُمون ما عندهم من علم، ولا يدهنون في دين الله تعالى، فإذا ظهر فعل إمام من الأئمة بمحضرتهم، ولم يسمع من أحد منهم له نكير، دل على موافقتهم له وإجماعهم على صواب فعله، وأكثر الأصوليين لا يرون هذا إجماعاً))^(١)

وهذه المسألة مثل مسألة الإجماع السكوتي، ولم أر من تكلم عليها مفردة فيما وقفت عليه. وإنما رأيت الإمام الباجي في كتابه إحكام الفصول، والإشارة أوردها تحت الإجماع السكوتي، حيث عنون لها بما يلي:

((فصل: قول الصحابي أو الإمام إذا ظهر وانتشر بحيث يعلم أنه يعم سماعه المسلمين، واستقر على ذلك، ولم يعلم له مخالف، ولا سمع له بمنكر، فإنه إجماع وحجة...))^(٢).

* هذا ومسألة الإجماع السكوتي قد بينا فيها رأي القاضي عياض، وذكرنا الأقوال والأدلة فلتراجع، ولا حاجة هنا للإعادة.

* * *

(١) إكمال المعلم، كتاب الإيمان، باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله، ٢٤٧/١.

وانظر: إكمال المعلم، كتاب الحدود، باب رجم الثيب في الزن، ٥٠٨/٥، حيث اعتبر قول عمر مع عدم إنكار الصحابة عليه إجماعاً.

(٢) إحكام الفصول ٤٧٩/١، الإشارة ٩١، البحر المحيط ٥٤٤/٣.

المبحث العاشر : مسألة إجماع أهل المدينة:

أولاً: المراد بإجماع أهل المدينة.

يراد بإجماع أهل المدينة اتفاق علمائها في عصر الصحابة والتابعين في القرون المفضلة، وهذا هو الحجة عند مالك، ولا يكون إجماع أهلها حجة بعد ذلك.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : ((والكلام إنما هو في إجماعهم في تلك الأعصار المفضلة، وأما بعد ذلك، فقد اتفق الناس على أن إجماع أهلها ليس بحجة.

إذ كان حيثنذ في غيرها من العلماء ما لم يكن فيها...))^(١)

ويقول الشيخ الشنقيطي رحمه الله : ((واعلم أن المراد بأهل المدينة: الصحابة والتابعون فقط، وإنما جعل مالك اتفاقهم حجة فيما لا مجال فيه للرأي، لأنهم أعرف بالوحي، وبالمراد منه لمسكنهم محل الوحي))^(٢).

ما سبق عن الشيخين، يعتبر تحويراً لحل النزاع في المسألة والمراد منها.

ثانياً: رأي القاضي عياض في المسألة:

يرى القاضي عياض حجة إجماع أهل المدينة، وقد عقد للمسألة باباً في بداية كتاب ترتيب المدارك، وتناولها في مواضع عدة من الإكمال.

وسنورد ما ذكره في ترتيب المدارك لأنه أجمع وأشمل.

قال رحمه الله : ((اعلموا أكرمكم الله أن جميع أرباب المذاهب من الفقهاء والمتكلمين وأصحاب الأثر والنظر، إلبّ واحد على أصحابنا على هذه المسألة، مُخَطِّئُونَ لنا فيها بزعمهم، محتجون علينا بما سنح لهم حتى تجاوز بعضهم حد التعصب والتشنيع إلى الطعن في المدينة، وعد مثالبها، وهم يتكلمون في غير موضع الخلاف.

فمنهم من لم يتصور المسألة ولا تحقق مذهبنا فتكلموا فيها على تخمين وحس.
ومنهم من أخذ الكلام فيها ممن لم يحققه عنا.

(١) صحة أصول مذهب أهل المدينة ٢٢، وانظر الإجماع ٣٦٥/٢.

(٢) نثر الورود ٤٣١/١، المذكرة ١٥٤، وانظر الإجماع ٣٦٥/٢.

ومنهم من أطالها، وأضاف إليها ما لا نقوله، واحتجوا علينا بما يحتج به على الطاعين على الإجماع.

وها أنا أفصل الكلام فيها تفصيلا لا يجد المنطق إلى حجده بعد تحقيقه سبيلا، وأبين موضع الاتفاق فيه، والخلاف إن شاء الله تعالى.

فاعلموا أن إجماع أهل المدينة على ضربين:

- ضرب من طريق النقل والحكاية الذي تأثره الكافة عن الكافة، وعملت به عملا لا يخفى، ونقله الجمهور عن الجمهور عن زمن النبي صلى الله عليه وسلم، وهذا الضرب منقسم إلى أربعة أنواع:

أولا: ما نقل شرعا من جهة النبي صلى الله عليه وسلم من قول أو فعل كالصاع، والمد، وأنه عليه الصلاة والسلام كان يأخذ منهم بذلك صدقاتهم وفطرتهم، وكالأذان، والإقامة، وترك الجهر بيسم الله الرحمن الرحيم في الصلاة، وكالوقوف والأحباس.

فنقلهم لهذه الأمور من قوله وفعله كنقلهم موضع قبره، ومسحده، ومنبره ومدبنته، وغير ذلك مما علم ضرورة من أقواله، وسيره، وصفة صلاحه من عدد ركعاتها وسجوداتها، وأشباه ذلك.

أو نقل إقراره عليه الصلاة والسلام لما شاهده منهم، ولم ينقل عنه إنكاره كنقل عهدة الرقيق، وشبه ذلك، أو نقل تركه لأمر وأحكام لم يلزمهم إياها مع شهرتها لديهم، وظهورها فيهم، كتركه أخذ الزكاة من الخضروات مع علمه عليه الصلاة والسلام بكونها عندهم كثيرة.

فهذا النوع من إجماعهم في هذه الوجوه حجة يلزم المصير إليه، ويترك ما خالفه من خير واحد أو قياس.

فإن هذا النقل محقق معلوم موجب للعلم القطعي، فلا يترك لما توجه غلبة الظنون.

وإلى هذا رجع أبو يوسف وغيره من المخالفين، ممن ناظر مالكا وغيره من أهل المدينة في مسألة الأوقاف والمد والصاع حين شاهد هذا النقل وتحققه، ولا يجب لمنصف أن ينكر الحجة هذا. وهو الذي تكلم عليه مالك عند أكثر شيوخنا.

ولا خلاف في صحة هذا الطريق، وكونه حجة عند العقلاء، وتبليغه العلم يدرك ضرورة^(١).

(١) فقد ذكر شيخ الإسلام اتفاق المسلمين على كلامه.

انظر المرتبة الأولى في كلامه، وكذلك ابن القيم.

انظر: صحة أصول مذهب أهل المدينة ص ٢٥-٣٠، وغير الواحد إذا خالف عمل أهل المدينة ص ٦٥-٧٣، ١٠٠-١٠٦،

وإنما خالف في تلك المسائل من غير أهل المدينة من لم يبلغه النقل الذي بها. قال القاضي أبو محمد عبد الوهاب: ولا خلاف بين أصحابنا في هذا، ووافق عليه الصيرفي وغيره من أصحاب الشافعي، كما حكاه عنه الأهمري.

وقد خالف بعض الشافعية عنادا، ولا راحة للمخالف في قوله أن ما هذا سبيله فهم وغيرهم من أهل الآفاق من البصرة والكوفة ومكة سواء، إذ قد نزل هذه البلاد، وكان بها جماعة من الصحابة، ونقلت السنن عنهم، والخير المتواتر من أي وجه ورد لزم المصير إليه، ووقع العلم به، فصارت الحجة في النقل فلم تختص المدينة بذلك وسقطت المسألة.

وهذه أقوى عمدتهم، فنقول لهم: كذلك نقول: لو تصورت المسألة في حق غيرهم، لكن لا يوجد مثل هذا النقل كذلك عند غيرهم، فإن شرط نقل التواتر تساوي طرفيه ووسطه، وهذا موجود في أهل المدينة، ونقلهم الجماعة عن الجماعة عن النبي صلى الله عليه وسلم، أو العمل في عصره، وإنما ينقل أهل البلاد غيرها عن جماعتهم حتى يرجعوا إلى الواحد أو الإثنين من الصحابة، فرجعت المسألة إلى خير الأحاد.

وبالحري أن تفرض المسألة في عمل أهل مكة في الأذان، ونقلهم المتواتر عن الأذان بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم بها، لكن يعارض هذا آخر في الفعلين من رسول الله صلى الله عليه وسلم، والذي مات عليه بالمدينة، ولهذا قال مالك لمن ناظره في المسألة ما أدري أذان يوم ولا ليلة هذا مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤذن فيه من عهده، ولم يحفظ عن أحد إنكار على مؤذن فيه.

النوع الثاني: إجماعهم على عمل من طريق الاجتهاد والاستدلال، فهذا النوع اختلف فيه أصحابنا^(١):

- فذهب معظمهم إلى أنه ليس بحجة، ولا فيه ترجيح.

وهذا قول كبراء البغداديين منهم: ابن بكير، وأبو يعقوب الرازي، وأبو الحسين بن المتتاب، وأبو العباس الطيالسي، وأبو الفرج، والقاضي أبو بكر الأهمري، وأبو التمام، وأبو الحسن ابن القصار. قالوا: لأنهم بعض الأمة، والحجة إنما هي لجمعها.

وهو قول المخالفين أجمع، ولهذا ذهب القاضي أبو بكر بن الطيب، وغيرهم، وأنكر هؤلاء أن يكون مالك يقول هذا، أو أن يكون مذهبه، ولا أئمة أصحابه.

(١) انظر هذه الأقوال في إحكام الفصول ٤٩١/١.

- وذهب بعضهم إلى أنه ليس بحجة، ولكن يرجح بهم على اجتهدا غيرهم. وهو قول جماع من متفهميهم، وبه قال بعض الشافعية، ولم يرتضه القاضي أبو بكر، ولا يحقو أئمتنا وغيرهم.

- وذهب بعض المالكية إلى أن هذا النوع حجة كالنوع الأول.

وحكوه عن مالك. قال القاضي ابن نصر^(١): وعليه يدل كلام أحمد ابن المعذل، وأبي مصعب، وإليه ذهب القاضي أبو الحسين بن أبي عمر من البغداديين، وجماعة من المغاربة من أصحابنا، وآه مقدما على خير الواحد والقياس.

وأطبق المخالفون أنه مذهب مالك، ولا يصح عنه كذا مطلقا....

فأما قول من قال من أصحابنا: إن إجماعهم من طريق الاجتهاد حجة، فحجته ما لهم من فضل الصحية، والمخالطة، والملابسة، والمسألة، ومشاهدة الأسباب والقرائن، ولكل هذا فضل ومزية في قوة الاجتهاد^(٢).

وقد قال أصحابنا ومخالفونا: إن تفسير الصحابي الراوي لأحد محتلمي الخبر أولى من تفسير غيره، وحجة يترك لها تفسير من خالفه، لمشاهدة الرسول وسماعه ذلك الحديث منه، وفهمه من حاله، وصريح ألفاظه، وأسباب قضيته، ما يكون له به من العلم بمراده ما ليس عند غيره، فرجح تفسيره لذلك.

فكذلك إجماع أهل المدينة بهذا السبيل، واجتهادهم مقدم على غيرهم ممن نأت داره، ولم يبلغه إلا مجرد خبر معرّى من قرائنه، سلب من أسباب مخارجه.

ولهذا رجح الشافعي أحاديث شيوخ الصحابة على حديث أسامة في الدماء، قال: لأن ابن عمر وعبادة والمشيخة أعلم برسول الله صلى الله عليه وسلم من أسامة.

ولهذا رجح بعض الأصوليين والفقهاء قياس الصحابي على قياس غيره، ولذلك رجح كثير منهم عمل الصحابي بالحديث إذا رواه على غيره من حديث لم يعمل به راويه.

وقد قال الشافعي مرة: إجماع أهل المدينة أحب إلي من القياس.

(١) القاضي عبد الوهاب.

(٢) كلام القاضي في المسألة من كتاب ترتيب المدارك، باب بيان الحجة بإجماع أهل المدينة فيما هو، وتحقيق مذهب مالك. ٥٨-٤٧/١.

وانظر إكمال المعلم، كتاب اللبس والزينة، باب تحريم فعل الواصلة ٦٥٧/١-٦٥٨، وراجع إكمال المعلم. ٤٥/٥، ٢٣١، ١١٠، ٢٨٨/٤، ٢٩٦، ٢٤٠، ٢١٠، ٩٣، ٨٩/٣، ٢٨٨، ٢٤٤-٢٤١/٢، ٥٠٦، ٢٧٩، ٤٥٨/١، ١٥٨، ١٥٩، ١٨١، ٤١٣/٦، ٤٣١، ٤٥٠، ٤٧٥.

وهذا القول بأن إجماعهم حجة في وجهه، بخلاف إجماع غيرهم الذي لا خلاف من أحد أنه لا تأثير له في الأحكام، إلا ما حكى عن بعض الأصوليين من أن إجماع أهل الحرمين والمصريين حجة كما قدمناه.

وما رجع به أهل الأصول في تعارض الأخبار بعمل أهل مكة والمدينة.
وهذا أكرمك الله تعالى - منتهى الكلام في هذا الباب، ولباب العقول والألباب، ومنزِع المسألة من التحقيق والتدقيق، يشهد له كل منصف بالصواب^(١).

ثالثاً: أقوال أهل العلم في المسألة^(٢):

العلماء في هذه المسألة على قولين:

- الجمهور من أهل العلم من الحنفية، والشافعية، والحنابلة، وغيرهم، على أن إجماع أهل المدينة ليس بحجة.

- والقول الآخر للمالكية: إن إجماع أهل المدينة حجة، ولهم تفصيل في ذلك سبق في كلام القاضي عياض.

وخلصته كالتالي، كما قرر ذلك الدكتور حسان فلميان حيث قال: ((عمل أهل المدينة عند مالك: هو ما أدركه من أقوال وأعمال علماء المدينة وقضاها ومفتيها، واستتاره في الاستدلال به على كونه ميراث توارثوه عن التابعين الذين ورثوه عن الصحابة، وأن منه ما كان سنة عن النبي صلى الله عليه وسلم، ومنه ما كان اختياراً لأقوى ما وجدته الصحابة في اجتهادهم، ومنه ما كان اجتهاداً من التابعين...)).

(١) انظر ترتيب المدارك ٤٧/١-٥٨، ونقله عنه كل من صاحب رسالة عمل أهل المدينة بين مصطلحات مالك وآراء الأصوليين ص ١١٤-١١٧، وغير الواحد إذا خالف عمل أهل المدينة ص ٦٧-٧٢.

(٢) إحكام الفصول ٤٨٦/١، الإشارة ص ٩٠، مختصر ابن الحاجب ص ١١٠، شرح تنقيح الفصول ص ٢٦٢، مفتاح الوصول ص ١٦٦، نثر الورود ٤٣١/٢، المذكرة ص ١٥٣.

أصول السرخسي ٣١٤/١، غاية الوصول ٢٩١/١، كشف الأسرار ٤٤٦/٣، تيسير التحرير ٢٤٤/٣، فواتح الرحموت ٢٩٠/٢، الملح ص ٢٥٦، التبصرة ص ٢١٣، التلخيص ص ٤١١، البرهان ٢٧٨/١، المستصفي ٣٥١/١، المحصول ١٦٢/٤، الإحكام ٣٠٢/١، الوصول ١٢١/١، الإجماع ٣٦٤/٢، غاية السؤل ٤٠٠/٢، البحر المحيط ٥٢٨/٣.

العدة ٢١٨/٢، التمهيد ٢٧٤/٣، الروضة ٢٤٠/١، شرح مختصر الروضة ١٠٣/٣، المختصر في أصول الفقه ص ٧٦، شرح غاية السؤل ص ٢٥١، شرح الكوكب المنير ٢٣٧/٢، المدخل ص ٢٨٩.

المعتمد ٣٤/٢، الإحكام لابن حزم ٦٠٠/٤، إرشاد الفحول ص ١٢٤، أصول الفقه لأبي النور ١٨٣/٣، أصول الفقه للرحيلي ٥٠٥/١.

وأن أتباع الإمام مالك هم الذين فرقوا بين العمل النقلي، والعمل الاجتهادي، لإدراكهم توجه بعض الاعتراضات التي وجهها مخالفو الإمام مالك.

وأن المالكية اتفقوا على حجية العمل النقلي.

واختلفوا في العمل الاستدلالي، وجمهورهم على عدم حجتيه، وبعضهم ألحق في الحجية العمل المتصل بالعمل النقلي...^(١).

أدلة الجمهور على عدم حجية عمل أهل المدينة وإجماعهم^(٢):

١- أن أدلة الإجماع لا تتناول أهل المدينة وحدهم، لأن اسم الأمة أو المؤمنين لا يقع عليهم بانفرادهم.

٢- أن حد الإجماع : اتفاق أهل الحل والعقد على حكم الحادثة، والاتفاق لم يحصل لوجود مخالفة غيرهم من أهل الأمصار، وأقوالهم حجة في الدين، ولهذا يجوز تقليدهم في أحكام الحوادث.

٣- أن الله أخبر عن عصمة جميع الأمة، فدل على جواز الخطأ على بعضهم.

٤- الاعتبار بالعلم، ومعرفة الأصول، وقد استوى فيه أهل المدينة وغيرهم، ولأنه أحد الحرمين، فلم يقدم إجماع أهله، كإجماع أهل مكة، لما لها من الشرف والفضل، ولم يعتد بإجماع أهلها.

٥- أن القول به يفضي إلى أن إجماعهم حجة ما داموا في المدينة، فإذا خرجوا منها لم يكن حجة، وهذا لا وجه له، لأن من كان قوله حجة في مكان ما، كان حجة في سائر الأماكن كقول الله تعالى، وقول رسوله.

قال الدكتور حسان فلميان بعد ذكره لأدلة الجمهور: ((نستطيع أن نستخلص مما تقدم: أن القائلين بعدم حجية إجماع أهل المدينة انصببت على رفض حجية إجماع بعض الأمة، والإجماع إنما استمد حجتيه من الشرع الذي أثبت العصمة للأمة كلها.

(١) بحر الواحد إذا خالف عمل أهل المدينة ص ٧٣-٩٩-١٠٦-١٢٩.

(٢) انظر لأدلة الجمهور في:

شرح تنقيح الفصول ص ٢٦٢، نثر الورود ٤٣١/٢، المذكرة ص ١٥٣، نهاية الوصول ٢٩١/١، تيسير التحرير ٢٤٤/٣، اللع ص ٢٥٦، التبصرة ص ٢١٣، البرهان ٢٧٨/١، المستصفى ٣٥١/١، الإحكام ٣٠٣/١، الوصول ١٢٢/٢.

العدة ٢١٨/٢-٢١٩، التمهيد ٢٧٤/٣، الروضة ٢٤٠/١، شرح مختصر الروضة ١٠٣/٣-١٠٦، شرح الكوكب النور ٢٣٧/٢، للعتد ٣٤/٢، أصول الفقه لأبي النور ١٨٣/٣، أصول الفقه للزحلي ٥٠٥/١. بحر الواحد إذا خالف عمل أهل المدينة ص ٦٤-٦٥.

وهذه الأدلة توحى أن قائلها فهموا أن القائلين بإجماع أهل المدينة، إنما يدعونهم فيما طريقه الاجتهاد والاستدلال، بدليل أن المجد ابن تيمية - لما ذكر أن قوما من أصحاب مالك قالوا: إنما أراد إجماعهم فيما طريقه النقل - قال: ((وهذا فرار من المسألة)) الأمر الذي أدى بهم إلا الاستدلال بما يستدل به على الذين يدعون حجية إجماع بعض الأمة...^(١)

أدلة المالكية على حجية إجماع أهل المدينة:

١- قال الباجي: إن كان المؤذن يؤذن بالأمس على المنابر أذانا على صفة قد علم جميعهم أنه الأذان الذي فارقه عليه النبي صلى الله عليه وسلم، ثم أذن من ألف مؤذن، فأمسك الجميع عن الإنكار عليه، والإخبار عنه بأنه غير شيئا من الأذان، فإنه بمنزلة أن يقولوا: إن هذا هو الأذان الذي أذن به الأمس، ولو قاله بعضهم أو نطق به الجزء الأول منهم، لكان تواتر يقطع العلم به. ولذلك من دخل المدينة، ولا علم له بموضع قبر النبي صلى الله عليه وسلم، فاسترشد عن المسجد والقبر فأرشده رجل أو اثنان إلى القبر ولم ينكر عليه أحد ذلك، بمحض جماعة من أهل المدينة = وقع له العلم بأن الذي أرشده إليه هو قبر النبي صلى الله عليه وسلم. ولو لم يقع العلم بذلك إلا لمن أخبره جماعة أهل المدينة؛ لعلمه العالمون بذلك، فإن هذا مما يتعذر وجوده. وأما مسألة الصاع: فأين في التواتر من أن تحتاج إلى تمثيل أو برهان أو دليل.

فهذا وما شابهه هو الذي احتج به مالك من إجماع أهل المدينة. وطريقه للمدينة طريق التواتر، ولا يجوز أن يعارض الخبر المتواتر بخبر الآحاد، كاحتجاج مالك رحمه الله بأقوال لأهل المدينة على هذا الوجه. ولو اتفق أن يكون لسائر البلاد نقل يساوي نقل المدينة في مسألة من المسائل، لكان أيضا حجة، ومقدما على أخبار الآحاد. وإنما نسب هذا إلى المدينة لأنه موجود فيها دون غيرها^(٢).

٢- وأيضا ((فإن مالكا لم يحتاج بذلك إلا في المواضع التي طريقها النقل. فاحتج بما على أبي يوسف في صحة الوقف وقال له: هذه أوقاف رسول الله صلى الله عليه وسلم - وصدقاته ينقلها الخلف عن السلف، فرجح أبو يوسف عن موافقة أبي حنيفة في ذلك إلى موافقة مالك. وناظره في الصاع أيضا، فاحتج عليه مالك بنقل أهل المدينة للصاع، وأن الخلف عن السلف ينقل أن هذا الصاع الذي كان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، لم يغير ولم يبدل، فرجح أبو يوسف إلى مذهب مالك في ذلك.

(١) ومثله قال القاضي أبو يعلى. وقال القاضي عياض ((وأطبق للمعالفون إنه مذهب مالك، ولا يصح عنه كلنا مطلقا)).

العدة ٢١٩/٢، للسودة ص ٢٩٧، ترتب المدارك ٥٧/١.

(٢) إحكام الفصول ٤٨٧/١ - ٤٨٩.

وناظر مالك بعض من احتج عليه في الأذان بأذان بلال بالكوفة فقال مالك رحمه الله : ما أدري ما أذان يوم ولا أذان صلاة! هذا مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يؤذن فيه من عهده صلى الله عليه وسلم إلى اليوم، لم يحفظ عن أحد إنكار على مؤذن فيه، ولا نسبته إلى تغيير، وهذا لعمرى من أقوى الأدلة^(١).

٣- المدينة مهد الرسول صلى الله عليه وسلم، وموضع القبر والوحي، ومستقر الإسلام، وجمع الصحابة رضي الله عنهم، وأن أهلها شاهدوا التنزيل وسمعوا التأويل، وكانوا أعرف بأحوال الرسول صلى الله عليه وسلم من غيرهم مطلقاً، فوجب ألا يخرج الحق عن قولهم^(٢).

٤- رواية أهل المدينة مقدمة على رواية غيرهم، فكذاك لإجماعهم وعملهم وعقيدتهم يقدم على قول غيرهم^(٣).

وأجيب عنه: بأنه تمثيل خال عن الجامع، فلا يصح دليلاً.

وإن سلم فالفرق ظاهر، وهو أن الرواية ترجح بكثرة الرواة اتفاقاً، والاجتهاد لا يترجح بكثرة المجتهدين^(٤).

قال الطوبى: ((وليس ذلك بلازم، لأن الاتفاق مستنده العصمة السمعية، وليست مختصة بهم، بخلاف الرواية)^(٥).

٥- ما ورد في فضل المدينة وأهلها من الآثار^(٦) كقوله: ((إن الإيمان ليأرز إلى المدينة كما تأرز الحية إلى حجرها)^(٧).

وقوله: ((اللهم حبب إلينا المدينة كحبنا مكة أو أشد، اللهم بارك لنا في صاعنا ومدنا)^(٨).

(١) إحكام الفصول ١/٤٨٧-٤٨٩.

(٢) الإشارة ص ٩١، التبصرة ص ٢١٤، العدة ٢/٢٢٣، التمهيد ٣/٢٧٦، الوصول ٢/١٢٣، الإحكام ١/٣٠٣، المعتمد ٣/٣٤٤، أصول الفقه لأبي النور ٣/١٨٣.

(٣) التبصرة ص ٢١٤، الإحكام للآمدي ١/٣٠٣، التمهيد ٣/٢٧٧، المعتمد ٢/٣٤٢.

(٤) مختصر ابن الحاجب مع شرح المعتمد ص ١١٧.

(٥) شرح مختصر الروضة ٣/١٠٥.

(٦) أوردتها وغيرها القاضي عياض في ترتيب المدارك ١/٣٩٩، وما بعدها، باب ما ورد من الآثار في فضل المدينة ودعاء النبي صلى الله عليه وسلم لها. وأكثر الأحاديث في الصحيحين.

(٧) البخاري (١٨٧٦)، مسلم (١٤٧)، من حديث أبي هريرة. ورواه مسلم بمناه (١٤٦) من حديث ابن عمر.

انظر: الأحاديث الواردة في فضائل المدينة ٢٨٥-٢٩٧.

(٨) البخاري (١٨٨٨)، مسلم (١٣٧٦)، من حديث عائشة.

وقوله: ((إنما المدينة كالكبر، تنفي حبثها وتنصع^(١) طيها))^(٢). والخطأ حبث فكان متفيا على أهل للمدينة.

وأجاب العلماء عن هذه الآثار: بأنها أخبار آحاد، فلا يثبت بها أصل في أصول الدين^(٣).

وأما تدل على فضل المدينة ولا مدخل للإجماع فيها.

قال الغزالي: ((وذلك يدل على فضيلتهم وكثرة صوابهم، لسكانهم المدينة، ولا يدل على تخصيص الإجماع بهم))^(٤).

٦- ما ورد عن الصحابة والتابعين من الآثار في تقدم علم أهل المدينة. قال القاضي عياض: ((قال زيد ابن ثابت: إن رأيت أهل المدينة على شيء فاعلم أنه السنة. وقال ابن عمر: لو أن الناس إذا وقعت فتنة ردوا الأمر فيه إلى أهل المدينة فإذا اجتمعوا على شيء — يعني فعلوه — صح الأمر، ولكنه إذا نعت ناعق تبعه الناس. قال مالك: كان ابن مسعود يسأل بالعراق عن شيء فيقول فيه، ثم يقدم المدينة فيجد الأمر على غير ما قال، فإذا رجع لم يحط راحلته ولم يدخل بيته حتى يرجع إلى ذلك الرجل فيخبره بذلك. قال: وكان عمر بن عبد العزيز يكتب إلى الأمصار يعلمهم السنن والفقه، ويكتب إلى المدينة يسألهم عما مضى، ويعلمون بما عندهم... وقال عبد الله بن عمر بن الخطاب: كتب إلي عبد الله — يعني ابن الزبير — وعبد الملك بن مروان، كلاهما يدعوني إلى المشورة، فكُتبت إليهما إن كنتم تريدان المشورة فعليكما بدار المحرة والسنة. وقال رجل لأبي بكر عمرو بن حزم في أمر: والله ما أدري كيف أصنع في كذا. فقال أبو بكر: يا ابن أخي إذا وجدت أهل هذا البلد قد أجمعوا على شيء، فلا يكن في قلبك منه شيء.))

وقال الشافعي: أما أصول أهل المدينة فليس فيها حيلة من صحتها. وقال الشافعي أيضا: رحلت إلى المدينة فكُتبت اختلافهم... وقال الشافعي: كل حديث ليس له أصل بالمدينة، وإن كان متقطعا ففيه ضعف...))^(٥).

(١) تخلص.

(٢) البحاري (٧٢١١)، مسلم (١٣٨٣)، من حديث جابر.

(٣) وهذا الدليل لا يجري على أصول أهل السنة من الاحتجاج بخبر الآحاد في الأصول والفروع. كما أن المانع من ذلك — وهم المتكلمون من المعتزلة والأشاعرة — لا تخلوا أدلتهم من الاعتماد على خبر الآحاد في الأصول، وهو أكثر من أن يمتثل له.

(٤) المستصفى ٣٥١/١.

(٥) ترتيب المدارك ٣٨/١-٤١ حيث عقد باين وهما: باب الآثار في اختصاص المدينة بفضل العلم والسنة والقرآن، وباب فضل علم أهل المدينة، وترجمه على غيرهم، واقتداء السلف بهم. والآثار المذكورة هنا من الباب الأخير.

الراجع في المسألة:

إجماع أهل المدينة أو عملهم على قسمين، كما قسمه إلى ذلك أهل المذاهب.

فالقسم الأول: ما كان مبناه على التوقيف والنقل والعمل المتصل مثل نقلهم لمقدار الصاع والمد وكترك صدقة الخضروات والأحباس فهذا مما اتفق عليه كما نقل ذلك المالكية والمحققون من أهل العلم: كشيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم.

وهذا رافع لإنكاره، لأنه من باب النقل المتواتر وهو حجة بلا خلاف.

وأما القسم الثاني: وهو ما كان من باب الاجتهاد والاستدلال، فهذا ليس بحجة وليس معتبر، كما نص عليه محققو المالكية وغيرهم^(١).

قال الشيخ الشنقيطي رحمه الله: ((وأما حجة مالك فالتحقيق أنها ناهضة أيضا لأن الصحيح عنه أن إجماع أهل المدينة المعتبر له شرطان: أحدهما: أن يكون فيما لا مجال للرأي فيه.

والثاني: أن يكون من الصحابة أو التابعين، لا غير ذلك، لأن قول الصحابي فيما لا مجال للرأي فيه في حكم المرفوع، فألحق بهم مالكا التابعين من أهل المدينة، فيما اجتهد فيه، لتعلمهم ذلك عن الصحابة.

أما في مسائل الاجتهاد فأهل المدينة عند مالك في الصحيح عنه، كفبرهم من الأمة))^(٢).

* * *

(١) إعلام اللوفقين ٣٩٦/٢، ورسالة آراء الإمام المازري ٧٤٢/٢، غير الواحد إذا خالف عمل أهل المدينة ص ١٠١-١٠٣.

(٢) مذكرة أصول الفقه ص ١٥٤، معالم أصول الفقه عند أهل السنة والجماعة ص ١٧٤.

مسألة: تعارض عمل أهل المدينة مع أخبار الآحاد.

تعرض عياض لهذه المسألة في معرض كلامه على إجماع أهل المدينة والاحتجاج له.

فقال: ((ولا يخلوا عمل أهل المدينة مع أخبار الآحاد من ثلاثة وجوه.

- إما أن يكون مطابقا لها فهذا أكد في صحتها، إن كان من طريق النقل، وترجيحه إن كان من طريق الاجتهاد بلا خلاف في هذا، إذ لا يعارضه هنا إلا اجتهاد الآخرين وقياسهم، عند من يقدم القياس على خير الواحد.

- وإن كان مطابقا لخير يعارضه خير آخر، كان عملهم مرجحا لخيرهم، وهو أقوى ما ترجح به الأخبار إذا تعارضت، وإليه ذهب الأستاذ أبو إسحاق الاسفراييني ومن تبعه من المحققين من الأصوليين، والفقهاء من المالكية وغيرهم^(١).

- وإن كان مخالفا للأخبار جملة، فإن كان إجماعهم من طريق النقل ترك له الخير بغير خلاف عندنا في ذلك، وعند المحققين من غيرنا، على ما تقدم. ولا يجب عند التحقيق تصور خلاف في هذا، ولا التفات إليه، إذ لا يترك القطع واليقين لغلبات الظنون، وما عليه الاتفاق لما فيها الخلاف كما ظهر للمخالف المنصف فرجع، وهذه نكته مسألة الصاع والمد والوقوف وزكاة الخضروات وغيرها.

- وإن كان إجماعهم اجتهدا قدم خير الواحد عليه عند الجمهور، وفيه خلاف كما تقدم من أصحابنا^(٢).

- فأما إن لم يكن لهم عمل بخلافه ولا وفاق فقد سقطت المسألة، ووجب الرجوع إلى خير الواحد كان من نقلهم أو من نقل غيرهم إذا صح ولم يعارض، فإن عارض هذا الخير الذي نقلوه

(١) وهذا مذهب مالك والشافعي، وقيل المنصوص عن أحمد، أنه يرجح بعمل أهل المدينة.

ومذهب أبي حنيفة لا يرجح بعمل أهل المدينة.

قاله شيخ الإسلام في كتابه صحة أصول أهل المدينة ص ٢٥-٣٠، وانظر إعلام الموقعين ٢/ ٣٨٠-٣٩٦.

(٢) فائدة: زاد ابن تيمية العمل القلم بالمدينة قبل موت عثمان.

وهذا حجة في مذهب مالك، وهو المنصوص عن الشافعي، وظاهر مذهب أحمد. والحقى عن أبي حنيفة يقتضى أن قول الخلفاء الراشدين حجة.

وما يعلم بأهل المدينة عمل قدم على عهد الخلفاء الراشدين، مخالف لسنة الرسول صلى الله عليه وسلم

صحة أصول أهل المدينة ص ٢٥-٣٠، وانظر إعلام الموقعين ٢/ ٣٨٠-٣٩٦.

خير آخر نقله غيرهم من أهل الآفاق كان ما نقلوه مرجحا عند الأستاذ أبي إسحاق وغيره من المحققين لزيادة قرب مشاهدتهم قرائن الأحوال، وتعددتهم لنقل آثار الرسول عليه السلام وأنهم الجمل الغفير عن الجمل الغفير عنه^(١).

الموافقة:

ونقل مثله عن القاضي عبد الوهاب ابن القيم في الإعلام ووافقهم عليه^(٢) قال شيخ الإسلام: ((مذاهب جمهور الأئمة توافق مذهب مالك في الترجيح بأقوال أهل المدينة))^(٣).



(١) انظر ترتيب المدارك ١/٥١-٥٢.

(٢) إعلام الموقعين ٢/٣٩٢-٣٩٣، وغير الواحد إذا خالف عمل أهل المدينة ص ٩٧.

(٣) صحة مذهب أهل المدينة ص ٢٩، وراجع المسألة بعنوان الترجيح بعمل أهل المدينة في كتاب غير الواحد إذا خالف عمل أهل المدينة ص ١٢٢-١٢٦.

الفصل الخامس: آراؤه في مباحث القياس

- المبحث الأول : حجية القياس
- المبحث الثاني : المحكم القياس على الرخص
- المبحث الثالث : قياس العكس
- المبحث الرابع : هل العلة المعينة تتعدى أم لا ؟

المبحث الأول : حجية القياس

تعريف القياس

لغة: القياس في اللغة بمعنى التقدير والمساواة.

- فمن التقدير قولهم: قست الثوب بالذراع إذا قدرته به.

ومنه قول الشاعر، يصف جراحة أو شحة:

إذا قاسها الآسي النطاسي أدبرت غثيتها وازداد وهيا هزومها.

قاس الجراحة: إذا جعل فيها الميل، يقدرها به ليعرف غورها^(١).

- ومن المساواة قولهم: فلان لا يقاس بفلان أي لا يساويه^(٢).

اصطلاحاً^(٣):

ذكروا له عدة تعريفات، وأكثرها لم يَسَلَم من الاعتراض، حتى قال إمام الحرمين بأنه لا يمكن حده^(٤).

وأقرب تعاريفه ما عرفه به الباقلاني حيث قال: (حمل معلوم على معلوم، في إثبات حكم لهما أو نفيه عنهما، بأمر يجمع بينهما، من إثبات حكم، أو صفة أو نفيهما)^(٥).

قال في المحصول: واختاره جمهور المحققين منا.

وقال إلكيا: وهو أسد ما قيل على صناعة المتكلمين.

(١) الروضة ٢٧٥، اللسان مادة (قيس).

(٢) القاموس المحيط ٢٥٣/٢ المصباح المنير ٢٦٩ للمعجم الوسيط ٧٧٠/٢.

(٣) انظر تعريف القياس في:

الإشارة ٩٦، مختصر ابن الخاحب مع شرح العضد ٢٨٧، شرح تنقيح الفصول ٢٩٨، نثر الورود ٤٤٢/٢، المذكرة ٢٤٣، أصول السر غسي ٢ / ١٤٣، نهاية الوصول ٢ / ٥٧٦، المغني ٢٨٥، كشف الأسرار ٤٨٩/٣، تيسر التحرير ٣ / ٢٥٧، فوائح الرحموت ٢/٣٠٥، اللع ٢٧٥، التلخيص ٤٢٣، البرهان ٢ / ٥، المستصفي ٢ / ٢٣٦، المحصول ٥ / ٥ الإحكام ٣ / ٢٠١، الإمماج ٣ / ٣، البحر المحيط ٤ / ٤، التمهيد ٣ / ٣٥٨، الروضة ٢ / ١٤٤، شرح مختصر الروضة ٣ / ٢١٨، المختصر في أصول الفقه ١٤٢، شرح الكوكب المنير ٤ / ٦، للمعتمد ٢ / ١٩٥، إرشاد الفحول ٢٩٥.

(٤) البرهان ٢/٦، البحر المحيط ٤/٥ إرشاد الفحول ٢٩٦ وقال: ((يتعذر الحد الحقيقي في القياس، لاشتغاله على حقائق مختلفة كالحكم فإنه قديم، والفرع و الأصل فلألحما حادثان، والجامع فإنه علة)).

(٥) انظره في أكثر المصادر السابقة فقد ورد في أكثرها.

وقريب من هذا اختيار البيضاوي في المنهاج: (إثبات مثل حكم معلوم في معلوم آخر لاشتراكهما في علة الحكم عند المثبت)^(١).

وهو أقل من الأول اعتراضاً وأرجح منه.

* والمختار عند الحنابلة: (حمل فرع على أصل في حكم بجامع بينهما)^(٢)

وعرفه شيخ الإسلام بقوله: (الجمع بين التماثلين والفرق بين المختلفين)^(٣)

واختار الشوكاني: (استخراج مثل حكم المذكور لما لم يذكر بجامع بينهما)^(٤)

ثانياً: تحرير محل النزاع في حجية القياس

١- اعلم أن الأصوليين اتفقوا على حجية القياس الصادر منه صلى الله عليه وسلم.^(٥)

٢- واتفقوا أيضاً على أنه حجة في الأمور الدنيوية كما في الأدوية والأغذية، والأسفار والمتاجر ونحو ذلك^(٦).

٣- قال ابن عبد البر: لا خلاف بين فقهاء الأمصار، وسائر أهل السنة في نفي القياس في التوحيد، وإثباته في الأحكام إلا داود فإنه نفاه فيهما جميعاً. قال: ومنهم من أثبتته في التوحيد ونفاه في الأحكام...^(٧)

٤- واختلفوا في حجية القياس في الأمور الشرعية.

أقوال العلماء في المسألة:

فذهب عامة الأمة والعلماء من السلف والخلف، ومنهم الأئمة الأربعة إلى حجية القياس في الأمور

(١) الإجماع ٣/٣، نهاية السؤل ٣/٣،

(٢) كالمرق والطرقي وابن اللحام قال ابن المرقد بعد إيراد التعريف هذا هو المختار عند أصحابنا شرح غاية السؤل ٣٧٤

(٣) مجموع الفتاوى ٥٠٤/٢٠، المدخل ٣٠٤.

ولعل تعريف شيخ الإسلام ابن تيمية أجمع لدخول قياس العكس فيه، وذلك عند قوله: والفرق بين المختلفين.

(٤) إرشاد الفحول ٢٩٦

(٥) شرح تنقيح الفصول ٣٠١، المصؤل ٢٠/٥، نهاية السؤل ١٢/٣، البحر المحيط ١٤/٤، شرح الكوكب للنير ٢١٨/٤،

إرشاد الفحول ٢٩٦.

(٦) للمصادر السابقة

(٧) البحر المحيط ١٥/٤، إرشاد الفحول ٢٩٨، (جامع بيان العلم)

الشرعية^(١) وهو رأي القاضي عياض. وهذه بعض النصوص الدالة على مذهب القاضي عياض .
 أ- قال عادداً لأدلة ومرتبها لها الكتاب ثم السنة ثم الإجماع ثم ما يستفاد منها من لألفاظ (...) ثم
 بأخذ قياس ما لم يُنص عليه على ما نُص، بالتنبيه على علته أو شبيهاً لها^(٢).
 ب- وقال رداً على داود في نقي القياس (لكن داود نَجَّ اتَّبَاعَ الظاهر، ونفى القياس.
 - فخالف السلف والخلف، وما مضى عليه عمل الصحابة فمن بعدهم^(٣).
 حتى قال بعض العلماء: إن مذهبه بدعة ظهرت بعد المائتين^(٤)، وحتى أنكروا عليه ذلك إسماعيل
 القاضي أشد إنكاراً.

- وإذا لم يقل بالقياس وهو أحد أركان الاجتهاد فيما يجتهد فعلى فيما لم ينص عليه يعتمد...^(٥)
 ج- استنبط - رحمه الله - جواز القياس من أحاديث كثيرة^(٦)، منها:
 ١. قوله: ((وقول عمار^٧ (فتمرغت كما تتمرغ الدابة) وفي رواية (فتمعكت) وفيه استعمال
 القياس، لأنه لما رأى آية التيمم في الوضوء في بعض الأعضاء، إذا كان الوضوء مختصاً ببعض
 الأعضاء، وكان طهر الجنابة لعموم الجسد استعمل التيمم بالتراب في جميع الجسد.

(١) انظر أقوال أهل العلم في حجية القياس في: الإشارة ٩٦، مختصر ابن الحاجب مع العضد ٣٣٢، شرح تنقيح الفصول
 ٢٩٩، المذكرة ٢٤٥، أصول السرخسي ١١٨/٢، نهاية الوصول ٦٣٩/٢، كشف الأسرار ٤٩٤/٣، فوائح الرحموت
 ٣٧٤/٢، التبصرة ٢٥٠، اللمع ٢٧٦، التلخيص ٤٢٨، الرهان ٧/٢، للمستصفي ٢٤٢/٢، المحصول ٢٦/٥، الإحكام
 ٢٨، ٩/٤، الوصول ٢/ ٢٤٣، الإجماع ٧/٣، نهاية السؤل ١٢/٣، البحر المحيط ١٤/٤، العدة ٢٨٤، التمهيد ٣/٣
 ٣٦٥، الروضة ٢/٢٤٩، شرح مختصر الروضة ٣/٢٤٥، شرح غاية السؤل ٤٠٠، شرح الكوكب المنير ٤/٢١٣،
 للمدخل ٣٠٩، الإحكام لابن حزم ٧/٣٨٦، إرشاد الفحول ٢٩٦.

(٢) ترتيب المدارك، باب ترجيح مذهب مالك والحجة في وجوب تقليده ٨٣/١.

(٣) لقد حكى الإجماع على ذلك جماعة من العلماء. انظر لذلك:

الإشارة ٩٦، أصول السرخسي ١١٨/٢، التلخيص ٤٢٨، المستصفي ٢٤٢/٢.

(٤) قال الشاطبي عن الظاهرية: هي عند العلماء بدعة ظهرت بعد المائتين من الهجرة. الاعتصام ص ١٧١.

ونقله عن عياض في الموافقات ٣/٥٤، ١٧٩/٤.

(٥) ترتيب المدارك، فصل في ترجيحه- مالك سمن طريق الاعتبار والنظر ٨٦/١

(٦) انظر هذه الفوائد في: إكمال المعلم ٢/٢٢٢، ٣٠٦/٤، ٤٤٠، ٩٦/٥، ٥٤٣، ٦/٢٠.

هذا بالإضافة إلى نقول أقر عليها المازري في المعلم بين فيها رأيه صراحة في القياس. انظر: ٤٦٦/٦.

(٧) عمار بن ياسر بن عامر بن مالك بن كنانة بن قيس الوثني، المذحجي، أبو اليقظان العنسي المكي مولى بني غزوم، أحد

السابقين الأولين، والأعيان البدرين، وفاته قتل مع علي بصفين سنة (٣٧) ولع (٩٣) سنة. (أحاديثه ٦٢).

الاستيعاب ٣/٢٢٧، أسد الغابة ٣/٦٢٦، الإصابة ٤/٤٧٣.

٢. وقال في موضع وهو يتكلم عن حديث الخثعمية: ((وفيه حجة للقول بالقياس، وتشبيه ما اختلف فيه، أو أشكل على ما اتفق عليه وحقق، ولهذا ترجم البخاري عليه في بعض تراجمه: من شبه أصلاً بنظر ما بأصل مبين)).

٣. وقال في حديث الذي أنكر ولده، عندما جاءت به امرأته أسود. قال عليه الصلاة والسلام: ((ألك إبل)).

قال عياض: ((في هذا الحديث حجة للقول بالقياس، والاعتماد وضرب الأمثال والأشباه لتقريب الأفهام، وعرض الغامض المشكل على البين الظاهر)).

٤. وقال عن حد الخمر: ((وقياسهم لها على أخف الحدود أو على القذف، لان الشارب إذا سكر هذى وإذا هذى افترى أصل في القياس)).

فهذه النقول تبين صراحة أن القاضي عياض يقول بالقياس كالجمهور.

الأقوال الأخرى في حجية القياس (٢) :

١- يجب التعبد بالقياس عقلاً.

وبه قال القفال، وأبو الحسين، والقاضي أبو يعلى، وأبو الخطاب من الحنابلة.

٢- لا يجوز التعبد بالقياس عقلاً.

قال به الشيعة، والخوارج، والنظام، وبعض المعتزلة.

٣- لا يجوز التعبد بالقياس عقلاً ولا شرعاً، إلا أن تكون العلة في الأصل منصوصة، وأن يكون الفرع بالحكم أولى من الأصل.

وبه قال القاساني والنهراني، والصحيح عن دواد وابنه.

٤- نفاه مطلقاً عقلاً أو شرعاً.

ابن حزم الظاهري، وهو المنقول عن داود في الكتب الأصولية.

(١) / الخثعمية: امرأة من خثعم، عن الفضل بن عباس : ((أن امرأة من خثعم قالت: يا رسول الله، إن أبي أدرسته فريضة الله في الحج، وهو شيخ كبير لا يستطيع أن يستوي على ظهر البعير؟ قال: حجي عنه)). قال الترمذي: (حديث الفضل بن عباس حديث حسن صحيح) حديث (٩٢٨) وخثعم قبيلة مشهورة من تنسب إلى خثعم بن أنمار بن أراش بن عمرو بن الغوث. أسد الغابة ٤/٦٣٤.

(٢) هذه الأقوال تنظر في الإحالة السابقة لحجية القياس في قول الجمهور .

أدلة الجمهور على حجية القياس^(١)

أولاً: من القرآن الكريم^(٢)

١- قوله تعالى: {فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِيَ الْأَبْصَارِ} (الحشر: من الآية ٢)

قالوا: والاعتبار في اللغة تمثيل الشيء بالشيء، وإجراء حكمه عليه.

٢- واستدل الإمام الشافعي في الرسالة بقوله تعالى: {فَحَزَاءٌ مِّثْلُ مَا قُتِلَ مِنْ النَّعَمِ} (المائدة: من الآية ٩٥). وقال: فهذا تمثيل الشيء بعلده، وقال: {يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ} (المائدة: من الآية ٩٥). وأوجب المثل. ولم يقل أي مثل، فوكل ذلك إلى اجتهادنا.

وأمرنا بالتوجه إلى القبلية بالاستدلال فقال: {وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ} (البقرة: من الآية ١٤٤).

٣- واحتج ابن سريج بقوله تعالى: {وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ} (النساء: من الآية ٨٣). فأولوا الأمر هم العلماء، والاستنباط هو القياس فصارت الآية كالنص في إثباته.

٤- قوله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا بَعُوضَةٌ فَمَا فَوْقَهَا} (البقرة: من الآية ٢٦). لأن القياس تشبيه الشيء، فإذا جاز من فعل من لا تخفى عليه خافية ليرىكم وجه ما تعلمون فهو ممن لا يخلو من الجهالة والنقص أجوز.

٥- قوله تعالى: {قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ} (يس: ٧٨-٩٧). فهذا صريح في إثبات إعادة قياساً.

٦- احتج ابن تيمية بقوله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ} (النحل: من الآية ٩٠). وتقريره أن العدل هو التسوية بين مثلين في الحكم، فيتناوله عموم الآية.

(١) انظر الأدلة في الإشارات ٩٦، شرح تنقيح الفصول ٢٩٩، المذكرة ٢٤٦، أصول السرخسي ١٢٤/٢، نهاية الوصول ٢/

٦٤٠، كشف الأسرار ٣/٥٠٢، فوائح الرحمت ٢/٣٧٤، التبصرة ٢٥٠، اللمع ٢٧٧، المستصفى ٢/٢٤٩، المحصول

٥/٢٦ الإحكام ٤/٣٢، الوصول ٢/٢٤٤، الإمماج ٣/٩، نهاية السؤل ٣/١٥، البحر المحيط ٤/١٩، العدة ٢/٢٨٤،

التمهيد ٣/٣٦٨، الروضة ٢/١٤٩، شرح مختصر الروضة ٣/٢٤٧، للعتد ٢/٢١٦، إرشاد الفحول ٢٩٨، أصول

الفقه أبو النور ٤/٢٣٤، أصول الفقه للزحيلي ١/٦٢١

(٢) البحر المحيط ٤/١٩-٢١

- روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لمعاذ بن جبل حين بعثه إلى اليمن قال: ((كيف تقضي)) قال: أقضي بكتاب الله. قال: ((فإن لم تجد في كتاب الله)). قال: فبسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم. قال: ((فإن لم تجد في سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا في كتاب الله)). قال: أجتهد رأيي ولا آلو.

فضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم صدره. وقال: ((الحمد لله الذي وفق رسول رسول الله لما يرضي رسول الله))^(١).

قال الغزالي: وهذا حديث تلقته الأمة بالقبول، ولم يظهر أحد فيه طعناً وإنكاراً، وما كان كذلك فلا يقدح فيه كونه مراسلاً، بل لا يجب البحث عن إسناده^(٢).

- قول النبي صلى الله عليه وسلم: ((إذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران وإذا اجتهد فأخطأ فله أجر))^(٣).

وهذا يدل على جواز الحكم باجتهاده ورأيه.

(١) رواه أبو داود (٣٥٩٢)، والترمذي (١٣٢٨، ١٣٢٧)، وقال: هذا حديث لا نعرفه إلا من هذا الوجه، وليس إسناده عندي بمتمصل.

عندي بمتمصل.

(٢) للمستصفي ٢/٢٦٦.

قال ابن القيم مصححاً للحديث: فهذا حديث وإن كان عن غير مستند، فلا يضره ذلك لأنه يدل على شهرة الحديث وأن الذي حدث به الحارث بن عمرو عن جماعة من أصحاب معاذ لا واحد منهم وهذا أبلغ في الشهرة من أن يكون عن واحد منهم لو سمي كيف وشهرة أصحاب معاذ بالعلم والدين والفضل والصدق بالهل الذي لا يخفى ولا يعرف في أصحابه منهم ولا كذاب ولا مجروح بل أصحابه من أفاضل المسلمين وخيارهم لا يشك أهل العلم بالنقل في ذلك كيف. إعلام الموقعين ١/٢٠٢.

* لكن قال إمام صنعة الحديث، البخاري: لا يصح حديثه ولا يعرف.

وأورده الجورقاني في الموضوعات، وقال: هذا حديث باطل... والحارث بن عمرو هذا مجهول، وأصحاب معاذ من أهل حمص لا يعرفونه.

قال العظيم آبادي: ومثل هذا الإسناد لا يعتمد عليه في أصل من أصول الشريعة.

وقال المزني: الحارث بن عمرو لا يعرف إلا بهذا الحديث.

وقال الذهبي في الميزان: تفرد به أبو عون محمد بن عبد الله الثقفي عن الحارث وما روى عن الحارث غير أبي عون فهو مجهول.

تحفة الطالب ص ١٥٢، تلخيص الخبير ٤/١٨٢، عون المبرود ٩/٣٦٩.

(٣) البخاري (٦٩١٩)، ومسلم (١٧١٦)، عن عمرو بن العاص.

- قول النبي صلى عليه وسلم لعمر حين سأله عن القبلة للصائم: ((أرأيت لو تمضمضت بماء ثم بمجته أكنت شاربه))^(١).

ولولا أن حكم المثل حكم مثله، وأن المعاني والعلل مؤثرة في الأحكام نفيًا وإثباتًا، لم يكن لذكر هذا التشبيه معنى.

فذكره ليدل به على أن حكم النظر حكم مثله^(٢).

- قول عليه السلام للخنثمية^(٣): ((أريت لو كان على أهلك دين فقضيتيه، أكان يجزي)) فقالت: نعم، قال: ((فدين الله أحق بالقضاء))^(٤). استعمل النبي صلى الله عليه وسلم القياس وذلك يوجب كونه حجة، ودل على أن أمر القياس ممهد في الشريعة.

- وقال للذي أنكر ولده لما جات به امرأته أسود: هل لك من إبل قال: نعم، قال: ما ألوانها؟ قال حمر: قال فيها من أورو؟ قال: نعم، قال: ((فمن أين؟)) قال: لعله نزعه عرق قال: ((وهذا لعله نزعه عرق))^(٥).

(١) أبوداود (٢٣٨٥)، والبيهقي في الكبرى ١٩٨/٢، ابن عزيمة (١٩٩٩)، ابن حبان (٣٥٤٤)، عن جابر بن عبد الله عن عمر.

قال النسائي: منكر، وصححه ابن عزيمة وابن حبان والحاكم. انظر: تحفة الأحوذى ٣/٣٤٩.

تنقيح تحقيق أحاديث التعليق ج ٢/ص ٣١٠

قال ابن عبد الهادي: ضعيف.

وقال: قال شيخنا ابن تيمية: الليث بت سعد الإمام الجليل لا يختلف في فضله وعلمه وهو راوي هذا الحديث، وقد رواه ابن أبي حاتم، والبيهقي والحاكم في المستدرک، وقال على شرط الشيخين، ولم يخرجاه.

وضعف الإمام أحمد هذا الحديث، لأن عمر بن الخطاب كان ينهى عن القبلة للصائم.

وأنكره أيضا النسائي، وذلك لأنهم قالوا إنه قيل لعمر أنكروه القبلة للصائم ورسول الله كان يقبل وهو صائم فقال: من ذا له من الحفظ والعصمة ما لرسول الله.

تنقيح تحقيق أحاديث التعليق ج ٢/٣١٠.

(٢) إعلام الموقعين ١/١٩٩.

(٣) هذا الحديث لم يمت فيه المرأة.

أما حديث الخنثمية فهو في الحجج من حديث ابن عباس أيضا. متفق عليه.

وروى النسائي حديث الحج بلفظ أن رجلا قال يا نبي الله إن أبي مات ولم يحج أفأحج عنه. قال: ((أرأيت لو كان على أهلك دين، أكنت قاضيه)). قال: نعم. قال: ((فدين الله أحق بالوفاء)).

انظر: تلخيص الحبير ٢/٢٢٤.

(٤) البخاري (١٨٥٢)، مسلم (١١٤٨)، من حديث ابن عباس.

(٥) البخاري (٤٩٩٩)، مسلم (١٥٠٠)، من حديث أبي هريرة.

قال المزني: فأبان له بما يعرف أن الحمر من الإبل تنتج الأورق، فكذاك المرأة البيضاء تلد الأسود، فقياس أحد نوعي الحيوان على الآخر، وهو قياس في الطبيعيات، لأن الأصل ليس فيه نسب حتى نقول قياس في إثبات النسب.

- وقال صلى الله عليه وسلم لرجل سأل: أبقيضي أحدنا شهوته ويوخر عليها؟ قال: ((أرأيت لوضعها في حرام كان عليه وزر؟)) قال: نعم. قال: ((فكنلك إذا وضعها في حلال كان له أجر))^(١).

ثالثاً: الإجماع.

أجمع الصحابة على العمل بالقياس، والآثار في ذلك بلغت مبلغ التواتر المعنوي^(٢). قال المزني: الفقهاء من عصر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى يومنا وهم جراً استعملوا المقاييس في الفقه، في جميع الأحكام في أمر دينهم. وأجمعوا بأن نظير الحق حق، ونظير الباطل باطل، فلا يجوز لأحد إنكار القياس^(٣).

منها:

١- قاس الصحابة خلافة أبي بكر على تقلد الرسول صلى الله عليه وسلم له في البيعة، وقالوا: ((رضيه رسول الله لديننا، أفلا نرضاه لدينانا)). وفي الروايات أنها كانت إشارة من عمر رضي الله عنه إلى الصحابة ووافقه عليها الصحابة.

٢- ومن ذلك أيضاً موافقتهم أبي بكر رضي الله عنه في قتال ما نعي الزكاة ورجوعهم إليه وكل ذلك كان عن اجتهاد و رأي.

٣- ومن ذلك قياس أبي بكر رضي الله عنه تعيين الإمام بالعهد على تعيينه بعقد البيعة، حتى إنه عهد إلى عمر بالخلافة، ووافقه على ذلك الصحابة.

٤- ومن ذلك قول عمر رضي الله عنه لأبي موسى الأشعري: ((أعرف الأشباه والأمثال، ثم قس الأمور برأ بك)).

(١) مسلم (١٠٠٦) من حديث أبي ذر.

(٢) انظر هذه الآثار في: الرهان ١٣/٢، التبصرة ٢٥١، اللمع ٢٧٧، الإحكام ٤٣/٤، البحر المحيط ٢٢/٤، إعلام الموقعين ٢١٠/١، وما بعده.

(٣) إعلام الموقعين ٢٠٥/١.

وحكي الاتفاق عن جمع من أهل العلم.

انظر: الإجماع ١٢/٣، شرح الكوكب للنير ٤/٢١٧، فواتح الرحموت ٢/٣٧٦، كشف الأسرار ٣/٥١١، الروضة ٢، ١٥٠، العلة ٢/٢٩٢، التمهيد ٣/٣٨٥، المعتمد ٢/٢٢٠، إرشاد الفحول ٣٠٢.

وهذا الكتاب تلقته الأمة بالقبول^(١).

٥- وقال ابن عباس رضي الله عنه في ديات الأسنان لما قسمها عمر رضي الله عنه على المنافع ((هلا اعتبرتما بالأصابع، عقلها سواء وإن اختلفت منافعها)).

٦- وروي عنه أنه قال: ((ألا يتقي الله زيد بن ثابت يجعل ابن لابن ابنا، ولا يجعل أب الأب (أبا)، أي مع أهما نظيران في الإدلاء للميت بواسطة واحدة.

فهذه الآثار ونحوها الصادرة عن أكابر الصحابة التي لا ينكرها إلا معاند، دالة بأن القياس حجة ويجب العمل به.

رابعاً: المعقول^(٢)

١- قالوا: إن تعميم الحكم واجب، ولو لم يستعمل القياس أفضى إلى خلو كثير من الحوادث عن الأحكام، لقلة النصوص، وكون الصور لا نهاية لها فيجب ردهم إلى الاجتهاد ضرورة.

٢- أن العقل يدل على العلل الشرعية، ويدركها إذ مناسبة الحكم عقلية مصلحية، يتقاضى العقل تحصيلها، وورود الشرع بها كالعلل العقلية.

٣- قالوا: ولأننا نستفيد بالقياس ظناً غالباً في إثبات الحكم والعمل بالظن الراجح متعين.

٤- قالوا: تعبدنا الله بالأمارات المظنونة على جهة القبلية عند الاشتباه والعمل بحسبها، وكذلك في بقية الحوادث.

الراجع في المسألة:

ويترجح لدي القول بالقياس، وأنه حجة وهو المعمول به، وغيره من الأقوال مهجورة.

- يقول ابن عبد البر: ((وأما القياس على الأصل، والحكم للشيء بنظيره، فهذا مما لا يختلف فيه أحد من السلف، بل كل من روي عنه ذم القياس قد وجد له القياس الصحيح منصوصاً، لا يدفع هذا إلا جاهل أو متجاهل مخالف للسلف في الأحكام))^(٣)

- وقال الزركشي: ((وهذه المذاهب كلها مهجورة، وهو خلاف حادث بعد أن تقدم الإجماع بإثبات القياس من الصحابة والتابعين قولاً وعملاً))^(٤).

(١) الدارقطني ٢٠٦/٤، البيهقي في الكبرى ١١٥/١٠.

(٢) البحر المحيط ٢٣/٤ روضة الناظر ١٤٩/٢، التمهيد ٣/٣٩٩.

(٣) جامع بيان العلم وفضله ٨٧٢/٢ - ٨٧٣.

(٤) البحر المحيط ١٩/٤.

المبحث الثاني : حكم القياس على الرخص.

أولاً: تعريف الرخصة^(١)

لغة: السهولة، واليسر، والنعمه.

واصطلاحاً: حكم غُيِّر من صعوبة إلى سهولة لعذر مع قيام سبب الحكم الأصلي.

* اختلف العلماء في جريان القياس على الرخص، والحدود، والكفارات، والتقادير، والأسباب، والشروط والموانع، واللغة، وما طريقه الخلقة والعادة، والأمور العقلية.

بين بميز القياس فيها، ومانع.

وحيث لم أجد رأياً للقاضي عياض في هذه المسائل إلا الرخصة فسأعرض رأيه فيها، ونترك الكلام في باقي المسائل.

رأي القاضي عياض في جريان القياس على الرخص

يرى القاضي عياض جواز القياس في الرخص، إلا إذا كانت مما لم يعقل معناه.

قال رحمه الله: ((وفي قوله " أرخص في العرايا " ما يدل على أنها رخصة مخصوصة، وقد أبان العلة بقوله: " يأكلها أهلها رطباً "، فدل أن علتها الرفق، وهو أحد عللها عندنا، وقيل: رفع الضرر، وقيل: بهما جميعاً.

وعلى هذا اختلف عندنا في فروع من مسائلها.

وإذا كانت الرخصة معللة بمحدث وهو الصحيح، وكثيراً ما يقول كثير من العلماء أن الرخص لا تُعدى، ولا يقاس عليها، وهذا فيما لم يشر الشرع إلى علته.

وبحسب هذا وقع الاختلاف في قصر العرية على النخل، أو تعديها إلى غيرها، وفي شراء غير المعري من المعري، أو شراء المعري ممن اشتراها من المعري، أو شراء بعضها، ونحو ذلك من فروع الباب^(٢).

* والقول بجواز القياس على الرخص هو قول الجمهور من الشافعية والحنابلة وأكثر المالكية^(٣).

(١) انظر تحقيق د/محمد المختار لتقريب الوصول ٢٣٧، التعاريف للمناوي ٣٦١، الحدود الأنيفة لتركيب الأنصاري ٧٠.

(٢) إكمال المعلم، البيوع، باب تحريم بيع الرطب بالتمر إلا في العرايا ١٧٩/٥، وانظر ٨٢/٢، ٥٥٢/٤، ١٧٨/٥، ٥٥٢.

(٣) انظر ملحق الجمهور شرح تنقيح الفصول ٣٢٤، ثمر الورد ٤٤٥/٢، المذكرة ٢٣٨، اللع ٢٨١، الوهمان ٦٨/٢، المحصول ٣٤٩/٥، الوصول ٢٤٩/٢، الإجماع ٣/٣٠، نهاية السؤل ٤٥/٣، البحر المحيط ٥٢/٤، شرح الكوكب المنير ٢٢٠/٤.

قال ابن برهان: ((القياس يجري في الحدود والكفارات والرخص والمقدرات خلافاً لأصحاب أي حنيفة فإنهم منعوا ذلك))^(١).

المخالف:

وخالف الحنفية في ذلك حيث منعوا القياس على الرخص^(٢) وهو أحد قولي مذهب مالك^(٣)، وروي عن الشافعي^(٤). قال الشافعي في الأم: ولا يكون شيء قياساً عليها والرخص لا يتعدى بها مواضعها. وقال في الرسالة: عمل بالرخصة فيما رخص فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم دون ما سواها ولم يقس ما سواها عليها.

وبه قال أبو منصور البغدادي، والقاضي حسين من الشافعية كما في البحر المحيط^(٥).
من أمثلة المسألة^(٦):

- قياس المسح على الخف فوق خف، على المسح على الخف الواحد.
- قياس النجاسات على الاستنجاء في الاقتصار على الأحجار لإزالة النجاسة، فإن الاقتصار على الأحجار دون الماء في الاستنجاء رخصة من أظهر الرخص.
- قياس العنب على الرطب في بيع العرايا.

أدلة الجمهور

قالوا:

- ١ - أدلة القياس من الكتاب والسنة والإجماع والمعقول، دالة على جريانه في الأحكام الشرعية مطلقاً من غير فصل بين باب وباب، فيجب العمل بموجب عمومها في الرخص وغيرها^(٧).

(١) الوصول لابن برهان ٢/٢٤٩.

(٢) راجع مذهب الحنفية في المصادر السابقة.

(٣) شرح تنقيح الفصول ٣٢٤، نشر الورود ٤٤٥/٢، للذكرة ٢٣٨.

(٤) والصحیح عن الشافعي الأول. نهاية السؤل ٤٥/٣.

(٥) البحر المحیط ٥٢/٤.

(٦) شرح تنقيح الفصول ٣٢٤، نشر الورود ٤٤٥/٢، المحصول ٣٥١/٥، الإجماع ٣١/٣، نهاية السؤل ٤٦/٣، البحر المحیط ٤٩/٤ وما بهما، أصول الفقه للزحيلي ٧٠٧/١.

(٧) الإشارات ٩٩، تيسر التحرير ١٠٣/٤، فوائح الرحموت ٣٨١/٢، المحصول ٣٤٩/٥، الإحكام ٦٤/٤، الوصول ٢٥٠/٢، الإجماع ٣٠/٣، نهاية السؤل ٤٦/٣، العدد ٣٤٤/٢، التمهيد ٤٥٠/٣، شرح الكوكب للنور ٢٢٠/٤، أصول الفقه لأبي النور ٢٦٦/٤، أصول الفقه للزحيلي ٧٠٧/١.

٢- ما روي عن معاذ رضي الله عنه أنه قال النبي صلى الله عليه وسلم حين بعثه لليمن: ((اجتهد رأيي))^(١) فصوبه رسول الله صلى الله عليه وسلم على ذلك، ولم يفرق بين ما هو رخصة أو غيرها من الأحكام^(٢).

٣- قالوا أيضاً: ولأن ما جاز إثباته بخبر الواحد، جاز إثباته بالقياس، أصله سائر الأحكام، يوضح هذا أن القياس دليل شرعي يوجب الظن كخبر الواحد، ثم الرخص تثبت بخبر الواحد، كذلك القياس^(٣).

٤- قالوا: إن الدليل إنما يخالفه صاحب الشرع لمصلحة تزيد على مصلحة ذلك الدليل عملاً بالاستقراء. وتقدم الأرجح هو شأن صاحب الشرع وهو مقتضى الدليل، فإذا وجدنا تلك المصلحة التي خولف الدليل لأجلها في صورة، وجب أن يخالف الدليل به أيضاً عملاً برجحاتها، فنحن حينئذٍ كثرنا موافقة الدليل لا مخالفته^(٤).

الترجيح

الراجح في المسألة قول الجمهور، لأنه هو الذي تسانده الأدلة الشرعية، ولأن الشرع مبني على كون الحكم معللاً، ومعدي، إلا ما نص على أنه غير معدي، ولا معقول المعنى، وهذا لا يختلف فيه الرخص عن سائر الأحكام.

فائدة: مبنى الخلاف في المسألة

قال الرازي في المحصول: ((وحاصل الخلاف: أنه هل في الشريعة جملة من المسائل يعلم أنه لا يجوز استعمال القياس فيها، أوليس كذلك، بل يجب البحث عن كل مسألة أنه: هل يجري القياس فيها أم لا))^(٥).

(١) سبق تخريجه.

(٢) التبصرة ٢٦٠، المحصول ٣٤٩/٥، الإحكام ٦٤/٤، العدة ٣٤٥/٢، التمهيد ٤٥٠/٣.

(٣) اللع ٢٨١، التبصرة ٢٦٠، العدة ٣٤٥/٢، التمهيد ٤٥٠/٣.

(٤) شرح تنقيح الفصول ٣٢٤، الوصول ٢٥٠/٢.

(٥) المحصول ٣٤٩/٥. وانظر: البحر المحيط ٥٢/٤، شرح مختصر الروضة ٤٥٢/٣.

المبحث الثالث : قياس العكس

قبل الشروع في بيان رأي الإمام وآراء الأصوليين في المسألة؛ أشير فيما يلي إلى معنى قياس العكس ومثاله.

تعريف العكس في اللغة :

العكس في اللغة؛ قلب الشيء أو رده من آخره على أوله؛ يقال عكس الشيء يعكسه عكسا فانعكس؛ إذا رد آخره على أوله، وعكس الدابة؛ إذا جذب رأسها إليه لترجع إلى ورائها القهقري^(١).

تعريفه في الاصطلاح :

وأما المراد بقياس العكس عند الأصوليين؛ فهو إثبات نقيض حكم معلوم في معلوم آخر؛ لوجود نقيض علته فيه ^(٢)، وقيل: هو طرد العلة من محل النزاع إلى محل الإجماع ^(٣).

وهاك مثالا يوضحه: اتفق الحنفية والشافعية على أن الإنسان لو نذر على أن يعتكف صائما، كان الصوم شرطا في صحة الاعتكاف، واتفقوا كذلك على أنه لو نذر على أن يعتكف مصليا؛ لم تكن الصلاة شرطا في صحة الاعتكاف، وبالضرورة يكون الحكم كذلك في حالة عدم نذرها معه؛ أيكون الصوم شرطا لصحته أم لا؟

ذهب الحنفية إلى أنه شرط؛ وذهب الشافعية إلى أنه ليس بشرط، استدلل الحنفية على مذهبهم بقياس هذا نظمه:

((لما وجب الصوم شرطا للاعتكاف بنذره معه - وجب بلون نذره معه، كالصلاة لما لم تجب شرطا للاعتكاف بنذرها معه لم تجب بغير نذرها معه)).

(١) انظر: اللسان ٣٥٦/٤، مختار الصحاح ٤٤٩، الإحكام ١٦٦/٣، معجم المصطلحات والألفاظ الفقهية ص ٥٣٠/٢

(٢) ينظر : غاية الوصول ص ١٢٥، حاشية البناي ٢٩١/٢، شرح المعالم ٣٥٧/٢، التحصيل ٢٠٦/٢، حاشية الفتازاني

والشريف على مختصر المنتهى ٢٤٥/٢

(٣) شرح المعالم ٣٥٧/٢

فالأصل المقيس عليه الصلاة والحكم عدم وجوبها شرطا بغير نذرها، والعلة عدم وجوبها شرطا بنذرها، والفرع الصوم، وحكمه الوجوب شرطا في حال عدم نذره، والعلة وجوبه شرطا بنذره؛ فقد أثبتوا نقيض حكم الأصل في الفرع لتناقضهما في العلة^(١).

إذا ثبت هذا؛ فاعلم أن في كلام الإمام ما يؤول إلى أنه ممن يقول بقياس العكس - وليس بظاهر، جاء عنه: ((لا يقال إن قولهم: "أيأتي أحدنا شهوته ويكون له فيها أجر؟" ... ويحتمل أن يكون أرادوا أن يبين لهم موضع الحجة، فبين لهم، وقاس القياس المتقدم، وهذا القياس المتقدم الذي قرر ضرب من قياس العكس، وفي العمل به خلاف بين أهل الأصول، وهذا الحديث تقوية لأحد القولين))^(٢).

حكم الأخذ بقياس العكس.

للأصوليين خلاف في اعتبار قياس العكس^(٣) كما أشار إليه الإمام، وقال النووي فيه عند شرح الحديث المذكور: ((وهذا القياس المذكور في الحديث هو من قياس العكس، واختلف الأصوليون في العمل به، وهذا الحديث دليل لمن عمل به، وهو الأصح والله أعلم))^(٤). وظاهر نص الإمام السابق يرجح القول بالعمل به وهو رأي الجمهور.^(٥) والله تعالى أعلم.



(١) ينظر البحر ٢٤٨/٥، غاية الوصول ص ١٢٥، حاشية البناني ٢٩١/٢، التحصيل ٢٠٦/٢، حاشية التفتراتي والشريف

على مختصر المنتهى ٢٤٥/٢

(٢) إكمال المعلم، الزكاة، باب بيان أن اسم الصدقة يقع على كل موع من المعروف ٥٢٧/٣.

(٣) ينظر أقوال العلماء في ذلك؛ البحر ٢٤٨/٥، غاية الوصول ص ١٢٥، حاشية البناني ٢٩١/٢، التحصيل ٢٠٦/٢،

حاشية التفتراتي والشريف على مختصر المنتهى ٢٤٥/٢

(٤) شرح النووي ٩٣/٧

(٥) ينظر البحر ٢٤٨/٥، غاية الوصول ص ١٢٥، حاشية البناني ٢٩١/٢، التحصيل ٢٠٦/٢، حاشية التفتراتي والشريف

على مختصر المنتهى ٢٤٥/٢

المبحث الرابع : مسألة هل العلة المعينة تتعدى أم لا ؟

حكم قبول العلة المعينة (القاصرة)

العلة القاصرة: هي التي لا تتعدى محل الأصل إلى سواه^(١)، وتسمى بالعلة الواقعة؛ كتعليل الربا في الذهب والفضة بأنهما أثمان؛ أو تعليل الربا في الأثمان بالثمنية؛ أو تعليل الربا في النقدين بجهورية الثمن؛ وكالرمل في الطواف^(٢).

رأي الإمام في المسألة

ذهب الإمام إلى بطلان العلة القاصرة- المعينة-، ومعنى بطلانها؛ هو عدم صلاحيتها للتعليل ونسبة الحكم إليها. جاء عنه: ((... والعلة إذا كانت متعينة- قاصرة- لا تتعدى))^(٣). وقد قال به جماعة من الأصوليين^(٤).

وذهب جمهور الأصوليين إلى القول بصحتها وجواز التعليل بها في محلها وإسناد الحكم إليها^(٥)، وليس معنى التعليل بها التعدية، فإن الجميع متفقون على أن العلة القاصرة لا تتعدى محلها.

تحرير محل النزاع

(١) تقريب الوصول ص ٣٧٧

(٢) الآيات البيّنات ٤/٤٤، أصول السرعسي ٢/١٥٨، تيسير التحرير ٤/٥

(٣)

(٤) البحر المحيط ٥/١٥٧، الإحكام ٣/٣١١، شرح الكوكب المنير ٤/٥٢،

المعتمد ٢/٨٠١، شفاء الغليل ص ٥٣٧، شرح الكوكب ٤/٥٢، نشر البنود ٢/١٣٨، تقريب الوصول ص (٣٧٨)

(٥) البحر المحيط ٥/١٥٧، الإحكام ٣/٣١١، شرح الكوكب المنير ٤/٥٢،

وفي المسألة أقوال أخرى هي:

١/ أن العلة القاصرة باطلة ولا يجوز التعليل بها بحال؛ وبه قال الإمام أبو حنيفة وأكثر الحنابلة؛ واختاره أبو زيد الدبوسي وأبو

عبد الله البصري من الشافعية وابن السمعاني والخلعي.

٢/ أنه يجوز التعليل بها إذا كانت منصوبة دون غيرها.

انظر هذه الأقوال وأدلتها فيما يأتي: البحر ٥/١٥٧ للمعتمد ٢/٨٠١، شفاء الغليل ص ٥٣٧، شرح الكوكب ٤/٥٢، نشر

البنود ٢/١٣٨، تقريب الوصول ص (٣٧٨)

العلة إما أن تكون متعدية أو قاصرة؛ وإن كانت قاصرة فلا يخلو إما أن تكون منصوباً عليها أو مستنبطاً، فإن كانت متعدية فلا خلاف بين الجمهور - القائلين بالقياس - في جواز التعليل بها؛ وأن القياس لا يتم إلا بالعلة المتعدية؛ وإذا كانت قاصرة منصوبة أو مجمعا عليها؛ فمتفقون أيضاً على جواز التعليل بها في محلها؛ إتباعاً للنص وللإجماع، فيجب تلقيهما بالقبول، وأما إذا كانت قاصرة مستنبطة؛ فلا خلاف أيضاً فيما بينهم على أن الحكم لا يتعدى محله إلى غيره؛ لكن هل يعلل بها في محلها أو لا؟ خلاف بين الأصوليين، منهم من اختار جواز التعليل بها في محلها كالمنصوصة؛ ومنهم من منع ذلك، وقصر الحكم في المنصوصة دون المستنبطة^(١).

يستدل للجمهور على صحة العلة القاصرة.

الدليل الأول: أن الوصف القاصر يدور مع الحكم وجوداً وعدماً؛ والدوران يفيد العلية؛ فيكون الوصف القاصر علة.

الدليل الثاني: ولأن الظن حاصل بأن الحكم من أجلها؛ وهو المناسب؛ وهو معنى صحة التعليل بها؛ بدليل صحة العلة القاصرة المنصوصة اتفاقاً والمجمع عليها أيضاً؛ وإن لم يفد كل منهما إلا الظن؛ ولو كان معنى التعليل القطع بأن الحكم لأجلها لم يصح التعليل بها.

الدليل الثالث: أنه لو كان صحة العلية موقوفة على تعديتها؛ لم تكن تعديتها موقوفة على صحتها لامتناع الدور؛ واللازم متنف؛ لاتفاقهم على توقف التعدية على ثبوت العلية الموقوف عليها.

وأجيب بأن الدور هنا دور معي لا دور تقديمي، لأن العلة لا تكون إلا متعدية، لأن كونها متعدية ثبتت أولاً ثم تكون علة، لا أنها تكون علة ثم تكون متعدية، والدور المحال هو الدور التقديمي^(٢).

واستدل للقاضي ومن وافقه لما ذهبوا إليه من منع التعليل بالعلة القاصرة بالأدلة الآتية:

(١) انظر - البحر المحيط ١٥٧/٥، الإحكام ٣١١/٣، المعتمد ٨٠١/٢، شفاء الغليل ص ٥٣٧، شرح الكوكب ٥٢/٤، نشر

البود ١٣٨/٢، تقريب الوصول ص (٣٧٨)

(٢) انظر الأدلة: المختصر مع شرحه ٢١٧، التقرير والتحبير ١٦٩/٣، روضة الناظر ٣١٧/٢

الأول: أنه لا فائدة في التعليل بالعلة القاصرة؛ لأن فائدة العلة منحصرة في إثبات الحكم بها؛ وإثبات الحكم بها منتف؛ فلا تصح عقلا ولا شرعا.

ونوقش هذا الدليل بأمرين:

الأمر الأول: النقض بالعلة القاصرة إذا ثبتت بنص أو إجماع؛ فإن هذا الدليل بعينه يجري فيهما مع جواز التعليل بها اتفاقا.

الأمر الثاني: أن الفائدة في إثبات العلة لا تنحصر في التعدية فقط؛ بل لها فوائد أخرى هي:

- ١/ معرفة كونها باعثة على الحكم بما اشتملت عليه من المناسبة؛ فإن الحكم إذا عرفت حكمته كان أقرب إلى القبول والإذعان مما لم تظهر مناسبته؛ فالتعليل بالعلة القاصرة مفيد
- ٢/ ولأنها تقوي النص الدال على معلولها؛ لأن التعليل كنص آخر؛ فإذا كان النص قابلا للتأويل تقوى بالعلة وامتنع تأويله. وهذه فائدة.

٣/ ولأنها تفيد العلم أو الظن بما كان مجهولا؛ والعلم بالمجهول هو غاية النفوس ومحبوب القلوب.

٤/ ولأنه إذا اجتمعت القاصرة والتعدية في وصف امتنع القياس؛ وهذه فائدة. ^(١)

الدليل الثاني: أن العلة الشرعية أمانة؛ فلا بد أن تكون كاشفة عن شيء، والعلة المستنبطة لا تكشف عن شيء، فلا تكون أمانة؛ فلا تصح علة.

وأجيب على هذا الدليل؛ بأننا لا نسلم أنها لا تكشف عن حكم؛ فهي تكشف عن المنع في استعمال القياس، وإن سلم؛ قلنا إنها تكشف عن حكمة الحكم. ^(٢)

والذي يظهر لي رجحانه هو جواز التعليل بالعلة القاصرة المستنبطة، وذلك لقوة أدلتهم، قال الشيخ الأمين الشنقيطي - رحمه الله -: ((والأظهر بحسب النظر جواز التعليل بها - أي بالعلة القاصرة - مع منع القياس بها قولاً واحداً)). ^(٣)

(١) انظر الإحكام ٣/ ١٥٦، حاشية السعد على شرح العضد ٢/ ٢١٨ التقرير والتحجير شرح التحرير ٣/ ١٦٩، روضة الناظر ٢/ ٣١٥

(٢) انظر المحصول ٥/ ١٣٤، الإحكام ٣/ ١٥٦، حاشية السعد على شرح العضد ٢/ ٢١٨، الوصف المناسب ص ٩٦

(٣) للمذكرة في أصول الفقه ص ٢٧٧

الفصل السادس: آراؤه في مباحث الأدلة المختلف فيها:

- المبحث الأول: شرع من قبلنا هل هو شرع لنا ؟
- المبحث الثاني : سد الذرائع حجة
- المبحث الثالث : حجة الاستحسان
- المبحث الرابع : حكم استصحاب براءة الذمة.

المبحث الأول : شرع من قبلنا هل هو شرع لنا؟.

مقدمة:

اختلف العلماء هل كان النبي صلى الله عليه وسلم قبل نبوته متعبداً بشرع من قبله أم لا؟.

وإذا كان متعبداً فبشرع مَنْ من الأنبياء كان متعبداً ؟.

وهل تُعبدَ بشرع من قبله بعد البعثة؟.

وهل أمته متعبدة بشرع من قبلها؟.

وهذا أحوج الأصوليين إلى أن يقسموا المسألة إلى قسمين ويبحثوها على مسألتين:

الأولى: هل كان الرسول صلى الله عليه وسلم متعبداً قبل نبوته بشريعة أم لا؟

والثانية: هل كان الرسول صلى الله عليه وسلم وأمته متعبدين بشرع سابق؟

أي: هل شرع من قبلنا شرع لنا.

المسألة الأولى: هل كان متعبداً قبل نبوته بشريعة أم لا؟

رأي القاضي عياض في المسألة:

يرى القاضي عياض أنه لم يكن متعبداً ولا متبعاً لشرع، وأسند هذا إلى عدم النقل فيه

فقال: ((... وحجة المانعين منه الطريقتان المتقدمان، والصحيح منهما النقل، فلو كان شيء من

ذلك لثقل.

بل تظاهرت الأخبار الصحيحة عنه صلى الله عليه وسلم، وعن غيره من الأنبياء لصحة معرفتهم

بالله وهدايتهم من صغرهم وتجنّبهم عبادة غير الله، فقد عبرت قريش نبينا والأمم أنبياءهم، ورمتهم

بكل آفة، ورامت نقصهم بكل جهة، وبرأهم الله مما قالوا وقص الله علينا من ذلك في كتابه {قالوا

أنتنأنا أن نعبد ما يعبد آباؤنا} [هود: ٦٢] و{إن نقول إلا اعتراك بعض آهتنا بسوء} [هود: ٥٤].

ولو كان أحدهم عبد معهم معبودهم وأشرك بشركهم قبل نبوته، لعبروه بتلونه في معبوده، وقرعوه

بفراق ما كان معهم عليه من ديانته، وكان ذلك أبلغ في تأنيبهم لهم من أمرهم بمفارقة معبود

آبائهم ((١)).

(١) إكمال للمعلم، كتاب الإيمان، باب بدء الوحي ١/ ٤٨٠-٤٨١ وقد فصل الإمام المازري المسألة وتعليق القاضي عياض

أقوال أهل العلم في المسألة:

قال القاضي عياض^(١) (وقد اختلف الناس في حال نبينا محمد صلى الله عليه وسلم قبل أن يوحى إليه هل كان متبعاً لشرع قبله أم لا؟

[القول الأول] فقال جماعة لم يكن متبعاً لشرع وهذا قول الجمهور^(٢)، فالمعاصي على هذا القول غير موجودة ولا معتبرة في حقه حيثئذ، إذ الأحكام الشرعية إنما تتعلق بالأوامر والنواهي الشرعية، ثم اختلف حجاج القائلين بهذا المقالة عليها.

[١] فذهب سيف السنة ومقتدى فرق الأمة القاضي أبو بكر إلى طريق العلم بذلك النقل وموارد الخير من طريق السمع^(٣)

وحجته: أنه لو كان ذلك لنقل ولما أمكن كتمه وستره في العادة إذ كان من مهم أمره وأولى ما اهتبل به من طريق سيرته ولفخر به أهل تلك الشريعة ولا احتجوا به عليه ولم يؤثر شيء من ذلك جملة.

[ب] وذهبت طائفة إلى امتناع ذلك عقلاً^(٤) قالوا: لأنه يبعد أن يكون متبوعاً من عرف تابعاً، وبنوا هذا على التحسين والتقيح وهي طريقة غير سديدة^(٥) واستناد ذلك إلى النقل كما تقدم للقاضي أبي بكر أولى وأظهر.

[القول الثاني] و قالت فرقة أخرى بالوقف في أمره صلى الله عليه وسلم وترك قطع الحكم عليه بشيء في ذلك إذ لم يحل الوجهين منها العقل ولا استبان عندها في أحدهما طريق النقل

(١) كلام عياض في هذه المسألة مفصل في الشفا والنقل منه، ٢/٤٩٠-٤٩١ فصل عصمة الأنبياء من المعاصي.

(٢) هذا القول الأول في المسألة وأنه لم يكن متبعاً لشرع قبل نبوته هو قول مالك وأصحابه وبه قال جماهير المتكلمين انظر هذه المسألة والخلاف فيها في: مختصر ابن الحاجب مع العضد ٣٦٩، شرح تنقيح الفصول ٢٣١، أصول السرخسي ٢/١٠٠، كشف الأسرار ٣/٣٩٨، تيسير التحرير ٣/١٣٠، فواتح الرحموت ١/٢٣٦، التلخيص ٢٥٧، الزهاني ٢/١٩١، المستصفى ١/٣٩١، المحصول ٣/٢٦٣، الإحكام ٤/١٤٥، الوصول ١/٣٨٩، الإجماع ٢/٢٧٥، نهاية السؤل ٢/٢٩٢، البحر المحيط ٤/٣٤٦، العدة ١/٤٦١، التمهيد ٢/٤١٣، شرح مختصر الروضة ٣/١٨١، شرح غايه السؤل ٤٢١، شرح الكوكب المنير ٤/٤٠٨، المدخل ٢٩٤، المعتمد ٢/٣٣٧، الإحكام لابن حزم ٥/١٥٣، إرشاد الفحول ٣٥٤، أصول الفقه أبو النور ٣/١١٧، أصول الفقه للزحلي ٢/٨٣٩.

(٣) الذي عليه الباقلاني هو مذهب الأشاعرة وبعض المتكلمين. انظر للمصادر السابقة

(٤) هذا مذهب المعتزلة انظر المعتمد ٢/٣٣٧، وحل المصادر السابقة

(٥) شرح مختصر الروضة ٣/١٧٩، حيث ذكر أن التحسين العقلي هو مأخذ المسألة

وهو مذهب أبي المعالي^(١).

[القول الثالث] وقالت فرقة ثالثة: إنه كان عاملاً بشرع من قبله،^(٢) ثم اختلفوا هل يتعين ذلك الشرع أم لا. فوقف بعضهم عن تعيينه وأحجم.

وحسر بعضهم على التعيين وصمم، ثم اختلفت هذه المعينة فيمن كان يتبع فقيل نوح. وقيل: إبراهيم^(٣). وقيل: موسى. وقيل: عيس صلوات الله عليهم)).

مناقشة الأقوال السابقة وأدلتها:

ثم قال القاضي عياض معلقاً على ما سبق له ذكره: ((فهذه جملة المذاهب في هذه المسألة، والأظهر فيها ما ذهب إليه القاضي أبو بكر وأبعدها مذاهب المعينين إذ لو كان شيء من ذلك لنقل كما قدمناه ولم يخف جملة.

ولا حجة لهم في أن عيسى آخر الأنبياء فلزمت شريعته من جاء بعدها إذ لم يثبت عموم دعوة عيسى بل الصحيح أنه لم يكن لنبي دعوة عامة إلا لنبيينا صلى الله عليه وسلم.

ولا حجة أيضاً للآخر في قوله: {أَنْ أُبَيِّحَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً} (النحل: من الآية ١٢٣).

وللآخرين في قوله تعالى: {شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحاً} (الشورى: من الآية ١٣).

فمحمل هذه الآية على إتيانهم في التوحيد كقوله تعالى {أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَاهُمُ اقْتَدِهْ} (الأنعام: من الآية ٩٠) وقد سمي الله تعالى فيهم من لم يعث ولم تكن له شريعة تخصه كيوسف بن يعقوب على قول من يقول إنه ليس رسول، وسمى تعالى جماعة منهم في هذه الآية شرائعهم مختلفة لا يمكن الجمع بينها، فدل على أن المراد ما اجتمعوا عليه من التوحيد وعبادة الله ((^(١).

(١) قال بالوقف الغزالي، والأمدى، وابن القشيري، وإلكيا واختاره النووي في الروضة، واختاره ابن السبكي والشريف المرتضى في النريعة، وعبد الجبار من المعتزلة. مختصر ابن الحاجب ٣٦٩، المستصفى ١/٣٩١، الإحكام ٤/١٤٥، البحر المحيط ٤/٣٤٧، إرشاد الفحول ٣٥٤، وراجع للمصادر السابقة واختاره الزحيلي لتكاثر الأدلة عنده.

(٢) هذا هو لقول الثاني الرئيسي في المسألة واختاره جمع من العلماء كابن الحاجب وابن الممام، والبيضاوي وأبي يعلى وعليه أكثر الحنفية والحنابلة. انظر مختصر ابن الحاجب مع العضد ٣٦٦، تيسر التحرير ٣/١٣٠، فواتح الرحموت ٢/٢٣٦، البحر المحيط ٤/٣٤٦، نهاية السؤل ٢/٢٩٢، الإجماع ٢/٢٧٥، شرح مختصر الروضة ٣/١٨١، شرح الكوكب المنير ٤/٤٠٨، للدخل ٢٩٤،

(٣) رجع كثير من العلماء قالوا الأشبه أنه شرع إبراهيم لأدلة كقوله تعالى: {ملة أبيكم إبراهيم} وغورها. انظر فواتح الرحموت ٢/٢٣٦، الإحكام لابن حزم ٥/١٥٣، إرشاد الفحول ٣٥٤، أصول الفقه للزحيلي ٢/٨٣٩.

١- الخلاف في المسألة في غير العقائد وهذا ما أشار إليه القاضي عياض حيث قال موجهاً الأدلة ((فدل أن المراد ما اجتمعوا عليه من التوحيد وعبادة الله))^(١).

وقال في موضع آخر عند شرح قوله (ودينهم واحد): إنما يرجع إلى التوحيد الذي هم مجتمعون عليه، أو على طاعة الله واتباع شرائعه على الجملة، وأما شرائعهم فمختلفة. وهذا مثل قول تعالى: {شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا} (الشورى: ١٣)^(٢).

٢- الخلاف في المسألة لا ثمرة له. قال القرافي: ((قال المازري والأبياري في شرح البرهان، والإمام، وإمام الحرمين: هذه المسألة لا تظهر لها ثمرة في الأصول ولا في الفروع البتة، بل تجري مجرى التواريخ المنقولة ولا يبنى عليهم حكم في الشريعة البتة))^(٣).

(١) للمصدر السابق.

(٢) إكمال المعلم كتاب الفضائل، باب فضائل عيسى عليه السلام ٣٣٨/٧.

وانظر: شرح تنقيح الفصول ٢٣٣، وانظر تيسير التحرير ١٣١/٣، فواتح الرحموت ٢٣٦/٢، التلخيص ٢٦١، الوصول لابن برهان ٣٨٧/١، الإجماع ٢٧٨/٢، نهاية السؤل ٢٩٤/٢، البحر المحيط ٣٤٧/٤، ٣٥٣.

(٣) شرح تنقيح الفصول ٢٣٣، تيسير التحرير ١٣١/٣، فواتح الرحموت ٢٣٧/٢، البرهان ١٩١/٢، الإجماع ٢٧٥/٢، البحر المحيط ٣٤٨/٤، إرشاد الفحول ٣٥٥، أصول الفقه للزحيلي ٨٣٩/٢.

المسألة الثانية: هل شرع من قبلنا شرع لنا.

ما سبق في المسألة السابقة كالتوطئة لهذه المسألة وهذه الأصل في الباب وهي المراد بالبحث والنافي في المسألة السابقة هنا على أصله في نفي التعبد بشرع من قبلنا^(١) والخلاف بين المثبتين للتعبد قبل البعثة.

أولاً: تحريم محل النزاع^(٢):

١- لا نزاع في أمر العقائد كما سبق، وأنه لا خلاف فيه بين الشرائع كوجوب الإيمان وتحريم الزنى والسرقه والقتل والكفر.

٢- يكون شرع من قبلنا شرعاً لنا بلا خلاف إذا ثبت في شرعنا أنه كان شرعاً لمن قبلنا، ثم نص لنا في شرعنا أنه شرع لنا كالقصاص ثبت أنه شرع لمن قبلنا لقوله تعالى {وَكُتِبَ عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنْ تُنْفِسَ بِالنَّفْسِ} (المائدة: ٤٥) ونص على أنه شرع لنا أيضاً في قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ} (البقرة: ١٧٨) وكقوله تعالى في الصيام {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ} (البقرة: ١٨٣).

٣- لا يكون شرعاً لنا بلا خلاف وهذا يكون على أحد أمرين

أ- إذا لم يثبت بطريق صحيح أصلاً كالمأخوذ من الإسرائيليات.

ب- ما ثبت بطرق صحيح أنه شرع لمن قبلنا وصرح في شرعنا بنسخه، كالإصر والأغلال قال تعالى {وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ} (الأعراف: ١٥٧) وكقتلهم أنفسهم إذا أرادوا التوبة من عبادة المحل {فَقُتِبُوا إِلَى بَارِيكُمْ فَأَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ} (البقرة: ٥٤) وثبت في صحيح مسلم أن النبي صلى الله عليه وسلم لما قرأ: {رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا} (البقرة: ٢٨٦) قال الله قد فعلت .

٤- محل الخلاف: ما ثبت في شرعنا أنه شرع لمن قبلنا، ولم يصرح بنسخه في شرعنا ولا مشروعيته لنا.

(١) البحر المحيط ٣٤٨/٤، أصول الفقه للزحيلي ٨٤٤/٢،

(٢) شرح تنقيح الفصول ٢٣٣، تقريب الوصول ١٠٦، نثر الورد ٣٧٣/١، للذكرة ١٦١، الملواني في تحقيقه للمحصول ٢٧٥/٣، و أبو زهد في تحقيقه للوصول ٣٨٤/١، الإجماع ٢٨٠/٢، أصول ملحق الإمام أحمد ٥٤١، أصول الفقه للزحيلي ٨٤٢/٢، معالم أصول الفقه ٢٣١،

سبق لنا في المسألة السابقة أن القاضي لا يرى تعبد رسول الله صلى الله وسلم بشرع من قبله قبل البعثة والذي يظهر منه في هذه المسألة أيضاً أنه على أصله من عدم القول بالتعبد بعد البعثة كذلك وهذا يظهر منه من عدة أمور:

١- رده على الأدلة الدالة على أن شرع من قبلنا لنا حيث حمل الآيات والأحاديث على أن المراد منها التوحيد^(١)

٢- وقال أيضاً: ((واختلف تأويل العلماء في قوله (يحب موافقة أهل الكتاب فيما لم ينزل عليه فيه شيء)... وقال بعضهم بل يحتمل أنه شرع له اتباع شرائع من قبله فيما لم ينزل عليه فيه شيء، ولعله عليه السلام- علم أن هذا مما لم يدلوه من شرائعهم، ولهذا استدل بعض الأصوليين بهذا الحديث على أن شرع من قبلنا شرع لنا ما لم يرد خلافه، والأظهر أن هذه الحجة حجة على قائل هذا القول، وحجة المخالف ممن لا يقول ذلك، لأنه لو كان هذا لازماً له عليه السلام، ولم يقل في هذا الحديث يحب موافقة أهل الكتاب، بل ذلك كان يكون اللازم له))^(٢) فهنا أيضاً رد على من يحتج بأن شرع من قبلنا شرع لنا ورحج عدم الحجة والحديث من أدلة القائلين بحجية شرع من قبلنا.

٣- ورد على من قال من العلماء إن في المتلفات كلها أمثالها وإن من هدم حائطاً فعليه بناء مثله أخذاً من حديث العابد جريح (نبي لك صومعتك بالذهب والفضة، قال: لا ولكن أعيدوها من طين كما كانت، ففعلوا)... ولا حجة لأولئك بهذا الحديث، لأنه في شرع غيرنا، وليس فيه أن نبينا أمر بذلك... وكذلك بناؤها بالطين واحتج بعضهم به على المطالبة بالدعوة ولا دليل فيه، إذ لم يطلب بذلك نبي ولا من يقتدي به، ولو كان ذلك لعله في شرع غيرنا)^(٣)

(١) الشفا ٤٩١/٢، إكمال للمعلم ٣٣٨/٧،

(٢) إكمال للمعلم كتاب الفضائل باب في سدل النبي صلى الله عليه وسلم شعره وفرقه ٣٠٢/٧.

(٣) إكمال للمعلم كتاب البر والصلة باب تقدم بر الوالدين على التطوع بالصلاة وغيرها ١١/٨، وراجع إكمال للمعلم

هذا والقول بأن شرع من قبلنا ليس شرعاً لنا قال به الشافعية على الراجح عندهم، ورواية عن الإمام أحمد، وهو مذهب الأشاعرة و المعتزلة والشيعة، واختاره الغزالي والآمدي والرازي و ابن حزم الظاهري وجمع من العلماء^(١)

المخالف: وخالف هذا القول جمهور الحنفية والمالكية وبعض الشافعية والإمام أحمد في رواية وهي المرجحة عند أكثر أصحابه^(٢)

وهناك قول بالتوقف حكاه ابن القشيري و ابن برهان قال الآمدي.
وهو بعيد^(٣)

أدلة المانعين:^(٤)

استدل القائلون بأن شرع من قبلنا ليس شرعاً لنا بأدلة من الكتاب والسنة
[١] أدلتهم من القرآن:

١- وقوله تعالى: {لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجاً} (المائدة: ٤٨).

وجه الدلالة: دلت على أن كل واحد منهم ينفرد بشرع لا يشاركه فيه غيره^(٥).

(١) الإشارات ٨٦، مختصر ابن الحاجب مع العضد ٣٧٠، شرح تنقيح الفصول ٢٣٣، نثر الورود ٣٧٤/١، المذكرة ١٦١، أصول السر عسي ٩٩/٢، نهاية الوصول ٦٦٩/٢، كشف الأسرار ٣٩٨/٣، المغني ٢٦٥، تيسير التحرير ١٣١/٣، فواتح الرحموت ٢٣٧/٢، اللمع ١٨٤، التبصرة ١٦٣، التلخيص ٢٥٩، المستصفي ٣٩٣/١، المحصول ٢٦٦/٣، الإحكام ١٤٧/٤، الوصول ٣٨٢/١، الإجماع ٢٧٦/٢، نهاية السؤل ٢٩٣/٢، البحر المحيط ٣٤٨/٤، العدة ٤٥٥/٢، التمهيد ٤١٦/٢، الروضة ٢٦٤/١، شرح مختصر الروضة ١٦٩/٣، المختصر في أصول الفقه ١٦١، شرح غاية السؤل ٤٢٠، شرح الكوكب النور ٤١٤/٤، للدخل ٢٩٤، أصول مذهب الإمام أحمد ٥٤٣، المختص ٣٣٧/٢، الإحكام لابن حزم ١٥٣/٥، إرشاد الفحول ٣٥٦، أصول الفقه لأبي النور ١١٩/٣، أصول الفقه للزحلي ٨٤٣/٢، معالم أصول الفقه ٢٣٢.

(٢) راجع المصادر السابقة.

(٣) الإحكام ١٥٤/٤، الإجماع ٢٧٦/٢، نهاية السؤل ٢٩٣/٢، البحر المحيط ٣٤٨/٣، أصول الفقه للزحلي ٨٤٤/٢.

(٤) انظر الأدلة في شرح تنقيح الفصول ٢٣٤، مختصر ابن الحاجب ٣٧٠، نثر الورود ٣٧٤/١، المذكرة ١٦٢، نهاية الوصول ٦٧٠/٢، كشف الأسرار ٣٩٨/٣، تيسير التحرير ٣٩١/٣، فواتح الرحموت ٢٣٧/٢، اللمع ١٨٤، التبصرة ١٦٥، المستصفي ٣٩٤/١، المحصول ٢٦٦/٣، الإحكام ١٤٧/٤، الوصول ٣٨٤/١، الإجماع ٢٧٦/٢، نهاية السؤل ٢٩٣/٢، العدة ٤٥٩/١، التمهيد ٤١٧/٢، الروضة ٢٦٤/١، شرح مختصر الروضة ١٧٤/٣، المختص ٣٣٨/٢، إرشاد الفحول ٣٥٥، أصول الفقه أبو النور ١١٩/٣، أصول الفقه للزحلي ٨٤٦/٢.

(٥) التبصرة ١٦٥، العدة ٤٥٩/١، التمهيد ٤١٧/٢، الروضة ٢٤٦/١.

ونوقش: بأن مشاركتهم في بعض الأحكام، لا يمنع من أن يكون لكل واحد منهم شرع يخالف شرع الآخر كما أن مشاركتهم في التوحيد لا تمنع أفراد كل واحد منهم بشرية تخالف شريعة غيره^(١).

ب- من السنة:

١- قوله صلى الله عليه وسلم: ((بعثت إلى الأحمر والأصفر [والأسود] وكل نبي بعث إلى قومه))^(٢).
وجه الدلالة: دل الحديث على أن كل نبي يختص شرعه بقومه ومشاركتنا لهم تمنع الاختصاص^(٣).

وأجيب: أن قوله: (بعث) يعني متبوعاً مقصوداً إلى قومه، وغير قومه تبع له.

٢- أن النبي صلى الله عليه وسلم أرى يوماً بيد عمر رضي الله عنه: قطعة من التوراة فغضب فقال: ((ما هذا ألم أت بها بيضاء نقية؟ لو أدركني موسى حياً ما وسعه إلا إتباعي))^(٤).

٣- أن النبي صلى الله عليه وسلم بعث معاذاً إلى اليمن قال: ((تم تحكم؟))^(٥) فذكر الكتاب والسنة والاجتهاد، ولم يذكر شرع من قبلنا وصوبه النبي صلى الله عليه وسلم ولو كانت من مدراك الأحكام لم يجز العدول إلا الاجتهاد إلى بعد العجز عنها^(٦).

فإن قيل إن درجت التوراة والإنجيل تحت الكتاب فإنه جنس يعم كل كتاب. رد عليه: بأن إطلاق اسم الكتاب لا يفهم منه المسلمون غير القرءآن، كيف ولم يعهد من معاذ تعلم شيء من هذه الكتب ولا الرجوع إليها.

ومن المعقول:

١- قالوا لو كان النبي صلى الله عليه وسلم متعبداً بما للزمه مراجعتها والبحث عنها ولكان لا ينتظر الوحي ولا يتوقف في الظهار والموارث ونحوها ولم يعهد منه ذلك إلا في آية الرجم ليبين أنه ليس بمخالف لدينهم^(٧).

(١) للمصادر السابقة

(٢) رواه ابن حبان في صحيحه ٢٧٥/١٤، من حديث أبي ذر. وانظر مجمع الزوائد ٢٥٨/٨.

(٣) التمهيد ٤١٧/٢، الروضة ٢٦٤/١.

(٤) قال الحافظ ابن حجر: أخرجه أحمد وابن أبي شبة واليزار من حديث جابر... ورجاله موثقون إلا أن في مجاله ضعفا... واستعمله أي البعاري- في الترجمة لورود ما يشهد بصحته. فتح الباري ٣٣٤/١٣.

انظر: شرح تنقيح الفصول ٢٣٥، التمهيد ٤١٧/٢، الروضة ٢٦٤/١.

(٥) سنن أبي داود ٤١٢/٣، الترمذي ٦١٦/٣.

(٦) شرح تنقيح الفصول ٢٣٥.

(٧) نهاية السؤل ٢٩٣/٢، الروضة ٢٦٥/١.

- ٢- أن شرع من قبلنا لو كان مدركاً لكان تعلمها وحفظها ونقلها فرض كفاية ولوجب على الصحابة مراجعتها في تعرف الأحكام ولم يفعلوا، فدل ذلك على ما قبلنا^(١)
- ٣- إطباق الأمة على أن هذه الشريعة شريعة رسول الله صلى الله عليه وسلم بمجملتها ولو تعبد بشرع غيره كان مخيراً شارعاً^(٢).

أدلة القول الثاني:

استدل من قال بأن شرع من قبلنا شرع لنا ، إلا ما دل الدليل على نسخه للكتاب والسنة والمعقول^(٣)

- ١- قوله تعالى: {أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَاهُمُ اقْتَدِهْ} (الأنعام: ٩٠). والهدى يقع على الإيمان والأحكام فالأصل الموافقة فيما لم ينسخ.^(٤)
- ٢- وقوله تعالى: {وَشَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ} (الشورى: ١٣). وجه الدلالة: أن (ما) عامة في جملة ما وصى به نوحاً ووصى به إبراهيم وموسى وعيسى^(٥) عليهم السلام .
- ٣- وقوله تعالى: {مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ م} (الحج: ٧٨). تقديره اتبعوا ملة أبيكم إبراهيم. وقال: {ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنْ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً} (النحل: ١٢٣). فأمره باتباع ملة إبراهيم، وأمره للوجوب.
- رد: بأن الملة محمولة على الأصول دون الفروع.^(٦)

(١) شرح تنقيح الفصول ٢٣٥، اللمع ١٨٤، الروضة ١/٢٦٥.

(٢) الروضة ١/٢٦٥.

(٣) انظر الأدلة في: الإشارات ٨٦، مختصر ابن الحاجب ٣٧٠، نثر الوردود ٣٧٤/١، المذكرة ١٦٢، أصول السرخسي ٩٩/٢، نهاية الوصول ٦٧٠/٢، كشف الأسرار ٣٩٩/٣، تيسر التحرير ١٣١، فواتح الرحموت ٢٣٧/٢، التبصرة ١٦٥، التلخيص ٢٦٠، المستصفى ٣٩٧/١، المحصول ٢٧٢/٣، الإحكام ١٤٩/٤، الوصول ٣٨٧/٢، الإماج ٢٧٨/٢، نهاية السؤل ٢٩٣/٢، العدة ٤٥٦/١، التمهيد ٤٢١/٣، الروضة ٢٦٥/١، شرح مختصر الروضة ١٧٠/٣، شرح الكوكب المنير ٤١٥/٤، المعتمد ٣٤٠/٢، إرشاد الفحول ٣٥٦، أصول الفقه أبو النور ١١٩/٣، أصول الفقه للزحيلي ٨٤٦/٢، معالم أصول الفقه ٢٣٣.

(٤) نهاية الوصول ٢٧٠/٢، شرح الكوكب المنير ٤١٥/٤.

(٥) شرح الكوكب المنير ٤١٦/٤.

(٦) شرح الكوكب المنير ٤١٦/٤.

- ٤- وقوله تعالى: {وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ} (المائدة: ٤٥). قالوا: العلماء اتفقوا على الاستدلال بهذه الآية على وجوب القصاص واجباً في دين بني اسرائيل على كونه واجباً في ديننا. ^(١)
- ٥- وقوله تعالى: {إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ} (المائدة: ٤٤) وهو صلى الله عليه وسلم من زمرهم فدل ظاهر الآية على حكمه بالتوراة. ^(٢)
- ٦- وقوله تعالى: {وَمَنْ يَرْغَبْ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ} (البقرة: ١٣٠) ^(٣)
- ٧- وقوله تعالى: {سَنَّةٌ مِّنْ قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ رُّسُلِنَا وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا} (الإسراء: ٧٧). ^(٤)
- ٨- قوله تعالى: {إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ} (النساء: ١٦٣).
 أجب: أنه يقتضي تشبيه الوحي بالوحي، لا تشبيه الموحى به بالموحى به. ^(٥)
- جواب عام:** عن هذه الآيات بأن الاقتفاء المأمور به في العقائد والكيلات الخمس، من حفظ الدين والعقل، والنفس والمال، وليس عاماً ضرورة أن بعضها منسوخ البتة، ولكن هذا الموضع محل اتفاق كما سلف في تحرير محل النزاع. ^(٦)

ومن السنة:

- ١- قول النبي صلى الله عليه وسلم (من نام عن صلاة أو نسيها فليصلها إذا ذكرها) ^(٧) وتلا قوله تعالى: {وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي} (طه: ١٤). وهي مقولة لموسى عليه السلام، فاستدل بها على وجوب قضاء الصلاة عند تذكرها وإلا لم يكن لتلاوتها فائدة في هذا المقام، فعلم تعبدته بما في شرعه. ^(٨)

(١) التلخيص ٢٦١، شرح الكوكب المنير ٤١٦/٤.

(٢) كشف الأسرار ٣٩٩/٤، التلخيص ٢٦١.

(٣) التلخيص ٢٦١.

(٤) التلخيص ٢٦١.

(٥) المحصول ٢٧٤/٣.

(٦) فواتح الرحموت ٢٣/٢، نهاية السؤل ٢٩٤/٢، الإجماع ٢٧٨/٢.

(٧) رواه البيهاري (٥٧٢)، ومسلم (٦٨٤)، من حديث أنس.

(٨) الإشارات ٨٦، مختصر ابن الحاجب ٣٧٠، تيسر التحرير ١٣١/٣، الروضة ٢٦٥/١، شرح الكوكب المنير ٤١٦/٤.

٢- ما صح عن النبي صلى الله عليه وسلم وآله وأصحابه وسلم من صوم يوم عاشوراء حين أخبر أن يهود يصومونه إقامة لسنة موسى عليه والسلام وقال: ((أنا أحق به))^(١)

٣- أنه النبي صلى الله عليه وسلم طلب منه القصاص في سن كسرت، فقال: (كتاب الله القصاص)، وليس في القرآن قصاص السن إلا ما حكى عن التوراة في قوله تعالى: {وَالسِّنُّ بِالسِّنِّ} (المائدة: ٤٥).

أجيب عنه: بل فيه {فَمَنْ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ} (البقرة: ١٩٤). فدخل السن تحت عمومه.^(٢)

٤- واستدلوا أيضاً بما ثبت في الصحيح أنه كان صلى الله عليه وسلم يحب موافقة أهل الكتاب فيما لم ينزل عليه، ولولا ذلك لم يكن لمحبه للموافقة فائدة^(٣).
ومن المعقول:

١- قالوا: إن الحكم إذا ثبت في الشرع لم يجوز تركه، حتى يرد دليل نسخه وإبطاله، وليس في نفس بعثة النبي ما يوجب نسخ الأحكام التي قبله، فإن النسخ إنما يكون عند التناهي، والبعثة إنما تكون بالتوحيد، وليس فيه منافاة لتلك الأحكام، فوجب التمسك بتلك الأحكام والعمل بها حتى يرد ما فيها ويزيلها، كما وجب ذلك قبل بعثة النبي صلى الله عليه وسلم.^(٤)

٢- وأيضاً فإنه شرع مطلق، فوجب أن يدخل فيه كل مكلف إلا أن يثبت نسخه، أصله ما ثبت من الشرع المطلق، لأن نبينا كان قد بعثه متعبداً، فدل على أنه كان مأموراً بشرع من قبله.^(٥)

٣- أن الله سبحانه وتعالى حكى لنا شرع من قبلنا فلوم يرد التسرية بيننا وبينهم فيه لم يكن لذكره فائدة.^(٦)

٤- وقالوا: إن الرسول الذي كانت الشريعة منسوبة إليه لم يخرج من أن يكون رسولاً يعث رسول آخر بعده، فكنا شريعته لا نخرج من أن يكون معمولاً بها يعث رسول آخر ما لم يقم دليل النسخ.^(٧)

(١) فواتح الرحموت ٢/٢٣٨.

(٢) للمستصفي ١/٣٩٨، العدة ١/٤٥٨، الروضة ١/٢٦٥.

(٣) إرشاد الفحول ٣٥٦.

(٤) تيسير التحرير ٣/١٣١، العدة ١/٤٥٨، الروضة ١/٢٦٥.

(٥) فواتح الرحموت ٢/٢٣٧، العدة ١/٤٥٩، التمهيد ٣/٤٢٥.

(٦) التمهيد ٣/٤٢٥.

(٧) كشف الأسرار ٣/٣٩٩.

٥- أنه ما ذكر لنا في شرعنا إلا لنعمل به سواء علينا أكان شرعا لمن قبلنا أم لا؟ وقد دلت على ذلك آيات كثيرة كتوبيخه تعالى لمن لم يعقل وقائع الأمم الماضية كما في قوله تعالى {وَالْكُمْ لَتَمُرُّوا عَلَيْهِمْ مُصْبِحِينَ وَبِاللَّيْلِ أَفْلا تَعْقِلُونَ} (الصافات: ١٣٧-١٣٨).

وما ذكر أيضا ما ذكر في شرعنا إلا للاعتبار وثمرة الاعتبار العمل كما قال تعالى {لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ} (يوسف: ١١١).^(١)

الراجع في المسألة:

يرجح لدي القول بأن شرع من قبلنا شرع لنا ما لم يثبت نسخه وهو قول جمهور الأمة، وهو الذي نعضده الأدلة، وأدلته أقوى من أدلة المخالف.

قال الشيخ أبو النور زهير: ((عما تقدم يعلم أن أدلة المثبتين للتعبد أقوى من غيرها، ولذلك يكون القول بالتعبد راجحاً))^(٢)

نوع الخلاف في المسألة:^(٣)

يرى جمع من العلماء أن الخلاف في المسألة لفظي لا ينبي عليه شيء ((فإن هذا الخلاف غير مهم، لأنه لا يترتب عليه اختلاف في العمل فما من حكم من أحكام الشرائع السابقة الذي قصه الله أو رسوله علينا إلا وفي شريعتنا ما يدل على نسخه أو إبقائه في حقنا، سواء جاء دليل النسخ أو الإبقاء في سياق النص الذي حكى لنا حكم الشرائع السابقة أو جاء ذلك الدليل في مكان آخر من نصوص الكتاب والسنة...))^(٤).

* * *

(١) ثر الورود/٣٧٣، المذكرة ١٦٢، معالم أصول الفقه ٢٣٣.

(٢) أصول الفقه لأبي النور ١٢٠/٤.

(٣) أصول الفقه أبو زهرة ٣٠٨، أصول الفقه للزحيلي ٨٤٩/٢، معالم أصول الفقه ٢٣٣.

(٤) المدخل لدراسة الشريعة ٢١١.

المبحث الثاني : سد الذرائع حجة.

أ- تعريفها الوسيلة.

لغة: الذريعة في اللغة هي الوسيلة، والسبب إلى الشيء، والجمع ذرائع^(١).
واصطلاحاً: عرفها العلماء بتعريفات عدة فمنها^(٢):

- تعريف الباجي: ((هي المسألة التي ظاهرها الإباحة، ويتوصل بها إلى فعل محظور))^(٣).

- وقال ابن تيمية: ((الذريعة: ما كان وسيلة وطريقاً إلى الشيء، لكن صارت في عرف الفقهاء عبارة عما أفضت إلى فعل محرم، ولو تجردت عن ذلك الإفضاء لم يكن لها مفسدة ولهذا قيل: الذريعة الفعل الذي ظاهره مباح، وهو وسيلة إلى فعل محرم))^(٤).

- تعريف ابن القيم: ((ما كان وسيلة وطريقاً إلى الشيء))^(٥).

ب- أقسام الذرائع:

قسم العلماء الذرائع أقساماً عدة وباعتبارات مختلفة.

١- فقسمها القرابي باعتبار الحكم ورأي العلماء فيها إلى ثلاثة أقسام^(٦)

أ- ما أجمع الناس على سده: كحفر الآبار في طرق المسلمين، وإلقاء السم في أطعمتهم، وسب الأصنام عند من يعلم من حاله أنه يسب الله عز وجل حيثئذ.

ب- ما أجمع الناس على عدم سده، كالمنع من زراعة العنب خشية الخمر، والشركة في سكنى الدار خشية الزنا.

(١) القاموس المحيط ٢٤/٣، للمصباح المنير ١١٠، للمعجم الوسيط ١/٣١١.

(٢) إحكام الفصول ٦٨٩/٢، الإشارات ١٠١، شرح تنقيح الفصول ٣٥٢، نثر الورود ٥٧٥/٢، البحر المحيط ٣٨٢/٤، أعلام الموقعين ١٣٥/٣، شرح مختصر الروضة ٢١٢٢١٤/٣، شرح الكوكب المنير ٤٣٤/٤، أصول مذهب الإمام أحمد ٤٩٧، إرشاد الفحول ٣٦٥، أصول الفقه الإسلامي للزحيلي ٨٧٣/٢.

(٣) الإشارات ١٠١.

(٤) أصول مذهب الإمام أحمد ٤٩٧، الإمام المازري وآراؤه الأصولية ٨٢٢.

(٥) أعلام الموقعين ١٣٥/٣.

(٦) انظر تقسيم القرابي في شرح تنقيح الفصول ٣٥٣، الفروق ٣/ ٤٠٥، الموافقات ٢٩٦/٢، تقريب الوصول ١٣٦، نثر الورود ٥٧٥/٢، البحر المحيط ٣٨٢/٤، شرح مختصر الروضة ٢١٢٢/٣، إرشاد الفحول ٣٦٥، أصول الفقه للزحيلي ٨٩٣/٢، الوجيز في أصول الفقه زيدان ٢٥٠.

ج- ما اختُلف فيه: كيبوع الآجال.

ثم قال القرابي: ((اعتبرنا نحن الذريعة فيها، وخالفنا غيرنا، فحاصل القضية أنا قلنا سد الذرائع أكثر من غيرنا لا أنها خاصة بنا)).

٢- وقسمها الشاطبي رحمه الله باعتبار مآلها، وما يترتب عليها من المصلحة والمفسدة^(١).

٣- وقسمها ابن القيم باعتبار إفضائها إلى المفسدة أو عدمه أربعة أقسام، وجعل الحكم فيها تابعاً للمصلحة أو المفسدة أو رجحان أحدهما على الأخرى.

قال ابن القيم: ((...)) فهنا أربعة أقسام:

الأول: وسيلة موضوعة للإفضاء إلى المفسدة.

والثاني: وسيلة موضوعة للمباح قصد بها التوصل إلى المفسدة.

الثالث: وسيلة موضوعة للمباح لم يقصد بها التوصل إلى المفسدة لكنها مفضية إليها غالباً ومفسدتها أرجح من مصلحتها.

الرابع: وسيلة موضوعة للمباح وقد تفضي إلى المفسدة ومصلحتها أرجح من مفسدتها...

فالشرعية جاءت بإباحة هذا القسم - الرابع - أو استحبابه، أو إيجابه بحسب درجات المصلحة.

وجاءت بالمنع من القسم الأول كراهة أو تحريماً بحسب درجاته في المفسدة.

بقي النظر في القسمين الوسيط: هل هما مما جاءت الشريعة بإباحتهما أو المنع منهما فنقول الدلالة المنع من وجوه^(٢)

ج- أقوال أهل العلم في الاحتجاج بسد الذرائع

أولاً: رأي القاضي عياض في المسألة

القاضي عياض يرى حجية الاحتجاج بسد الذرائع كما هو الأصل في المذهب المالكي، ويتبين ذلك من احتجاجه بما في كثير من الأحاديث، وإليك بعضاً من كلامه في ذلك.

١- قال عند شرحه لحديث (من الكبائر شتم الرجل والديه) قالو: يا رسول الله، وهل يشتم الرجل والديه؟ قال: ((نعم. يسب أبا الرجل فيسب أباه ويسب أمه فيسب أمه)).

(١) للوفقات ٢/٢٦٤، ٢٧٣، ٢٧٤/١٤٥.

(٢) أعلام الموقعين ٣/١٣٦.

قال القاضي: ((وفيه حجة لقطع الذرائع ومنعها، ومثله قوله تعالى: {وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ} (الأنعام: ١٠٨)))^(١)

٢- وقال في قوله: ((لا يمنع فضل الماء ليمنع به الكلام)):

((أصل لنا، وحجة في منع الذرائع وسد بابها، وأن منع فضل الماء لا حاجة إليه لكن ليتذرع به إلى منع الكلال الذي لا يمكن حوزة والحياطة عليه، وكل فيه سبب لمخلوق يتسبب به إلى منعه، كما يتسبب صاحب بئر الماشية لمنع فضلها بحفره له وهذا كله فيما حفره في غير ملكه، فأما ما حفره في ملكه ونسيه ولم يخرج صدقة به، ولا أباحه للناس فله منعه))^(٢)

٣- وقال في حديث ((إن الله ورسوله حرم بيع الخمر والميتة والخنزير والأصنام)) في هذا الحديث إبطال الحيل، والحجة على من قال بها في هذا إسقاط حدود الشرع من الكوفيين، وفيه حجة للمالك في مراعاة الذرائع وسد بابها...))^(٣)

٤- وقال: ((قال الإمام: وقد يدخل هذا الحديث -إن الحلال بين والحرام بين- في الاستدلال على حماية الذريعة، وصحة القول به كما ذهب إليه مالك، لقوله عليه السلام: (كالراعي يرعى حول الحمى يوشك أن يرتع فيه. قال عياض: وما ذكره صحيح))^(٤)

٥- وفي قصة قتل الخضر للغلام قال: ((وفي قتل الغلام دليل على مراعاة الذرائع وقطع أسباب الشر))^(٥). إلى غيرها من نصوص اعتد فيها القاضي بهذه القاعدة والتخريج عليها^(٦).

* والقول بسد الذرائع واعتبارها أصلاً، هو قول عامة الأمة، وإن خالف في تفصيلاته الشافعي وأبو حنيفة وأصحابهما، واعتباره أصلاً خاصاً^(٧).

(١) إكمال المعلم، الإيمان، باب بيان الكبار وأكبرها ٣٥٨/١.

(٢) إكمال المعلم، المساقاة، باب تحريم بيع فضل الماء الذي يكون بالفلاة ٢٣٨/٥.

(٣) إكمال المعلم، باب تحريم بيع الخمر والميتة والخنزير والأصنام ٢٥٤/٥.

(٤) إكمال المعلم، المساقاة، باب أعذ الحلال وترك الشبهات ٢٨٨/٥.

(٥) إكمال المعلم، الفضائل، باب من فضائل الخضر عليه السلام ٣٧٢/٧.

(٦) إكمال المعلم ٢٧٣/١، ٤٥٠/٢، ٤٦/٣، ٤٤١، ٦٧/٥، ٧٨، ١٤٦، ٣٠٦، ٣١٠، ١٥١، ٢٧٨، ٤٤٨/٦، ٤٥٤، ٥٦٨، ١٩٢/٧، ٤٧٣، الشفا ٥٣٧/٢.

(٧) إحكام الفصول ٦٨٩، الإشارات ١٠١، للمواقات ٢٧٣/٢، ٢٩٦، ١٤٣/٤، البحر المحيط ٣٨٢/٤، أعلام الموقعين ١٣٤/٣، شرح مختصر الروضة ٢١٢/٣، ٢١٤، شرح الكوكب للنير ٤٣٤/٤، المدخل ٣٠١، أصول مذهب الإمام أحمد ٥٠٩، إرشاد الفحول ٣٦٥، أصول الفقه لأبي زهرة ٢٨٧، أصول الفقه للزحلي ٨٧٣/٢، المدخل لدراسة الشريعة الإسلامية ٢٠٣ الوجيز في أصول الفقه ٢٤٥.

١- يقول القرطبي رحمه الله: ((وسد الذرائع ذهب إليه مالك وأصحابه وخالفه أكثر الناس تأصيلاً، وعملوا عليه في أكثر فروعهم تفصيلاً.

ثم حرر موضع الخلاف فقال:

اعلم أن ما يفضي إلى الوقوع في المحظور إما أن يلزم منه الوقوع قطعاً أولاً، والأول ليس من هذا الباب، بل من باب ما لا خلاص من الحرام إلا باحتتابه ففعله حرام من باب ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب.

والذي لا يلزم إما أن يفضي إلى المحظور غالباً أو يتفك عنه غالباً أو يتساوى الأمران وهو المسمى بالذرائع عندنا.

فالأول لا بد من مراعاته.

والثاني والثالث اختلف الأصحاب فيه، فمنهم من يُراعيه، ومنهم من لا يراعيه، وربما يُسميه التهمة البعيدة والذرائع الضعيفة^(١)

٢- ويقول العلامة ابن القيم: ((وباب سد الذرائع أحد أرباع التكليف، فإنه أمر ونهي، والأمر نوعان: أحدها: مقصود لنفسه، والثاني: وسيلة إلى المقصود، والنهي نوعان: أحدها: ما يكون المنهي عنه مفسدة في نفسه.

والثاني: ما يكون وسيلة إلى المفسدة.

فصار سد الذرائع المفضية إلى الحرام أحد أرباع الدين^(٢).

٣- ويقول الشاطبي رحمه الله: ((...فقد ظهر أن قاعدة الذرائع متفق على اعتبارها في الجملة، وإنما الخلاف في أمر آخر)).

قال الشيخ دراز معلقاً عليه: ((هو في الحقيقة اختلاف في المناط الذي يتحقق فيه التذرع، وهو من تحقيق المناط في الأنواع))^(٣).

٤- ويقول أبو زهرة: ((هذا وإن الأخذ بالذرائع كما قررنا ثابت من كل المذاهب الإسلامية، وإن لم يصرح به، وقد أكثر منه الإمامان مالك وأحمد، وكان دونهما في الأخذ به الشافعي وأبو

(١) البحر المحيط ٣٨٢/٤، إرشاد الفحول ٣٦٥.

(٢) أعلام الموقنين ١٥٩/٣.

(٣) للوافقات ١٤٥/٤.

حنيفة، ولكنهما لم يرفضاه جملة ولم يعتبراه أصلاً قائماً بذاته بل كان داخلاً في الأصول المقررة عند
هما كالقياس والاستحسان الحنفي الذي لا يبعد عما يقرره الشافعي إلا في العرف^(١)

٥- وقال وهبة الزحيلي: ((اعتبر الإمامان مالك وأحمد مبدأ الذرائع أصلاً من أصول من أصول
الفقه، وقال ابن القيم: إن سد الذرائع ربع الدين.

وأخذ به الشافعي وأبو حنيفة في بعض الحالات وأنكروا العمل به في حالات أخرى، وكذلك
الشيعة أخذوا به وأنكروه ابن حزم الظاهري مطلقاً^(٢)
تحرير محل النزاع^(٣):

نستطيع من خلال ما ذكرناه من تقسيمات العلماء للذرائع أن نحرر محل النزاع بأن نبين المتفق
على سده، والمتفق على عدم سده والمختلف فيه فيما يلي:

١- ما وضع للإفضاء للمفسدة قطعاً كشرب الخمر المفضي إلى فساد العقل، فهذا لا يعد من
الذرائع، لإفضائه إلى المفسدة أصالة، فهذا النوع مما أجمع العلماء على منعه.

٢- ما كانت مفسدته راجحة على ما فيه من المصلحة، كسب آلهة المشركين وهذا أيضاً مما
أجمع على المنع منه وهو ما نص عليه من سد الذرائع.

٣- ما كانت المفسدة فيه محتملة بل بعيدة، كزراعة العنب خشية الخمر، والتجاور في البيوت
خشية الزنا.

ومن ذلك أيضاً ما كانت مصلحته راجحة على مفسدته، كالنظر إلى المخطوبة، وفعل ذوات
الأسباب في أوقات النهي على قول، وكلمة الحق عند سلطان جائر.

فهذا النوع أجمع العلماء على عدم منعه وسده.

٤- ما أفضى إلى الفساد كثيراً لا غالباً ولا نادراً، أو نقول فيه ما تساوت فيه المصلحة والمفسدة،
أو كان قصد المفسدة فيه غير ظاهر، ومثل له ببيع الآجال، والنظر إلى المرأة.

٥- وهذا النوع هو محل الخلاف بين العلماء، وهو مراد الأصوليين عند بحثهم هذا الأصل. قال
القرائي: ((... وإنما قلنا إن هذه الأدلة لا تفيد في محل النزاع، لأنها تدل على اعتبار الشرع سد

(١) أصول الفقه لأبي زهرة ٢٩٠، ٢٩٣، وانظر: المدخل للدراسة الشريعة الإسلامية ٢٠٤، أصول مذهب الإمام أحمد ٥١١.

(٢) أصول الفقه للزحيلي ٨٨٨/٢. ورأي بن حزم في الإحكام ١٨٠١٩٥/٦.

(٣) انظر إعلام اللوحيين ١٣٦/٣، أصول مذهب الإمام أحمد ٥١٢، أصول الفقه للزحيلي ٨٩٢/٢، الإمام المازري وآرائه

الذرائع في الجملة، وهذا أمر مجمع عليه، وإنما النزاع في ذريعة خاصة، وهو بيع الآجال ونحوها، فينبغي أن يذكروا أدلة خاصة بمحل النزاع^(١).

الأدلة على قاعدة سد الذرائع:

أ. أدلة المثبتين^(٢)

أولاً: من القرآن الكريم.

١- قال الله تعالى: {وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ} (الأنعام: ١٠٨). وجه الدلالة: أن الله حرم سب آلهة المشركين مع كون السب غيظاً وإهانة لأهلهم، لكون ذلك ذريعة إلى سبهم الله تعالى، وكانت المصلحة في ترك مسبته تعالى أرجح من مصلحة سبنا لأهلهم. وهذا دليل على المنع من الجائر، لئلا يؤدي إلى المحرم.^(٣)

٢- قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنًا وَقُولُوا انْظُرْنَا} (البقرة: ١٠٤)

وجه الدلالة: اتخذ اليهود من قول راعنا شتما للنبي، ويقصدون بما السب، فقد كانوا يريدون فاعلاً من الرعونة، والأرعن هو الأهوج في منطقهم، والأحقق المسترحي.

فنهى المسلمون من النطق بما سد للذريعة، فنهى الله المؤمنين أن يقولوا راعنا مع قصدهم الخير، لئلا يكون ذريعة للتشبه باليهود في أقوالهم وخطابهم^(٤).

٣- قوله تعالى: {وَأَسْأَلُهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْتُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرْعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ} (الأعراف: ١٦٣).

وجه الدلالة: أنه تعالى حرم عليهم الاصطياد يوم السبت وأباحه سائر الأيام، فكانت الحيتان تأتيهم يوم، سبتهم وتغيب عنهم في سائر الأيام فكانوا يحظرون عليها إذا جاءت يوم السبت ويسدون عليها المسالك ويقولون إنما منعنا من الاصطياد يوم السبت فقط، وإنما نفعل الاصطياد في سائر الأيام، وهذه صورة الذرائع^(٥).

(١) الفروق للقراي ٤٠٥/٣.

(٢) انظر الأدلة في أحكام الفصول ٦٩٤-٦٩٠. الإشارات ١٠١، البحر المحيط ٣٨٢/٤، أعلام الموقعين ١٣٥١٥٩/٣، إرشاد الفحول ٣٦٥، أصول مذهب الإمام أحمد ٥١٦٥١٨، المدخل للدراسة الشريعة الإسلامية ٢٠٤، الوجيز في أصول الفقه ٢٤٨، أصول الفقه للزحلي ٨٨٩٨٩١/٢.

(٣) أعلام الموقعين ١٣٧/٣، أصول مذهب الإمام أحمد ٥١١.

(٤) للمصدين السابقين، والشافا ٥٣٧/٢.

(٥) الإشارات ١٠١.

٤- قوله تعالى: {وَلَا يَضْرِبَنَّ بِأَرْجُلَيْهِ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِمْ} (النور: ٣١).

وجه الدلالة: منعهم من الضرب بالأرجل وإن كان جائزاً في نفسه لئلا يكون سبباً إلى سماع الرجال صوت الخلل حال فيثير ذلك دواعي الشهوة منهم إليهن.^(١) إلى غير ذلك من الآيات. ثانياً من السنة: وأما السنة فهي لا تخصي كثرة وقد أورد العلامة ابن القيم جملة كثيرة منها في إعلام الموقعين وسوف نذكر بعضاً منها:

١- قول الرسول صلى الله عليه وسلم: ((من الكبائر شتم الرجل والديه)) قالوا: يا رسول الله، وهل يشتم والديه؟ قال: ((نعم يسب أباه الرجل فيسب أباه ويسب أمه فيسب أمه))^(٢) وجه الدلالة: أن الرسول صلى الله عليه وسلم جعل الرجل سباً لأبويه، إذا تسبب لذلك، وإن لم يقصد، وهذا أشد في المنع من السب ذاته^(٣).

٢- أن النبي صلى الله عليه وسلم: كان يكف عن قتل المنافقين^(٤)، مع كونه مصلحة، لئلا يكون ذريعة لتفتير الناس عنه وقولهم إن محمداً يقتل أصحابه، ومفسدة التنفير أكبر من مفسدة ترك قتلهم.^(٥)

٣- قوله عليه السلام: ((لعن الله اليهود حرمت عليهم الشحوم فحملوها، وباعوها وأكلوها))^(٦)

٤- أن النبي صلى الله عليه وسلم نهي عن قطع الأيدي في الغزو^(٧) لئلا يكون ذريعة إلى لحاق المخلود بالكفار، ولهذا لا تقام المخلود في الغزو^(٨).

٥- نهي رسول الله صلى الله عليه وسلم عن بيع السلاح في الفتنة، وذلك سداً لذريعة الإعانة على المعصية^(٩).

٦- قوله عليه السلام ((دع ما يريك إلى ما لا يريك))^(١٠) وغيرها كثير.

(١) إعلام الموقعين ١٣٧/٣.

(٢) مسلم (٩٠)، عن عبد الله بن عمرو بن العاص. انظر: إكمال المعلم ٣٥٨/١.

(٣) أصول مذهب الإمام أحمد ٥١٧.

(٤) البخاري في التفسير، سورة للمناققين ومسلم في كتاب البر والصلة حديث (٢٥٨٤).

(٥) إعلام الموقعين ١٣٨/٣، أصول مذهب الإمام أحمد ٥١٧.

(٦) البخاري (٢٢٢٣)، ومسلم (١٥٨٢)، من حديث ابن عباس.

(٧) أبو داود (٤٤٠٨)، والترمذي (١٤٥٠)، والنسائي ٩١/٨.

(٨) إعلام الموقعين ١٤٣/٣، أصول مذهب الإمام أحمد ٥١٧.

(٩) إعلام الموقعين ١٥٨/٣، أصول مذهب الإمام أحمد ٥١٧.

(١٠) حديث صحيح رواه النسائي والترمذي والحاكم وصححه عن الحسن بن علي بن أبي طالب.

ثالثاً: الإجماع: دل الإجماع من الصحابة وغيرهم على حجية سد الذرائع فمن ذلك.

١- اتفاق الصحابة، وعامة العلماء على قتل الجماعة بالواحد، وإن كان أصل القصاص يمنع ذلك، لئلا يكون عدم القصاص ذريعة إلى التعاون على سفك الدماء^(١).

٢- اتفاق الصحابة على جمع عثمان رضي الله عنه للمصحف على حرف واحد من الأحرف السبعة، لئلا يكون ذريعة إلى الاختلاف في القرآن^(٢).

الراجع في المسألة: يترجح لدي القول بسد الذرائع خاصة وقد سبق أن نقلت أقوال جمع من المحققين^(٣)، بأن اختلاف العلماء ليس في أصل مسألة سد الذرائع وإنما هو في أنواع خاصة منها كبيع الآجال وأمثاله مما يكون مفضياً إلى المفسدة كثيراً لا غالباً؛ لأن الشواهد الدالة على القاعدة لا تخصي من الكتاب والسنة وغيرهما.

قال أبو الوليد ابن رشد الجدل: ((أبواب الذرائع في الكتاب والسنة يطول ذكرها ولا يمكن حصرها))^(٤).

* * *

(١) إعلام الموقعين ٣/١٤٣، أصول منذهب الإمام أحمد ٥١٨، الإمام المازري وآراؤه الأصولية ٨٢٩

(٢) المصادر السابقة، والمسألة محل خلاف بين أهل العلم.

(٣) انظر: الموافقات ٤/١٤٥، أصول منذهب الإمام أحمد ٥١١، ٥١٢، أصول الفقه للزحيلي ٨٩٢/٢، الإمام المازري وآراؤه الأصولية ٨٢٩.

(٤) للمقدمات ٣٩/٢.

المبحث الثالث : حجية الاستحسان.

تعريف الاستحسان:

أ- لغة: استفعال من الحسن وهو عد الشيء واعتقاده حسناً، تقول: استحسنت كذا أي اعتقدته حسناً^(١).

ب - اصطلاحاً:

وقد عرف العلماء الاستحسان بتعريفات عدة فمن ذلك ما يلي:

١. عرفه المالكية بأنه^(٢):

- القول بأقوى الدليلين.

قال القرافي و على هذا يكون حجة إجماعاً، وليس كذلك.

- وقيل: الأخذ بمصلحة جزئية في مقابلة دليل كلي، ومقتضاه الرجوع إلى تقلص الاستدلال المرسل على القياس.

- وقال ابن العربي: إثبات ترك مقتضى الدليل على طريق الاستثناء والترخص، لمعارضة ما يعارض به في بعض مقتضياته.

- وقال ابن رشد: هو أن يكون طرحاً لقياس يؤدي إلى غلو في الحكم ومبالغة فيه فيعدل عنه في بعض المواضع لمعنى يؤثر في الحكم يختص به ذلك الموضع.

- وقيل: تخصيص الدليل العام بالعادة لمصلحة. مثل دخول الحمام.

وعرفه الحنفية بأنه^(٣):

- العدول عن موجب قياس إلى قياس أقوى منه. وقيل: أولى القياسين.

- وقيل: هو تخصيص قياس بدليل أقوى منه.

- وقال الكرخي: هو أن يعدل الإنسان عن أن يحكم في المسألة بمثل ما حكم به في نظائرها إلى خلافه لوجه أقوى يقتضي العدول عن الأول.

(١) القاموس المحيط ٢١٦/٤، التعريفات ١٨، المعجم الوسيط ١٤٧/١.

(٢) الإشارات ١٠٠، المحصول لابن العربي ١٣١، مختصر ابن الحاجب مع العضد ٣٧٢، شرح تنقيح الفصول ٣٤٩، تقريب الوصول ١٣٤، نشر الورود ٥٧٠/٢.

(٣) أصول السر عسي ٢٠١/٢، كشف الأسرار ٥/٥، التلويح على التوضيح ١٧١/٢، تحقيق نهاية الوصول ٦١٧/٢.

- وقيل: هو القياس الخفي، وإنما سمي به، لأنه في الأكثر الأغلب يكون أقوى من القياس الظاهر فيكون الأخذ به مستحسنًا.
- وقيل: هو دليل يقابل القياس الجلي، الذي يسبق إليه الأفهام.
- وعرفه الحنابلة بأنه^(١):
- العدول بحكم المسألة عن نظائرها لدليل شرعي خاص بتلك المسألة.
- وهو مذهب أحمد. وهذا قريب من اختيار الكرخي السابق.
- وقال القاضي أبو يعلى: بأنه ترك حكم إلى حكم هو أولى منه.
- قال أبو الخطاب: وهذا ليس بشيء.
- وعرفه أبو الحسين البصري^(٢): الاستحسان هو ترك وجه من وجوه الاجتهاد، غير شامل شمول الألفاظ لوجه هو أقوى منه، وهو في حكم الطارئ الأول.
- * وهذه التعاريف السابقة كلها صحيحة، ولا غبار عليها في المعنى إلا من جهة الاصطلاح، ولا مشاحة فيه كما يقولون.
- وهناك تعاريف هي محل الرد، وتنسب للحنفية، ولكني لم أجدها فيما بين يدي من المصادر الأصولية للحنفية، وهم أيضاً ينفونها فمن ذلك:
- ١- ما يستحسنه المجتهد بعقله^(٣).
- قال الطوفي: ((فإن أريد مع دليل شرعي فوافق، وإلا منع، إذ لا فرق بين العالم والعامي إلا النظر في أدلة الشرع، فحيث لا نظر فلا فرق، ويكون حكماً بمجرد الهوى وإتباعاً للشهوة فيه. وأيضاً ما ذكروه ليس عقلياً ضرورياً ولا نظرياً، وإلا لكان مشتركاً. ولا سمعياً، إذ تواتره مفقودٌ وآحاده كذلك، أولاً يفيد^(٤))).
- ٢- وقيل: إنه دليل ينقدح في نفس المجتهد، لا يقدر على التعبير عنه^(٥).
-
- (١) العدة ٢/٤٥٠، التمهيد ٤/٩٢، الروضة ١/٢٦٨، شرح مختصر الروضة ٣/١٩٠، للمختصر في أصول الفقه ١٦٢، شرح غاية السؤل ٤٢٣، شرح الكوكب المنير ٤/٤٣١، للدخل ٢٩٦.
- (٢) للمتمد ٢/٢٩٦، وأنظره في حل المصادر الأصولية.
- (٣) الروضة ١/٢٦٩، شرح مختصر الروضة ٣/١٩٠، وأنظر حل المصادر الأصولية.
- (٤) شرح مختصر الروضة ٣/١٩٠.
- (٥) للمستصفى ١/٤١٣، البحر المحيط ٤/٣٨٦، شرح الكوكب المنير ٤/٤٣١، وكلام الغزالي في المستصفى ١/٤١٣.

قال الغزالي: ((وهذا هوس، لأن ما لا يقدر على التعبير عنه، لا يُدري أنه وهمٌ وخيالٌ أو تحقيق، ولا بد من ظهوره ليعتبر بأدلة الشريعة، لتصححه الأدلة أو تزيفه)).

* هذا والقاضي عياض رحمه الله قد تابع الأصوليين في الحكاية عن أبي حنيفة وأصحابه القول بالاستحسان، والتشنيع عليهم، وذكر التعريف المردود للاستحسان، والذي لا يقول به الحنفية على الصحيح من مذهبهم في المسألة. فقال رحمه الله في معرض تقديمه للإمام مالك على الأئمة: ((وأما أبو حنيفة فإنه قال: بتقدم القياس، والاعتبار على السنن والآثار، فترك نصوص الأصول وتمسك بالمعقول، وآثر الرأي والقياس والاستحسان، ثم قدم الاستحسان على القياس، فأبعد ما شاء، وحد بعضهم استحسانه أنه الميل إلى القول بغير حجة، وهذا هو الهوى المذموم، والشهوة، والحدث في الدين والبدعة، حتى قال الشافعي من استحسَن فقد شرع في الدين))^(١).

تحرير محل النزاع في المسألة^(٢):

- ١- لا خلاف في لفظ الاستحسان، حيث ورد في الكتاب والسنة واللغة وإطلاقات الأئمة في كتبهم.
- ٢- لا خلاف في معنى الاستحسان لغة حيث يطلق على ما يميل إليه الإنسان ويهواه من الصور والمعاني وإن كان مستقبلاً عند غيره، وهو بهذا المعنى ليس بحجة إجماعاً.
- ٣- أجمعت الأمة قاطبة على أن من قال قولاً بغير دليل أو أمانة منصوبة شرعاً فالذي يتمسك به باطل.
- ٤- وأجمعوا على بطلان اتباع الهوى، وترك الدليل لغير دليل، وإذا كان الاستحسان هو إثبات الحكم بغير دليل فذلك غير جائز بالاتفاق عند كل أحد من الناس فلا معنى للاستحسان.
- ٥- لا خلاف في جواز الاستحسان بالأثر والإجماع والضرورة [أي أنواع الاستحسان]؛ لأن ترك القياس بهذه الدلائل مستحسن بالاتفاق.
- ٦- وموضع الاختلاف هو في تحقيق تعريف الاستحسان وحده وتسميته. [وموضع الخلاف في معنى الاستحسان وحقيقته]

(١) ترتيب المدارك ٤٠/١.

(٢) كشف الأسرار ٨/٤، التلخيص ٤٩٥، الإحكام للأندلسي ١٦٢/٤، الوصول ٣٢١/٢، العدة ٤٥٠/٢، التمهيد ٩١/٤، أصول الفقه أبو النور ٤/٤٠٥، أصول الفقه زهرة ٢٦٢، أصول الفقه للزحيلي ٧٣٩/٢.

أقوال أهل العلم في المسألة:

اختلف العلماء في الاستحسان واعتباره أصلاً، على قولين:

القول الأول: الاستحسان حجة شرعية.

قال به الحنفية^(١) والمالكية^(٢) والحنابلة^(٣)، وسبق لنا ما المراد به عندهم.

القول الثاني: ليس بحجة شرعية.

قال به الشافعي^(٤) حيث قال: ((من استحسن فقد شرع)) هو رأي الشافعية وابن حزم الظاهري^(٥)، ونسبه الزحيلي للمعتزلة وعلماء الشيعة قاطبة^(٦).

الأدلة:

أدلة المحتجين^(٧):

- ١- قوله تعالى: {الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ} (الزمر: ١٨) وقوله: {اللَّهُ نَزَلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ} (الزمر: ٢٣) وقوله {وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا} (الأعراف: ١٤٥). وجه الدلالة: أنها وردت في معرض الثناء والمدح لمتبع أحسن القول.
- ٢- قوله تعالى: {وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ} (الزمر: ٥٥). وجه الدلالة: أنه تعالى أمرنا باتباع أحسن ما أنزل، ولولا أنه حجة لما كان كذلك.

(١) أصول السر عسي ٢/٢٠٠، نهاية الوصول ٢/٦١٧، كشف الأسرار ٤/٥، تيسير التحرير ٤/٧٨، فواتح الرحموت ٢/٣٨٣، شرح التلويح ٢/١٧٠.

(٢) الإشارات ١٠١، المحصول ١٣١، شرح تنقيح الفصول ٣٥٢، الموافقات ٤/١٤٩، أصول الفقه زهرة ٢٦٢، أصول الفقه للزحيلي ٢/٧٣٥.

(٣) العدة ٢/٤٥٠، التمهيد ٤/٩٠، الروضة ١/٢٦٩، شرح مختصر الروضة ٣/١٩٧، شرح الكوكب للنيرة ٤/٤٢٨.

(٤) اللع ٣٣١، التبصرة ٢٨٩، التلخيص ٤٩٤، المستصفى ١/٤٠٩، المحصول ٦/١٢٤، الإحكام ٤/١٦٢، وكل المصادر الأصولية.

(٥) الإحكام لابن حزم ٦/١٩٦، أصول الفقه للزحيلي ٢/٧٤٨. قال ابن حزم (والحق حق وإن استقبحه الناس، والباطل باطل وإن استحسنه الناس، فصح أن الاستحسان شهوة واتباع للهوى وضلال وباطل نعوذ من الخذلان).

(٦) أصول الفقه للزحيلي ٢/٧٤٨.

(٧) مختصر ابن الحاجب ٣٧٢، كشف الأسرار ٤/٢٤، التبصرة ٢٨٩، المستصفى ١/٤١١، الإحكام ٤/١٦٥، البحر المحيط ٤/٣٩٣، الروضة ١/٢٦٩، شرح مختصر الروضة ٣/١٩٥، أصول منخب الإمام أحمد ٥٧٦، الإحكام لابن حزم ٦/١٩٥، أصول الفقه لأبي زهرة ٢٦٢، أصول الفقه للزحيلي ٢/٧٤٩.

٣- قوله صلى الله عليه وسلم ((ما رآه المسلمون حسناً فهو عند الله حسن))^(١). ولولا أنه حجة لما كان عند الله حسن.

٤- الإجماع: وهو أن المسلمين أجمعوا على أحكام عدلوا عن الأصول فيها إلى الاستحسان، كدخول الواحد الحمام ليستعمل ماء غير مقدر. ويشترى المأكول بالمساومة من غير عقد يتلفظ به، فدل على أن استحسان المسلمين حجة وإن لم يقترن بحجة.

أدلة المانهين^(٢)

١- قوله تعالى: {وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ} (الإسراء: ٣٦). وما يُستحسن من غير دليل لا علم له به.

٢- قوله تعالى: {فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا} (النساء: ٥٩). فجعل الأحسن ما كان كذلك.

٣- قوله تعالى: {وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكِّمُهُ إِلَى اللَّهِ ذَلِكَ} (الشورى: ١٠) ولم يقل: إلى الاستحسان.

٤- ولأن القياس دليل من أدلة الشرع، فلا يجوز تركه لما يستحسنه الإنسان من غير دليل كالكتاب والسنة.

٥- لو جاز الرجوع إلى ما يستحسنه الإنسان من غير دليل، لوجب أن يستوي العلماء والعامّة في ذلك؛ لأنهم يستحسنون كما يستحسن العلماء.

٦- إنه لا يجوز الحكم إلا بالنص أو بما يقاس على النص، لأن في غير ذلك شرعاً بالهوى قال تعالى: {وَأَنْ أَحْكُمُ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ} (المائدة: ٤٩).

٧- إن الرسول صلى الله عليه وسلم ما كان يفني بالاستحسان، وإنما كان ينتظر الوحي، ولو استحسناً لما كان مخطئاً، لأنه لا ينطق عن الهوى.

٨- أنه لم تحقق له حقيقة من الحقائق الشرعية فيعمل به، إنما هو شيء يهجن في النفوس وليس قياساً ولا مما دلت النصوص عليه حتى يتبع.

(١) سبق تخريجه. ويبان أنه موقوف على ابن مسعود..

(٢) شرح تنقيح الفصول ٣٥٦، التبصرة ٢٨٩، البحر المحيط ٣٩٣/٤، الروضة ٢٧٠/١، شرح مختصر الروضة ١٩٥/٣، أصول الفقه زهرة ٢٦٢، أصول الفقه للزحلي ٧٤٩/٢. وقد ذكر أبو زهرة ستة أدلة للشافعي مستخلصة من كلامه على الاستحسان من كتابيه الأم والرسالة.

٩- لما بعث معاذ إلى اليمن لم يقل إني أستحسن بل ذكر الكتاب والسنة والاجتهاد فقط.

١٠- ولأن القياس أقوى من الاستحسان بدليل جواز تخصيص العموم به، دون الاستحسان، فلم يجوز أن يتقدم عليه الاستحسان.

نوع الخلاف في المسألة:

الخلاف في المسألة لفظي؛ لأنه لا يتحقق استحسان مختلف فيه، و لا يوجد فيه محل يصلح للخلاف^(١).

قال ابن السمعاني: ((إن كان الاستحسان هو الحكم بما يستحسنه الإنسان ويشتبهه من غير دليل فهو باطل، ولا أحد يقول به على أن الخلاف بيننا وبينهم الحنفية-لفظي، فإن تفسير الاستحسان بما يشنع عليهم لا يقولون به، والذي يقولون به إنه العلول في الحكم من دليل إلى دليل هو أقوى منه. فهذا مما لم ننكره، لكن هذا الاسم لا نعرفه اسماً لما يقال به بمثل هذا الدليل))^(٢).

وقريب منه قول القفال: ((إن كان المراد بالاستحسان ما دلت الأصول عليه بمعانيها، فهو حسن لقيام الحجة به، فهذا لا ننكره ونقول به)).

- وقال الزركشي: ((واعلم أنه إذا حرر المراد بالاستحسان زال التشنيع، وأبو حنيفة بريء إلى الله من إثبات حكم بلا حجة. قال الفارض المعتزلي في (النكت) قد جرت لفظة الاستحسان لإياس ابن معاوية، ولمالك بن أنس في كتابه، وللشافعي في مواضع))^(٣).

- وقال الشاطبي: ((فهذا كله يوضح لك أن الاستحسان غير خارج عن مقتضى الأدلة، إلا أنه نظر إلى لوازم الأدلة ومآلاتها))^(٤).

(١) مختصر ابن الحاجب مع العضد ٣٧٢، للوافقات ٤/١٥١، فواتح الرحموت ٢/٣٨٤، اللمع ٣٣٣، الإجماع ٣/١٩٠، نهاية السؤل ٣/١٩٢، البحر المحيط ٤/٣٨٧، ٣٨٨، المختصر في أصول الفقه ١٦٢، أصول مذهب الإمام أحمد ٥٦٣، ٥٧٧، إرشاد الفحول ٣٥٧، أصول الفقه أبو النور ٤/٤٠٥، أصول الفقه للزحلي ٢/٧٣٩، ٧٥٠، معالم أصول الفقه ٢٣٦-٢٣٧.

(٢) البحر المحيط ٤/٣٨٨.

(٣) البحر المحيط ٤/٣٨٧.

(٤) للوافقات ٤/١٥١.

- وقال التفتازاني: ((وقد كثر فيه المدافعة والرد على المدافعين، ومنشوهما عدم تحقيق مقصود الفريقين، ومبنى الطعن من الجانبين على الجراءة وقلة المبالاة، فإن القائلين بالاستحسان يريدون به ما هو أحد الأدلة الأربعة على ما سنبينه، والقائلون بأن من استحسن فقد شرع يريدون أن من أثبت حكماً مستحسن عنده من غير دليل من الشارع فهو الشارع لذلك الحكم حيث لم يأخذه من الشارع.

والحق أنه لا يوجد في الاستحسان ما يصلح محلاً للنزاع إذ ليس النزاع في التسمية لأنه اصطلاح))^(١).

- وقال الشوكاني: ((فعرفت بمجموع ما ذكرنا أن ذكر الاستحسان في بحث مستقل لا فائدة فيه أصلاً، لأنه إن كان راجعاً إلى الأدلة المتقدمة فهو تكرار، وإن كان خارجاً عنها فليس من الشرع في شيء، بل هو من القول على هذه الشريعة بما لم يكن فيها تارة وبما يضادها أخرى))^(٢).

(١) مسعود بن أحمد بن عمر بن عبد الله التفتازاني، صدر الشريعة، عالم بالنحو والأصول، والمنطق، من مؤلفاته: التلويح على شرح التنقيح، في أصول الفقه، شرح نصريف الغزي، توفي سنة (٧٩٢هـ). الفوائد البهية ١٣٦.

(٢) شرح التلويح ١٧١/٢.

(٣) إرشاد الفحول ٣٥٧.

المبحث الرابع : حكم استصحاب براءة الذمة.

تعريف الاستصحاب^(١) :

أ. لغة: من الصبغة وهي الملازمة، قال في المصباح المنير وكل شيء لازم شيئا فقد استصحبه، واستصحب الكتاب وغيره حملته في صحبتي، ومنها قيل استصحبته الحال: إذا تمسكت بما كان ثابتا، كأنك جعلت تلك الحالة مصاحبة غير مفارقة.

ب. اصطلاحا: يدور معناه عند العلماء على استدلال بما كان على الحال. وقد اختلفت عباراتهم في ذلك.

فقال الزنجاني: ((الاستصحاب الاستدلال بعدم الدليل على نفي الحكم، أو بقرار ما هو ثابت بالدليل))

وقال العضد: ((ومعنى الاستصحاب أن الحكم الفلاني قد كان، ولم يظن عدمه، وكل ما هو كذلك فهو مظنون البقاء))

وقال الغزالي: ((هو عبارة عن التمسك بدليل عقلي أو شرعي، وليس راجعا إلى عدم الدليل بل إلى دليل بالعدم انتفاء المغير، أو مع ظن انتفاء المغير، عند بذل الجهد في البحث والطلب))

وقال ابن القيم: ((الاستصحاب استدامة ما كان ثابتا أو نفي ما كان منفيًا، أو بقاء الحكم القائم نفيا وإثباتا، حتى يدل دليل على تغييره))

وجميع هذه التعريفات متقاربة، إذ كلها تعني الحكم باستمرار وجود ما ثبت وجوده حتى يدل الدليل على ذهابه، والحكم باستمرار عدم كان لم يثبت وجوده حتى يقوم الدليل على وجوده.

رأي القاضي عياض في المسألة.

ذهب رحمه الله إلى حجية الاستصحاب، وأن الأصل في الأشياء الإباحة.

جاء عنه: ((اليمين في الشريعة على أقوى المتداعيين سببا، ولما كان الأصل عدم الأفعال في المعاملات استصحبنا ذلك))^(١).

(١) انظر: المصباح المنير ص ١٢٧، شرح العضد ص ٣٦٧، المستصفى ٤١٢/٢، إعلام الموقعين ٤١٨/١، تخریج الفروع على الأصول ص ، أثر الأدلة المختلف فيها ص ١٨٧.

وأما ما يدل على أنه يرى أن الأصل في الأشياء الإباحة قوله: ((... الحديث دليل على أن الأصل في الأشياء على استصحاب حال الإباحة فيما لم ينزل فيه حكم))^(٦).
وقال في موضع آخر: ((... فلهذا استقر الحكم في الشرع على ما هو عليه))^(٧).
إذا ثبت أن القاضي عياض يقول بصحة التمسك بالاستصحاب الأصلي؛ فلننظر إلى رأي غيره من الأصوليين فيما يلي.

الأقوال الأخرى في المسألة.

ذهب الجمهور من المالكية والحنابلة والشافعية إلى حجية الاستصحاب. قالوا بحجته مطلقاً- أي في النفي وفي الإثبات^{(٨) (٩)}.

أدلة القائلين بحجية الاستصحاب مطلقاً.

الدليل الأول: قوله تعالى: (قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنْزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ)، (الأنعام: من الآية ١٤٥)، وهذا احتجاج بالتمسك بما كان عند عدم الدليل.

(١) إكمال المعلم، الأفضية، باب اليمين على المدعى عليه ٥٥٥/٥

(٢) إكمال المعلم ٤٤٣/٤

(٣) إكمال المعلم ٥٥٥/٥

(٤) انظر- الإحكام لابن حزم ٥/٥ فما بعدها، الإحكام ٢٩٨/٤، شرح تنقيح الفصول ص ٤٤٧، للمستصفي ٤١٣/٣-

٤١٨، أصول مذهب الإمام أحمد ص ٣٧٣، أثر الأدلة المختلف فيها ص ١٨٦،

(٥) وفي المسألة أقوال أخرى، أشهرها:

القول الأول: أن الاستصحاب حجة للنفي لا للإثبات، وإليه ذهب أكثر الحنفية، قال الشوكاني ((وقد قلنا أن هذا قول أكثر المتأخرين منهم.

القول الثاني: أن الاستصحاب ليس بحجة مطلقاً، وإليه ذهب أبو الحسين البصري.

القول الثالث: أنه حجة على المجهد فيما بينه وبين ربه، لأنه مكلف بما يدخل تحت مقلوده، فإذا لم يجد له دليل سواء جاز له التمسك به، ولا يكون حجة على الخصم عند المناظرة، فإن المجهدين إذا تناظروا لم ينفع المجهد قوله: لم أجد دليلاً على هذا، لأن التمسك بالاستصحاب لا يكون إلا عند عدم الدليل.

انظر هذه الأقوال وأدلتها:

البحر المحيط ١٧/٦، تيسير التحرير ١٧٥/٤، أصول السرخسي ١٤٧/٢، كشف الأسرار ٨٨٤/٢، شرح تنقيح الفصول ص ٤٤٧، أصول مذهب الإمام أحمد ص ٤١٧.

الدليل الثاني: قوله صلى الله عليه وسلم: ((إن الشيطان يأتي أحدكم فيقول أحدثت، أحدثت، فلا ينصرف حتى يسمع صوتاً أو يجد ريحاً))^(١)، ولمسلم^(٢) ((إذا وجد أحدكم في بطنه شيئاً فأشكل عليه، أخرج منه شيء، فلا يخرج من المسجد حتى يسمع صوتاً أو يجد ريحاً))^(٣).
فحكم باستدامة الوضوء عند الاشتباه، وهذا هو الاستصحاب.

الدليل الثالث: أن الإجماع منعقد على أن الإنسان لو شك في وجود الطهارة ابتداءً؛ لا تجوز له الصلاة، ولو شك في بقائها جازت له الصلاة، ولو لم يكن الأصل في كل متحققاً دوامه، للزم إما جواز الصلاة في الصورة الأولى، أو عدم جواز الصلاة في الصورة الثانية، وهو خلاف الإجماع. لأنه لا يخلو إما أن يكون الراجح هو الاستصحاب أو عدم الاستصحاب، أو أن الراجح هو الاستصحاب وعدمه - سيان،

فإن كان الراجح عدم الاستصحاب؛ فيلزم منه امتناع جواز الصلاة في الصورة الثانية لظن فوات الطهارة.

وإن كانا سيئين؛ فلا يخلو إما أن يكون استواء الطرفين مما تجوز معه الصلاة أو لا تجوز، فإن كان الأول فيلزم منه جواز الصلاة في الصورة الأولى، وإن كان الثاني؛ فيلزمه عدم جواز الصلاة في الصورة الثانية، والكل ممتنع.^(٤)

الدليل الرابع: أن العقلاء وأهل العرف إذا تحققوا وجود شيء أو عدمه، وله أحكام خاصة به، فإنهم يسوغون القضاء والحكم بما في المستقبل من زمان ذلك الوجود أو العدم، حتى إنهم يميزون مراسلة من عرف وجوده قبل ذلك بمدد متطاولة، وإنفاذ الودائع إليه، ويشهدون في الحالة الراهنة

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ٦٦/١، كتاب الوضوء، باب لا يتوضأ من الشك حتى يتيقن، رقم الحديث: (١٣٧).

أخرجه مسلم في صحيحه (٤٢/٤)، كتاب الحيض، باب الدليل على أن من يتيقن الطهارة ثم شك في الحدث فله أن يصلي بطهارته تلك، رقم الحديث: (٣٦١).

(٢) هو أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري صاحب الصحيح، ولد سنة (٢٠٤هـ)، وتوفي سنة (٢٦١هـ)، له المسند الكبير، وكتاب الأقران، والأسامي والكنى.

انظر سير أعلام النبلاء ٥٥٧/١٢، تاريخ بغداد ١٠/١٣، المعبر ٢٣/٢.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه ٢٧٦/١، كتاب الحيض، باب الدليل على أن من يتيقن الطهارة ثم شك في الحدث فله أن يصلي بطهارته تلك، رقم الحديث: (٣٦٢).

(٤) الإحكام ٣١٦/٤.

بالدين على من أقر به قبل تلك الحالة. ولولا أن الأصل بقاء ما كان على ما كان، لما ساغ لهم ذلك^(١).

الدليل الخامس: أن ظن البقاء أغلب من ظن التغيير، وذلك لأن الباقي لا يتوقف على أكثر من وجود الزمان المستقبل ومقارنة ذلك الباقي له كان وجوداً أو عدماً.

وأما التغيير فمتوقف على ثلاثة أمور: وجود الزمان المستقبل، وتبدل الوجود بالعدم أو العمد إلى الوجود، ومقارنة لذلك الوجود أو العمد لذلك الزمان، ولا يخفى أن تحقق ما يتوقف على أمرين لا غير؛ أغلب مما يتوقف على ذينك الأمرين وثالث غيرهما^(٢).

وما ذهب إليه الإمام والجمهور هو الراجح لقوة أدلتهم، والله تعالى أعلم.

فائدة^(٣)

في أنواع الاستصحاب :

النوع الأول: استصحاب البراءة الأصلية. وهو التمسك بالعدم الأصلي عند عدم دليل شرعي، كاستدانة عدم وجوب صلاة سادسة لعدم ورود الدليل، وهذا متفق عليه أنه حجة، وهو الذي ينصرف إليه الاستصحاب عند الإطلاق، ويسمى بالإباحة العقلية.

النوع الثاني استصحاب حكم شرعي سابق. كاستصحاب حكم الطهارة أو حكم الحدث حتى يثبت خلافهما، قال ابن القيم: ((وقد دل الشارع على تعليق الحكم به في قوله في الصيف - وإن وجدته غريقاً فلا تأكله، فإنك لا تدري الماء قتله أم سهمك، وقوله صلى الله عليه وسلم - وإن خالطها كلاب من غيرها فلا تأكل، فإنك إنما سميت على كلبك ولم تسم على غيره.

(١) للمصدر نفسه

(٢) للمصدر نفسه

(٣) هذا النسبة من حيث الإجمال، ولهم بعض التفاصيل في بعض أنواع الاستصحاب التي ذكروها:

وانظر أنواع الاستصحاب والخلاف فيها مع الأدلة فيما يلي:

المستصفى ٢/ ٤١٣، تيسر التحرير ٤/ ١٧٤، إعلام الموقعين ١/ ٤١٧ - ٤٣١، روضة الناظر ١/ ٣٩١، حاشية البناي ٢/ ٣٥٠،

إرشاد الفحول ص ٧٧٨، المذكرة في أصول الفقه ص ١٦٠، المدخل ص ١٣٤، أصول الفقه لأبي النور زهر ٤/ ١٧٥، أصول

مذهب الإمام أحمد ص ٤١٦.

فلما كان الأصل في الذبائح التحريم وشك هل وجد الشرط المبيح أو لا، بقي الصيد على أصله التحريم، ولما كان الأصل بقاء المتطهر على طهارته؛ لم يأمره بالوضوء مع الشك في الحدث، بل قال: لا ينصرف حتى يسمع صوتاً أو يجد ريحاً.

إلى أن قال: ولم يتنازع الفقهاء في هذا النوع، وإنما تنازعوا في بعض أحكامه)) وهذا النوع يسمى استصحاب دليل الشرع أو استصحاب ما دل الشرع على وجوده.

النوع الثالث: استصحاب الحال السابقة: كاستصحاب حياة المفقود، وهو مختلف فيه، فمن العلماء من قال إنه مستند وحجة، فمنهم من إنه يصلح للدفع فقط، وهذا النوع من الاستصحاب يذكر فيه الخلاف بين الجمهور والخنفية، إلا أن الخنفية يقولون بممدول معارضهم، بمستند غير الاستصحاب، بل على أدلة أخرى. قال الشريبي: ((... فتحصل من هذا أن الخنفية خالفوا في حجية الاستصحاب... لكن خلافهم في الأول- البراءة الأصلية- يشبه الخلاف اللفظي، إذ الحكم ثابت عندنا وعندهم، وإن كان عندهم بدليل عام، أو نص، أو عقل، أو تحقق سبب، وعندنا بالاستصحاب)).

النوع الرابع: استصحاب حكم الإجماع في محل النزاع.

ومثاله الإجماع على بطلان صلاة المتيمم إذا رأى الماء قبل الصلاة، وعلى صحة صلاة المتيمم إذا صلى بتيممه بدون ماء، واختلفوا فيما إذا رأى الماء أثناء الصلاة، هل تبطل صلاته استصحاباً للإجماع السابق، أو لا تبطل استصحاباً للإجماع السابق أيضاً؟ وجهان للعلماء. لأن من يرى بطلان الصلاة والحالة هذه؛ يقول إن الإجماع منعقد على عدم صحة التيمم مع وجود الماء قبل الصلاة، فيستصحب ذلك الإجماع أثناء الصلاة. والآخر يقولون إن الإجماع منعقد على صحة صلاة المتيمم عند عدم القدرة على الماء قبل الصلاة- فيستصحب ذلك الإجماع في أثناء الصلاة. وهو خلاف بين الأصوليين، ورجح الشوكاني صحة الاحتجاج به.

النوع الخامس: استصحاب العموم إلى أن يرد التخصيص، أو استصحاب الإطلاق إلى أن يرد التقييد، أو استصحاب النص حتى يرد النسخ.

الباب الثالث: آراؤه في مباحث الاجتهاد والتقليد والفتوى.

وفيه ثلاثة فصول:

الفصل الأول: في الاجتهاد

المبحث الأول: تعريف الاجتهاد.

المبحث الثاني: شروط الاجتهاد.

المبحث الثالث: لا اجتهاد مع النصّ.

المبحث الرابع: حكم اجتهاد الرسول صلى الله عليه وسلم وغيره من الأنبياء.

المبحث الخامس: هل يجوز الخطأ على الرسول صلى الله عليه وسلم في اجتهاده، وكذلك غيره من الرسل.

المبحث السادس: حكم الاجتهاد في زمن النبي صلى الله عليه وسلم.

المبحث السابع: هل كل مجتهد مصيب.

الفصل الثاني: في التقليد.

الفصل الثالث: في الفتوى.

وفيه: جواز استفتاء غير النبي صلى الله عليه وسلم في عهده صلى الله عليه وسلم.

المبحث الأول: تعريف الاجتهاد.

أ. في اللغة

قال القاضي عياض: ((قال ابن عرفة الجُهد بالضم: الوسع والطاقة، والجُهد بالفتح: المبالغة والغاية، وفي حديث ابن عمر: أجهد على أجهدك منه، وروى الشعبي الجُهد بالفتح في العمل، وبالضم في القُنية يعني العيش.

وقال غيره: إذا كان من الاجتهاد والمبالغة ففيه الوجهان.

قال ابن دريد: وهما لغتان فصيحتان: بلغ الرجل جهده وجهده.

وفي العين: الجُهد بالضم الطاقة، وبالفتح المشقة.

وقال يعقوب: الجهد والجهد لغتان. وقال تعالى {وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ} (التوبة: من الآية ٧٩) قرئ بالوجهين...^(١).

ب- اصطلاحاً^(٢)

١- تعريف القاضي عياض هو: بذل الوسع في طلب الحق والصواب في النازلة.^(٣)

هذا وقد عرف الأصوليون الاجتهاد بتعريفات عدة وكلها لا تختلف عن بعضها كثيراً^(٤).

(١) مشارق الأنوار/١/٢٥٣، إكمال المعلم ٢/١٩٨، ٥/٤٥٩، ٨/٢٠٥.

وانظر: المفردات ١٠٨، التعريفات ١٠، المصباح المنير ٦٢، القاموس المحيط ١/٢٩٦، للمجم الوسيط ١/١٤٢.

(٢) المحصول لابن العربي ١٥٢، مختصر ابن الحاجب مع العضد ٣٧٤، شرح تنقيح الفصول ٣٣٦، تقريب الوصول ١٤١، نثر الورود ٢/٢٢٢، نهاية الوصول ٢/٦٧٥، كشف الأسرار ٤/٢٥، تيسر التحرير ٤/١٧٨، فواتح الرحموت ٢/٤١٥، للمع ٣/٣٥٧، المستصفى ٢/٣٨٢، المحصول ٦/٦، البحر المحيط ٤/٤٨٨، الروضة ٢/٢٥٣، شرح مختصر الروضة ٣/٥٧٥، المختصر في أصول الفقه ص ١٦٣، شرح الكوكب المنير ٤/٤٥٧، الإحكام لابن حزم ٦/٦٢٩، إرشاد الفحول ٣٧٠.

(٣) إكمال المعلم الأفضية، باب بيان أجر الحاكم إذا اجتهد، فأصاب أو أخطأ ٥/٥٧٤.

(٤) عرفه الآمدي: است فراغ الوسع في طلب الظن بشيء من الأحكام الشرعية على وجه يحس من النفس العجز عن المزيد فيه. وعرفه الكمال ابن الهمام بقوله: بذل الطاقة من الفقيه في تحصيل حكم شرعي ظني. وعرفه ابن حزم بقوله: استفاد الطاقة في طلب حكم النازلة حيث يوجد ذلك الحكم. ما لا خلاف بين أحد من أهل العلم بالديانة فيه.

انظر: تيسر التحرير ٤/١٧٩، الإحكام ٤/١٦٩، الإحكام لابن حزم ٦/٦٢٩.

- واختار البيضاوي وابن السبكي وغيرهم تعريف الاجتهاد بأنه:

استفراغ الوسع في درك الأحكام الشرعية^(١).

قال ابن السبكي في شرح التعريف السابق قوله (استفراغ الوسع): جنس، وقوله (في درك الأحكام): فصل خرج به استفراغ الوسع في فعل من الأفعال العلاجية مثلاً وقوله (الشرعية): فصل ثانٍ تخرج به اللغوية والعقلية والحسية، والأحكام الشرعية : تتناول الأصول والفروع ودركها أعم من كونه على سبيل القطع أو الظن هذا مدلول لفظه، ويجوز أن يريد بالأحكام الشرعية خطاب الله تعالى المتعلق (فعال الكلفين).

(١) الإجماع ٢٤٦/٣، نهاية السؤل ٢٦١/٣، واختاره محمد أبو النور والزحيلي، أصول الفقه لهما ٤/٤٣٧،

المبحث الثاني: شروط الاجتهاد:

شروط الاجتهاد عند القاضي عياض:

قال رحمه الله: ((فإن الاجتهاد واليقين والاستنباط إنما يكون على الأصول.

فمن كان أعلم بما كان استنباطه أصح، وقياسه أحق.

وإلا فمَنى اختلت معرفته بالأصول قاس على اغترار، وبني على شفا جرف هار.

وقد احتج بهذه الحكاية الإمام أبو إسحاق الشيرازي على الخرسانيين في اقتصارهم في النظر على المسائل القياسات، المسماة عندهم بالطبوليات، لتنتج الكلام فيها، ومد أنفاس الجدل بين أهلها.

وإذا كان باتفاق ما قاله الشافعي وهو قول جماهير العلماء:

إن الاجتهاد لا يصح والقياس إلا لمن جمع آله من علم الكتاب والسنة، وأحكم ذلك على ما يجب، ثم جمع إلى ذلك من آلات الاجتهاد، وفهم الألفاظ والمعاني وتصريفها، ما لا غنى له عنه، ثم عرف مواضع الإجماع والاتفاق، ومسائل الخلاف والنزاع.

فمَنى اختل على العالم شيء من ذلك كان غصا من إمامته، ونقصا من كمال، ولم يصح له الاجتهاد، ولا ساغ له النظر في الدين إلا باجتماع ذلك.

ومتى أخل بأحد هذه القواعد، فلا يحل له الاجتهاد في الدين، ولا الفتوى بين المسلمين، ولا القياس على ما يبلغه^(١).

وما أشار إليه هنا من شروط في المجتهد هي محل اتفاق بين العلماء.

(١) ترتيب المدارك، فصل في ترجمته-مالك- من طريق الاعتبار والنظر ٣٧/١.

وانظر الرسالة ص ٥١١-٥٠٩.

المبحث الثالث: لا اجتهاد مع النص^(١):

هذه القاعدة أصلها القاضي عياض في مجال حديثه عن الاجتهاد وهي قاعدة متفق عليها بين اهل العلم.

١. فيقول القاضي عياض رحمه الله في هذا الصدد وهو يناقش مع المازري رحمه الله عند حديث إرسال علي بن أبي طالب المقداد لسؤال الرسول الله صلى الله عليه وسلم عن المذي.

قال المازري: ((وفيه أيضاً أن علياً كلف من يسأل له مع القدرة على المشافهة، فإن كان أراد أن يكون سؤاله الرسول بحضرته فيسمع منه، وإنما احتشم من مشافهته لكون ابنته عنده، فلا اعتراض في ذلك، وإن لم يرد ذلك فإنه يقال: كيف يجتزئ خبر الواحد عن النبي صلى الله عليه وسلم مع القدرة على القطع وسمع قوله؟.

وهل يكون هذا كالاكتفاء مع القدرة على النص؟ وفي ظاهر الرواية المذكورة فيها أنه قال ((فأرسلنا المقداد))، إشارة إلى أنه لم يحضر مجلس السؤال.

قال القاضي عياض: ((قد تفرق عندي هذه المسألة من مسألة الاجتهاد مع وجود النص، فإن الاجتهاد مع القدرة على النص خطأ محض، حتى لو كان النص خيراً واحداً لكان الاجتهاد معه خطأ))^(٢). وهذا تصريح من القاضي عياض بأنه يأخذ بهذه القاعدة.

(١) انظر المسألة في جامع بيان العلم وفضله ٥٥/٢، الفقيه والمتفقه ٢٠٦/١، أعلام الموقمين ٢٧٩/٢، أصول مذهب الإمام أحمد ٧١٩، شرح القواعد الفقهية للزرقا ١٤٧٧، المدخل الفقهي العام ١٠٠٨/٢، فقرة ٦٢٣، علم أصول الفقه خلاص ٢١٦، أصول الفقه للزحيلي ١٠٥٢/٢، المدخل لدراسة الشريعة لزيدان ٩٥، معالم أصول الفقه ٤٧٠.

(٢) إكمال المعلم، المحيض، باب المذي ١٣٧/٢.

٢. وقال في موضع آخر وهو يتكلم عن الكلالة: ((وفيه انتظاره عليه السلام الوحي فيما لم ينزل به من النوازل، وفيه دلالة على أنه لا يعدل إلى الاجتهاد والنظر إلا عند عدم النصوص، إن قلنا بتجويز الاجتهاد من النبي صلى الله عليه وسلم، وهي مسألة اختلف فيها))^(١).

* وهذه القاعدة متفق عليها عند العلماء، وقد ذكرها جمع من العلماء السابقين كابن عبد البر، الخطيب البغدادي، وابن القيم.

- قال ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله (باب اجتهاد الرأي على الأصول عند عدم النصوص في حين نزول النازلة)^(٢).

- وكذلك الخطيب في الفقيه والمتفقه، حيث بوب (باب في سقوط الاجتهاد مع وجود النص)^(٣).

- وقال ابن القيم في أعلام الموقعين: (فصل في تحريم الإفتاء والحكم في دين الله بما يخالف النصوص، وسقوط الاجتهاد والتقليد عند ظهور النص، وذكر إجماع العلماء على ذلك)^(٤).

وذكروا فيه جملة من النصوص تؤكد ذلك، وهي مباحث قيمة، أوسعها ما عند ابن القيم.

- قال وهبة الزحيلي: ((وملخص القول: إن مجال الاجتهاد أمران، ما لا نص فيه أصلاً أو ما فيه نص غير قطعي، ولا يجري الاجتهاد في القطعيات وفيما يجب فيه الاعتقاد الجازم من أصول الدين إذ لا مسأغ للاجتهاد في مورد النص))^(٥).

ويقول الترسكي: ((والمراد بنفي الاجتهاد عند وجود النص، ما إذا كان النص صحيحاً صريحاً، أما الاجتهاد في فهم النص و تطبيقه على الواقعة إذا كان

ظني الدلالة، فهذا أمر آخر تختلف الأفهام فيه، وهو نوع من الاجتهاد في النصوص))^(٦).

(١) إكمال المعلم، الفرائض، باب موات الكلالة ٣٣٠/٥.

(٢) جامع بيان العلم وفضله ٥٥/٢.

(٣) الفقيه والمتفقه ٢٠٦/١.

(٤) أعلام الموقعين ٢٧٩/٢.

(٥) أصول الفقه للزحيلي ١٠٥٢/٢، وعلم أصول الفقه خلاف ٢١٦.

(٦) أصول منعب الإمام أحمد ٧٢١.

أ. الأمور الدنيوية:

اتفق العلماء على أنه يجوز للنبي صلى الله عليه وسلم الاجتهاد في الأقضية، والمصالح الدنيوية، وتدابير الحروب ونحوها.

وحكى على هذا الإجماع سليم الرازي، وابن حزم^(١).

وقال عياض: ولا خلاف في ذلك^(٢).

ب. اجتهاده في الشرعيات:

أولاً: تحرير محل النزاع

١- اتفقوا على عدم جواز الاجتهاد مع وجود النص للنبي صلى الله عليه وسلم وغيره على حد سواء^(٣).

٣- وأجمعوا على أنه يجوز عقلاً تعبدهم بالاجتهاد كغيرهم من المجتهدين، حكى على هذا الإجماع ابن فورك والأستاذ أبو منصور^(٤).

٤- واختلفوا في اجتهادهم في الأحكام الشرعية، والقضايا الدنية، فيما لا نص فيه. اختلفوا في جوازه ووقوعه على عدة أقوال.

رأي القاضي عياض في المسألة :

يرى القاضي عياض رحمه الله جواز الاجتهاد من النبي صلى الله عليه وسلم حيث يقول رحمه الله: ((أو يكون فعل ذلك باجتهاده فيما لم ينزل عليه فيه شيء، على القول

(١) كشف الأسرار ٣/٣٨٦، المستصفى ٢/٣٩٥، البحر المحيط ٤/٥٠٢، شرح الكوكب للنور ٤/٤٧٤، الإحكام لابن حزم ٥/١٣٠، إرشاد الفحول ٣٧٨، أصول الفقه ٢/١٠٥٦.

(٢) إكمال المعلم ١/٢٦٤.

(٣) نثر الورود ٢/٦٢٩، أصول السرخسي ٢/٩١، فواتح الرحموت ٢/٤١٨، المستصفى ٢/٣٩٢، الإحكام ٤/١٧٢، الإجماع ٣/٢٤٦، البحر المحيط ٤/٥٠٢، العدة ٢/٤٣، الروضة ٢/٢٥٨، شرح مختصر الروضة ٣/٥٩٣، أصول الفقه لأبي النور ٤/٤٤١، أصول الفقه للحضري ٣٦٠.

(٤) شرح مختصر الروضة ٣/٥٩٤، إرشاد الفحول ٣٧٨، أصول الفقه لأبي النور ٤/٤٤٢.

بتحجيز وقوع الاجتهاد منه في ذلك على قول المحققين، وعلى مقتضى حديث أم سلمة: "إني إنما أقضي بينكم برأيي، فيما لم ينزل على فيه شيء" خرجه الثقات^(١). وكقصة أسرى بدر، والإذن للمتخلفين على رأي بعضهم، فلا من يكون أيضاً ما يعتقدونه مما يثمره اجتهاده إلا حقاً وصحيحاً. هذا هو الحق الذي لا يلتفت إلى خلاف من خالف فيه، ممن أجاز عليه الخطأ في الاجتهاد، لا على القول بتصويب المجتهدين الذي هو الحق والصواب عندنا، ولا على القول الآخر بأن الحق في طرف واحد، لعصمة النبي صلى الله عليه وسلم من الخطأ في الاجتهاد في الشرعيات، ولأن القول في تخطئة المجتهدين إنما هو بعد استقرار الشرع، ونظر النبي صلى الله عليه وسلم واجتهاده إنما هو فيما لم ينزل عليه فيه شيء، ولم يشرع له قبل^(٢).

- وصرح بهذا الرأي أيضاً وصوبه حيث قال: ((واختلف العلماء هل كان يجتهد برأيه في الشرعيات فيما لم تنزل عليه فيه شيء أم لا؟. وهل هو معصوم في اجتهاده أو هو كسائر المجتهدين؟.

والصواب: جواز الاجتهاد له، ووقوعه منه، وعصمته فيه على كل حال. وقد قال تعالى: {إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِبِينَ خَصِيماً} (النساء: ١٠٥). ودلت الآثار الصحيحة على اجتهاده في نوازل، وحكمه فيها برأيه كقصة أسرى بدر.

وأما كونه أبداً مصيباً في اجتهاده في ذلك -على القول بأن كل مجتهد مصيب- الذي هو الحق والصواب.

أو على المذهب الآخر، فإن اجتهاده أصل من أصول الحق، وركن من أركان الشريعة، الذي يجتهد المجتهدون في الاستنباط منها، والقياس عليها، ويكون خطوهم وصوابهم بقدر توفيقهم إلى فهمها، ومعرفتهم بمراده -عليه السلام- فيها، فكيف يتصور الخطأ عليه في ذلك ومخالفة الصواب، وإنما الحق والصواب ما فعله، وإنما الشرع ما اجتهد فيه...^(٣).

(١) أبو داود (٣٥٨٥)، قال الشوكاني: في إسناده أسامة بن زيد بن أسلم المدني مولى عمر، قال النسائي وغيره ليس بالقوي. نيل الأوطار ٣٧٦/٥، لكن أصله في الصحيحين. البخاري (٢٥٣٤).

(٢) الشفا، فصل باب معرفة الأنبياء بأمور الدنيا ٤٧١/٢.

(٣) إكمال المعلم، الإيمان، باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعاً ٢٦٤/١-٢٦٥.

* هذا والقول بجواز الاجتهاد من النبي صلى الله عليه وسلم ووقوعه قول الجمهور الأصوليين ، وأهل الحديث.

وهو مذهب مالك، والشافعي، وأحمد، وأكثر أصحابهم، والقاضي عبد الجبار، وأبي الحسين البصري.

وهو اختيار الأمدي وابن الحاجب، والشوكاني وغيرهم كثير^(١).

الأقوال الأخرى في المسألة:

القول الأول: أن النبي صلى الله عليه وسلم مأمور بانتظار الوحي فيما لم يوح إليه من حكم الواقعة، ثم العمل بالاجتهاد بعد انقضاء مدة الانتظار.

وهذا مذهب جمهور الحنفية.

قال السرخسي: ((وأصح الأقاويل عندنا أنه عليه السلام فيما كان يتلى به من الحوادث التي ليس فيها وحي منزل، كان ينتظر الوحي إلى أن تمضي مدة الانتظار، ثم كان يعمل بالاجتهاد ويدين الحكم به فإذا أقر عليه كان ذلك حجة قاطعة للحكم))^(٢).

القول الثاني: المنع، أي ليس لهم الاجتهاد لقدرتهم على النص، بنزول الوحي، إذ لم يكونوا متعبدين بالاجتهاد.

وهو مذهب المتكلمين من الأشاعرة، والمعتزلة^(٣).

القول الثالث: الوقف: توقف في الوقوع، مع اختيارهم الجواز

وهو اختيار الباقلاني، وإمام الحرمين، والغزالي.

وانظر: إكمال المعلم ٥٧/٢، ٥٣٧/٢، ٤٤٣/٤، ٣٣٠/٥.

(١) انظر مله الجمهور في: مختصر ابن الحاجب ٣٧٥، شرح تنقيح الفصول ٣٤٢، تقريب الوصول ١٤٢، أصول السرخسي ٩١/٢، كشف الأسرار ٣٨٦/٣، تيسر التحرير ١٨٥/٤، فوائح الرحمات ٤١٨/٢، الملح ٣٦٧، التبصرة ٣٠٧، التلخيص ٥٢٤، المستصفى ٣٩٢/٢، المحصول ٧/٦، الإحكام ١٧٢/٤، الإمجا ٢٤٦/٣، نهاية السؤل ٢٦٤/٣، البحار المحيطة ٥٠٣/٤، العدة ٤٣٨/٢، التمهيد ٤١٢/٤، ٤١٦، الروضة ٢٥٨/٢، شرح مختصر الروضة ٥٩٤/٣، للمختصر في أصول الفقه ١٦٤، شرح الكوكب المنير ٤٧٥/٤، المعتمد ٢١٠/٢، ٢٤٠، إرشاد الفحول ص ٣٧٨.

(٢) المصادر السابقة للحنفية

(٣) كآبي على الجبائي وابنه أبي هاشم، وهو ظاهر اختيار ابن حزم، وأبي حفص المكري، وابن حامد من الحنابلة. انظر المصادر السابقة في الحاشية رقم (١) على مله الجمهور.

ونقله الرازي عن أكثر المحققين.

قال الغزالي: ((وهو الأصح، فإنه لم يثبت فيه قاطع))^(١).

القول الرابع: ومنهم من فصل فقال كان لا يجتهد في القواعد وكان يجتهد في الفروع. واختاره الغزالي في المنحول^(٢).

الأدلة:

أدلة الجمهور^(٣): استدل الجمهور بأدلة كثيرة منها^(٤):

(١) شرح تنقيح الفصول ٣٤٢، للذكرة ٣١٢، نثر الورود ٦٣١/٢، تيسر التحرير ١٩٣/٤، التلخيص ٥٢٤، للمستصفي ٣٩٤/٢، المحصول ٦٧، الإمّاج ٢٤٦/٣، نهاية السؤل ٢٦٥/٣، البحر المحيط ٥٠٣/٤، شرح مختصر الروضة ٥٩٤/٣، شرح الكوكب المنير ٤٧٦/٤، إرشاد الفحول ٣٧٩، أصول الفقه لأبي النور ٤٤٢/٤.

(٢) البحر المحيط ٥٠٤/٤.

(٢) البحر المحيط ٥٠٤/٤.

(٣) مختصر ابن الحاجب ٣٧٥، شرح تنقيح الفصول ٣٤٢، نثر الورود ٦٢٩/٢، أصول السرعسي ٩٣/٢، نهاية الوصول ٦٧٨/٢، كشف الأسرار ٣٨٦/٣، شرح التلويح ٣١/٢، تيسر التحرير ١٨٥/٤، فوائح الرحموت ٤١٨/٢، للمع ٣٦٧، التبصرة ٣٠٧، التلخيص ٥٢٥، للمستصفي ٣٩٢/١، المحصول ١٣٧/٦، الإحكام ١٧٢/٤، الوصول ٣٨٠/٢، الإمّاج ٢٤٧/٢، نهاية السؤل ٢٦٦/٢، العدة ٤٣٨/٢، التمهيد ٤١٦/٣، الروضة ٢٥٩/٢، شرح مختصر الروضة ٥٩٤/٣، شرح غاية السؤل ٤٣٠، شرح الكوكب المنير ٤٧٧/٤، للمعتمد ٢٤٠/٢، إرشاد الفحول ٣٧٨، أصول الفقه لأبي النور ٤٤٢/٤.

(٤) وقد استدل الجمهور بأدلة ليست في محل النزاع، أو لا دلالة فيها على المقصود.

فمن الأول: قول الحجاب بن المنذر للنبي صلى الله عليه وسلم لما أراد أن ينزل بيلر دون الماء: إن كان بوحى فنعيم، وإن كان الرأي والمكيدة فانسزل بالناس على الماء، لتحول بينه وبين العدو، فقال: ((ليس بوحى إنما هو رأي واجتهاد رأيته))، ورجع إلى قوله.

وكنّا رجوعه إلى قول سعد بن معاذ وسعد بن عباد، لما أراد صلح الأحزاب على شطر نخل المدينة وقد كتب بعض الكتاب بذلك وقالوا له: ((إن كان بوحى فسمعاً وطاعة، وإن كان واجتهاد فليس هذا هو الرأي)).

فهذا كله من الاجتهاد في الأمور الدنيوية، التي حكى الاتفاق على جوازها كما سبق.

ومن الثاني: قول النبي صلى الله عليه وسلم للثعمية: ((أريت لو كان على أيك ديناً فقضيت أكان يقبل منك)).

وقوله لعمر رضي الله عنه حين سأله عن القبلة للصائم: ((أريت لو تمضمضت بماء ثم بحثته أكان يضرك)).

وما روي عنه صلى الله عليه وسلم: ((وبي بضع أحدكم صدقة))، قالوا: يا رسول الله أيأبى أحدنا شهوته، ويكون له فيها أجر؟ قال: ((أريت لو وضعها في حرام، أكان عليه فيه وزر؟ فكنلك إذا وضعها في الحلال كان له أجر)).

فهذا كله من البيان للحكم الشرعي بطريق القياس، لا الحكم بالقياس. انظر: أصول السرعسي ٩٣/٢،

١- قوله تعالى: {فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِيَ الْبَصَارِ} (الحشر: من الآية ٢).

وجه الدلالة: أمر بالاعتبار عاماً لأولي البصائر، إذ المراد من البصر البصيرة، أي اعتبروا يا أولي الأبصار لاتصافكم بالبصيرة والنبي صلى الله عليه وسلم أعظم الناس بصيرة وأصفاهم سريرة وأصوبهم اجتهدا وأحسنهم استنباطاً، فكان أولى بهذه الفضيلة، وبالدخول تحت هذا الخطاب^(١).

٢- قوله تعالى {إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِنِينَ خَصِيماً} (النساء: ١٠٥).

وجه الدلالة: تتناول الآية بعمومها الحكم بالنص والاستنباط منه، إذا الحكم لكل منها حكم بما أراه الله، ولم يفرق بين ما أراه بالنص أو بالاجتهاد^(٢).

٣- قوله تعالى: {وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ} (النساء: من الآية ٨٣)، وقد دخل في جملة المستنبطين من تقدم ذكره، فعرفنا أن الرسول من جملة الذين أحيى الله أنهم يعملون بالاستنباط^(٣).

كشف الأسرار ٣/٣٨٩، البحر المحيط ٤/٥٠٤، الروضة ٢/٢٦٠. شرح مختصر الروضة ٣/٥٩٧، شرح الكوكب المنور ٤/٤٧٨.

(١) كشف الأسرار ٣/٣٨٧-٣٨٨، وغيره.

(٢) كشف الأسرار ٣/٣٨٧، وما بعده ابن الحاجب ٣٧٥، والتبصرة ٣٠٧.

(٣) أصول السرخسي ٢/٩٣، الروضة ٢/٢٦٠.

٤- قوله تعالى: { فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ } (الأنبياء: ٧٩) والمراد أنه وقف على الحكم بطريق الرأي، لا بطريق الوحي، لأن ما كان بطريق الوحي فداود وسليمان عليهما السلام فيه سواء، وحيث خص سليمان عليه السلام بالفهم، عرفنا أن المراد به بطريق الرأي، وقد حكم داود بين الخصمين حين تسوروا المحراب بالرأي فإنه قال: { قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَى نِعَاجِهِ } (ص: من الآية ٢٤). وهذا بيان بالقياس الظاهر^(١).

٥- قوله تعالى: { وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ } (آل عمران: من الآية ١٥٩). والمشاورة إنما تكون فيما يحكم فيه بطريق الاجتهاد لا فيما حكم فيه بطريق الوحي^(٢).

٦- قوله تعالى: { مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُفْجِنَ فِي الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَصَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ } (أنفال: ٦٧) فعاتبه الله في ذلك.

وجاء في الحديث ((لو نزل من السماء إلى الأرض عذاب لما نجح منه إلا عمر))^(٣)؛ لأنه قد كان أشار بقتلهم وذلك يدل أن ذلك كان بالاجتهاد لا بالوحي^(٤).

٧- قوله تعالى: { عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ حَتَّى يَتَّبِعَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ } (التوبة: ٤٣) عاتبه على ذلك ونسبه إلى الخطأ، وذلك لا يكون فيما حكم فيه بالوحي فلم يبق سوى الاجتهاد^(٥).

(١) للمصدرين السابقين.

(٢) نثر الورود ٦٣٠/٢، نهاية الوصول ٦٧٨/٢، الإحكام ١٧٢/٤-١٧٣.

(٣) قال ابن كثير: هذا الحديث بهذا اللفظ لم أره في شيء من الكتب.. وإنما في صحيح مسلم عن ابن عباس:.... (في حديث طويل). قال عمر: فلما كان من الغد جئت فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر قاعدين يكيان قلت: يا رسول الله أخبرني من أي شيء تبكي أنت وصاحبك، فإن وجدت بكاء بكيت، وإلا تباكيت لبكائكهما.

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((أبكي للذي عرض علي أصحابك من أهلهم الفداء، لقد عرض علي عذابهم أدنى من هذه الشجرة)) شجرة قريبة منه.

وأنزل الله عز وجل: { مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُفْجِنَ فِي الْأَرْضِ }، إلى قوله: { فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا }. انظر: تحفة الطالب ص ٤٦٨-٤٦٩.

(٤) للمصادر السابقة.

(٥) للمصادر السابقة، ومختصر ابن الحاجب ٣٧٥.

١. عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال في مكة: ((لا يختلي خلاها، ولا يعضد شجرها)). فقال العباس: إلا الإذخر. فقال عليه السلام: ((إلا الإذخر))^(١).
- ومعلوم أن الوحي لم ينزل عليه في تلك الحالة فكان الاستثناء بالاجتهاد^(٢).
٢. وأيضاً روي عنه عليه السلام أنه قال: ((العلماء ورثة الأنبياء))^(٣).
- وذلك يدل على أنه كان متعبداً بالاجتهاد وإلا لما كانت علماء أمته وارثة لذلك عنه، وهو خلاف الخبر^(٤).
٤. روي عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال في حجة الوداع ((لو استقبلت من أمري ما استدبرت لما سقت الهدي))^(٥).
- وقوله هذا لا يستقيم فيما أوحى إليه^(٦).
٥. عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: ((يا أيها الناس قد فرض عليكم الحج فحجوا)) فقال رجل: أكل عام يا رسول الله، فسكت حتى قالها ثلاثاً، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: ((لو قلت نعم لوجبت ولما استطعتم))^(٧). وهذا يدل على أنه قال باجتهاده^(٨).

(١) البخاري (١٢٨٤)، مسلم (١٣٥٣) من حديث ابن عباس، ولهما نحوه من حديث أبي هريرة.

(٢) شرح تنقيح الفصول ٣٤٢، نثر الورود ٢/٦٣٠، الإحكام ٤/١٧٣، البحر المحيط ٤/٥٠٤، الروضة ٢/٢٦٠، شرح مختصر الروضة ٢/٥٩٦، المعتمد ٢/٢٤١.

(٣) أحمد (٥١٩٦)، أبو داود (٣٦٤١)، الترمذي (٢٦٨٢)، ابن ماجة (٢٢٣) من حديث أبي الدرداء.

قال الترمذي: ولا نعرف هذا الحديث إلا من حديث عاصم بن رجاء بن حيوة، وليس هو عندي بمختل. وضعفه الدارقطني في العلل، قال المنذري: مضطرب الإسناد. انظر: تلخيص الحبير ٣/١٦٤.

(٤) الإحكام ٤/١٧٤.

(٥) البخاري (١٤٨٣)، مسلم (١٢٥٠)، من حديث أنس، ومن حديث جابر عندهما.

انظر: نصب الراية ٣/١٢٠.

(٦) مختصر بن الحاجب ٣٧٥، نهاية الوصول ٢/٦٧٨، فواتح الرحموت ٢/٤١٩، شرح الكوكب المنير ٤/٤٧٨، إرشاد الفحول ٣٧٩، أصول الفقه للبخاري ٣٦١.

(٧) مسلم (١٣٣٧) من حديث أبي هريرة، ولم يسم السائل. وأصله عند البخاري (٦٨٥٨).

وانظر: نصب الراية ١/٣-٤.

(٨) الروضة ٢/٢٦٠، شرح مختصر الروضة ٣/٥٩٦.

٦. عن أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم: ((إنما أنا بشر وإنكم تختصمون إلي، ولعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض، فأقضي له على نحو ما أسمع منه، فمن قضيت له بشيء من حق أخيه فلا يأخذه فإنما أقطع له قطعة من النار))^(١).

٦. ولما قتل النضر بن الحارث ببدر جاءت أخته قتيلة بنت الحارث^٢ فأنشده.

أحمد يا خير ضئى كرمى
من قومها والفحل فحل معرق

ما كان ضرك لو مننت وربما من الفقى وهو المغيظ الخقى

فقال عليه السلام: ((لو سمعت شعرها قبل قتله ما قتلته))^(٣). ولو قتله بالنص، لما قال ذلك^(٤).

ومن المعقول:

١- أنه صلى الله عليه وسلم عالم بعلم النصوص، وكل من هو عالم بما يلزمه العمل في صورة الفرع الذي يوجد فيه العلة، وذلك بالاجتهاد^(٥).

٢- أن العمل بالاجتهاد أشق من العمل بالنص، فيكون أكثر ثواباً فلا تختص الأمة بفضيلة لا توجد فيه^(٦).

٣- أن العمل بالاجتهاد أدل على الفطنة والذكاء من النص لتوقفه على النظر الدقيق والقرينة المستحادة، فلا يتركه صلى الله عليه وسلم لكونه نوعاً من الفضيلة^(٧).

(١) البعاري (٢٣٢٦)، ومسلم (١٧١٣).

(٢) قتيلة بنت النضر بن الحارث بن علقمة بن كلفة بن عبد مناف بن عبد الدار القرشية البكرية قتل أبوها يوم بدر وأسلمت يوم الفتح

الاستيعاب ٤/٤٥٧، أسد الغابة ٦/٢٤١، الإصابة ٨/٢٨٥.

(٣) ذكره ابن إسحاق في السيرة. انظر: تحفة الطالب ٤٦٥-٤٦٨.

(٤) شرح تنقيح الفصول ٣٤٢، نثر الورود ٢/٦٣٠، شرح مختصر الروضة ٣/٥٩٦.

(٥) نهاية الوصول ٢/٦٧٩، شرح التلويح ٢/٣٢.

(٦) مختصر بن الحاجب ٣٧٥، الإحكام ٤/١٧٤، الإماج ٣/٢٤٧، نهاية السؤل ٣/٢٦٥، أصول الفقه لأبي النور

٤/٤٤٢، أصول الفقه للزحلي ٢/١٠٦.

(٧) الإماج ٣/٢٤٧، نهاية السؤل ٣/٢٦٥.

٤- أن الاجتهاد طلب للحق، فكل ما كان عبادة في حق شخص جاز أن يكون عبادة في حق الرسول الله صلى الله عليه وسلم، فإن العبادة تقرب إلى الله تعالى، والتقرب لا يختلف باختلاف الأشخاص^(١).

٥- أنه إذا جاز لغيره من العلماء الحكم بالاجتهاد فلأن يجوز للرسول صلى الله عليه وسلم وهو أكمل اجتهاداً وأولى^(٢).

٦- أن القياس هو النظر في ملاحظة المعنى المستنبط من الحكم المنصوص عليه، وإلحاق نظير المنصوص به بواسطة المعنى المستنبط، والنبي عليه السلام أولى بمعرفة ذلك غيره لسلامة نظره، وبعده عن الخطأ، والإقرار عليه، وإذا عرف ذلك فقد ترجح في نظره إثبات الحكم في الفرع ضرورة. فلو لم يقض به لكان تاركاً لما ظنه حكماً لله تعالى على بصيرة منه وهو حرام بالإجماع^(٣).

٧- ولأن القياس -الاجتهاد- دليل عن الله عز وجل في الأحكام فجاز لرسوله صلى الله عليه وسلم أن يستفيد الحكم من جهته كالكتاب^(٤).

٨- اجتهاد النبي صلى الله عليه وسلم ليس فيه محال ذاتي، ولا خارجي حتى يمنع من الاجتهاد^(٥).

٩- ولأن ما يتسبب من المعاني طريق لأتمته في الحكم فوجب أن يكون طريقاً له، أصله القرآن ظاهره وعمومه^(٦).

١٠- ولأن الاجتهاد طاعة لله تعالى وقربة ينال بها رضاه وثوابه، فوجب أن يكون للنبي صلى الله عليه وسلم فيه مدخل، قياساً على سائر الطاعات^(٧).

(١) الوصول ٣٨١/٢.

(٢) اللع ٣٦٧، البحر المحيط ٥٠٣/٤.

(٣) التبصرة ٣٠٧، الأحكام ١٧٤/٤، العدة ٤٣٨/٢.

(٤) التبصرة ٣٠٧، التمهيد ٤١٨/٣.

(٥) الروضة ٢٥٩/٢، شرح مختصر الروضة ٥٩٣/٣، شرح الكوكب المنير ٤٧٧/٤، أصول الفقه لأبي النور ٤٤٢/٤.

(٦) العدة ٤٣٨/٢، الروضة ٢٥٩/٢.

(٧) التبصرة ٣٠٨، العدة ٤٣٨/٢، التمهيد ٤١٩/٣، شرح الكوكب المنير ٤٧٧/٤.

المبحث الخامس: هل يجوز الخطأ على الرسول صلى الله عليه وسلم في اجتهاده وكذلك غيره من الرسل.

هذه المسألة مفرغة عن مسألة اجتهاد النبي صلى الله عليه وسلم على القول بجواز اجتهاده، فهي لا ترد إلا بعد القول بجواز اجتهاده صلى الله عليه وسلم، فنقول:

- اتفق العلماء على أن الرسول عليه الصلاة والسلام لا يقر على خطأ في اجتهاده، حتى لا يسري الخطأ وتقلده أمته فيه^(١).

واختلفوا في جواز الخطأ عليه في الاجتهاد على قولين:

القول الأول: لا يجوز عليه الخطأ في الاجتهاد.

وهو رأي القاضي عياض رحمه الله ودلل عليه حيث قال رحمه الله: ((واختلف العلماء هل كان يجتهد برأيه في الشرعيات فيما لم تنزل عليه فيه شيء أم لا؟ وهل هو معصوم في اجتهاده أو هو كسائر المجتهدين؟.

والصواب: جواز الاجتهاد له، ووقوعه منه، وعصمته فيه على كل حال.

وقد قال تعالى {إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِثِينَ خَصِيماً} (النساء: ١٠٥).

ودلت الآثار الصحيحة على اجتهاده في نوازل، وحكمه فيها برأيه كقصة أسرى بدر.

وأما كونه أبداً مصيباً في اجتهاده في ذلك -على القول بأن كل مجتهد مصيب- الذي هو الحق والصواب.

أو على المذهب الآخر، فإن اجتهاده أصل من أصول الحق، وركن من أركان الشريعة الذي يجتهد المجتهدون في الاستنباط منها والقياس عليها، ويكون خطوهم وصوابهم بقدر توفيقهم إلى فهمها ومعرفتهم بمراده -عليه السلام- فيها، فكيف يتصور الخطأ عليه في ذلك ومخالفة الصواب، وإنما الحق والصواب ما فعله، وإنما الشرع ما اجتهد فيه....^(٢).

(١) انظر: فواتح الرحموت ٢/٤٢٣، شرح الكوكب المنير ٤/٤٨٠، أصول الفقه للزحيلي ٢/١٠٦٢.

(٢) إكمال المعلم، الإيمان، باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعاً ١/٢٦٥.

- وقال في الشفا: ((أو يكون فعل ذلك باجتهاده فيما لم ينزل عليه فيه شيء على القول بتجويز وقوع الاجتهاد منه في ذلك على قول المحققين، وعلى مقتضى حديث أم سلمة: ((إني إنما أقضي بينكم برأيي فيما لم ينزل على فيه شيء))). خرجه الثقة. وكقصه أسرى بدر، والإذن للمتخلفين على رأي بعضهم، فلا من يكون أيضا ما يعتقده مما يثمره اجتهاده إلا حقا وصحيحا، هذا هو الحق الذي لا يلتفت إلى خلاف من خالف فيه ممن أجاز عليه الخطأ في الاجتهاد.

لا على القول بتصويب المجتهدين الذي هو الحق والصواب عندنا. ولا على القول الآخر بأن الحق في طرف واحد لعصمة نبي صلى الله عليه وسلم من الخطأ في الاجتهاد في الشرعيات. ولأن القول في تخطئة المجتهدين إنما هو بعد استقرار الشرع، ونظر النبي صلى الله عليه وسلم واجتهاده إنما هو فيما لم ينزل عليه فيه شيء، ولم يشرع له قبل^(١).

* والقول بمنع الخطأ في اجتهاد النبي صلى الله عليه وسلم قال به جمع من العلماء. قال الزركشي في البحر: نص عليه الشافعي في الأم^(٢).

وهو اختيار الحلبي^٣، والرازي، والبيضاوي، وابن السبكي وغيرهم.

القول الثاني: يجوز الخطأ على النبي صلى الله عليه وسلم بشرط ألا يقر عليه^(٤).

(١) الشفا فصل باب معرفة الأنبياء بأمور الدنيا ٢/٤٧١.

(٢) انظر: القول في مختصر بن الحاجب مع العضد ٣٨٦، نثر الورود ٦٣١/٢، كشف الأسرار ٣/٣٩١، تيسر التحرير ٤/١٩٠، فواتح الرحموت ٢/٤٢٣، التبصرة ٣٠٩، الملح ٣٦٧، المحصول ٦/١٥٠، الإحكام ٤/٢٢١، الإجماع ٣/٢٥٢، جمع الجوامع مع الهلي ٢/٣٨٧، نهاية السؤل ٣/٢٦٧، البحر المحيط ٤/٥٠٥، المختصر في أصول الفقه ١٦٤، شرح غاية السؤل ٤٣٢، شرح الكوكب المنير ٤/٤٨٠، أصول الفقه لأبي النور ٤/٤٤٦، أصول الفقه للحضري ٣٦٢، أصول الفقه للزحلي ٢/١٠٦٢.

(٣) الحسين بن الحسن أبو عبد الله الحلبي كان رئيس أهل الحديث في ما وراء النهر، فقيه شافعي من تآليفه :

للنهاد في شعب الإيمان ، ولد عام (٣٣٨هـ) وتوفي عام (٤٠٣هـ) . طبقات السبكي ٤/٣٣٣، وفيات الأعيان ١/٤٠٣، الأعلام ٢/٢٥٣.

(٤) مختصر بن الحاجب مع العضد ٣٨٦، نثر الورود ٦٣١/٢، كشف الأسرار ٣/٣٩١، شرح التلويح ٢/٣٥٠، تيسر التحرير ٤/١٩٠، فواتح الرحموت ٢/٤٢٢، الملح ٣٦٧، التبصرة ٣٠٩، المحصول ٦/١٥٠، الإحكام ٤/٢٢١، جمع

وهو مذهب أكثر الخنفية، ونقله الآمدي عن أكثر الشافعية، والحنابلة.

فقال: ((وذهب أكثر أصحابنا، والحنابلة، وأصحاب الحديث، والجبالي، وجماعة من المعتزلة إلى جوازه، لكن بشرط أن لا يُقرَّ عليه. وهو المختار))^(١). واختاره أبو إسحاق الشيرازي، وابن الحاجب، والكمال بن الهمام وغيرهم^(٢).

الأدلة:

أدلة القول الأول:

١. نحن مأمورون باتباعه في الحكم لقوله تعالى: {فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَحَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا} (النساء: ٦٥) فلو جاز عليه الخطأ - لكننا مأمورين بالخطأ^(٣).

وأجيب: بأنه لا يلزم من جواز الخطأ في اجتهاده، الأمر باتباعه فيه، لأن النبي صلى الله عليه وسلم لا يُقرَّ على خطأ^(٤).

٢. إذا كانت الأمة معصومة من الخطأ، فلأن يكون الرسول صلى الله عليه وسلم معصوماً منه أولى^(٥).

أجيب: بأن هذه دعوى لا دليل عليها، لأنه ليس إذا كانت الأمة معصومة عن الخطأ، وجب أن يكون النبي عليه السلام أولى بذلك، وما الذي يدل على ذلك^(٦).

ونقول إنه قد ثبت معنى ذلك، فكما أن الأمة معصومة عن الاجتماع على الخطأ، فالنبي صلى الله عليه وسلم معصوم من أن يُقرَّ على الخطأ.

الجوامع ٣٨٧/٢، نهاية السؤل ٢٦٨/٣، البحر المحيط ٥٠٦/٤، شرح غاية السؤل ٤٣٢، شرح الكوكب المنير ٤٨٠/٤، أصول الفقه لأبي النور ٤٤٦/٤، أصول الفقه للخضري ٣٦٢، أصول الفقه للزحيلي ١٠٦٣/٢. (١) الإحكام ٢٢١/٤.

(٢) انظر كتبهم السابقة في المصادر السابقة.

(٣) كشف الأسرار ٣٩١/٣، تيسير التحرير ١٩٠/٤، فواتح الرحموت ٤٢٤/٢، التبصرة ٣١٠، المحصول ١٦/٦، الإجماع ٢٥٢/٣، نهاية السؤل ٢٦٨/٣، البحر المحيط ٥٠٥/٤.

(٤) التبصرة ٣١٠، نهاية السؤل ٢٦٨/٣، أصول الفقه للزحيلي ١٠٦٣/٢.

(٥) فواتح الرحموت ٤٢٤/٢، التبصرة ٣١٠.

(٦) التبصرة ٣١٠.

٣. تجويز الخطأ عليه يوجب الشك في قوله أصواب هو أم خطأ؟ وذلك محل عقصود البعثة، وهو الوثوق بما يقول إنه حكم الله تعالى^(١).
وأجيب: أن جواز الخطأ في الاجتهاد لا يوجب ذلك، وإنما يخل بالبعثة جواز الخطأ في الرسالة، وما يفتله من الوحي بأن يغير ويدل.
وانتفاؤه معلوم بدلالة تصديق المعجزة^(٢).

أدلة القول الثاني: (المجيزين)

١. قوله تعالى: {عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذْنَتْ لَهُمْ حَتَّى يَتَّبِعَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ} (التوبة: ٤٣).

وهذا يدل على أنه كان قد أخطأ في الإذن لهم^(٣).

٢- وأيضاً قوله في أهل بدر لما فاداهم {لَوْ لَا كِتَابٌ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ} (أنفال: ٦٨) فقال عليه السلام: ((لو نزل من السماء عذاب ما نجا منه إلا ابن الخطاب))^(٤).

فدل على أنه كان أخطأ بالفداء^(٥).

٣- ولأنه تعالى قال: {قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ} (الكهف: من الآية ١١٠) فلما جاز الخطأ على غيره جاز- أيضاً - عليه^(٦).

٤. عن أم سلمة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((إنما أنا بشر وإنكم تختصمون إلي، ولعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض، فأقضي له على نحو ما أسمع منه، فمن قضيت له بشيء من حق أخيه فلا يأخذه فإنما أقطع له قطعة من النار))^(٧).

(١) مختصر ابن الحاجب مع العضد ٣٨٦.

(٢) تيسر التحرير ١٩٠/٤، فواتح الرحموت ٤٢٣/٢، الإحكام ٢٢٣/٤.

(٣) مختصر ابن الحاجب ٣٨٦، كشف الأسرار ٣٩١/٣، تيسر التحرير ١٩١/٤، التبصرة ٣٠٩، المحصول ١٦/٦، نهاية السؤل ٢٦٨/٣، أصول الفقه لأبي النور ٤٤٨/٤، أصول الفقه للزحيلي ١٠٦٤/٢.

(٤) سبق تخريجه قريباً.

(٥) فواتح الرحموت ٤٢٣/٢، التبصرة ٣١٠، المحصول ١٦/٦، نهاية السؤل ٢٦٨/٣، أصول الفقه لأبي النور ٤٤٨/٤، أصول الفقه للزحيلي ١٠٦٤/٢.

(٦) المحصول ١٧/٦.

وقوله: ((أنا أحكم بالظاهر))^(٣).

فدل أنه قد يقضي بما لا يكون حقاً وأنه قد يخفى عليه الباطن^(٣).

٥. ولأنه يجوز عليه السهو والنسيان في أفعاله، فجاز الخطأ عليه في اجتهاده كأحاد الأمة^(٤).

٦. وقالوا: لو امتنع وقوع الخطأ منه في اجتهاده، فلما أن يكون ذلك لذاته، أو لأمر من خارج.

لا جائز أن يقال بالأول، فإننا لو فرضناه لم يلزم عنه المحال لذاته عقلاً وإن كان لأمر خارج فالأصل عدمه، وعلى مدعيه وعلى بيانه^(٥).

الترجيح:

والراجع ما ذهب إليه الجمهور خلافاً للقاضي عياض، لأن الأصل وقوع الخطأ، ولم يدل دليل صريح على امتناعه.

كيف وقد ثبت في القرآن كما مر التصريح بتخطئته صلى الله عليه وسلم في اجتهاده، لكنه لا يقر على ذلك، فلا يكون ذلك مخلاً بالتأسي بعموم ما ورد عنه صلى الله عليه وسلم.

* * *

(١) البعاري (٢٣٢٦)، ومسلم (١٧١٣).

(٢) قال ابن كثير: هذا الحديث كثيراً ما يلهج به أهل الأصول، ولم أقف له على سند. وسألت عنه الحفاظ أبا الحجاج المزني فلم يعرفه، لكن له معنى في الصحيح، وهو قوله صلى الله عليه وسلم إنما اقضي بنحو مما أسمع.

تحفة الطالب ص ١٧٤.

(٣) مختصر ابن الحاجب ٣٨٦، تيسر التحرير ١٩٢/٤، فواتح الرحموت ٤٢٣/٢.

(٤) التبصرة ٣١٠، اللمع ٣٦٧، المحصول ١٧/٦.

(٥) تيسر التحرير ١٩٢/٤، فواتح الرحموت ٤٢٣/٢، الإحكام ٢٢٢/٤.

المبحث السادس: حكم الاجتهاد في زمن النبي صلى الله عليه وسلم.

رأي القاضي عياض في المسألة:

يري القاضي عياض جواز الاجتهاد، ووقوعه في زمن النبي صلى الله عليه وسلم. وهذا ما أفاده من بعض الأحاديث حيث قال رحمه الله وهو يتكلم على حديث عمار في التيمم: ((وقول عمار: فتمرغت كما تتمرغ الدابة هو بمعنى ما جاء في الرواية الأخرى: " فتمعكت فيه " لأنه لم يحمل الآية على عموم الأحداث. وفيه جواز الاجتهاد في زمان النبي صلى الله عليه وسلم عند الضرورة، والبعد منه، كما قال معاذ رضي الله عنه له: " اجهد رأيي "))^(١).

وقال في موضع آخر وهو يتحدث عن تحويل القبلة: ((وفيه جواز الاجتهاد بحضرته عليه السلام، وهي مسألة تختلف فيها...))^(٢).

أقوال أهل العلم في المسألة: بحث الأصوليون هذه المسألة من ناحيتين هما: الجواز عقلاً، والوقوع. بمعنى: هل يجوز الاجتهاد في عهد الرسول؟ وإذا قلنا بالجواز، فهل وقع من أحد من الصحابة؟

الناحية الأولى: الجواز العقلي.

اختلفوا في جواز الاجتهاد عقلاً في عصر النبي صلى الله عليه وسلم على أقوال عدة، تقتصر منها هنا على أهمها:

القول الأول: يجوز اجتهاد غيره في عصره صلى الله عليه وسلم مطلقاً.

وهو قول الجمهور ومختار الأكثر كالإمام محمد بن الحسن، والباقلاني وإمام الحرمين، والغزالي، الرازي و الآمدي وغيرهم كثير^(٣).

(١) إكمال المعلم، المحض، باب التيمم، ٢/ ٢٢٢.

(٢) إكمال المعلم، المساجد، باب تحويل القبلة من القدس إلى الكعبة ٢/ ٤٤٨.

(٣) ومعنى الإطلاق هنا: سواء كان في غيبته صلى الله عليه وسلم أو حضوره. انظر: نثر الورود ٢/ ٦٣١، المذكرة ٣١٢، تيسر التحرير ٤/ ١٩٣، فواتح الرحموت ٢/ ٤٢٤، التبصرة ٦٠٣، اللع ٣٦٦، التلخيص ٥٢٢، المستصفى ٢/ ٣٩٠، المحصول ٦/ ١٨، الأحكام ٤/ ١٨١، الوصول ٢/ ٣٧٧، الإماج ٣/ ٢٥٢، جمع الجوامع ٢/ ٣٨٧، نهاية السؤل ٣/ ٢٦٨، البحر المحيط ٤/ ٥٠٧، العدة ٢/ ٤٤٣، التمهيد ٣/ ٤٢٤، الروضة ٢/ ٢٥٧، شرح مختصر الروضة ٣/ ٥٨٩، المختصر في أصول الفقه ١٦٤، شرح غاية السؤل ٤٢٩، شرح الكوكب المنير ٤/ ٤٨١، المحمد ٢/ ٢١٣، ٢٤٣، إرشاد الفحول ٣٨٠، أصول الفقه لأبي النور ٤/ ٤٤٨، وللحصري ٣٦٣.

القول الثاني: لا يجوز اجتهاد غيره في عصره عليه السلام^(١).

قال به بعض المتكلمين كأبي علي الجبائي، وابنه أبي هاشم، واختاره أبو الخطاب^(٢).

القول الثالث: يجوز للغائبين عن الرسول صلى الله عليه وسلم من القضاة والولاة دون الحاضرين^(٣).

القول الرابع: يجوز بشرط غيبته مطلقاً^(٤).

القول الخامس: يجوز بالإذن ولا يجوز بغير الإذن^(٥).

الناحية الثانية:

ثم اختلف القائلون بالجواز في وقوع الاجتهاد على أقوال عدة، منها:

القول الأول: واقع مطلقاً حضرة وغيبة لكن ظناً: قال ابن السبكي: لم يقل أحد إنه وقع قطعاً^(٦).

وهو مذهب الجمهور.

واختاره جمع من العلماء منهم الآمدي وابن الحاجب^(٧).

(١) ينظر المصادر السابقة.

(٢) للمختصر في أصول الفقه ١٦٤، شرح غاية السؤل ٤٢٩.

(٣) نثر الورود ٦٣١/٢، تيسر التحرير ١٩٣/٤، فواتح الرحموت ٤٢٤/٢، المستصفى ٣٩٠/٢، الإحكام ١٨١/٤، الإجماع ٢٥٢/٣، جمع الجوامع ٣٨٧/٢، نهاية السؤل ٢٦٨/٣، البحر المحيط ٥٠٨/٤، العدة ٤٤٣/٢، التمهيد ٤٢٢/٣، الروضة ٢٥٧/٢، شرح مختصر الروضة ٥٩٠/٣، أصول الفقه لأبي النور ٤٤٨/٤.

(٤) مطلق: أي للولاة وغيرهم.

(٥) الإحكام ١٨١/٤، الإجماع ٢٥٢/٣، أصول الفقه لأبي النور ٤٤٨/٤.

(٦) تيسر التحرير ١٩٣/٤، فواتح الرحموت ٤٢٤/٢، التبصرة ٣٠٦، المحصول ١٨/٦، الإجماع ٢٥٣/٣، جمع الجوامع ٣٨٧/٢، نهاية السؤل ٢٦٨/٣، البحر المحيط ٥٠٨/٤، العدة ٤٤٣/٢، التمهيد ٤٢٣/٣، الروضة ٢٥٧/٢، شرح مختصر الروضة ٥٨٩/٣، المختصر في أصول الفقه ١٦٤، شرح غاية السؤل ٤٢٩، شرح الكوكب المنير ٤٨٢/٤، إرشاد الفحول ٣٨٠.

(٧) الإجماع ٢٥٤/٣، جمع الجوامع ٣٨٧/٢.

(٨) مختصر ابن الحاجب ٣٧٦، شرح تنقيح الفصول ٣٤٢، نثر الورود ٦٣١/٢، تيسر التحرير ١٩٣/٤، فواتح الرحموت ٤٢٤/٢، المستصفى ٣٩١/٢، المحصول ١٨/٦، الإحكام ١٨٢/٤، نهاية السؤل ٢٦٩/٣، البحر المحيط ٥٠٩/٤، للمختصر في أصول الفقه ١٦٤، شرح غاية السؤل ٤٢٩، شرح الكوكب المنير ٤٨١/٤، إرشاد الفحول ٣٨٠، أصول الفقه لأبي النور ٤٤٨/٤، وللعصري ٣٦٣، وللزحلي ١٠٦٦/٢.

القول الثاني: (المنع) لم يقع مطلقاً، وعليه الجبائي وابنه من المعتزلة على المشهور^(١).

القول الثالث: واقع في الغائب دون الحاضر.

قال الزركشي في البحر: ((واختاره ابن الصباغ والغزالي، والباقلاني))^(٢). والشوكاني^(٣).

القول الرابع: الوقف مطلقاً: حضرة وغيبة^(٤).

القول الخامس: الوقف إلا فيمن غاب.

وعليه عبد الجبار المعتزلي^(٥). وقريب منه اختيار ابن السبكي: ((والمختار عندنا التوقف

في حق الحاضرين، وأما الغائبون فالظاهر وقوع تعبدهم به ولا قطع))^(٦).

الأدلة^(٧):

أدلة الجمهور: استدلل الجمهور بما يلي:

أ. دليل الجواز العقلي:

(١) تيسر التحرير/٤/١٩٣، فواتح الرحموت ٢/٤٢٤ المحصول ٦/١٨، جمع الجوامع ٢/٣٨٧، البحر

المحيط/٤/٥٠٩ المختصر في أصول الفقه ١٦٤، شرح غاية السؤل ٤٢٩، شرح الكوكب

النور/٤/٤٨١، المعتمد/٢/٢١٣، إرشاد الفحول ٣٨٠، أصول الفقه لأبي النور/٤/٤٤٨، وللزحيلي/٢/١٠٦٦.

(٢) البحر المحيط/٤/٥٠٧.

وانظر: تقريب الوصول/١٤١، فواتح الرحموت ٢/٤٢٤ التلخيص ٥٢٢، المحصول ٦/١٨، الإمجا ٣/٢٥٢، جمع

الجامع ٢/٣٨٧، أصول الفقه للزحيلي/٢/١٠٦٦.

(٣) إرشاد الفحول ٣٨٠.

(٤) مختصر ابن الحاجب ٣٧٦، تيسر التحرير/٤/١٩٣، فواتح الرحموت ٢/٤٢٥، المحصول ٦/١٨،

الإحكام/٤/١٨٢، الإمجا ٣/٢٥٤، جمع الجوامع ٢/٣٨٨، نهاية السؤل ٣/٢٦٩، شرح مختصر الروضة ٣/٥٨٩،

المعتمد/٢/٢١٣، ٢٤٣، أصول الفقه لأبي النور/٤/٤٤٨.

(٥) مختصر ابن الحاجب ٣٧٦، تيسر التحرير/٤/١٩٣، فواتح الرحموت ٢/٤٢٤، الإحكام ٤/١٨٢، نهاية السؤل

٣/٢٦٩، البحر المحيط/٤/٥٠٩، المعتمد ٢/٢١٣، ٢٤٣.

(٦) الإمجا ٢/٢٥٤.

(٧) المحصول ٦/١٨، الإمجا ٣/٢٥٣، نهاية السؤل ٣/٢٧٠.

- لا يتمتع أمرهم به، أي: لا يتمتع عقلاً ولا شريعاً أن يقول الرسول صلى الله عليه وسلم للحاضرين عنده قد أوحى إلي أنكم مأمورون بالاجتهاد والعمل به فإن ذلك لا يلزم منه محال لا لذاته وهو ظاهر، ولا لغيره إذا الأصل عدمه، فمن يدعيه فعليه البيان^(١).

- ليس في التعبد به استحالة في ذاته، ولا يفضي إلى محال، ولا مفسدة، ولا يبعد أن يعلم الله لطفاً فيه يقتضي أن يناط به صلاح العباد فيتعبدهم بالاجتهاد لعلمه أنه لو نص لهم على قاطع لعصوا كردهم في قاعدة الربا إلى الاستنباط من الأعيان الستة، مع إمكان التنصيص على كل مكيل وموزون ومطعوم^(٢).

- ولأن ما جاز الحكم فيه في غيبة رسول الله صلى الله عليه وسلم، جاز الحكم به في حضرته صلى الله عليه وسلم كالنص الكتاب والسنة^(٣).

- ولأنه إذا جاز الاجتهاد في غيبته صلى الله عليه وسلم وخطؤه لا يستدرك، فيحضرته أولى لأنه إذا أخطأ استدرك خطؤه فيحضر وينبه عليه^(٤).

ب. دليل الوقوع.

١. قوله تعالى: {فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِيَ الْأَبْصَارِ} (الحشر: من الآية ٢).

وجه الدلالة: لم يفصل بين أن يكون في حياته أو بعد وفاته، حاضراً عند النبي صلى الله عليه وسلم أو غائباً، بإذنه أو بغير إذنه^(٥).

٢. أنه عليه الصلاة والسلام كان مأموراً بالمشاورة: لقوله تعالى: {وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ} (آل عمران: من الآية ١٥٩).

ولا فائدة في ذلك إلا جواز الحكم على حسب اجتهادهم^(٦).

٣. قوله صلى الله عليه وسلم: ((إذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران))^(٧).

(١) العدة ٤٤٣/٢.

(٢) للمستصفي ٣٩١/٢، الروضة ٢٥٨/٢، شرح مختصر الروضة ٥٩١/٢.

(٣) التبصرة ٣٠٦، اللمع ٣٦٦، العدة ٤٤٤/٢.

(٤) التبصرة ٣٠٦.

(٥) العدة ٤٤٣/٢.

(٦) المحصول ٢١/٦، نهاية السؤل ٢٧١/٣.

وجه الدلالة: لم يفرق بين زمنه أو بعده^(٣).

٤. عن عمرو بن العاص قال جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم خصمان قال لعمرو: ((اقض بينهما)). قال: أنت أولى بذلك مني يا رسول الله. قال: ((إن كنت قضيت بينهما فأصبحت القضاء فلك عشر حسنات، وإن أنت اجتهدت فأخطأت فلك حسنة))^(٣).

٥. وروي أن النبي صلى الله عليه وسلم جعل إلى عقبة بن عامر قضية، وقال: ((إن أصبتما فلكما عشر حسنات، وإن أخطأتما فلكما حسنة))^(٤).

٦. ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه حكم سعد بن معاذ في بني قريظة وقال له صلى الله عليه وسلم: ((حكمت بحكم الله)) أو ((بحكم الملك))^(٥).

٧. عن أبي قتادة^٦: ... جلس النبي صلى الله عليه وسلم فقال: ((من قتل قتيلًا له عليه بيعة فله سلبه)) فقلت: من يشهد لي... فقال رجل: صدق وسلبه عندي فأرضه منه.

(١) البخاري (٦٩١٩)، ومسلم (١٧١٦)، عن عمرو بن العاص.

(٢) التبصرة ٣٠٦، المستصفى ٣٩١/٢، العدة ٤٤٣/٢، الروضة ٢٥٨/٢، الكوكب المنور ٤٨٣/٤، أصول الفقه لأبي النور ٤٥٠/٤، وللخضري ٣٦٣، وللزحيلي ١٠٦٩/٢.

(٣) قال الهيثمي: رواه أحمد والطبراني في الكبير وفيه من لم أعرفه. انظر: مجمع الزوائد ١٩٥/٤.

(٤) قال الهيثمي: رواه الطبراني في الصغير والأوسط وفيه حفص بن سليمان الأسدي وهو متروك.

مجمع الزوائد ١٩٥/٤.

وانظر: للمستصفى ٣٩٢/٢، المحصول ٢٠/٦، الإحكام ١٨٢/٤، الوصول ٣٧٨/٢، العدة ٤٤٣/٢، الروضة ٢٥٨/٢، شرح مختصر الروضة ٥٩٠/٢، شرح الكوكب المنور ٤٤٨، الخضري ٣٦٣.

(٥) سعد بن معاذ بن النعمان بن امرئ القيس بن زيد بن عبد الأشهل أبو عمرو الأنصاري الأوسي الأشهلي، الذي اهتز عرش الرحمن لموته رضي الله عنه.

الاستيعاب ١٦٧/٢ أسد الغابة ٢٢١/٢، الإصابة ٧١/٣.

(٦) البخاري (٣٥٩٣)، مسلم (١٧٦٨)، من حديث أبي سعيد الخدري.

انظر: مختصر ابن الحاجب ٣٧٦، نثر الورود ٦٣١/٢، تيسر التحرير ١٩٥/٤، فواتح الرحموت ٤٢٥/٢، التبصرة ٣٠٦، للمع ٣٦٦، المحصول ١٩/٦، الإحكام ١٨٢/٤، نهاية السؤل ٢٧١/٣، العدة ٤٤٣/٢، الروضة ٢٥٨/٢،

شرح مختصر الروضة ٥٩٠/٣، شرح الكوكب المنور ٤٨٢/٤، أصول الفقه أبو النور ٤٥٠/٤، وللزحيلي ١٠٦٧/٢.

(٧) الحارث بن ربيع بلدمة بن حنابس، وقيل اسمه النعمان، وقيل: عمرو الأنصاري، الخزرجي، السلمي، أبو قتادة،

فارس رسول الله صلى الله عليه وسلم، مات سنة (٥٤) وقيل: (٤٠) رضي الله عنه. أحاديثه (١٧٠)

الاستيعاب ٢٩٤/٤، أسد الغابة ٢٥٠/٥، الإصابة ٢٧٢/٧.

فقال أبو بكر: لا ها الله إذا لا يعمد إلى أسد من أسد الله يقاتل عن الله ورسوله صلى الله عليه وسلم فيعطيك سلبه.

فقال النبي صلى الله عليه وسلم: ((صدق فأعطه))^(١).

فإنه رضي الله عنه - قال ذلك عن اجتهاد، بحضرة الرسول صلى الله عليه وسلم فأقره على ذلك^(٢).

٨. وقال صلى الله عليه وسلم حين توجه إلى بني قريظة: ((لا يصلين أحد العصر إلا في بني قريظة)) فتخوف ناس فوت الوقت فصلوا دون بني قريظة، وقال آخرون: لا نصلي إلا حيث أمرنا النبي صلى الله عليه وسلم وإن فات الوقت. فلم يعنف صلى الله عليه وسلم واحداً من الفريقين، ولا عاهم الله على ذلك في كتابه^(٣).

١٠. لما أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يبعث معاذاً إلى اليمن قال: ((كيف تقضي)) قال: أقضي بكتاب الله. قال: ((فإن لم تجد في كتاب الله)). قال: فبسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم. قال: ((فإن لم تجد في سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا في كتاب الله)). قال: أجتهد رأيي ولا آلو.

فضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم صدره. وقال: ((الحمد لله الذي وفق رسول رسول الله لما يرضي رسول الله))^(٤).

١١. الاجتهاد مدرك من مدارك الأحكام فيحوز التعلق به في زمن الرسول صلى الله عليه وسلم، كما يجوز في غير زمنه، والدليل عليه أخبار الآحاد، فإن الصحابة كان يحدث

(١) مالك في الموطأ (٩٧٣)، البعاري (٤٠٦٦)، مسلم (١٧٥١).

(٢) ابن الحاجب مع بيان المختصر ٣/٣٠٠، نثر الورود ٢/٦٣٢، تيسر التحرير ٤/١٩٤، فواتح الرحموت ٢/٤٢٥، الإحكام ٢/١٨٢، الإجماع ٣/٢٥٤، البحر المحیط ٤/٥١١، أصول الفقه لأبي النور ٤/٤٥٠، وللحضري ٣٦٣، وللزحلي ٢/١٠٦٧.

(٣) البعاري (٩٠٤)، مسلم (١٧٧٠).

وانظر: فواتح الرحموت ٢/٤٢٥، البحر المحیط ٤/٥١٣، إرشاد الفحول ٣٨٠.

(٤) سبق تخريجه في باب القياس.

وانظر: المحصول ٦/٢١، الإحكام ٤/١٨٢، الوصول ٢/٣٧٨، البحر المحیط ٤/٥١٣، الروضة ٢/٢٥٧، شرح مختصر الروضة ٣/٥٩٠، أصول الفقه لأبي النور ٤/٤٥٠، وللزحلي ٢/١٠٦٧.

بعضهم بعضاً في مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم، وهم قادرون على مراجعته ولم يكلفوا بذلك^(١).

١٢. ولأنه ليس في الاجتهاد بحضرته أكثر من الرجوع إلى غالب الظن مع القدرة على القطع واليقين، وهذا جائز بحضرته، لأنه لو كان حاضراً في مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم فروي بعض الحاضرين عنه خيراً، جاز له العمل به، وهو عمل بقلب ظن مع القدرة على القطع واليقين، فلما جاز هذا ولم يرجع فيه إليه، ثبت ما قلناه^(٢).

فائدة:

أشار الرازي وغيره أن الخلاف في هذه المسألة لا ثمرة له في الفقه، لأن اجتهاد الصحابي إن أقره الرسول الله عليه الصلاة والسلام كان حجة وشرعاً بالسنة التقريرية، لا باجتهاد الصحابي، وإن لم يبلغه كان داخلاً في الخلاف في قول الصحابي. لكن اعترضه بن السبكي في الإجماع، وذكر للمسألة فروع تتخرج عليها^(٣).

(١) الوصول ٣٧٧/٢، الروضة ٢٠٨/٢.

(٢) العدة ٤٤٤/٢.

(٣) انظر: المحصول ١٨/٦، الإجماع ٢٥٣/٣، البحر المحيط ٥١٤/٤، إرشاد الفحول ٣٨١، أصول الفقه للزحيلي ١٠٦٩/٢، أبو زنيد في تحقيق الوصول لابن برهان ٣٧٦/٢.

المبحث السابع : هل كل مجتهد مصيب.

تحرير محل النزاع:

- قال ابن تيمية: لفظ الخطأ قد يراد به: ١. الإثم، وقد يراد به: ٢. عدم العلم.

فإن أريد الأول فكل مجتهد اتقى الله ما استطاع فهو مصيب، فإنه مطيع لله ليس بآثم ولا مذموم^(١).

- الخلاف في هذه المسألة يختص بالمسائل الشرعية لا العقلية، فلا مدخل لها في هذا^(٢).

- من ليس بأهل للحكم لا أجر له، بل هو آثم، سواء وافق الحق أم لا، لأن إصابته اتفاق، ليست صادرة عن أصل شرعي، فهو عاص في جميع أحكامه، كما جاء في السنن ((القضاة ثلاثة: قاض في الجنة واثان في النار قاض عرف الحق فقضى به فهو في الجنة، وقاض عرف الحق فقضى بخلافه، فهو في النار، وقاض قضى على جهل، فهو في النار))^(٣).

- إن وجد المجتهد النص ولم يحكم بمقتضاه، مع علمه بوجه دلالة على المطلوب فهو مخطئ وآثم وفاقا، لتعمده مخالفة الشرع.

فإن قصر في طلب النص أو فهمه فهو مخطئ وآثم^(٤).

- اختلفوا هل لله تعالى في نفس الأمر حكم معين في الواقع أم لا.

(١) مجموع الفتاوى ١٩/٢٠-٢٠.

(٢) التمهيد للإسنوي ص ٥٣١، السيل الجرار ١/١٨.

(٣) رواه أبو داود (٣٥٧٣)، والترمذي (١٣٢٢)، وابن ماجه (٢٣١٥)، من حديث ابن بريدة. قال أبو داود: وهذا أصبح شيء فيه.

وانظر: إكمال المعلم ٥٧٢/٥، شرح النووي ١٢/١٤، إرشاد الفحول ١/٤٣٨.

(٤) قاله الصفي الهندي. قال الشوكاني: وقد حرر الصفي الهندي هذه المسألة، وما فيها من المذاهب تحريرا جيدا. إرشاد الفحول ١/٤٣٩-٤٤٠.

القسم الأول من الخلاف: في أصول الدين.

رأي القاضي عياض في المسألة:

قال - رحمه الله -: ((وذهب عبيد الله بن الحسن العنبري^١ إلى تصويب أقوال المجتهدين في أصول الدين، فيما كان عرضة للتأويل، وفارق في ذلك فرق الأمة إذ أجمعوا سواء على أن الحق في أصول الدين واحد، والمخطئ فيه آثم عاص فاسق، وإنما الخلاف في تكفيره. وقد حكى القاضي أبو بكر الباقلاني مثل قول عبيد الله عن داود الأصبهاني. وقال: وحكى قوم عنهما قلنا ذلك في كل من علم الله سبحانه من حاله استغراغ الوسع في طلب الحق من أهل ملتنا أو من غيرهم. وقال نحو هذا القول الجاحظ^(٢) وثمامة^(٣) في أن كثيرا من العامة والنساء والبله ومقلد النصاري واليهود وغيرهم لا حجة... عليهم إذ لم تكن لهم طباع يمكن معها الاستدلال. وقد نحا الغزالي قريبا من هذا المنحى في كتاب التفرقة. وقائل هذا كله كافر بالإجماع على كفر من لم يكفر أحد من النصاري واليهود، وكل من فارق دين المسلمين، أو وقف في تكفيرهم أو شك. قال القاضي أبو بكر: التوقيف والإجماع اتفقا على كفرهم، فمن وقف في ذلك فقد كذب النص والتوقيف، أو شك فيه. والتكذيب أو الشك فيه لا يقع إلا من كافر^(٤).

-
- (١) عبيد الله بن الحسن بن حصين بن أبي الحر العنبري البصري، ومات سنة (١٦٨هـ)، وكان من كبار قضاة البصرة. طبقات ابن سعد، ٢٨٥/٧، تاريخ بغداد ٣٠٦/١٠
- ٧٧/ الأصم: شيخ المعتزلة أبو بكر عبد الرحمن بن كيسان مات سنة ٢٠١ من تصانيفه: إفتراق الأمة، الرد على الملحدة
- سير أعلام النبلاء ٩/ ٤٠٢ لسان الميزان ٤٢٧/٣.
- (٢) أبو عثمان، عمرو بن بحر، البصري، المعتزلي، أخذ عن النظام. مات سنة خمسين ومائتين، وقيل: خمس وخمسون ومائتين. انظر: سير أعلام النبلاء ١١/ ٥٢٦-٥٢٧.
- (٣) أبو معن، ثمامة بن أشرس، النعمري البصري، شيخ الجاحظ، من رؤوس المعتزلة.
- قال الذهبي: وقال: المقلدون من أهل الكتاب وعبدة الأوثان لا يدخلون النار بل يصيرون ترابا وإن مات مسلما وهو مصر على كبيرة خلد في النار وإن أطفال المؤمنين يصيرون ترابا ولا يدخلون حنة.
- قلت -الذهبي-: قبح الله هذه النحلة. انظر: سير أعلام النبلاء ١٠/ ٢٠٣-٢٠٤.
- (٤) الشفا، الفصل الثالث، تحقيق القول في إكفار المتأولين ص ٥٨٤.

* من هذه النقول يتبين لنا أن القاضي عياض:

- يرى أن المصيب في الأصول واحد، والمخالف إما يفسق، أو يبدع، أو يكفر.
أقوال أخرى في المسألة^(١):

القول الأول: إن الله قد نصب أدلة قطعية على المسائل العلمية، وكل من لم يعرف الحق فإنما هو لتفريطه فيما يجب عليه لا لعجزه، فهو آثم لأنه مخطئ والخطأ والإثم عندهم متلازمان. وبه قال القدريّة والمعتزلة، وهو قول طائفة من أهل الكلام غير هؤلاء^(٢).

القول الثاني: المجتهد المستدل قد يمكنه أن يعرف الحق، وقد يعجز عن ذلك. لكن إذا عجز عن ذلك، فقد يعاقبه الله تعالى، وقد لا يعاقبه، فإن له أن يعذب من يشاء، ويغفر لمن يشاء بلا سبب أصلاً، بل لحض المشيئة.

وهذا قول الجهمية والأشعرية وكثير من الفقهاء أتباع الأئمة الأربعة وغيرهم.
تحقيق مذهب العنبري:

- قال عبد الله بن الحسين العنبري بتصويب المجتهدين في أصول الدين بمعنى نفي الإثم، لا بمعنى مطابقة الاعتقاد^(٣).

قال القراني: واتفق سائر العلماء على فساد^(٤).

- قال الشهرستاني: قال - أي العنبري - : لأنه أدى ما كلف به من المبالغة في تسديد النظر في المنظور فيه، وإن كان متعيناً نفياً وإثباتاً إلا أنه أصاب من وجه^(٥).

وانظر: إكمال المعلم، كتاب الأقضية، باب بيان أحر الحاكم إذا اجتهد، ٥/٥٧٤.

(١) منهاج السنة النبوية ٨٤/٥-٨٨.

(٢) وهذا قول بشر المريسي وكثير من المعتزلة البغداديين.

(٣) هذا هو الصواب في مذهبه، علاناً لما حكاه جماعة من الأصوليين. انظر: المنحول ص ٤٥١، الاجتهاد للحويني ص ٣٢-٣٤، الروضة ص ٣٦٣.

(٤) الذخيرة: ١٤٥/١-١٤٦.

(٥) قال: وإنما ذكر هذا في الإسلاميين من الفرق. وأما الخارجون عن الملة فقد تقررت النصوص والإجماع على كفرهم وعطلتهم، وكان سياق مذهبه يقتضي تصويب كل مجتهد على الإطلاق إلا أن النصوص والإجماع صدته عن تصويب كل ناظر وتصديق كل قائل. انظر: الملل والنحل ٢٠٢/١. قال الشهرستاني: ومن الناس من حمل هذا القول منه على أنه إنما أراد في أصول الديانات التي يختلف فيها أهل القبلة ويرجع للمخالفين فيها إلى آيات وآثار محتملة للتأويل كالرؤية وخلق الأفعال والتحسيم وما أشبه ذلك دون ما يرجع إلى الاختلاف بين

- قال شيخ الإسلام: والقول المحكي عن عبيد الله بن الحسن العنبري هذا معناه أنه كان لا يؤثم المخطئ من المجتهدين من هذه الأمة لا في الأصول ولا في الفروع.
وأنكر جمهور الطائفتين من أهل الكلام والرأي على عبيد الله هذا القول^(١).

وأما غير هؤلاء فيقول: هذا قول السلف وأئمة الفتوى كأبي حنيفة والشافعي والثوري وداود بن علي وغيرهم لا يؤثمون مجتهدا مخطئا لا في المسائل الأصولية ولا في الفروعية كما ذكر ذلك عنهم ابن حزم وغيره.

ولهذا كان أبو حنيفة والشافعي وغيرهما يقبلون شهادة أهل الأهواء إلا الخطائية، ويصححون الصلاة خلفهم والكافر لا تقبل شهادته على المسلمين ولا يصلى خلفه.

وقالوا: هذا هو القول المعروف عن الصحابة والتابعين لهم بإحسان وأئمة الدين إنهم لا يكفرون ولا يفسقون ولا يؤثمون أحدا من المجتهدين المخطئين لا في مسألة عملية ولا علمية. قالوا: والفرق بين مسائل الأصول والفروع إنما هو من أقوال أهل البدع... لم يدل عليها كتاب ولا سنة ولا إجماع بل ولا قالها أحد من السلف والأئمة فهي باطلة عقلا فإن المفرقين بين ما جعلوه مسائل أصول ومسائل فروع لم يفرقوا بينهما بفرق صحيح يميز بين النوعين بل ذكروا ثلاثة فروق أو أربعة كلها باطلة^(٢).

الرد على الجاحظ: قال ابن قدامة: أما الذي ذهب إليه الجاحظ فباطل يقينا، وكفر بالله تعالى، ورد عليه وعلى رسوله صلى الله عليه وسلم، فإننا نعلم قطعا أن النبي صلى الله عليه وسلم أمر اليهود والنصارى بالإسلام واتباعه، وذهبهم على إصرارهم، وقاتل جميعهم، وقتل البالغ منهم. ونعلم أن المعاند العارف مما يقل، وإنما الأكثر مقلدة اعتقلوا دين آبائهم تقليدا، ولم يعرفوا معجزة الرسول وصدقه. والآيات الدالة في القرآن على هذا كثيرة، كقوله تعالى: {ظَنُّوا الَّذِينَ كَفَرُوا قَوْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ} (ص: ٢٧)، {وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرَأَاكُمْ فَاصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ} (فصلت: ٢٣)، وَإِنْ هُمْ إِلَّا

المسلمين وغيرهم من أهل الأديان. انظر: اللع ص ١٢٩. قلت يدل على ذلك ما ورد في اعتقاد أهل السنة ٧٠٦/٤ عن العنبري أنه قال في القدرية: يستتابون فإن تابوا وإلا قتلوا.

(١) انظر: للمعول ٤٥١، الاجتهاد للحويني ٣٢-٣٤، الروضة ٣٦٣.

(٢) منهاج السنة ٨٧/٥-٨٨.

يُظَنُّونَ} (البقرة: ٧٨)، {وَيَخْسِبُونَ كُهُمَّ عَلَى شَيْءٍ} (المجادلة: ١٨)، {وَيَخْسِبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ} (الأعراف: ٣٠)^(١).

القسم الثاني من الخلاف: في فروع الدين.

رأي القاضي عياض.

وقال رحمه الله مدخلا: ((وأما للمجتهد في قضية ليس فيها نص، ولا إجماع، فمن أين يقال إنه أخطأ؟.

ولا يُلتفت إلى قول من لم يحقق لقوله: " إن في كل نازلة حكما عند الله تعالى هو الصواب، فإذا أخطأ المجتهد كان مخطئا، وإذا أصابه كان مصيبا".

في أن هذا تخييل وتوهين، ممن لا تحقيق عنده، إذ النوازل التي لم يبرز الله لها حكما، ولا نص لنا على وجه حكمها من حرمها، لا حكم الله في شيء منها، سوى ما سبق في قسم مشيئة علمه في آحادها من اختلاف المجتهدين فيها.

وأن الشافعي يحكم في نازلة فلان بالجواز، ومالك يحكم بنازلة فلان آخر وهي مثلهما، بالمنع، وأبو حنيفة يحكم في قضية فلان بالتعزير، ومالك يحكم فيها بعينها لآخر بالرحم.

وهكذا في تفصيل آحاد النوازل، في علم الله سبحانه، وسابق كتابه، الذي لا يعزب عنه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء.

فإذا وقعت هذه النوازل فكل حاكم حكم فيها باجتهاده، فهو الذي علمه الله تعالى وشاءه، وما نفذ فيها فهو قضاؤه تعالى بما وحكمه، ولا تناقض في هذا كما زعم الآخرون حتى يكون الشيء حللا معا وصحيحا فاسدا في حالة واحدة، وواجبا حراما في أخرى.

فإن تناقض اختلافهم بتضاد أحكامهم إنما هو على الجملة وجنس النازلة، وبحسب تقدير اجتماع ذلك في النازلة الواحدة، والنظر في إصابة صواب الحكم ومراد الله فيه، فإنما هو بعد وقوعه، ولا يصح أن يقع إلا على صفة واحدة، فلا ينفذ في شأن القتل والاحتياط في حالة، ولا يجتمع التحليل والتحریم في حكم واحد.

فبان أن الذي نفذ به الحكم في هذه النازلة من المالكية من قتل هذا هو حكم الله تعالى فيه لا سواه، وفي هذه الأخرى من جلد آخر فيها بحكم الحنفي هو حكمه أيضا لا سواه...

(١) انظر: الروضة ص ٣٦٢.

وأن الصواب في هذه النوازل كأنها ما نفذ فيه حكم المجتهدين وفتاويهم فيها بخاصة كل قضية، وأما أحكام الله سبحانه فيها، ومراده في أزلها...

إذ لا حكم لله في نازلة إلا ما نص عليه، أو قام مقام نص بما شرعه رسوله قطعا، أو اجتمعت عليه أمته، أو مستنده إلى مثل ذلك، أو ما كشف الغيب مراده أنه حكمه بتقييد مجتهد له، ولا تناقض ولا تضاد في ذلك...

والقول بأن الحق في طرفين هو قول أكثر أهل التحقيق من المتكلمين والفقهاء، وهو مروي عن مالك والشافعي وأبي حنيفة، وإن كان قد حكى عن كل واحد منهم اختلاف في هذا الأصل...^(١).

* من هذه النقول يتبين لنا أن القاضي عياض يرى أن كل مجتهد في الفروع مما لا نص في قاطع ولا إجماع مصيب.

سبب القول بتصوبة المجتهدين:

- جر المعتزلة إلى هذا القول بوجوب الأصلح، فكان صيانة المجتهدين عن الخطأ، وتقريرهم على الصواب واجبا^(٢).

- وقال ابن عساكر^٣: قالت المعتزلة بتخطئة بعض الصحابة، ورد شهادتهم، وكفرهم الرافضة.

- وقالت الأموية: لا يجوز الخطأ بحال.

(١) إكمال المعلم، كتاب الأقضية، باب بيان أجر الحاكم إذا اجتهد، ٥٧٣/٥-٥٧٤.

وانظر: كتاب الإيمان، باب دليل على أن مات على التوحيد دخل الجنة قطعا، ٢٦٥/١.

الشفاء، الفصل الثالث، معرفة الأنبياء بأمر الدين، ٤٧١/٢.

(٢) شرح فتح القدير ٣٤٧/٧.

(٣) علي بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله، أبو القاسم الدمشقي المعروف بابن عساكر، الشافعي المحدث الحافظ الفقيه المؤرخ. من مصنفاته: تاريخ دمشق وأخبارها، وتبيين كذب المفتري على أبي الحسن الأشعري، توفي سنة (٥٧١هـ).

سورأعلام النبلاء ٣٥٤/٢٠ ووفيات الأعيان ٤٤١/٣.

فسلك الأشعري طريقة بينهم وقال: كل مجتهد مصيب، وكلهم على الحق وإنهم لم يختلفوا في الأصول، وإنما اختلفوا في الفروع، فإذا أدى اجتهاد كل واحد منهم إلى شيء فهو مصيب، وله الأجر والثواب^(١).

أقوال العلماء في المسألة

القول الأول: الحق في مسائل الفروع في الطرفين، وكل مجتهد مصيب^(٢).

وبه قال جمهور المتكلمين^(٣)، وصار إليه المعتزلة قاطبة^(٤).

وحكاه الماوردي والرويات عن الأكثرين^(٥).

ونصره الجصاص^(٦)، و القرطبي^(٧).

ونسب للمالك، وأبي حنيفة^(٨)، والشافعي^(٩)، وأحمد^(١٠)، ولا تصح نسبته لهم^(١١).

(١) تبين كذب المفتري ١٥١/١-١٥٢.

(٢) الذخيرة: ١٤٥/١-١٤٦، التبصرة ص ٤٩٨، التمهيد للإسنوي ص ٥٣٢، الاجتهاد للحويني ص ٣١-٣٢، المعتمد ٢٧٠/٢-٢٧١، إرشاد الفحول ٤٣٦/١.

(٣) ومنهم الأشعري، والباقلاني، وابن فورك. المحصول ٤٧/٦.

(٤) انظر: الاجتهاد للحويني ٣١.

وفي باقي كتب الأصول نسبته لأبي علي وأبي هاشم، والأصم وبشر المبرسي. اللع ١٣٠.

(٥) السيل الجرار ١٩/١، إرشاد الفحول ٤٣٦/١.

(٦) أحكام القرآن ٣٣١/٢، ١٩٦/٤، ٥٥/٥.

(٧) أحكام القرآن ٢٩٩/١٦.

(٨) قال الشوكاني: ونقل عن الشافعي وأبي حنيفة والمشهور عنهما خلافه. انظر: إرشاد الفحول ٤٤٠/١.

(٩) قال الغزالي: وعزى القاضي مذهبه إلى الشافعي رضي الله عنه وقال لولاه لكنت لا أعدّه من أحزاب الأصوليين. قال الجويني: والصحيح من مذهب الشافعي أن المصيب واحد.

انظر: الاجتهاد ص ٣٠، المنحول ص ٤٥٣.

(١٠) قال المازري: هو قول أكثر أهل التحقيق من الفقهاء والمتكلمين، وهو مروي عن الأئمة الأربعة، وإن حكى عن كل منهم اختلاف فيه. قال ابن حجر معقبا: والمعروف عن الشافعي الأول - أي المصيب واحد-.

انظر: فتح الباري ٣٢٠/١٣.

ونسب هذا القول لأصحاب المذاهب الأربعة، وجمهور الفقهاء فيها نظر كما سيأتي بيانه في الملعب الثاني.

(١١) قال ابن تيمية: ثم إن طائفة من أصحابنا منهم ابن عقيل و أبو بكر الدينوري ذكروا رواية عن أحمد أن كل مجتهد مصيب بناء على:

١. إذنه لبعض من استفتاه أن يقلد غيره من المفتين إذا أفتاه بخلاف قوله.

القول الثاني^(١): لله في كل مسألة حكم، والمصيب واحد.

وبه قال جمهور الفقهاء^(٢)،

وهو المشهور من مالك^(٣)، وإليه ذهب أبو حنيفة^(٤)، ومحمد بن الحسن، وجمهور الحنفية^(٥)،
والشافعي وأصحابه^(٦)، واختاره الرازي، والقراي^(٧).

ورجح جماعه من المحققين^(٨).

أدلة الطرفين:

أدلة المصوبة^(٩).

٢. وصنف رجل كتابا سماه كتاب الاختلاف فقال: سمه كتاب السعة، ولا تسمه كتاب الاختلاف.

٣. وقال - أي أحمد - : لا ينبغي للفقهاء أن يحمل الناس على مذهب.

قال - أي: ابن عقيل - ولو كان يعتقد أنهم على خطأ، لما دل عليهم وأمر بالاستفتاء لهم...

و المنصوص عنه - أي أحمد - في غير موضع، و هو مذهب معروف أن الحق عند الله واحد، وعلى المكلف أن يطلبه

شرح العملة ٥٦٧/٤، ٥٦٨.

(١) قال العلائي: وأما اعتقاد أن كل مجتهد مصيب فليس ذلك قولاً لأحد من الصحابة وإنما ينتدح هذا فيمن

يعلمهم. انظر: إجمال الإصابة ص ٢٨.

وانظر: التمهيد للإسنوي ص ٥٣٢، الروضة ص ٣٥٩،

(٢) مجموع الفتاوى ٤١/٢٩.

(٣) نقله عنه أبو التمام المالكي، وقال: حكى بن القاسم أنه سأل مالكا عن اختلاف الصحابة فقال غطى ومصيب

وليس الحق في جميع أقاويلهم. تفسير القرطبي ٣١١/١١، الذخيرة للقراي ١٤٦/١.

(٤) المبسوط ٦٩/١٦، حاشية ابن عابدين ٢٩/٧، شرح فتح القدير ٣٤٧/٧.

(٥) القول السديد ٥٦.

(٦) قال الشيرازي: والصحيح من مذهب أصحابنا أن الحق في واحد وما سواه باطل.

وقال النووي: والأصح عند الشافعي وأصحابه أن المصيب واحد.

وقال الإسفراييني: " كل مجتهد مصيب " أوله سفسطة، وآخره زندقه.

اللمع ص ١٣١، شرح مسلم ١٤/١٢، للمنحول ٤٥٣، سير أعلام النبلاء ٣٥٥/١٧.

(٧) الذخيرة للقراي ١٤٦/١.

(٨) كابن حزم، وابن تيمية، وابن القيم، والإسفراييني، والشيرازي، والرازي، والشوكاني.

انظر: المهلى ٧٠/١، التبصرة ٤٩٨، المحصول ٥١/٦، إعلام الموقعين ٢٦٠/١-٢٦١، منهاج السنة النبوية

٢٧/٦-٢٨، إرشاد الفحول ٤٣٨/١.

- أقر الصحابة فمن بعدهم بعضهم خلاف بعض^(١).

والجواب: أن هذا لا حجة لهم فيه، لأنهم قد أنكروا بعضهم على بعض الاختلاف في الفتيا، كإنكارهم غير ذلك. وقد قال ابن عباس: من شاء باهله عند الحجر الأسود في العول في الفرائض^(٢)، وأنه ليس للأمة ظهار^(٣).

وقال: أما تخافون أن يخسف الله بكم الأرض أقول لكم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وتقولون قال أبو بكر وعمر^(٤).

- {فَفَهَّمَتَاهَا سُلَيْمَانُ وَكَلَّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا} {الانبياء: ٧٩}.

ف سليمان عليه السلام فهم القضية المثلى والتي هي أرجح فالأولى ليست بخطأ.

والجواب: أن الله سبحانه وتعالى صرح في كتابه العزيز بأن الحق هو ما قاله سليمان، ولو كان الحق بيد كل واحد منهما، لما كان لتخصيص سليمان بذلك معنى.

- قوله تعالى: {مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لَيْنَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَى أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ} {الحشر:

٥}. الجواب: أن هذا خارج عن محل النزاع، لأن الله سبحانه قد صرح في هذه الآية بأن

(١) والأدلة في هذا الباب من الطرفين كثيرة جداً، لا يمكن استيفائها، فما لا يدرك كله لا يترك جله، والمعصور لا يسقط المعصور. فانظر - غير مأثور -: تفسير القرطبي ٣٠٩/١١-٣١١، التبصرة ص ٥٠٥-٥٠٩، الاجتهاد للحويني ص ٤٧-٦١، المنحول ٤٥٥-٤٥٧، المحصول ٦٢/٦-٨١، الإحكام لابن حزم ٦٨/٥-٨١، إرشاد الفحول ٤٣٨/١.

(٢) قالوا: ومنه رد مالك رحمه الله للمنعصور أبي جعفر عن حمل الناس على الموطأ فإذا قال عالم في أمر حلال فذلك هو الحق فيما يختص بذلك العالم عند الله تعالى وبكل من أعاد بقوله.

(٣) عن عطاء قال: قلت لابن عباس: إن الناس لا يأخذون بقولي ولا بقولك، ولو مت أنا وأنت ما اقتسموا ميراثاً على ما نقول.

قال: فليحتمعوا فلنضع أيدينا على الركن ثم نبتهل فنحمل لعنة الله على الكاذبين. ما حكم الله بما قالوا.

سنن سعيد بن منصور ٦١/١، مصنف عبد الرزاق ٢٥٥/١٠.

وانظره بمناه دون المباهلة في: السنن الكبرى للبيهقي ٢٥٣/٦، مصنف عبد الرزاق ٢٥٤/١٠.

(٤) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال من شاء باهله أنه ليس للأمة ظهار والله أعلم.

انظر: سنن البيهقي الكبرى ٣٨٣/٧.

(٥) رواه الدارمي (٤٣١) بلفظ: أما تخافون أن تعذبوا أو يخسف بكم أن تقولوا قال رسول الله، وقال فلان.

وانظر بقية النصوص في: الإحكام لابن حزم ٧٠/٥-٧١.

ما وقع منهم من القطع والترك هو بإذنه عز وجل، وليس النزاع إلا فيما لم يرد النص فيه بخصوصه.

- قال الماوردي: في هذه الآية دليل على أن كل مجتهد مصيب.

ويجاب عن هذا: بقول ابن العربي: وهذا باطل لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان معهم ولا اجتهاد مع حضور رسول الله صلى الله عليه وسلم وإنما يدل على اجتهاد النبي صلى الله عليه وسلم فيما لم ينزل عليه أخذًا بعموم الأذية للكفار^(١).

- عن ابن عمر قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم لنا لما رجع من الأحزاب: ((لا يصلين أحد العصر إلا في بني قريظة))، فأدرك بعضهم العصر في الطريق. فقال بعضهم: لا نصلي حتى نأتيها. وقال بعضهم: بل نصلي، لم يرد منا ذلك. فذكر للنبي صلى الله عليه وسلم فلم يعنف واحدا منهم^(٢).

قالوا: فلو كان أحد الفريقين مخطئا لعينه النبي صلى الله عليه وسلم ويجاب: أنه لم يصرح بإصابة الطائفتين، بل ترك تعنيفهم، ولا خلاف في ترك تعنيف المجتهد وإن أخطأ، إذا بذل وسعه في الاجتهاد والله أعلم^(٣).

وترك التشريب لمن قد عمل باجتهاده لا يدل على أنه قد أصاب الحق، بل يدل على أنه قد أجزاه ما عمله باجتهاده.

- عن عثمان رضي الله عنه أنه سئل عن الجمع بين الأختين بملك اليمين فقال: أحلتها آية وحرمتها آية^(٤).

(١) أحكام القرآن لابن العربي ٢١١/٤، تفسير القرطبي ٨/١٨

(٢) البعاري (٩٠٤)، مسلم (١٧٧٠).

(٣) شرح النووي ٩٨/١٢.

(٤) عن قبصة بن ذؤيب أن رجلا سأل عثمان بن عفان عن الأختين في ملك اليمين هل يجمع بينهما؟

فقال عثمان: أحلتها آية، وحرمتها آية، وما كنت لأمنع ذلك.

فخرج من عنده فلقي رجلا من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فسأله عن ذلك فقال: لو كان لي من الأمر شيء، ثم وجدت أحدا فعل ذلك لبعلته نكالا.

قال بن شهاب: أراه علي بن أبي طالب، قال: وبلغني عن الزبير بن العوام مثل ذلك. رواه مالك (١١٢٢)، البيهقي في الكبرى ١٦٣/٧.

والجواب: أن عثمان رضي الله عنه لم يُرد ما ذهبوا إليه من كون الشيء حراماً حلالاً معاً، في وقت واحد، على إنسان واحد، فهذا غاية المحال الممتنع. وإنما أراد أنه لم يلح له فيها حكم يقف عليه^(١).

- واحتجوا باختلاف القراءات، وبالأشياء المباحات في الكفارات، وأنها كلها حق على اختلافها.

والجواب: أن هذا لا حجة لهم فيه، لأن القراءات المختلفة ليست متنافية، ونحن لم ننكر الصواب فيما لا يتناقى، ولا فيما أمر به تعالى^(٢).

أدلة المخطئة^(٣):

أ. من القرآن:

- قال الله تعالى: {فَمَآذَا بَعَدَ الْحَقُّ إِلَّا الضَّلَالُ} (يونس: ٣٢).

وقال تعالى: {وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا} (النساء: ٨٢)

وذم الله الاختلاف فقال: {وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا} (آل عمران: ١٠٥)

وقال تعالى: {وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا} (أنفال: ٤٦)، وقال تعالى: {تَبَيَّنَا لِكُلِّ شَيْءٍ} (النحل: ٨٩).

ومن ادعى أن الأقوال كلها حق وأن كل مجتهد مصيب فقد قال قولاً لم يأت به قرآن ولا سنة ولا إجماع ولا معقول وما كان هكذا فهو باطل.

قال ابن عبد البر: إنما كفى قبيصة بن ذؤيب علي بن أبي طالب لصحبته عبد الملك بن مروان، وكانوا يستقلون ذكر علي بن أبي طالب رضي الله عنه. انظر: تفسير ابن كثير ٤٧٣/١، المطالب العالية ٤٨٩/٨-٤٩٠، تلخيص الحبير ١٧٣/٣.

(١) الإحكام لابن حزم ٦٨/٥.

(٢) الإحكام لابن حزم ٦٩/٥.

(٣) جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر ٨٥/٢-٨٨، التبصرة ص ٤٩٨-٥٠٥، اللمع ص ١٣١-١٣٢، الاحتجاج للحريني ص ٣٤-٤٧، المحصول ٥١/٦-٦٢، المحلى ٧٠/١، الإحكام لابن حزم ٦٨/٥-٨١، إرشاد الفحول ٤٣٦/١.

- قال الله عز وجل: {اتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ} (لأعراف: ٣). فمن قال إن الناس لم يكلفوا إلا اجتهدهم فقد أخطأ، بل ما كلفوا إلا إصابة ما أمر الله به.

ب. من السنة.

- قوله صلى الله عليه وسلم لعلي رضي الله عنه: ((وإذا حاصرت حصنا فأرادوك أن تجعل لهم ذمة الله وذمة نبيه، فلا تجعل لهم ذمة الله وذمة نبيه، فإنكم إن تخفروا، فلا تنزلوهم، فإنك لا تدري أتصيب حكم الله فيهم أم لا))^(١).

- نص النبي صلى الله عليه وسلم على تخطئة جماعة من الصحابة رضي الله عنهم من المجتهدين، كتخطئته عليه السلام عمر في قوله في هجرة المهاجرين إلى الحبشة، وأسيد بن الحضير في قوله بطل جهاد ابن الأكوع^٢، وسائر الفتاوى التي أخطئوا فيها كأبي السنابل^(٣) في وضعه على الحامل المتوفى عنها زوجها آخر الأجلين^(٤) ومثل هذا كثير^(٥).

- عن عبد الله بن عمرو عن النبي صلى الله عليه وسلم: ((إذا حكم الحاكم فاجتهد ثم أصاب، فله أجران، وإذا حكم فاجتهد ثم أخطأ، فله أجر))^(٦).

وهو نص على أن في المجتهدين والحكامين مخطئا ومصيبا.

ج. الإجماع:

(١) مسلم (١٧٣١) الترمذي (١٦١٧)، من حديث بريدة.

(٢) الصحابي الجليل، سلمة بن عمرو بن الأكوع الأسلمي أبو مسلم وأبو إياس، كان يسبق الخيل عدوا شهد بيعة الرضوان تحت الشجرة، وغزا مع النبي صلى الله عليه وسلم سبع غزوات مات رضي الله عنه سنة (٧٤) .

الاستيعاب ١٩٨/٢، أسد الغابة ٢٧١/٢، سير أعلام النبلاء ٣ / ٣٢٦، الإصابة ١٢٧/٣.

(٣) أبو السنابل بن بعلك بن المحجاج بن الحارث بن السباق بن عبد الدار القرشي البصري، واسمه عمرو وقيل حبة وقيل غيره ما، أسلم في الفتح وهو من المؤلفات قلوبهم وكان شاعرا وسكن الكوفة رضي الله عنه له حديث واحد. الاستيعاب ٢٤٦ / ٤، أسد الغابة ١٥٦/٥، الإصابة ١٦١/٧.

(٤) حديث سبيعة الأسلمية، عند النسائي (٣٥٠٨)، أبي داود (٢٣٠٦)، الترمذي (١١٩٣)، ابن ماجه (٢٠٢٧).

(٥) انظر: الإحكام في أصول الأحكام ٨١/٥.

(٦) البعاري (٦٩١٩)، ومسلم (١٧١٦)، عن عمرو بن العاص.

- قد كان الصحابة رضي الله عنهم يخطئ بعضهم بعضا ويعترض بعضهم على بعض ولو كان اجتهاد كل مجتهد حقا لم يكن للتخطئة وجه.
- أجمع الصحابة رضي الله عنهم على أن في اجتهادهم خطأ وصوابا.
- فروي عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه أنه قال في الكلالة: ((أقول فيها برأبي فإن يكن صوابا فمن الله وإن يكن خطأ فمني وأستغفر الله))^(١).
- قال ابن مسعود: ((أقول فيها برأبي، فإن يكن صوابا فمن الله، وإن يكن خطأ فمني ومن الشيطان، والله ورسوله بريان منه))^(٢).
- وقال علي: في قصة التي أرسل إليها عمر فأسقطت، لما قال له عبد الرحمن رضي الله عنه: أنت مؤدب ولا شيء عليك.
- إن كان اجتهاد فقد أخطأ وإن لم يجتهد فقد غش عليك الدية^(٣).
- ويدل عليه إجماع الأمة على وجوب النظر والاستدلال في ترتيب الأدلة، وبناء بعضها على بعض، ولو كان الجميع حقا وصوابا لم يكن للنظر والاجتهاد معنى.

د. من المعقول

- القول بأن كل مجتهد مصيب يؤدي إلى كون الشيء حلالا وحراما، وواجبا ندبا^(٤).
- يلزم على قول المصوبة توقف حكمه عز وجل على اجتهادات المجتهدين، واللازم باطل، فالملزوم مثله.

(١) الطبري ٢٨٤/٤، عن الشعبي عنه، وقريب منه بدون ذكر الكلالة أخرجه قاسم بن محمد في كتاب الحجة والرد على المقلدين وهو منقطع. قاله ابن حجر في التلخيص الحبير ١٩٥/٤.

(٢) رواه أبو داود (٢١١٦)، وأصله عند أصحاب السنن الأربع. انظر: نصب الرأية ٢٠١/٣.

(٣) رواه البيهقي في الكبرى ١٢٣/٦.

قال ابن حجر في التلخيص الحبير ٣٧/٤: هذا منقطع بين الحسن وعمر، ورواه عبد الرزاق عن معمر عن مطر الوراق عن الحسن به.

قال الشوزي بعد نقل نصوص كثيرة من هذا الباب: وهذا إجماع ظاهر على تحطئة بعضهم بعضا في مسائل الاجتهاد فدل على أن الحق من هذه الأقوال في واحد وما سواه باطل.

التبصرة ص ٥٠٠-٥٠١، مجموع الفتاوى ٢٤/٢٠.

(٤) تفسير القرطبي ٣١١/١١.

- ويلزم أن لا ينقطع ما يريد الله سبحانه فيها إلا بانقطاع المجتهدين، واللازم باطل فاللزوم مثله^(١).

- شرع الله تعالى الشرائع لتحصيل المصالح الخالصة، أو الراجحة، أو درء المفسد الخالصة، أو الراجحة، ويستحيل وجودها في التقيضين فيتحد الحكم^(٢).

- يسأل المخالف عن فقيهين رأى أحدهما إباحة دم إنسان، ورأى الآخر تحريمه. ورأى أحدهما تارك الصلاة كافرا، ولم يره الآخر كافرا.

فإن أطلقوا أن كل ذلك حق عند الله عز وجل جعلوا إنسانا واحدا كافرا في جهنم مخلدا أبد الأبد، مؤمنا في الجنة مخلدا أبد الأبد، وهذا غاية التناقض^(٣).

الترجيح:

قال شيخ الإسلام: وفصل الخطاب أنه إن أريد بالمصيب المطيع لله ورسوله فكل مجتهد أتقى الله ما استطاع فهو مطيع لله ورسوله فإن الله لا يكلف نفسا إلا وسعها وهذا عاجز عن معرفة الحق في نفس الأمر فسقط عنه.

وإن عني بالمصيب العالم بحكم الله في نفس الأمر فالمصيب ليس إلا واحدا، فإن الحق في نفس الأمر واحد.^(٤)

قال الشوكاني: وما أشنع ما قاله هؤلاء الجاعلون لحكم الله عز وجل متعددا بتعداد المجتهدين، تابعا لما يصدر عنهم من الاجتهادات.

فإن هذه المقالة مع كونها مخالفة للأدب مع الله عز وجل، ومع شريعته المطهرة، هي أيضا صادرة عن محض الرأي الذي لم يشهد له دليل، ولا عضدته شبهة تقبلها العقول.

(١) فتح القدير ٤١٨/٣.

(٢) الذخيرة ١٤٦/١.

(٣) قلت: ويلزم أن يكون القائل "إن كل مجتهد مصيب" مصيبا، والقائل: "الحق مع واحد من المجتهدين" مصيب أيضا، وهذا من أعظم التناقض. بل قول المصوبة يكون ناقضا لنفسه بهذا، والله أعلم.

(٤) منهاج السنة النبوية ٢٧/٦-٢٨.

وهي أيضا مخالفة لإجماع الأمة سلفها وخلفها، فإن الصحابة ومن بعدهم في كل عصر من العصور ما زالوا يخطئون من خالف في اجتهاده ما هو انقض مما تمسك به، ومن شك في ذلك وأنكره فهو لا يدري بما في بطون الدفاتر^(١).

تنمة:

١. القطع بخطأ المخالف.

اختلف في هذا على ثلاثة أقوال:

١. لا يُقطع بخطأ المخالف في مسائل الاجتهاد.

٢. يُقطع بخطئه.

٣. التفريق بين ما إذا كان في المسألة حديث صحيح لا معارض له، كان من أخذ بحديث ضعيف أو قول بعض الصحابة مخطئا.

وإذا كان فيها حديثان صحيحان نظر في الراجح فأخذ به، ولا يقول لمن أخذ بالآخر إنه مخطئ.

وإذا لم يكن فيها نص اجتهد فيها برأيه، قال: ولا أدري أصبت الحق أم أخطأته.

وهذا قول أحمد، قال ابن تيمية: وهو الصواب^(٢).

٢. هل على الحق المعين دليل قطعي أم ظني:

١. عليه دليل ظني، ومخالفه معذور، وقضاؤه لا ينقض.

قال به مالك، وجماعة من الشافعية، ونسب إلى الشافعي وأبي حنيفة رضي الله عنهما، واختاره جماعة منهم: الرازي^(٣).

٢. قطعي. وقال بشر الميرسي^١: إن أخطأه استحق العقاب. وقال الأصم: ينقض حكمه.

(١) إرشاد الفحول ٤٣٨/١.

(٢) مجموع الفتاوى ٢٠/٢٥٠.

(٣) المحصول ٤٩/٦-٥١.

٣. ليس عليه واحد منهما. وهو قول جماعة من الفقهاء والمتكلمين، وهو عندهم كدفين يعثر عليه بالاتفاق^(١).

* والراجح من هذا أن بعضه عليه دليل قطعي، وهو الأكثر، وإن كان القطع لا يحصل لكل أحد، وسائرهم عليه دليل ظني، والله تعالى أعلم.

(١) بشر بن غياث بن أبي كريمة، أبو عبد الرحمن المريسي، البغدادي، له آراء شاذة في العقيدة والفقه، والأصول، وإليه تنسب طائفة المريسية، قال فيه الشافعي بعد ما ناظره "بشر لا يفلح" وتوفي سنة (٢١٨هـ). وفيات الأعيان ١/٢٥١، ميزان الاعتدال ١/٣٢٢، الأعلام ٢/٤١.

(٢) الذخيرة: ١/١٤٥-١٤٦، الاجتهاد للحويني ص ٢٨، التمهيد للإسنوي ص ٥٣٢-٥٣٣، المعتمد ٢/٢٧٢-٢٧٣.

الفصل الثاني: في التقليد

رأي القاضي عياض:

قال رحمه الله: ((ثم إن الواصل إلى هذا الطريق وهو طريق الاجتهاد والحكم به في الشرع قليل، وأقل من القليل بعد الصدر الأول، والسلف الصالح، والقرون المحمودة الثلاثة. * وإذا كان هذا فلا بد لمن لم يبلغ هذه المنزلة من المكلفين، أن يتلقى ما تعبد به وكلف به من وظائف شريعته ممن ينقله له، ويعرفه به ويثبت عليه في نقله وعلمه وحكمه وهو التقليد.

ودرجة عوام الناس بل أكبرهم هذا وإذا كان هذا فالواجب تقليد العالم الموثوق بذلك فإذا كثر العلماء فالأعلم وهذا حظ المقلد من الاجتهاد لدينه ولا يترك المقلد الأعلم يعدل إلى غيره وإن كان يشتغل بالعلم فيسأل حيثنذ عما لا يعلم حتى يعلم قال الله تعالى: {فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ} (الأنبياء: ٧، النحل: ٤٣). وأمر النبي صلى الله عليه وسلم بالاعتداء بالخلفاء بعده وأصحابه، وقد بعث النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه في الناس ليفقهوهم في الدين، ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم وإذا كان هذا الأمر لازماً لا بد منه. - فكان أولى من قلده العامي الجاهل المبتدئ المتعبد والطالب المسترشد والمتفقه في دين الله تعالى وأحق بذلك فقهاء أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم))^(١).

* تعريف التقليد^(٢):

أ. لغة: وضع الشيء في العنق محيطاً به^(٣). قال الشاعر:

قَلْدُوهَا تَمَائِماً خَوْفَ وَاشٍ وَحَاسِدٍ

ثم استعمل في: تفويض الأمر إلى الشخص استعارة، كأنه ربط الأمر بعنقه^(٤).

(١) ترتيب المدارك، باب ترجيح ملهب مالك والحنيفة في وجوب تقليده وتقديمه على غيره من الأئمة ٢٩/١.

(٢) الاجتهاد للحويني ص ٩٥. □

(٣) انظر: معجم مقاييس اللغة ١٩/٥، المصباح المنير، القاموس المحيط مادة (قلد)، شرح الكوكب المنير ٥٢٩/٤.

قال لقيط الإيادي:

وقلدوا أمركم الله دركم ربح الذراع بأمر الحرب مضطلعا
ب. اصطلاحاً^(٢).

اختلف الأصوليون في حقيقة التقليد على أقوال، أشهرها:

١- قبول قول القائل، ولا يدري من أين يقول ما يقول.

قال الجويني: وهذا القول غير مرضي عندنا فإن التقليد ينبئ عن الاتباع المتعري عن أصل الحجة، فإذا لم يكن في تحديد التقليد ما ينبئ عن ذلك لم يكن الحد مرضياً أصلاً، وهذا القائل يقول إذا جوزنا للرسول صلى الله عليه وسلم الاجتهاد فقبول قوله تقليد له من حيث إن القائل لا يدري من أين قاله الرسول صلى الله عليه وسلم^(٣).

٢- اتباع من لم يقم باتباعه حجة، ولم يستند إلى علم.

هذا اختيار الجويني، وقال: يندرج تحت هذا الحد الأفعال والأقوال، وقد خصص معظم المحققين كلامهم بالقول، ولا معنى للاختصاص به، فإن الإلتزام في الأفعال المبنية كالإلتزام في الأقوال.

٣- واختار ابن الصلاح^٤ والنووي: التقليد: قبول قول من يجوز عليه الإصرار على الخطأ بغير حجة على عين ما قبل قوله فيه^(٥).

(١) روضة الناظر ص ٣٨٢.

(٢) روضة الناظر ص ٣٨٢.

(٣) الاجتهاد للجويني ص ٩٥.

(٤) عثمان بن عبد الرحمن، عثمان، تقي الدين أبوعمر، الكردي الشهرزوري المعروف بابن الصلاح، مفسر، فقيه، أصولي، محدث، مشارك في العلوم، ورحل في طلب العلم إلى بغداد وغيرها، من مؤلفاته: مشكل الوسيط، وعلوم الحديث، وأدب المفتي والمستفتي، ونكت على المهذب، وغيرها، مولده في عام (٥٧٧هـ) وتوفي سنة (٦٤٣هـ). طبقات الشافعية لابن قاضي شعبة ٢/٤٤٤، وسر أعلام النبلاء ٢٢/١٤٨، وفيات الأعيان ٢/٤٠٨.

(٥) وهو المختار. أدب المفتي والمستفتي ص ١٥٧ لابن الصلاح [مكتبة العلوم والحكم، الطبعة الأولى، العلوم والحكم، سنة: ١٤٠٧هـ، ت: موفق عبد القادر]، آداب الفتوى ص ٧١. [للنووي، الطبعة الأولى، دار الفكر، سنة: ١٤٠٨هـ، ت: بسام الجبالي]

- قبول قول من ليس قوله بحجة من غير معرفة دليله^(١).

قال شيخ الإسلام: فليس المصير إلى الإجماع تقليداً، لأن الإجماع دليل، وكذلك يقبل قول الرسول صلى الله عليه وسلم، ولا يقال له تقليد، بخلاف فتوى الفقيه^(٢). وقال الشوكاني: فيخرج العمل بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم^(٣) والعمل بالإجماع ورجوع العامي إلى المفتي ورجوع القاضي إلى شهادة العدول فإنها قد قامت الحجة في ذلك^(٤).

* والمقلد: كل من لم يبلغ درجة المفتي، فهو فيما يسأل عنه من الأحكام الشرعية مقلد^(٥).
* حكم التقليد:

أ. التقليد في الأصول^(٦)

وهذه المسألة هي المعرفة عند المتكلمين بوجوب النظر^(٧).

- يحرم التقليد في الأصول: والنظر هو أول واجب على المكلف.

نسب لأكثر أهل العلم^(٨). بل قال أبو الحسين ابن القطان^(٩): لا نعلم خلافاً في امتناع التقليد في التوحيد، وحكاة ابن السمعاني عن جميع المتكلمين، وطائفة من الفقهاء. وقال إمام الحرمين في الشامل: لم يقل بالتقليد في الأصول إلا الحنابلة.

(١) تيسر التحرير ٢٤٠/٤، تشنيف المسامع ٦٠٠/٤، روضة الناظر ص ٣٨٢، للسودة ٨٥٠/٢.

(٢) للسودة ص ٤١١.

(٣) قال الروياني في البحر: أطلق الشافعي على جعل القبول من النبي صلى الله عليه وسلم تقليداً ولم يرد حقيقة

التقليد، وإنما أراد القبول من غير السؤال عن وجهه. انظر: إرشاد الفحول ص ٤٤٣.

(٤) إرشاد الفحول ص ٤٤٢.

(٥) للمصدر السابق.

(٦) الاجتهاد ص ٩٨.

(٧) انظر: در تعارض العقل والنقل ٤٥/٩.

(٨) كما في للسودة ٨٤٥/٢، شرح الكوكب المنير ٥٣٣/٤.

(٩) أبو عبد الله الحسين بن محمد المعروف بابن القطان، وبصاحب المطارحات، هو من كبار أصحابنا، أصحاب الوجوه والتخريج، ولم أطلع على تاريخ وفاته والمطارحات: تصنيف لطيف وضع للإمتحان، ولهذا لقب بالمطارحات، وهو قليل الوجود. طبقات الشيرازي.

وقال الاسفرائيني: لا يخالف فيه إلا أهل الظاهر^(١).

وبه قال أبو يعلى وابن عقيل وأبو الخطاب، والحلواني من الحنابلة^(٢).

* فلو اعتقد من غير معرفة بالدليل، فقال جمهورهم إنه مؤمن من أهل الشفاعة، وإن فسق بترك الاستدلال، وبه قال أئمة الحديث.

وقال الأشعري^(٣)، وجمهور المعتزلة: لا يكون مؤمناً حتى يخرج فيها عن جملة المقلدين^(٤).

— لا يحرم التقليد في الأصول: بل الواجب الإيمان الجازم.

قال شيخ الإسلام عن القول الأول: ومعلوم أن الأئمة الأربعة ما قالوا لا هذا القول، ولا هذا القول، وإنما قال ذلكم من أتباعهم من سلك السبل المتقدمة، والنبي صلى الله عليه وسلم لم يد أحدًا من الخلق إلى النظر ابتداءً ولا إلى مجرد إثبات الصانع، بل أول ما دعاهم إليهم الشهادتان، وبذلك أمر أصحابه. كما قال في الحديث المتفق على صحته لمعاذ بن جبل لما بعثه إلى اليمن ((إنك تدعوا قوماً أهل كتاب فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله))

وهذا مما اتفق عليه أئمة الدين، وعلماء المسلمين، فإنهم يجمعون على ما عُلِمَ بالاضطرار من دين الرسول، أن كل كافر فإنه يدعى إلى الشهادتين.... ولهذا قال غير واحد ممن تكلم في أول الواجبات، كالشيخ عبد القادر وغيره: أول واجب على الداخل في ديننا هو الشهادتان...^(٥)

(١) إرشاد الفحول ص ٤٤٤.

(٢) للسودة ٨٤٤/٢.

(٣) قال أبو جعفر السمانى: هذه المسألة بقيت بقاءً في المنع من الاعتزال. انظر: الدرر ٤٦١/٧.

وقد أنكر القشوري والشيخ أبو محمد الجويني وغيره ما من المحققين صحة هذه الرواية المتقدمة عن أبي حسن الأشعري. إرشاد الفحول ص ٤٤٤.

(٤) إرشاد الفحول ص ٤٤٤، وانظر: درر التعارض ٤٤١/٧.

(٥) الدرر ٦/٨-٧. وانظر ما بعده فإنه مهم. من ذلك قوله - رحمه الله - ص ٢١: ولهذا كانت الرسل صلوات الله عليهم وسلامه يأمرهم بالغايات المطلوبة من الإيمان بالله ورسوله وتقواه، ويذكرون من طرق ذلك وأسبابه ما

قال الحكمي: أول واجب على العبيد معرفة الإله بالتوحيد^(١)

قال الشوكاني: فيا لله العجب من هذه المقالة - وجوب النظر - التي تقشعر لها الجلود وترجف عند سماعها الأفعدة فإنها جناية على جمهور هذه الأمة المرحومة، وتكليف لهم بما ليس في وسعهم ولا يطيقونه، وقد كفى الصحابة الذين لم يبلغوا درجة الاجتهاد ولا قاربوها الإيمان الجملي، ولم يكلفهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بين أظهرهم بمعرفة ذلك، ولا أخرجهم عن الإيمان بتقصيرهم عن البلوغ إلى العلم بذلك بأدلتهم.

....ومن أمعن النظر في أحوال العوام وجد اعتقادها صحيحا فان كثيرا منهم تجد الإيمان في صدره كالجبال الرواسي، ونجد بعض المتعلقين بعلم الكلام المشتغلين به الخائضين في معقولاته التي يتخبط فيها أهلها لا يزال ينقص إيمانه، وتتقضى منه عروة عروة، فإن أدركه الألفاظ الربانية نجا وإلا هلك، ولهذا تمنى كثير من الخائضين في هذه العلوم المتبحرين في أنواعها في آخر أمره أن يكون على دين العجائز ولهم في ذلك من الكلمات المنظومة والمنثورة ما لا يخفى على من له اطلاع على أخبار الناس.

ب. التقليد في الفروع

قال ابن قدامة: وأما التقليد في الفروع فهو جائز إجماعا فكانت الحجة فيه الإجماع ولأن المجتهد في الفروع إما مصيب وإما مخطئ مئثاب غير مأثوم بخلاف ما ذكرناه فلهذا جاز التقليد فيها بل وجب على العامي ذلك.

ولأن الإجماع منعقد على تكليف العامي الأحكام وتكليفه رتبة الاجتهاد يؤدي إلى انقطاع الحرث والنسل وتعطيل الحرف والصنائع فيؤدي إلى خراب الدنيا

هو أقوى وأنفع، وأما أهل البدع المعالفون لهم فبالعكس، يأمرون بالبدايات والأوائل ويذكرون من ذلك ما هو أضعف وأضر.

(١) ومن النكت التي تذكر عن الشناقطة، قولهم: أول واجب على من كلنا أن يعرف الله ويعرف (قفا)

أي: يعرف الله ويعده يعرف معلقة امرؤ القيس التي مطلعها:

قفا نبكي من ذكرى حبيب ومنزل.....

ثم ماذا يصنع العامي إذا نزلت به حادثة إن لم يثبت لها حكم إلى أن يبلغ رتبة الاجتهاد
فإلى متى يصير مجتهدا ولعله لا يبلغ ذلك أبدا فتضيع الأحكام فلم يبق إلا سؤال العلماء
وقد أمر الله تعالى بسؤال العلماء في قوله تعالى فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا
تعلمون^(١).

- وخالف في ذلك بعض القدرية والظاهرية^(٢).

قال الشوكاني: وادعى ابن حزم الإجماع على النهي عن التقليد^(٣).

قال ابن قدامة: وذهب بعض القدرية إلى أن العامة يلزمهم النظر في الدليل في الفروع أيضا
وهو باطل بإجماع الصحابة، فإنهم كانوا يفتون العامة ولا يأمرؤهم بنيل درجة الاجتهاد،
وذلك معلوم بالضرورة والتواتر من علمائهم وعوامهم^(٤).

(١) روضة الناظر ص ٣٨٣. وانظر: المسودة ٨٤٦/٢، شرح الكوكب المنير ٥٣٩/٤.

(٢) الإحكام لابن حزم ١٧٢/٦-١٧٣.

(٣) إرشاد الفحول ص ٤٤٦.

(٤) روضة الناظر ص ٣٨٣.

الفصل الثالث: في الفتوى.

مسألة : جواز استفتاء غير النبي صلى الله عليه وسلم في عهده صلى الله عليه وسلم
قال القاضي عياض: ((وقوله: (فسألت أهل العلم) ولم ينكر عليه، فيه جواز الاستفتاء لمن
كان مع النبي صلى الله عليه وسلم في مصر واحد، وإن كان يجوز على غير النبي صلى الله
عليه وسلم من الخطأ والحيث عن الحق مالا يجوز عليه، وهذا كالاقتصار على الظن مع
القدرة على اليقين. وقد يتعلق به من أهل الأصول من يجوز استفتاء الفقيه، وإن كان هناك
أفقه منه))^(١).

* هذه المسألة لم أجد من بحثها من الأصوليين، لكن ذكرها شراح الحديث
قال النووي: قوله: (فسألت أهل العلم): فيه جواز استفتاء غير النبي صلى الله عليه وسلم
في زمنه لأنه صلى الله عليه وسلم لم ينكر ذلك عليه وفيه جواز استفتاء المفضل مع
وجود أفضل منه^(٢).

قال ابن حجر: وفيه جواز استفتاء المفضل مع وجود الفاضل، والرد على من منع التابعي
أن يفتي مع وجود الصحابي مثلاً وفيه جواز الاكتفاء في الحكم بالأمر الناشئ عن الظن مع
القدرة على اليقين^(٣).

ولعل سبب عدم ذكر الأصوليين لها يرجع إلى أمور ثلاث:

١. اندراجها أو مماثلها لمسألة: جواز الاجتهاد في زمن النبي صلى الله عليه وسلم، وقد
سبق بحث هذه المسألة.

٢. استفتاء المفضل مع وجود الفاضل.

والجمهور على جوازه، قال في المراقي:

(١) إكمال المعلم، الحنود، باب من اعترف على نفسه بالزنا ٥/٥٢٥.

(٢) شرح النووي مسلم ١١/٢٠٦.

(٣) فتح الباري ١٢/١٤١.

وجائز تقليد ذي اجتهاد وهو مفضل، بلا استبعاد

قال ابن القيم: والحق التفصيل بأن المفضل إن ترجح بديانة أو ورع أو تحر للصواب وعُدِم ذلك الفاضل فاستغناء المفضل جائز إن لم يتعين وإن استويا فاستغناء الأعلَم أولى والله أعلم^(١).

٣. أن هذه المسألة لا تنبني عليها فروع فقهية.

* ومرجع هذه المسائل: إلى الرجوع إلى غالب الظن مع القدرة على اليقين^(٢).

(١) إعلام الموقعين ٤/٢٥٥.

وانظر: شرح تنقيح الفصول ٤٣٢، مختصر ابن الحاجب ٣٠٩/٢، فواتح الرحموت ٤٠٤/٢، التمهيد ١٦٣، مختصر أصول الفقه ١٦٧، شرح الكوكب المنير ٥٧١/٤.

(٢) انظر: المسودة ٩١٩/٢.

الباب الرابع: آراؤه في مباحث التعارض والترجيح.
وفيه فصلان:

الفصل الأول: في التعارض.
وفيه مبحثان:

المبحث الأول: هل يقدم خبر الواحد على القياس عند التعارض ؟
المبحث الثاني: البيان بالفعل أقوى منه بالقول.
الفصل الثاني: في الترجيح.

المبحث الأول: ترجيح رواية صاحب الخبر إذا عارضه غيره،
وترجيح ما رواه النساء مما يختص بمن إذا خالفهن فيه الرجال والعكس.
المبحث الثاني: الترجيح بكثرة الرواة.
المبحث الثالث: الترجيح بعمل أهل المدينة ومكة إذا خالفهم غيرهم.

الفصل الأول: في التعارض.

المبحث الأول: هل يقدم خبر الواحد على القياس عند التعارض؟

رأي القاضي عياض في المسألة :

يرى القاضي عياض تقلّم خبر الواحد على القياس حيث قال رحمه الله معقّباً على الإمام المازري في حديث تقلّم علي رضي الله عنه المقداد لسؤال النبي صلى الله عليه وسلم عن حكم المذي نيابة عنه، وأن فيه الاكتفاء بخبر الواحد مع القدرة على القطع، وهل يكون هذا كالاجتهاد مع القدرة على النص.

قال عياض رحمه الله: ((قد تفرق عندي هذه المسألة من مسألة الاجتهاد مع وجود النص، فإن الاجتهاد مع القدرة على النص خطأ محض حتى لو كان النص خبر واحد لكان الاجتهاد معه خطأ.

إلا إذا خالف الخبر الأصول، وعارض القياس فيبين الأصوليين والفقهاء فيه اختلاف. والأصح تقلّم خبر الواحد بدليل عادة الصحابة لامتناع قبوله، والمبادرة للعمل به، وقطع التشاجر ومنازعات الاجتهاد عند حصوله))^(١).

- وقال رحمه الله: ((ثم أخبر الآحاد يجب العمل بما والرجوع عند عدم الكتاب والتواتر لها وهي مقدمة على القياس، لإجماع الصحابة على الفعلين وتركهم نظر أنفسهم متى بلغهم خبر ثقة عن النبي وامتناعهم مقتضاه دون خلاف منهم في ذلك))^(٢).

* وما ذهب إليه القاضي عياض من تقلّم خبر الواحد على القياس هو مذهب الجمهور

(١) إكمال المعلم، المحيض، باب المذي ١٣٧/٢.

(٢) ترتيب المدارك، فصل في ترجيحه -مالك- من طريق الاعتبار والنظر، ٣٩/١.

وانظر: إكمال المعلم، البيوع، باب حكم بيع المصرة، ١٤٥/٥، والبيوع، باب تحريم بيع الرطب بالتمر إلا في العراق ١٧٨/٥.

من الفقهاء وأئمة الحديث^(١).

وقال به الإمام الشافعي، وأحمد، وأبو حنيفة^(٢) وصاحبا، وجل أصحابه، وهو مشهور مذهب مالك كما قال القاضي عياض^(٣).

الأقوال الأخرى في المسألة:

١- تقلص القياس.

ونسب للإمام مالك. قال القرافي : ((وهو مقدم على خير الواحد عند مالك رحمه الله))^(٤).

٢- إن كان الراوي ضابطاً عالمياً غير متساهل فيما يرويه قدم خبره على القياس، وإلا فهو موضع اجتهد.

قال به عيسى بن أبان^(٥).

٣- إذا كان الراوي من المجتهدين كالخلفاء الراشدين قدم خبره على القياس. ذهب إليه، فخر الإسلام البزدوي وهو قريب من السابق^(٦).

(١) انظر مختصر ابن الحاجب مع المضد ١٥٨، نثر الورود ٤٤٣/٢، المذكرة ١٤٦، كشف الأسرار ٦٩٨/٢، تيسير التحرير ١١٦/٣، فواتح الرحموت ٢٢٧/٢، اللمع ٢١٥، المحصول ٤٣٢/٤، الإحكام ١٣٠/٢، الوصول ٢٠٢/٢، الإجماع ٣٢٦/٢، نهاية السؤل ٣٥٤/٢، العدة ٨٨ / ٢، التمهيد ٩٤/٣، الروضة ٢١٧/١، شرح مختصر الروضة ٢٣٧/٢، شرح الكوكب المنير ٥٦٣/٢، المعتمد ١٦٢/٢، إرشاد الفحول ٨٦.

(٢) قال عبد العزيز البعاري (و لم ينقل هذا القول عن أصحابنا بل المنقول عنهم أن خير الواحد مقدم على القياس و لم ينقل التفصيل) أي التفصيل بين رواية الفقيه وغيره . كشف الأسرار ٧٠٨/٢

(٣) قال الشيخ الشنقيطي: (قلت التحقيق خلاف ما ذهب إليه المؤلف القرافي والرواية الصحيحة عن مالك رواية للمدنيين أن خير الواحد مقدم على القياس، وقال القاضي عياض مشهور مذهب أن الخير مقدم قاله المقرئ وهو رواية للمدنيين ، ومسائل مذهبه تدل على ذلك كمسألة المصراة ، ومسألة النضح ، ومسألة غسل اليدين لمن أحدث في أثناء الوضوء ...) نثر الورود ٤٤٣/٢، المذكرة ١٤٦، وأحال على الأضواء لبيانها. كذلك نفاه عن مالك بن السمعاني في القواطع انظر كشف الأسرار ٦٩٨/٢.

(٤) شرح تنقيح الفصول ٣٠١، وانظر القول في المصادر السابقة القول الأول.

(٥) كشف الأسرار ٦٩٨/٢، تيسير التحرير ١١٧/٣، فواتح الرحموت ٢٢٧/٢، المحصول ٤٣٢/٤، الإحكام ١٣٠/٢، الإجماع ٣٢٦/٢، المعتمد ١٦٣/٢ .

٤- إن كانت العلة بنص قطعي فالقياس كالنص على حكمها، وإن كان الأصل مقطوعاً به فقط فالاجتهاد وال ترجيح.

اختاره أبو الحسين البصري، وابن السبكي^(٢).

٥- الوقف.

وهو مذهب الباقلاني، لتعارض الأدلة^(٣).

٦- إن ثبتت العلة بنص راجح على الخير وهي قطعية في الفرع، فالقياس أو ظنية فالوقف، وإلا فالخير

اختاره الآمدي وابن الحاجب وابن الممام^(٤).

٧- إن كان مخالفاً لقياس الأصول لم يقبل

نقل عن أبي حنيفة وأصحابه^(٥).

أدلة الجمهور^(٦):

(١) أصول السرخسي ٣٣٨/١، نهاية الوصول ٣٨٥/١، كشف الأسرار ٦٩٨/٢، تيسر التحرير ١١٧/٣، فواتح الرحموت ٢٢٧/٢.

(٢) المعتمد ١٦٣/٢، والإمام ٣٢٦/٢، ونهاية الوصول ٣٨٦/١، شرح الكوكب المنير ٣٢٦/٢، العضد مع ابن الحاجب ١٥٨.

(٣) نهاية الوصول ٣٨٧/١، فواتح الرحموت ٢٢٨/٢، المحصول ٤٣٣/٤، الإمام ٣٢٦/٢، نهاية السؤل ٣٥٥/٢، شرح الكوكب المنير ٥٦٨/٢.

(٤) الإحكام ١٣١/٢، مختصر ابن الحاجب مع العقد ١٥٨، نهاية الوصول ٣٨٧/١، تيسر التحرير ١١٦/٣، شرح مختصر الروضة ٢٤٣/٢، شرح الكوكب المنير ٥٦٨/٢.

(٥) المذكرة ١٤٦، التبصرة ١٨٥، اللمع ٢١٥، العدة ٨٨/٢، التمهيد ١٠١/٣، الروضة ٢١٨/١، شرح الكوكب المنير ٥٦٥/٢.

(٦) انظر أدلة الجمهور في: نهاية الوصول ٣٨٧/١، كشف الأسرار ٧٠٠/٢، تيسر التحرير ١١٧/٣، فواتح الرحموت ٢٢٨/٢، التبصرة ١٨٥، المحصول ٤٤٣/٤، الإحكام ١٣١/٢، الوصول ٢٠٣/٢، العدة ٨٨/٢، التمهيد ٩٤/٣، الروضة ٢١٧/١، شرح مختصر الروضة ٢٣٧/٢، شرح كوكب المنير ٥٦٤/٢، المعتمد ١٦٣/٢ إرشاد الفحول ٨٦.

١- خير معاذ لما بعثه النبي صلى الله عليه وسلم إلى اليمن، ثم قال : بم تحكم؟ قال: بكتاب الله ، قال: فإن لم تجد؟ قال بسنة رسول الله ، قال: فإن لم تجد؟ قال: أجتهد رأيي ولا آلو فقال صلى الله عليه وسلم: ((الحمد لله الذي وفق رسول رسول صلى الله عليه وسلم لما يرضاه رسول الله))^(١). وجه الدلالة: حيث رتب العمل بالقياس على السنة فدل على أن السنة مقدمة^(٢).

٢- إجماع الصحابة فإنهم كانوا يتركون أحكامهم بالقياس إذا سمعوا خير الواحد.

- ورد عن عمر رضي الله عنه ترك القياس في دية الجنين لحديث حمل بن مالك بن النابغة وقال: ((لولا هذا لقضينا بغيره))^(٣).

- وروي أنه كان يقسم ديات الأصابع على قدر منافعها، فلما روي له عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: ((في كل إصبع مما هناك عشر من الإبل))^(٤) رجع إلى الخير، وترك القياس، وهذا بمشهد من الصحابة رضي الله عنهم ، ولم ينكره منكر، فثبت أنه إجماع.

- وأيضاً فإنه ترك اجتهاده في منع ميراث المرأة من دية زوجها بخير الواحد .

و قال: ((أعيتهم الأحاديث أن يحفظوها، فقالوا بالرأي فضلوها وأضلوا)). وكان ذلك مشهوراً فيما بين الصحابة ولم ينكر عليه منكر، فصار إجماعاً^(٥) .

- وترك ابن عمر رضي الله عنهما رأيه في المزارعة بالحديث الذي سمعه من رافع بن خديج^(٦).

٣- من المعقول:

قالوا: القياس يدل على قصد صاحب الشرع من طريق الظن، والخير يدل على قصده من الصريح، فكان الرجوع إلى الصريح أولى^(٧).

(١) سبق تخريجه.

(٢) التبصرة ١٨٥، التمهيد ٩٤/٣.

(٣) رواه أبو داود (٤٥٧٢)، والنسائي (٤٧٣٩)، وابن ماجه (٢٦٤١)، والدارقطني في سننه ١١٧/٣.

وأصل الحديث عند مسلم (١٦٨١)، من غير قصة عمر. انظر: نصب الرأية ٣٣٣/٤.

(٤) رواه أبو داود (٤٥٦٤) من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده.

(٥) الإحكام ١٣٣/٢.

(٦) كشف الأسرار ٧٠٠/٢.

٤- ولأن الحديث من كلام المعصوم والقياس استنباط وكلام المعصوم أولى من الاستنباط لأنه أبلغ^(١).

الراجع في المسألة:

يترجح لدي ما اختاره الشوكاني رحمه الله في المسألة وهو مذهب الجمهور من تقلد الخبر على القياس قال رحمه الله : ((والحق تقلد الخبر الخارج من مخرج صحيح أو حسن على القياس مطلقاً إذا لم يمكن الجمع بينهما بوجه الوجوه كحديث المصراة، وحديث العرايا، فإنهما مقدمان على القياس.

وقد كان الصحابة و التابعون إذا جاءهم الخبر لم يلتفتوا إلى القياس، ولم ينظروا فيه، وما روي عن بعضهم من تقلد القياس في بعض المواطن فبعضه غير صحيح، وبعضه محمول على أنه لم يثبت الخبر عند من قدم القياس بوجه الوجوه))^(٢).

* * *

(١) التبصرة ١٨٥.

(٢) المذكرة ١٤٦.

(٣) إرشاد الفحول ٨٦.

المبحث الثاني: البيان بالفعل أقوى منه بالقول.

رأي القاضي عياض في المسألة

يرى القاضي أن البيان بالفعل أقوى من القول، وهذا ما ذكره في أكثر من موضع، وإليك بعض كلامه.

- قال رحمه الله: ((وقول النبي صلى الله عليه وسلم (صل معنا هذين الوقتين) وأنه رأى أن البيان بالفعل أبلغ وأشمل له ولغيره ممن يصلي معه من المسلمين، إذ القول لا يبلغ مبلغ الفعل، وإذا القول يسمعه البعض، والفعل يعلمه كل من صلى مع النبي صلى الله عليه وسلم)).^(١)

- وقال في كتاب العتق في قصة عائشة رضي الله عنها مع موالي بريرة واشتراطهم الولاء، وأمر عائشة باشتراطه لهم.

قال في فوائد الحديث: ((وفيه أن البيان بالفعل أقوى منه بالقول، ولهذا أمر عليه السلام عائشة باشتراط الولاء لهم، ليبين ذلك القول والتوبيخ على رأي بعضهم))^(٢).

- وقال في قول النبي صلى الله عليه وسلم (إنما أنا بشر) تكلم على حالة البشرية للنبي صلى الله عليه وسلم وسبب حكمه بالظاهر والإقتداء بأفعاله.

ثم قال: ((إذا البيان بالفعل أجلا فيه من القول وأرفع لاحتمال اللفظ))^(٣)

- وقال في الشفا في فصل أحكام البشر الجارية على يديه، وتكلم على الحديث السابق، وأمر بالإقتداء به في أفعاله: ((إذا البيان بالفعل أوقع منه بالقول وأرفع، لاحتمال اللفظ، وتأويل المتأول، وكان حكمه على الظاهر أجلى في البيان وأوضح في وجوه الأحكام، وأكثر فائدة لموجبات التشاجر))^(٤)

(١) إكمال المعلم، المساجد، باب أوقات الصلوات الخمس ٥٧٦/٢.

(٢) إكمال المعلم، العتق، باب إنما الولاء لمن اعتق ١١٤/٥.

(٣) إكمال المعلم، الأقضية، باب الحكم بالظاهر وللحن بالحجة ٥٦١/٥.

(٤) الشفا، فصل أحكام البشر الجارية على يديه صلى الله عليه وسلم ٥٢٠/٢.

* من هذه النصوص يتبين لنا أن القاضي يقدم البيان بالفعل على القول، وهو رأي جماعة من أهل العلم، كالطوفي وابن بدران.

قال في المدخل في فصل المبين: ((البيان بالفعل أقوى من البيان بالقول))^(١)
- هذا وفي المسألة أقوال ثلاثة^(٢):

القول الأول: القول مقدم على الفعل.
وهو مختار الأكثر لتعديده بصيغته.

القول الثاني: يقدم الفعل، لأنه أولى وأقوى في البيان ولعدم الاحتمال.
هو اختيار القاضي عياض.

القول الثالث: الوقف، لأنها سواء ولا بد من دليل آخر لترجيح أحدهما.
الدليل على تقدم بيان الفعل^(٣):

قال الطوفي: ((والدليل على أنه أقوى من القول، أن الفعل فيه المشاهدة وعيان لصورة الفعل، وذلك زيادة على ما يفيد مجرد القول، فالبيان الفعلي مدرك بالتصور الذهني، والإدراك الحسي، بخلاف القول، إذ ليس فيه إلا التصور الذهني فقط، فكان الفعلي أقوى. - ولهذا كان غالب الناس عالماً بأفعال الصلاة، لتكرر أفعالها عليهم في اليوم واللييلة خمس مرات بخلاف أفعال الحج، فإن صبيان مكة - شرفها الله تعالى - أعلم بها من كثير من فقهاء الآفاق المبرزين في العلم، لدرية أولئك الصبيان بما دونهم. - وكذلك النبي صلى الله عليه وسلم لما أراد أن يعرف أصحابه مثلاً ابن آدم، وأجله، وأمله، خط لهم خطاً مربعاً، صور لهم ذلك فيه، كما صح في السنة.

(١) المدخل ٢٧٦، شرح مختصر الروضة ٦٨٤/٢.

(٢) انظر المسألة في المحصول لابن العربي ١١١، تيسر التحرير ١٤٨/٣، فواتح الرحموت ٢٥٨/٢، اللمع ١٩٩، التبصرة ١٤٢، الإحكام ٢٦٦/٤، البحر المحيط ٢٦٠/٣، الإمجا ٢٧٤/٢، شرح مختصر الروضة ٦٨٤/٢، شرح الكوكب المنير ٤٤٤/٣، المدخل ٢٧٦، إرشاد الفحول ٢٥٨.

(٣) إضافة إلى ما سبق في كلام القاضي عياض من الأدلة.

وعط لهم مرة خطأ مستقيماً وإلى جانبه خطوط، ثم قال: "هذه سبيل، وهذه سبيل، على كل سبيل منها شيطان" ثم قرأ: {وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمٌ فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السَّبِيلَ فَتَفْزُقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ} (الأنعام: من الآية ١٥٣).

- وكذلك المهندسون وأصحاب علم الهيئة وضعوا في كتبه صور الأكر، والزوايا، وغيرها من الأشكال، لتكون أسرع إلى فهم المتعلم ((^(١)).

تنبيه:

- هذا الخلاف حسب ما ظهر لي فإنه يتعلق بالبيان بهما.

وأما عند التعارض فيرجح القول على الفعل على ما نص عليه في باب الترجيح.

- قال الشوكاني: ((قال الزركشي لا خلاف أن البيان يجوز بالقول واختلفوا في وقوعه بالفعل والجمهور على أنه يقع بياناً خلافاً لأبي إسحاق المروزي منا والكرخي من الخفية. حكاه الشيخ أبو إسحاق في التبصرة انتهى .

ولا وجه لهذا الخلاف فإن النبي بين الصلاة والحج بأفعاله، وقال صلوا كما رأيتموني أصلي، حجوا كما رأيتموني أحج^(٢)، وخذوا عني مناسككم.

ولم يكن لمن منع من ذلك متمسك لا من شرع ولا من عقل، بل من مجرد مجادلات ليست من الأدلة في شيء))^(٣).

الترجيح:

لعل الراجح ما ذهب إليه الشاطبي رحمه الله من التفصيل في المسألة.

- قال الشاطبي: ((إذا حصل البيان بالقول والفعل المطابق للقول فهو الغاية في البيان كما إذا بين الطهارة أو الصوم أو الصلاة أو الحج أو غير ذلك من العبادات أو العادات.

(١) شرح مختصر الروضة ٦٨٤/٢، شرح الكوكب المنير ٤٤٤/٣.

(٢) هذا لم يرد عن النبي صلى الله عليه وسلم.

(٣) إرشاد الفحول ٢٥٨ .

فإن حصل بأحدهما فهو بيان أيضا إلا أن كل واحد منهما على انفراد قاصر عن غاية البيان من وجه بالغ أقصى الغاية من وجه آخر.

- فالفعل بالغ من جهة بيان الكيفيات المعينة المخصوصة التي لا يبلغها البيان القولي.... بل يبعد في العادة أن يوجد قول لم يوجد لمعناه المركب نظير في الأفعال المعتادة المحسوسة بحيث إذا فعل الفعل على مقتضى ما فهم من القول كان هو المقصود من غير زيادة ولا نقصان ولا إحلال.

- و يقصر عن القول من جهة أخرى وذلك أن القول بيان للعموم والخصوص في الأحوال والأزمان والأشخاص فإن القول ذو صيغ تقتضى هذه الأمور وما كان نحوها بخلاف الفعل فإنه مقصور على فاعله وعلى زمانه وعلى حالته...^(١).

- قال ابن دقيق العيد: ((البيان بالفعل يجري مجرى البيان بالقول وإن كان البيان بالقول أقوى في الدلالة على آحاد الأفعال، إذا كان القول ناصا على كل فرد منها))^(٢).

* * *

(١) للموافقات ٣/٣١١-٣١٢.

(٢) إحكام الأحكام ١/٢٣٣.

الفصل الثاني: في الترجيح.

المبحث الأول: ترجيح رواية صاحب الخبر إذا عارضه غيره،

وترجح ما رواه النساء مما يختص بمن إذا خالفهن فيه الرجال والعكس.

المبحث الثاني: الترجيح بكثرة الرواة.

المبحث الثالث: الترجيح بعمل أهل المدينة ومكة إذا خالفهم غيرهم.

المبحث الأول: ترجيح رواية صاحب الخبر إذا عارضه غيره.

و

ترجيح ما رواه النساء مما يختص بهن إذا خالفهن فيه الرجال والعكس.

رأي القاضي عياض:

قال القاضي عياض وهو يتكلم عن حديث صوم من أصبح جنباً ومخالفة أبي هريرة رضي الله عنه لعائشة وأم سلمة رضي الله عنهما، قال: ((وقول أبي هريرة عن عائشة وأم سلمة : ((هما أعلم))، وسؤال هؤلاء لهما:

- دليل على الرجوع في كل حال لمن هو أعلم بالشيء وأقعد به.

- وأن المباشر للأمر أعلم به من المخير عنه.

- وفيه دليل على ترجيح رواية صاحب الخبر إذا عارضه حديث آخر.

- وترجيح ما رواه النساء مما يختص بهن إذا خالفهن^(١) فيه الرجال.

- وكذلك الأمر فيما يختص بالرجال على ما أحكمه الأصوليون في باب الترجيح للآثار^(٢).

* وهذا الذي رآه القاضي عياض هو ما عليه الأصوليون.

قال الزركشي رحمه الله في البحر في مرجحات السند^(٣): ((... كون الراوي صاحب القصة ، كقول ميمونة رضي الله عنها : ((تزوجني رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن حلالان)). فتقدم على رواية ابن عباس ((نكحها وهو محرم)) ...

وكون أحدهما مباشراً لما رواه، كترجيح خير أبي رافع في تزويج النبي صلى الله عليه وسلم ميمونة وهما حلالان، على خير ابن عباس، لأن أبا رافع كان السفير بينهما.

(١)

(٢) إكمال المعلم باب صحة صوم من طلع عليه الفجر هو جنب ٤/٤٩.

(٣) البحر المحيط ٤/٤٤٧.

وانظر: مختصر بن الحاجب مع المضد ٣٩٥، شرح تنقيح الفصول ٣٣١، تقريب الوصول ١٥٤، تيسير التحرير

١٦٧/٣، فوائح الرجوع ٢/٢٦٣، شرح الكوكب المنير ٤/٦٣٧، إرشاد الفحول ٤٠٨.

وحدث عائشة في صوم الجنب على أبي هريرة^(١).

ويقول الزركشي أيضاً : ((أما أحكامهن فيقدمن على غيرهن، لأن همتن وقصدن لما حفظنه أكثر، وبه جزم السهيلي في أدب الجدل...))^(١).

(١) كشف الأسرار ٢/٣٠٥، وترجيحهم لرواية ابن عباس على كعس ما عليهم الجمهور وانظر تيسير التحرير ٢/٢٥٦.

(٢) البحر المحيط ٤/٥٥٢، تيسير التحرير ٣/١٦٦، فواتح الرحموت ٢/٢٦٤.
وغالف في المسألة الجرجاني من أصحاب أبي حنيفة. الإجماع ٣/٢٢١، العدة ٢/١٦٧.

المبحث الثاني: الترجيح بكثرة الرواة.

رأي القاضي عياض:

قال القاضي عياض وهو يتكلم عن زيادة الثقة^(١): ((فأما متى جاء ما يعارضه وروت الجماعة خلافه فالرجوع إلى قول الجماعة والحفاظ أولى من باب الترجيح ، وهذا أيضاً أصل في الشهادة المتعارضة في مراعاة الأعدل على المشهور واختلف المذهب في الترجيح فيها بالكثرة^(٢))).

- وهذا القدر يدل على أن القاضي عياض يقول بالترجيح بكثرة الرواة، وهو قول الجمهور من الأصوليين، ومنهم الأئمة الثلاثة أصحاب المذاهب^(٣).

- وخالف في المسألة الإمام أبو حنيفة وأبو يوسف.

قال في فواتح الرحموت: ((لا ترجيح بكثرة الأدلة والرواة ما لم تبلغ حد الشهرة عند الإمامين أبي حنيفة وأبي يوسف خلافاً للأكثر، وهم الأئمة الثلاثة والإمام محمد^(٤))).

(١) إكمال المعلم المقدمة ١/١٠٤.

(١) إكمال المعلم المقدمة ١/١٠٤.

(٢) قال في شرح الكوكب المنير في رد قياسهم المسألة على الشهادة (ورد قياسهم على الشهادة بأن عند مالك الكثرة في الشهود تقدم ، وهو قولنا، ثم الشهادة تعبد، وحجة متفق عليها ومقدرة شرعاً بعدد ولم ترجح الصحابة فيها بمثله) ٤/٦٣٣.

(٣) انظر المسألة في مختصر ابن الحاجب مع العضد ٣٩٤، شرح تنقيح الفصول ٣٢٩، تيسر التحرير ٣/١٦٩، فواتح الرحموت ٢/٢٦٦، المحصول ٥/٤١٤، الإحكام ٤/٢٥١، الإجماع ٣/٢١٩، البحر المحيط ٤/٤٤٢، التمهيد ٣/٢٠٢، شرح مختصر الروضة ٣/٦٩١، شرح كوكب المنير ٤/٦٢٨.

(٤) فواتح الرحموت ٢/٢٦٦، وتيسر التحرير ٣/١٦٩ .

المبحث الثالث: الترجيح بعمل أهل المدينة ومكة إذا خالفهم غيرهم.

القاضي عياض يرى الترجيح بعمل أهل المدينة ومكة (الحرمين)، حيث رجح الروايات في الأمر بشفع الأذان وإيتار الإقامة. قال: ((والمعروف من حديث أبي مخزومة ، وسائر الأحاديث أفراد الإقامة كلها، وزيادة أيوب: (إلا الإقامة) فقد قيل: هي من قوله لا من الحديث، وقد اختلف على أيوب في ذلك أيضاً، فلم يذكر وهيب عنه: (إلا الإقامة) وقد رويت أيضاً في حديث عبد الله بن زيد، وإن صحت من حديثه فزيادة الواحد - وإن كان ثقة حافظاً- إذا خالف جماعة الحفاظ مردودة.

لا سيما وعمل أهل المدينة ومكة بالنقل المتواتر- الذي لا يدخله - شك خلّف عن سلفي لا يكاد يخفى عن أحد منهم خمس مرات كل يوم. بمحضر جماهيرهم، وأنها سنة بينهم، ولو غير ذلك عن حاله لنقل تغييره كما نُقل تأخير الخطبة والأذان الثاني وغير ذلك))^(١).

وأشار أيضاً للمسألة وحكاها عن أهل الأصول وهو يتكلم عن عمل أهل المدينة وترجيحه، فقال: ((... وما رجح به أهل الأصول في تعارض الأخبار بعمل أهل مكة والمدينة))^(٢).

* هذا والترجيح بعمل أهل مكة والمدينة قد اعتبره أهل الأصول من المرحلات الخارجية عند تعارض الأخبار كما حكاه عنهم القاضي عياض.

قال الزركشي في البحر ((أن يكون أحدهما يتوارثه أهل الحرمين، والآخر لم يتوارثوه، فيقدم الأول على الثاني كتقدم، رواية الترجيح في الأذان. قاله ابن برهان))^(٣).

(١) إكمال المعلم، الصلاة، باب الأمر بشفع الأذان وإيتار الإقامة ٢/٢٤٢.

(٢) ترتيب للدرك، باب المحجة بإجماع أهل المدينة فيما هو وتحقيق منذهب مالك ١/٢٨.

(٣) البحر المحيط ٤/٤٧٢، إرشاد الفحول ٤١٢.

وانظر الترجيح بعمل أهل المدينة في: مختصر ابن الحاجب مع المضد ٣٩٩، شرح تنقيح الفصول ١٣٣، تقريب الوصول ١٥٤، تيسير التحرير ٣/١٦٥، فواتح الرحموت ٢/٢٦٢، المحصول ٥/٤٢٤، إحكام ٤/٢٧٤، الإجماع ٢/٢٢٧، البحر المحيط ٤/٤٧٢، التمهيد ٣/٢٢٠، شرح مختصر الروضة ٣/٧١٠، شرح الكوكب للنير ٤/٦٩٩، إرشاد الفحول ٤١٢.

الخاتمة

* خلاصة ما في المدخل:

- مشاركة المالكية في تعقيد أصول الفقه ظاهرة ولا صحة لما يقال بأنه ليس للمالكية مشاركة، وإنما هم تبع لغيرهم، كما قال ابن رشد الحفيد وابن خلدون، فهذا الإمام مالك له رسالة في عمل أهل المدينة وجهها إلى الليث بن سعد، وقد ذكرت ما للمالكية من مؤلفات في الأصول^(١).

* خلاصة ما في الدراسة عن القاضي عياض:

- هو القاضي عياض بن موسى بن عياض اليحصبي السبتي المالكي، أبو الفضل من حفاظ المغرب، وأئمنته، ومن علماء القرن السادس الهجري، عربي الأصل، من قبيلة حمير، سبتي المولد والمنشأ.
- مذهبه الفقهي: كان عياض في الفروع مالكيًا غير متعصب، وبلغ درجة الاجتهاد في المذهب، وهو أهل للاجتهاد المطلق، ولكنه لم يدع ذلك تواضعا منه.
- أما في أصول الدين فقد وافق منهج السلف في أبواب الإيمان، ومسائل توحيد الإلهية والربوبية، ووافق الأشاعرة في تأويل بعض الصفات الخيرية والتفويض في بعض.
- رحلاته: ورحل القاضي رحمه الله تعالى كشأن طلاب العلم إلى بلاد الأندلس، ولقي الشيوخ، وسمع منهم، وأجازوه ولم تكتب له الرحلة إلى المشرق.
- شيوخه: ذكر القاضي جملة من شيوخه، وأوصلهم في كتابه الغنية إلى مائة شيخ، ومن أهم شيوخه أبو عبد الله محمد بن عيسى التميمي السبتي، وأبو علي الصدي، وأبو محمد ابن عتاب، وأبو الوليد ابن رشد وغيرهم.

(١) انظر المدخل في أصول الفقه المالكي ص ١٥ وقد عد الأصوليون من المالكية في ملحق الكتاب، وذكر أن لهم ما يربو على مائة كتاب في الأصول، وانظر كتاب محاضرات في أصول الفقه المالكي ٧٢، ومؤلفات المالكية في أصول الفقه لترحيب الدوسري (نشر في مجلة الجامعة الإسلامية ص ٣٣٧ عدد ١٢٠).

- من تلاميذه: ابنه محمد بن عياض، وأبو القاسم خلف بن عبد الملك بن بشكوال، ومحمد بن سعيد الأشبيلي، وغيرهم.
- مناصبه: تولى القضاء رحمه الله في سبتة، وغرناطة، وداي ببادية تادلا، هذا بالإضافة إلى التدريس والشورى.
- مؤلفاته: وقد ألف رحمه الله تعالى أكثر من عشرين مؤلفاً في الفقه والحديث والتاريخ وكلها قيمة نافعة لكن للأسف أغلبها في تعداد المفقود.
- وفاته: لقد توفي القاضي عياض بمراكش بعد أن اعتل خارجها، وحمل إليها ودفن باب أيلان.

نتائج آرائه الأصولية:

- تنوعت معارف القاضي عياض رحمه الله فشارك في أغلب العلوم الشرعية، وهذا مما جعله محط ثناء وتقدير من قبل العلماء.
- القاضي عياض لم يترك مؤلفاً في الأصول، لكن مؤلفاته تدل على أنه كان مؤهلاً للمشاركة في هذا العلم، وكانت مباحث الأصول وأبوابه واضحة عنده.
- آراء القاضي عياض المجموعة في هذه الرسالة حوت أغلب المباحث الأصولية، وكان أكثرها في مباحث السنة، لأن القاضي عياض محدث بارع، وله فيه مؤلفات عدة.
- تميز في آرائه الأصولية خاصة في مباحث السنة بالتنبيه على مذاهب الأصوليين والمحدثين والفقهاء في المسألة كما في مسألة خير الواحد والمرسل وزيادة الثقة.
- من خلال التبع تبين أن القاضي عياض رحمه الله متأثر بالباقلاني، وكثيراً ما يصف رأيه ومن تبعه بالتحقيق.
- القاضي عياض تقيّد بأصول مذهب الإمام مالك رحمه الله في الاستدلال، وإعجابه به واضح في مقدمة ترتيب المدارك، ودعوته إلى تقليده دون غيره.
- القاضي عياض موافق للجمهور في المسائل التي وقفت عليها من آرائه الأصولية أكثر من مخالفته لهم.

- للفاضي عباض تفصيلات حسنة ودقيقة في بعض المسائل الأصولية، كمسألة العصمة،
وأضرب التحمل للحديث، والرواية بالمعنى، وأصناف الكذابين ورواياتهم.



الفهارس

- ١- فهرس الآيات القرآنية.
- ٢- فهرس الأحاديث.
- ٣- فهرس الآثار.
- ٤- فهرس الأعلام.
- ٥- فهرس الشعر.
- ٦- فهرس الفرق.
- ٧- فهرس الأديان.
- ٨- فهرس المصادر والمراجع.
- ٩- فهرس الموضوعات.

أولاً : فهرس الآيات القرآنية.

الآية	رقمها	رقم الصفحة
سورة الفاتحة		
{ الحمد لله رب العالمين }	٢	١٦٣
{ إِيَّاكَ نَعْبُدُ }	٥	١٤٠
سورة البقرة		
{ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُم }	٢١	١٤٦
{ إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا... }	٢٦	٥٠٧
{ هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا }	٢٩	١٣٦
{ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ... }	٣٠	
{ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ }	٣٤	٧٩، ٦٤
{ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ }	٤٣	٣٨٨، ١٤٦، ٣٨٣
{ فَتَوْبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ }	٥٤	٥٤٠
{ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ }	٧٨	٥٩٨
{ وَاتَّبِعُوا مَا تُتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكٍ ١٠٢ سُلَيْمَانَ... }		
{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا }	١٠٤	٥٥٣
{ مَا تَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا }	١٠٦	٤٥٠
{ فَأَيُّتِمَّا تُولُوا فَتَمَّ وَجْهُ اللَّهِ }	١١٥	٤٣٧
{ وَمَنْ يَرْغَبْ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مِنْ سَفَاهَةٍ }	١٣٠	٥٤٥
{ مَا وَلَاهُمْ عَنْ قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا }	١٤٢	١٨٧

١٤٣	٤ ، ٧٣ ، ٤٥١	{ وكذلك جعلناكم أمة وسطا... }
	٤٦٦ ، ٤٦٩ ، ٤٧٠	
	٤٩٠ ، ٤٩٣	
١٥٠	٤٦٢	{ وحيث ما كنتم قولوا وجوهكم شطره }
١٧٨	٥٤٠	{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ }
١٨٠	٤٣٩	{ كُتِبَ عَلَيْكُمُ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ }
١٨٣	٤٥٠	{ كتب عليكم الصيام }
١٨٧	٤٥٠	{ ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ }
١٩٤	٢٥٩	{ فَمَنْ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ }
١٩٧	٩٢	{ فمن فرض فيهن الحج }
٢٢٣	٤٠٣	{ نساؤكم حرث لكم }
٢٢٨	٣٦٦	{ والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء }
٢٣١	٤٠٦	{ أَنْ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ }
٢٣٨	٤٦٢	{ حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى }
٢٤٩	١٥٨	{ قالوا لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده }
٢٥٥	٧٩ ، ٦١	{ الله لا إله إلا هو }
٢٧٥	٣٨٤ ، ٣٨٣	{ وأحلَّ الله البيع وحرم الربا }
٢٨٢	٤٤٤	{ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ }
٢٨٤	١٥٤	{ وَإِنْ تُبْنُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ }
٢٨٦	١٥٤ ، ١٥٧	{ لا يكلف الله نفسا إلا وسعها }
	١٦٠ ، ٥٤٠	
٢٨٦	١٥٤ ، ١٥٨ ، ٥٢٣	{ ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به }

سورة آل عمران

٢١١	٣١	{ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ }
٢١١	٣٢	{ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا } .
٣٩٢	٩٢	{ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ }
٤٥١	٩٣	{ كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلاًّ لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ }
٣٨٣ ، ٣٥١ ، ١٤٦	٩٧	{ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ }
٣٨٨		
٤٥٢	١٠٣	{ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً }
٦٠٥	١٠٥	{ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا }
٤٧١ ، ٤٦٩ ، ٤٥٢	١١٠	{ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ }
٤٩١		
٥٩١ ، ٥٥٩ ، ٥٧٢	١٥٩	{ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ }
٤٠٨ ، ٤٠٦	١٧٣	{ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ ... }

سورة النساء

٤٢١	١١	{ يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ . }
٤٥٥	١٥	{ فَأَمْسِكُوهُمْ فِي الْيُبُوتِ حَتَّى يَتَوْفَاهُنَّ ... }
٤٢٥	٢٣	{ وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ وَرَبَائِكُمْ ... }
٤٣٧ ، ٤١٩	٢٣	{ وَأَنْ تَحْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ . }
٤٣٧	٢٥	{ وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلاً ... }
٣٩٦	٢٩	{ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ }
٨٤	٤٨	{ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ ... }
٤٥٢ ، ٤٧١	٥٩	{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ ... }
٥٦٠ ، ٤٨٨ ، ٥٤٥		

٥٦٦	٦٥	{فَلَا وَرَبَّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ...}
٦٠٥	٨٢	{وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ...}
٥٢٢ ، ٥٠٧	٨٣	{وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ...}
٥٧٨ ، ٥٥٩		
٤٣١ ، ٤٢٨	٩٢	{فَتَخْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَدِيَّةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ}
٤٧٠	١٠١	{فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا...}
٥٦٤ ، ٥٥٩ ، ٥٥٦	١٠٥	{إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ...}
٥٨٣ ، ٥٧٨ ، ٥٧٥		
٤٥١ ، ٧١ ، ٤	١١٥	{وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا...}
٤٨٤ ، ٤٦٦ ، ٤٥٦		
٤٨٩ ، ٤٨٧		
١٦٦	١٥٧	{مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ}
٥٤٥	١٦٣	{إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ...}
١٤٠ ، ١٢٦	١٦٥	{رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِقَلَّ يُكُونُ لِلنَّاسِ...}

سورة المائدة

١٣٩	١	{أَحَلَّتْ لَكُمْ بِهِيْمَةَ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُنْتَلَى...}
٣٦٥	٢	{وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا}
٤٢٠	٣	{حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ}
١٣٩	٤	{يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أَحَلَّ لَهُمْ قُلْ أَحَلَّ لَكُمْ...}
١٤٧	٥	{وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ}
٣٩٦ ، ٣٨٨ ، ٢٠٦	٣٨	{وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً...}
٤٠٥		
٥٢٨	٤٤	{إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ ...}

٥٢٩ ، ٥٢٨ ، ٥٢٣	٤٥	{ وَكُنَّا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنْ تُفْسِدَ بِالنَّفْسِ }
٥٤٦		
٥٤٢	٤٨	{ لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا }
٥٦٠ ، ٥٤٥ ، ١٤٧	٤٩	{ وَأَنْ أَحْكُمَ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ }
١٤٧	٤٩	{ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرَضْ عَنْهُمْ }
١٨٤	٦٧	{ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ }
١٧٩	٨٩	{ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ }
٥٠٧	٩٥	{ فَحِزَاءٌ مِثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ }

سورة الأنعام

٥٣	٦١ ، ١٨	{ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ }
١٢٢	٥٧	{ إِنْ أَحْكَمُ إِلَّا لِلَّهِ }
١٢٢	٦٢	{ أَلَا لَهُ الْحُكْمُ }
١٨٩ ، ٧٧ ، ٧٦		{ هَذَا رَبِّي }
	٧٨	
٣٦٩	٨٢	{ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ }
٥٤٤	٩٠	{ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَاهُمْ اقْتَدِهِ }
٥٣٤	١٠٨	{ وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ ... }
٥٥٠ ، ٥٥٣ ، ٥٣٧		
٧٧	١١٤	{ أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكَمًا }
٥٥٩ ، ٤٣٨ ، ١٣٧	١٤٥	{ قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوْحِي إِلَيَّ ... }
١٣٧	١٥١	{ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ }
٦٢٥	١٥٣	{ وَأَنْ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ ... }

سورة الأعراف

٦٠٥	٣	{ أَتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ ... }
-----	---	--

١٦٥	١١	{ وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا ... }
١١١ ، ١٦٥ ، ١٦٦ ، ٣٥٧ ، ٢٣٧	١٢	{ قَالَ مَا مَتَعَكَ إِلَّا نَسْجِدٌ إِذْ أَمَرْتُكَ ... }
٥٩٨	٣٠	{ وَيَخْسِبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَلُونَ }
١٤٦	٣١	{ يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ }
١٣٧	٣٢	{ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ ... }
٢٥٧	٣٣	{ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ }
١١٥	٥٩	{ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ }
١٢٨	٨٠	{ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا ... }
٥٦٤ ، ٥٤٥	١٤٥	{ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا }
١٤٦ ، ١٢٦	١٥٧	{ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ ... }
٥٤٠ ، ١٥٨	١٥٧	{ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ ... }
٢١٠ ، ١٤٦	١٥٨	{ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ ... }
٥٥٣ ، ٥٣٨	١٦٣	{ وَاسْأَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةً ... }
٤٧١	١٨١	{ وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةً يَهْتَدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ }
١٦٣	٢٠٦	{ إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ }

سورة الأنفال

٣٥٨	٢٤	{ اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ ... }
٥٨٦	٤٦	{ وَلَا تَنَازَعُوا فَعَفَا غُيُوبُكُمْ }
٥٧٨ ، ٥٥٩	٦٧	{ مَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أُسْرَى ... }
٥٨٦	٦٨	{ لَوْلَا كِتَابٌ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا ... }

سورة التوبة

٤٢٢ ، ٤٠٨ ، ٣٦٤	٥	{ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ }
١٤٧	٢٩	{ قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ... }

١٤٨	٣٤	{ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ }
٥٨٦، ٥٧٩	٤٣	{ عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ... }
٥٦٩، ٥٥٠	٧٩	{ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ }
٣٧٨	٨٤	{ وَلَا تَصِلْ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا }
١٧	١٠٠	{ وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ... }
٣٨٢، ٤٨٨	١٠٣	{ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ... }
٢٠٤	١٢٢	{ فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ... }

سورة يونس

٦٠٥	٣٢	{ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ }
٤٦٨	٧١	{ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ }

سورة هود

٣٨٧	١	{ الرِّكَابِ أَحْكَمَتِ آيَاتُهُ ثُمَّ فَصَّلَتْ }
٣٨٧	٤٠	{ وَأَهْلِكَ }
١٨٤	٤٣	{ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ }
١٢٩	٥٢	{ وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ }
٥١٩، ١٨٩	٥٤	{ إِنْ نَقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ }
١٢٩	٦١	{ فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ }
٥١٩، ١٨٩	٦٢	{ أَكْتَهَنَانَا أَنْ نَعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا }

سورة يوسف

١٨٩	٣	{ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِينَ الْغَافِلِينَ }
٥٣٠	١١١	{ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ }

سورة إبراهيم

١٣٧	٣٤-٣١	{ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ... }
-----	-------	---

سورة الحجر

١٦٤	٩	{إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ}
١٦٦	٢٧	{وَالْحَاكِمَانَ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نَارِ السَّمُومِ}
٣٩٧	٣٠	{فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ}

سورة النحل

٥٨٦، ٧١	٤٣	{فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ}
١٦٣	٥٠	{يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ.....}
١٤٨	٨٨	{الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ...}
٥٨٦	٨٩	{تَبَيَّنَا لِمَلْأَنِ السَّمَاءِ}
٥٢٢، ٥٠٧، ١١٤	٩٠	{إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ}
٥٥٠، ٤٤٦، ١٠١	١٠١	{وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ}
٥٤٤، ٥٢٨	١٢٣	{أَنْ أَتَّبِعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا}

سورة الإسراء

١٤٠، ١٢٦	١٥	{وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى تَبْعَثَ رَسُولًا}
٥٦٠، ٥٤٥، ٢٥٧	٣٦	{وَلَا تُغْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ}
١٥٥	٥٠	{قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا}
٥٤٥	٧٧	{سِتَّةَ مَنْ قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ رُسُلِنَا...}
١٠٥	٧٨	{اقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِكَ الشَّمْسِ...}
٤١٨	٧٩	{وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ}
١٦٦	٨٨	{قُلْ لَيْسَ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ.....}

سورة الكهف

٧٩	٤٧	{وَيَوْمَ نُسِيرُ الْجِبَالَ}
١٦٦	٥٠	{إِلَّا إِنْ شَاءَ اللَّهُ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ ..}
٥٨٦	١١٠	{قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ}

سورة مريم

٧٧	١٢	{ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا }
١٦٤	٦٤	{ وَمَا نُنَزِّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا... }
٢٥١	٢٢٧	{ أَلَمْ تَرَ أَنَا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ... }

سورة طه

٥٢٩	١٤	{ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي }
١٢٨	٢٤	{ اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى }
١٢٨	٣٩	{ يَاخُذْهُ عَدُوِّي وَعَدُوُّ لَه }
٣٥٧	٩٣	{ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي }

سورة الأنبياء

١٦٤ ، ١٦٣	١٩	{ وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ }
١٦٣	٢٧-٢٦	{ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ ... }
٦٠٣ ، ٥٨٤ ، ٥٥٩	٧٩	{ فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا. }
٣٨٧	٩٨	{ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ }
٣٩٥ ، ٣٨٨	١٠١	{ إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَى ... }

سورة الحج

٨٢	٣٦	{ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا }
١٦٤	٧٥	{ اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا ... }
١١٤	٧٧	{ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ }
٥٤٤	٧٨	{ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ }

سورة النور

٩٤	١	{ سُورَةُ أَنْزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا }
٣٩٦ ، ٣٧٢	٢	{ الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا ... }
٤٢٧	٤	{ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا }

٥٥٤	٣١	{وَلَا يَضُرُّنَا بِأَرْجُلَيْهِمْ لِيَعْلَمَ مَا يُخْفِينَ...}
٣٥٧، ٢١٠، ١١٥	٦٣	{فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ...}

سورة الفرقان

١٤٨	٦٨	{وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ...}
-----	----	---

سورة النمل

١٧٠	٣٠	{إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ...}
-----	----	--

سورة القصص

١٢٦	٥٩	{وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى....}
٩٣	٨٥	{إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَأْدُكَ }

سورة العنكبوت

٤٠٩	١٤	{ فَلَيْتَ فِيهِمْ أَلَفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا }
٣٩٥	٣٢-٣١	{ إِنَّا مُهْلِكُوا أَهْلَ هَذِهِ الْقَرْيَةِ إِنَّا أَهْلُهَا ... }

سورة لقمان

١١٤	١٧	{ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ }
-----	----	-----------------------------

سورة الأحزاب

٣٩٢	١	{ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ }
٢١٣، ٢١٠	٢١	{ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ... }
٣٥٧	٣٦	{ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ... }
٢١٤	٣٧	{ زَوْجَتَاكُمَا }
٤١٧، ٢١١	٣٧	{ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكُمَا ... }
٤١٨، ٤١٥	٥٠	{ وَأَمْرَأَةً مُؤْمِنَةً إِن وَهَبْتَ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ ... }

سورة سبأ

١٤٦	٢٨	{ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا }
-----	----	---

سورة يس

{ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ ... } ٩٧-٩٨ ٥٢٢

سورة الصافات

{ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ } ٩٦ ٩٦
 { وَإِلَيْكُمْ تُعْمَرُونَ عَلَيْهِمْ مُصْبِحِينَ وَبِاللَّيْلِ ... } ١٣٧- ٥٤٧
 ١٣٨
 { وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ وَإِنَّا ... } ١٦٤- ١٦٣
 ١٦٦

سورة ص

{ قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعَجِكَ إِلَىٰ نَعَاجِهِ } ٢٤ ٥٧٨، ٥٥٩
 { ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا ... } ٢٧ ٥٩٨

سورة الزمر

{ يَا عِبَادِ فَاتَّقُونِ } ١٦ ١٤٦
 { فَبَشِّرْ عِبَادِ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ ... } ١٧، ١٨ ٥٥٩، ١٧، ٥٤٥
 { اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ } ٢٣ ٥٤٥
 { وَأَتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ } ٥٥ ٥٤٥
 { لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ } ٦٥ ٤١٥

سورة فصلت

{ وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ ... } ٦-٧ ١٤٨
 { وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ ... } ٢٣ ٥٩٨
 { لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ } ٤٢ ٤٥٠

سورة الشورى

{ وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ } ١٠ ٤٥٢

٥٣	١١	{ ليس كمثل شيء وهو السميع البصير }
٥٢١ ، ٥٢٢ ،	١٣	{ شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا }
٥٣٩ ، ٥٢٧		

سورة الجاثية

١٣٧	١٣	{ وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي ... }
-----	----	--

سورة الأحقاف

٤٠٨	٢٥	{ تُلْدمرُ كُلُّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا }
-----	----	---

سورة محمد

٣٥٣	٤	{ فَضْرَبَ الرَّقَابِ }
-----	---	-------------------------

سورة الفتح

٤٤٢	٢٧	{ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ... }
٤٤٢ ، ٤٠٦	٢٩	{ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ }

سورة الحجرات

٢٨٥	٦	{ إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا }
-----	---	---

سورة النجم

٤٦٠ ، ٤٢٢	٤-٣	{ وَمَا يَنْطَلِقُ عَنِ الْهَوَىٰ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ ... }
-----------	-----	---

سورة الرحمن

١٦٦	١٥	{ وَخَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مَّارِجٍ مِنْ نَّارٍ }
-----	----	--

سورة الحديد

١٥٥	١٣	{ اَرْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا }
-----	----	---

سورة الواقعة

{ لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ } ٧٩ ٣٦٦

سورة المجادلة

{ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ } ١٨ ٥٩٨

سورة الحشر

{ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِيَ الْأَبْصَارِ } ٢ ٥٢٢ ، ٥٠٧ ، ١٤٦

٥٥٨ ، ٥٧٢ ، ٥٧٧

٥٩١

{ مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لَيْنَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً ... } ٥ ٦٠٣

{ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ } ٧ ٤٦٦ ، ٢١٠

سورة الطلاق

{ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ } ١ ٤١٧ ، ٤٠٦

سورة التحريم

{ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ ... } ٦ ١٦٣

سورة الملك

{ أَأَمِنْتُمْ مِنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمْ الْأَرْضَ } ١٦ ٥٢

سورة القلم

{ يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ ... } ٤٢ ١٥٥

سورة الحاقة

{ خُلِّتُوهُ فَعْلُوهُ ثُمَّ الْحَبِيمَ صَلَّوهُ ... } ٣٠-٣٣ ١١٧

سورة الجن

{ وَمَنْ يَنْصِرِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ } ٢٣ ٣٥٧

سورة المزمل

{ يَا أَيُّهَا الْمَزْمُلُ قُمْ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا } ١-٢ ٤١٥

سورة المدثر

{ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ قُمْ فَأَنْذِرْ }

٢-١

٤١٥ ، ١٤٧

{ مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ قَالُوا لَمْ نَكُ... }

٤٧-٤٢

١١٤

سورة القيامة

{ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ ... }

١٩-١٧

٣٨٧

{ فَلَا صَدْقَ وَلَا صُلَىٰ وَلَكِنَّ كَذَبًا وَتَوَلَّىٰ }

٣٢-٣١

١٤٨

سورة المرسلات

{ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ارْكَعُوا لَا يَرْكَعُونَ }

٤٨

٣٥٧

سورة عبس

{ بِأَيْدِي سَفَرَةٍ كِرَامٍ بَرَرَةٍ }

١٦

٣٦٦

سورة الضحى

{ وَوَحَدَكَ ضَالًّا فَهْدَىٰ }

٧

١٨٩

سورة الشرح

{ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ }

٢

١٥٨

سورة البينة

{ لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ }

٥-١

١٤٨

سورة الزلزلة

{ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ وَمَنْ يَعْمَلْ ... }

٨-٧

٣٩٨ ، ٣٩٦

سورة الكوثر

{ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ }

١

١٧٤ ، ١٧١

سورة الناس

{ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ }

١

١٦٣

ثانيا: فهرس الأحاديث.

الأئمة من قریش [أبو بكر]	ص ٣٧١
الآن حمي الوطيس [العباس]	ص ٢٠٠
ادعهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله [معاذ]	ص ١٠٨، ١٠٥
إذا أتيت مضجعك فتوضأ وضوءك للصلاة [البراء بن عازب]	ص ٢٠٣
إذا أصاب أحدكم المعنى فليحدث [ابن مسعود]	ص ٢٠٦
إذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران [عمر بن العاص]	ص ٥٧١، ٥٠٧
إذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم [أبو هريرة]	ص ٣٥٣
إذا جاوز الختان الختان فقد وجب الغسل [عائشة]	ص ١٨٥
إذا جاوز الماء قلتان لم يحمل خبثا [ابن عمر]	ص ٤١٤
إذا لم تحلوا حراما ولا تحرموا حلالا وأصبتم المعنى	ص ٢٠٦
أرأيت لو وضعها في حرام كان عليه وزر [أبو ذر]	ص ٥١٠
أرأيت لو تمضمضت بماء ثم بجمته [جابر بن عبد الله]	ص ٥٠٧
أرأيت لو كان على أهلك دين فقضيتيه [ابن عباس]	ص ٥٠٨
اقض بينهما [عمر بن العاص]	ص ٥٧٣
أليس قد علمت أن جبريل نزل فصلى [أبو مسعود الأنصاري]	ص ١٧٥
أما أنا فيكفيني أن أحثوا على رأسي ثلاث حثيات [أم سلمة]	ص ١٨٥
أمر بلال أن يشفع الأذان ويوتر الإقامة [أنس]	ص ٢١٣، ٢١٥
أمرنا أن نخرج في العيدين العواتق وذوات الخنور [أم عطية]	ص ٢١٣
أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم [صفوان بن عسال]	ص ٢١٦
أنا أحق بهـ صوم عاشوراء	ص ٥٢٩

- إن الله إذا حرم على قوم أكل شيء حرم عليهم ثمنه [ابن عباس] ص ٣٥٤
- أما ما كان يدا بيد فخذوه وما كان نسيئة فردوه [البراء بن عازب] ص ٣٥٤
- أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث بكتابه إلى كسرى [ابن عباس] ص ٢٨٤
- إن وسادك لعريض [عدي بن حاتم] ص ٣٢٨
- إنما ذلك عرق، وليس بالحليض [فاطمة بنت حيش] ص ٣٤٣
- أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله [عمر] ص ٣٧١
- أنا أحكم بالظاهر [لا أصل له] ص ٥٦٨
- إننا معشر الأنبياء لا نورث ص ٣٩٧
- إن أصبتما فلكما عشر حسنات [عقبة بن عامر] ص ٥٧٣
- إن الإيمان ليأرز إلى المدينة [ابن عمر] ص ٤٩٦
- إن بلالا يؤذن بليل، فكلوا واشربوا [عبد الله بن عباس] ص ١٧٦
- أنزلت علي آفا سورة [أنس] ص ١٤٣
- إن عيني تنامان ولا ينام قلبي [عائشة] ص ١٦٠
- إن الله ورسوله حرم بيع الخمر والميتة والخنزير ص ٥٣٣
- إنما أنا بشر وإنكم تختصمون إلي [أم سلمة] ص ٥٦٠، ٥٦٧
- إنما الرضاعة من الجماعة [عائشة] ص ٣٧٧
- إنما المدينة كالكير، تنفي خبثها [جابر] ص ٤٩٦
- أنه عليه السلام أمره بالترجيع [أبو مخزومة] ص ٢٠٦
- إنه ليغان على قلبي فأستغفر الله [الأغر المزني] ص ١٦٨
- إني أفعله أنا وهذه ثم نفتسل ص ١٨١
- إني إنما أقضي بينكم برأيي [أم سلمة] ص ٥٤٤، ٥٦٤
- إني لست كهيتكم إني أظل يطعمني ربي ويسقيني [عائشة] ص ١٦٠
- إني لأنسى أو أنسى لأسن [بلاغ من مالك] ص ١٦٧

ب

بعثت إلى الأحمر والأصفر [أبو ذر] ص ٥٢٥

ت

تزوجني رسول الله صلى الله عليه وسلم [ميمونة] ص ٦٠٣

ج

جلد رسول الله صلى الله عليه وسلم في الخمر أربعين [علي] ص ٢١٧

خ

خلق الله الماء طهورا [ابن عمر] ص ٤١٤

خلقت الملائكة من نور [عائشة] ص ١٦٥

خمس صلوات في اليوم والليلة [طلحة بن عبد الله] ص ١٠٨، ١١٥، ٦٩

د

دع ما يريك إلى ما لا يريك [الحسن بن علي] ص ٥٣٨

دونكم يا بني أرفدة [عائشة] ص ١٩٠

ر

ردوه ردوه، التمر بالتمر مثلاً بمثل [أبو سعيد الخدري] ص ٣٥٤

ص

صدقة تصدق الله بما عليكم، فاقبلوا صدقته [عمر] ص ٤١٦

ع

العُجماء جُبَارُ [أبو هريرة] ص ٢٠٠

عقلتُ من النبي صلى الله عليه وسلم بحجة [محمود بن الربيع] ص ٢٦٤

العلماء ورثة الأنبياء [أبو الدرداء] ص ٥٥٩

عليكم بسنتي وسنة الخلفاء من بعدي [العرباض بن سارية] ص ٢١٦
عليكم بالسواد الأعظم [أنس] ص ٤٥٢

ف

فإذا وجب فلا تبيكين باكية ص ٦٣
فليكن أول ما تدعوهم إليه عبادة الله [معاذ] ص ١٠٨
في ثلاث ساعات كان رسول الله [عقبة بن عامر] ص ٢١٦
في كل إصبع مما هناك عشر من الإبل [عبد الله بن عمرو] ص ٥٩٦
فيما سقت السماء العشر [ابن عمر] ص ٤٠٧

ق

القاتل لا يرث [أبو هريرة] ص ٣٩٦
القضاة ثلاثة: قاض في الجنة [بريدة] ص ٥٧٥

ك

كتاب الله القصاص ص ٥٢٨
كان يأمرنا إذا كنا سفرا أن لا نزرع خفافنا [صفوان بن عسال] ص ٢٠٦
كنا نؤمر بقضاء الصوم [عائشة] ص ٢١٤
كيف تقضي [معاذ] ص ٥٠٧

ل

لعن الله اليهود حرمت عليهم الشحوم فحملوها [ابن عباس] ص ٥٣٨
لقد تحجرت واسعا [أبو هريرة] ص ٢٠٧
اللهم حبب إلينا المدينة كحبنا مكة أو أشد [عائشة] ص ٤٩٦
لا تنتفعوا من الميتة بإهاب ولا عصب [ابن عكيم] ص ٢٨٩
لا تجتمع أمي على ضلالة [أبو مالك الأشعري] ص ٤٥٢
لا حتى تميز بينهما [فضالة] ص ٣٥٤
لا ضرر ولا ضرار [عبادة] ص ٢٠٠

- لا نكاح إلا بولي [أبو موسى الأشعري] ص ٤٧٨، ٥٤٧
- لا وصية لوارث [أبو أمامة] ص ٣٩٦، ٤٣٨
- لا يشكر الله من لا يشكر الناس ص ٨
- لا يلبس القميص ولا السراويلات ولا البرانس [ابن عمر] ص ٤١٧
- لا يرث المسلم الكافر [أسامة بن زيد] ص ٣٩٧
- لا يختلي خلهاها، ولا يعضد شجرها [العباس] ص ٥٦١
- لا يمنع فضل الماء ليمنع به الكلاً ص ٥٣٣
- لا نورث ما تركنا صدقة [عمر] ص ١٧٦
- لا يصلين أحد العصر إلا في بني قريظة ص ٥٧٣، ٥٨٣
- لم ينزل علي في شأنها إلا هذه الآية الجامعة [أبو هريرة] ص ٣٧١
- لو استقبلت من أمري ما استدبرت [أنس] ص ٥٦٠
- لو راجعته، فإنه أبو ولدك [ابن عباس] ص ٨٧
- لو سمعت شعرها قبل قتله ما قتلته ص ٥٦٠
- لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك [أبو هريرة] ص ٨٣، ٨٦، ٣٣٧
- لو نزل من السماء [لا أصل له] ص ٥٥٩، ٥٦٦
- لو يعلم المار بين يدي المصلي ماذا عليه [أبو جهيم] ص ١٧٥

م

- المؤمنون تتكافأ دمائهم [عبد الله بن عمرو] ص ٢١٠
- ما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضت عليه [أبو هريرة] ص ٧٠
- ما حملكم على إلقاءكم نعالكم [أبو سعيد الخدري] ص ١٨٥
- ما منكم من أحد إلا وكل به قرينه [عبد الله بن مسعود] ص ١٥٣
- ما هذا ألم آت بها بيضاء نقية [جابر] ص ٥٢٥
- من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد [عائشة] ص ٣٥٣، ٣٥٠
- من أعظم المسلمين جرماً من سأل عن شيء [سعد بن أبي وقاص] ص ١٠٤

- من سن في الإسلام سنة حسنة [جرير بن عبد الله] ص ٢١٦
- من فارق الجماعة قدر شبر [ابن عمر] ص ٤٥٢
- من فارق الجماعة مات ميتة جاهلية [ابن عباس] ص ٤٥٢
- من قتل قتيلًا له عليه بينة فله سلبه [أبو قتادة] ص ٥٧٢
- من الكبائر شتم الرجل والديه [عبد الله بن عمرو] ص ٥٣٣، ٥٣٧
- من لا يرحم لا يرحم [الأقرع بن حابس] ص ٣٧٣
- من لا يرحم الناس لا يرحمه الله [جرير بن عبد الله] ص ٣٧٣
- من نام عن صلاة أو نسيها فليصلها إذا ذكرها [أنس] ص ٥٢٨

ن

- نضّر الله امرأ سمع مقالتي [زيد بن ثابت] ص ١٩٩، ٢٠٤
- نهي رسول الله صلى الله عليه وسلم عن بيع السلاح ص ٥٣٨
- نهي عن بيعتين في بيعة صفقة [أبو هريرة] ص ٢٠٦
- نهي عن قطع الأيدي في الغزو [بسر بن أبي أرطاة] ص ٥٣٨
- نهي النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك [علي] ص ٣٥٤
- نهي عن اتباع الجنائز ولم يعزم علينا [أم عطية] ص ٢١٣

هـ

- هلا اعتبرتها بالأصابع، عقلها سواء وإن اختلفت منافعها [ابن عباس] ص ٥١٠
- هل لك من إبل [أبو هريرة] ص ٥٠٨

و

- وأخبروا من ورائكم ص ١٧٧
- وإذا حاصرت حصنًا فأرادوك [بريدة] ص ٥٨٥
- وإنما أنا بشر أنسى كما تنسون [ابن مسعود] ص ١٦٧
- وأنا تدركني الصلاة وأنا جنب فأصوم [عائشة] ص ٣٩٣
- وصم يوما مكانه [أبو هريرة] ص ٣٥٣

الوقت ما بين هذين [أبو موسى الأشعري] ص ٧٩
وما سكت عنه فهو مما عفا عنه [أبو الدرداء] ص ١٠٤

ي

يا أيها الناس قد فرض عليكم الحج [أبو هريرة] ص ٥٦٠
يقطع الصلاة الكلب الأسود [أبو ذر] ص ٤١٦
يقول العبد: الحمد لله رب العالمين [أبو هريرة] ص ١٣٩



ثالثا: فهرس الآثار

أ

- أحلتها آية وحرمتها آية [عثمان] ص ٥٨٥
اعرف الأشباه والأمثال، ثم قس الأمور برأ بك [عمر] ص ٥١٠
أعيتهم الأحاديث أن يحفظوها [عمر] ص ٥٩٦
أقول فيها برأيي [أبو بكر الصديق] ص ٥٨٧
أقول فيها برأيي [ابن مسعود] ص ٥٨٧
ألا يتقي الله زيد بن ثابت يجعل ابن لابن ابنا [ابن عباس] ص ٥١١
أما تخافون أن يخسف الله بكم الأرض [ابن عباس] ص ٥٨٤
أنا رسول من ورائي [ضمام] ص ١٨٧
إن كنتما تريدان المشورة فعليكما بدار الهجرة [ابن عمر] ص ٤٩٨

ر

- رحلت إلى المدينة فكتبت اختلافهم [الشافعي] ص ٤٩٨
رضيه رسول الله لدينتنا، أفلا نرضاه لدينانا [الصحابه] ص ٥١٠

ص

- صليت مع النبي صلى الله عليه وسلم، وأبي بكر، وعمر ص ١٣٩
صليت مع النبي صلى الله عليه وسلم إلى بيت المقدس [البراء بن عازب] ص ١٧٥

ف

- فتمرغت كما تتمرغ الدابة [عمار] ص ٥٠٥

- كان عبد الله بن مسعود يمحك السنة لا يقول [عمرو بن ميمون] ص ٢٠٥
 كان أنس رضي الله عنه إذا روى حديثا [محمد بن سيرين] ص ٢٠٨
 كل حديث ليس له أصل بالمدينة [الشافعي] ص ٤٩٨

ل

- لا بأس إذا قدمت وأخرت إذا أصبت المعنى [وائل بن الأسقع] ص ٢٠٧
 لا يقل أحدكم خبث نفسي [عائشة] ص ٢٠٦
 لو أن الناس إذا وقعت فتنة [ابن عمر] ص ٤٩٨
 لولا أني رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبلك [عمر] ص ٩٣
 لولا هذا لقضينا بغيره [عمر] ص ٥٩٥

م

- ما أخطأني ابن مسعود عشية حميس إلا أتيته فيه [عمرو بن ميمون] ص ٢٠٨
 ما رآه المسلمون حسنا، فهو عند الله حسن [ابن مسعود] ص ٤٥٣، ٤٥٤، ٤٦٠
 من استحسّن فقد شرع [الشافعي] ص ٥٤٣، ٥٤٧
 من شاء باهله عند الحجر الأسود في العول [ابن عباس] ص ٥٨٣

هـ

- هديت لسنة نبيك [عمر] ص ٢١٧
 هما أعلم [أبو هريرة] ص ٦٠٣

و

- وأنا لم يظلم نفسه [الصحابه] ص ٣٦٩
 والوضوء أيضا [عمر] ص ٤٨٤
 ولو كان حراما ما أكل على مائدة رسول الله [ابن عباس] ص ١٩٠

ي

- يا ابن أخي إذا وجدت أهل هذا البلد [أبو بكر] ص ٤٩٨

رابعاً: فهرس الأعلام^(١)

(أ)

الآمدي = سيف الدين ٧٩، ٨٣، ١١٢، ١٥٧، ١٦٨، ١٧٨، ١٩١، ٢٠٦،
٢١٠، ٢٤٤، ٢٤٥، ٣٤٤.

أبي بن كعب : ١٩٧.

أحمد بن حنبل = الإمام صاحب المذهب = ٧٤، ٧٨، ٨٧، ٩١، ١١٢، ١٤٤،
١٤٥، ١٧٨، ٢٠٨، ٢٠٩، ٢٢٨، ٢٣٤، ٢٤٨، ٢٤٩.

أحمد بن عبد الرحمن الزليطي = ٢٣.

الأهري = أبو بكر محمد بن عبد الله : ١٣٣، ١٣٥، ٢٠٧.

إسحاق ابن راهويه: ٨٨.

الإسفرائيني = أبو حامد: ١١٣، ١٤٥، ١٩٤، ١٩٥.

إسماعيل = القاضي = ٣١، ٧٣، ٢٥٤.

الإسنوي: ٨٥، ٢٤٤، ٣٣٥.

الأشعري = أبو الحسن علي بن إسماعيل: ١١٣، ١٥٦، ١٥٨، ١٦٥.

الإصطخري: ٢٠٧.

إلكيا الهراسي الطبري: ١١٤، ١٩٣، ٢٢٦.

الألوسي: ١٦٩.

أنس بن مالك: ١٣٨، ٢٠٤، ٢٣٣، ٢٣٨، ٢٤٠، ٢٤٢.

الأوزاعي = عبد الرحمن بن عمرو: ١٧٢، ٢٥٤.

(ب)

الباجي = أبو الوليد سليمان بن خلف = ٧٣، ٧٤، ١٠٣، ٣١، ١٠٨، ٣١٧، ٣٢٠.

٢٥٦

(١) اسم القاضي عياض لم تكد تخلو صفحة من ذكره لذلك استبعدته في الفهارس.

الباقلائي= القاضي أبو بكر، محمد بن الطيب= ٧٣، ١٠٥، ١٠٦، ١٦٨، ١٧٠،

١٨، ١٨٧، ١٩٣، ١٩٥، ٢٤٨، ٣٤٢، ٣٤٣، ٢٤٩ .

البخاري = محمد بن إسماعيل ٢٢٣،

ابن بدران: ١٥٦،

البراء بن عازب: ٢٠١، ٢٢٩،

ابن برهان= أبو الفتح أحمد بن علي= ٣، ١١٤، ١١٧ .

بريدة: ١١٦،

البزدوي = فخر الإسلام= ١١٢،

بسر بن سعيد ٢٠٢،

بشير بن أبي مسعود ٢٠٢ .

بشير بن كعب ٢٥٧ .

البصري= أبو الحسين محمد بن علي= ١٠٤، ٢٢٢،

البغوي، أبو محمد الحسن بن مسعود: ١٦٠،

البقاعي: ١٧٣،

أبو بكر: ٢٠٣، ٢٤٤، ٢٥٠،

بكر بن العلاء القشيري ٣٤٣، ٣٤٣:

بلال بن رباح: ٢٣٨،

البلقيني ٣٣٦،

البويطي، أبو يعقوب يوسف بن يحيى ١٨٧،

البيضاوي، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر= ٨٥، ١٣٥، ١٥٩

(ت)

الترمذي: ١٤٩،

التلمساني= الشريف أبو عبد الله محمد بن أحمد= ١٠٨ .

ابن تيمية (شيخ الإسلام): تقي الدين أبو العباس أحمد: ١١٧، ١٢١، ١٢٢، ١٢٦، ١٢٧، (١٢٩)، ١٣١، ١٣٤، ١٣٨، ١٤٤، ١٥٤، ١٥٧، ١٥٦، ١٦١، ١٥٧، ١٧٢، ١٧٣، ١٧٥، ١٩١، ٣٤٦ .

ابن تيمية (الجلد): محمد الدين عبد السلام بن عبد الله ١٠٤،

(ث)

ثعلب: ٢٢٨ .

(ج)

جابر بن عبد الله ٢٢٠، ٢٤٤،

الجاحظ = عمرو بن بحر ١٦٨،

الجبائي = ١٠٤، ٢٢١، ٢٢٢، ٢٢٣،

جبير بن مطعم ٨٢،

ابن جريج، عبد الملك بن عبد العزيز ١٧٢،

جريو = ٧٧، ٢٥٦ .

ابن الجزري = ١٧٦،

الجهم بن صفوان: ١٥٣، ١٥٧،

أبو جهيم: ٢٠٢،

ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج ٢٢٣،

الجوهري = ٧٧، ١٠٩،

الجويني، إمام الحرمين = ٧٣، ٨١، ١٠٥، ١١١، ١١٢، ١٩٣، ١١٧،

٣٣٥، ٣٣٥،

(ح)

ابن الحاجب = أبو عمرو جمال الدين عثمان بن عمر: ١٠٣، ١٥٦، ١٧٨، ٢١٠،

٢٤٤،

الحاكم: ٢٢٢، ٢٤٤، ٢٥٢، ٢٥٤ .

ابن حبان: ١٦٧ .

ابن حجر = أحمد بن علي العسقلاني: ٩٧، ١٣٨، ١٤٩، ١٦٤، ١٧٣، ٢٢٢،
٢٢٣، ٣٣٣ .

ابن حزم = أبو محمد الظاهري: ١٤٤، ١٩١،

أبو الحسن التميمي: ١٢٤،

الحسن بن علي : ٢٢١،

الحسين بن علي ٢٢١،

الخلواني : ٩١، ١١٤،

حلولو = أحمد بن عبد الرحمن الزليطي ١٠٠، ٢٤٤،

أبو حنيفة، النعمان بن ثابت، صاحب المذهب = ٧٤، ٨٨، ١٧٩، ٢٠٧، ٢٢٣،
٢٢٨، ٢٤٩، ٢٥٣،

(خ)

خالد بن زيد الجهني. ٢٠٢

أبو الخطاب: ١٠٤، ١١٤، ١١٧، ٢٠٩، ٢٤٢، ٢٤٤،

الخطيب البغدادي = أبو بكر أحمد بن علي: ٢٣٠، ٣٢٣، ٣٢٥، ٣٣٣، ٣٢٦، ٣٢٧

ابن خلاد = الرامهرمزي ٣٢٩، ٣٣٠،

ابن خلدون = عبد الرحمن بن محمد = ٣ .

الحبازي: محمد بن عمر ٩١،

خويز منداد: ٢٠٧،

خيران: ٢٠٨

(د)

الدراقطني ٣١٧، ٣٢٨،

ابن أبي الدم ٣٣٣،

الدامغاني، القاضي أبو عبد الله الحنفي ٣٢٥، ٣٢٦،

داود = ابن علي الظاهري: ٨٨، ١٧١، ٣٤٠،

الدبوسي، أبو زيد: ٢٠٩،

الدقاق أبي بكر الدقاق = ١١٢،

ابن دقيق العيد: ٢٤٢،

(ذ)

ابوذر: ١٤٩،

ذو اليدين ٢٥٠،

(ر)

الرازي = ١٠٣، ١٠٨، ١١٣، ١١٤، ١٥٦، ١٥٩، ١٦٨، ٢٠٩، ٢٤٤، ٢٢٨،

ربيعة بن عبد الرحمن: ٢٤٩،

ابن رجب: ٢٥٨، ٢٦٠

(ز)

الزاغوني، ١٥٩،

ابن الزبير:

الزركشي = بدر الدين أبو عبد الله محمد بن هاد = ٨، ١١٧، ١٢٦، ١٤٨،

١٥٣، ١٥٦، ١٦٩، ١٨٦، ١٩٣، ١٩٦، ٢٠٦، ٢٢٠، ٢٢٢، ٢٢٣، ٢٣٧،

٢٤٩، ٣٢٥،

الزملكاني = ١٦٨.

أبو الزناد: ٢٢٤.

الزركشي: ٢٤٩.

الزهري = ٢٠٢، ٣٣٢.

أبو زيد الدبوسي = ٢٠٩.

زيد بن ثابت = ٢٤٢،

أحمد بن زيدان الجعفي = ١٣٢.

(س)

السبكي = تاج الدين = ٨١، ٨٥، ٩٤، ١٠٣، ١٤٤، ١٤٨، ١٥٩،

٣١٧، ١٧٨، ٣٤١، ٣٢٧، ٣٤٤،

السرخسي = ١١٣، ٢٤٢،

ابن سريج، أبو العباس = ٢٠٧،

أبو سعيد الخدري: ٢١١، ٢٤٤،

سعيد بن المسيب: ٢٥٤، ٢٥٥،

أم سلمة رضي الله عنها: ٢١٢،

سليم الرازي = ١١٢، ٢٤٩،

السمعاني، أبو مظفر منصور بن محمد = ١١٤، ٢٢٨،

سهيل بن أبي صالح = ٢٤٩،

ابن سيرين = ٢٢٨،

السيوطي، جلال الدين = ٢٢٢،

(ش)

أبو بكر الشاشي ١١٤،

الشاطبي = أبو إسحاق إبراهيم بن موسى = ٩٤، ٩٥، ؟

الشافعي = محمد بن إدريس صاحب المذهب ٧٥، ٩٩، ١٠٠، ١٧٨، ٢٠٧، ٢٠٨،

٢١٩، ٢٢٨، ٢٤٤، ٢٤٩، ٢٥٤، ٣١٧، ٣٣٥،

ابن شاذلان = ٩١،

شعبة ٢٤٨،

الشنقيطي= محمد الأمين= ٨٠، ١٧٣، ١٨٤، ٢٢١، ٢٣٤، ٣٢٩، ٣٣٤،

٣٣٥، ٣٤٦،

الشهرستاني= ١٥٣

الشوكاني= ٨، ١٢٥، ١٣٠، ١٥٦، ١٧٣، ١٧٩، ٢٠٦، ٢٠٩، ٣٤٠، ٣٣٧، ٣٤٤،

الشيرازي، أبو إسحاق= ٣٤١، ١١٣، ٣٤٤،

(ص)

ابن الصباغ = أبو نصر عبد السيد بن محمد= ١١٢، ؟

صبي بن معبد= ٢٤١،

صفوان بن عسال المرادي، ٢٣٢، ٢٤١،

صفية = زوج النبي صلى الله عليه وسلم ١٩٨،

ابن الصلاح ٢٤٩، ٣٢٥، ٣٢٨، ٣٢٨، ٣٣٠، ٣٣٣، ٣٣٥،

الصنعاني ٣٢٩، ٣٣٥،

(ض)

ضمام ٢٠٤.

(ط)

الطبري= ابن جرير= ١٥٨، ١٧٢، ١٩٠، ٢٢٦،

الطبري= أبو الطيب: ١١٢، ٣٢٢، ٣٢٦، ٣٢٧،

الطرطوشي= محمد بن الوليد

الطوسي ٣٣٠،

طلحة بن عبيد الله= ٩٢

أبو طلحة. ٢٠٢،

الطولي = نجم الدين ٨٤، ١٥٦،

(ع)

عائشة: ٩٦، ١٠٨، ٢٢٠، ٢٣٨، ٢٤٤،

عامر بن سعد : ٢٣٢،

العباس ٢٠٣،

ابن عباس ٢٥٧ .

أبو العباس بن بكر المالكي ٣١٩،

عبد الجبار = القاضي المعتزلي ١٥٣، ٢٢٢،

عبد العزيز البخاري ١١٣ ،

عبد الله بن عمرو: ١٨٥،

عبد الله بن عمر بن الخطاب: ٩٧، ١٤٩، ٢٢٠، ٢٢٨، ٢٤٢،

عبد الله بن عباس: ١٤٧، ٢٢٠، ٢٢١،

عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن اللبان

عبد الله بن مسعود: ١٧٩، ١٨٠، ١٩٥، ٢٠٣، ٢٣٠، ٢٣٢، ٢٣٣، ٢٤٢،

عبد الملك بن حبيب ٣٢٩،

عبد الوهاب = القاضي ، أبو محمد ابن نصر = ٧٣، ٧٤، ٩٤، ٩٥، ١٠٤، ١٠٨،

عبيد الله العمري ٣٢٩، ٣٣٢،

عتبان بن مالك ٢٢٠،

عثمان ابن عفان ١٧٩، ٢٤٤،

عروة بن الزبير: ٢٠٢،

ابن العربي = أبو بكر المالكي: ١٠٣، ١١٣، ١٤٤، ١٤٧، ١٥٩، ١٧٧،

العراقي: ١٤٩، ٣٢٥، ٣٣٥،

ابن عرفة = محمد بن محمد

عضد الدين الإيجي ١٢٥

أم عطية: ٢٣٨

عقبة بن عامر: ٢٤١،

ابن عقيل = أبو الوفاء علي بن عقيل: ١١٢

العلائي ٢٥٦، ٢٥٨

علي بن أبي طالب: ٢٤١، ٢٠٤،

علي بن المديني: ٢٥٢.

عمر بن الخطاب: ١٢٢، ١٤٩، ٢٠٣، ٢١٢، ٢١٦، ٢٤١، ٢٤٤، ٢٥٠،

عمر بن عبد العزيز: ٢٠٢،

عمرو بن حميد القرشي = ٨٢

عمرو بن دينار: ٢٤٨،

عمرو بن ميمون: ٢٣٣،

ابن عيينة : ١٦٠، ١٧٢، ١٩٧،

(غ)

الغزالي = حجة الإسلام أبو حامد = ١٠٥، ١٠٦، ١١٢، ١٢٥، ١٥٧، ١٦١،

١٩٣، ٣٣٠،

(ف)

ابن فارس = أبو الحسين أحمد ٧٧، ١٦٤، ٨٦،

أبو تمام ٧٤،

أبو الفرج = عمرو بن محمد المالكي ١٣٣، ١٣٤، ٢٠٧،

أبو الفضل بن عمرو ٣٢٥، ٣٢٦،

(ق)

ابن قدامة المقدسي = أبو محمد عبد الله بن أحمد ٨٣، ١٠٥، ١٥٦،

القرطبي: ١٤٨،

القراي = شهاب الدين أبو العباس أحمد بن إدريس ١٠٤، ١٠٨، ٢٤٩،

القشيري: ١١٧، ١٩٣،

ابن القصار= أبو الحسن علي بن أحمد ٧٥/٩٩، ١٧٤، ٢٠٧
أبو قلابة: ٢٤٢.

قيس بن الخطيم ٨٢،
ابن القيم= محمد بن أبي بكر ابن القيم الجوزية: ١٦٠، ٩٦، ١٦١،
(ك)

ابن كثير: ١٦٥،
الكرخي= أبو الحسن= ١٠٢، ١١٣، ٢٠٨، ٢٤٨، ٢٤٩، ٣٣١،
كعب بن زهير ٢٥١ .

(ل)

ابن اللحام: ٩٤، ٩٥،
الليث بن سعد= ١٣.

(م)

المازري= أبو عبد الله محمد بن علي: ٨٩، ١١١، ١١٣، ١٧٠، ٢١٠،
مالك بن أنس= الإمام صاحب المذهب= ١٣، ٧٤، ١٠٠، ١٤٤، ١٢٣، ١٧٢،
٢٠٧، ٢٠٨، ٢٠٩، ٢٢٣، ٢٢٤، ٢٢٧، ٢٢٨، ٢٤٤، ٢٤٩، ٢٥٣، ٣١٨،
٣١٩، ٣٢١،

مالك بن أوس ٢٠٣.

الماوردي: ٣٢٢، ٣٢٦، ٣٢٧،

المباركفوري: ١٣٤،

أبي مخذولة: ٢٣٢،

محمد بن أحمد بن يعقوب بن شيبة ٣٢٥،

محمد بن حكيم = معاصر ١٥١، ١٥٠،

محمد بن الحسن ٢٤٩ .

محمد بن الحسن الشيباني ٢٤٩، ٣٢٣،

محمد بن سفيان: ١٧٢،
محمد العروسي = معاصر ١٥٤،
محمد بن المنتاب = أبو الحسين بن المنتاب
المحلي: ١١٧،
المرداوي: ١١٤،
مسلم بن الحجاج (صاحب الصحيح) ٢١٧،
معاذ = ابن جبل ١٤٢، ٢٤٢،
معاوية = ابن أبي سفيان: ٩٦، ١٤٨،
أبي معبد الجهني: ٢٤٨،
المغيرة بن شعبة ٢٠٢،
ابن مفلح: ٢١٨،
المقداد: ٢٠٤،
ابن أم مكتوم ٢١٨،
المياحي: ٢٢٢، ٢٢٧،

(ن)

ابن النجار = تقي الدين أبو بكر محمد بن أحمد الفتوح: ٨، ٨٥، ١٥٦، ٢٢٦،
٣٢٤، ٣٢٦، ٣٣٥،
النظام: ١٦٦،
أبي النصر ٣١٦
النعمان بن بشير: ٢٢١،
النووي = ١٠٤، ٣٢١، ٣٣٠، ٣٣٣، ٣٣٥،

(هـ)

أبو هاشم = المعتزلي ٢٥٤، ٣٤٦،
هدبة بن خشرم = ٨٣،

أبو هريرة ٢٤٩،

ابن الهمام ٣٤٦،

(و)

والله بن الأسقع. ٢٢٠

الوليد بن بكر ٣٢٩،

ابن وهب ٣٢١،

(ي)

يحي بن موسى الرهوني: ١٠٠، ٢٤٨ .

أبو اليسر = ١١٣،

يعقوب بن سليمان الليثي ٢٣٢،

وأبو يعقوب الرازي :

أبو يعلى = ابن الفراء الحنبلي = ٧٤، ٩١، ١٠٥، ٢٤٢، ٢٥٣، ٣٢٥، ٣٢٦،

أبو يوسف = صحاب أبي حنيفة ٣٢٣ .

يوسف السمني: ١٥٧.

يوسف بن عبد البر ٨٢، ٣٢٢ .



سادسا: فهرس الفرق والأديان.

• فهرس الأديان:

الشمعونية من اليهود ٤٥٢،

العنانية من اليهود ٤٥٠هـ

النصارى ٥٩٦، ٥٩٨

اليهود ٤٤٩، ٥٥٣، ٥٥٤، ٥٩٦، ٥٩٨

• فهرس الفرق [والمذاهب]:

الأئمة الأربعة: ١٢٦، ٢٢٩.

أئمة القراء: ١٧٦.

الأحناف: ٨١، ٨٩.

الأشاعرة: ١٢٢، ٣٥٦، ٣٧٢، ٤١٦، ٤٢٧، ٥٤٢، ٦٣٣.

أصحاب أبي حنيفة: ٧٤، ١١١، ٢٠٧، ٢٦٢.

أصحاب الشافعي: ١٥٦، ٢٠٧، ٣٢٣، ٣٣٥، ٥٠٧،

الأصحاب المالكية ٣٢٣

أكثر أصحابه: ١٤٤، ٢٦٧.

أكثر أصحاب مالك ٢٠٨، ٣٠٤.

أكثر الأشعرية: ١٩١، ٢٠٩.

أكثر الحنابلة: ٣٨٧، ٤٤٣، ٤٩٣، ٥٢٧

أكثر الحنفية ٥٨٥

أكثر المالكية: ١٠٠، ١٠٤، ١٢٠، ١٣٦، ٣٨٧، ٤٣٥

أكثر المعتزلة: ١٤٤، ١٥٦، ١٨٨.

الأكثر من الشافعية: ١٢٠، ٢٠٨.

الإمامية ١٣٥.

الأموية: ٦٠٠

أهل العراق: ٨٩، ٤٢١

أهل المشرق: ٤، ٣٠٣، ٣٠٥

البراهمة ١٢٤، ١٢٥

بعض المعتزلة: ١٣٦، ١٤٥، ١٦٨، ٢٠٨، ٢٠٩، ٣٨٧، ٥٢١

بعض أصحاب مالك: ٨٨، ٢٠٧.

بعض الحنابلة: ١٣٤، ١٣٥، ١٣٦، ٢٠٨، ٤٢١

بعض الحنفية: ٩٧، ١٢٠، ١٣٥، ١٣٦، ١٤٤، ١٤٥، ١٥٧، ١٧٢، ١٩٣، ٤٩٧

بعض الشافعية: ١١٣، ١٣٤، ١٣٥، ١٣٦، ٣٨٤، ٣٩٣، ٤٣٥، ٤٣٩، ٤٤٣، ٤٤٣

٥٠٧

بعض المالكية: ١٥٦، ١٤٥، ٢٠٩، ٢٧١، ٤٤٣، ٤٩٣

بعض أهل الظاهر: ١٩٩، ٣٠٣، ٣١٧، ٣١٨، ٣١٩، ٤٩٧

التناسخية ١٢٤

الثنوية ١٢٤

الجبائية ١٢٥، ٢٨٤.

جمع من الشافعية: ١٥٦، ٣١٣.

جمهور أصحابه: ١٤٤، ١٧٧، ١٧٨.

جمهور الأصوليين ٢٧٤، ٢٧٧، ٢٨٣، ٣٠٠، ٣٠١، ٣١٠، ٣١١، ٣١٣، ٣١٦،

٣٢٠، ٦١١، ٦١٩

جمهور الأمة: ١٠١، ١٨٦، ١٩٦، ٢١٩.

جمهور العلماء: ١٨١، ٢٤٣، ١٩١، ٦٠١، ٢٤٥

جمهور الفقهاء: ١٠٤، ١٩٩، ٢٠٧.

جمهور المعتزلة: ٢٥٤.

جمهور أهل العلم: ١١٧.

الجمهور من الشافعية: ٩٠، ١٠٢، ٣٧١

الجمهور من المالكية: ٩٠، ١٠٢.

الجمهور: ٨٧، ٨٨، ٩٠، ١٠٠، ١٠٣، ١١٩، ١٥٦، ١٥٩، ١٨٧، ٢٠٦، ٢٢١، ٢٣٤، ٢٣٧، ٢٤٩، ٢٦٢، ٢٦٣، ٢٦٧، ٢٦٩، ٢٧١، ٢٧٢، ٢٧٦، ٢٩٣، ٣٠١، ٣٠٢، ٣٠٦، ٣١١، ٣١٧، ٣١٨، ٣٢١، ٣٢٣، ٣٣٦، ٣٢٤، ٣٤٣، ٣٥٤، ٣٥٩، ٣٦٠، ٣٦١، ٣٦٦، ٣٧١، ٣٧٢، ٤٠٧، ٤٢١، ٣٩٣، ٤٣٩، ٤٦٥، ٤٤٢، ٤٤٩، ٤٥٤، ٤٦٠، ٥١٦، ٥٢٧، ٥٢٩، ٥٣٢، ٥٣٧، ٥٤٢، ٥٦٤، ٥٨٨، ٦١٩،
الجهمية: ٢٨١، ٢٨٢.

الحنابلة: ٨٩، ٩١، ١٠١، ١٠٤، ١٠٢، ١١٢، ١٢٠، ١٥٦، ١٧٢، ٢٨٧، ٢٩٠، ٤١٦، ٣٨٤، ٤٢٦، ٤٣٩، ٤٥٩، ٥٠٩، ٥١٩، ٥٢٧، ٥٨٥، ٥٥٩

الحنفية العراقيين: ١٠٢.

الحنفية: ٨٧، ٩١، ٩٥، ١٠١، ١٠٠، ١٠٢، ١٢٠، ١٢٦، ١٣٤، ١٤٥، ١٥١، ١٥٦، ١٧٢، ١٧٨، ٢٠٩، ٢٤٨، ٢٤٩، ٢٦٧، ٢٨٧، ٣٨٤، ٣٨٧، ٣٩٣، ٤٢٦، ٤٣٢، ٤٣٣، ٤٣٥، ٤٦٥، ٤٥٩، ٥٠٩، ٥٣٠، ٥٥٩،
الخرسانيون: ٣٠٣، ٥٥٢

الخطابية ٢٨٢، ٢٨٤.

الخوارج: ١٢٤، ١٩٠، ٢٨١، ٢٨٦، ٣٤٣، ٤٧٠، ٤٩٠، ٥٢١

الروافض ١٢٤، ١٨٨، ١٩١، ١٩٩، ٢٨١، ٢٨٢، ٢٨٦، ٤٩٠

رواية أحمد: ٨٧، ٨١، ٩١، ١١٢، ١٤٤، ١٤٥، ٢٠٠، ٢٠٨، ٢٢٨، ٢٠٩، ٢٤٩، ٢٥٤، ٢٥٩.

الزيدية (الشيعة الزيدية)، ٣١٥، ٣٣٥

الشافعي: ٧٥، ٩٩، ١٠٠، ١١٢، ١٤٤، ١٤٥، ١٧٣، ١٧٧، ١٧٨، ٢٠٨، ٢١٩، ٢٢٠، ٢٢٨، ٢٥٤، ٢٥٥.

الشافعية: ٨٩، ١٠١، ١٠٤، ١٢٣، ١٧٣، ٢٠٩، ٢٤٩، ٢٧٦، ٢٨٣، ٢٨٧، ٢٩٥،

٤١٦، ٣٨٧، ٤٣٥، ٤٥٩، ٤٩٣، ٥٠٩، ٥٢٧، ٥٢٨، ٥٣٠، ٥٤٢

الشيعة ٣١٥، ٣٣٥، ٤٢٦، ٤٧٠، ٥٢١، ٤٩٧، ٥٤٢

طائفة من الفقهاء: ١٣٣.

طوائف من المبتدعة: ١٩٠.

الظاهرية (أهل الظاهر) ٢٧٧، ٣٤٦، ٢٩٦، ٣١٨، ٣١٩، ٣٢٩، ٣٦٦، ٣٧١، ٣٧٢،

٣٩٣، ٤٢٦

علماء الأصول المتكلمون ١٢٢

الفقهاء: ٢٦٤، ٢٦٦، ٢٦٧، ٢٧١، ٢٨٣، ٣٠٢، ٣٠٤، ٣١١، ٣١٦، ٣١٧، ٣٢١،

٤٢١، ٤٧٧، ٤٥٨، ٦٠٠، ٦١٩

القدرية ٢٢١، ١٩٩، ٢٢٢، ٢٨١، ٢٨٦، ٤٩٠، ٦١٥

قول المعتزلة: ١٢٤، ٥٨٥

الكرامية: ١٢٤، ١٢٥، ٢٨٢.

الماتريدية: ١٢٦.

المالكية: ١٧١، ١٧٢، ٢٨٧، ٣٥٤، ٤٣٥، ٥٠٩، ٥١٤، ٥٥٩، ٦٣٣.

المتصوفة ١٩٦.

المتكلمون ١٠١، ١٠٢، ١٠٤، ١٣٤، ١٥٣، ١٩٠، ١٩١، ١٩٤، ١٩٥، ٢٤٩،

٢٥٤، ٣٦١، ٣٧١، ٣٧٢، ٣٧٨، ٣٨١، ٣٨٧، ٤٢١، ٤٣٩، ٤٧٧، ٤٥٨، ٤٥٩،

٥٠٥، ٥١٨، ٤٩٧، ٥٨٩، ٦٠٠، ٦١٢

المحدثين ٥٧، ١٥٨، ١٥٩، ١٧٣، ١٩٦، ١٩٩، ٢١٣، ٢٢٤، ٢٢٩، ٢٣٥، ٢٣٨،

٢٤٠، ٢٤٣، ٢٥٠، ٢٥٢، ٢٥٦، ٢٧٠، ٢٧٦، ٢٧٧، ٢٧٨، ٢٩٣.

٢٩٤، ٢٩٧، ٢٩٨، ٣٠٨، ٣١، ٣١٥، ٠.

المذاهب الأربعة: ٧٤.

مذهب أحمد: ٧٢، ١٧٨.

مذهب الأشعرية: ١٣٦، ١٢٣، ١٤٤، ٢٨٨.

مذهب الظاهرية: ١٣٦، ٢٢٨، ٢٥٤، ٣٠٢.

مذهب المالكية: ٧٥، ٨٩، ١٠١، ١١١، ١٢٣، ١٧٧، ٣٢٣، ٤٣٢

مذهب مالك: ٤٤، ٩٩، ١٠٠، ١٤٤، ٢٠٨، ٢٢٠، ٢٥٣، ٢٥٤، ٣١٩، ٣٧١،

٥١٦، ٥٠٨، ٥٢٨، ٥٤٩

المرجئة ٢٨٦

المعتزلة: ٨٦، ١٠٢، ١١٢، ١٢٠، ١٢٥، ١٢٦، ١٣٤، ١٥٧، ١٨٦، ١٩٠، ١٩٣،

٢٨١، ٣٤١، ٣٤٣، ٣٥٥، ٣٧٢، ٤١٦، ٤٢١، ٤٥٤، ٥٤٢، ٦٠٠، ٦٠١

معتزلة البصرة: ١٣٤.

معتزلة بغداد: ١٣٥، ١٥٧.

نسب للظاهرية: ١٣٤.

وأصحابه: ٢٥٣.

الواقفة ٣٧٠، ٣٧٤.



[١]

الإمّاج في شرح المنهاج.

لعلّي بن عبد الكافي السبكي وولده عبد الوهاب، تصحيح جماعة، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ.

الإتقان في علوم القرآن.

جلال الدين بن عبد الرحمن السيوطي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار التراث ط/٣-١٤٠٥هـ.

الاجتهاد عبد الملك بن عبد الله بن يوسف الجويني، تحقيق عبد الحميد أبو زنيد، دار القلم، ودار العلوم، ط١/١٤١٨هـ.

الإحاطة في أخبار غرناطة. لذي الوزارتين لسان الدين بن الخطيب، تحقيق محمد عبد الله بن عنان، مكتبة الخانجي، ط١/١٣٩٧هـ.

إحكام الأحكام في شرح عمدة الأحكام

تقي الدين أبي الفتح بن دقيق العيد، دار الكتاب العربي
الإحكام في أصول الأحكام.

للإمام علي بن محمد الآمدي، تحقيق سيد الجميلي، دار الكتاب العربي، الطبعة الثالثة، ١٤١٨هـ.

إحكام الفصول في أحكام الأصول.

لأبي الوليد الباجي، تحقيق عبد المجيد تركي، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الثانية، ١٤١٥هـ.

الإحكام في أصول الإحكام.

للإمام أبي محمد علي بن أحمد بن حزم الظاهري دار الكتب العلمية، ط١
١٤٠٥هـ.

أحكام القرآن.

لأبي بكر أحمد الجصاص، تحقيق: محمد الصادق قحماوي، دار إحياء التراث.
أحكام القرآن.

لأبي بكر ابن العربي، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الفكر.

إرشاد الفحول في تحقيق الحق من علم الأصول.

للإمام محمد بن علي الشوكاني، تحقيق: أبو مصعب البدري، طبع: دار الفكر.
أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض

شهاب الدين أحمد بن محمد المقرئ، تحقيق مصطفى السقا وغيره، طبع اللجنة
المشتركة لنشر التراث الإسلامي بين حكومة المملكة المغربية وحكومة دولة
الإمارات العربية المتحدة .

الإستقامة . لابن تيمية، تحقيق محمد رشاد سالم ، طبع جامعة الإمام محمد بن
سعود الإسلامية، ط ١٤١١/٢هـ.

الاستيعاب في معرفة الأصحاب. لأبي عمر يوسف بن عبدالله القرطبي، تحقيق
علي محمد معوض، والشيخ عادل عبد الموجود، دار الكتب العلمية،
ط ١٤١٥/١هـ.

أسد الغابة في معرفة الصحابة. لعز الدين بن الأثير علي بن محمد الجزري،
دار الفكر.

الإشارات في أصول الفقه المالكي.

لأبي الوليد سليمان بن خلف الباجي، تحقيق نور الدين مختار الخادمي، دار ابن حزم،
الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ

الأشباه والنظائر.

لجلال الدين السيوطي، طبع: دار الكتب العلمية.

الأشباه والنظائر.

تاج الدين عبد الوهاب بن علي السبكي، تحقيق عادل أحمد عبد الموجود،
وعلي معوض، ط ١ - ١٤١١هـ دار الكتب العلمية.

الإصابة في تمييز الصحابة. للحافظ أحمد بن علي بن حجر ، تحقيق عادل عبد الموجود، علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، ط ١/١٤١٥هـ.

أصول السرخسي

للإمام أبي بكر محمد بن أبي سهل السرخسي، تحقيق أبو الوفا الأفغاني، دار المعرفة، ١٣٩٣هـ.

أصول الشاشي لأحمد بن محمد الشاشي وبهامشه عمدة الحواشي للمولى محمد فيض الكنكوهي دار الكتاب العربي ١٤٠٢هـ.

أصول الفقه

شمس الدين محمد بن مفلح المقدسي، تحقيق فهد بن محمد السدحان، العبيكان، ط ١ ١٤٢٠هـ.

أصول الفقه الإسلامي.

لوهبة الزحيلي، دار الفكر، ط ١ ١٤٠٦هـ

أصول الفقه.

لمحمد أبو النور زهير، المكتبة الفيصلية، ١٤٠٥هـ

أصول الفقه.

للشيخ محمد الخضري، تحقيق محمود طعمه حلي، دار المعرفة، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ.

أصول الفقه.

للإمام محمد أبو زهرة، دار المعارف.

أصول مذهب الإمام أحمد.

لعبد الله بن عبد المحسن التركي، ط ٣/ ١٤١٠هـ.

إصطلاح المذهب عند المالكية . محمد إبراهيم أحمد علي، دار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث بالإمارات، ط ١/١٤٢١هـ.

أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن

محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي، مطبعة المدني ط/٢ ١٤٠٠هـ.

الاعتصام

لأبي اسحاق إبراهيم بن موسى الشاطبي، تحقيق سليم بن عيد الهلالي، دار بن عفان، ط/ ١/ ١٤١٢هـ.

الأعلام

خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين ط/ ٥/ ١٩٨٠م.

الإعلام بمحدود قواعد الإسلام. للقاضي عياض بن موسى اليحصبي، تحقيق محمد بن تاويت الطنجي، ط/ ٦/ ١٤٢٢هـ.

إعلام الموقعين عن رب العالمين.

شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر المعروف بابن قيم الجوزية، تحقيق طه عبد الرؤوف سعد، مكتبة الكليات الأزهرية، ١٤٠٠هـ.

إكمال المعلم بفوائد مسلم.

للقاضي عياض بن موسى اليحصبي، تحقيق يحيى إسماعيل دار الوفاء ط/ ١/ ١٤١٩هـ.

الإلماع إلى معرفة أصول الرواية وتقييد السماع.

للقاضي عياض بن موسى اليحصبي، تحقيق السيد أحمد صقر، دار التراث والمكتبة العتيقة، ط/ ٢.

الأُنجم الزاهرات على حل ألفاظ الورقات في أصول الفقه.

شمس الدين محمد بن عثمان بن علي المارديني، تحقيق عبد الكريم النملة، ط ١ ١٤١٥هـ.

الإنصاف فيما بين علماء المسلمين في قراءة بسم الله الرحمن الرحيم في فاتحة الكتاب من الاختلاف.

أبي عمرو يوسف بن عبد الله بن عبد البر النمري، تحقيق عبد اللطيف محمد الجليلاني، أضواء السلف ط/ ١- ١٤١٧هـ.

الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف.

علاء الدين أبي الحسن علي بن سليمان المرداوي، تحقيق محمد حامد الفقي، مطبعة السنة المحمدية، ط/ ١- ١٣٧٥هـ.

إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون.
إسماعيل باشا محمد أمين، دار العلوم الحديثة، بيروت لبنان، ١٩٨١م.

[ب]

الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث. لأحمد شاکر، مكتبة
المعارف، ط١، ١٤١٦هـ.

البحر المحيط في أصول الفقه.

لبدر الدين محمد بن بھادر بن عبد الله الزركشي، تحقيق محمد تامر، دار
الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ.
بدائع الفوائد.

العلامة محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية الزرعي الدمشقي. تحقيق بشير محمد
عون، مكتبة المؤيد ودار البيان ١٤١٥هـ.

البداية والنهاية. لعنّاد الدين أبي الفداء إسماعيل بن كثير، تحقيق محمد بن
عبدالعزیز النجار، مكتبة الأصمعي، ومطبعة السعادة.
البرهان في أصول الفقه.

لإمام الحرمين أبي المعالي عبد الملك بن عبد الله الجويني، تعليق صلاح بن محمد
بن عويضة، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ.
و: تحقيق: عبد العظيم الديب، طبع: دار الوفاء، ١٤١٨هـ.

بغية الملتبس في تاريخ رجال أهل الأندلس. أحمد بن يحيى الضبي، دار
الكتاب العربي. ١٩٦٧م.

البهجة شرح التحفة. لأبي الحسن علي بن عبد السلام، ملتزم طبعه عباس
شقرون بالفحامين بمصر.

[ت]

تاريخ ابن خلدون المسمى ديوان المبتدأ أو الخبر في تاريخ العرب والبربر
ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر. لعبد الرحمن بن خلدون، تحقيق خليل
شحاذاة، وسهيل زكار، دار الفكر، ط١ / ١٤٠١هـ.

تأريخ الفكر الأندلسي. آنخل جنثالث، نقله عن الأسبانية حسن مؤنس،
مكتبة الثقافة الدينية.

تأريخ قضاة الأندلس (المرقبة العليا فيمن يستحق القضا والفتيا). لأبي الحسن
بن عبد الله النباهي المالقي، المكتب التجاري للطباعة بيروت.
التبصرة في أصول الفقه.

لأبي إسحاق إبراهيم بن علي الشيرازي، تحقيق محمد بن حسن، دار الكتب
العلمية، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ.

تبيين كذب المفتري فيما نسب لأبي الحسن الأشعري. لعلي بن الحسن بن
عساكر، دار الفكر، ط٢/١٣٩٩هـ.

التحجير شرح التحرير في أصول الفقه.

علاء الدين أبي الحسن علي بن سليمان المرداوي، تحقيق عبد الرحمن بن عبد
الله الجبرين، عوض بن محمد القرني، أحمد بن محمد السراح، الرشد، ط١
١٤٢١هـ.

التحصيل من المحصول

سراج الدين محمود بن أبي بكر الأرموي تحقيق عبد الحميد علي أبو زنيد
مؤسسة الرسالة ط١/١٤٠٨هـ.

تحفة الأحوذى شرح جامع الترمذي.

محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري، طبع: دار الكتب العلمية.

تحفة الطالب في تخريج أحاديث ابن الحاجب.

لعماد الدين ابن كثير، تحقيق: عبد الغني كبيسي، طبع: دار حراء.

تحفة المحتاج إلى أدلة المنهاج

سراج الدين عمر بن علي بن الملقن، تحقيق عبد الله بن سعاف اللحياي، دار حراء ،
ط١/١٤٠٦هـ.

تحفة المسؤول في شرح مختصر منتهى السؤل.

أبي زكريا يحيى بن موسى الرهوني، تحقيق الهادي بن الحسين شبيلي، دار البحوث والدراسات الإسلامية وإحياء التراث، ط ١ ١٤٢٢هـ.

تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في تفسير الكشاف

جمال الدين عبدالله بن يوسف الزيلعي، تحقيق سلطان بن فهد الطبيشي، دار بن خزيمة، ط/١ ١٤١٤هـ.

تخريج الفروع على الأصول.

أبي المناقب شهاب الدين محمود بن أحمد الزنجاني، تحقيق محمد أديب الصالح، مؤسسة الرسالة، ط ٥ ١٤٠٧هـ.

تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي.

جلال الدين السيوطي، تحقيق أبو قتيبة نظر محمد الفارابي، دار طيبة، ط ٦، ١٤٢٣هـ.

تذكرة الحفاظ. للأمام شمس الدين الذهبي، دار إحياء التراث، عن دائرة المعارف العثمانية.

ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك.

للقاضي عياض بن موسى اليحصبي، تحقيق محمد بن تاويت الطنجي، وغيره، طبع وزارة الأوقاف بالمملكة المغربية، ط/١ ١٤٠٣هـ.

التشريع والفقه في الإسلام تاريخاً ومنهجاً. مناع القطان، مؤسسة الرسالة، ط ٢/٢ ١٤٠٢هـ.

تشنيف المسامع بجمع الجوامع،

بدر الدين محمد بن بهادر عبد الله الزركشي، تحقيق سيد عبد العزيز، وعبد الله ربيع، مكتبة قرطبة.

التعريفات.

للشريف علي بن محمد الجرجاني، دار الكتب العلمية، ١٤١٦هـ.

تعريف الخلف برجال السلف.

أبي القاسم محمد الحفناوي الغول تحقيق محمد أبوالأحضان وعثمان بطيخ
مؤسسة الرسالة المكتبة العتيقة ط/١ ١٤٠٢هـ.

تفسير البحر المحيط

لمحمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي، تحقيق عادل أحمد عبد الموجود
وعلي محمد معوض، دار الكتب العلمية، ط/١ ١٤١٣هـ.

التقريب والإرشاد الصغير.

للقاضي أبي بكر محمد بن الطيب الباقلاني، تحقيق عبد الحميد بن علي أبو
زنيد، مؤسسة الرسالة، ط/٢ - ١٤١٨هـ.

تقريب الوصول إلى علم الأصول.

لأبي القاسم محمد بن أحمد بن جزي، تحقيق عبد الله محمد الجبوري، دار
النفايس، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ.

التقرير والتحجير.

لابن أمير الحاج، طبع: دار الفكر، ١٤١٧هـ.

تقويم الأدلة في أصول الفقه.

لأبي زيد عبيد الله بن عمر الدبوسي، تحقيق خليل محي الدين الميس، دار الكتب
العلمية، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ.

التقييد والإيضاح شرح مقدمة بن الصلاح. للحافظ زين الدين عبد الرحيم
ابن الحسين العراقي، دار الحديث، ط/٢ ١٤٠٥هـ.

التلخيص في أصول الفقه.

لإمام الحرمين عبد الملك بن عبد الله الجويني، تحقيق محمد حسن، دار الكتب
العلمية، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ.

تلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير.

لابن حجر العسقلاني، تحقيق: عبد الله هاشم اليماني، ١٣٨٤هـ.

التمهيد في أصول الفقه.

لأبي الخطاب محفوظ بن أحمد بن الحسن الكلوذاني، تحقيق محمد بن علي بن إبراهيم، مؤسسة الريان والمكتبة المكية، الطبعة الثانية، ١٤٢١هـ.

التمهيد في تخريج الفروع على الأصول.

جمال الدين أبي محمد بن الحسن الأسنوي تحقيق محمد حسن هيتو، مؤسسة الرسالة ط/٤ - ١٤٠٧ هـ

تنقيح التحقيق.

لابن عبد الهادي، تحقيق: لئمن شعبان، طبع: دار الكتب العلمية.

تهذيب الأسماء واللغات لأبي زكريا يحيى الدين بن شرف النووي، دار الكتب العلمية.

توضيح الأفكار لمعاني تنقيح الأنظار.

للأمير الصنعاني، تحقيق: صلاح عويضة، طبع: دار الكتب العلمية.

تهذيب اللغة.

للإمام أبي منصور محمد بن أحمد الأزهرى، تحقيق عبد السلام هارون، الدار المصرية للتأليف والترجمة.

تيسير التحرير.

لمحمد أمين المعروف بأمير باد شاه، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ١٣٥١هـ.

[ج]

جامع التحصيل في أحكام المراسيل.

لصلاح الدين أبي سعيد خليل العلامي، تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي الدار العربية للطباعة، ط/١ ١٣٨٩.

الجامع لأحكام القرآن.

لأبي عبد الله القرطبي، طبع: دار الشعب.

جدوة المقتبس في ذكر ولاية الأندلس

لأبي عبد الله محمد بن أبي نصر الحميدي، الدار المصرية للتأليف الترجمة ١٩٦٦م.

جمع الجوامع، مع شرح المحلى، وحاشية البناني.

لعبد الوهاب بن السبكي، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، الطبعة الثانية، ١٣٥٦هـ

الجواهر الثمينة في بيان أدلة عالم المدينة. لحسن بن محمد المشاط، تحقيق عبد الوهاب أبو سليمان، دار الغرب الإسلامي، ط ١٤١١/٢هـ.

[ح]

الحاصل من المخصول في اصول الفقه.

تاج الدين أبي عبد الله محمد بن الحسين الأرموي، تحقيق عبد السلام محمود أبو ناجي، منشورات جامعة قان يونس.

الحبائك في أخبار الملائك

جلال الدين محمد بن عبد الرحمن السيوطي، تحقيق محمد السعيد بن بسيوني، دار الكتب العلمية، ط ١/ ١٤٠٥هـ.

حواشي عبد الحميد الشرواني وابن قاسم العبادي على تحفة المحتاج لشهاب الدين أحمد بن حجر الهيتمي، دار الكتب العلمية ط ١٤١٦هـ.

[خ]

خير الواحد إذا خالف عمل أهل المدينة.

لحسان بن محمد فلمبان، دار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ.

خلاصة البدر المنير.

سراج الدين عمر بن علي ابن الملقن، تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي، طبع: مكتبة الرشد ط / ١٤١٠هـ.

الخلاف اللفظي عند الأصوليين

عبد الكريم النملة، الرشد، ط ١ ١٤١٧هـ.

[د]

درء تعارض العقل والنقل

أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، تحقيق محمد رشاد سالم، طبع جامعة الإمام محمد بن سعود، ط ١/ ١٣٩٩هـ

الدراية في تخريج أحاديث الهداية

شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق عبد الله هاشم اليماني، دار المعرفة،

الرد علي المنطقيين

تقي الدين أبي العباس أحمد بن تيمية، إدارة ترجمان السنة، ط ٣/ ١٣٩٧هـ
الدرر الكاملة في أعيان المائة الثامنة.

الإمام شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر العسقلاني دار الجليل.

دورة القاضي عياض

بحوث عدة تحت إشراف وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمغرب ، ١٤٠١هـ
الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب

القاضي إبراهيم بن نور الدين المعروف بابن فرحون، تحقيق مأمون بن محي الدين الحنان، دار الكتب العلمية، ط ١ ١٤١٧هـ.

[ذ]

الذخيرة

شهاب الدين أحمد بن إدريس القرافي، تحقيق محمد حجي وغيره، دار الغرب الإسلامي، ط ١ ١٩٩٤م.

[ر]

الرخص الشرعية والباقة بالقياس

عبد الكريم بن علي النملة، الرشد ، ط ٢ ١٤٢٠هـ

الرسالة

الإمام المطلي محمد بن إدريس الشافعي، تحقيق أحمد شاکر ، المكتبة العلمية.

الرسالة المستطرفة لبيان مشهور كتب السنة المشرفة. للسيد محمد بن جعفر

الكتاني، دار البار، ط ٢/١٤٠٠هـ.

رفع الحرج في الشريعة الإسلامية.

يعقوب عبد الوهاب البأحسن دار النشر الدولي، ط/٣-١٤١٦هـ.

روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني،

شهاب الدين محمود الألوسي، تحقيق علي عبد البارى عطية، دار الكتب

العلمية، ط ١/١٤١٥هـ.

روضة الناظر وجنة المناظر.

لموفق الدين أبي محمد عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي، مكتبة العلوم

والحكم.

الروض المربع.

لمنصور البهوتي، الطبعة: مكتبة الرياض الحديثة، ١٣٩٠هـ.

[س]

سبل السلام شرح بلوغ المرام.

لمحمد بن إسماعيل الأمير الصنعاني، تحقيق: محمد عبد العزيز الخولي، طبع: دار

إحياء التراث.

سلاسل الذهب.

للإمام بدر الدين الزركشي، تحقيق محمد المختار بن محمد الأمين الشنقيطي،

الطبعة الثانية، ١٤٢٣هـ.

سنن أبي داود.

للإمام سليمان بن الأشعث السجستاني، طبع: دار السلام، الطبعة الثانية، ١٤٢١هـ.

سنن الترمذي.

للإمام محمد بن عيسى الترمذي، طبع: دار السلام، الطبعة الثانية، ١٤٢١هـ.

سنن النسائي.

للإمام علي بن شعيب النسائي، طبع: دار السلام، الطبعة الثانية، ١٤٢١هـ.

سنن ابن ماجه.

للإمام محمد بن يزيد بن ماجه، طبع: دار السلام، الطبعة الثانية، ١٤٢١هـ.

السنن الكبرى.

لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، طبع: مكتبة الباز.

سير أعلام النبلاء

شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي تحقيق شعيب الأرناؤوط وزملاؤه مؤسسة الرسالة.

السييل الجرار المتدفق على حدائق الأزهار

محمد بن علي الشوكاني، تحقيق محمود إبراهيم زايد، دار الكتب العلمية، ط ١٤٠٥هـ.

[ش]

شجرة النور الزكية في طبقات المالكية

محمد بن محمد مخلوف دار الكتاب العربي

شذرات الذهب في أخبار من ذهب. لأبي الفلاح عبد الحي بن العماد الحنبلي، دار المسيرة ط ١٣٩٩هـ.

شرح التلويح علي التوضيح لمن التنقيح.

لسعد الدين مسعود بن عمر التفتزاني، تحقيق زكريا عميرات، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى.

شرح تنقيح الفصول.

لشهاب الدين أبو العباس أحمد بن إدريس القراني دار الفكر الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ.

شرح ديوان جرير.

مهدي محمد ناصر الدين دار الكتب العلمية بيروت لبنان، ط/٢، ١٤١٢هـ. شرح صحيح مسلم.

لأبي زكريا يحيى بن شرف النووي، طبع: دار إحياء التراث العربي.

شرح العضد علي مختصر المنتهى لابن الحاجب.

لعضد الدين عبد الرحمن بن أحمد الإيجي، ضبط فادي نصيف وطارق يحيى، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ.

شرح علل الترمذي.

لابن رجب الحنبلي، تحقيق: نور الدين عتر، طبع: دار العطاء، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ.

شرح غاية السؤل إلى علم الأصول.

ليوسف بن حسن بن أحمد الهادي، تحقيق أحمد طريقي العنزوي، دار البشائر الإسلامية الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ.

شرح فتح القدير علي الهداية،

الأمام كمال الدين محمد بن عبد الواحد المعروف بابن المهام، دار الفكر، ط ٢ ١٣٩٧هـ.

شرح القواعد الفقهية.

الشيخ أحمد بن محمد الزرقا، دار القلم، الطبعة الثالثة ١٤١٤هـ.

شرح الكوكب المنير.

محمد بن أحمد بن عبد العزيز بن علي الفتوحى المعروف بابن النجار، تحقيق محمد الزحيلي ونزيه حماد، مكتبة العبيكان، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ.

شرح مختصر ابن الحاجب.

لشمس الدين الثناء محمود بن عبد الرحمن بن أحمد الأصفهاني، تحقيق محمد مظهر بقا، جامعة أم القرى.

شرح مختصر الروضة.

لسليمان بن عبد القوي الطوفي، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي، توزيع وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد المملكة العربية السعودية، ط ٢ ١٤١٩هـ.

شرح مختصر المنار (خلاصة الأفكار)

زين الدين قاسم بن قطلوبغا الحنفي، تحقيق زهير بن ناصر الناصر، دار ابن كثير ط/١- ١٤١٣هـ.

شرح المعالم في أصول الفقه.

عبد الله بن محمد بن علي الفهري تحقيق عادل أحمد عبد الموجود عالم الكتب ط/١ ١٤١٩هـ.

شرح نخبة الفكر.

شيخ الإسلام الحافظ ابن حجر العسقلاني المكتبة الإمدادية.

الشفاء بتعريف حقوق المصطفى

القاضي عياض بن موسى اليحصبي، دار الفكر، ط ١ ١٤٢١هـ

شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والتعليل والحكمة والتعليل

شمس الدين محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية، الحساني حسن عبد الله ، دار

التراث

[ص]

صحيح البخاري.

للإمام محمد بن إسماعيل البخاري، طبع: دار السلام، الطبعة الثانية، ١٤٢١هـ.

صحيح مسلم.

للإمام مسلم بن الحجاج، طبع: دار السلام، الطبعة الثانية، ١٤٢١هـ.

صحيح مسلم مع شرحه إكمال إكمال المعلم

للأبي محمد بن خليفة الوشتاني، ومكمل إكمال الإكمال، محمد بن محمد بن يوسف السنوسي، تحقيق محمد سالم هاشم، دار الكتب العلمية، ط ١ ١٤١٥هـ.

صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان.

تحقيق شعيب الأرناؤوط، طبع: مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية، ١٤١٤هـ.

صحيح ابن خزيمة.

للإمام أبي بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة، تحقيق: محمد مصطفى الأعظمي، طبع: المكتب الإسلامي، الطبعة الأولى، ١٣٩٩هـ.

[ض]

الضوء اللامع لأهل القرن التاسع

شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي، دار الجيل ط/١ ١٤١٢هـ.

[ط]

طبقات الحفاظ. لجلال الدين السيوطي. تحقيق علي محمد عمر، مكتبة الثقافة الدينية، ١٤١٧هـ.

طبقات الفقهاء

لأبي إسحاق الشيرازي تحقيق علي محمد عمر، مكتبة الثقافة الدينية ط/١ ١٤١٨هـ.

طبقات المفسرين. شمس الدين محمد بن علي الداودي، تحقيق علي محمد عمر، مكتبة وهبة ط ١/١٣٩٢هـ.

[ع]

العدة في أصول الفقه.

للقاضي أبي يعلى محمد بن أحمد الفراء البغدادي الحنبلي، تحقيق محمد عبد القادر أحمد عطا، دار الكتب العلمية الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ.

العقد المنظوم في الخصوص والعموم.

لأبي العباس شهاب الدين أحمد بن إدريس القرافي، تحقيق محمد علوي بنصر، طبع وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمغرب.

علم أصول الفقه.

لعبد الوهاب خلاف، الذهبية، الطبعة السابعة عشرة، ١٤٠٦هـ

عمل أهل المدينة بين مصطلحات مالك وآراء الأصوليين.

لأحمد محمد نور سيف، دار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث، الطبعة الثانية، ١٤٢١هـ

عون المعبود شرح سنن أبي داود،

للعامة أبي الطيب شمس الحق العظيم آبادي دار الكتب العلمية.

[غ]

الغنية (فهرست شيوخ القاضي عياض). للقاضي عياض بن موسى. تحقيق محمد بن عبد الكريم، الدار العربية للكتاب، ط/١٣٩٨هـ.

[ف]

فتح الباري بشرح صحيح البخاري.

لأبي الفضل شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، ترقيم: محمد فؤاد عبد الباقي، تصحيح محب الدين الخطيب، طبع: دار المعرفة.

الفتح المبين في طبقات الأصوليين

عبد الله مصطفى المراغي، الناشر محمد أمين وشركاه، ط ٢ ١٣٩٤هـ.
الفروع.

شمس الدين بن مفلح مؤسسة الرسالة ط/١ - ١٤٢٤هـ

الفصول في الأصول،

أحمد بن علي الرازي الجصاص، تحقيق عجيل جاسم النشمي، ط ٢ ١٤١٤هـ.
الفكر الأصولي دراسة تحليلية نقدية.

عبد الوهاب إبراهيم أبو سليمان، دار الشروق الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ.

الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي. محمد بن الحسن الحجوي، تحقيق

عبد العزيز بن عبد الفتاح القاري، المكتبة العلمية، ط ١ / ١٣٩٦هـ.

الفهرست.

لابن النديم، دار المعرفة.

فوائح الرحوت.

عبد العلي محمد بن نظام الدين الأنصاري، الهندي إعداد دار إحياء التراث العربي،

الطبعة الأولى، ١٤١٨ هـ.

[ق]

القاضي عياض عالم المغرب، وإمام أهل الحديث في وقته. الحسين بن محمد

شواط، دار القلم، ط ١ / ١٤١٩هـ.

القاضي عياض وجهوده في علمي الحديث رواية ودراية

البشير علي حمد الترابي، دار بن حزم ، ط ١ ١٤١٨هـ.

القاموس المحيط.

لجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، الطبعة

الثانية، ١٣٧١هـ.

قلائد العيقان في محاسن الأعيان

الفتح بن خاقان تقدم محمد العناني ، المكتبة العتيقة.

قواطع الأدلة في أصول الفقه

الإمام أبي المظفر منصور بن محمد السمعاني تحقيق عبد الله بن حافظ الحكمي، دار التوبة ط ١٤١٩هـ .

قواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث. لجمال الدين القاسمي، دار الكتب العلمية، ودار إحياء السنة، ط ١/ ١٣٩٩هـ .
القواعد والفوائد الأصولية.

لأبي الحسن علاء الدين بن محمد بن عباس البعلبي المعروف بابن اللحام، تحقيق عبد الكريم الفضلي، مكتبة إحياء التراث الإسلامي، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ

[ك]

كتاب الصلاة

خلف بن عبد الملك المعروف بابن بشكوال اعتنى به السيد عزت العطار، مكتبة الخانجي، ط ٢/ ١٤١٤هـ .

كتاب الفقيه والمتفقه

أبي بكر بن أحمد ثابت الخطيب البغدادي، تحقيق عادل يوسف الغرازي، دار بن الجوزي، ط ١/ ١٤١٧هـ .

كشف القناع عن متن الإقناع.

الشيخ منصور البهوتي، تحقيق إبراهيم أحمد عبد الحميد مكتبة نزار مصطفى الباز، ط ٢/ - ١٤١٨هـ .

كشف الأسرار عن أصول فخر الإسلام البزدوي.

للإمام علاء الدين عبد العزيز البخاري، تحقيق محمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي، الطبعة الثالثة، ١٤١٧هـ .

كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون. المولى مصطفى بن عبد الله القسطنطيني، الشهير بملا كاتب الجلي، والمعروف بحاجي خليفة، دار الفكر، ١٤٠٢هـ .

كفاية الطالب (حاشية العدوي على شرح أبي الحسن المسمى كفاية الطالب الرباني لرسالة ابن أبي زيد القيرواني، ضبط وتصحيح الشيخ محمد البقاعي، دار الفكر، ١٤١٢هـ.

الكفاية في علم الرواية. للحافظ أبوبكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب، منشورات المكتبة العلمية بالمدينة المنورة.

[ل]

لباب المحصول في علم الأصول.

الحسين بن رشيق المالكي، تحقيق محمد غزالي، دار البحوث والدراسات الإسلامية وإحياء التراث، ط ١ ١٤٢٢هـ.

لسان العرب.

الإمام محمد بن مكرم بن منظور الأنصاري المصري باعتناء أمين محمد عبد الوهاب وزملاؤه دار إحياء التراث العربي ومؤسسة التاريخ العربي ط/٢ - ١٤١٧هـ.

اللمع في أصول الفقه.

لأبي إسحاق إبراهيم بن علي الشيرازي، ومعه تخريج أحاديثه عبد الله الغماري، ويوسف المرعشلي، عالم الكتب، الطبعة الثانية، ١٤٠٦هـ.

[م]

المبسوط

لشمس الدين السرخسي دار المعرفة بيروت - لبنان - ١٤٠٩هـ.

مجمع الزوائد ومنبع الفوائد.

للحافظ نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي، طبع: دار الريان.

مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية.

جمع وترتيب عبد الرحمن بن قاسم وابنه محمد ، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف، ١٤١٥هـ.

المجموع.

للإمام النووي، طبع: دار الفكر، ١٩٩٧م.

محاضرات في تاريخ المذهب المالكي في الغرب الإسلامي،

عمر الجيدي، منشورات عكاظ، مطبعة النجاح الجديدة.

المحدث الفاصل بين الراوي والواعي. للقاضي الحسن بن عبد الرحمن

الرامهرمزي، تحقيق محمد عجاج الخطيب، دار الفكر ط٣/.

المحصل في أصول الفقه.

لأبي بكر بن العربي المعافري، تحقيق وتعليق حسين علي البدري وسعيد عبد

اللطيف فودة، دار البيارق الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ.

المحصل في علم أصول الفقه.

لفخر الدين محمد بن عمر بن الحسين الرازي، تحقيق طه جابر فياض العلواني،

مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية، ١٤١٢هـ.

المحلى.

لابن حزم، قوبلت مع النسخة التي حققها أحمد شاكر دار الفكر

المختصر في أصول الفقه على مذهب الإمام أحمد بن حنبل.

لعلي بن محمد بن علي بن عباس المعروف بن اللحام، تحقيق محمد مظهر بقا،

جامعة أم القرى، الطبعة الثانية، ١٤٢٢هـ.

مدخل إلى أصول الفقه المالكي.

محمد المختار ولد أباه، الدار العربية للكتاب.

المدخل إلى مذهب الإمام أحمد بن حنبل.

لعبد القادر بن بدران، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة

الرسالة، الطبعة الرابعة، ١٤١١هـ.

المدخل لدراسة الشريعة الإسلامية.

لعبد الكريم زيدان، دار عمر بن الخطاب.

مذاهب الحكماء في نوازل الأحكام.

للقاضي عياض وولده، تحقيق محمد بن شريفة ، دار الغرب الإسلامي ، ط ١
١٩٩٠م.

مذكرة في أصول الفقه.

محمد الأمين بن المختار الشنقيطي، المكتبة السلفية.

مراقي السعود إلى مراقي السعود

محمد بن الأمين بن أحمد زيدان، تحقيق محمد المختار بن محمد الأمين ، مكتبة
بن تيمية ط/١ ١٤١٣هـ

مرآة الأصول في شرح مرقاة الوصول في أصول الفقه.

العلامة ملا خسرو، وعليه حاشية الإمام الأزميري، المكتبة الأزهرية للتراث.

المسائل المشتركة بين أصول الفقه وأصول الدين،

محمد العروسي عبد القادر ، دار حافظ ، ط ٨ ١٤١٠هـ

المستدرك على الصحيحين.

لأبي عبدالله محمد بن عبدالله الحاكم النيسابوري، تحقيق: محمد عبد القادر
عطا، طبع: دار الكتب العلمية.

المستصفى من علم الأصول.

لأبي حامد محمد بن محمد الغزالي، تحقيق محمد بن سليمان الأشقر، مؤسسة
الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ.

المسودة.

لآل تيمية، تحقيق: أحمد الذروي، طبع: دار الفضيلة، وتحقيق محمد محي الدين عبد
الحميد، دار الكتاب العربي.

مشارك الأنوار على صحاح الآثار في شرح غريب الحديث الموطأ والبخاري
ومسلم

القاضي عياض بن موسى، تحقيق إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، ط ١
١٤٢٣هـ.

المصباح المنير.

أحمد بن محمد بن علي الفيومي، اعتنى به يوسف الشيخ محمد، المكتبة
العصرية، الطبعة الثانية، ١٤١٨هـ.

مطالب أولي النهى في شرح غاية المنتهى

مصطفى السيوطي الرحباني، المكتب الإسلامي، ط/١ ١٣٨٠هـ.

المطالب العالية بزوائد الثمانية

الحافظ شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق غنيم عباس
وياسر بن إبراهيم، دار الوطن ط/١ ١٤١٨هـ.

معالم أصول الفقه عند أهل السنة.

محمد بن حسين الجيزاني، دار ابن الجوزي، الطبعة الثالثة، ١٤٢٢هـ.

المعتمد في أصول الفقه.

لأبي الحسين محمد بن علي بن الطيب البصري المعتزلي، تقدم الشيخ خليل الميس، دار
الكتب العلمية.

المعجم الأوسط.

لأبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني. تحقيق طارق بن عوض وعبد المحسن
بن الحسين، منشورات دار الحرمين، ١٤١٥هـ.

معجم البلدان.

شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت الحموي دار صادر بيروت ١٣٦٧هـ.

المعجم في أصحاب القاضي الإمام أبي علي الصدي. محمد بن عبد الله
القضاعي المعروف بن الأبار، دار الكاتب العربي، ١٣٨٧هـ.

المعجم الكبير.

لأبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، حمدي عبد المجيد السلفي، مكتبة ابن
تيمية،

معجم المؤلفين.

الشيخ عمر رضا كحالة مؤسسة الرسالة، ط/١ ١٤١٤هـ.

المعجم الوسيط.

لمجموعة من العلماء، طبع: دار الدعوة بتركيا.

المغني في أصول الفقه.

لجلال الدين عمر بن محمد عمر الخبازي، تحقيق محمد مظهر بقا، جامعة أم القرى، ١٤٢٢هـ—

مغني المحتاج إلى معرفة معاني الفاظ المنهاج

شمس الدين محمد بن الخطيب الشربيني تحقيق محمد خليل عيثاني، دار المعرفة.

مفتاح الوصول إلى بناء الفروع على الأصول.

لأبي عبد الله محمد بن أحمد الشريف التلمساني، تحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف، دار الكتب العلمية ١٤٠٣هـ—

المفردات في غريب القرآن.

لأبي القاسم الحسين بن محمد الراغب الأصفهاني، ضبط محمد خليل عيثاني، دار المعرفة الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ—

مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين. لعلي بن إسماعيل الأشعري، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، مكتبة النهضة المصرية ط٢/١٣٨٩هـ—

مقاييس اللغة.

لأبي الحسين أحمد بن فارس الشدياق تحقيق عبد السلام محمد هارون دار الفكر ١٣٩٩هـ—

المقدمات الممهدة لبيان ما أقتضته المدونة من الأحكام ،

أبي الوليد محمد بن أحمد بن رشد القرطبي، تحقيق محمد حجي وعبد الله بن إبراهيم الأنصاري، دار إحياء التراث الإسلامي ودار الغرب الإسلامي، ط١ ١٩٨٨م.

مقدمة

لابن خلدون، دار القلم ط/٥، ١٩٨٤م.

مقدمة إكمال المعلم

للقاضي عياض اليحصبي، تحقيق الحسين بن محمد شواط دار ابن عفان، ط/١ - ١٤١٤هـ.

المقصد الأرشد في أصحاب الإمام أحمد

برهان الدين إبراهيم بن محمد بن مفلح، تحقيق عبد الرحمن بن سليمان العثيمين، الرشد، ط/١ - ١٤١٠هـ.

الملل والنحل

محمد بن عبد الكرم الشهرستاني، تحقيق محمد سيد كيلاني، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ١٣٨١هـ.

المنحول.

لأبي حامد محمد بن محمد الغزالي، تحقيق: محمد هيتو، طبع: دار الفكر.

منع الموانع عن جمع الجوامع.

تاج الدين عبد الوهاب بن علي السبكي تحقيق سعيد بن علي الحميري، دار البشائر،

منهاج البيضاوي مع شرحه نهاية السؤل للأسنوي وشرح البدخشي.

دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ.

منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية

أبي العباس تقي الدين أحمد بن عبد الحلیم، محمد رشاد سالم، طبع جامعة الإمام محمد بن سعود، ط/١ - ١٤٠٦هـ.

منهجية فقه الحديث عند القاضي عياض في إكمال المعلم.

الحسين بن محمد شواط دار ابن عفان ط/١ - ١٤١٤هـ.

الموافقات في أصول الشريعة.

لأبي إسحاق الشاطبي إبراهيم بن موسى اللخمي الغرناطي، ومعه تعليقات عبد الله دراز. تحقيق محمد عبد الله دراز، وعبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية.

مواهب الجليل.

للخطاب محمد بن محمد بن عبد الرحمن الرعي، طبع: دار الفكر، ١٣٩٨هـ.

الموطأ.

لأبي عبد الله مالك بن أنس، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، طبع: إحياء التراث.

المهذب في علم أصول الفقه المقارن، عبد الكريم النملة، الرشد، ط ١٤٢٠هـ.

ميزان الأصول في نتائج العقول

الشيخ الإمام علاء الدين شمس النظر أبي بكر محمد بن أحمد السمرقندي تحقيق محمد زكي عبد البر الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ.

[ن]

نثر الورود على مراقبي السعود.

لمحمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي، تحقيق محمد ولد سيدي، الناشر محمد محمود الخضر القاضي، توزيع دار المنارة، ط ١٤١٥هـ.

النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة. جمال الدين أبي المحاسن يوسف بن تغري بردي الأتابكي، تحقيق محمد حسن شمس الدين دار الكتب العلمية، ط ١٤١٣هـ.

نشر البنود على مراقبي السعود.

سيدي عبدالله بن إبراهيم العلوي الشنقيطي، دار الكتب العلمية، ط ١٤٠٩هـ.

نصب الراية لأحاديث الهداية.

عبد الله بن يوسف الزيلعي، طبع المجلس العلمي وتوزيع المكتب الإسلامي ط ١٣٩٢هـ.

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب

أحمد بن محمد المقرئ التلمساني تحقيق إحسان عباس دار صادر ١٣٨٨هـ.

النكت على كتاب ابن الصلاح.

لابن حجر العسقلاني، تحقيق: ربيع بن هادي المدخلي، طبع: مكتبة الفرقان، ١٤٢٤هـ.

النكت على كتاب ابن الصلاح.

لبدر الدين الزركشي، تحقيق: زين الدين بلا فريج، طبع: أضواء السلف، ١٤١٩هـ.

نهاية الوصول إلى علم الأصول.

لأحمد بن علي بن تغلب بن الساعاتي، سعد بن غرير بن مهدي السلمي، جامعة أم القرى ١٤١٨هـ.

نهاية الوصول في دراية الأصول.

صفي الدين محمد بن عبد الرحيم الأرموي الهندي، تحقيق صالح بن سليمان بن اليوسف، وسعد بن سالم، المكتبة التجارية.

نيل الابتهاج بتطريز الديباج

لأحمد بابا التنبكي

نيل الأطار شرح منتقى الأخبار.

الإمام محمد بن علي الشوكاني دار المعرفة.

نيل السؤل على مرتقى الوصول

محمد بن يحيى الولاتي عالم الكتب ط / ١٤١٢هـ

[هـ]

هدية العارفين أسماء الكتب المؤلفين وآثار المصنفين. إسماعيل باشا البغدادي،

دار العلوم الحديثة، بيروت لبنان، ١٩٨١م.

[و]

الواضح في أصول الفقه.

لأبي الوفاء علي بن عقيل بن محمد عقيل، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ.

الوجيز في أصول الفقه.

لعبد الكريم زيدان، مؤسسة الرسالة ومكتبة البشائر، الطبعة الأولى،

١٤١١هـ

الوصول إلى علم الأصول.

لأحمد بن علي بن برهان البغدادى، تحقيق عبد الحميد علي أبو زنيد، مكتبة

المعارف، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ.



ثامنا: فهرس الموضوعات

• المقدمة ٣

• المدخل ١١

• التمهيد ٣٨

• الباب الأول: آراء القاضي عياض في مباحث الحكم ٦٩

- توطئة في بيان منهج القاضي عياض في بحث مسائل أصول الفقه: ٧٠

الفصل الأول: آراؤه في الحكم التكليفي ٧٦

* [مسائل الحكم] ٧٦

١- هل الفرض والواجب مترادفان؟: ٦٤ ٨٧

٢- هل تعلق الوجوب بأول الوقت أم بآخره في الواجب الموسع. ٩٨

٣- إذا نسخ الوجوب هل يبقى الجواز؟ ١٠٨

٤- هل المندوب مأمور به؟ ١٠٩

٥- الأمر بالشيء الموقت هل يتناول قضاءه إذا خرج عن وقته أو يحتاج إلى أمر ثان

..... ١١٩

[الحاكم]

٦- مسألة التحسين والتقبيح ١٢١

٧- هل أصل الأشياء الإباحة أو التحريم؟ ١٣١

[المحكوم عليه]

٨- هل الكفار مخاطبون بفروع الشريعة؟ ١٤٢

[المحكوم به]

٩- مسألة: تكليف ما لا يطاق (التكليف بالمحال) ١٥١

* الباب الثاني: في الأدلة، وفيه ستة فصول: ١٦٢

الفصل الأول: آراؤه في مباحث الكتاب..... ١٦٣

المبحث الأول: حجية القرآن الكريم وإعجازه: وفيه ثلاث مسائل.

المسألة الأولى: في حجية القرآن..... ١٦٣

المسألة الثانية: في الصرفة..... ١٦٥

المسألة الثالثة: وجوه إعجاز القرآن الكريم..... ١٦٦

المبحث الثاني: هل البسمة آية من القرآن الكريم؟..... ١٧٠

المبحث الثالث: القراءة الشاذة..... ١٧٦

الفصل الثاني: آراؤه في مباحث السنة..... ١٨١

مسألة عصمة الأنبياء..... ١٨٤

مسألة في حكم السهو والنسيان على الأنبياء عليهم السلام..... ١٩٤

مسألة: حجية خبر الواحد..... ١٩٩

(هل يوجب خبر الواحد العلم أو الظن)

مسألة: أفعال الرسول صلى الله عليه وسلم..... ٢٠٥

مسألة: حجية إقرار النبي صلى الله عليه وسلم..... ٢١٥

- مسألة الفرق بين الخير والشهادة (شروط الراوي أو الشاهد)..... ٢١٧

- مسألة اشتراط البصر في الشهادة دون الخير:..... ٢١٩

- مسألة هل يشترط البلوغ حين السماع..... ٢٢٠

- هل يشترط العدد في الخير (حكم رواية الواحد) ؟..... ٢٢١

- مسألة اشتراط العلم في الراوي..... ٢٢٣

- مسألة رواية الحديث بالمعنى..... ٢٢٥

- مسألة حذف بعض الخير (اختصار الحديث)..... ٢٣٥

- حكم قول الصحابي أمرنا بكذا ونهينا عن كذا ، وهل هو من المسند ؟..... ٢٣٨

٢٣٨	- المسألة الأولى : المرفوع حكماً
٢٣٨	قول الصحابي أمرنا بكذا ونهينا عن كذا
٢٤٤	المسألة الثانية : قول الصحابي كنا نفعل كذا أو كانوا يفعلون كذا
٢٤٧	مسألة : حكم إنكار الأصل رواية الفرع
٢٥١	مسألة : المرسل
٢٦٠	مسألة : زيادة الثقة
٢٦٦	مسألة : ذكر سبب الجرح والتعديل
٢٧١	ما الحكم إذا تعارض الجرح والتعديل
٢٧٣	مسألة : هل رواية الثقة عن المجهول تعديل له ؟
٢٧٦	مسألة : رواية المجهول
٢٧٩	مسألة : متى يخرج الراوي عن حد الجهالة
٢٨١	مسألة : رواية المبتدع
٢٨٨	مسألة : حكم رواية الكذاب وأنواع الكذابين وسبب رواية الأئمة عنهم
٢٩٢	مسألة : اشتراط البلوغ حين السماع (سن التحمل)
٢٩٦	مسألة : السن الذي يحسن فيه الانتصاب للتحديث
٢٩٨	مسألة : سن ترك التحديث
٢٩٩	طرق التحمل
٣٠٠	مسألة : صيغ التحمل لغير الصحابي
٣٠٠	الضرب الأول : السماع من لفظ الشيخ
٣٠١	الضرب الثاني : القراءة
٣٠٦	الضرب الثالث : المناولة
٣١٠	الضرب الرابع : الكتابة
٣١٥	الضرب الخامس : الإجازة وأحكامها
٣٢٩	الضرب السادس : الإعلام (إعلام الشيخ)
٣٣٢	الضرب السابع : الوصية بالكتب
٣٣٤	الضرب الثامن : الوجادة

الفصل الثالث: آراؤه في المباحث المشتركة بين الكتاب والسنة.

- ٣٣٩ * المبحث الأول في الحقيقة وانجاز والمشارك
- ٣٤٠ المطلب الأول : هل يقدم الاسم العربي على اللغوي أو العكس.....
- ٣٤١ - المطلب الثاني هل الأسماء الشرعية منقولة من اللغة أو لا ؟.....
- ٣٤٧ - المطلب الثالث : على ماذا تحمل الألفاظ المشتركة إذا وردت مطلقة.. ..
- ٣٥٢ * المبحث الثاني : في باب الأمر:.....
- ٣٥٣ - المطلب الأول:هل صيغة الأمر تقتضي الوجوب
- ٣٦٠ - المطلب الثاني: هل أمر الرسول صل الله عليه وسلم على الوجوب أم لا ؟....
- ٣٦١ - المطلب الثالث: ورود الأمر إذا ورد بعد الحظر
- ٣٦٦ - المطلب الرابع: الأمر بصيغة الخير
- ٣٦٧ * المبحث الثالث: النهي
- ٣٦٨ - المطلب الأول: هل النهي يقتضي الفساد.....
- ٣٧٨ - المطلب الثاني: هل النهي عن الشيء أمر بضده ؟.....
- ٣٨٠ * المبحث الرابع: الإجمال والبيان: وفيه مطلبات.....
- - المطلب الأول:هل ورود الأوامر بهذه الألفاظ الشرعية تكون بمحتملة فتحتاج إلى بيان أم لا ؟.....
- ٣٨١ -المطلب الثاني: تأخير البيان عن وقت الحاجة.....
- ٣٨٥ * المبحث الخامس: العام والخاص
- ٣٩٠ -المطلب الأول: حجية العموم
- ٣٩٢ - المطلب الثاني: هل لفظة "من" من صيغ العموم
- ٣٩٨ - المطلب الثالث:هل قضايا الأعيان تتعدى
- ٤٠١ - المطلب الرابع:العموم إذا خرج على سبب يقصر عليه
- ٤٠٣ - المطلب الخامس: العموم المراد به الخصوص
- ٤٠٦ - المطلب السادس:هل العمل بالعام يحتاج إلى البحث عن المخصص أم لا ؟.....
- ٤١٠

- ٤١٤ المطلب السابع: حكم دخول العبد في خطاب الأحرار
- ٤١٥ المطلب الثامن: هل الخطاب الوارد في حق النبي صلى الله عليه وسلم يعم أمته ...
- المطلب التاسع: حكم تخصيص القرآن بالسنة (وحكم تخصيص ظاهر القرآن بخبر الآحاد)
- ٤١٩ المطلب العاشر: حكم تخصيص العموم بالعادة
- ٤٢٣ * المبحث السادس: الاستثناء: وفيه مطلب واحد وهو : حكم الاستثناء والشرط والتقيد إذا تعقب جملا هل يرجع إلى جميعها أم لا ؟
- ٤٢٤ * المبحث السابع: المطلق والمقيد: وفيه مطلبان :
- ٤٣١ - المطلب الأول: حمل المطلق على المقيد إذا كان في معنى واحد
- ٤٣٤ - المطلب الثاني: حمل المطلق على المقيد
- * المبحث الثامن: المفهوم: وفيه مطلبان :
- ٤٣٧ - المطلب الأول: حجية مفهوم المخالفة
- ٤٤٢ - المطلب الثاني: هل مفهوم اللقب حجة ؟
- المبحث التاسع: النسخ: وفيه ستة مطالب:
- ٤٤٦ المطلب الأول: تعريف النسخ
- ٤٤٩ المطلب الثاني: ما حكم نسخ الأحكام ؟
- ٤٥٣ المطلب الثالث: أنواع النسخ
- ٤٥٨ المطلب الرابع: متى يثبت النسخ في حق المكلف
- المطلب الخامس: نسخ القرآن بالسنة ونسخ السنة بالقرآن.
- ٤٦٠ وهل يثبت النسخ بخبر الآحاد
- ٤٦٢ المطلب السادس: هل الزيادة على النص نسخ
- ٤٦٧ الفصل الرابع: آراؤه في مباحث الإجماع
- ٤٦٨ المبحث الأول: حكم الإجماع والعمل به
- ٨٧٤ المبحث الثاني: منكر الإجماع
- ٨٧٧ المبحث الثالث: مستند الإجماع

٤٨٨	المبحث الرابع: هل يصح الإجماع بعد الخلاف.....
٤٨٦	المبحث الخامس: خلاف الواحد معتبر ولا ينعقد الإجماع بدونه (مخالفة الأقل)....
٤٨٩	المبحث السادس: الاعتداد بالمبتدع والفاقد في الإجماع.....
٤٩٢	المبحث السابع: اشتراط انقراض العصر في الإجماع.....
٤٩٦	المبحث الثامن: حكم إحداث قول ثالث في مسألة الخلاف فيها على قولين....
٥٠٠	المبحث التاسع: حجية الإجماع السكوتي.....
٥٠٤	وحكم فعل الإمام إذا لم يعرف له مخالف هل هو إجماع؟.....
٥٠٥	المبحث العاشر : إجماع أهل المدينة.....
٥١٥	- مسألة تعارض عمل أهل المدينة مع أخبار الآحاد.....
٥١٧	الفصل الخامس: آراؤه في مباحث القياس.....
٥١٨	المبحث الأول: حجية القياس:.....
٥٢٧	المبحث الثاني : حكم القياس على الرخص:.....
٥٣٠	المبحث الثالث : قياس العكس.....
٥٣٢	المبحث الرابع : هل العلة المعينة تتعدى أم لا ؟.....
٥٣٥	الفصل السادس: آراؤه في مباحث الأدلة المختلف فيها:.....
٥٣٦	المبحث الأول : شرع من قبلنا هل هو شرع لنا ؟.....
٥٤٨	المبحث الثاني: سد الذرائع حجة:.....
٥٥٦	المبحث الثالث : حجية الاستحسان.....
٥٦٣	المبحث الرابع : حكم استصحاب براءة الذمة:.....

• الباب الثالث: آراؤه في مباحث الاجتهاد والتقليد والفتوى، وفيه ثلاثة فصول:

٥٦٩	الفصل الأول: في الاجتهاد.....
٥٦٩	المبحث الأول: تعريف الاجتهاد.....
٥٧١	المبحث الثاني: شروط الاجتهاد.....

المبحث الثالث: لا اجتهاد مع النصّ.....	٥٧٢
المبحث الرابع: حكم اجتهاد الرسول صلى الله عليه وسلم وغيره من الأنبياء..	٥٧٤
المبحث الخامس: هل يجوز الخطأ على الرسول صلى الله عليه وسلم في اجتهاده، وكذلك غيره من الرسل.....	٥٨٣
المبحث السادس: حكم الاجتهاد في زمن النبي صلى الله عليه وسلم.....	٥٨٨
المبحث السابع: هل كل مجتهد مصيب.....	٥٩٥
الفصل الثاني: في التقليد.....	٦١٠
الفصل الثالث: في الفتوى.....	٦١٦

الباب الرابع: آراؤه في مباحث التعارض والترجيح، وفيه فصلان:

الفصل الأول: في التعارض وفيه مبحثان:

المبحث الأول: هل يقدم خير الواحد على القياس عند التعارض؟.....	٦١٩
المبحث الثاني: البيان بالفعل أقوى منه بالقول.....	٦٢٤
الفصل الثاني: في الترجيح.....	٦٢٨
المبحث الأول: ترجيح رواية صاحب الخير إذا عارضه غيره.....	٦٢٩
وترجيح ما رواه النساء مما يختص بمن إذا خالفهن فيه الرجال والعكس.....	٦٢٩
المبحث الثاني: الترجيح بكثرة الرواة.....	٦٣١
المبحث الثالث: الترجيح بعمل أهل المدينة ومكة إذا خالفهم غيرهم.....	٦٣٢
الخاتمة:.....	٦٣٣
الفهارس:.....	٦٣٤
أولاً: فهرس الآيات القرآنية.....	٦٣٦
ثانياً: فهرس الأحاديث.....	٦٥٠
ثالثاً: فهرس الآثار.....	٦٥٧
رابعاً: فهرس الأعلام.....	٦٥٩
خامساً: فهرس الشعر.....	٦٧١

٦٧٤	سادساً : فهرس الفرق والأديان.....
٦٧٩	سابعاً : فهرس المصادر والمراجع.....
٧٠٧	ثامناً : فهرس الموضوعات

